

أَنْتَ مَلَكُ الْجَنَّاتِ
عَنْهُنَّ مُنْتَهٰى

فِي مَغَازِيِّ خَيْرِ الْوَرَى

شِرْعُ الْعَالَمَةِ الْمُحَمَّدِ الْأَصْمَرِيِّ الْفَقِيْهِ

الْقَاضِيِّ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَشَاطِ



أَنْكَلَةُ النَّجَنِ
عَنْهُ

فِي مَغَازِيِّ خَيْرِ الْوَرَى
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

شِرْعُ الْعَالَمَةِ الْمُحَمَّدِ الْأَصْرُورِيِّ الْفَقِيْهِ

الْقَاضِيِّ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَشَاطِ

قَدْمَمْ لَهُ بِدَائِةً

أ.د. عَبْدُ الرَّهْبَنِ إِبْرَاهِيمُ الْبُوْسَيْمَانِ

أَنْتَ لَهُ الْأَحْكَمُ

فِي مَغَازِيِّ خَيْرِ الْوَرَى

شِرْحُ الْعَلَّامَةِ الْمُحَدِّثِ الْأَصْوَلِيِّ الْفَقِيهِ الْقَاضِيِّ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَشَاطِ
لِمُنْظُومَةِ أَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ الْمَجْلِسِيِّ الشِّنْقِيْطِيِّ فِي الْمَغَازِيِّ (ت ١٢٢٠ هـ تقريرياً)

وَقَدْ وَعَى أَهْلُ هَذَا الْبَيْتِ فِكْرَتَهُ
نَظَمُ الْمَغَازِيِّ الَّذِي قَدْ شِفَتَ رَوْعَتَهُ
بِشَرْحِهِ حَقَّ الْرَّحْمَنُ بُغْيَتَهُ
مَقْبُولَةُ فَائِتَمَ اللَّهُ رَغْبَتَهُ
أَفَادَنَا فَجَرَاهُ اللَّهُ جَتَّهُ
كَأَنَّ رَبَّ السَّمَا أَعْطَاهُ مُنْيَتَهُ
بِقَدْرِهِ وَالْحِجَازُ الرَّحْبُ أَثْبَتَهُ
بَيْنَ الْعِبَادِ أَعْزَزَ اللَّهُ رُتْبَتَهُ
رَاهُ سُرَّ بِهِ بَلْ كَانَ بُلْغَتَهُ
فِقْهَا أَذَانَا وَبِالإِسْنَادِ أَبْحَثَهُ^(١)
بِالْعِلْمِ يَرْزُكُو فَنُلْ إِنْ شِئْتَ نِسْبَتَهُ
مَعِي اعْتَنَى طَيَّبَ الرَّحْمَنُ وَجْهَتَهُ
مَوْلَايَ فَامْحُ ذُنُوبِي وَاجْلُ صَفَحَتَهُ
هَبْهُ التَّأْسِيِّ بِمَنْ أَيَّدَتْ بِعْثَتَهُ
وَاحْصُصْ أَجْبَةَ هَادِيَنَا وَعَتَرَتَهُ
يَا ذَا الْجَلَالِ أَعِنَا نُحْبِي سُتَّتَهُ

محمد عبد الرحمن بن عبد العزيز عيون السود، الشيباني

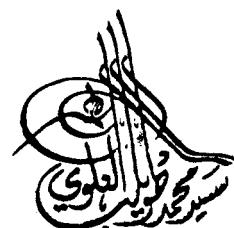
هَذَا الْكِتَابُ سَمَا كَالشَّمْسِ فِي الْأَفْقِ
لِأَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ الْمَجْلِسِيِّ بِهِ
وَشَيْخُنَا حَسَنُ الْمَشَاطُ أَوْضَحَهُ
أَسْمَاهُ بِاسْمِ جَمِيلٍ عَلَيْهِ
أَنَارَ فِيهِ الدُّجَى بِمَا الْحَيْبُ عَزَّا
مَنْ اسْمُهُ حَسَنٌ وَالْحُسْنُ دِيْدُنُهُ
أُمُّ الْقُرَى شَهَدَتْ وَالْبَيْتُ وَالْحَرَمُ
يَقْضِي بِمَكَّةَ عَنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ
وَزَارَنَا فِي بِلَادِ الشَّامِ حِينَ أَبِي
أَجَازَةَ بِعْلُومِ كَالْحَدِيثِ أَضِفْ
وَبَيْنَنَا نَسَبٌ مَا زَالَ مُتَصَلٌّ
حَفِيْدُ الْبَارِعِ الْمُحَمْمُودُ طُوبَى لَهُ
بِطْبَعِهِ وَبَنْشَرِ الْعِلْمِ مُحْسِبَاً
وَانْفَعْ إِلَهِي بِهَذَا السَّفَرِ قَارَئَهُ
عَلَيْهِ صَلَّى عَلَى أَصْحَابِهِ مَدَداً
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي بَدْءٍ وَمُخْتَسِمٍ



(١) الْبَحْثُ : الصِّرْفُ ، الْخَالِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبَاخْتَهُ الْوُدُّ : خَالَصَهُ .

القسم الأول

الترجمة - الدراسة



ترجمة الشارح

فضيلة الشيخ حسن محمد المشاط^(١)

١٣٩٩ - ١٣١٧ هـ

ولد رحمه الله تعالى بمكة المكرمة ، عام (١٣١٧هـ) نشأ في أحضان أسرة علمية من أسر مكة العريقة (آل مشاط)^(٢) ، تلقى تعليمه في رحابها المباركة بالمدرسة الصولية ، وبالمسجد الحرام على يد العلماء الأكابر^(٣) ، وقد أبدى أثناء تحصيله العلم تفوقاً ونبوغاً في الدراسة ، أهلاً لأن يكون معاوناً في الدروس الابتدائية أثناء تعلمه^(٤) .

أقبل على العلم بكليته ، شغف به صبياً ، وشاباً يافعاً ، وتضاعف شغفه وولعه به كهلاً ، وشيخاً ، فكان شريط حياته تعلماً وتعليناً ، استفادة وإفادة . شجعه على هذا التوجه والاتجاه والده الكريمان ، ومن بعدهما زوجه المصون رحمهم الله تعالى ؛ إذ هيئوا له جوًّا عائلياً يعقب بالحب ، ويشع بالطهر والصفاء ، في رعاية أسرية حانية^(٥) .

(١) قد ترجم لفضيلته ترجمة موسعة في كتابه : « الجوهر الشمينة في بيان أدلة عالم المدينة » دراسة وتحقيق تلميذه عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، والمدون هنا رؤوس الموضوعات هناك ، وتم الإشارة بالهامش هنا عن مواطن وجودها في تلك الدراسة .

(٢) انظر (الفصل الأول : مؤلف الكتاب : ولادته ، ونشأته) من دراسة كتاب « الجوهر الشمينة في بيان أدلة عالم المدينة » (الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، عام ١٤٠٦) ، (ص ١٧) .

(٣) انظر قسم الدراسة لـ « الجوهر الشمينة » (ص ٣٢) .

(٤) انظر قسم الدراسة لـ « الجوهر الشمينة » (ص ٢٠ ، ٢٦) .

(٥) انظر قسم الدراسة لـ « الجوهر الشمينة » (ص ١٨ - ٢٢ - ٢٤) .



حفته العناية الإلهية سنوات تحصيله ، فأوجدت منه محدثاً كبيراً ، فقيهاً مالكيّاً ، وأصولياً نحرياً ، عالماً من علماء السيرة النبوية ، متضلعاً من العلوم العربية ، متحققاً بسلوك علماء الآخرة ، كل هذا في خشية العالم وتواضعه ، وورعه وتقواه ، منصرفاً عن الدنيا ومظاهرها ، عفيف اليد واللسان ، كثير الذكر والتأمل^(١) .

رحل إلى كثير من البلاد العربية : مصر ، الشام ، فلسطين ، ولبنان ، والسودان ، فتعرف على علمائها ، فأجازوه وأجازهم ، لم ينقطع عن إفادة الناس فيها ، وعقد حلقات الدروس في مساجدها ، فحلَّ بين أهلها عالماً مبجلًا^(٢) .

أما تلاميذه النبغة العلماء .. فهم كثُر ، ليسوا في مكة وديار الحجاز فقط ، بل في البلاد الإسلامية بعامة ، وجزيرة العرب بخاصة ، في أفريقيا ، وجنوب شرق آسيا ، ولهم نتاج علمي غزير ، ومؤسسات علمية كثيرة ، نشرت النور والمعرفة في أصقاع تلك البلاد .

أما حياته العملية والوظيفية .. فإنَّ تاريخ مكة العلمي والتربوي يعتز به واحداً من كبار العلماء المدرسين ، الذين كان تعليم أبناء المسلمين هوايتهم ، يبتغون به وجه الله ، فتخرَّجت بهم أجيال من العلماء والمفكِّرين والمثقفين^(٣) .

اشتغل بالقضاء بالمحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة زهاء خمسة عشر عاماً ، من عام (١٣٦١) إلى عام (١٣٧٥) كان مثال النزاهة والعفة والعدل ، له مواقف قضائية تاريخية ، تشهد له بسداد الرأي ، والتوفيق - بفضل من الله - إلى الحكم الصواب^(٤) .

(١) انظر قسم الدراسة لـ «الجواهر الثمينة» (ص ٢٥) .

(٢) انظر قسم الدراسة لـ «الجواهر الثمينة» (ص ٢٨ - ٣٢ - ٥٤) .

(٣) انظر قسم الدراسة لـ «الجواهر الثمينة» (ص ٣٦ - ٤٤) .

(٤) انظر قسم الدراسة لـ «الجواهر الثمينة» (ص ٤٥ - ٥١) .

فلا غرو أن يكون علماً بارزاً بين العلماء المكيين ، ذا مكانة رفيعة في الوسط العلمي ، والمجتمع المكي ، رحمة الله رحمة الأبرار ، وأدخله جنته مع النبيين ، والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً .

نشاطه العلمي :

درس بالحرم الشريف ، والمدرسة الصولتية ، وبمنزله ، لعقود طويلة ، منذ شبابه حتى مرحلة شيخوخته ومرضه الذي انتقل بعده إلى جوار ربه ، رحمة الله . استمر يدرس بالحرم الشريف دروساً خاصة وعامة ببرنامج زمني ، يكاد يكون نظام العلماء والمدرسين في هذا المكان المبارك منذ قرون ، أمّا العلوم .. فإنّها تختلف من عالم لآخر حسب تمكّنه واتجاهه^(١) .

أمّا البرنامج العلمي والزمني لفضيلة الشيخ حسن محمد مشاط ، وما دأب عليه تلاميذه ورؤاده .. فهو كالتالي :

دروس ما بين المغرب والعشاء :

يخصّص النصف الأول لهذه الفترة لتدريس الفقه المالكي لمجموعة من الطلاب ، محدودة العدد ، وآخر مجموعة من الدارسين هذا المذهب قد تدرج بهم من كتب المبادئ في المذهب ، مثل : « متن الأخضري » في الفقه ، و« منظومة ابن عاشر » ، و« متن الرسالة » ، حتى منتهياً بها بدراسة « متن سيدى خليل المالكي » . يخصّص النصف الثاني لما بين المغرب والعشاء لدرس عام ، يحضره الخاصة والعامة لتدريس أحد كتب الصاحب الستة ، دراسة علمية محققة للسند والمتن وفقه الحديث ، وقد درسها مرات عديدة متكررة ، والكتب بأيدي الطلاب يدونون عنه الفوائد والنكات العلمية .



(١) انظر قسم الدراسة لـ « الجوادر الشمية » (ص ٥٢) .

والدرس بعد صلاة العشاء : يخص الليالي الثلاث الأولى من الأسبوع لتدريس اللغة العربية ، واللilتين الأخيرتين - ليلة الأربعاء والخميس - لتدريس مادة أصول الفقه ، وقد درس عليه الطلاب في هذه العلوم كتب البدايات حتى النهايات .
عدد الدارسين في هذه العلوم وهذه الفترة عدد محدود من طلاب العلم المداومين .

أمّا ليتنا الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع .. فقد اعتاد علماء المسجد الحرام اتخاذهما إجازة أسبوعية .

وعادة ما يبتدئون الدروس ويختتمونها بالدعاء مستقبلين الكعبة المشرفة ، وما أن يرتفع صوت الحق بأذان العشاء .. حتى توقف كافة الدروس ، وترتفع الأيدي بالدعاء إلى الله عزّ وجلّ .

هذه صورة تحكي واقعاً يومياً مشهوداً كل مساء في المسجد الحرام ، ليس فيما يخص فضيلة الشيخ حسن محمد المشاط ، بل هو صحيح بالنسبة لكافة العلماء الذين كانت تمتلئ ساحات المسجد الحرام وأرقوته بدورسهم وحلقاتهم العلمية ، أمثال الشيخ محمد العربي التباني ، والسيد علوى مالكى ، والسيد محمد أمين كتبى ، والشيخ محمد نور سيف ، والشيخ عبد الله دردوم ، والشيخ محمد مرداد ، وغيرهم كثير ، حسب برنامج علمي من الدراسات الشرعية واللغوية يختص به كل واحد منهم .

نشاطه التأليفي ^(١) :

مؤلفات الشيخ حسن محمد المشاط رحمة الله شاهد حي ، يحكى تمكنه في العلوم التي ألف فيها ، كما أنها تدل أصالة على مقدار عمقه في علوم الآلة :
اللغوية ، والبيانية التي لا تستقيم العلوم الشرعية بدونها .

(١) انظر قسم الدراسة لـ «الجواهر الثمينة» (ص ٥٧ - ٧٢) .

أَلْفَ في أُصول الْحَدِيثِ كِتَابِي :

« رفع الأَسْتَارِ عَنْ مُخْدِرَاتِ طَلْعَةِ الْأَنْوَارِ » .

و« شَرْحُ الْمَنْظُومَةِ الْبَيْقُونِيَّةِ » .

وَكَلَّا هُمَا كِتَابَانِ مُعْتَبَرَانِ ، يَنْلَانِ الْإِهْتِمَامِ الدَّائِمِ مِنَ الدَّارِسِينَ فِي مُعْظَمِ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، كَمَا كَانَ فِي الْمَاضِي عِنْدَمَا كَانَ الْمُؤْلِفُ عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ ، وَقَدْ طَبَعَ مَرَاتٌ عَدِيدَةٌ نَالَ تَدْقِيقَ الْمُؤْلِفِ ، وَمَرَاجِعَتِهِ وَتَحْقِيقَهِ .

أَلْفَ في الْفَقَهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَحْدُثِينَ كِتَابِيْنَ هُمَا :

١ - « إِسْعَافُ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِوْظَائِفِ شَهْرِ رَمَضَانَ » .

٢ - « إِسْعَافُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِوْظَائِفِ الْحَجَّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ » .

هُمَا كِتَابَا حَدِيثَ وَفَقَهَ فِي مَوْضِعِهِمَا ، وَقَدْ طَبَعَا لَعْدَةَ مَرَاتٍ ، وَكَانَ لَهُمَا الْحَظْ الْوَافِرُ مِنْ مَرَاجِعِ الْمُؤْلِفِ وَتَحْقِيقَاتِهِ ، حَظِيَا بِتَدْرِيسِهِمَا لِطَلَابِهِ فِي مَنَاسِبِهِمُ الْدِينِيَّةِ لَمَرَاتٍ عَدِيدَةٍ .

كَانَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَالَمًا مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ الْمَشْهُودُ لَهُمْ فِي هَذَا الْمَجَالِ ، وَعَالَمًا مِنْ عُلَمَاءِ أُصُولِ الْفَقَهِ ، قَدْ أَنْتَجَ فِي هَذَا الْمَجَالِ الْعَلَمِيِّ كِتَابَهُ :

« الْجَوَاهِرُ الْثَّمِينَةُ فِي بَيَانِ أَدَلَّةِ عَالَمِ الْمَدِينَةِ »^(١) ، وَقَدْ طَبَعَ طَبَعَتِينِ .

وَحَاشِيَّةٌ مُوْسَعَةٌ عَلَى « لَبِ الْأُصُولِ » .

أَلْفَ في الْعِقِيدَةِ :

« الْبَهْجَةُ السَّنِيَّةُ فِي شَرْحِ الْخَرِيدَةِ فِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ » طَبَعَ بِأَنْدُونِيَّسِيا ، يَدْرِسُ فِي مَعَاهِدِهَا وَمَؤْسَسَاتِهَا الْعَلَمِيَّةِ .

(١) طَبَعَ طَبَعَتِينِ عَامَ (١٤٠٦) وَعَامَ (١٤١٢) بِتَحْقِيقِ تَلَمِيذِهِ عَبْدِ الْوَهَابِ إِبْرَاهِيمَ أَبْوَ سَلِيمَانَ .

درس بالحرم الشريف شروح «ألفية ابن مالك» كابن عقيل ، والمكودي ، وحواشيهما مرات عديدة ، مدوناً تاريخ تدريسه لها على صفحات النسخ التي درس فيها ، وكذلك علوم البلاغة ، غير أنه لم يؤلف فيهما .

وقد ظهرت آثار هذه الدراسات العلمية المتنوعة واضحة في شرحه لهذه المنظومة .

تجلىَ قدراته اللغوية رحمة الله في التحليل اللغوي للمنظومة عندما يحتاج النظم إلى ذلك ، حيث ضرورات النظم توجب تقديم ما حقه التأخير ، وتأخير ما حقه التقديم ، فيستوجب هذا بيان وضع كل عبارة أو جملة في موضعها الصحيح ، ومن ثم إعرابها لتوضيح معناها .

إن اطلاعه الواسع ، وقدراته الرفيعة في علم الحديث سندًا ومتناً.. أضاف إلى النظم من الواقع والأحداث ما لا يوجد إلا في كتب الحديث ، وما لا يعرفه إلا المحدث الضليع ، فهو على ذكر مما هو مدون في هذه المدونات ، وما يذكره علماء السيرة النبوية ، وقد يخلل هذا : تعارض الروايات ، والأحداث ، والواقع ، فيفحصها حسب القوانين العلمية الأصولية ، وقد وفق رحمة الله تعالى في هذا الجانب كل التوفيق .

وملكاته الفقهية والأصولية قدمت للقارئ معلومات فقهية مهمة كلما واتت مناسبة لذكرها .

الدراسة

شروح المنظومة :

يوجد شرح آخر لهذه المنظومة للعلامة الشيخ حماد الأمين الشنقيطي ، وقد ذكر الشيخ حسن محمد المشاط هذا الشرح ، واطلع عليه ، واستفاد منه ، وذكر منهجه

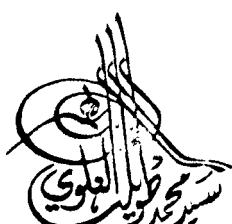
وطريقته ، وأئنَّ من جملة ما اعتمدَه في شرحه ، ولكنَّه اتَّخذ منهاجاً آخر مستقلاً ، هو ما وضحه بقوله :

(وقد اعتمدَت في هذا الشرح على شرح العلَّامة الشِّيخ حمَّاد بن الأمين الشنقيطي ابن أخي الناظم على هذا النظم ، وهو شرح على طريقة المتقدمين ، غير مزج ، يذكر جملة من أبيات النظم ، ويتكلَّم عليها على عادة علماء ذلك القطر في الإسهاب ، والولوج في كل فن وباب)^(١) .

مصادر الشرح « إنارة الدجى في مغازي خير الورى » :

خصَّ الشارح رحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى المقدمة الثالثة بذكر أشهر من ألف في المغازي ، وبينَ المصادر التي اعتمدَها بشكل رئيس ، وذكر من بينها شرح العلَّامة الشِّيخ حمَّاد بن الأمين الشنقيطي ، وبينَ منهجه في شرح هذه المنظومة ، وقد سلك المؤلَّف رحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى منهجاً مغايراً ؛ فقد كان الأول يعتمد وحدة موضوعية من الأبيات ، ثمَّ يتحدث عن موضوعها جملة ، دون تعرُّض لتحليل الأبيات ومدلولاتها ، في حين أنَّ الشارح هنا يعتمد الأسلوب التحليلي لكل جملة وعبارة في النظم ، وبينَ مؤدَّها ومدلولاتها .

وقد ظهر اعتماده على أهم مدونات السيرة النبوية وأكثرها اعتماداً عند علماء هذا الفن ، بل أكثر الاعتماد على ابن إسحاق ، والحافظ اليعمري ، و« روض النهاة » وهي مصادر أصلية ذات وزن كبير في هذا العلم ، علمًا بأنَّ الشارح رحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قد أسعفته ملکاته العلمية ، وعمقه في علم الحديث أن يكون من بين مصادره المنشورة في هذا الشرح : « الصحيحان » بشكل خاص ، وبقية كتب الصحاح بشكل عام ، وكتب شروح الحديث مثل « فتح الباري » وغيره .



(١) (ج ١ ، ص ٦) .

فمن ثمَّ أصبح الشرح موسوعة مصغرة للأحداث والواقع النبوية من مصادر
صحيحة موثقة .

صلة الشارح رحمه الله بمنظومة المغازي ، وتحقيقه نصوصها :

علاقة الشارح رحمه الله تعالى بهذه المنظومة علاقة حفظ ودرس ، وأكثر من
هذا هي علاقة عشق وهياق ، فقد كانت من جملة محفوظاته التي اهتمَّ بها في شبابه ،
واعتنى بها حفظاً ، ودرساً ، وتدريساً ، وكتابةً ، وشرحًا على مدى مسيرة حياته
رحمه الله ، وقد أحبها لأسباب عديدة :

أولاً : لموضوعها ، فهي عرض أمين ، وإبراز لمواصفات البطولة شاخصة وممثلة
في رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم .

ثانياً : سلاسة عبارتها ، وسهولة حفظها .

وقد سجل إعجابه بها كتابةً عندما ترجم لناظمها رحمه الله تعالى ؛ إذ أثني
عليها ، وسمها : « فصل الخطاب » في هذا الموضوع ، وعدها متفوقة على
سابقتها « الدرة السنية في المعالم السنية » من تأليف القاضي أبي عبد الله محمد بن
عيسى بن محمد بن أصيغ الأزدي ، المعروف بابن المناصف ، الذي بلغ سبعة آلاف
بيت من الرجز^(١) .

وللحديث عمّا تميزت به هذه المنظومة يقول :

(قلت : ومنظومتنا هذه هي فصل الخطاب ، والآية في الإعجاب ، لا تدع
شاذة ولا فاذة من عيون المغازي .. إلَّا أتت عليها بأبدع أسلوب ، وأسلس تعبير ،
 فهي الفريدة في بابها ، الممتعة لطلابها ، وها هي ذي بين أيدينا ترفل في أبواب

(١) انظر « إنارة الدجى في شرح مغازي خير الورى » (ج ١ ، ص ٦٩) .

حسنها ، مدبرجة بكلام الحفاظ والمهرة ، من نقدة أهل هذا الشأن ، فليحكم لها ،
أو عليها)^(١) .

وقد كان لها النصيب الموفور من قراءته وتدرисه لها ، وكثيراً ما كان يستشهد
بها في دروسه ومجالسه ، ويبحث طلابه على حفظها .

قرأ هذه المنظومة ، وصححها على يد شيخه الشيخ محمد عبد الله زيدان^(٢) ،
ولم تكن النسخة التي استنسختها الوحيدة ، بل كانت هناك نسخة أخرى هي نسخة
الشيخ حمّاد ، وتخالف أحياناً عن نسخته ، تعلق الشارح رحمة الله تعالى تعلقاً
شديداً بهذه المنظومة جعله يقارن بين نسخته وبين ما هو موجود في النسخة
الأخرى ، وقد ذكر بعض هذه المخالفات ، ونوه عنها في شرحه ، من هذه
المواضع :

١ - أسماء الذين ثبتوها مع النبي صلى الله عليه وسلم في يوم هوازن
(ج ٢، ص ٢٤٤) .

٢ - الاختلاف في صدر البيت ، ففي نسخته يذكر أولاً :

ومعتب نجل قشير قالا وعدنا النبي أن ننالا
وأن في بعض النسخ :

وابن قشير معتب قال أما وعدنا محمد أن نغمما
وعقب على هذا فائلاً : (والخطب سهل ، والمعنى واحد) (ج ١، ص ٢٨٠) .
وهو بهذا التدقيق لنصوص المنظومة يبرهن على عنايته بتحقيق نصوصها تحقيقاً
علمياً سليماً .



(١) انظر «إنارة الدجى» (ج ١، ص ٧٠) .

(٢) انظر «إنارة الدجى» (ج ٢، ص ٢٤٤) .

منهج الشارح رحمة الله تعالى :

أولاً : قدم الشارح رحمة الله لشرحه لمنظومة المجازي بمقدمات تعريفية مهمة ، يحتاج إليها دارس هذا العلم ، مبتدئاً حسب الترتيب الآتي :

١ - ترجمة الناظم ، والتعريف بمكانته العلمية ، وجهوده في التأليف في فن المجازي ، والأنساب .

٢ - مشروعية الجهاد ، وقد وضح هنا التدرج التشريعي في هذه الشعيرة الإسلامية المهجورة .

٣ - في المجازي وفضل تعليمها .

٤ - في أشهر من ألف في المجازي ، وقد أتى على ذكر أهمها ، منذ القرن الأول الهجري .. حتى القرن الحادى عشر الهجري .

ثانياً : من المعلوم أن النظم لا يتسع لتفصيل الأحداث والواقع ، وأقصى ما يمكن هو التصرير إجمالاً لأهم الأحداث ، وما عدا هذا فيكتفى عنه بالإشارة والرمز ، فمن ثم سلك الشارح رحمة الله تعالى لبيان التفاصيل والإسهاب فيها طريقين مختلفين :

أ - يسرد الحدث كاملاً برواياته ، وكافة وقائعه ، في عبارة نثرية متسلسلة ، وفي النهاية يذكر : أن هذا هو ما عناه الناظم من البيت التالي ، أو الأبيات التالية ، وبهذا يكون القارئ على إمام بالمقصود ، من كل حرف وكلمة في النظم ، ثم يرجع بعد هذا على تحليل النظم ، تحليلاً لغوياً بيانياً .

ب - وأحياناً يقدم تحليل النظم تحليلاً لغوياً ، وبيانياً كاملاً ، وبعد هذا يأخذ في سرد موضوع النظم في عبارة نثرية متسلسلة ، مترابطة الأحداث بعبارته ، والاستشهاد لعرضه من كتب الحديث والسيرة النبوية .

والمعيار في هذا التراوح عند الشارح : هو علاقة الحدث بما ذكر قبله ، أو ما يذكر بعده .

ثالثاً : استكماله للأحداث والواقع التي لم يتأتَ للناظم عرضها ، والحديث عنها ، من ذلك :

أ - عمرة القضاء : توقف الناظم عند عقد الصلح (ج ٢ / ص ١٣٨) دون أن ينوه عن عمرة القضاء ، فرأى الشارح رحمة الله تعالى أنَّ الحديث عن عمرة القضاء ، وما جرى فيها من وقائع .. يعد جزءاً مهماً لاستكمال صلح الحديبية ونتائجها البالغة على المسلمين ، فمن ثمَّ تحدث عنها بالتفصيل .

كذلك لم يعرض الناظم للأحداث التي وقعت للMuslimين لما وصلوا إلى تبوك ، (ج ٢ / ص ٢٩٤) وقد تنبَّه لها الشارح رحمة الله فأكملها .

رابعاً : عنایته بضبط أسماء الغزوات ، والأماكن ، والأسماء ، ضبطاً صحيحاً ، كتابة بالحروف حسب طريقة الضبط عند القدماء ، وذكر الأقوال عند الاختلاف ، وترجيح الصحيح ، معتمداً في هذا على دواوين اللغة ومعاجمها ، وكتب السيرة والتاريخ المتخصصة .

انظر مثلاً لهذا : (غزوة ذي قرفة) (ج ١ / ص ١٣٢) .

خامساً : اختياره من المصادر للأحداث والواقع التي تبني في القارئ روح التضحية والفداء في سبيل الله ، والتي من شأنها أن تستثير في القارئ نوازع الخير ، وتضاعف في نفسه محبة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والصحابة الكرام .

سادساً : اهتمامه بتحديد موقع الغزوة ، وتاريخ حدوثها ، وحامل لوائها ، وعدد أفرادها ، وذكر اسم خليفة رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة أثناء غيابه عنها .

هذه هي العناصر الرئيسية في منهج المؤلف ، وقد يقف الدارس بصفاء ذهنه وملكته على جوانب أخرى في منهج الشارح رحمة الله ، تضم إلى ما سبق عرضه .

منهج الشارح رحمة الله تعالى في التعبير عن رأيه :

من السمات البارزة في حياة المؤلف فضيلة الشيخ حسن بن محمد المشاط تواضعه الجم مع الكبير والصغير ، حالاً ومقالاً ، وهو مظهر من مظاهر سلوكه العام ، وبنفس السلوك يتعامل مع العلماء وأرائهم وكتبهم ، ولا تبدو منه كلمة يُشَتَّمُ منها رائحة الجرح ، فضلاً عن الصريح .

يلمس القارئ هذا بوضوح فيما يذكر من آراء خاصة به ، أو ترجيح ، بعبارة متواضعة يستهلها أحياناً بقوله : (قال العبد الضعيف) في أكثر من موضع ، أو مناسبة . انظر (ج ١ / ص ١٢٥ - ١٢٧) .

وأحياناً يستهل الجملة عندما يريد التعبير عن رأيه بقوله : (واعلم) أو بكلمة : (قلت) بضمير المفرد المتalking .

خصائص الشرح :

اشتمل الشرح على مجموعة من الخصائص العلمية المهمة نتيجة اهتمام الشارح رحمة الله ، وبذله جهداً كبيراً في إنجازه ، يطول الحديث في استعراضها تفصيلاً ، ومن الأجدى عرض أهم تلك الخصائص ، ونماذج منها :

أولاً : تحديد موقع الأماكن التي جرت فيها الأحداث ، وتحقيق أسمائها بحسب اشتهرارها في الماضي ، وتسميتها في الحاضر مثل هذا :

هذا الشام حالياً بوادي فاطمة الذي يسمى في كتب السيرة بـ (الرجيع) وتنسب إليه وقعة الرجيع ، وسماه الإمام في « جامعه » بـ (الهداء) ويعلق الشارح رحمة الله تعالى هنا قائلاً :

(قلت : ويسمى اليوم بـ (هذا الشام) ويعرف بهذا الاسم ، وله طريق من مر الظهران ، وادي فاطمة ، بينه وبينها نحو ساعة بالسيارة ، وبهذا الموضع مزارع

كثيرة ، وهواء طلق ، ونخيل ، وعيون ، وآبار عذبة جداً ، جئته يوماً من الصباح إلى المساء ، فصليت في جامعه ، وبه مدرسة ابتدائية ، ويقال : إنَّ عدد من يسكنها اليوم يقرب من الألف) (ج ٢ / ص ٥١) .

ثانياً : تحقيقه للأحداث التي تتضارب فيها الروايات وتصحيفها :

ترد بعض الأحيان أحداث تختلف فيها الروايات فيفحصها الشارح رحمه الله بحاسة المحدث ، المؤرخ ، الخبرير بترتيب الأحداث ، فيخرج برأي سديد .

من هذا ما ذكره نقاً عن كتاب «الروض الأنف» للسهيلي :

(أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه شيء عن أهل مسجد الضرار ، وكان قد استخلف عاصم بن عدي العجلاني على قباء ، والعالية ، فرده لينظر في ذلك ، وضرب له بسهمه مع أهل بدر) (ج ١ / ص ١٣٤) .

يقول الشارح رحمه الله تعالى في دراسة هذا وفحصه حسب الأصول العلمية : (قلت : هكذا قالوا ، ولم يكن إذ ذاك مسجد الضرار ، وإنَّما كان سنة تسع عند خروجه صلى الله عليه وسلم لتبوك ، فيحتمل أن يكون استخلافه عليه الصلاة والسلام على أهل قباء والعالية من المدينة لشيء بلغه عنهم ؛ ولذلك عدَّ من البدرين ، وضرب له بسهم ، وهو المعتمد كما ذكره الحافظ في «الإصابة» أمَّا ذكر مسجد الضرار .. فلا معنى له) . (ج ١ / ص ١٣٥) .

ويلجأ إلى التوفيق بين الروايات إذا أمكن ، ما لم يؤدِّ إلى تعارض أو تناقض ، وذلك : بأن تنسب بعض الأحداث إلى بعض الصحابة ، وفي روايات أخرى تنسب إلى آخرين سواهم ، ولا يمنع العقل والواقع صدوره من كليهما ، فيحاول الشارح رحمه الله تعالى بصفاء إيماني ، وحب عميق ، وإجلال وإكبار لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. التوفيق بينهما بمنطق مقبول ، ومن الأمثلة على هذا :

ذكر الشارح رحمه الله : أنَّ الإمام الزرقاني ذكر في «المواهم» : (عن

عروة : أَنَّ لَمَا وُضِعَ فِيهِ - خَبِيبُ بْنُ عَدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - السَّلَاحُ نَادِيْهُ - الْمُشْرِكُوْنَ مِنْ بَنِي لَحِيَانَ فَقَدْ كَانَ أَسِيرَهُمْ - : أَتْحَبُ أَنَّ مُحَمَّداً مَكَانَكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهُ ، مَا أَحَبُ أَنْ يَفْدِيَنِي بِشُوكَةٍ فِي قَدْمِهِ .

وَذَكَرَ الزَّرْقَانِيُّ رِوَايَةً أُخْرَى فَقَالَ : (وَيَقُولُ : إِنَّ ذَلِكَ لِزِيدَ بْنَ الدَّشْنَةَ ، وَأَنَّ أَبَا سَفِيَّانَ قَالَ لِهِ ذَلِكَ) .

وَيَعْلَقُ الشَّارِحُ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا التَّعَارُضِ مُوْفَقاً بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ قَائِلًا : (أَقُولُ : وَلَا مَنَافَاةَ ، فَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ لِكُلِّ مِنَ الصَّحَابَيْنِ ، وَغَایَتِهِمْ وَاحِدَةٌ ، هُوَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (جَ / ٢ / صَ ٥٣) .

ثَالِثًا : اهْتِمَامُهُ بِالرَّوَايَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ :

إِنَّ الشَّارِحَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَعْرُوفَ بِدِقْتِهِ وَيَقْظَتِهِ الشَّدِيدَةِ ؛ لَمَّا بَيْنَ مَؤْلِفِي السِّيرِ مِنْ اِتِّفَاقٍ أَوْ اِخْتِلَافٍ فِي الْأَحْدَاثِ وَالْوَقَائِعِ ، أَوْ أَسْبَابِهَا ، أَوْ تَعْدِدِهَا ، وَتَعْدِدُ أَسْمَائِهَا .

مِنْ هَذَا مَا جَاءَ فِي (جَ / صَ ١٦٩) فِي عَرْضِ أَحْدَاثِ غَزْوَةِ بَنِي سَلِيمٍ ؛ إِذْ جَاءَ تَحْتَ عَنْوَانَ (تَنبِيَهٍ) مَا يَأْتِيُ :

(جَعْلُ النَّاظِمِ غَزْوَةَ بَنِي سَلِيمٍ غَيْرَ غَزْوَةِ قَرْقَرَةِ الْكَدْرِ ؛ لَمَّا سِيَّأَتِي ، فَهُمَا غَزْوَتَانِ ؛ تَبَعًا لِأَصْلِهِ « الْعَيْنُ » ، وَجَعَلَهُمَا صَاحِبُ « الْمَوَاهِبِ » وَاحِدَةً ، وَتَبَعَهُ تَلَمِيذُهُ الشَّامِيِّ) .

رَابِعًا : مَقَارِنَتِهِ بَيْنَ هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ ، وَبَيْنِ رَصِيفَتِهَا مَنْظُومَةِ الشَّيْخِ غَالِيِّ بْنِ الْمُخْتَارِ فِي « تَبَرُّصَةِ الْمُحْتَاجِ » ، مِنْ هَذَا :

عَرْضُ النَّاظِمِ رَحْمَهُ اللَّهُ لِقَصْةِ الْعَرَنِيْنِ وَسَرِيَّةِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْأَبْيَاتِ الْثَّلَاثِ الْأَتِيَّةِ :

وَبَعْدَهَا اِنْتَهِيَا الْأُولَى اِنْتَهِيَا لِغَايَةِ الْجَهَدِ وَطِيَّبَةِ اِجْتِمَاعِهَا

فخرجوها وشربوا ألبانها
ونبذوا إذ سمنوا أمانها
فاقتصرَّ منهم النبِيُّ أَنْ مثُلُوا
بعده ومقتليه سملوا
وبعد أن أتمَ الشارح رحمه الله تعالى تحليلها وبيانها ، وفصل أحداث هذه
السرية .. ذكر الآتي :

وقد أشار إلى هذه السرية الشيخ غالى بن المختار في « تبصرة المحتاج » بأسلوب
ممَّا هنَا ، وسمَّاها بسرية كرز بن جابر الفهري بقوله :

فنجل جابر لنيف ذو العلا
لراح خير مرسل وقتلوا
كرز بـإثـر نـفـر عـدـوـا عـلـى
غـلامـه وـمـقـلـيـه سـمـلـوا
أـيـديـهـم وـنـعـمـ ماـقـدـصـنـعـا
أـعـيـنـهـم وـرـدـهـم مـمـثـلـا
لـمـا أـصـابـهـم فـلـا يـسـقـونـا

(ج/٢ ص ٧٤)

خامساً : اهتمامه بالجوانب الفقهية :

الفقه الإسلامي أحد العلوم التي برع فيها الشارح - رحمه الله تعالى - وملك
عنانها ، فلا عجب أن يعطي الجانب الفقهي اهتماماً كبيراً ، خصوصاً وأنَّ المواقف
النبوية في هذه الغزوات ذات طابع خاص .. تعد مصدراً لأحكام شرعية كثيرة
لا مجال لإبرازها واستنباطها .. إلَّا من خلال أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ،
وأفعاله ، وتحرّكاته في هذه المناسبات بخاصة ، وبحكم التفاعل العلمي الفقهي في
نفس الشارح رحمه الله تعالى .. لم يأل جهداً أن يتحدث عن الجوانب الفقهية ،
والأحكام التشريعية إذا طرأت مناسبة لذلك ، والأمثلة على هذا كثيرة ، ومنتشرة في
صفحات الكتاب ، وعرض الأحداث ، ويكتفى هنا بالإشارة إلى عناوين بعضها ،
مثل :

- ١ - حكم من دعا بدعوى الجاهلية في الإسلام ، وأقوال الفقهاء فيه .
(ج/٢ ص ٨٥).
- ٢ - حرمة التسبب لِإسقاط الأطفال ، وحكم استعمال الحبل من أصله .
(ج/٢ ص ١٠١).
- ٣ - جواز الاجتهاد بحضور النبي صلى الله عليه وسلم (ج/٢ ص ٥٠).
- ٤ - حكم أخذ الأجرة على دخول الكعبة (ج/٢ ص ٢٢٦).
- ٥ - حكم النياحة على الميت ، وإرهاق أهل الميت بعمل طعام للمعزين .
(ج/٢ ص ١٧٢ ، ١٧٣).
- ٦ - هل يغسل الشهيد إذا كان جنباً (ج/١ ص ٢٣٣ - ٢٣٤).

- ٧ - المعنى الذي ينبغي أن يحمل عليه حديث المغفرة لأهل بدر ، وحكم ما إذا ارتكب أحدهم فعلاً يوجب حداً شرعياً (ج/١ ص ١٢٨).

سادساً : استخلاص الفوائد وال عبر من الأحداث :

من أبرز الجوانب التي يحرص عليها الشارح رحمة الله هو استخلاص الفوائد وال عبر من الأحداث مما يفيد الأمة الإسلامية ، ويرفع من شأنها ، ويعيد إليها أمجادها ، قد يطول به الوقوف عند الحدث حسبما يملئه الموقف ، وقد يقصر ، وهو حريص كل الحرص على توجيه نظر القارئ بخاصة ، وال المسلمين بعامة إلى الإفادة من التجارب التي مرّ بها المسلمين في عصر النبوة ، والخلافة الراشدة ، والأخذ بالأسباب التي تقدّمهم إلى العزة والكرامة ، وتباعد بينهم وبين أسباب الذل والانحطاط .

تجلّى هذه الروح منذ الصفحات الأولى من هذا الكتاب ، ففي نهاية حديثه عن المغازي ، وفضل علمها وتعلمها يقول :

(وإنَّ في النَّظرِ إِلَى مَا لِأَسْلَافِنَا الْكَرَامِ الْقَادِهِ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ ، مِنَ الْمُقْدَرَهُ
الْفَائِقَهُ ، وَالْبَطْلَهُ النَّادِرَهُ ، وَالْتَّضْحِيَهُ بِالْمَهْجُوَّهِ الْغَالِيَهُ فِي سَبِيلِ الْعِقِيدَهُ الْحَقَّهُ ،
وَالْمِبَادَئُ الْفَاضِلَهُ . . مَا يَمْلأُ الْقُلُوبَ إِيمَانًا بِفَضْلِهِمْ ، وَإِعْجَابًا بِصَنْعِهِمْ ، وَإِكْبَارًا
لِجَلَالِ أَعْمَالِهِمْ ، وَحِرْصًا عَلَى التَّأْسِيِّ بِهِمْ .

وَفَقَ اللهُ الْأَمَّهُ لِلنَّظَرِ فِيمَا لَسْلَفَهَا الصَّالِحُ ؛ حَتَّى تَفِيقَ مِنْ غَفْلَتِهَا ، وَتَنْهَضَ مِنْ
كَبُوْتَهَا ، وَتَتَذَكَّرُ بِذَلِكَ مَا كَانَ لَهَا مِنْ عَظَمَهُ وَمَجْدُهُ ، فَتَعْمَلُ لِاستِرْجَاعِهِ ، وَتَتَبَوَّأُ
الْمَكَانُ الْلَّاثِقُ بِهَا ، آمِينٌ) .

وَهَكُذا تَعْمَلُهُ مَعَ كُلِّ حَدَثٍ فِيهِ تَذْكِيرٌ وَاسْتِحْثَاثٌ لِهُمَّةِ الْأَمَّهُ ، وَتَوْجِيهٌ نَدَاءٌ
مَخْلُصٌ لِأَبْنَائِهَا ، وَالنَّمَادِجُ مِنْ هَذِهِ الْوَقْفَاتِ لِلشَّارِحِ رَحْمَهُ اللهُ تَعَالَى كَثِيرٌ ، مِنْهَا :
مَا ذَكَرَهُ مِنْ حِكْمَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِمْضَاءِ شُرُوطِ صَلْحِ الْحَدِيبِيَّهُ
(ج / ٢ ص ١٢١) .

وَفَوَائِدُ قَصَّةِ التَّحْلُلِ مِنْ إِحْرَامِ الْعُمَرَةِ بَعْدَ إِبْرَامِ عَقْدِ الْصَّلْحِ (ج / ٢ ص ١٢٧)
وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ امْتَلَأَتْ بِهِ صَفَحَاتُ الشَّرْحِ .

سَابِعًا : رِبْطَهُ بَعْضُ الْأَحْدَاثِ قَدِيمًا بِمَا هُوَ جَارٍ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ :

لَا يَنْسَى الشَّارِحُ رَحْمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَقَارِنَ الْأَحْدَاثَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يَجْرِي فِي عَالَمِنَا الْمُعَاصِرِ ؛ لِإِذْكَارِ الشُّعُورِ الْإِيمَانِيِّ ، وَبِيَانِ الْوَاقِعِ
الَّذِي انْحَدَرَ إِلَيْهِ الْأَمَّهُ ، أَوْ بَعْضِ طَوَافَهَا ، وَمِنَ الْأَمْثَلَهُ عَلَى هَذَا :

١ - حَدِيثُهُ عَنْ مَشْرُوعِيَّهِ الْوَقْفِ فِي الإِسْلَامِ بِمَنْسَابَهِ تَحْبِيسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ سَبْعَ حَوَائِطَ بَأْنَهُ :

(أَحَدُ الْأَدْلَهُ الْكَثِيرَهُ عَلَى مَشْرُوعِيَّهِ الْوَقْفِ فِي الإِسْلَامِ) .

ثُمَّ يَعْلَقُ الشَّارِحُ رَحْمَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا قَائِلًا :

(خلافاً لبعض علماء العصر ممن يريد حل الأوقاف الإسلامية تبعاً للهوى ، هدانا الله ، وإيابهم على الصراط المستقيم) (ج ١ / ص ٢٣١) .

٢- توجيه شباب الأمة ونصحهم بالاقتداء بالصحابي الكرام (ج ١ / ص ٢١٩).

ثاماً : استشهاده بالشعر :

والشارح رحمة الله تعالى يقول الشعر ، ويحفظه ، خصوصاً الشعر الرصين ، الرفيع المعاني ، الرقيق الحواشي ، البليغ العبارة ، وقد نشر هذا في مناسبات عديدة من الشرح ، بما يلائم الموقف الذي يتحدث فيه .

ففي عرض أحداث غزوة خيبر ، وتطلع الصحابة رضوان الله عليهم إلى أن يعطي كل واحد منهم الراية عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاعطينَ الراية رجلاً يحبه الله ورسوله » ، ثمَّ أعطاها علياً رضي الله عنه ، وكان متختلفاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لرمد أصابه ، ثم لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكانت الراية من نصيه ، ويعلق الشارح رحمة الله تعالى على هذا الحديث العظيم في (ج/٢/١٤٦) بقوله :

(وفي هذه القصة لطيفة ، وهي : أنَّ من طلب شيئاً ، أو تعرَّض لطلبه .. يحرمه غالباً ، وأنَّ من لم يطلب شيئاً ، ولم يتعرَّض لطلبه .. ربما وصل إليه) .

ثمَّ يَسْتَشْهِدُ عَلَى هَذَا بِالْبَيْتِ التَّالِيِّ :

والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبُه يوماً ويمنعه من حيث يُطْمَعُه
وإذا دعت المناسبة لذكر بعض الأشعار ذات المعانى الطريفة .. فإنه يستشهد
بها ، مقدماً لها بعنوان له مدلوله الرقيق (لطيفة) .

من هذا ما ذكره تحت هذا العنوان بعد الحديث عن أهل بدر وما خصّهم الله من مغفرة ورضوان قائلًا :

اقتبس الحديث المذكور بعض الأدباء فقال في محبوب يسمى بدرأ^(١) :

يابدر أهلك جاروا
وعلموك التجاري
وبحوا لك وصلبي
فليفعلوا مَا أرادوا
فإنهم أهل بدر

تاسعاً : استطراداته :

الاستطراد : عبارة عن إضافة معلومات إلى الموضوع الأساسي مما له علاقة به ، لأدنى ملابسة ، وقد حرص العلماء القدامى على هذا النوع من الإضافات في مؤلفاتهم ، حتى إنها كانت من حسنات التأليف وفضائله .

فليس عجباً أن يأخذ الشارح رحمة الله تعالى بهذا المبدأ جرياً على عادة المؤلفين السابقين ، فيمتلئ كتابه بالاستطرادات الكثيرة ، والإضافات المفيدة ، فيطيب له إذا وردت مناسبة لذكر فائدة ، أو إضافة معلومة ذات علاقة بالموضوع أن يتحدث عنها .

ومن الاستطرادات المهمة ما جاء في (ج ٢ / ص ١٦٠) بعد الانتهاء من عرض أحداث أمراء جيش مؤتة رضي الله عنهم إسهابه في التعريف بكل واحد منهم : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة بدءاً من (ص ١٦٤ - ١٨٠) ، حتى وقد بدأ التعريف بهم بقوله رحمة الله تعالى :

(وحيث حدا بنا المقام إلى هؤلاء الأمراء الثلاثة.. فلا بأس أن نلم بشيء من التعريف بهم ، تيمناً بذكراهم ، وإن كانوا في غنية عن التعريف ؛ لشرفهم العظيم بالانتساب الحقيقي إلى الجناب النبوية رضوان الله عليهم ، لكننا في شديد الحاجة إلى معرفة حياتهم في ذلك العصر النبوي ؛ لنقتفي آثارهم ، ونتيمن بآثارهم ، وننظر النواصي بأريح شذاهم ...) (ج ٦٢ ص ١٦٤) .

(١) (ج ١ / ص ٧٨).

وبعد أن أطرب في ترجمة زيد بن حارثة رضي الله عنه .. ساقه الحديث إلى ذكر الأربعة الذين توالدوا صحبة (ج ٢/ ص ١٦٩) .

وبعد أن عددهم .. ساقه الحديث إلى الكلام عن موالى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقدم لذكراهم بمقدمة مدخلاً لإيجاد المناسبة لذكراهم قائلاً :

(وب المناسبة ذكر سيدنا زيد لا بأس بإتمام مواليه صلى الله عليه وسلم تتميماً للفائدة) (ج ٢/ ص ١٦٩) .

ومن الاستطرادات المهمة التي أشبع بها الكتاب ذكره حدود الحرم ، وتاريخ ترسيم الحدود ، لدى عرض أحداث غزوة الفتح ، وفتح النبي صلى الله عليه وسلم لمكة المكرمة ، وغفوه عن أهلها ، وتحريمه لها ، فذكر تحت عنوان (تاريخ أنصاب الحرم) (ج ٢/ ص ١٩٧) اقتباسات مهمة عن مؤرخ مكة المكرمة أبي الوليد الأزرقي ، فذكر أول من نصب أنصاب الحرم ، وتتابع بعد هذا الحديث عن من جدها حتى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ج ٢/ ص ١٩٧) .

وفي مناسبة أخرى لدى الحديث عن إسلام عبد الله بن أمية القرشيي المخزومي ، وكان هو وأبو سفيان بن الحارث شديدي الإيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، وبعد الهجرة ، وما كان من إعراض النبي صلى الله عليه وسلم عنه تأدباً ، ثم شفاعة أخيه أم سلمة رضي الله عنها فيه ، ثم عفو النبي صلى الله عليه وسلم عنهما ، يقول الشارح تعليقاً (ج ٢/ ص ١٩٢) .

ولكن احتضنهم السعادة ، جعلنا الله ممّن سبقت له العناية ، وكتب له السعادة :

رب شخص تقوده الأقدار للمعالي وما لذاك اختيار غافلاً والسعادة احتضنته وهو منها مستوحش نفار والشارح رحمة الله تعالى يحفظ الكثير من الشعر العذب الرقيق ، ويستشهد به

وقد أبدع بعض الشعراء معنىًّا بديعياً من قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرحباً اليهودي مستخدماً الجناس التام في البيتين التاليين ، هامش (٢) (ج / ٢ ص ١٤٩) يقول الشارح رحمة الله :

وأشار لذلك بعضهم وأجاد بقوله :

و شادن أبصـرتـه مـقـبـلاً فـقـلتـ منـ وـجـديـ بـهـ مـرـحـبـاـ
قـدـ فـؤـادـيـ فـيـ الـهـوـيـ قـدـةـ قـدـ عـلـيـ فـيـ الـوـغـىـ مـرـجـاـ
إـلـىـ غـيـرـ ذـلـكـ مـنـ الـاسـتـشـهـادـاتـ الـعـدـيـدـةـ لـلـمـعـانـيـ الرـفـيـعـةـ ،ـ وـالـخـيـالـ الـبـدـيـعـ .ـ

عاشرأً : العرض الإجمالي لأهم الأحداث من عام ولادته صلى الله عليه وسلم إلى عام وفاته :

ختم الشارح رحمة الله تعالى هذا الكتاب بما اعتاده بعض المؤلفين في السيرة النبوية الشريفة بعرض بعض الأحداث والتشريعات المهمة ، التي وقعت من عام ولادته الشريفة صلى الله عليه وسلم الذي شرف الله به العالمين إلى عام وفاته صلى الله عليه وسلم .

ويلاحظ في هذا العرض أمور :

أولاًً : أنه لم يكن متسللاً سنة بعد سنة ترتيباً متتابعاً ، بل حسب وقوع الأحداث ، السابق فال التالي ، وإن تباعد ما بينهما ؛ ولعله لم يوجد بينهما من الأحداث المهمة ما يوجب رصده ، والاهتمام به .

بدا هذا واضحاً منذ بداية العرض الموجز لقائمة الأحداث المهمة ، حيث انتقل الشارح رحمة الله تعالى من سنة ولادته صلى الله عليه وسلم إلى السنة الرابعة مباشرة ، ومنها إلى السادسة ، وقد تسلسل الأحداث زمنياً إذا حدث ما يستدعي ذكره من الأحداث .

ثانياً : لم يكمل الشارح رحمة الله تعالى عرض الأحداث حسب تاريخ ولادته صلى الله عليه وسلم حتى الأمد الذي حده وهو وفاته صلى الله عليه وسلم ؛ فقد استمرَّ يؤرخ حسب الولادة الشريفة ، ثم توقف أن يؤرخ بها بعدبعثة النبوة ، وتتابع رصده التاريخي حسب البعثة النبوية بعد بلوغه صلى الله عليه وسلم الأربعين من عمره الشريف ، وأول حديث دونه هو :

(وفي السنة الثالثة من النبوة : توفي ورقة بن نوفل) .

واستمرَّ التاريخ للأحداث حسب البعثة حتى السنة الرابعة عشرة من النبوة ، ثم توقف في التاريخ بها في السنة الأولى للهجرة .

ثالثاً : استأنف بعد ذلك التاريخ للأحداث حسب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، وبالتفاوت في الرصد التاريخي للأحداث يحقق الشارح رحمة الله تعالى أمرين مهمين :

الأول : الرصد التاريخي حسب الحدث الأهم حتى يأتي ما هو أهم منه ، فيكون له الأُولىية .

الثاني : إبقاء الحدث الأهم حياً في الذاكرة على مدار الفترة الزمنية التي يؤرخ لها .

حادي عشر : النقد العلمي المنهذب :

استدرك الشارح رحمة الله تعالى على الناظم نقاطاً علمية عديدة ، بأسلوب علمي موضوعي منهذب ، من ذلك :

ذكر الناظم أنَّ أبا ذرَّ الغفاري رضي الله عنه استشهد على يد العصابة من بنى غطفان الذين نهبو لقاح النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك قوله : وأقبلت امرأة الغفاري قتيل نهب إيل المختار فاستدرك عليه الشارح رحمة الله بالعبارة التالية :

(وفي كلامه نظر ؛ فإنَّه إذا كان الغفاري أباً ذرَّ فكيف يصفه بأنَّه مقتول للذين أغروا على اللقاح ، فإنَّ المعروف عند أهل السير أنَّ المقتول هو ابن أبي ذرَّ الغفاري واسمه : (ذرَّ) ، ولم يقل أحد : إنَّ المقتول أبو ذرَّ) (ج ٢ / ص ٦٤) .

وفي مناسبة أخرى عندما قدم الناظم رحمة الله الحديث : موت رفاعة بن زيد كهف المنافقين (ج ٢ / ص ٨٣) على حادثة الواردة ، (وذلك لأنَّ أجيراً لعمر بن الخطاب من بنى غفار يقال له : جهجاه بن مسعود جاء يقود فرسه في موضع الزحام على الماء فازدح مع سنان بن وبرة الجهنمي فاقتلا) (ج ٢ / ص ٨٤) .

يقول الشارح تعليقاً على تقديم الناظم ما حقه التأثير ترتيباً :

(ولو أخر هذه الحادثة عن حادثة الواردة .. لكان أولى كما صنعه صاحب الأصل الحافظ اليعمرى في « سيرته » ، وكذا غيره) (ج ٢ / ص ٨٣) .

بمثيل هذه العبارة المختصرة المذهبية يعبر الشارح عن نقه واعتراضاته : (وفي كلامه نظر) ، و (لكان أولى) مما ينم عن خلق إسلامي رفيع ، هو من خصائص العلماء ، وأهل الإيمان .

ويأخذ النقد عنده أحياناً صورة أخرى وهو اقتراح عبارات للنظم غير ما عبر به الناظم ، من هذا قول الناظم :

خَنْدَقَ خَيْرٌ مَرْسَلٌ بِأَمْرِ سَلْمَانَ وَالْحَرَبُوْبُ ذَاتِ مَكْرٍ
يقول الشارح رحمة الله تعالى : (قلت : ولو أنَّ الناظم قال :

خندق خير مرسل وقد أشار سلمان بالخندق نعم المستشار .. لكان أليق بالأدب في حق الجناب النبوى) (ج ١ / ص ٢٦٩) .

ويعتذر للناظم أحياناً ، ومن الأمثلة على هذا : أنَّ الناظم رحمة الله تعالى قدم مقالة سيدنا سعد بن معاذ في غزوة بدر على مقالة المقداد في تجاوبهم لنداء النبي صلى الله عليه وسلم ، وطلب المشورة عليه ، في حين أنَّ المقداد رضي الله عنه قد

سبقه بمقالته المشهورة ، ويعتذر الشارح رحمة الله تعالى عن الناظم بضرورة الشعر
ويختتم هذا قائلاً : (والخطب سهل) (ج ١ / ص ٩٢) .

وبعد :

فكتاب « إنارة الدجى في مغازي خير الورى » شرح العلامة المحدث ، الفقيه
الأصولي ، فضيلة الشيخ حسن محمد المشاط المكي قبل هذا وبعده .. مرأة صافية
للروح الإسلامية الشفافة ، والحس الإيماني القوي ، ومشاعر الحب الصادقة
الدفينة ، التي يخفق بها قلب الشارح رحمة الله تعالى حباً لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وأل بيته و أصحابه الأطهار ، رضوان الله عليهم ، وسلف الأمة الصالحين ؟ فقد
كان حديثه عن السيرة النبوية حديثاً يفيض إيماناً ، يستجمع له مشاعره وإحساساته ؛
إجلالاً وإعظاماً وخشوعاً ، حديث المتأثر المتفاعل بما يقول ، يحسه سامعه ،
ويدركه على قسمات وجهه مغروق العينين ، وقد أخضلت الدموع لحيته ، فيسري
تيار من التأثر والخشوع بين الحاضرين .

ولست بمحчин ، أو معدد خصائص هذا الكتاب وميزاته ؟ فإنَّ القارئ البصير ،
الصافي الفكر ، سيقف على الكثير مما لم ت تعرض له هذه الدراسة الموجزة ؟ إذ
استهدفت الإشارة إلى عرض إجمالي ، محدد لخصائص هذا الشرح ، ولم تكن
تستهدف الحصر والاستقصاء .

والله أسأل - وهو خير مسؤول - أن يجزي فضيلة الشيخ حسن بن محمد مشاط
شارح هذه المنظومة خير الجزاء ؟ على ما بذله في سبيل إعلاء كلمة الدين ، ونشر
العلوم الشرعية ؟ ابتغاء وجه الله ، والفوز بالرضا والقبول ، ونسأله أن يرحم
ولده البار الشيخ أحمد حسن مشاط ، الذي يسعى حثيثاً إلى نشر تراث والده ،
والتضحيه بكل ما يستطيعه في تعميم النفع به ، وأن يجعل من ذريته خلف خير ،
يقتدون آثار الآباء والأجداد ، يصلون الحاضر بالماضي ، علمًا وعملاً ، إنَّه سميع
قريب مجيب الدعاء ، لا يفوتي أن أشكر الآخرين الدكتور السيد قاسم بن محمد

الأهدل ، والدكتور صبغة الله نبي قطب الدين تلميذ المؤلف على ما قدماه من جهد في تصحیح الكتاب ، وأسأله لهما العون ، أن يخرجا هذا العمل الجليل إخراجاً محققاً محرراً ، حسب أصول التحقيق والبحث العلمي ، وصلي الله وسلم وبارك على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أبد الآبدين .

بقلم تلميذ المؤلف

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان

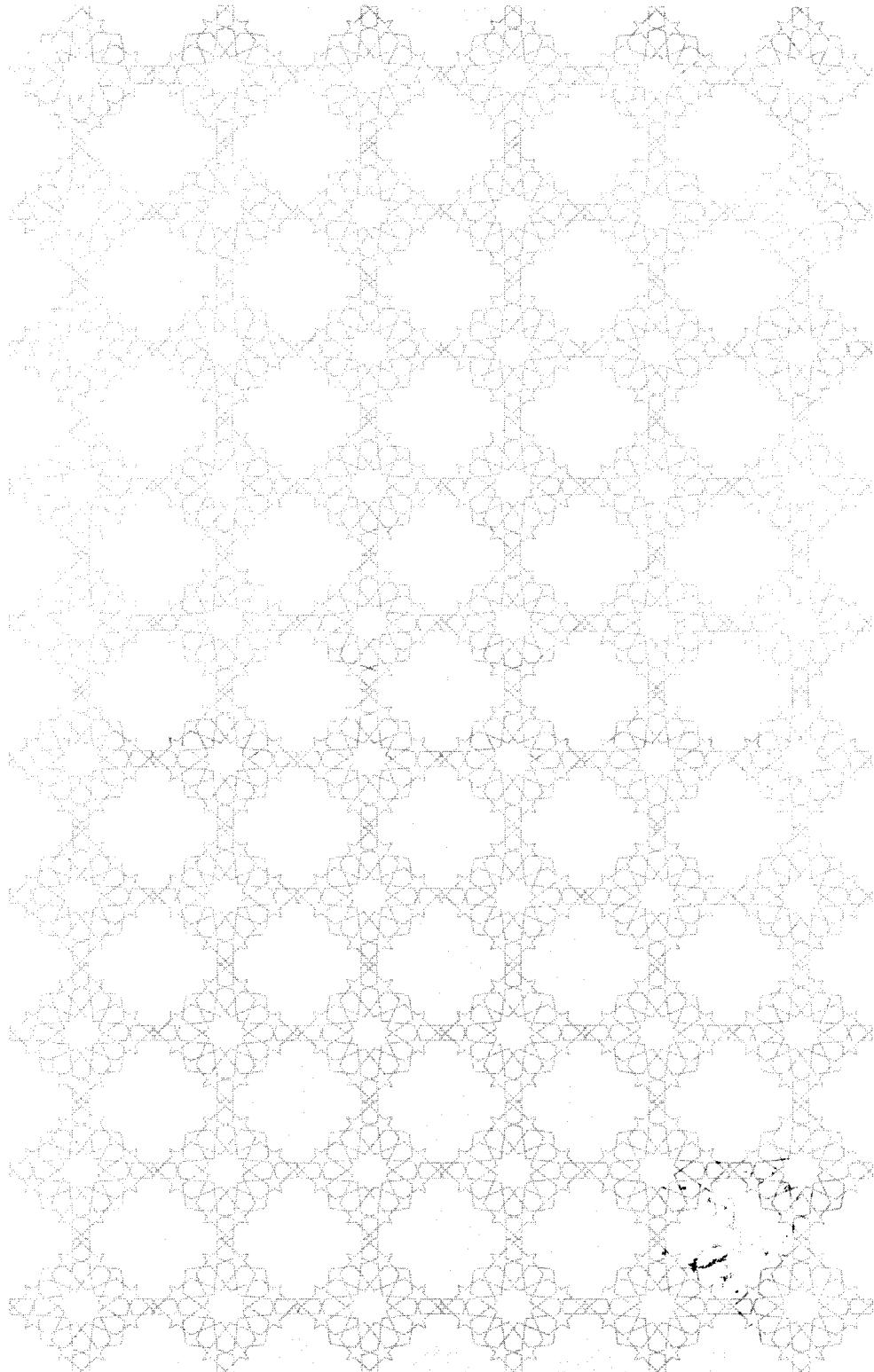
١٤١٣/٥/١٦

الموافق ١٩٩٢/١١/١٠

القسم الثاني

كتاب إنارة الدجى
في مغازي خير الورى صلى الله عليه وسلم





تعريف بصاحب النظم

ترجمة الناظم ترجم له الأستاذ أحمد بن الأمين العلوى الشنقيطي في كتابه «الوسيط في تراجم أدباء شنقط» طبعة الجمالية بالقاهرة ، سنة (١٣٢٩هـ) - (١٩١١م) فقال :

نظم عمود النسب (أحمد البدوى المجلسى ثم البوحدى) : هو العالم الكبير والنسابة الشهير ، وهو الذى أحيا أنساب العرب ، بنظمه «عمود النسب» وقد أجاد فيه ومن تأمل نظمه علم سعة اطلاعه واقتداره في ذلك الفن ، ونظم أيضاً غزوات النبي صلى الله عليه وسلم نظماً جيداً ، يدل على تبعثره في السيرة .

وقال : (إنَّه ليس من المتقدين ؟ وما أدرى في أي تاريخ كان) اهـ

وقال الشيخ غالى بن المختار : قال البساتى الشنقيطي في «وسيلة الخليل إلى بعوث صاحب الإكليل» : (البدوى رحمه الله تعالى : هو أحمد الإمام الشهير بن سيدى محمد بن أبي أحمد المجلسى) اهـ ولم يزد على ذلك .

أما «عمود النسب» فيزيد على ألف بيت ، وممَّا قاله في طالعته :

حمدًا لمن رفع صيت العرب
وخصَّهم بين الأئمَّةِ بالنَّبِيِّ
وعمَّهُم إنعامَه بنسبيَّةِ
فدخلوا بِيُمْنَهَا في زمرةِ

وَدَوَّخُوا بِسِيفِهِ غُلْبَ الْعِجمِ

إِذْ هُمْ بْنُو أَبِّ وَأُمِّ بِالْحَرَمِ

إِذْ الْخَيُولُ الْبُلْقُ فِي فَتْوَحِهِمْ

وَالرُّعْبُ وَالظُّفَرُ فِي مَسْوِهِمْ

هُمْ صَفَوْةُ الْأَنَامِ مِنْ أَحَبَّهُمْ

بِحُبِّهِ أَحَبَّهُمْ وَوَدَّهُمْ

كَذَّاكَ مِنْ أَبْغَضِهِمْ بِعَيْضِهِ

أَبْغَضَهُمْ تَبَّأْلَهُ مِنْ مُعْضِهِ

أَئِمَّةُ الدِّينِ عُمَادُ السَّنَّةِ

لَسَانُهُمْ لِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ

جَمَانُ سِلْكُ نَسَبِ النَّبِيِّ

نَاهِيُكُمْ مِنْ سِلْكِ وَمِنْ بَنِي

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَرْمَدًا

عَلَى أَجْلِ الْمَرْسِلِينَ مَحْتِدًا

وَبَعْدَ فَالْعِلُومَ مِنْ أَعْظَمِهَا

فَائِدَةً فَكَانَ مِنْ أَهْمَهَا

عِلْمُ عَمَودِ نَسَبِ الْمُخْتَارِ

ثُمَّ عَمَودِ نَسَبِ الْأَنْصَارِ

إِذْ مِنْهُمَا تَشَعَّبَ الإِيمَانُ

وَالنُّورُ وَالْحُكْمَةُ وَالْفُرْقَانُ

هَذَا وَوُجِدَتْ فِي ظَهَرِ نُسْخَةٍ خَطِّيَّةٍ عَتِيقَةٍ مِنْ «عَمَودِ

النَّسَبِ» كَتَبَتْ سَنَةً أَلْفَيْ وَمَئَتَيْنِ وَخَمْسِ وَمِائَتَيْنِ ، أَنَّ النَّاظِمَ

تَوَفَّى تَقْرِيْبًا فِي الْعَامِ الْعُشْرِينَ بَعْدَ الْأَلْفِيْ وَالْمَئَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ

النَّبُوَيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُ التَّسْلِيمِ ، فَرَحْمَهُ اللَّهُ ،

وَجَزَاهُ خَيْرًا عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

تاریخ وفاة الناظم

تصدير

الحمد لله الذي جعل العلوم منحاً إلهية ، وموهاب اختصاصية ، وجعل علم المغازي من بينها نبراساً يهتدي بمشكاته السائرون ، وسبيباً متيماً يتوصل به السالكون .

والصلوة والسلام على من أضاءت قبل وجوده إرهاصاته ، وأكرم بها من إرهاصات ، وأشرقت في أسرة طلعته آياته ، وأعظم بها من آيات ، النبي الأمي ، الذي أنار الله الدجى بطلعة أنواره ، فهو سيد الكائنات ، ومحا ببعثته معاالم الشرك ، ومحق بصارم سيفه هام أعدائه فهم في الدرّكات ، رسول الملاحم ، ونبي الرحمة ، الذي بوأه الله المنزلة العلية ، فهو صاحب المقام المحمود ، ومنحه موهاب الشرف في المقامات السنّية ، فهو الشاهد المشهود ، سيدنا محمد ، الذي ألبس الله من الحلل السنديمية ، حلة لا تُريم^(١) ، ورتبة لا تُرام ، فهو سيد الإنس والجن قبل وبعد ، بل سائر البرايا والأنام ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، فقد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاحد في سبيل الله ، وقام بنصح الأمة حقاً .. حتى أخذ بحُجزها^(٢) عن الوقوع في المهاوا ، وعلى آله وصحبه ، الذين

(١) لا تُريم : لا تُبرح ، يرید لا تزول ولا تبلی جدتها .

(٢) بضم الحاء وفتح الجيم ، بعدها زاي ، جمع حجزة ، وهي معقد الإزار ، روى الشیخان عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله صلی الله علیه وسلم قال : « إنَّمَا مثلي ومثل أُمّتي ، كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها ، فأنَا آخذ بحجزكم وأنتم =

هم أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، يتغون فضلاً من الله .

أما بعد :

فإنَّه لَمَّا كَانَ (علم المغازي) من العلوم الشرفية التي يتنافس فيها المتنافسون ، ويُشَمَّرُ عن ساعد الجد في تحصيلها العاملون ؛ إذ هو علم يحثُّ المرء على الاقتداء بخير الأئمَّة ، ويدعو إلى التخلُّق بحقائق أقواله وأفعاله الموصولة إلى دار السلام ، وإنَّه لعلم يُرِيك بصورة مكَبَّرة ذلك العهد النبوي الأئمَّي ، فتُسْتَشِقَّ رِيَاه ، ويعَبَّقَ لَكَ شَدَاه ، وتشرب من كأسه المختوم الرحيق ، وكان هذا من بعض ثمرات هذا الفن ، كما هو بديهي لدى كل خبير حاذق مفنن . عن لفهمي القاصر أن أنتسب لذلك الجناب الرفيع النبوي ، بخدمة « منظومة المغازي » للإمام العجليل أحمد بن محمد البدوي الشنقيطي ، وشرحها شرحاً يناسب طلبة العلم بديارنا المكَّية ، التي انبثقت منها فجر العلم ؛ ليوجّهوا إلى ذلك عنايتهم ، ويبثّوه درساً من المقررات ؛ فإنَّ من القبيح أن يجهل الإنسان أحوال ساداته ، فكيف بأحوال سيد السادات ؟ بل ينبغي أن تعطَّر النوادي بذكر أخباره عليه الصَّلاة والسلام ؛ فإنَّها لم تعمَّر مجالس الخير بعد كتاب الله تعالى بأحسن من أخبار من هو الرحمة المهدأة للأنام .

وقد اعتمدت في هذا الشرح على شرح العلَّامة الشيخ حمَّاد بن الأمين الشنقيطي ابن أخي الناظم على هذا النظم ،

أهمية علم المغازي

مصادر الشرح

تقحمون فيها » ، ورواه الترمذى في آخر أبواب الأمثال ، وقال : حديث حسن صحيح . اهـ

=

وهو شرح على طريقة المتقدمين غير مزج ، يذكر جملة من أبيات النظم ، ويتكلّم عليها على عادة علماء ذلك القطر في الإسهاب ، والولوج في كل فن وباب .

ثمَّ على سيرة أبي محمد عبد الملك بن هشام ، و«الروض الأنف» عليها ، للعلامة أبي القاسم عبد الرحمن السهيلي ، وعلى السيرة للحافظ الشمس أبي عبد الله محمد بن يوسف الشامي ، وغير ذلك مما تراه هنا معزّواً .

وإنّي أعتذر لأولي البصائر والألباب بكثره العوائق ، وقلة البضاعة ، وعدم توافر الأسباب ، فإن وقفوا في ذلك على خطأ.. أصلحوه ، أو على نقص بعد التأمل .. الحقوه ، فقلّما يسلّم الإنسان من الخطأ ، ولا بد أن تقصر به الخطى ، أسأل الله أن يمنّ على العبد الضعيف بإتمام هذا الشرح ، و يجعله من الأعمال الموجبة للغفران والصفح ، وأن يرزقني به النفع ، ويسكّو حلة القبول ، و يجعله من العمل الخالص الموصى للammadil .

وقد صدرت الشرح بمقدمات شريفة تناسب الموضوع ، فعسى الله أن يثبّتني على هذا العمل ، و يجعله من العمل المتقبّل المرفوع ؛ فإنّه عمدتي ، وبه ثقتي .



في مشروعية الجهاد

قال الحافظ شمس الدين ، محمد بن يوسف الشامي ، في « سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد » : لما أذن الله تعالى في الهجرة لرسوله صلى الله عليه وسلم ، واستقر بالمدية ، وأيده الله تعالى بنصره ، وبعباده المؤمنين ، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم ، فمنعه أنصار الله ، وكتيبة الإسلام : الأوس ، والخرج ، وبدلوا أنفسهم دونه ، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء ، وكان أولى بهم من أنفسهم .. عادتهم العرب ، واليهود ، ورمتهم عن قوس واحد ، وشمروا لهم عن ساق العداوة ، وصاحوا بهم من كل جانب .. حتى كان المسلمون لا يبيتون إلا في السلاح ، ولا يصبحون إلا فيه ، فقالوا : ترى نعيش حتى نيت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلَفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يُمْكِنْنَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي أَرْضَى لَهُمْ وَلَيُكَبِّدُنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونَ فَلَا يُشْرِكُونَ بِإِلَهٍ شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنَسِّقُونَ ﴾ .

وعندما اشتدَّ الأذى بهم .. أمر الله تبارك وتعالى بالصبر والغفو والصفح ، قال تعالى : ﴿ وَدَكَيْرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُرْدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا

تدرج مشروعية الجهاد

بداية مشروعية الجهاد

بَيْنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَسْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَوِيرٌ» **حَتَّىٰ إِذَا قَوَّيْتُ الشَّوْكَةَ لِلْمُسْلِمِينَ .. أَذْنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي**
القتال ، ولم يفرضه عليهم ، فقال تبارك وتعالى : **«أَذْنَ لِلَّذِينَ**
يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَلَمَّا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِ لَقَدِيرٌ .. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ
دِيْرِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعَ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
يَعْصِي لَهُدْمَتْ صَوْمَعْ وَبَعْ وَصَلَوَتْ وَمَسَجِدْ يُذْكَرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ
كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَ رَبَّ اللَّهِ مَنْ يَصْرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» .

فرض القتال لمن بدأهم به فرض الله عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم ، دون من لم يقاتلهم ، قال تعالى : **«وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ كُوْ**
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» .

فرض قتال المشركين كافراً فرض عليهم قتال المشركين كافة ؛ حتى يكون الدين كله الله ، قال عز وجل : **«وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا**
يُقْتَلُونَ كُمْ كَافَّةً» ، وقال تبارك وتعالى : **«كُتُبَ عَيْنَكُمْ**
الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهَ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكُرُهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» .

فكان محراًماً ، ثم صار مأذوناً فيه ، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين ، إما فرض عين ، أو فرض كفاية .

ثم كان الكفار معه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ثلاثة

أقسام :

أقسام الكفار وتحديد علاقتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة

قسم صالحهم ، ووادعهم على ألا يحاربوه ، ولا يظاهروا عليه عدوه ، وهم - على كفرهم - آمنون على دمائهم ، وأموالهم ، وهم طوائف اليهود الثلاثة : بنو قريظة ،

وَبَنُو النَّضِيرٍ ، وَبَنُو قَيْنُقَاعٍ .

وَقَسْمٌ حَارِبُوهُ ، وَنَصْبُوا لَهُ الْعِدَاوَةُ ، وَهُمْ قَرِيشٌ .

وَقَسْمٌ تَارِكُوهُ ، فَلَمْ يَصَالِحُوهُ ، وَلَمْ يَحْارِبُوهُ ، بَلْ انتَظَرُوا
مَا يُؤْوِلُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَأَمْرُ أَعْدَائِهِ .

ثُمَّ مِنْ هُؤُلَاءِ مَنْ كَانَ يَحْبُّ ظَهُورَهُ وَانتِصَارَهُ فِي الْبَاطِنِ
كُخْرَاعَةٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَخَلَ مَعَهُ فِي الظَّاهِرِ وَهُوَ مَعَ عَدُوِّهِ فِي
الْبَاطِنِ ؛ لِيَأْمُنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَهُؤُلَاءِ هُمُ الْمُنَافِقُونِ .

فَعَالِمٌ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ طَائِفَةٍ مِّنْ هَذِهِ الطَّوَافِ بِمَا
أَمْرَهُ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَصَالِحٌ يَهُودَ الْمَدِينَةِ ، وَكَتَبَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا أَمْنًا ، وَكَانُوا ثَلَاثَ طَوَافَاتٍ حَوْلَ الْمَدِينَةِ :
بَنِي قَيْنُقَاعٍ ، وَبَنِي النَّضِيرٍ ، وَبَنِي قُرْيَظَةَ ، فَنَقْضُ الْجَمِيعِ
الْعَهْدِ ، فَكَانَ مِنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِمُ الْوُخْيَمَةُ مَا سِيَّأَتِيَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى فِي مَوْضِعِهِ .

وَأَمْرَهُ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَقُومَ لِأَهْلِ الْعَدْدِ وَالصَّلْحِ
بِعَهْدِهِمْ ، وَأَنْ يُؤْفَّ لَهُمْ بِمَا اسْتَقَامُوا عَلَى الْعَهْدِ ، فَإِنْ خَافَ
مِنْهُمْ خِيَانَةً .. نَبْذُ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ ، وَلَمْ يَقْاتِلُهُمْ .. حَتَّى يُعْلَمُوْهُمْ
بِنَبْذِ الْعَهْدِ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَقْاتِلَ مَنْ نَقْضَ الْعَهْدِ .

وَلَمَّا نَزَّلَتْ (سُورَةُ بَرَاءَةٍ) .. نَزَّلَتْ بِبَيْانِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ
كُلَّهَا ، فَأَمْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقْاتِلَ عَدُوَّهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .. حَتَّى
يُعْطُوْهُمُ الْجِزِيَّةَ ، أَوْ يَدْخُلُوهُمْ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَأَمْرَهُ بِجَهَادِ
الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينِ ، وَالْغُلْظَةَ عَلَيْهِمْ ، فَجَاهَدَ الْكُفَّارَ بِالسِّيفِ
وَالسَّنَانِ ، وَالْمُنَافِقِينَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ ، وَأَمْرَهُ فِيهَا بِالْبَرَاءَةِ مِنْ
عَهْدِ الْكُفَّارِ ، وَنَبْذِ عَهْدِهِمْ .

تَعَالَمَهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَعَ الطَّوَافِ
الْمُخْتَلِفَةِ

قسمًا أمره بقتالهم ، وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له ، فحاربهم ، وظهر عليهم .

وقسمًا لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ، ولم يظاهروا عليه ، فأمره أن يُتم لهم عهدهم إلى مدتھم .

وقسمًا لم يكن لهم عهد ، ولم يحاربوه ، نعم ؛ لهم عهد مطلق ، فأمره أن يوجّلهم أربعة أشهر ، فإذا اسلخت .. قاتلهم ، وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿فَسِيَحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ وهي الحرم المذكورة في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا أَنْسَأْنَا الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ فالحرم هنا هي أشهر التسier ، أولها يوم الأذان ، وهو العاشر من ذي الحجة ، وهو يوم الحج الأكبر ، الذي وقع فيه التأذين بذلك ، وآخرها العاشر من ربيع الأول .

وليس هي الأربعة المذكورة في قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الْشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ حُرُمٌ﴾ فإن تلك واحد فرد ، وثلاثة سردد : رجب ، وذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، ولم يُسِير المشركين هذه الأربعة ، فإن هذا لا يمكن ؛ لأنّها غير متواتية ، وإنّما أجّلهم أربعة أشهر ، ثمّ أمر بعد اسلاخها أن يقاتلهم ، فقاتل الناقض لعهده ، وأجّل من لا عهد له - أو له عهد مطلق - أربعة أشهر ، وأمره أن يتم للموفي بعهده عهده إلى مدتھ .

واعلم : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَرَعَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بَعْدَ الْهِجْرَةَ جَهَادَ أَعْدَائِهِ فِي الْوَقْتِ الْأَلِيقِ بِهِ ؛ لَا إِنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا
بِمَكَّةِ .. كَانُوا الْمُشْرِكُونَ أَكْثَرُ عَدْدًا ، فَلَوْ أَمْرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ
- وَهُمْ قَلِيلٌ - بِقَتَالِ الْبَاقِينَ .. لَشَقَ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا بَغَى
الْمُشْرِكُونَ ، وَأَخْرَجُوهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ ،
وَهُمُّوا بِقَتْلِهِ ، وَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ ، وَاجْتَمَعَ
عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَقَامُوا بِنَصْرِهِ ، وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ دَارُ إِسْلَامٍ ،
وَمَعْقَلًا يَلْجَؤُونَ إِلَيْهِ .. شَرَعَ اللَّهُ جَهَادَ أَعْدَائِهِ ، فَبَعَثَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْبَعُوثُ وَالسَّرَايَا ، وَغَزَا وَقَاتَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهِ ..
حَتَّى دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَلَلَّهُ الْحَمْدُ وَالْمَنَّةُ ..

*** *** ***

في المغازي وفضل علمها وتعلّمها

الغَزَّةُ : المرة الواحدة من الغزو ، والجمع غَزَّوْاتٍ ،
مثُلُّ : شهوة ، وشهوات ، والمغزاة كذلك ، والجمع
المغازي ، والفاعل غاز ، يقال : غزوت العدوَّ غزوًا ، ويعدَّى
باليهمزة ، فيقال : أغزيته ، إذا بعثته يغزو ، وإنَّما يكون غَزَّوْ
العدو في بلاده ، كذا في « المصباح » .

المراد من المغازي

قلت : والمراد هنا بالمغازي ما كان عن قصد منه عليه
الصلة والسلام للكفار بنفسه الشريفة ، أعم من أن يكون إلى
بلادهم ، أو إلى الأماكن التي حلُّوها ونزلوها ؟ حتى يشمل
مثل أُحد ، والخندق .

الآثار في فضل فن
المغازي

وقد جاء في فضل هذا الفن أخبار وآثار كثيرة :
منها : ما روي عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب
الزُّهْري قال : (في علم المغازي خير الدنيا والآخرة) .

وعن سيد أهل زمانه زين العابدين سيدنا علي بن الحسين
رضي الله عنهما قال : (كَنَّا نُعْلَمُ مغازي رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما نعْلَمُ السور من القرآن) .

وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزُّهْري :
(كان أبي يعلّمنا المغازي والسرايا ، ويعدُّها علينا ، ويقول :
يا بني ؟ هذه شرف آبائكم ، فلا تضيعوا ذكرها) روى ذلك كله
الخطيب البغدادي في « الجامع » ، وابن عساكر في
« تاريخه » ، كما ذكره الشامي .

قلت : انظر إلى ما كان لأسلافنا الأماجد من المجد الباذخ ، والمدنية الإسلامية الحقة ، وانظر إلى عنایتهم في وصايتهم لأبنائهم بالحرص على علم المغازى ، والمحافظة عليه ؟ فإنَّ في ذلك أعظم منه يحرك في نفوسهم باعث الجد ، والنشاط ، والجهاد في سبيل الله ، فيزدادون في ذلك حباً ، وله تعظيمًا ، فينشأون وقد تربَّت فيهم ملكرة التقديس لدينهم ، والغيرة عليه ، والذود عنه ، والحرص على إعلاء كلمة الله ، الكفيل لهم بسعادة الآخرة والأولى ؛ وفي ذلك مجده لا يسامي ، وعزه لا تضارع ، وبذلك يعرفون عن بيته حقيقة الإسلام ، ومبادئه ، وتعاليمه ، وفضائله ، وما فيه من حضارة تفوق كل حضارة ، ويعرف أولئك المفتونون الذين يولون وجهتهم إلى الغربيين أنَّهم مخدوعون بالعناوين الظاهرة ، والبروق الخلابة ؛ لأنَّهم لم يطلعوا على الحقائق الإسلامية فيتخلقوا بها .

وإنَّ في النظر إلى ما لأسلافنا الكرام القادة في الحرب والسلم من المقدرة الفائقة ، والبطولة النادرة ، والتضحية بالهج العالية في سبيل العقيدة الحقة ، والمبادئ الفاضلة .. ما يملأ القلوب إيماناً بفضلهم ، وإعجاباً بصنعهم ، وإكباراً لجلال أعمالهم ، وحرصاً على التأسي بهم .

وفق الله تعالى الأمة للنظر فيما لسلفها الصالح ؛ حتى تُفْقِي من غفلتها ، وتنهض من كبوتها ، وتتذكرة بذلك ما كان لها من عظمة ، ومجده ، فتعمل لاسترجاعه ، وتتبؤا المكان اللائق بها ، آمين .

في أشهرَ مَنْ أَلْفَ في المغازي

المؤلفون الأوائل في

علم المغازي

الشمس الشامي

اعلم : أنَّ أَسْلَافَنَا الْأَمَاجِدَ - جَزَاهُمُ اللَّهُ وَأَثَابُهُمْ عَلَى
صَنْيَعِهِمْ - قدْ أَلْفُوا فِي هَذَا الْفَنِ كِتَابًا لَا تُحْصِى ، فِي ذَكْرِ لَنَا
الْعَلَمَةِ الشَّمْسِ الشَّامِيِّ فِي سِيرَتِهِ كَغَيْرِهِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَلْفَ فِي
الْمَغَازِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَرْوَةَ بْنَ الرَّبِّيرِ بْنِ الْعَوَامِ أَحَدُ الْفَقَهَاءِ
السَّبْعَةِ ، وَأَئِمَّةِ التَّابَعِينَ بِالْمَدِينَةِ ، الْمَتَوْفِيِّ بِهَا سَنَةَ (٩٣هـ) .

موسى بن عقبة

ثُمَّ تَلَاهُ تَلَمِيذُهُ أَبُو مُحَمَّدِ مُوسَى بْنِ عَقْبَةِ بْنِ أَبِي عِيَاشِ ،
الْمَتَوْفِيِّ بِالْمَدِينَةِ ، سَنَةَ (١٤١هـ) ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ ، الْمَتَوْفِيِّ سَنَةَ (١٢٤هـ) .

قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله : (مغازي
موسى بن عقبة أصح المغازي ، وأجمعها) .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : (ليس في المغازي أصح
من كتابه ، مع صغره ، وخلوّه من أكثر ما يذكر في كتب
غيره) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : (عليكم بِمَغَازِي
موسى بن عقبة ؛ فإنَّه ثقة) .

وأشهرها مغازي أبي بكر محمد بن إسحاق بن يسار
المطibli مولاه المدنى ، المتوفى سنة (١٥١هـ) ببغداد ، وقد
اختلت كلمة القوم فيه ، فمنهم من تكلّم فيه ، ومنهم من
محمد بن إسحاق

أثنى ، والمعتمد : أَنَّه صدوق يدلُّس ، وإذا صرَّح بالتحديث .. فهو حسن الحديث .

قال الإمام الشافعي : (من أراد أن يتبحَّر في المغازي .. فهو عِيال على ابن إسحاق) .

وقد اعتمد عليه في هذا الباب أئمَّة لا يحصُون ، وروها عن جمَع ، ويقع عند بعضهم ما ليس عند بعض .

وقد اعتمد أبو محمد عبد الملك بن هشام المعاوري ، الحميري البصري ، المتوفى بمصر سنة (٢١٣ هـ) رحمه الله تعالى ، على رواية أبي محمد زياد بن عبد الله بن الطُّفيلي العامري البَكَائي - بفتح المُوَحَّدة ، وتشديد الكاف - المتوفى سنة (١٨٣ هـ) ، وهو صدوق ، ثَبَّت في المغازي ، وفي حديثه عن غير ابن إسحاق لين ، فروها ابن هشام عنه ، وهذبها ، ونقَّحها ، وزاد فيها زيادات كثيرة ، واعترض أشياء سُلِّمَ له كثير منها ، بحيث نسبت السيرة إليه ، فقيل : « سيرة ابن هشام » ^(١) .

وممَّن أَلَّفَ فيها من العلماء المتأخِّرين ، الحافظ أبو الريبع سليمان بن موسى بن سالم الكَلَاعي - بفتح الكاف -

أبو الريبع الكلاعي

(١) قال شيخنا في « الرسالة المستطرفة » : (ولأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي صاحب التصانيف ، المتوفى بمراكنش سنة (٥٨١ هـ) كتاب « الروض الأنف » في شرح غريب ألفاظها ، وإعراب غامضها ، وكشف مستغلقها ، استخرج من نيف ومئة وعشرين مصنفاً ، فأجاد فيه ، وأفاد) اهـ ، وقد طبع بمصر على نفقة سلطان المغرب الأقصى المولى عبد الحفيظ رحمه الله مع « السيرة الهشامية » .
يقوم الآن بتحقيقها وإخراجها إخراجاً علمياً حديثاً ، الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا ، أستاذ اللغة العربية بالدراسات العليا للغة العربية بجامعة أم القرى .



الحميري ، المتوفى شهيداً سنة (٦٣٤هـ) ، وسماها : « الاكتفا في المغازي وسيرة ثلاثة الخلفاً » ، وشرحها الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام البناي ، الفاسي ، المتوفى سنة (١١٦٣هـ) شرحاً نفيساً .

أبو الفتح اليعمري و منهم الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد اليعمرى الأندلسى ، الشهير بابن سيد الناس ، المتوفى بمصر سنة (٧٣٤هـ) فجأة ، سماها : « عيون الأثر في فنون المغازى والشمائل والسير » ، و اختصر منها : « نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون » ، و عليه تعليق للحافظ برهان الدين الحلبي ، سماه : « نور النبراس » .

ابن قيم الجوزية و منهم الحافظ العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، المتوفى بدمشق سنة (٧٥١هـ) و سماها : « زاد المعاد ، في هدي خير العباد » حَقَّ فيها وأجاد .

زين الدين العراقي و منهم الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، المتوفى بمصر سنة (٨٠٦هـ) نظم ألفية حافلة في البعوث ، والمغازى ، والسير ، والشمائل ، وشرحها المناوى شر حين : كبيراً ، وصغيراً ، وكذلك شرحها العلامة نور الدين علي بن زين العابدين محمد بن عبد الرحمن بن علي ، الشهير بالأجهوري ، المتوفى بمصر سنة (١٠٦٦هـ) في مجلد كبير .

الشهاب القسطلاني و منهم الشهاب القسطلاني^(١) المتوفى بمصر سنة (٩٢٣هـ)

(١) ضبطه بعض الفضلاء بضم القاف والطاء المهملة مشدد اللام ، وقال : نسبة إلى قسطلة ، بضمها وشد اللام أيضاً بلدة بال المغرب . اهـ ، لكن رأيت في ثبت العلامة البديري الديماطي =

سماه : « المواهب اللدنية بالمنج المحمدية » ، وهو سفر جامع ، خدمه الناس بالقراءة والشرح والاختصار ، وكتب عليه فخر المالكية الشيخ محمد الزرقاني ، المتوفى سنة (١١٢٢هـ) شرحاً لا يوجد الزمان بمثله ، ذكر فيه أن نصف الكتاب ، يعني المواهب مأخوذ من « فتح الباري » للحافظ ابن حجر عزو ، وبغير عزو .

ومنهم الحافظ عماد الدين يحيى بن أبي بكر بن محمد العامری ، المتوفى سنة ٨٩٣هـ باليمن سماها : « بهجة المحافل وبغية الأمثال » لخُص فيها المعجزات والمغازي والبعوث والشمائل ، وشرحها العلامة جمال الدين محمد بن أبي بكر الأشخر اليماني ، المتوفى سنة (٩٩١هـ) .

ومنهم العلامة الحافظ محمد بن يوسف بن علي شمس الدين الشامي الدمشقي الحنفي ، المتوفى بمصر سنة (٩٤٢هـ) سماها : « سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد » ، وهي أجمع السير ، وأوسعها مادة ، حتى إنَّه يقول في طالعة هذا الكتاب :

(اقتضبه من أكثر من ثلاثة مئة كتاب ، وتحرَّيت فيه الصواب ، ذكرت فيه قطرات من بحار فضائل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنَّ ما في الكتاب من الأبواب نحو ألفي باب) .

ويذكر لنا العلامة المؤرخ عبد الحي بن أحمد بن محمد بن

عماد الدين العامری

محمد بن يوسف الشامي

المسنن « الجواهر الغولي في الأسانيد العوالى » : أنَّ شيخه النور الشبراملي ضبطه بفتح القاف ، وقال : إنَّه نقل هذا الضبط من القسطلاني نفسه . والله أعلم . انتهى من « المنهل العذب لكل وارد في بيان فضل عمارة المساجد » للشيخ حسن سبط إبراهيم سقا ، قلت : وضبطه الزرقاني في « شرح المواهب » عند ترجمة القطب القسطلاني : أنَّه بضم القاف ، منسوب إلى قسطلية من أعمال إفريقية بالمغرب ، عن القطب الحلبي ، وبعضهم ضبطه بفتح القاف وشد اللام . اهـ منه

العماد ، المتوفى بمكة سنة (١٠٨٩هـ) في « شذراته » : (أنه جمعها من ألف كتاب ، وأقبل الناس على كتابتها ، ومشى فيها على أنموذج لم يسبق إليه ، وختم كل باب بإيضاح ما أشكل فيه مع بيان غرائب الألفاظ ، وضبط المشكل ، والجمع بين الأحاديث التي قد يظن أنها من المتناقضات ، فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء)^(١) .

ومنهم العلامة علي بن إبراهيم الحلبي نور الدين بن برهان الدين الشافعي ، المتوفى بمصر سنة (١٠٤٤) سماها : « إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون » وتعرف بـ « السيرة الحلبية » ، لخَصَ فيها « سيرة اليعمرى » ، و « سيرة الشامي » على أنموذج لطيف ، واصطلاح له فيها شريف .

ابن المناصف القرطبي قال شيخنا أبو الإقبال سيدى محمد عبد الحي الكتانى في « التراتيب الإدارية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية » : (ومن أعجب ما ألف في الإسلام « الدرة السنّية في المعالم السنّية » للقاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصيغ الأزدي ، المعروف بابن المناصف القرطبي ، المتوفى سنة (٦٢٠هـ) بمراكش ، وهو نظم عجيب نحو سبعة آلاف بيت من الرجز ، منه :

وإنَّ أَوَّلَى مَا تَحْلِيَ الْمُسْلِمُ
بَعْدَ كِتَابِ اللهِ أَوْ يُقَدِّمُ
عِلْمٌ بِأَيَّامِ رَسُولِ اللهِ
مِنْ لَدْنِ النَّشْءِ إِلَى التَّنَاهِي

(١) طبع منها ثمانية أجزاء .

وَحْفَظْ مَا يَحْقُّ أَلَّا يَجْهَلَ
مِنْ أَمْرِهِ وَحَالِهِ مُفَصَّلًا

فَلَنْقِتِصْ مِنْ ذَاكَ مَا لَا يَسْعُ
فِي الْحَقِّ أَنْ يَجْهَلَ ذَاكَ الْأَوْرَعُ

وَمَا يَكُونُ شَرَفَ الْمَجَالِسِ
جَلَّا الْعُلَا لِلْحَافِظِ الْمُدَارِسِ

تَعْلُو بِهِ الرُّتْبَةُ عَنْ يَقِينٍ
فِي شَرْفِ الدُّنْيَا وَحُكْمِ الدِّينِ)

قلت : ومنظومتنا هذه هي فصل الخطاب ، والآية في الإعجاب ، لا تدع شاذة ولا فاذة من عيون المغازي إلاً أنت عليها بأبدع أسلوب وأسلس تعبير ، فهـي الفريدة في بابها ، الممتعة لطلـابها ، وها هي ذـي بين أيدينا ترفلـ في أثواب حـسنها ، مـدبـجة بكلـام الحفـاظ والمـهـرة ، من نـقدـةـ أـهـلـ هـذـاـ الشـأنـ ، فـلـيـحـكـمـ لهاـ أوـ عـلـيـهاـ .

ثـمـ اـعـلـمـ : أـنـ أـهـلـ السـيـرـ لـاـ يـتـقـيـدـونـ بـالـصـحـيـحـ مـنـ
الـأـخـبـارـ ، بـلـ يـذـكـرـونـ الصـحـيـحـ وـالـسـقـيمـ ، وـالـبـلـاغـ وـالـمـرـسـلـ ،
وـالـمـنـقـطـعـ دـوـنـ الـمـوـضـوـعـ ، وـمـنـ أـجـلـ ذـلـكـ قـالـ العـلـامـ الـعـرـاقـيـ
فـيـ «ـأـلـفـيـسـهـ»ـ فـيـ الـمـغـازـيـ وـالـسـيـرـ :

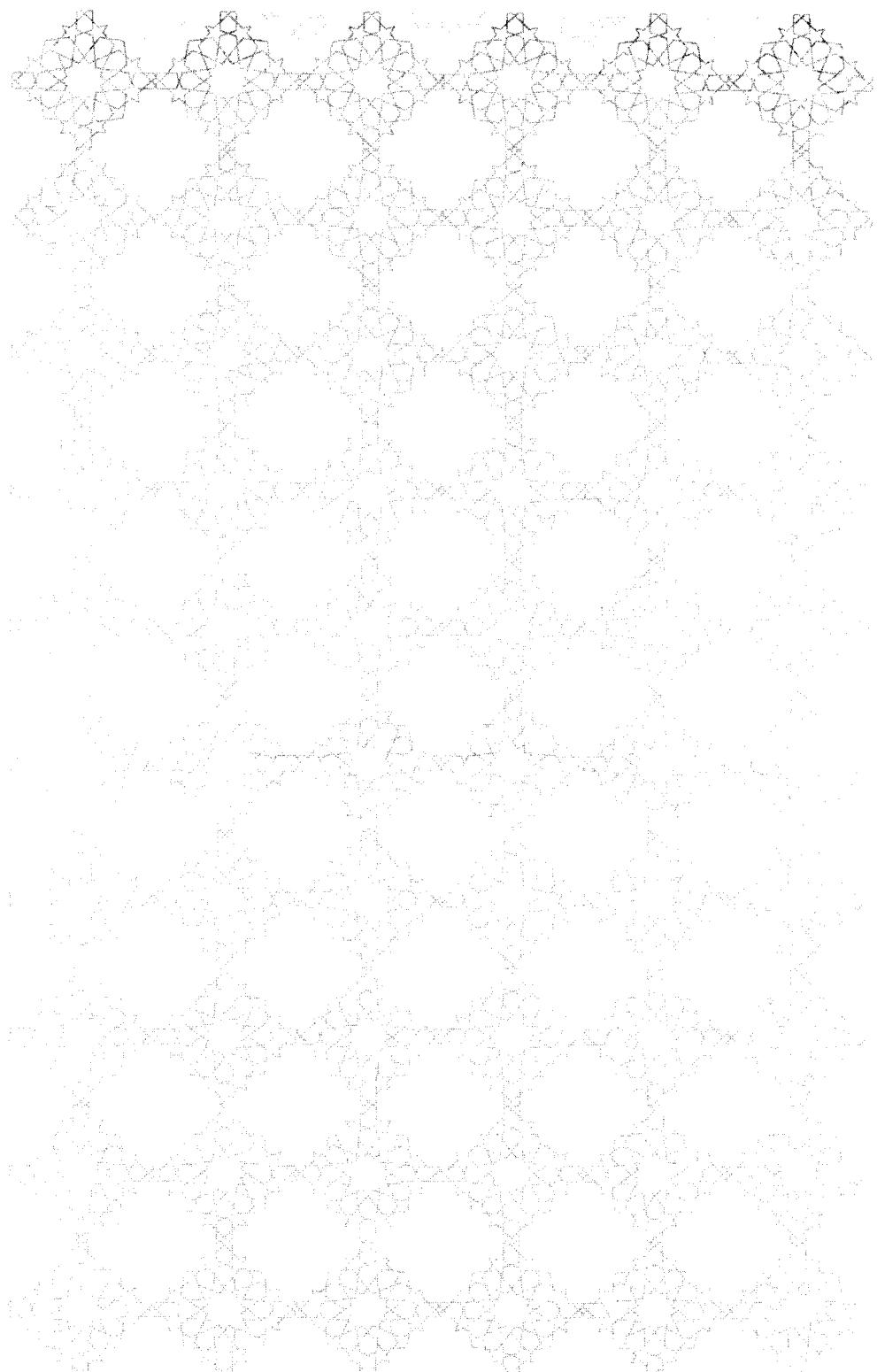
وَلْيَعْلَمَ الطَّالِبُ أَنَّ السَّيِّرَا
تَجْمَعُ مَا صَحَّ وَمَا قَدْ أُنْكِرَا
وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأئِمَّةِ : (إِذَا
رَوَيْنَا فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . . شَدَّدْنَا ، وَإِذَا رَوَيْنَا فِي الْفَضَائِلِ
وَنَحْوَهَا . . تَسَاهَلْنَا) وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

مـنهـجـ أـهـلـ السـيـرـ فـيـ
الـأـخـبـارـ

وـهـذـاـ أـوـانـ الشـرـوعـ فـيـ الـمـقـصـودـ بـعـونـ الـمـلـكـ الـمـعـبـودـ فـنـقـولـ :

متن

منظومَةُ المَغَازِي



قال الناظم رحمة الله تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِخَيْرِ أُمَّةٍ بِخَيْرِ الْمِلَلِ
عَلَى لُبْابِ صَفْوَةِ الْأَنَامِ
وَصَحْبِهِ وَالثَّابِعِي نِعْمَ الْسَّلَفُ
فِي مُهْرِقِ يَنَابِعِ الْبَرَاعَةِ
وَهَبَ شَمَالًا وَمَاسَ غُصْنُهُ
تَنَافَسْتُ فِيهِ وَخَيْرُ مُغْتَنَمٍ
مِنْ فَضْلِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ سِيرَتُهُ
وَلَمْ تَكُنْ بِمُعْظَمِ الْقَصْدِ تُخْلَنْ
جُلُّ أَعْتِمَادِ نَظِمَّهَا فِي الْسَّيِّرِ
إِذْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِصَوْغِ الْتُّسْفِ
عَنْ كَثْرَةِ وَفِي الْمَهَارِقِ أَبْذَغَرْ
وَجَاهِهِ بِنَظِيمٍ بَعْضِ سِيرَتِهِ
مَنْ رَأَمَهَا نَظِمًا تَكُونُ أَسْهَلًا
عَنْ ذِكْرِهِ بِمُضْمَرٍ أَسْتَغْنِي
وَعِصْمَةَ الْخَاطِرِ مِنْ ذَا الْخَطَرِ
وَعِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ مَرْضِيَا

حَمْدًا لِمَنْ أَرْسَلَ خَيْرَ مُرْسَلِ
وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
وَالْهِ أَفْنَانِ دُوْحَةِ الْشَّرَفِ
مَا أَرْهَفَتْ وَأَرْعَفَتْ يَرَاعَةَ
وَجَلْجَلَ الرَّعْدُ وَسَحَّ مُزْنُهُ
وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ أَهْمُ مَا أَهْمَمْ
وَخَيْرُهُ وَالْعِلْمُ سَمُو رُتْبُهُ
فَهَاكَ مِنْهَا نُبْذَةٌ لَيْسَتْ تُمْلِ
أُرْجُوْزَةً عَلَى عُيُونِ الْأَثَرِ
وَشَدَّ مَا أَجْتَرَاتْ فِي ذَا الْهَدَفِ
فَكَيْفَ بِالْعَقْدِ لِمَا كَانَ أَنْتَشَرَ
لَكِنْ تَطَفَّلْتُ عَلَى بَرَكَتِهِ
لَعَلَّهَا بِالْنَّظِيمِ هَلْهَلًا عَلَى
وَلِحْضُورِهِ بِكُلِّ ذَهْنِ
وَاللَّهُ أَسْأَلُ سَدَادَ النَّظَرِ
وَأَنْ يَكُونَ لِي وَلَا عَلَيَّ

وَأَنْ يَكُونَ لِلثَّوَابِ قَانِصاً
 مِمَّا يُلْبِسُ بِهِ إِنْيَسُ
 بِجَاهِ أَفْضَلِ الْوَرَى مُحَمَّدٌ
 أَوَّلُ غَرْزَةٍ غَرَزَاهَا الْمُصْطَفَى
 ثُمَّ بَوَاطُ خَرَجُوا لِعِيرٍ
 ثُمَّ الْعُشَيْرَةَ إِلَى عِيرِ أَبِي
 فَبَدْرُ الْأُولَى بِإِثْرِ نَاهِبٍ
 كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ وَبَعْدُ أَسْتَقَنَّا
 فَبَدْرُ الْكُبْرَى لِعِيرِ صَخْرٍ
 وَأَعْتَقُوا فِي ذَلِكَ الْمَسِيرِ
 وَلَمْ يَكُونُوا أَوْبَعُوا لِلْحَرْبِ
 وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنَ السُّيُوفِ
 وَلَا مِنَ الْحَيْلِ سِوَى أَشْتَيْنِ
 وَأَسْتَفَرَ النَّفِيرَ صَخْرُ لَهُمْ
 فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِهِمْ مُمْتَحَنَا
 وَكَانَ مِنْ رَوَيَةِ الْمِقْدَادِ
 وَعُمَرُ أَسْتَقَلَ جَيْشَ الْحُنَفَاءِ
 وَأَسْتَبَقُوا صَخْرَا لِبَدْرٍ وَأَنْتَحَى
 عَنْهَا النَّبِيُّ الْضَّرِبَ إِذْ قَالَ هُمَا
 وَعِنْدَمَا أَمِنَ صَخْرُ أَرْسَلَ

لِوَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ خَالِصَا
 وَلِلَّهِوَى فِي طَيِّهِ تَذْلِيسُ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ طُولَ الْأَبَدِ
 وَدَانُ فَالْأَبْوَاءُ أَوْ تَرَادَفَا
 أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفِ السَّفَسِيرِ
 سُفِيَّانَ فِي ذَهَابِهَا لِلأَرَبِ
 سَرْحَ الْمَدِينَةِ مُغَدِّهَارِبِ
 لِقَاحَهُ مِمَّنْ عَلَيْهِ أَسْتَحْوَذَا
 أَبَيَّةَ مِنْ شَأْمِهَا بِالْكُثْرِ
 كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ
 إِذْ مَا غَرَزا لِغَيْرِ نَهْبِ الرَّكْبِ
 غَيْرُ ثَمَانٍ لِلْعِدَّا حُتُوفِ
 وَقَدْ كَفَتُهُمْ أَهْبَةَ الْتَّمْكِينِ
 وَجَاءَ خَيْرَ مُرْسَلٍ أَلْبُهُمْ
 وَقَالَ سَعْدٌ مَا رَأَى وَأَحْسَنَا
 أَنْ رَضِيَ الْسَّيْرَ إِلَى الْغَمَادِ
 وَأَسْتَكَثَرَ الَّذِي إِلَيْهِ زَحَفَا
 وَأَخَذُوا وَارِدَةً وَزَحْزَحَا
 وَارِدَةً الْنَّفِيرِ وَأَسْتَفَتَاهُمَا
 إِلَى الْنَّفِيرِ أَنْ يَؤُوبَ قُفَّلَا

حَلْفٌ بَنِي زُهْرَةَ وَأَزْدَادَ عُلَاءَ
 بَذْرًا فَتَنَحَّرَ وَنُرْهَبَ الْعِدَا
 بَشَرٌ مَابَاتِ بِهِ بُغَاةُ
 ثَبَطَهُمْ وَبَاتَ خَيْرُ مُرْسَلٍ
 أَثْبَتَ أَرْضٌ لِلْخُطَا وَأَرْتَحَلَا
 وَغَوَرُوا جَمِيعَهُنَّ مَاعَدَا
 فِي جَدْوَلٍ فَهِيَ لَهُمْ دَوَانِي
 إِلَى الْمَصَارِعِ الْزُّحُوفُ الْأَشْقِيَا
 أَوِ ابْنَ وَهْبٍ مَا رَأَوْا أَلِيمَا
 مِنْ بَعْدِ مَا أَشْفَوْا عَلَى مَا وَرَدُوا
 ثَانِيَةً سَحْرُ عُتْبَةَ اُنْتَفَخَ
 فَحَشَّ حَرْبًا بَيْنَهُمْ وَشَرَّا
 حَيْدَرَةً وَحَمْزَةً لِشَيْبَةِ
 قَامَ لَهُ عُبَيْدَةُ إِذْ رَشَحُوهُ
 وَهُوَ أَسَنُ الْجَيْشِ فِيمَا نَقْلُوهُ
 عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَلِّبِ
 أَعْنَى الْحُصَيْنَ وَالْطَّفَيْلَ مُشَبِّهَاهُ
 مِنْ صَفَّهِ وَرَامَ أَنْ يَعْتَدِلَا
 وَقَالَ إِذَا لَمْ مَسْ قِدْحِهِ
 وَجَدَ فِي أَنْ كَانَ بَاشَرَ الْجَسَدُ

وَرَدَ الْأَخْنَسُ الْمُسَوَّدُ عَلَى
 وَابْنُ هِشَامَ قَالَ لَا أَوْ نَرِدَا
 فَطَاوَعُوهُ وَمَضَوْا وَبَاتُوا
 عَنْ كَثَبِ وَأَصْبَحُوا بِوَحْلِ
 بِخَيْرِ لَيْلَةٍ وَأَصْبَحَ عَلَى
 فَنَزَلُوا أَذْنَى الْمِيَاهِ لِلْعِدَا
 قَلِيبَهُمْ وَجَعَلُوا أَلَّا وَانِي
 وَأَفْبَلَتْ بِالْخَيْلَا وَالْكِبْرِيَا
 لَوْ طَاوَعُوا عُتْبَةَ أَوْ حَكِيمَا
 لِكَوْنِهِمْ إِلَى الْقُفُولِ أَرْشَدُوا
 وَقَالَ عَمْرُو وَبَأْنِفِهِ شَمَخْ
 وَأَسْتَنْشَدَ أَبْنَ الْحَاضِرِ مِيَّ الْثَّارَا
 فَقَامَ لِلْوَلِيدِ نَجْلِ عُتْبَةِ
 نَجْلِ رَبِيعَةِ وَعُتْبَةِ أَخْرَوَهُ
 وَقُطِعَتْ قَدَمُهُ وَاحْتَمَلُوهُ
 وَهُوَ إِذَا أَخَذْتَ فِي نِعْمَ الْنَّسَبِ
 وَشَهِدَ الْمَشَهَدَ هَذَا أَخْرَوَاهُ
 وَابْنُ غَرِيَّةِ سَوَادُ أَسْتَنْتَلَا
 نَبِيَّا فَمَسَهُ فِي كَشِحِهِ
 أَوْ جَعَتِي نَخْسَا فَأَعْطِنِي الْقَوْدُ

وَخَفَقَ النَّبِيُّ حِينَ الْمَعْرَكَةِ
 عَلَى شَنَائِيَ جِبْرِيلَ النَّقْعُ
 وَقِيلَ : لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةَ
 لَكِنَّهُمْ لِعَدَدٍ وَمَدَدٍ
 وَجَاءَ أَنَّ جِبْرِيلَ يَحْضُرُ
 نُزُولَهُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
 وَرَاقِبَ الْجَمِيعِ شَخْصَانِ لِكِيْ
 فَرَأَيَا الْمَلَكَ وَهُوَ مُنْظَلِقٌ
 وَأَبْنُ مُعَاذِ مُبَنِّي الْعَرِيشِ
 يَكْرَهُ إِبْقَاءَ الْأَسَارَى وَيَرَى
 وَهَذَا عَمَرُ كَانَ وَهِيَ مِنْ
 عَنْ قَتْلِ آلِهِ نَهَى إِذْ خَرَجُوا
 وَعَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ إِذْ لَمْ يُؤْذِهِ
 وَجَاءَهُ الْمُجَذَّرُ بْنُ ذَيَّادٍ
 فَقَالَ وَالْزَّمِيلَ قَالَ الْمُصْطَفَى
 فَقَالَ وَالنَّخْوَةُ تَأَبَى وَالإِبَا
 لَا يُسْلِمُ أَبْنُ حُرَّةِ زَمِيلَهُ
 وَإِذْ نَهَى عَنْ قَتْلِ عَمِّهِ هَفَّا
 وَكَفَرَتْ هَفَوَتْهُ الشَّهَادَةُ
 وَإِذْ رَأَهُ الْمُصْطَفَى تَضَجَّرَا

وَفِي عَرِيشِهِ رَأَى الْمَلَائِكَةَ
 وَلَمْ يُقَاتِلْ فِي سِوَاهَا الْجَمْعُ
 إِذْ رِيشَةُ مِنْهُمْ لِقَوْمٍ مُهْلِكَةَ
 وَطَبَلُهُمْ هُنَاكَ طُولَ الْأَبَدِ
 مَنْ مَاتَ مُؤْمِنًا وَقَوْمٌ أَنْكَرُوا
 وَالْحَقُّ أَنَّ لَيْسَ لَهُ تَنَاهِي
 يَتَهَبَا مِنْ مُدْبِرِي الْجَمِيعِ شَيْ
 فَانْشَقَّ وَاحِدًا وَالآخَرُ صَعْقَ
 وَحَارِسُ النَّبِيِّ مِنْ قُرَيْشٍ
 إِهْلَاكُهُمْ أَوَّلَ قَتْلٍ أَجْدَرَ
 مُوَافَقَاتِهِ الْتِي بَعْدُ تَعَنَّ
 وَفِي خُرُوجِهِمْ عَلَيْهِ حَرَجُ
 وَصَلُّ نَبْذِهِمْ سَعَى فِي نَبْذِهِ
 وَقَالَ عَنْكَ قَدْ نَهَى خَيْرُ الْعِبَادِ
 لَمْ يَنْهَ عَنْ قَتْلِ الْزَّمِيلِ الْحُنَفَا
 عَنْ تَرْكِهِ جُبْنًا وَحَكَمَ الظُّبَا
 حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ
 أَبُو حُذَيْفَةِ وَقَالَ سَخَفَا
 يَوْمَ الْيَمَامَةِ لَهَا أَرَادَهُ
 مِنْ جَرِّ عُثْبَةِ أَبِيهِ أَعْتَذَرَا

يَحْجِزُهُ عَنْ مِيَتَةِ السُّوءِ حِجَّةَ
أَطْنَ سَاقَ أَبْنَ هِشَامَ الْطَّمُورِ
عَاتِقَهُ وَجَرَّهُ فِي الْمَلْحَمَةِ
عَاتِقَهُ لَمَّا عَلَيْهِ بَصَرَ
بِجَحْشِهِ رُكْبَتِهِ إِذَا أَخْتَفَى
جُثَثُهُمْ مُوَبَّخًا لِلْخُشْبِ
أَخْبَرَهُمْ بِهَا مُقْيِمُ الْمِلَّةِ
وَأَوْهَنَ الْكُفَّرَ وَأَيَّدَ الْهُدَى
لِذَاكَ مَا شَهَدَهَا مُنَافِقُ
وَقَدْ أَتَى مُنَوَّهًا فِي الْذِكْرِ
وَأَنَّهُ الْبَطْشُ وَالإِنْقَامُ
وَالْحَقُّ وَالنَّصْرُ سَبِيسُ الدَّهْرِ
لِنَفِرِ عَنِ الْزَّحَافِ غَيْبِ
لِلرَّكْبِ يَنْظُرُ إِنَّ أَيْنَ نَزَلَ
وَابْنِ جُبَيْرٍ كُسِرَا عَنْ هَمَةِ
خَلْفَهُ خَيْرُ بْنِي عَذْنَانِ
أَبَا لُبَابَةَ الرَّبِطَ الْزَّيْنَةِ
وَهُوَ أَبْنُ حَاطِبٍ إِلَى قُبَاءِ
شَقِيقَهُ مُسْتَأْسِرًا لِلْفَضَّلَةِ
أَمَّا مَلِيَّةَ تَفْكُكَ كَبَلَةِ

وَإِذْ مُعَاذُ بْنُ عَمْرُو بْنِ الْجَمُوحِ
فَطَرَحَ أَبْنَهُ الْهِبَزْبُرُ عِكْرِمَةَ
الْصَقَّ خَيْرُ مُرْسَلٍ فَالْتَصَقَ
فِرْعَوْنُ الْأَمَّةِ النَّبِيُّ عَرَفَهَا
بَيْنَ الْهَوَالِكِ وَكَلَمَ النَّبِيِّ
وَعَاهَيْنَ النَّاسُ الْمَصَارِعَ الَّتِي
فَحَقَّقَ اللَّهُ لَهُ مَا وَعَدَاهُ
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ كِتَابٌ سَابِقٌ
يَوْمَ لَهُ مَا بَعْدَهُ فِي الْكُفَرِ
بِأَنَّهُ الْعَذَابُ وَاللَّزَامُ
وَأَنَّهُ الْفُرْقَانُ بَيْنَ الْكُفَرِ
فِي الْأَجْرِ وَالْمَغْنِمِ قَسَمَ النَّبِيِّ
لِطَلْحَةِ وَلِسَعِيدِ أَرْسَلَاهُ
وَلِابْنِ عَفَّانَ وَلِابْنِ الصَّمَدِ
وَابْنِ عَدِيِّ عَاصِمِ الْعَجْلَانِيِّ
عَلَى الْعَوَالِيِّ وَعَلَى الْمَدِينَةِ
شَامِهِمْ رُدَّ مِنَ الرَّوَحَاءِ
وَابْنِ عُمَيْرٍ مُضَعَّبٍ مَرَّ عَلَى
فَحَضَهُمْ أَنْ شَدَّدُوا إِنَّ لَهُ

وَأَبْنُ الْرَّبِيعِ صِهْرُ هَادِي الْأَمَّةِ
 بِعِقْدِهَا الَّذِي بِهِ أَهْدَتْهَا
 سَرَّهُ بِعِقْدِهَا وَعَهْدِهَا
 فَرَدَّهَا وَبَعْدَ ذَاكَ تَجَرَّا
 فَأَنْتَهَبَ الْأَصْحَابُ عِيرَ الْقُلُوبِ
 فَصَرَّحَتْ وَلَمْ تُجْنِجِ الْبُتُولُ
 فَرُدَّ مَالُهُ عَلَيْهِ أَجْمَعُ
 أُوصَى بِهِ مِنْ حَيْثُ الْأَكْرَامُ أُبْنَتْهُ
 وَمَا أَرْتَضَى مِنْ بَعْدِ إِسْلَامِ أُبْنَتِهِ
 لَوْ أَنَّهُ يُحِلُّ أَوْ يُحَرِّمُ
 وَسِيلَ الْإِيمَانَ كَيْ يَحُوزَا
 فَهَابَ أَنْ يَبْدَا بِالْخِيَانَةِ
 فَرَدَّهَا لِأَهْلِهَا وَأَسْلَمَهَا
 فَرَدَّهَا إِلَيْهِ خَيْرُ مُرْسَلِ
 وَأَمْهُ هَالَةُ أَخْتُ صِهْرَتِهِ
 وَالْمُسْلِمُونَ خَيْرُوا بَيْنَ الْفِدَا
 وَبَيْنَ قَتْلِهِمْ فَمَالُوا لِلْفِدَا
 وَأَنَّهُ أَدَى إِلَى أَشَهَادِهِ
 وَهُوَ بِقَدْرِ وُسْعِهِمْ وَالْمُمْلِقُ
 وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْأَسَارَى عَمْرُو

إِذْ فِي فِدَاهُ زَيْنَبُ أَرْسَلَتِ
 لَهُ خَدِيجَةُ وَرَفَقَتْهَا
 إِلَيْهِ أَنْ يَرْدَهَا لَهُ غَدَا
 لِنَفْسِهِ وَسَائِنِي أُمُّ الْقُرَى
 فَجَاءَ وَأَسْتَجَارَ بِأَبْنَةِ النَّبِيِّ
 بِأَنْ أَجَارَتْهُ وَأَمْضَاهُ الرَّسُولُ
 تِلْكَ الْصَّهَارَةُ بِهَا يَسْتَشْفِعُ
 لِكِنْ نَهَاهَا أَنْ تَكُونَ بَعْلَتَهُ
 وَكُفْرُهُ بَقَاءَهَا فِي عِصْمَتِهِ
 بِمَكَّةِ عَنْهَا الْحَلِيلَ يَخْسِمُ
 مَالَ قُرَيْشٍ وَبِهِ يَفْوزَا
 إِيمَانَهُ وَيَدْعَ الْأَمَانَةَ
 وَآبَ إِذْ إِلَى قُرَيْشٍ أَسْلَمَا
 بِالْعَقْدِ الْأَوَّلِ عَلَى الْقَوْلِ الْجَلِيِّ
 وَالْمُضْطَفَى رَضِيَ عَنْ صَهَارَتِهِ
 وَقَدْرُهُمْ فِي قَابِلٍ يُسْتَشْهِدَا
 لِأَنَّهُ عَلَى الْقِتَالِ عَضَدَا
 وَهِيَ قُصَارَى الْفَوْزِ وَالسَّعَادَةِ
 مِنْ خَطْهِ عَشَرَةُ يُحَذِّقُ
 نَجْلُ أَبِي سُفِينَانَ ثُمَّ الْصَّهْرُ

وَالْعَمَّ وَابْنَا أَخَوِيهِ وَهُمَا
 وَخَالِدُ أَخُو أَبِي جَهْلٍ وَقَدْ
 وَمُكْرَزُ رَكَزٌ فِي مَرْكَزِهِ
 وَابْنُ أَبِيٍّ وَابْنُو وَدَاعَةٍ
 وَخَالِدُ بْنُ الْأَعْلَمِ الَّذِي أَفْتَخَرَ
 وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْمُمَاتِ حَنْظَلَةُ
 وَهُمْ نُبِيُّهُ حَارِثٌ وَالْعَاصِي
 مِنْ مَكَّةَ لِكَوْنِهِ مُسْتَضْعِفًا
 مَعَ قُرَيْشٍ وَتَوَفَّتْ ظَالِمِي
 وَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ الْرَّدِي
 وَابْنَانِ لِلْفَاكِهِي وَالْوَلِيدِ
 سَمِّيَّهُ وَأَخْرَوِيٍّ فِرْعَوْنَا
 سَلَمَةُ عَيَّاشٍ الْمُسْتَضْعِفِينَ
 وَاسْتَشْهَدَتْ سِتٌّ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
 ثُمَّ عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَاصِ
 وَذُو الْشَّمَالَيْنِ وَمَهْجَعُ عُمَرْ
 وَأَشَانِ لِلْأَوْسِ أَبْنُ عَبْدِ الْمُنْدِرِ
 وَسِتَّةُ الْخَرْزَاجُ هُمْ يَزِيدُ
 حَارِثَةُ وَابْنُ الْمُعَلَّى رَافِعُ
 لِرَبِّهِ وَهُوَ يَقُولُ أَفَمَا

عَقِيلُ نَوْفُلُ وَبَعْدُ أَسْلَمَا
 أَسْلَمَ أَيْضًا وَسُهَيْلُ الْأَسَدُ
 حَتَّىٰ أَتَىٰ فِدَاؤُهُ لِعِزْرَهُ
 أَوَّلُ مَفْدِيٍّ مِنَ الْرِّبَاعَةِ
 فَكَانَ قَبْلَ كُلِّ هُوَهَةٍ عَجَزْ
 مُنْبَهٌ وَصِنْوُهُ وَابْنَانِ لَهُ
 أَحَدُ رَهْطٍ غَيْرِ ذِي خَلَاصٍ
 فِي زَعْمِهِ وَيَوْمَ بَدْرٍ زَحَفَا
 أَنفُسِهِمْ مَلَائِكُ الْمَلَاحِمِ
 وَالْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ
 وَأَيْنَ هُمْ مِنْ أَبْنِهِ الْمَجِيدِ
 شَقِيقٌ أَوْ لِلَّامُ ذَاقَا الْهُونَانَا
 قَنَتْ لِاسْتِنْقَاذِهِمْ طَهَ الْأَمِينُ
 عُبَيْدَةُ الْمَذْكُورُ فِي الْمُبَارِزِينَ
 وَابْنُ الْبُكَيْرِ عَاقِلُ الشَّاصِي
 صَفَوَانُ بَيْضَاءُ الَّذِي بِهَا أَشْتَهَرَ
 مُبَشِّرٌ سَعْدُ أَبْنُ خَيْثَمَ الْجَرِي
 عَوْفُ مُعَوْذُ أَخْرُوهُ الْصَّيْدُ
 ثُمَّ عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْنَّازِعُ
 بَيْنِي وَبَيْنَ جَنَّةٍ إِلَّا الْحِمَا

فَلِسْلِينَ مِمْ فَلِقِيْنَةَ سَاعِ
هُمْ كَشَفُوا إِزَارَهَا عَنْ مُسْلِمَةَ
لَوْ آمَنَتْ مِنَ آيِهِ وَدَ كُلُّهَا
عَادُوا لِلْفَسَادِ فَعَادَ اللَّهُ
أَوَّلُ مَنْ غَدَرَ مِنْ يَهُودَا
نِيَّتَا وَهُمْ أَسَارَى سَطْوَةَ
وَمِنْهُمُ الشَّاهِدُ عَبْدُ اللَّهِ
فَغَزْوَةُ السَّوِيقِ فِي إِثْرِ أَبِي
وَغَالَ نَفَسَيْنِ وَكَانَ إِلَى
وَكَانَ يُلْقِي جُرُبَ السَّوِيقِ
فَسَمِّيَتْ بِذَاكَ ثُمَّ بَعْدَهَا
وَبَعْدَهَا ذُو أَمْرٍ وَغَطَفَانَ
لِغَطَفَانَ وَجْمُوعَ ثَعَلَبَةَ
وَهُوَ الَّذِي وَجَدَ خَيْرَ مُرْسَلٍ
فَسَلَّهَا وَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَا
وَفِيهِ أَوْ فِي غَوْرَثِ أَوِ النَّضِيرِ
وَبَعْدَهَا غَزْوَةُ بُخْرَانِ إِلَى
فَأُحْدُ بِرِبْحِ عِيرِ صَخْرِ
وَخَرَجُوا بِ(يَهِ) طُغْنِ وَهُمْ
رَاءُ وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ فَرَسُونَ

أَلْمُتَصَدِّيْنَ إِلَى الْقِرَاعِ
فَهَاجَ حَرْبٌ بَيْنَهُمْ وَالْمُسْلِمَةُ
زُهَاءُ عَشْرَةَ أَهْتَدَوْا لِأَجْلِهَا
وَقَيْنَقَاعُ الْعُمَّةُ الْعِزَّاهُ
وَأَبْنُ أُبَيٍّ سَأَلَ الْقُرُودَا
فَأَطْلَقُوا وَطَرِدُوا مِنْ طَيَّتَهُ
نَجْلُ سَلَامُ الْعَظِيمُ الْجَاهِ
سُفْيَانَ أَنْ حَرَقَ نَخْلَ يَثْرِبِ
لَا يَقْرَبُ النِّسَاءَ أَوْ يَنَالَا
مَخَافَةَ الْلُّحُوقِ فِي الْطَّرِيقِ
قَرْقَرَةَ الْكُدْرِ لِقَوْمٍ عِنْدَهَا
كِلَاهُمَا تُدْعَى بِهِ وَتُسْتَبَانُ
جَمِيعَهَا دُعْثُورُ صَاحِبُ الظُّبَّةِ
يُجْفِ ثَوْبَيْنِ لَهُ بِمَعْزِلٍ
فَصَدَّهُ جِبْرِيلُ عَمَّا أَنْتَهَكَا
﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾ أَنْزَلَتْ عَلَى الْبَشِّيرِ
أُمُّ الْقُرَى أَوْ لِسْلِيمَ الْجُهَلَاءَ
تَاهَبُوا لِيَتَرُوا مِنْ بَذْرِ
جِيمُ الْوَفِ وَالْخَيْولُ لَهُمْ
وَفِي زُرْوَعٍ قَيْلَةٌ إِحْتَبَسُوا

بُرْدَةُ النَّذْبِ وَأَخْرَى لِلنَّبِيِّ
 أَنْ كَانَ فِي دُبَابِ سَيْفِهِ ثَلَمْ
 وَبَقَرَاً يُذْبَحُ أَيْضًا وَجَدَةَ
 يُذْبَحُ فَهُوَ النَّفَرُ الْمُعَفَّرُ
 أَدْخَلَ فِيهَا يَدَهُ الْمَدِينَةَ
 وَبَعْدَ مَا أَسْتَلَامَ فِيهَا أَسْتَبْطُوهُ
 وَخَامَ عَنْهُ أَبْنُ أَبِيٍّ وَأَمْتَرًا
 فَقَالَ شِمْ سَيْفَكَ وَالْحَرْبَ أَفْتَرَسْ
 يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ إِذَا عَنَّ لَهُ
 فِي أَوْجُهِ الْقَوْمِ وَكَانَ رَاثِي
 مَنْ دُونُهُمْ وَالْجَيْشُ ذَالَا أَنْبَرَى
 بِحَقِّهِ فَنَالَهُ وَأَسْتَوْفَى
 وَمَشِيهُ مِنْ بُغْضِهِ جَلَّ حَشَا
 وَشَمَرَتْ عَنْ سُوقِهِنَّ الْحُرْمَ
 فِي الْمَغْنِمِ الْرِّمَادُ حِينَ أَسْتَلِبَا
 بِالصَّبِرِ وَالثَّبَاتِ خَلْفَ الْحُنَفَا
 فَكَرَّ رَاجِعًا بِكُلِّ حَارِدٍ
 وَدَاقَ مَنْ خَالَفَهُ مَا أَجْتَرَ حَارَا
 فَأَرْتَهُمْ وَلِذَاكَ كُلَّ الْرَّهَبِ
 مِنْ دَهَشٍ قَائِلُهُمْ فَأَفْتَنَا

وَقِيلَ : فِيهِمْ فَرَسٌ تَحْتَ أَبِي
 وَقَدْ رَأَى فِي نَوْمِهِ خَيْرُ الْأُمَمِ
 وَأَنَّهُ أَدْخَلَ فِي دِرْعِ يَدَهُ
 فَأَلْتَلَمُ الْعَمُ وَأَمَّا الْبَقَرُ
 مِنْ صَحِبِهِ وَدِرْعُهُ الْحَصِينَةُ
 وَأَسْتَكَرَهُوا خَيْرُ الْوَرَى فَأَخْرَجُوهُ
 فَرَاحَ نَحْوَ أَحْدٍ وَأَبْتَكَرَا
 وَأَسْتَلَ سَيْفَ رَجُلٍ ذَبْ فَرَسْنَ
 وَكَانَ لَا يَعْتَافُ إِلَّا أَنَّهُ
 وَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِالْحَاثِي
 أَجَازَ أَبْنَاءَ يَهِ وَأَسْتَصْغَرَا
 وَقَالَ مَنْ يَأْخُذُ هَذَا الْسَّيْفَا
 أَبُو دُجَانَةِ وَخَالَ إِذْ مَشَى
 وَأَسْتَأْصَلُوا أَهْلَ الْلَّوَا فَأَنْهَزَ مُوا
 مُوْلَوِلَاتٍ إِثْرَهُمْ وَرَغَبَا
 وَخَالَفَ الْرِّمَادُ أَمْرَ الْمُضْطَفَى
 فَتَرَكُوا ظُهُورَهُمْ لِخَالِدٍ
 وَحَالَتِ الْرِّيْحُ وَدَارَتِ الْرَّحَى
 وَصَرَخَ الْصَّارِخُ أَنْ مَاتَ النَّبِيُّ
 وَقَالَ إِذْ ذَلِكَ : « لَوْ كَانَ لَنَا »

حَمْزَةُ عَمَّهُ طُعَيْمَةَ أَحْتَفَلْ
 وَحْشِيَّهُ يَوْمَئِذٍ وَحَرَرَا
 فَقَالَ : « ذُقْ عُقْقُ » أَيْ ذُقْ حَرْبِي
 عَلَى الْحِفَاظِ فَلَهُ الْخُسْرَانُ
 لَيْسَ لَهُ غَيْرَ الْقِتَالِ عَمَلُ
 بَيْنَ مُهَاجِرٍ وَبَيْنَ مَنْ نَصَرَ
 وَقَاصِ الَّذِي أَفْتَدَاهُ بِالْأَبِ
 إِذْ أَتَّقَى الْبَنْلَ بِهَا يَضْمُدُهُ
 دِرْعَاهُ وَالْجِرَاحُ فَاسْتَهَضَهُ
 إِلَهَنَا عَنِ الَّذِي مِنْهُمْ هَفَا
 قَبْلُ وَعَنْ خَيْرِ الْوَرَى مُدَافِعَهُ
 وَلِلْتَّبَرُكِ الْوَرَى تَقْصِدُهَا
 فَنَاشَهُ طَلْحَةُ وَالصَّهْرُ عَلِيٌّ
 وَشَقَّ مِنْ شِقْوَتِهِ شَفَقَهُ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا سَحَّ سَحَابُ
 وَأَنْتُزَعَ الْحَلْقَةَ فِي الْنَّبِيِّ
 بِسَاقِطِ الْشَّيْسَيْنِ أَعْلَمَا
 جَاءَ لِيَشْرَبَ شَفِيعَ النَّاسِ
 عَنْ وَجْهِهِ الْدَّمَ فَفَازَ بِالرَّضَا
 بِقَوْسِهِ وَقَدْ تَشَظَّظَتْ حُبِي

وَنَجَلُ مُطْعِمٌ جَبِيرٌ إِذْ قَتَلْ
 لِقْتِلَهِ بِأَنْ عَلَيْهِ ذَمَرَا
 وَدَقَّهُ فِي شِدْقَهِ أَبْنُ حَرْبِ
 أَبْلَى بَلَاءَ حَسَنَاً قُزْمَانُ
 وَعَكْسُهُ الْأُصَيْرِمُ الْمُحَرْدُلُ
 وَثَبَّتْ مَعَ الْنَّبِيِّ أَثْنَا عَشَرَ
 مِنْهُمْ أَبُو دُجَانَةَ وَأَبْنُ أَبِي
 وَطَلْحَةَ وَفِيهِ شَلَّتْ يَدُهُ
 وَتَحْتَهُ جَلَسَ أَنْ جَهَضَهُ
 وَالْعَمَرَانِ وَعَلِيِّ وَعَفَّا
 وَثَبَّتْ نَسِيَّةُ الْمُبَاعِيَةُ
 وَجُرِحَتْ فِيهِ وَشَلَّتْ يَدُهَا
 فِي حُفْرَةٍ وَقَعَ خَيْرُ مُرْسَلٍ
 إِذْ عُتْبَةُ هَشَّ رَبَاعِيَّهُ
 وَشَجَّهُ أَبْنُ قَمَّةٍ وَأَبْنُ شِهَابٍ
 وَأَزْدَرَدَ الْدَّمَ أَبُو الْخُدْرِيِّ
 أَبُو عُبَيْدَةَ فَكَانَ أَثْرَمَا
 بِمِلْءِ دَرْقَةٍ مِنَ الْمِهْرَاسِ
 حَيْدَرَةٌ فَعَافَهُ وَرَحَضَا
 قَادَةُ ذُو الْعَيْنِ رَدَهَا الْنَّبِيُّ

بِهِ أَبْنُ مَالِكٍ قَرِيعُ الْشَّعْرَا
 وَنَهَضُوا لِلشَّعْبِ إِذْ أَوْفَا إِلَيْهِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَ الْصَّبَا
 عَالِيَّةُ مِنْ فَوْقِهِمْ فَأَنْزَلَتْ
 ظُهْرًا لِمَا مِنَ الْجِرَاحِ أَجْهَدَا
 قَلَائِدًا مِنْ آنُفِ الْرِّجَالِ
 وَأَدْبَرَتْ تُرَدَّدُ النَّشِيدَا
 وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سُورِ
 وَلَا أَخِي وَعَمَّهُ وَبِكْرٍ
 سَأَلَ رَبَّ الْعَرْشِ مِنْهُمْ أَسَدًا
 وَسَعْدُ الْفَتَكَ بِهِ أَرَادَهُ
 بِرِيقِهِ فِي الْحِينِ قَامَ مُسْتَمِرٌ
 لِكِبَرٍ فَلَحِقَ ا وَزَحَفَا
 حُذْنَفَةُ إِذْ أَهْلَكَتْهُ الْمُسْلِمَةُ
 أَخْوَهُ وَأَبْنَاهُ وَكُلُّ وَتَدُ
 نَبِيَّنَا عَنْهُ فَأُلْفِيَ عَلَى
 إِلَى النَّبِيِّ بِالسَّلَامِ وَالرِّضا
 وَهُوَ مُخْيِرِيقُ بَنِي الْنَّضِيرِ
 بِحَمْزَةَ الْمُهَاجِرُونَ أَرْبَعُ
 زَوْجُ جَمِيلَةَ أَبْنَةِ الْمُنَافِقِ

أَوْلُ مَنْ عَرَفَهُ فَبَشَّرَهُ
 فَعَوَدُوهُ وَتَسَاقَطُوا عَلَيْهِ
 فَبَأْيُعوا عَلَى الْمَمَاتِ الْمُجْتَبَى
 وَبَعْدَ مَا أَطْمَانَ فِي الْشَّعْبِ عَلَتْ
 صَلَّى بِهِمْ وَقَعَدُوا وَقَعَدَا
 وَأَسْتَبَدَلَتْ هِنْدُ مِنَ الْلَّالِي
 وَطَوَّقَتْ وَحْشِيهَا الْفَرِيدَا
 نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمٍ بَدْرٍ
 مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرٍ
 كِلَا الْمَجَدَعَ وَسَعْدِ الْمُفْتَدَى
 أَمَّا الْمَجَدَعُ فِلِلشَّهَادَةِ
 وَإِذْ أَبُو رُهْمَ الْغِفارِيُّ نُحْرَ
 وَأَسْتَشْهَدَ الْلَّذَانِ قَدْ تَخَلَّفَا
 هُمَا حُسَيْنُ الْيَمَانِيُّ أَسْلَمَهُ
 وَثَابَتُ بْنُ وَقْشِ الْمُسْتَشْهَدُ
 وَأَبْنُ الْرَّيْعَ سَعْدُ الْلَّذْ سَأَلَ
 شَفَا الْشَّهَادَةِ فَأَرْسَلَ الْرِّضا
 وَذُو الْوَصَائِيَا الْجُمُ لِلْبَشِيرِ
 وَمُصَعْبُ شَمَاسُ وَالْمَجَدَعُ
 حَنْظَلَةُ الْغَسِيلُ نَجْلُ الْفَاسِقِ

أَجْنَبَ مِنْهَا فَأَسْتَخْفَهُ الْقِتَالُ
وَقَالَ صَخْرٌ إِذْ رَأَهُ قَتَالَهُ
وَأَسْتَشِهَدُ أَلْأَعْرَجُ عَمْرُو بْنُ الْجَمْوَحِ
سَأَلَ صَخْرٌ وَأَنْشَىٰ يُغَرِّدُ
وَأَرْتَقَبُوا إِنْ يَجْنِبُوا فَهُمْ قُفْلُ
وَبِأَبَيٍ مَرَّ بَعْدُ أَبْنُ عُمَرَ
مُسْلِسَلًا صَدِيَانَ فَأَسْتَسْقَاهُ
وَمَرَّ أَيْضًا بِأَبَيِ جَهْلِ لَدَىٰ
وَبَعْدَهَا غَرْزَةُ حَمْرَاءُ الْأَسَدُ
وَأَمَرَ الْبَيْيُ أَنْ لَا يَخْرُجَا
وَلَا بْنِ عَبْدِ اللَّهِ جَابِرٍ سَمَحَ
بِالْأَمْسِ ، إِذْ قَالَ أَبُوهُ يَا بُنْيَيْ
وَقَتَكُوا بِجَدٍ عَبْدِ الْمَلِكِ
وَهُوَ الْمُمَثَّلُ بَعْمٌ أَحْمَدٌ
وَبِالَّذِي عَلَيْهِ قَبْلُ أَشْفَقَا
ثَانِيَةً أَنْ كَانَ ذَا بَتَاتِ
ثُمَّ الْنَّضِيرُ هَاجَهَا أَنْ جَاءَهُمْ
فَأَصْعَدُوا أَحَدَهُمْ لِيُلْقِيَا
وَأَخْبَرَ أَبْنُ مِشَكَمٍ أَنْ يُخْبَرَا
وَجَاءَهُ الْخَبْرُ مِنْ رَبِّ الْسَّمَا

عَنْ شِقَهِ أَوْ عَنْ جَمِيعِ الْأَغْتِسَالِ
شَدَادُهُمْ حَنْظَلَةُ بِحَنْظَلَةِ
وَعَنْ حَيَاةِ الْمُصْطَفَى أَبَا الْفُتوْحِ
مَوْعِدُكُمْ بَدْرٌ وَقَالَ الْمَوْعِدُ
أَوْ يُسْرِجُوا فَهُمْ لِطَيْبَةِ نُسُلٍ
وَهُوَ الَّذِي رَمَاهُ خَالِقُ الْبَشَرِ
وَالسَّقْيُ عَنْهُ مَلَكُ نَهَاءُ
بَدْرٍ بِهِ أَصْرَرَ لَاعِجُ الْصَّدَىٰ
كَانَتْ لِإِرْهَابِ صَبِيَّةَ أُحْدٍ
إِلَّا الَّذِي بِالْأَمْسِ كَانَ خَرَجَا
بِالْفَرْزُو إِذْ لَا خَوَاتِهِ جَنَحَ
مَا كُنْتُ أَوْثِرُكَ بِالْفَرْزُو عَلَيْ
لِأُمَّهِ سِبْطِ أَبِي الْعَاصِ الْذَّكِيِّ
وَبِمُعَاوِيَةِ يُعْرَفُ الْرَّدِيِّ
نَبِيَّنَا ثُمَّ أَرْتَجَى أَنْ يُطْلَقَا
وَهُوَ أَبُو عَزَّةَ ذُو الْهَنَّاتِ
مَسْتَوْهِبًا مِنْ دِيَةِ مَا نَابَهُمْ
عَلَيْهِ صَخْرَةُ تُرِيْحُ الْأَغْيِيَا
وَزَجَرَ الْرَّهْطَ فَلَمْ يَنْزَجِرَا
وَفِي حِصَارِهَا الْعُقَارُ حُرَّمَا

وَالْحَسْرُ أَنْزَلْتُ بِهَا وَنَقَضَ
 وَفِيهِمْ وَالْفَيْءُ فِي الْأَنْفَالِ
 أَمَّا الْغَنِيمَةُ فَفِي زَحَافِ
 لِخَيْرِ مُرْسَلٍ وَخَصَّ فِتَّةَ
 كَانَ الْتَّرَحُّمُ عَلَى الْأَنْصَارِ
 وَشَاطِرُوهُمْ مَالَهُمْ وَنَزَلُوا
 مِنْ سَنَةٍ مُّخِيرًا بَيْنَ أَثْتَيْنِ
 فَرَكُوكُونَ لَهُمْ تَعْفُفَا
 ثُمَّ إِلَى مُحَارِبٍ وَثَعَلَبَةٍ
 وَلَمْ يَكُنْ حَرْبٌ وَغَورَثٌ جَرَى
 مَعَ النَّبِيِّ وَعَلَى الْمُعْتَمَدِ
 ثُمَّ لِمِيعَادِ أَبْنِ حَرْبٍ بَدْرُ
 فَدُومَةُ الْجَنَدِلِ هَاجَهَا زُمَرٌ
 ثُمَّتَ لَمَّا أُجْلِيَتْ يَهُودُ
 وَحَزَّبَتْ عَسَاكِرًا عِنَاجُهَا
 وَجَعَلُوا كَيْنَيْتَرُوا خَيْرَ الْوَرَى
 خَنْدَقَ خَيْرُ مُرْسَلٍ بِأَمْرِ
 كَمْ آيَةٍ فِي حَفْرِهِ كَالْشَّبَعِ
 وَكَمْ بِشَارَةٍ لِخَيْرِ مُرْسَلٍ
 وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ إِذْ فِتَّةَ

نَجْلُ أَبَيِّ عَهْدِهِمْ وَرَفَضَ
 مَالَمْ يَكُنْ أَخِذَ عَنْ قِتَالِ
 وَالْأَخِذُ عَنْوَةً لَدَى الْزَّحَافِ
 وَفِي رِضَا أَنْصَارِهِ عَطِيَّةَ
 أَنْ أَثْرُوا بِهِ نَزَارِ
 عَنِ الْحَلَائِلِ لَهُمْ وَأَوَّلُ
 إِبْنُ الْرَّبِيعِ لِابْنِ عَوْفِ الْمَكِينِ
 فَعَفَ هَذَاكَ وَذَلَّكَ أَسْرَفَا
 ذَاتِ الْرِّقَاعِ نَاهَزُوا الْمُضَارَبَةَ
 فِيهَا لَهُ الَّذِي لِدُعْسُورِ جَرَى
 جَرَتْ لِوَاحِدٍ بِلَا تَعْدِ
 وَكَعَ عَنْهَا نَجْلُ حَرْبٍ صَخْرُ
 بِدُومَةٍ يَظْلِمُنَّ مَنْ بِهِنَّ مَرْ
 وَأَوْغَرَتْ صُدُورَهَا الْحُقُودُ
 إِلَى أَبْنِ حَرْبٍ وَقَرِيْشُ تَاجُهَا
 لِغَطَّافَانَ نِصْفَ تَمْرٍ خَيْرَا
 سَلْمَانَ وَالْحُرُوبُ ذَاتُ مَكْرٍ
 مِنْ حَفْنَةٍ وَسَخْلَةٍ لِلْمَجْمَعِ
 مِنْ الْفُتوحِ تَحْتَ ضَرْبِ الْمِعْوَلِ
 عَنْ عَهْدِهِ حُيَيْيٌ أَعْطَى رَسَنَةً

فَغَدَرَتْ قُرَيْظَةُ لِغَدْرِهِ
 وَأَرْسَلَ الْسَّعْدَيْنِ خَيْرُ مُرْسِلِ
 مَا هُمْ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُمْ عَضَلُ
 قَالَتْ جَنُوبُ لِلشَّمَالِ أَنْطَلِقِ
 فَقَالَتِ الْشَّمَالُ إِنَّ الْحُرَّةَ
 فَأَرْسَلَ اللَّهُ الصَّبَا وَالْمَلَكَةَ
 وَغَطَفَانُ رَامُ أَنْ يُخَوَّلُوا
 وَأَنِفَ الْسَّعْدَانِ مِنْ صُلْحِ النَّبِيِّ
 مُعَتَّبُ نَجْلُ قُشَيْرِ قَالَ
 كُنُوزَ قِصَرِ وَكِسْرَى وَنَرَى
 وَنَوْفَلُ مِنْ طَيْشِهِ وَنَزَقَهُ
 فَوَقَعَا فِيهِ وَأَعْطَى فِدْيَتَهُ
 فَقَالَ فِيهِ أَكْرَمُ الْبَرِيَّةِ
 عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدُّ إِذْ قَامَ لَهُ
 وَفَضَّ جَمْعَهُمْ نُعِيمُ الْأَشْجَعِيِّ
 وَعِنْدَمَا إِلَى الشَّشَّتِ الْزُّمَرِ
 مَنْ يَأْتِ بِالْخَبَرِ عَنْهُمْ يَكُنْ
 فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ غَيْرُ أَبْنِ الْيَمَانِ
 وَقَالَ خَيْرُ الْخُلُقِ لَنْ تَغْزُوْكُمْ
 وَشَغَلَ النَّبِيَّ زَحْفُ الْخَنْدَقِ

يَوْمَئِذٍ إِذْ هُوَ أُسْ نَجْرِهِ
 وَأَبْنَ رَوَاحَةٍ لَهُمْ لِيَنْجَلِي
 وَسَرَّ خَيْرَ الْخُلُقِ ذَاكَ الْخَذَلُ
 نَصْرُ خَيْرٍ مُرْسَلٍ فِي الْخَنْدَقِ
 لَمْ تَسْرِ بِاللَّيْلِ فَذَاكَ عُرَّةَ
 فَنَصَرَانِيَهُ فِي الْمَعْرَكَةِ
 ثُلُثَ تَمْرٍ طَيْبَةٍ لِيَعْدِلُوا
 وَحَكَمَ حَدَّ شَفَارَ الْقُضُبِ
 وَعَدَنَا النَّبِيُّ أَنْ نَنَالَا
 أَحَدَنَا الْيَوْمَ يَخَافُ الْمُخْتَرَى
 أَوْثَبَ طِرْفَهُ حَفِيرَ خَنْدَقَهُ
 إِخْرَانُهُ فَأَسْتَوْهُبُوهُ جُثَّهُ
 خَيْثُ جِيفَةٍ خَيْثُ دِيَةِ
 خَيْدَرَةُ بِسِيقَهِ خَرْدَلَهُ
 إِذْ نَمَ بَيْنَهُمْ بِكُلِّ مَجْمَعِ
 أَجْمَعَ أَمْرُهُمْ دَعَا خَيْرُ الْبَشَرِ
 غَدَا رَفِيقَنَا وَمِنْهُمْ يَأْمَنِ
 مِنْ شِدَّةِ الدُّعْرِ وَمِنْ بَرْدِ الْزَّمَانِ
 قُرَيْشُ بَعْدَ الْيَوْمِ وَالْغَزُوْلَكُمْ
 عَنْ ظُهُرِهِ وَعَصْرِهِ لِلشَّفَقِ

وَلَمْ يَضَعْ سِلَاحَهُ أَسْتَدْعِي رَعِيلْ
 وَقَدْفَ الْرُّغْبَ وَلَا يَدْرُونَا
 وَعَنْ صَلَةِ الْعَصْرِ قَامَ الْنَّاهِي
 إِلَى الْعِشَاءِ إِذْ يَرَاهُ أَتَمَّ رَا
 يِنَّ ثَلَاثٍ وَأَزْدَرُوا رَوَيَّةَ
 فِي كُتُبِهِمْ مَا عَنْهُ إِذْ جَاءَ أَبُوَا
 فَلَمْ يَخْلُوا خَلْفَهُمْ إِنْسَانًا
 جَيْشُ الْعَرْمَرَمَ وَلَا يَأْبَنُهُمْ
 وَجَهْلُوا كَيْفَ الْنَّكَايَةُ بِهِمْ
 فَرَقَ لِلْعَهْدِ الَّذِي بِهِمْ غَبَرَ
 وَأَسْتَعْطَفْتُ رَحْمَتَهُ الْشَّوَّانُ
 عَصَى بِهِ وَشَاطَ نَحْوَ الْمَسْجِدِ
 مُعَذِّبًا لِنَفْسِهِ مُوَرَّطًا
 وَحَلَّهُ خَيْرُ الْأَنَامِ بِيَدِيْهِ
 إِذْ غَاظَهُمْ إِطْلَاقُهُ عَنْ كُلِّ بُؤْسِ
 وَكَانَ فِي الْتَّحْكِيمِ حَسْمُ الْهَرَجِ
 مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمُخْتَارِ
 سَوَّدَهُ خَيْرُ بَنِي لُؤَيِّ
 لَا غَيْرِهِمْ عِنْدَ بَنِي نِزَارِ
 بِغَيْرِ مَا حَكَمَ فِيهِمْ فَأَحْتَمَى

ثُمَّ قُرِيَظَةُ إِلَيْهَا جِبْرِئِيلُ
 وَقَادَهُ وَرَأْلَزَ الْحُصُونَا
 وَأَسْتَدْمَرَ الْنَّبِيُّ خَيْلَ اللَّهِ
 إِلَّا بِهِمْ وَلَمْ يَعِبْ مَنْ أَخْرَا
 وَخَيْرَ أَبْنُ أَسَدٍ قُرِيَظَةَ
 أَنْ يُؤْمِنُوا فِيَأْمَنُوا فَقَدْ دَرَوا
 أَوْ يَحْصُدُوا الْنِّسَاءَ وَالصَّيْانَا
 أَوْ يَفْتِكُوا فِي الْسَّبْتِ إِذْ يَأْمُنُهُمْ
 وَضَاقَتِ الْأَرْضُ بِهِمْ لِرُعَبِهِمْ
 وَأَسْتَبْنَوْا أَبَا لَبَابَةَ الْخَبَرِ
 أَنْ جَأَرَتْ فِي وَجْهِهِ الْصَّيْانُ
 فَفَتَنُوهُ وَأَنْتَهُ عَنْ بَلَدِ
 فَقَامَ فِيهِ بُرْهَةً مُرْتَبَطًا
 فَتَابَ مِنْ هَفْوَتِهِ اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَحَكَمَ الْنَّبِيُّ فِيهِمْ سَعْدَ الْأَوْسِ
 لِابْنِ أَبِي حُلَفَاءِ الْخَزْرَاجِ
 وَحَمَلُوا سَعْدًا عَلَى حِمَارِ
 وَعِنْدَمَا أَنْتَهَى إِلَى الْنَّدِيِّ
 عَلَى الْجَمِيعِ أَوْ عَلَى الْأَنْصَارِ
 وَرَأَوْدَتْهُ قَوْمُهُ أَنْ يَحْكُمَا

لِدَمِهِمْ خَنْدَقٌ أَفْضَلُ لِرَؤْيَ
 وَعِنْدَمَا أَنْتَهَى الْحِصَارُ أَسْتَشْهِدَا
 وَخَفَّ نَعْشَهُ عَلَى عَظَمَتِهِ
 ثُمَّ غَزَا لِحَيَانَ جَرَاءَ الرَّجِيعِ
 بَعْثُ الرَّجِيعِ سَتَّةُ أَوْ عَشَرَةَ
 وَالْعَضْلُ وَالْقَارَةُ نَجْلَا الْهُوْنِ
 وَأَرْبَعُوا بِئْرٍ مَعْوَنَةَ الْفَرَرِ
 أَبَا بَرَاءٍ وَكِلَا الْبَعْثَيْنِ
 فَغَزْوَةُ الْفَابَةِ وَهِيَ ذُو قَرَدَ
 وَنَاسَهُمْ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ
 وَفَرَضَ الْهَادِي لَهُ سَهْمَيْنِ
 وَأَسْتَنْقَذُوا مِنِ أَبْنِ حِصْنِ عَشْرَاءِ
 وَأَقْبَلَتْ إِمْرَأَةُ الْغَفَارِيِ
 وَهِيَ عَلَى رَاحِلَةٍ مِنْ ذِي الْأَيْلَ
 وَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِالْمَالِحِ
 فَغَيَّرَ أَسْمَهُ وَغَيَّرَ الْإِلَالَةَ
 طَلْحَةُ بِالْفَيَاضِ سَمَاءُ الْنَّبِيِّ

(١) في بعض نسخ المنظومة زيادة بيّن بعد هذا البيت :

عصيَّةٌ فَانجذبوا ذا الخسْ
وعامر استجد رُعلاً ذكران
جزاء نجيل بنتهم طعينة

(٢) في بعض نسخ المنظومة : بيسان .

فَطَلْحَةُ الْجُودِ أَبْنُ عَمِّهِ الْخِضْمِ
 إِلَى الْحُسَيْنِ وَأَبْنِ عَوْفٍ أَسْنِدَا
 جَدُّ أَيِّهِ بِالْعُلَا حَقِيقٌ
 أَجْوَدُهُمْ كُلَّاً بِلَا نِزَاعٍ
 فَأَوْلَدَتْ عُفَاتُهُ جَوَارِيَةٌ
 جَمِيعُهُمْ لِمِثْلِهَا فَهِيَمَا
 لِغَايَةِ الْجُهْدِ وَطَبِيَّةَ أَجْتَوْا
 وَبَذُلُوا إِذْ سَمِنُوا أَمَانَهَا
 بِعَبْدِهِ وَمُقْلِتِهِ سَمَلُوا
 كِلَاهُمَا عَلَى الْغَرَزَةِ يُطْلُقُ
 غَيْرَ رِجَالٍ عَشْرَةِ قَدْ نَهَبَا
 وَوَهَبَ الْسَّبَيِّ لَهَا لِتَدْرِيَةٌ
 أَرْسَلَهُ الْهَادِي لَهُمْ مُصَدَّقًا
 خُرَزَاعَةُ مُصْطَلِقٌ جَدُّهُمْ
 فَقَالَ لَا بَاسَ بِمَوْتِ عَاتٍ
 رِفَاعَةٌ يَوْمَئِذٍ دَفِينَا
 وَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي عَصْرِ الشَّيَّابِ
 فَأَفْتَنَ الْوَارِدِ فِي الْمُزْدَحَمِ
 لَطَمَهُ مَنْ نَالَهُ مَعْرُوفُهُمْ
 عَصَا النَّبِيِّ جَهْجَاهُ عَامِلُ عُمَرْ

فَالْطَّلَحَاتُ خَمْسَةُ سِوَى الْعَلَمِ
 وَطَلْحَةُ الْخَيْرِ وَطَلْحَةُ النَّدَى
 وَطَلْحَةُ الدَّرَاهِيمِ الْعَتِيقُ
 سَادِسُهَا طَلْحَتُهَا الْخُرَزَاعِيُّ
 فِي سَنَةٍ وَهَبَ أَلْفَ جَارِيَةٍ
 أَلْفَ غُلَامٍ بِاسْمِهِ سَمَّى الْإِمَامَ
 وَبَعْدَهَا أَنْتَهَبَا الْأُولَى أَنْتَهَوَا
 فَخَرَجُوا وَشَرَبُوا أَلْبَانَهَا
 فَاقْتَصَّ مِنْهُمُ النَّبِيُّ أَنْ مَثَلُوا
 ثُمَّ الْمُرَيْسِيَعُ أَوِ الْمُصْطَلِقُ
 لَمْ يَنْفَلِتْ مِنْهُمْ أَنِيَسٌ وَسَبَا
 أَعْمَارُهُمْ وَسُبَيْتُ جُوَيْرِيَةٌ
 وَأَسْلَمُوا بَعْدًا وَفِي مَنْ فُسَقَا
 (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ) أَنْزَلَ وَهُمْ
 وَأَفْرَزَعَتْ رِيحُ خِيَارِ الْنَّاتِ
 فَوَجَدُوا كَهْفَ الْمَنَافِقِينَا
 وَهُوَ النَّفَاقُ فِي الشُّيُوخِ لَا الشَّيَّابُ
 وَوَرَدَتْ وَارِدَةُ الْعَرْمَرَمِ
 فَأَسْتَصْرَخَ الْأَنْصَارَ فَارْطُ لَهُمْ
 وَأَسْتَصْرَخَ الْمُهَاجِرِينَ اللَّذُ كَسَرَ

وَعَاهُ زَيْدٌ مُوقِنًا وَمَا أَمْتَرَى
وَصَدَقَتْهُ لِلْمَكَانَةِ رِجَالٌ
إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا
زَيْدٌ بْنٌ أَرْقَمٌ ذِي الْإِسْتِمَاعِ
بِالْكَذِبِ الْمَحْضِ وَأَوْلَاهُ الْيَقِينُ
أَنَّ الْيَمِّيمَ بِهَا قَدْ أُنْزِلَ
مُعْتَمِرًا وَمَا بِحَرْبٍ أَعْتَنَى
عَرْمَرَمًا وَصُدَّ عَنْ أُمِّ الْقُرَى
عَنْ مَكَّةَ نَاقْتَهُ إِذْ حُبَسَتْ
فَأَسْتَبْطُوا بِالسَّهْمِ مَا أَعْلَهُمْ
مَا كَانَ عَنْ صُبَابَةِ فِي رَكْوَةِ
فَخُوَّلُوا مِنْهَا سِوَى الْمُعْتَادِ
وَكَمْ قَلِيلٌ بِالْمَعِينِ فُجُّرًا
إِذْ قِيلَ قَدْ عَدُوا عَلَى عُثْمَانِ
أَرْسَلَهُ تَحْتَ الْخُزَاعِيِّ الْمُغَدِّ
نَبَيَّنَا مِكْرَزٌ عُرْزَوَةُ الْحَرِدِ
هُوَ لَهُمْ بِرَدٌ أَحْمَدٌ بَذِي
حَتَّى أَتَى سُهِيْلُهُمْ فَأَسْتَرْجَعَهُ
لِلرِّشْدِ فِي آرَائِهِ لَمْزَقُوا
أَكْثَرُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلُ أَسْلَمَ

وَقَالَ فِيهَا أَبْنُ أَبَيِّ مُنْكَرًا
وَحَلَفَ الْفَاجِرُ مَا قَالَ الْمَقَالُ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ لِئِنْ رَجَعْنَا
وَعَرَكَ النَّبِيُّ أَذْنَ الْوَاعِي
أَنْ شَهَدَ اللَّهُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ
وَالْإِفْكُ فِي قُفُولِهِمْ وَنَقْلَا
ثُمَّ الْحُدَيْبِيَّةُ سَاقَ الْبُدْنَا
وَمِنْ سِوَى الْمُخَلَّفِينَ أَسْتَنْفَرَا
وَمَا أَنْتَنِي بِالْجَيْشِ حَتَّى أَقْعَنْسَسْتُ
فَأَسْتَنْزَلَ النَّاسَ وَلَا مَاءَ لَهُمْ
وَعَلَهُمْ أَيْضًا بِهِذِي الْغَرْزَوَةِ
وَجَمَعُوا لَهُ بَقَائِيَا الْزَادِ
وَكَمْ قَلِيلٌ غَيْرَ ذَاكَ كُثُرَا
وَبَأَيْعُوْهُ بَيْعَةَ الْرَّضْوَانِ
وَعَقَرُوا جَمَلَهُ الْتَّعَلَبَ إِذْ
وَكَانَ مِمَّنْ بَعْثُوْهُ يَسْتَرِدُ
وَالْحَارِثِيُّ الْمَتَالِهُ الَّذِي
وَلَمْ تَرَزِّلْ بَيْنَهُمْ الْمُرَاجَعَهُ
لَوْلَا نَبِيُّ الْرَّحْمَهُ الْمُوْفَقُ
أَسْلَمَ بَعْدَ عَوْدِهِ بِالْعُظَمَاءِ

وَفِيهِ إِبْقَاءٌ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ
 هَذِيَا وَإِنْكَاءٌ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ
 شُعُورَهُمْ لِلْبَيْتِ رِيحٌ قَدْ غَلَّتْ
 وَمِنْهُ رَدٌّ مَنْ أَتَاهُ مُسْلِمًا
 إِذَا أَخْذُوا الْطُرُقَ عَلَى صُهْبِ الْسَّبَابِ
 سَيِّدِهِمْ هَذَا مَحْشُ حَرْبِ
 فِي صَرْفِهِمْ إِلَيْهِ عَنْ أَرْضِهِمْ
 أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى الرَّسُولِ
 حَيْدَرَةً وَبِالْعُقَابِ قَدْ حُبِيَ
 بِبَابِ حِضْنٍ لَا يُزَاحُ إِذْ رَسَّا
 لِصِنْوِهِ مُحَمَّدٌ وَأَسْلَمَهُ
 مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ بِهِ تَمَغَّفَرًا
 خَيْرُ الْوَرَى وَقَالَ إِذَا نَشَدَهُ
 وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
 هَلَكَ مِنْ رُجُوعِ سَيِّفِهِ إِلَيْهِ
 وَأَخْبَرَ الْهَادِي بِهِ بَادِ بَدَا
 وَأَسْتَشْهِدَتْ (يَهِ) وَلَا مَزِيدًا
 فَشَاطَرَتْ يَهُودُهُ خَيْرُ الْوَرَى
 أَغْلَهَا فَهِيَ عَلَيْهِ شُعْلَةٌ
 بِمُؤْتَهِ جَيْشًا عَلَيْهِ أَمْرًا

وَفَسَرُوا بِذِلِكَ الْفَتْحَ الْمُبِينَ
 وَبَعُثُوا جَمَلَ عَمْرِو بْنِ هِشَامَ
 وَنَحَرُوا وَحَلَقُوا وَحَمَلَتْ
 وَأَغْلَظُوا فِي الْصُّلْحِ حَتَّى أُبْرِمَ
 وَهُمْ عَلَيْهِمْ بَعْدَ رَدِّهِمْ وَبَالْ
 وَأَنْسَدَبُوا لِقَوْلِهِ فِي الْنَّذْبِ
 وَأَسْتَعْطَفُوا خَيْرُ الْوَرَى بِالرَّحْمِ
 وَ(سُورَةُ الْفَتْحِ) لَدَى الْقُفُولِ
 ثُمَّ لِخَيْرِ وَرَشَّحِ النَّبِيِّ
 وَفَازَ بِالْفَتْحِ وَكَانَ تَرَسًا
 وَغَلَّ قَاتِلَ سَلِيلِ مَسْلَمَةَ
 وَغَالَ مِرْحَبًا وَقَدَ حَجَرًا
 وَعَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعَ أَسْتَشَدَهُ
 وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا أَهْتَدِيْنَا
 وَإِذْ تَرَحَّمَ لِلإِنْشَادِ عَلَيْهِ
 وَأَسْتَشَعِرُ الْفَارُوقُ أَنْ يُسْتَشَهِدَا
 وَقُتِلَتْ تِسْعُونَ مِنْ يَهُودَا
 وَمَرَّ رَاجِعًا إِلَى وَادِي الْقُرَى
 وَأَهْلَكُوا غُلَامَهُ ذَا الْشَّمْلَةَ
 ثُمَّ إِلَى الْرُّوْمِ النَّبِيُّ أَسْتَنْفَرَا

فَابْنَ رَوَاحَةٍ وَلَا يَا أَنْبَرَا
 فَعَائِنَ الَّذِي أَتَوْا وَأَدْرَكَهُ
 عَشْرَةَ آلَافٍ فَعَزَّ وَأَنْصَرَ
 سَحَابَةٌ وَمِنْ بَلِيقٍ شِعْرِهِ
 حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتَلَدَا
 عَنْ مَكَّةَ فَلَمْ يُوَرِّبَلْ جَهَرْ
 أَشَاهُ غَدْرُ قَوْمِهِ فَأَنْفَصَمَا
 أَرْسَلَ إِذْ زُحْوْفُهُ شَرَعَتِ
 فَأَوْدَعَتْهَا قَرْنَهَا تِلْكَ الْمَرَةَ
 مَنْ جَاءَهُ كُرْهَا بِهَا وَأَمْشَلَا
 وَنَجْلُ عَمَّهُ عَزِيزٌ فِتَّهُ
 فَأَسْتَشْفَعَالَهُ بِأَمْ سَلَمَةَ
 أَمَامَهُ حَتَّى أَنْتَهُوا إِلَى الْحَرَمِ
 أَرْضَى بِهَا اللَّهَ وَأَرْضَى حِزْبَهُ
 مُحَرَّمٌ مُؤْمَنٌ مِمَّنْ هَجَّمِ
 أَمَرَ أَنْ يُوقَدَ كُلُّ مُسْلِمٍ
 وَكَانَ يَرْتَقِبُهُ الْنَّيْرَانَا
 فَالْتَّقَيَا فَجَابَهُ عَنْ كَثِّ
 رِجَالَهُمْ خُلْتَهُ وَأَنْشَدَا
 هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ

زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ثُمَّ جَعْفَرَا
 وَرُفِعَتْ لِلْهَاشِمِيِّ الْمَعْرَكَةُ
 ثُمَّ إِلَى الْفَتْحِ الْخُرَاعِيِّ دَمَرْ
 وَهُوَ الَّذِي تَهَلَّلَتْ لِنَصْرِهِ
 يَا رَبِّ إِنِّي نَاسِدُ مُحَمَّدًا
 لِدَعْوَةِ النَّبِيِّ أُخْرَ الْغَبَرْ
 وَخَابَ صَخْرٌ إِذْ أَتَى يَرَأْبُ مَا
 وَحَاطِبٌ إِبْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ
 إِلَى قُرَيْشٍ رُقْعَةً مَعَ مَرَةٍ
 فَأَخْبَرَ الْهَادِي بِهَا فَأَرْسَلَ
 وَلِلَّنِيِّ عَرَضَ أَبْنُ عَمَّتِهِ
 وَعَنْهُمَا أَغْرَضَ حَرَّا مَائِمَةً
 وَأَقْبَلَتْ جُنُودُ صَفْوَةِ الْأَمَمِ
 وَضُرِبَتْ لَهُ هُنَاكَ قَبَّةُ
 فَأَحْتَرَمَ الْحَرَمَ إِذْ هُوَ الْحَرَمُ
 وَحِينَ حَلَّ بِإِزَاءِ الْحَرَمِ
 نَارًا فَأَبْصَرَ أَبُو سُفَيْفَانَ
 فَأَرْتَاعَ فَانْسَلَ إِذْنَ عَمِ النَّبِيِّ
 وَزَعَمَ أَبْنُ قَيْسٍ أَنْ سَيُحْفِدَا
 إِنْ يَغْلِبُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عِلْمَ

رَمْزٌ (يَبِ) مِنْ قَوْمِهِ فَانْهَزَ مَا
 فَأَسْتَفْهَمْتُهُ أَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ
 إِنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الْخَنْدِمَةِ
 وَأَسْتَقْبَلْتَنَا بِالسُّلُوفِ الْمُسْلِمَةِ
 يَوْمَئِذٍ إِذْ هُوَ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ
 وَنَاخِسِ الْبُكْرِ بِيُنْتِ الْمُضْطَفَى
 ذَا بَطْنَهَا وَالْبَرْحَ مِنْهُ لَاقَتِ
 لِقْتِلَهِ وَالنَّارَ عَنْهُ دَفَعَا
 تَدَارَكَتْهُ رَحْمَةُ الْخَلَاقِ
 سُبْحَانَهُ مِنْ رَاحِمٍ مَا أَرْحَمَهُ
 وَهَكَذَا رَسُولُهُ كَانَ لَنَا
 عَنْهُ وَعَنْ تَوْحِيدِهِ أَبَى وَصَدَّ
 لِلْمُدَنِّي بِشِبْرٍ أَوْ دِرَاعٍ
 فَضَاعَفَ الْأَجْرُ لَهُ وَأَجْزَلَهُ
 فَفَوْقُ يُؤَجِّرُ بِحُسْنِ الْنِيَّةِ
 وَهِيَ عَظِيمَةُ تُرَوْعُ الْقُلُوبَ
 كَانَهَا الظُّفُرُ فِي الْدُّقَاقَةِ
 نَبَيَّنَا أَنْ عَيَّرُوهُ نَخْسَهُ
 عَنْ سَيِّئِ الْحُوْبِ وَمَا أَكْرَمَهُ
 وَكَابِنِ عَمِّهِ وَأَهْلِ بَكْتِهِ

وَشَهِدَ الْمَأْزِقَ فِيهِ حُطَمَا
 وَجَاءَ فَأَسْتَغْلَقَ بَابَهُ الْبُشُونُ
 فَقَالَ وَالْفَرَزُ زَعْفَرَ دَمَهُ :
 إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرَمَهُ
 وَفَازَ مَنْ لَأَذْبَهِ وَأَسْتَرْحَمَهُ
 كَابِنِ أَبِي سَرْحٍ وَزَيْرِ الْخُلَفَا
 وَهَلَكَتْ لِنَحْسِنَهِ وَأَلْقَتِ
 بِحَرْقِهِ أَمَرَ ثُمَّ رَجَعَا
 وَبَعْدَ مَا أَشْفَى عَلَى الْإِحْرَاقِ
 فَحَقَنَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامَ دَمَهُ
 أَخْنَى وَأَرَافُ مِنَ الْأَمْبَانَا
 يُدْخِلُنَا الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ شَرَدَ
 يَقْرُبُ بِالْذِرَاعِ أَوْ بِالْبَاعِ
 وَمَنْ أَتَى يَمْشِي أَتَاهُ هَرَوْلَهُ
 يُضَاعِفُ الْأَجْرَ لِسَبْعِ مِئَةِ
 مِنْ لُطْفِهِ أَنَّ صَحَافَ الْدُّنُوبَ
 لَا تَزِنُ الْتَّهِيلَ فِي بَطَاقَةِ
 بِسَبِّهِ مَنْ سَبَّهُ أَنَسَهُ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَحْلَمَهُ
 وَكَابِي سُفِيَّانَ وَابْنِ عَمَّتِهِ

وَالْحَقُّ عَنْوَةَ وَكَرْهًا أَخْذَتْ
 بِقَوْلِهِمْ يَسْكُنُ بَعْدَهَا الْحَرَمْ
 تَدَارَكْتَهُ رَحْمَةً فَأَشْفَقَتْ
 وَبِالَّذِي بِهِ فَضَالَةٌ عَنِي
 عَنْ رَغْمٍ قَوْمِهِ الَّذِينَ عِنْدَهُ
 عَنْ مَكَّةَ مِنَ الْأَلْوَفِ أَثْنَا عَشْرَ
 بِكُلِّ مَخْرِمٍ لَهُمْ وَأَبْلُوا
 بِغَلَسٍ شَدُّوا إِلَيْهِ وَهُوَ غَرْ
 وَأَدْبَرْتْ تَخْدِي بِهِمْ غُلْبُ الْرِّقَابِ
 مَرَّ جَهَامٍ بِالْبَهَالِيلِ نُفْرَ
 وَزَحْرَ حُوا عَنْهُ زُحُوفُ الْعَرَبِ
 وَقُبْصَةُ الْتُّرْبِ قَضَتْ بِالْفَلَجِ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَمِمَّنْ أَلْفَهُ
 سُفِيَّانَ جَعْفَرَ أَبْنُهُ الْمُتَّخَبُ
 وَفَضْلُهُ أَسَامَةُ الْأَكِيَاسُ
 شَيْبَةُ رَامَ غَدْرَ خَيْرِ مُضَرِّ
 نَيْشَا فِي صَدْرِهِ فَجَذَبَهُ
 مِنْ طَائِفٍ لَعَلَّ أَنْ يُسْتَرْجِعَ
 يَوْمَئِذِ لَهُ وَلَمْ تُجْمِجِمْ
 مِنْ سَيْبٍ رَبِّ ذِي عِنَائِيَةٍ بِهِ

وَأَخْتَلَفُوا فِيهَا فَقِيلَ أُمَّنَتْ
 وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ بَارِيُّ النَّسَمْ
 وَبِالَّذِي قَالُوهُ إِذْ لَمْ يُرْهِقَا
 وَبِالَّذِي قَالُوهُ فِي الْمُؤَذِّنِ
 وَأَخَذَ الْمِفْتَاحَ ثُمَّ رَدَهُ
 ثُمَّ إِلَى وَادِي حُنَيْنٍ أَنْحَدَرْ
 فَوَجَدُوا هَوَازِنًا تَاهَبُوا
 وَبَيْنَمَا الْجَيْشُ إِلَيْهِمْ يَنْحَدِرْ
 فَاسْتَنْفَرُوا بِهِمْ لِذِلِكَ الْرِّكَابُ
 وَأَسْتَنْزَلُوا وَأَدْرَعُوا وَهِيَ تَمْرَ
 فَاقْتَحَمُوا عَنْهَا وَأَبْوَا لِلنَّبِيِّ
 فَأَرْسَلَ اللَّهُ جُنُودَ الْفَرَّاجِ
 وَثَبَّتْ مَعَ النَّبِيِّ طَائِفَةٌ
 حَيْدَرَةُ وَالْعُمَرَانِ وَأَبْوَا
 وَعَمْلَهُ رَبِيعَةُ الْعَبَاسِ
 وَأَيْمَنُ أَبْنُ أُمَّهِ وَالْعَبْدَارِيِّ
 فَصَدَّهُ عَمَّا نَوَى فَضَرَبَهُ
 وَوَقَفَ الْسَّبْنِيَّ إِلَى أَنْ رَجَعَ
 أَعْطَى عَطَايَا شَهِدَتْ بِالْكَرَمِ
 وَكَيْفَ لَا وَمُسْتَمَدُ سَيِّبِهِ

أَعْطَى عَطَايَا أَخْجَلَتْ دُلْحَ الْدِيْمَ
 رُهَاءَ الْفَيْ نَاقَةَ مِنْهَا وَمَا
 لِرَجُلٍ وَبِلَهَ مَا لِحَلْقَهَ
 مِنْهَا أَفَادَ الْعَمَّ مَا نَاءَ بِهِ
 وَوَكَلَ الْأَنْصَارَ خَيْرَ الْعَالَمِينَ
 فَوَجَدُوا عَلَيْهِ أَنْ مَنَعُهُمْ
 وَقَالَ قَوْلًا كَالْفَرِيدِ الْمُونِقِ
 وَأَذْرَكَ الْفَلَ بِأَوْطَاسَ السَّرِي
 وَغَالَ تِسْعَ إِخْوَةَ مُبَارَزَةً
 وَإِذْ تَوَى دَوَخَهُمْ حَفِيدُهُ
 فِلِثِقِيفٍ وَهُنَيْ فِي حُصُونِ
 فَسَأَلُوهُ الْكَفَّ عَنْ قَطْعِ الْكَرَمِ
 فَهَابَهُ وَالْمَنْجَنِيقَ ضَرَبَا
 وَنَوْفَلُ أَسْتَشَارَهُ فِي أَمْرِهِ
 ثُمَّ لِرُومٍ بِتَبُوكَ أَسْتَنْفَرَا
 وَمَعَهُمْ لِحَرْبِهِ الْأَلْبَ لَهُ
 وَحَضَّ الْأَغْنِيَا عَلَى الْحُمَلَانِ
 عَلَى بَعِيرٍ عَشَرَةَ تَعْتِقَبُ
 يَقْتَسِمُ النَّفَرُ تَمَرَةً وَمِنْ
 وَقَعَدَ الْبَاكُونَ وَالْمُعَذْرُونَ

إِذْ مَلَأْتُ رُحْبَ الْفَضَّا مِنَ النَّعْمَ
 مَلَأَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ غَنَمَ
 مِنْهَا وَمِنْ رَقِيقِهِ وَوَرِقِهِ
 فَهَالَ مِنْهُ عَمْهُ عَنْ ثَوْبِهِ
 لِدِينِهِمْ إِذْ أَلَّفَ الْمُؤْلَفِينَ
 فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ مَنْ جَمَعَهُمْ
 عَنْ نَظِيمِهِ ضَعُفَ سِلْكُ مَنْطِقِي
 عَمْ أَبِي مُوسَى الشُّجَاعُ الْأَشْعَرِي
 وَفَرَّ عَاشِرُ لَدَيِ الْمُبَارَزَةِ
 وَجَاءَ بِالْفَلَ وَهُمْ عَيْدُهُ
 بِطَائِفٍ أَقْبَلَ مِنْ حُنْيَنِ
 بِاللَّهِ وَالرَّحْمَنِ فَأَرْتَادُوا الْكَرَمَ
 وَسُئَلَ الْدُّعَا عَلَيْهِمْ فَأَبَى
 فَقَالَ هُمْ كَثَلَبٍ فِي جُحْرِهِ
 (لَامَ) الْوَفِ عَامَ عُسْرٍ أَعْتَرَى
 غَسَانُ لَخْمٌ وَجُذَامُ عَامِلَةٍ
 وَنَكْصُوا دُونَ مَدَى عُثْمَانِ
 وَعَزَّ مَطْعَمٌ وَعَزَّ مَشْرَبٌ
 فَرَثَ الْأَبَاعِرِ شَرَابٌ قَدْ يَعِنْ
 وَعَسْكَرَتْ فَرَبَتْ الْمُنَافِقُونْ

تَابَ عَلَيْهِمْ رَبُّنَا يَقِينًا
 وَأَبْنُ أُمَيَّةٍ هِلَالُ الرَّفِيعُ
 قَدْ لَحِقَ وَجَاءَ أَرْضَ الْحِجْرِ
 أَنْ لَا يَمْرِرَ أَحَدٌ كَمَا يَرَى
 وَمَنْ وُفُودٌ طَيِّبٌ أَتَهُ بِهِ
 فَأَرْسَلَ اللَّهُ سَحَابَةً تَوْمَ
 خُصًّا بِسَهْمَيْنِ بِسَهْمِهِ الْعَلِيِّ
 وَبِذَلِّهِ بِهِ النَّبِيِّ أَمَرَا
 مُجْرِمُهُمْ مَا قَالَ فَابْتَهَهُ
 وَصَحْبِهِ «كُنَا نَخُوضُ» فَاعْتَنِ
 وَقَعَدَ الْثَّلَاثَةُ الَّذِينَا
 كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ مُرَارَةُ الرَّبِيعُ
 وَأَبَدَ وَأَخْيَثَمَةُ وَذَرُ
 فَذَبَ عَنْ مِيَاهِهِ وَأَمَرَا
 فَعَقَّهُ الْمَخْنُوقُ فَوْقَ مَذْهَبِهِ
 فَأَصْبَحَ النَّاسُ وَلَا مَاءَ لَهُمْ
 عَلَى تَخَلُّفِ بِطَيْبَةِ عَلِيِّ
 وَسَهْمِ جِبْرِيلَ وَكَانَ حَضَرَا
 وَقَالَ إِذْ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ
 وَنَزَلَتْ يَوْمَئِذٍ فِي مَخْشَنِ

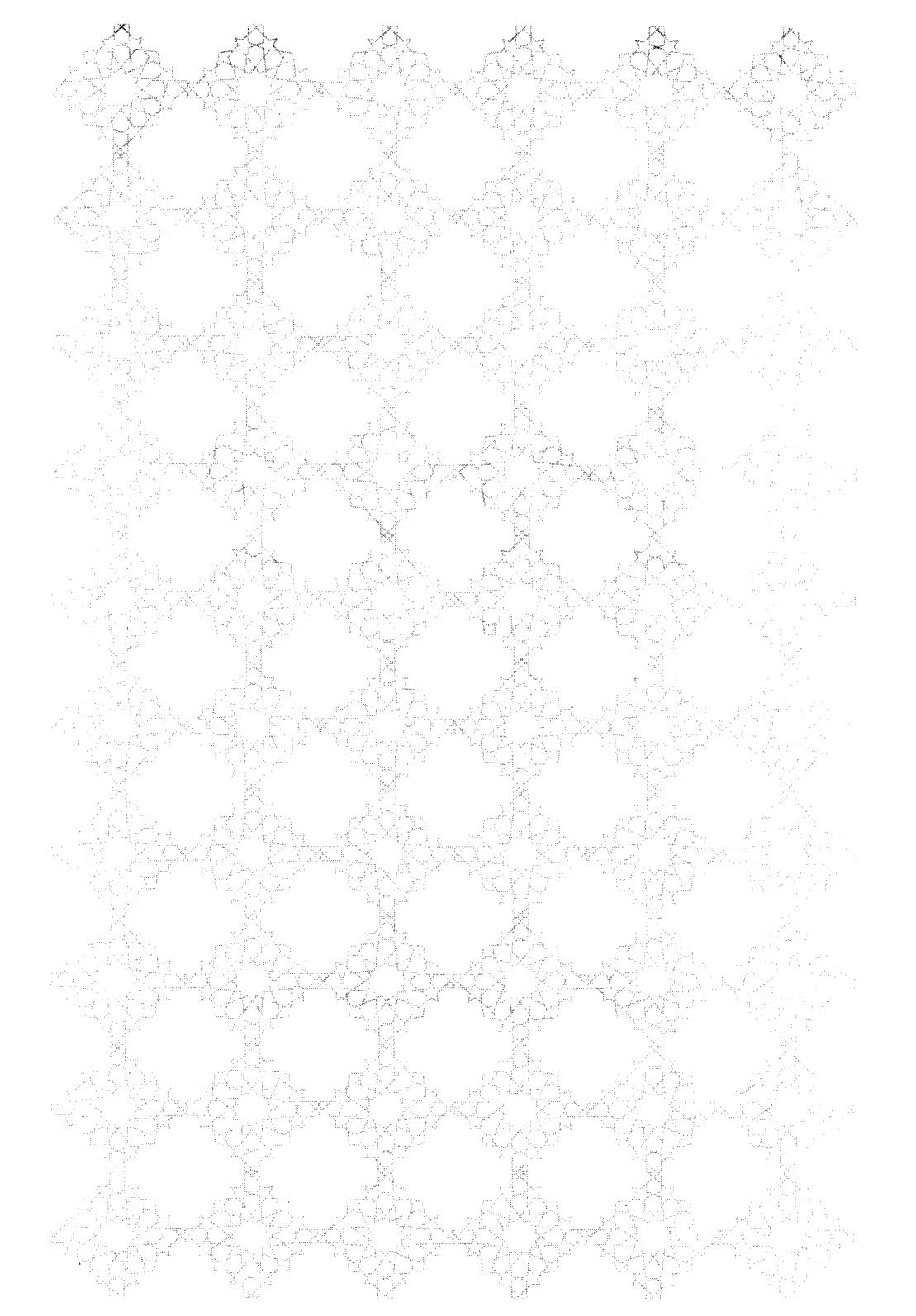
أَنْتَ لَهُ الْمَكْنَىٰ

فِي مَغَازِيِّ خَيْرِ الْوَرَىٰ

الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

شِرْعُ الْعَدَدَةِ الْمُحَدِّثِ الْأَصْرُورِيِّ الْفَقِيْهِ

الْقَاضِيِّ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَشَاطِ



قال الناظم رحمة الله تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدًا لِمَنْ أَرْسَلَ خَيْرَ أُمَّةٍ بِخَيْرِ الْمِلَلِ

(حمداً) بالنصب : معمول لفعل ممحوف ؟ أي : أَحمد الله حمداً ، فالجملة فعلية ، اختارها لدلالتها على التجدد والحدوث ، ومعنى الحمد معروف ، والمحمود هو الله تعالى ، ويتعدى الحمد باللَّام ، كما قال : (لمن) أي : الله الذي (أَرْسَلَ خَيْرَ مُرْسَلٍ) على الإطلاق بإجماع من يعتد به ، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُلْهُدَيْ وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُمْ وَكَفَوْنَ بِاللَّهِ شَهِيدًا » وقال الله تعالى : « وَإِذَا حَدَّ اللَّهُ مِيقَاتَ الْمَيْتِنَ لَمَّا أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتُنَصِّرُنَّهُ قَالَ أَفَرَرَتُمْ وَأَخْذَتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشَهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » .

ويتعلق بأرسن قوله : (لخیر اُمّة) قيل : هي اُمّته صلى الله عليه وسلم ، وقيل : الصحابة خصوصاً ، وعليهما اختلف العلماء في قوله تعالى : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » الآية ، ويتعلق بمرسل قوله : (بخیر المِلَلِ) بكسر الميم وفتح اللام ، جمع ملة ، وهي الحنفية السَّمِحة ، ملة إبراهيم عليه الصَّلاة والسلام .

الإجماع على أن
الرسول صلى الله عليه
 وسلم خير الخلق على
 الإطلاق

وعلم من كونه صلى الله عليه وسلم خير مرسل : أنه خير
الخلق على الإطلاق ، وهذا مما لا يمتنى فيه إلا معاند أو
كفور ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم
ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما مننبي يومئذ آدم
فمن سواه إلا تحت لوابي ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع
ولا فخر » رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه .

وما ذكره الزمخشري في « كشافه » فلته اعتزالية ؛ فقد
انعقد الإجماع على خلافه ، بل تفضيل الملائكة على الأنبياء
عند المعتزلة فيما سواه صلى الله عليه وسلم ، فهم مع أهل
السنة في تفضيله مطلقاً .

قال في « إضاءة الدجنة » :

وما نحا « الكشاف » في التكوير
خلاف إجماع ذوي التنوير

وحسينا في فضله صلى الله عليه وسلم على كل مخلوق
حديث الشفاعة العظمى في ذلك الموقف الهائل العظيم .

والأنبياء تقول نفسي نفسي
سواه فالفضل له كالشمس
اللهم شفعه فينا ، واجعله مقبلاً علينا ، راضياً عننا
يا كرييم .

واعلم : أن عموم أدلة رسالته صلى الله عليه وسلم كثيرة
في القرآن والسنة ، قال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافراً

تحرير مقالة المعتزلة في
أفضليته صلى الله عليه
 وسلم المطلقة

عموم أدلة رسالته صلى
 الله عليه وسلم في
 القرآن والسنة

لِلَّذِينَ يَشِيرُوا وَنَكِيدُرُوا» ، وقال تعالى : «بَارَكَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» ، وقال تعالى : «لَيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيَا» حتى إِنَّهُ أَرْسَلَ لِلْمَلَائِكَةِ ؛ لِيَعْلَمُهُمْ أَدْبَرَ الْعُبُودِيَّةِ لِحَضْرَةِ الرَّبِّ ، لَا لِيُؤْمِنُوا ؛ لَأَنَّهُمْ عَبَادُ مَكْرَمَوْنَ ، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ ، وَيَفْعُلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ .

ثُمَّ أَتَيْعَ النَّاظِمَ ذَلِكَ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَدْاءُ لَبْعَضِ مَا يُجْبِي لَهُ ؛ إِذْ هُوَ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَالْخَلْقِ ، وَجَمِيعُ النَّعْمَ الْوَالِصَّلَةِ إِلَيْنَا إِنَّمَا هِيَ بِبَرْكَتِهِ ، وَعَلَى يَدِيهِ الَّتِي أَعْظَمَهَا الْهَدَايَا لِلإِسْلَامِ ؛ وَامْتَلَأَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : «يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ إِيمَانُهُمْ صَلُوًا عَلَيْهِ وَسَلِيمًا تَسْلِيمًا» ، فَقَالَ : (وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَىٰ) سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ (الْبَابِ) أَيْ خَالِصٌ (صَفْوَةِ) أَيْ : صَفْوَةُ الصَّفَوَاتِ مِنْ (الْأَنَامِ) أَيْ : الْخَلْقِ .

روى الطبراني في «الأوسط» عن ابن عمر رضي الله عنهما : أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَ خَلْقَهُ ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بْنَيْ آدَمَ ، ثُمَّ اخْتَارَ بْنَيْ آدَمَ ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ الْعَرَبَ ، ثُمَّ اخْتَارَ الْعَرَبَ ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ قَرِيشًا ، ثُمَّ اخْتَارَ قَرِيشًا ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بْنَيْ هَاشِمٍ ، ثُمَّ اخْتَارَ بْنَيْ هَاشِمٍ فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ ، فَلَمْ أَزِلْ خَيَارًا مِنْ خَيَارٍ ، أَلَا مَنْ أَحْبَبَ الْعَرَبَ .. فَبِحِبَّيِ أَحْبَبَهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ .. فَبِيَغْضِي أَبْغَضَهُمْ » .

وَآلِهِ أَفْنَانِ دَوْحَةِ الشَّرَفِ وَصَحِّهِ وَالْتَّابِعِي نِعْمَ الْسَّلَفُ

آل الرسول صلى الله عليه وسلم (وآله) : هم أقاربه المؤمنون من بني هاشم عند المالكية ، أو بني المطلب كما هو قول آخر لهم كالشافعية ، (أفان) : جمع فن ، كأسباب وسبب ؟ أي : أغصان (دودة) : هي الشجرة العظيمة (الشرف) شبيه الآل بذلك في العظم ، مع أنهم أعظم من ذلك ؟ لأنَّه قد يكون المشبه به دون المشبه ، كما قال أبو تمام - لما امتدح بعض الأمراء بقوله :

إِقْدَامٌ عَمْرِو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ
فِي حَلْمٍ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَّاسٍ

وقيل له : أتشبهُ الأمير في الحلم بأجلاف العرب ؟! -

لَا تُنَكِّرُوا ضَرْبِي لِهِ مَنْ دُونَهُ
مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ^(١)

فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَلَ لِنُورِهِ
مَثَلًا مِنَ الْمِشْكَاهِ وَالنَّبْرَاسِ
يعني قوله تعالى : ﴿أَلَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ مَثَلُ نُورٍ
كَمُشْكُوَّةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الآية .

(وصحبه) : هم من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، واجتمع معه أو ان حمل الدعوة ولو مرة .

وَهُمْ عُدُولٌ كُلُّهُمْ لَا تَشْتَبِهُ
النَّوَّا يَأْجُمَعَ مَنْ يُعْتَدُ بِهِ

(التابعي) : وهو من لقي الصحابي ولو بلا طول ،

تعريف الصحابي

(١) مقول لقوله : (قال أبو تمام) .

كالصحابي معه صلى الله عليه وسلم ، قال العراقي : (وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة والتبعين بقوله : « طوبى لمن رأني وأمن بي ، وطوبى لمن رأى من رأني ، ولمن رأى من رأى من رأني وأمن بي ، طوبى لهم ، وحسن مآب » رواه الطبراني في « الكبير » ، والحاكم في « المستدرك ») .

وقد تُحذف نون الجمع اختياراً كما في السبع : « **وَالْمُقِيمِيَّ الْصَّلَوة** » بحسب الصلاة ، وفي نسخة بحذف أداة التعريف ، وإضافة تابعي إلى لفظة (نعم السلف) على حدّ : نعم السير على بئس العير ، كأنه قال : وتابع الصحابة الذين هم نعم المتبوع ، فال مدح إذن خاص بالصحابة ، قاله في « روض النهاة » .

(ما) : هي مصدرية (أرهفت) : رقت (وأرعت) : أسالت (يراعه) : قصَب تبرى منه الأقلام ، وقد تنازعه الفعلان قبله على المفعولية (في مُهْرَق) بوزن مكرم : الصحيفة ، وتنازع الفعلان ، قوله : (ينابع البراعه) على الفاعلية ، وهو جمع ينبع ، يقال للماء الكثير ، قال في « روض النهاة » : (وعَرَّ به عن العلم) والبراعة : الغلبة في العلم والفهم وغيرهما .

وَجَلْجَلَ الرَّعْدُ وَسَحَّ مُزْنَهُ وَهَبَ شَمْأُلٌ وَمَاسَ غُصْنُهُ
وَبَعْدَ فَالْعِلْمُ أَهْمُ مَا الْهِمَمُ تَنَافَسَتْ فِيهِ وَخَيْرُ مُغْتَنَمٌ

(و) ما (جلجل) صوت (الرعد) هو الملك ، أو صوته .
روى أبو عيسى في سننه بسنده إلى ابن عباس قال :
(أقبلت يهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا :
يا أبا القاسم ؛ أخبرنا عن الرعد ما هو ؟ قال : « ملَكٌ من
الملائكة موكل بالسحاب ، معه مخاريق من نار ، يسوق بها
السحاب حيث شاء الله » قالوا : فما هذا الصوت الذي نسمع ؟
قال : « زجره بالسحاب إذا زجره ، حتى ينتهي إلى حيث أمر »
قالوا : صدقت) وهو قطعة من حديث قال فيه الترمذى :
حديث حسن صحيح غريب ، والمخاريق : جمع مخرارق ،
وهو في الأصل : منديل يلف ويضرب به الصبيان بعضهم
بعضًا ، والمراد هنا : آلة تزجر بها الملائكة السحاب .

(وسح) صب (مزنه) ماء مطر الرعد ، (و) ما (هب)
ريح (شمائل) بفتح الشين ، وإسكان الميم ، وفتح الهمزة ،
على إحدى لغاته العشر ، ولا تكاد تهب ليلاً ، كما سيأتي إن
شاء الله تعالى في غزوة الخندق ، (و) ما (ماس) تبخرت ،
ومال (غصنه) أي : الشمائل ، أضيف إليه للملابس ،
ومراده : أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه
وأتباعه مدة دوام ما ذكر ، يعني على التأييد ؛ لأنَّهم يذكرون
مثل هذا في معنى التأييد ، لا محض التقييد .

(وبعد فالعلم أهمل) أي : أعظم (ما) أي : شيء (الهمم)
تنافست) وافتخرت (فيه) لأنَّه بالعلم يكون الإنسان إنساناً

(وأنت بالروح ، لا بالجسم إنسان) وبه يكون الوصول إلى الله تعالى ، وقد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالازدياد منه ، بقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ رِزْقِنِي عِلْمًا ﴾ ، وكفى بذلك شرفاً (و) هو (خير مغتنم) يغتنمه الإنسان ؛ لأنّه ينتفع به حتى بعد موته ، فيصل إليه ثمرة ما كان نشره منه في حياته ، وينتفع به في قبره .

ولما كان من عادة المؤلفين أن يفضلوا الفن المؤلف فيه على غيره ، ترغيباً للطلابين ، وتشييطاً للقارئين . . قال الناظم مستدلاً على أفضليته بما دلّ عليه ، كما قال العلّامة أحمد بن المقرّي في « إضاءة الدّجّنة » :

وَكُلُّ عِلْمٍ لِلْمَزِيَّةِ اكْتَسَبْ

فَالْفَضْلُ مِنْ مَعْلُومِهِ لُهُ انْتَسَبْ

(وخيره) أي : خير العلم مبتدأ (والعلم تسمو) أي : تعلو ، من سما يسمو (رتبته) : وهي جملة معتبرة بين المبتدأ وخبره (من) أجل (فضل ما دلّت عليه) ذلك العلم (سيرته) خبر المبتدأ ، يعني : أنّ خير العلم هو علم السيرة ؛ بفضل مدلوله ؛ فإنّه يدل على سيرته صلى الله عليه وسلم ، وعلى سيرة أصحابه ، وترجمتهم رضي الله تعالى عنهم ؛ وذلك يفيد مزيد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأصحابه الذي هو إكسير الإيمان ، ألا لا إيمان لمن لا محبة له ، ومن أعظمها التمكّن من الاقداء بهم ، المشروط في

فَهَاكَ مِنْهَا نُبْذَةٌ لَيْسَتْ تُمِلَّ
وَلَمْ تَكُنْ بِمُعْظَمِ الْقَصْدِ تُخْلَّ
أَرْجُوْزَةً عَلَى عِيُونِ الْأَثَرِ
جُلُّ أَعْتِمَادِ نَظِمِّهَا فِي الْسَّيَرِ

السعادة الأبدية .

قال صاحب «العشريات» :

سعادتنا مشروطة باتّباعه

وهل يثبت البنيان إلّا على الأُسْرَ

ويوْدُ الواقف على أحوالهم لو كان

بمحضر منهم ؛ حتى يكون خديماً لهم ، ينافح عنهم في القتال ، وأعظم بذلك فضيلةً بعد الإيمان بالله عزّ وجلّ ، فهذا العلم من العلم الموصل إلى الله تعالى ، كما نصّ على ذلك الأئمة الأعلام ، وقد تقدم في المقدمة شيء من ذلك (فهاك فخذ (منها) من سيرته (نبذةً) جملة يسيرة (ليست تُمِلَّ) أي : لا توقع القارئ في الملل والسامة ؛ ليسارتها ، (ولم تكن بمعظم) بالإضافة إلى قوله : (القصد) ، ومتصل بقوله : (تُخْلَّ) أي : ولم تكن تخل بمعظم القصد ، وهذه الجملة كالاحتراض مما يوهم قوله : (نبذة) أنها مخلة بالمراد ، فأفاد أنها مع كونها قليلة فهي وافية بالمطلوب ، وهذا بمعنى قول غيره : إنّها ليست بالطويل المملّ ، ولا بالمحضر المخلّ .

ثمّ أبدل من قوله : (نبذة) قوله : (أرجوْزَة) فهي منصوبة ، والهمزة فيها مضومة ، من الرجز بفتحتين : ضرب من الشعر ، وزنه مستفعلاً ست مرات ، والأرجوْزَة : القصيدة

تعريف الرجز وزنه

المنظومة من بحر الرجز ، تجمع على أراجيز .

ترجمة ابن سيد الناس
اليعمري قوله : (على « عيون الأثر ») خبر مقدم لقوله : (جل اعتماد نظمها) أي : هذه الأرجوزة غالب اعتماد نظمها على « عيون الأثر (في) المغازي و (السير) » للحافظ أبي الفتح بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي ، ولد في ذي القعدة ، سنة إحدى وسبعين وست مئة بالقاهرة ، وسمع الكثير من الجم الغفير ، وتفقه على مذهب الشافعي ، وأخذ الحديث عن والده وابن دقيق العيد ، ولازمه سنين كثيرة ، وتخرج عليه ، وقرأ عليه أصول الفقه .

قال في « الشذرات الذهبية » : (وولي دار الحديث بجامع الصالح ، وصنف « السيرة الكبرى » وسماها : « عيون الأثر » ، واختصره في كراريس ، وسماه : « نور العيون ») توفي بمصر سنة أربع وثلاثين وسبعين مئة ، ودفن بالقرافة عند الإمام العارف عبد الله بن أبي جمرة ، رحمهما الله تعالى .

(وشدَّ) بالبناء للفاعل بمعنى قوي ، وفاعله المصدر المنسبك بما المصدرية في قوله : (ما اجترأت) أي : اجترائي (في ذا) في هذا (الهدف) محركة كما في « القاموس » : كل مرتفع من بناء ، أو كثيب رمل ، أو جبل .

قال السيد مرتضى في شرحه : (ومنه سُمِّيَ الغَرَضُ هدفًا ، هو المنتضل فيه بالسهام) .

وقال في « روض النهاة » : (قال عبد الرحمن بن أبي بكر لأبيه - بعد أن أسلم - رضي الله عنهم : استهدفت لي يوم

بدر ، فصرفتُ عنك - وكان عبد الرحمن من أرمى قريش -
فقال له أبو بكر : أَمَّا إِنَّكَ يَا بْنِي ، وَاللَّهُ لَوْ اسْتَهْدَفْتَ لِي ..
لَقْتَلْتَكَ) اهـ

وَإِنَّمَا قَوِيَ تِجَاسِرِي فِي هَذَا النَّظَمِ الَّذِي هُوَ هَدْفُ وَغَرَضُ
لِلْخَطَأِ (إِذْ لَمْ أَكُنْ أَهْلَأً) أَيْ : مُسْتَوْجِبًا وَمُسْتَحْقَقًا (لِصَوْغِ
الْتَّفِ) أَيْ : النَّظَمُ الْقَلِيلُ ، وَأَصْلُ الصَّوْغِ بِنَاءُ الشَّيْءِ عَلَى
تَحْسِينِ ، وَالْبَتْفِ : جَمْعُ نُفْفَةٍ ، كُعْرَفَةٍ وَغَرْفَةٍ ، قَالَ فِي
« الْقَامِوسَ » : (الْتَّفَةُ بِالضَّمِّ : مَا تَنْتَهَى بِإِصْبَاعِكَ مِنَ النَّبْتِ ،
وَغَيْرِهِ ، وَالْجَمْعُ نُفْفَةٌ كَصْرَدٍ) اهـ

وَفِي « الْحَاشِيَةِ الْكَبْرِيِّ » لِلْمَدْمُنَهُورِيِّ عَلَى « الْكَافِيِّ » عَنْ
الْفَرَاءِ : (أَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّيَ الْبَيْتَ الْوَاحِدَ يَتِيمًا ، وَالْبَيْتَيْنِ
وَالْثَّلَاثَةِ نُفْفَةً) .

(فَكَيْفَ) الْحَالُ (بِالْعَقْدِ) بِفَتْحِ الْعَيْنِ ؛ أَيْ : النَّظَمُ (لِمَا
كَانَ اُنْتَشَرَ) لِأَنَّ الْعَقْدَ هُوَ نَظَمٌ مُمْتَشَرٌ ، عَكْسُ الْحَلِّ عِنْدَ عُلَمَاءِ
الْبَيَانِ (عَنْ كَثْرَةٍ) يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ : (اُنْتَشَرَ) (وَ) الْحَالُ أَنَّ ذَلِكَ
الْكَثِيرَ الْمُمْتَشَرُ ابْدَعَرَ وَتَفَرَّقَ (فِي الْمَهَارِقِ) بِفَتْحِ الْمَيْمِ : جَمْعُ
مُهَرَّقٍ ، بِمَعْنَى الصَّحِيفَةِ ، فَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ : (ابْدَعَرْ) بِفَتْحِ
الْذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ، وَالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، قَالَ الشَّيْخُ حَمَادُ
الشَّنَقِيطِيُّ : (وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى تَوَاضِعٌ ، وَهُوَ عَادَةُ
الْمُؤْلِفِينَ قَبْلِهِ لَا سِيمَّا هُوَ سَجِيْتَهُ التَّوَاضِعُ ، وَاسْتَحْقَارُ نَفْسِهِ ،
وَلَوْلَا ذَلِكَ .. لَشَدَتْ إِلَيْهِ الرَّحَالُ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ ، وَهُوَ مَحْطَهَا

لَكِنْ تَطَفَّلْتُ عَلَى بَرَكَتِهِ
لَعَلَّهَا بِالنَّظَمِ هَلْهَلًا عَلَى
وَلِحْضُ وِرِهِ بِكُلِّ ذِهْنِ
وَجَاهِهِ بِنَظَمِ بَعْضِ سِيرَتِهِ
مَنْ رَامَهَا نَظَمًا تَكُونُ أَسْهَلًا
عَنْ ذِكْرِهِ بِمُضْمَرٍ أَسْتَغْنِي

في العلم ، لا سيما في علم النحو والערבية والأدب ، بل
والكتاب والحديث والفقه) .

(لكن تطفل) من التطفل ، وهو الإتيان بلا دعوة ،
وأصله : طفيلي بن زلال ، كشداد ، الذي يدعى طفيلي الأعراس
والعرائس ، قال الشيخ مرتضى في « شرح القاموس » : (كان
يأتي في الولائم بلا دعوة ، وكان يقول : وددت أن الكوفة ببركة
مُصهِّرَة ، فلا يخفى على منها شيء) .

قلت : وللخطيب البغدادي مؤلف في التطفيل ، ذكر فيه
الكثير من أخبارهم ونواردهم الغريبة .

(على) مائدة (بركته) صلى الله عليه وسلم ، (وجاهه)
الربيع العظيم المعظم ، ويتعلق بتطفل قوله : (بنظم بعض
سيرته) العطرة عليه ألف ألف صلاة وسلام .

(لعلها) أي : السيرة (بالنظم) حال كونه (هَلْهَلًا) ؛
أي : رقيقاً سلساً (على من رامها) ؛ أي : قصدها من أهل
العلم (نظماً تكون أسهلاً) لأنَّ النظم أقرب حفظاً ، وأدنى
استحضاراً وأبقى .

(ولحضوره) علة لقوله : (أستغني) والواو داخلة
عليه ، ويتعلق بالحضور قوله : (بكل ذهن) وقوله : (عن
ذكره) وقوله : (بمضمر) يتعلقان بقوله : (أستغني) أي :
صلى الله عليه وسلم

وإنما أستغني عن ذكر اسمه الشريف في كلام لم يذكر فيه ،
بضمير يعود عليه صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّه حاضر بكل ذهن ،
وهو أعظم من الحضور الحسي ، فمن ذلك قوله فيما يأتي :

عن قتل آلَّهِ نَهَى إِذْ خَرَجُوا
وَفِي خَرْوَجِهِمْ عَلَيْهِ حَرَجُ
وَهَذَا بَيَانٌ لِاصْطِلَاحِهِ فِي نَظَمِهِ .

(والله) بالنصب معمول مقدم لقوله : (أسأل) أي :
لا أطلب إلَّا من الله (سداد) بفتح السين ، هو الصواب ، أمَّا
بالكسير : فهو ما يسد به الشيء ، وهو غير مراد هنا ، وهو
مضاف إلى (النظر) من إضافة الصفة للموصوف ؛ أي :
لا أطلب النظر والصواب في جميع أموري إلَّا منه تعالى (و)
لا أسأل إلَّا منه (عصمة الخاطر) أي : العصمة مما يخطر في
القلب .

قال في شرح القاموس : (الخاطر : ما يخطر في القلب
من تدبير أو أمر) .

(من ذا) أي : بسبب هذا التأليف (الخطير) أي :
الخطير ؛ أي : أطلب أن يعصمني من وسوسه الشيطان فيه
بالعجب والرعب ، ونحو ذلك من أمراض القلب الخفية ، نسأل
الله تعالى أن يحفظنا من ذلك كله بمنه وكرمه ، آمين .

وَأَن يَكُونَ لِي وَلَا عَلَيَّ
 وَأَن يَكُونَ لِلثَّوَابِ قَانِصًا
 مِمَّا يُلْبِسُ بِهِ إِبْلِيسُ
 بِجَاهِ أَفْضَلِ الْوَرَى مُحَمَّدٌ

(و) أَسْأَلَهُ تَعَالَى (أَنْ يَكُونُ) هَذَا التَّأْلِيفُ نَافِعًا (لِي)
 فَأَثَابُ عَلَيْهِ ؛ لِكُونِهِ خَالِصًا لِوَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ خَالِصًا
 (عَلَيَّ) فَأُعَاقِبُ عَلَيْهِ (و) أَسْأَلَهُ تَعَالَى أَيْضًا : أَنْ يَكُونُ (عِنْدَ)
 كُلِّ أَحَدٍ مَرْضِيًّا حَتَّى يَقْعُدَ النَّفْعُ بِهِ .

(وَأَنْ يَكُونَ لِلثَّوَابِ) وَالْأَجْرُ مِنْهُ تَعَالَى (قَانِصًا) أَيْ :
 صَائِدًا ، مِنْ قِنْصٍ بِمَعْنَى صَادٍ ، وَبِابِهِ ضَرَبٌ ؛ أَيْ : مَحْصُلًا
 لِلثَّوَابِ (لِوَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ) يَتَعَلَّقُ بِقُولِهِ : (خَالِصًا)
 وَالْإِخْلَاصُ : هُوَ تَرْكُ حُبِّ الْمُحَمَّدَةِ عَلَى الْعَمَلِ ، أَوْ هُوَ سُرُّ
 بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ ، لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ مَلَكُ فِيكِتَبِهِ ، وَلَا شَيْطَانٌ
 فِي فِسْدِهِ ، أَوْ إِفْرَادُ الْمَعْبُودِ بِالْعِبَادَةِ . . . أَقْوَالٌ .

(مِمَّا يُلْبِسُ بِهِ) يَتَعَلَّقُ بِقُولِهِ خَالِصًا ؛ أَيْ : وَأَسْأَلَ اللَّهَ
 تَعَالَى : أَنْ يَكُونَ خَالِصًا مِمَّا يُخْلِطُ بِهِ (إِبْلِيسُ ، وَ) خَالِصًا
 مِمَّا (لِلْهُوَيِّ فِي طَيْبَهِ) يَتَعَلَّقُ بِقُولِهِ : (تَدْلِيسُ) أَيْ : وَمِمَّا
 لِلْهُوَيِّ تَدْلِيسُ ، وَغِشٌّ فِي طَيْبَهِ ؛ أَيْ : بَاطِنَهُ ، مَتَوَجِّهًا إِلَى اللَّهِ
 تَعَالَى فِي ذَلِكَ بِحُرْمَتِهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمُتَّبِعِي هُدِيَّهِ
 وَآثَارِهِ ، كَمَا قَالَ :

(بِجَاهِ) أَيْ : بِحُرْمَةِ (أَفْضَلِ الْوَرَى) وَخَيْرِهِمْ عَلَى
 الإِطْلَاقِ إِجْمَاعًا - كَمَا تَقْدِمُ - سَيِّدُنَا (مُحَمَّدٌ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
 وَعَلَى آلِهِ وَحَزْبِهِ (طَوْلِ الْأَبَدِ) أَيْ : الدَّهْرُ ، وَهَذَا كَقُولُ الْآخِرِ

في طالعة اختصار منظومة الإمام العراقي :

وأسأل النفع بها كأصلها

بجاهِ مَنْ قَالَ لَنَا أَنَّا لَهَا

* * *

(١) غزوة وذان

(أَوَّل غزوة) من مغازييه صلى الله عليه وسلم البالغة سبعاً وعشرين ، كما رواه ابن سعد في « طبقاته » والحافظ العراقي في « ألفيته » وقال المناوي في « شرحها » : (هو الصحيح المجزوم به ، وما في « سيرة عبد الغني » من أَنَّ المشهور ما ذكره ابن إسحاق ، من أَنَّها خمس وعشرون .. تعقبوه بالرد ، والغزوات الكبار : بدر ، وأُحد ، والخندق ، وخَيْر ، والفتح ، وحُنَين ، والطائف ، وتبوك) وفي شأن هذه الغزوات نزل القرآن^(١) .

عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم

الغزوات الكبار

(غزاها المصطفى) عليه الصلاة والسلام الغزوة التي يقال

لها : (وذان) بفتح الواو ، وتشديد الدال (فالآباء) وقيل : إِنَّهُما بمعنى ، فتكون غزوة واحدة^(٢) ، كما قال : (أو ترادفا)

(١) ففي بدر نزل كثير من (سورة الأنفال) وفي أُحد آخر (آل عمران) من قوله تعالى : « وَإِذْ عَدَّوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبُوئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْدِعَ لِلْقَتَالِ » إلى قبيل آخرها ، وفي قصة الخندق وقريةة صدر (سورة الأحزاب) وفي بني النضير (سورة الحشر) وفي قصة الحديبية وخَيْر (سورة الفتح) وفي تبوك (سورة براءة) .

(٢) وعليه جرئ في « الإمتاع » .

أي : اتَّحد ودان والأبواء في المعنى ، واختلفا في اللفظ ،
وهما موضعان بينهما ستة أميال ، وبالأبواء المعروفة اليوم
بالخُرَيَّة ، قبر أم نبينا صلَّى الله عليه وسلم ، على يسار الذاهب
إلى مكة .

حاصل غزوة ودان ،
تاریخها ، حامل لوانها

وحاصل هذه الغزوة : أَنَّه صلَّى الله عليه وسلم خرج لاثنتي
عشرة ليلة خلت من شهر صفر ، وعلى رأس اثني عشر شهراً من
الهجرة ، وخرج بالمهاجرين ليس معهم أنصاراً ي يريد قريشاً ،
وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة ، واستعمل على المدينة
سعد بن عبادة ، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب ، فبلغوا
سيف البحر يعترضون عِرِباً لقريش قد جاءت من الشام ، فيها
أبو جهل في ثلث مئة راكب ، ثم كانت فيها المواجهة - أي :
المصالحة^(١) - بينه وبين بني ضمرة ، وسيدهم مَخْشِي^(٢) بن
عمرو ، على أَنَّ بني ضمرة لا يغزونه ، ولا يكثرون عليه
جمعاً ، ولا يعنون عليه عدواً ، فرجع صلَّى الله عليه وسلم إلى
المدينة ولم يلق كيداً ، وكانت غيته صلَّى الله عليه وسلم خمس

(١) وكتب بذلك كتاباً فيه : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا كِتَابٌ مِّنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ النَّبِيِّ ، بِأَنَّهُمْ آمَنُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ، وَأَنفُسِهِمْ ، وَأَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ رَأَيْهُمْ ، إِلَّا أَنْ يَعْلَمُوا فِي دِينِ اللَّهِ مَا بَلَّ بِهِ صَوْفَةً ، وَأَنَّ النَّبِيَّ إِذَا دَعَا هُمْ لِصَرْ أَجَابُوهُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ ذَمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) .

(٢) بفتح الميم ، وسكون الخاء ، وكسر الشين المعجمتين ، ثم ياء مشددة كياء النسب . قال في
«البرهان» : (لا أعلم له إسلاماً) كذا في «شرح المواهب» وذكر في «الإمتناع» : (أَنَّه
يقال لمخشى : مجدي بن عمرو أيضاً) .

عشرة ليلة .

تنبيه :

جرت عادة أهل السير أن يسمُّوا كل عسکر حضره النبيّ صلی الله علیه وسلم بنفسه الكريمة غزوة ، وما لم يحضره بل أرسل بعضاً من الصحابة إلى العدوّ سرية وبعثاً .

مصطلح أهل السير فيما يسمونه غزوة ، وسرية ، وبعثاً

٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥

(٢) غزوة بواط

(ثم بواط) بفتح المونحة ، وبوزن غراب ، وهو : جبل من جبال جهينة ، بقرب ينبع ، على أربعة بُرُد من المدينة المنورة ؛ يعني : أنَّ غزوة بواط بعد الأباء ؛ ولذا أتى بشم المفيدة للترتيب (خرجوا) أي : الصحب الكرام ، وكانوا مئتين معه صلی الله علیه وسلم في شهر ربيع الأول ، وعلى رأس ثلاثة عشر شهراً من هجرته ، واستعمل على المدينة السائب بن مظعون^(١) ، وحمل اللواء سعد بن معاذ ، أو سعد بن أبي وقاص ، يريدون عير قريش ، فيها أميَّة بن خلف ، كما قال : (لعيَّر أميَّة بن خلف السَّفَسِير) بكسر

موقع الغزوة
عدد أفرادها
تاریخها
حامل لوانها

(١) كما في «الروض الأنف» و«العيون» ، وفي «الهشامية» و«الإمتعة» : أنَّه السائب بن عثمان بن مظعون .

السبعين ، وإسكان الفاء بينهما : هو التاجر ، وكانت العير - أي : الإبل - ألفين وخمس مئة ، ومعها مئة رجل من قريش ، ففاتهاه عليه الصلاة والسلام ، ورجع ولم يلق كيداً ، وأمية وابنه عليّ ماتا كافرين يوم بدر كما سيأتي ، أمّا صفوان بن أمية . فأسلم بعد ، وصحابه صلى الله عليه وسلم ، فرضي الله عنه .

فائدة :

روى مسلم في « صحيحه » في حديث جابر الطويل ، في غزوة بطن بواط عنه : (شكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ، فقال : « عسى الله أن يطعمكم » قال : فأتينا سيف البحر ، فزخر البحر زخرة ، فألقى دابة ، فأورينا على شقها النار ، فاطبخنا ، واشتوينا ، وأكلنا ، وشبينا ، قال جابر : فدخلت أنا ، وفلان ، وفلان - حتى عدّ خمسة - في حجاج عينها ، ما يرانا أحد ، حتى خرجننا ، فأخذنا ضيلاً من أصلاعه فقوّسنا ، ثم دعونا بأعظم رجل في الركب ، وأعظم جمل في الركب ، وأعظم كفل^(١) في الركب ، فدخل تحته ما يطأطئ رأسه) اهـ

* * *

(١) الكفل هنا : الكسأ الذي يحويه راكب البعير على سمامه ؛ لثلاً يسقط . اهـ « نووي على مسلم » .

(٣) غزوة العشيرة

موقع الغزوة
 (ثم العشيرة) بالتصغير ، والباء آخره : ماء لبني مدلج ،
 على ستة فراسخ من المدينة ، سميت الغزوة به ، ويقال لها :
 العشيرة ، بالهمزة آخره ، ويقال : بالسين المهملة فيها ، وهي
 التي يذكرها جعفر بن الزبير^(١) شقيق عبيدة - أمهما زينب بنت
 بشر ، من بني قيس بن ثعلبة - في شعره حيث يقول :

مَرَّنَا عَلَى مَاءِ الْعُشِيرَةِ وَالْهَوَى

عَلَى مَلْلٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَلْلٍ

وَقَالُوا صُحَيْرَاتُ الْثَمَامِ وَقَدَّمُوا

أَوَائِلَهُمْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ بِالثَّقْلِ

وملل : اسم موضع ، يقال : إنما سمي بذلك ؛ لأنَّ
 الماشي إليه من المدينة لا يبلغه إلَّا بعد جهد وملل ، وهو على
 ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة ، وقيل : اثنان وعشرون ،
 حكاهما القاضي عياض في «المشارق» .

(١) قال في «تهذيب التهذيب» : (كان أصغر ولد الزبير ، وأمه زينب ، ذكره في «الإصابة» في القسم الرابع ، وقال : ولد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بدهر . هذا هو الصواب) اهـ

وقال المحب الطبرى في «الرياض النضرة» : (عبيدة ، وجعفر أمهما زينب بنت بشر ، وكان عبيدة يشبه بأبيه ، وشهد جعفر مع أخيه في حربه ، واستعمله على المدينة ، وقاتل يوم قتل أخيه قتالاً شديداً ، حتى جمد الدم على سيفه في يديه ، وله شعر كثير في كل فن) اهـ

وكانت هذه الغزوة في جمادى الأولى من السنة الثانية ، على رأس ستة عشر شهراً ، متوجهاً عليه الصلاة والسلام (إلى عير أبي سفيان في ذهابها) أي : العير إلى الشام (للأرب) بفتح الهمزة ؛ أي : لقضاء حاجتها من التجارة .

حامل لوايئها وastعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وحمل اللواء - وكان أبيض - حمزة بن عبد المطلب ، وخرج صلى الله عليه وسلم في خمسين ومية أو مئتين ، ممَّن اتَّدَبَ من مهاجري قريش ، ولم يكره أحداً على الخروج ، وخرجوا على ثلاثة بعيراً يتعقبونها ، فوجدوا العير التي وَدُّوا أن يعترضوها لأبي سفيان قد مضت قبل ذلك بأيام ، وهذه العير هي التي خرج إليها لما رجعت من الشام ، فكانت وقعة بدر بسببها ، فأقام صلى الله عليه وسلم جمادى الأولى ، وليالي من جمادى الآخرة ، كما في « سيرة ابن إسحاق » وأقره ابن كثير ، ووادع فيها بني مُدْلِج وحلفاءهم من بني ضمرة ، ثمَّ رجع إلى المدينة ، ولم يلقَ كيداً .

الجمع بين الأقوال المختلفة في أول غزوة غزها صلى الله عليه وسلم قال الإمام البخاري في « صحيحه » : (حدَّثَنَا عبد الله بن محمد ، ثنا وهب ، ثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : كنت إلى جنب زيد بن أرقم ، فقيل له : كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ؟ قال : تسعة عشرة ، قيل : كم غزوت أنت معه ؟ قال سبع عشرة ، قلت : فَأَيُّهَا كَانَتْ أَوَّلَ ؟ قال : العُشِيرَةُ أَوْ الْعُسِيرَةُ ، فذَكَرَتْ لِقَتَادَةَ فَقَالَ : الْعُشِيرَةُ) فهذا الحديث ظاهر في أنَّ أول الغزوات العشيرة .

فَبَدْرُ الْأُولَى بِإِئْرَنَاهِبِ سَرْحُ الْمَدِينَةِ مُغَذِّهَارِبِ
كُرْزِبْنِ جَابِرِ وَبَعْدُ أَسْتَنْقَدَا لِقَاحَهُ مِمَّنْ عَلَيْهِ أَسْتَخْوَدَا

قال ابن كثير : (اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ غَزَّةُ شَهْدَهَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زِيدًا ، فَلَا يَنْافِي أَنْ يَكُونَ قَبْلَهَا غَيْرُهَا لَمْ يَشْهُدَهَا زِيدًا) وهذا نقله في « الفتح » عن ابن التَّيْنِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ مُحْتَمَلٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

١٢٤٣

١٢٤٤

١٢٤٥

(٤) غزوة بدر الأولى

(فـ) بعد العُشِيرَةِ (بَدْرُ الْأُولَى) لَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْعُشِيرَةِ . لَمْ يَقُمْ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا لِيَالِي لَا تَبْلُغُ الْعَشْرَ ، حَتَّى أَغَارَ كُرْزِبْنَ جَابِرَ عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ ، كَمَا قَالَ : (بِإِثْرِ) أَيْ : عَقْبَ (نَاهِبِ سَرْحِ الْمَدِينَةِ) بِإِضَافَةِ نَاهِبٍ لِسَرْحٍ ، وَهُوَ الْإِبْلُ وَالْمَوَاشِيُّ الَّتِي تَسْرُحُ لِلرَّعْيِ (مُغَذِّهَ) بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ : مَسْرُعٌ فِي سَيْرِهِ ، يَقُولُ : أَغَذَ السَّيْرَ ، إِذَا أَسْرَعَ ، وَقُولُهُ : (هَارِبٌ) صَفَةُ ثَانِيَةٍ لِنَاهِبٍ ، وَهُوَ الْمَسْرُعُ خَوْفًا ، وَيُبَدِّلُ مِنْ نَاهِبٍ قُولُهُ : (كُرْزِبْنَ جَابِرَ) الْفَهْرِيُّ ، فَهُوَ بِالْجَرِ .

وَحَاصِلُ ذَلِكَ : أَنَّهُ لَمَّا أَغَارَ كُرْزِبْنَ جَابِرَ عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ . خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِ فِي جَمَادِيِّ الْآخِرِ . حَتَّى بَلَغَ وَادِيًّا يَقُولُ لَهُ : سَفَوَانُ ، مِنْ نَاحِيَةِ بَدْرٍ ، فَلَمْ يَدْرِكْ كَرْزًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ زِيدَ بْنَ حَارِثَةَ ، وَحَمَلَ

حاصل غزوة بدر الأولى ، تاريχها ، حامل لوائها

اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(وبعد) بالبناء على الضم ؛ أي : وبعد نهب كرز سرح المدينة أسلم وهاجر إليه صلى الله عليه وسلم و (استنقذا) بألف الإطلاق ؛ أي : استخلص كرز (لقاحه) صلى الله عليه وسلم ، هو بوزن كتاب : الإبل ، واحدها لقوح كصبور (ممَنْ) أي : من العُرَنَيْنِ الَّذِينَ (عليه استحوذا) أي : استولى على اللقاح ، وجاء بهم أُسْارِي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيأتي خبرهم موضحاً ، وروعى في استحواذ لفظ (من) .

واستشهد كرز يوم فتح مكة رضي الله عنه كما ذكره الحافظ ابن عبد البر في « الإستيعاب » .

ذكر الواقدي : (أَنَّ هَذِهِ السَّفَرَاتِ الْثَلَاثَ - يعني : وَدَانَ ، وَبَوَاطَ ، وَالْعُشِيرَةَ - كَانَ صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ يَخْرُجُ فِيهَا لِتَلْقِي تَجَارَ قَرِيشٍ حِينَ يَمْرُونَ إِلَى الشَّامَ ، ذَهَابًاً وَإِيَابًاً ، وَبِسَبِبِ ذَلِكَ كَانَتْ وَقْعَةَ بَدْرِ الْكَبْرِيِّ) .

* * *

(٥) غزوَة بدرُ الْكَبْرِيِّ

بدر بئر سميت باسم رجل من غفار تاريخها (بَدْرُ الْكَبْرِيِّ) عقب بدر الأولى ، وبدر : بئر سميت باسم رجل من غفار حفرها هناك ، وكانت صبيحة يوم الجمعة لسبعة عشر من رمضان ، في السنة الثانية من الهجرة ، خرج

وَأَعْتَقُوا فِي ذَلِكَ الْمَسِيرِ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ

صلى الله عليه وسلم (بعير) أبي سفيان (صخر) بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، والعير : الإبل تحمل الطعام (آية) أي : حال كونها راجعة (من شأمتها بالكثير) فإنَّ عدد العير ألف بعير ، وعدد الدنانير خمسون ألفاً ، وخرج معه صلى الله عليه وسلم ، ثلات مئة وبضعة عشر رجلاً من الأصحاب ، أربعة وستون من المهاجرين ، وسائر الجيش من الأنصار ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير وكان أبيض ، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلة بالناس ، واستعمل على المدينة أبو لبابة لما رددَه من الروحاء .

سبب خروج النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الغزوة، عدد أفرادها، حامل لوانها

وقال صلى الله عليه وسلم لما ندب الناس إلى العير : « هذه عير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ؛ لعلَّ الله ينفكموها » وبعث صلى الله عليه وسلم سعيد بن زيد ، وطلحة بن عبيد الله يتجمسان خبر العير ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

قلَّةُ الظَّهَرِ وَالسَّلَاحِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ :

(واعتبوا) أي : ركبوا نوبةً : هذا مرة ، والآخر مرة ، والعقبة : بوزن علبة : النوبة (في ذلك المسير) إلى قتال المشركين ، على الكيفية التي أشار لها بقوله : (كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ) وكان معهم سبعون بعيراً .

قال في « شرح المواهب » : (فكان صلى الله عليه

تعاقب كل ثلاثة من الصحابة على بعير

وَلَمْ يَكُونُوا أَوْعَبُوا لِلْحَرْبِ إِذْ مَا غَزَوا لِغَيْرِ نَهْبِ الْرَّكْبِ

وسلم ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة - ويقال :
مرثد بن أبي مرثد الغنوي - يعتقبون بعيراً .

زميل النبي صلى الله عليه وسلم في التعاقب

وقد روى الحارث بن أبي أسامة ، وابن سعد عن ابن مسعود قال : كنَّا يوم بدر كل ثلاثة على بعيير ، وكان أبو لبابة وعلى زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا كانت عقبة النبي صلى الله عليه وسلم .. قالا : اركب ونحن نمشي عنك ، فيقول : « ما أنتما بأقوى مني على المشي ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكم » وعليه : فجملة الذين يعتقبون مئنان وعشرة ، فيحتمل أنَّ الباقين لم يركبوا ، أو أنَّ الثلاثة تركب مرة ثم يدفعونه - أي : البعير - إلى غيرهم ؛ ليركبوا مرة أخرى ، وركوب أبي لبابة معهم كان قبل رده من الروحاء ، وبعده أعقب مرثداً ، كما عند ابن إسحاق ، أو زيداً كما عند غيره .

(ولم يكونوا) أي : الصحابة (أو عبوا للحرب) أي : لم يخرجوا جميعهم له ؛ لعدم علمهم به ، ولو علموا ذلك .. لأنَّ عبوا ، لكن مجرد الغنيمة ، كما قال : (إذ ما غزوا لغير نهب الركب) الذي مع أبي سفيان وهو العير ، قال تعالى : « وَالرَّكْبُ أَسْفَلُ مِنْكُمْ » يعني : أنه صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالخروج إلى العير وأمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض .. أجب ناس ، وثقل آخرون ؛ لظنهم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد حرباً .

قال في « الإِمْتَاعِ » : (فخرج معه المهاجرون ، وخرجت

الأنصار ، ولم يكن غزا بأحد منهم قبل ذلك ، فنزل بالبقع على ميل من المدينة ، والتقيا على أربع مراحل من المدينة ، وهي بيوت السقيا ، يوم الأحد لشتي عشرة خلت من رمضان ، فضرب عسكره هناك ، وعرض المقاتلة ، فرداً عبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، ورافع بن خديج ، والبراء بن عازب ، وأسيد بن حضير ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت ، ولم يُجزِّهم .

أول خروج الأنصار مع
النبي صلى الله عليه وسلم

رد صغار الصحابة عن
الخروج للغزو

وعرض عمير بن أبي وقاص فاستصغره ، فقال : « ارجع »
فبكى ، فأجازه ، فقتل بدر وهو ابن ست عشرة سنة ، وأمر
صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يستقوا من بئر السقيا ، وشرب
من مائها ، وصلى عند بيوت السقيا ، ودعا يومئذ لأهل المدينة
قال : « اللهم ، إن إبراهيم عبدك ، وخليلك ، ونبيك دعاك
لأهل مكة ، وإنني محمد عبدك ونبيك ؟ أدعوك لأهل المدينة :
أن تبارك لهم في صاعهم ، ومددهم ، وثمارهم ، اللهم ؟
وحبب إلينا المدينة ، واجعل ما بها من الوباء بخُم ، اللهم ؟
إنني حرمت ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم خليلك مكة » وهم
على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين الشريفين .

استشهاد عمير بن أبي
وقاص

دعا النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة
لأهل المدينة

(ليس عندهم) أي : الصحابة الكرام رضوان الله عليهم
أجمعين (من السيوف غير ثمان) ولكنها هي المهلكة ، كما
قال : (للعدا حُتُوف) بالجر صفة لثمان ؛ أي : ثمان ، كثيرة
الإهلاك للأعداء .

عدد السيوف لدى
الصحابي الكرام

وَلَا مِنَ الْخَيْلِ سَوَى أَثْتَيْنِ
وَقَدْ كَفَتُهُمْ أَهْبَةَ التَّمْكِينِ
وَأَسْتَنَفَرَ الْتَّقِيرَ صَخْرٌ لَهُمْ
وَجَاءَ خَيْرٌ مُرْسَلٌ أَلْبُهُمْ

عدد الخيول

(ولا من الخيل) عندهم (سوى اثنتين) :

إحداهما : لل麦داد بن عمرو ، ويقال لها : (سَبَحة)
بفتح السين المهملة ، وإسكان المونحة ، وبالحاء المهملة ،
ثم تاء التأنيث .

والآخرى : لمرثد بن أبي مرثد ، ويقال لها :
(السَّبَلَ) .

وأَمَّا خَيْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. فَإِنَّمَا كَانَتْ بَعْدَ
ذَلِكَ (و) مَعَ هَذِهِ الْقَلْةِ فَ(قَدْ كَفْتُهُمْ أَهْبَةً) بِضمِ الْهَمْزَةِ
وَإِسْكَانِ الْهَاءِ ، وَهُوَ مُضَافٌ إِلَى (التَّمْكِينَ) أَيْ : كَفَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
الْتَّمْكِينَ وَالْمَنْزَلَةَ عِنْهُ تَعَالَى ، عَنِ الْإِعْدَادِ بِالْعَدْدِ وَالسَّلَاحِ .

استنفار أبي سفيان قريشاً لإنقاذ العير :

(واستنفر) أَيْ : استفَرَ (التَّقِيرَ) بِالنَّصْبِ : مَعْمُول
لـ (استنفر) ؛ أَيْ : الْجَيْشُ ، وَفَاعْلَهُ (صَخْرٌ) أَبُو سَفِيَّانَ بْنَ
حَرْبَ (لَهُمْ) أَيْ : النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ ؛
أَيْ : لَحْرَبَهُ (وَجَاءَ خَيْرٌ مُرْسَلٌ) بِالنَّصْبِ مَعْمُولُ لِجَاءَ ،
وَفَاعْلَهُ (أَلْبُهُمْ) بِفتحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِهَا : تَجْمُعُهُمْ لِلْحَرْبِ ،
يُقَالُ : هُمْ عَلَيْهِ أَلْبُ وَاحِدٌ ، قَالَ سَيِّدُنَا حَسَانٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَالنَّاسُ أَلْبُ عَلَيْنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا
إِلَّا السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَاءِ وَزَرُّ

وحاصل ما أشار له الناظم : أنَّ أبا سفيان لَمَّا بلغه من بعض الركبان : أَنَّه صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استنفر أصحابه للعير.. خاف خوفاً شديداً ، فاستنفر النفير - أي : القوم النافرين للحرب - واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالاً ؛ ليأتي مكة ، وأمره أن يجدع بعيره ، ويحول رحله ، ويشق قميصه من قُبْلِه ومن دُبْرِه إذا دخل مكة ، ويخبر قريشاً أنَّ محمداً قد عرض لعيتهم هو وأصحابه ، وكانت تلك العير فيها أموال قريش ، حتى قيل : إِنَّه لَمْ يَقِنْ قَرْشِي وَلَا قَرْشِيَةً لِهِ مَثْقَالٌ فصاعداً إِلَّا بَعْثَ بِهِ فِي تِلْكَ الْعِيرِ ، فأسرع ضمضم إلى مكة ، حتى إذا كان ببطن الوادي .. وقف على بعيره ، وقد جدعه ؛ أي : قطع أنفه ، أو أذنه ، وحَوَّلَ رحله ، وشقَّ قميصه ، وهو يصرخ بأعلى صوته : يا معاشر قريش ؛ اللطيمة ، اللطيمة - أي : أدركوا اللطيمة ، وهي العير التي تحمل الطيب والبَرَّ - أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ، فتجهز الناس سرعاً وهم يقولون : أيظنَّ مُحَمَّدَ وَأَصْحَابَهُ أَنْ تَكُونَ كَعِيرَ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ ؟ كلا والله ، لَيَعْلَمَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ ، فلم تملك قريش من أمرها شيئاً حتى نفروا على الصعب والذلول ، وتجهزوا في ثلاثة أيام ، وأعان قوئهم ضعيفهم .

استيقظ الرسول صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمر الأنصار :

ثم فَرَّعَ الناظم رحمة الله تعالى على ما ذكره من استنفار

فَأَخْبَرَ الْأَنْسَارَ بِهِمْ مُمْتَحِنَا وَقَالَ سَعْدٌ مَا رَأَىٰ وَأَحْسَنَا

أبى سفيان التفیر وإجابة كفار قریش له ، قوله :

استشارة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير وحرب التفیر (فأخبر) رسول الله صلی الله عليه وسلم (الناس) أي : أصحابه رضي الله تعالى عنهم (بهم) أي : بقريش ومسيرهم ؛ ليمنعوا عيرهم (ممتحناً) مختبراً ، فاستشارهم صلی الله عليه وسلم في طلب العير ، وحرب التفیر ، وقال : إنَّ الله وعدكم إحدى الطائفتين : إما العير ، وإما قريشاً ، فقال أبو بكر وأحسن ، وقال عمر بن الخطاب وأحسن .

موقف الأنصار من خلال استجابة سعد بن معاذ رضي الله عنه لنداء النبي صلی الله عليه وسلم ثمَّ قال صلی الله عليه وسلم : «أَيُّهَا النَّاسُ ؟ أَشِيرُوا عَلَيَّ » وإنَّما يريد الأنصار ؛ لأنَّه صلی الله عليه وسلم تخوَّف ألا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلَّا مَنْ دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ ؛ لأنَّه ليلة بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ؛ إنَّا بِرَاءٌ مِّن ذمَّكِ حتى تصلِّ إلَى دِيَارِنَا ، فإذا ذُنِعْتَ مِمَّا نَمَنَّعْتَ مِنْهُ أَزْرَنَا ، فعند ذلك قام سعد بن معاذ سيد الأوس^(١) كما أشار له بقوله : (وقال سعد) في جواب ذلك (ما رأى) أي : القول الذي رأه (وأحسننا) فيه وهو :

(١) أسلم هو وأسید بن حضیر فی یوم واحد ، علی ید مصعب بن عمير وأسعد بن زراة ، ثم جاء سعد إلى قرمه ، وقال : كيف تعلمون أمري فيکم يا بني عبد الأشهل ؟ قالوا : سیدنا وأفضلنا رأیاً ، وأیمننا نقيیة . قال : فإنَّ کلام رجالکم ، ونسائکم علیَّ حرام . حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، فما أمسی فی دار بني عبد الأشهل ، رجل ولا امرأة . إلَّا وهو مسلم ، غير الأصیرم .

توفي سعد شهیداً بعد أن أقرَّ الله عینه فی بنی قریظة ، وسيأتي شيء من مناقبہ عند غزوة الخندق وبنی قریظة ، رضي الله عنه .

وَكَانَ مِنْ رَوَيَّةِ الْمِقْدَادِ أَنْ رَضِيَ الْسَّيِّرُ إِلَى الْغِمَادِ

(والله لـكـأنـكـ تـريـدـنـاـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ ،ـ قـالـ :ـ «ـ أـجـلـ »ـ قـالـ :ـ قدـ آمـنـاـ بـكـ ،ـ وـصـدـقـنـاـ ،ـ وـشـهـدـنـاـ أـنـ ماـ جـئـتـ بـهـ هوـ الـحـقـ ،ـ وـأـعـطـيـنـاـ عـلـىـ ذـلـكـ عـهـوـدـنـاـ ،ـ وـمـوـاـثـيقـنـاـ عـلـىـ السـمـعـ وـالـطـاعـةـ ،ـ فـامـضـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ لـمـاـ أـرـدـتـ فـنـحـنـ مـعـكـ ،ـ فـوـالـذـيـ بـعـثـكـ بـالـحـقـ ؛ـ لـوـ اـسـتـعـرـضـتـ بـنـاـ هـذـاـ الـبـحـرـ فـخـضـتـهـ ..ـ لـخـضـنـاهـ مـعـكـ ،ـ مـاـ تـخـلـفـ مـنـاـ رـجـلـ وـاحـدـ ،ـ وـمـاـ نـكـرـهـ أـنـ تـلـقـيـ بـنـاـ عـدـوـنـاـ غـدـاـ ،ـ إـنـاـ لـصـبـرـ فـيـ الـحـرـبـ صـدـقـ فـيـ الـلـقـاءـ ،ـ وـلـعـلـ اللهـ يـرـيـكـ مـنـاـ مـاـ تـقـرـ بـهـ عـيـنـكـ ،ـ فـسـرـ عـلـىـ بـرـكـةـ اللهـ)ـ .ـ

قال الزرقاني : (وعند ابن عائذ من مرسل عروة ، وابن أبي شيبة من مرسل علقة بن أبي وقاص ، عن سعد قال : ولعلك يا رسول الله خرجت لأمر فأحدث الله غيره ، فامض لما شئت ، وصل حبال من شئت ، وقطع حبال من شئت ، وسالم من شئت ، وعاد من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وأعطي ما شئت ، وما أخذت مننا كان أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت به من أمر ، فأمرنا تبع لأمرك ، لئن سرت حتى تأتي برك الغماد .. لنسيرن معك .

فسـرـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ بـقـوـلـ سـعـدـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ وـأـرـضـاهـ ،ـ ثـمـ قـالـ :ـ «ـ سـيـرـواـ ،ـ وـأـبـشـرـواـ ؛ـ فـإـنـ اللهـ قـدـ وـعـدـ إـحـدـىـ الطـافـقـتـيـنـ ،ـ وـالـهـ ؛ـ لـكـأـنـيـ أـنـظـرـ إـلـىـ مـصـارـعـ الـقـوـمـ »ـ .ـ

(وكان من روایة) بـكـسـرـ الـوـاـوـ وـتـشـدـدـ الـيـاءـ ،ـ مـنـ روـيـتـ فـيـ الـأـمـرـ :ـ إـذـاـ نـظـرـتـ فـيـهـ ؛ـ أـيـ :ـ وـكـانـ مـنـ فـكـرـةـ وـرـأـيـ

مـوقـفـ الـمـقـدـادـ بـنـ عـمـرـ وـاسـتـجـابـتـهـ لـنـدـاءـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ

(المقداد⁽¹⁾) بن عمرو (أن رضي السير إلى الغمام) بتثليث الغين المعجمة : موضع في أقصى معمور الأرض ، أو مدينة في الحبشة ، فإنه رضي الله تعالى عنه قال : والله ؟ لو سرت بنا إلى برك الغمام.. لسرنا معك ، ولا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام : ﴿فَأَذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِيلًا إِنَّا هُنَّا قَعِدُونَ﴾ ، ولكن : أذهب أنت وربك فقاتلنا إنما مقاتلون ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعاه بخير .

وفي الصحيح : (أنَّ ابن مسعود قال : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً ، لأنَّ أكون صاحبه أحب إلى مَنْ عُدِلَّ به ، أتى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ : لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ : ﴿فَأَذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِيلًا﴾ ، وَلَكُنَا نَقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ ، وَعَنْ شَمَالِكَ ، وَبَيْنِ يَدِيكَ ، وَخَلْفِكَ ، فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَقَ وَجْهَهُ وَسَرَّهُ ، يَعْنِي قَوْلَهُ) اهـ

(1) هو من بنى بهراء ، حليف بنى زهرة ، وكان تبناه الأسود بن عبد يغوث ، ويقال له : المقداد بن الأسود ، إلى أن نزل : ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَابِيهِمْ﴾ ولم يقبل المقداد ذلك التبني ، بل انتسب إلى أبيه وقبيلته ، تزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، فولدت له فاطمة بنت المقداد ، روى عنها ، وهو أحد الأربعة الذين أُخْبِرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ يَحِبُّهُمْ ، وأَلْزَمَهُمْ مَحْبَبَهُمْ قَالَ فِي « عمود النسب » : أربعة أخْبَرَ خَيْرَ مَرْسَلٍ وَجَهَمَ الْأَزْمَمَهُ وَهُمْ عَلَى سَلْمَانَ مَقْدَادَ أَبِي ذَرَ الْعَلَيِّ بَجْهَهُ لَهُمْ إِلَهَنَا الْعَلَيِّ

وَعَمَرُ أَسْتَقَلَ جَيْشَ الْحُنَفَاءِ

ثُمَّ قَالَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَشِيرُوا عَلَيَّ » فَقَالَ سَعْدٌ

مَا تَقْدِمُ .

قَلْتُ : وَعْلَمْتُ مِنْ هَذَا التَّقْرِيرِ : أَنَّ قَوْلَ الْمَقْدَادِ قَبْلَ قَوْلِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَكَانَ لِلنَّاظِمِ أَنْ يَقْدِمَهُ ، إِلَّا أَنَّ النَّظِيمَ لَمْ يَسْاعِدْهُ ، وَالْخَطْبُ سَهُلٌ .

اسْتَدْرَاكُ عَلَى النَّاظِيمِ

(وَعَمَرُ) بْنُ الْخَطَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَسْتَقَلَ) أَيْ : رَأَى فِي نَظَرِهِ جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ قَلِيلًا كَمَا قَالَ : (جَيْشُ الْحُنَفَاءِ) : جَمْعُ حَنِيفٍ ، وَهُوَ الْمَائِلُ عَنِ جَمِيعِ الْأَدِيَانِ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ (وَاسْتَكْثَرَ) الْجَيْشُ (الَّذِي إِلَيْهِ) يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ : (زَحْفًا) بِمَعْنَى : مَشَى ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ ؛ شَفَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ ؛ لِمَا رَأَى مِنْ كُثْرَةِ الْمُشْرِكِينَ غَيْظًا بِهِمْ ، فَقَالَ - كَمَا رَوَاهُ ابْنُ عَقْبَةَ - : (يَا رَسُولَ اللَّهِ ؎ إِنَّهَا لِقَرِيشٍ ، وَاللَّهُ مَا ذَلَّتْ مِنْ عَزْتٍ ، وَلَا آمَنَتْ مِنْذَ كَفْرَتْ ، وَاللَّهُ لَتَقَاتِلَنَّكَ ، فَتَأْهَبْ لِذَلِكَ أُهْبَتْهُ ، وَأَعْدَّ لِذَلِكَ عَدْتَهُ) .

وَلَمَّا سُرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِ صَاحِبِيهِ : سَعْدٍ وَالْمَقْدَادِ . ارْتَحَلَ مِنْ وَادٍ يُقَالُ لَهُ : ذَفِرَانَ^(١) حِينَ بَلَغَ خَرْوَجَ قَرِيشَ يَرِيدُونَهُ .

تَحْذِيرُ عَمَرَ بْنِ الْخَطَابِ
مِنْ قَوْةِ قَرِيشٍ

(١) بَكْسَرُ الْفَاءِ : وَادٌ قَرِيبٌ مِنَ الصَّفَرَاءِ . اهـ مِنْ « الْحَلِيلِيَّةِ » .

تعرُّف الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبِي بَكْرِ أخْبَارَ قَرِيشٍ :

(واستبقو) أي : سبق الصحابة الكرام معه عليه الصلاة والسلام أبا سفيان (صخرًا لبدرٍ ، و) أما هو .. فإنه (انتحى) أي : قصد إلى ناحية الساحل خوفاً على عيده ، ونزل رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قريباً من بدر ، فركب هو وأبُو بَكْر رضي الله عنه .. حتى وقفَا على شيخ من العرب ، فسألاه عن قَرِيشٍ ، وعن مُحَمَّدٍ وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أُخْبِرُكما حَتَّىٰ تُخْبِرَنِي مَمَّنْ أَنْتُمَا ، فقال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَخْبَرْتَنَا .. أَخْبِرْنَاكَ » فقال الشيخ : أذاك بذلك ؟ قال : « نَعَمْ » قال الشيخ : بلغني أَنَّ مُحَمَّدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني .. فهم اليوم بمكانتكذا وكذا - للمكان الذي به رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبلغني أَنَّ قَرِيشًا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدق .. فهم اليوم بمكانتكذا وكذا - للمكان الذي به قَرِيشٍ - فلَمَّا فَرَغَ مِنْ خِبْرِه .. قال : مَمَّنْ أَنْتُمَا ؟ قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَحْنُ مِنْ مَاءٍ^(١) » ، ثم انصرفا عنه ، قال الشيخ : ما « مِنْ مَاءٍ » أَمِنَ الْعَرَاقَ ؟ !

(١) قال في « التور » : (ظهر لي أَنَّهُ أَرَادَ : مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ، وَالشَّيْخُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ حَمَلَهُ عَلَى الْمَنْهَلِ ، وَقَالَ أَبُو جَعْفَرَ الْغَرَنَاطِيُّ فِي « شَرْحِ بَدِيعَةِ ابْنِ جَابِرٍ » : إِنَّهُ تُورِيَّةٌ ، وَإِنَّ مَاءَ قَبِيلَةٍ) اهـ

عَنْهَا النَّبِيُّ الضَّرْبَ إِذْ قَالَ هُمَا وَارِدَةُ النَّفِيرِ وَاسْتَفْتَاهُمَا

قصة سقاة قريش :

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه (و) لما أمسى .. بعث علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر ؟ يتلمسون الخبر له عليه الصلاة والسلام ، فـ (أخذوا واردة) لقريش ، وهي القوم يردون الماء ، فيها أسلم غلام بنى الحجاج ، وعریض أبو يسار ، غلام بنى العاص ، فأتوا بهما ، فسألوهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، فقالا : نحن سقاة قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضربوهما ، فلما أذلقوهما^(١) .. قالا : نحن لأبي سفيان ، ونحن في العير ، فتركتوهما ، ورکع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد سجديه ، ثم سلم ، وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذبتم ترکتموهما ! صدقا والله ، إنهم لقريش ، وهذا مراد الناظم بقوله : (وزحزحا) أي : أبعد .

(عنها) أي : الواردة (النبي) صلى الله عليه وسلم (الضرب إذ قال : هما واردة النفير) أي : جيش أبي جهل (واستفتأهـما) النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهمـا : «أخبرـاني عن قريـش» قالـا : هـم والله وراء هـذا الكـثـبـ الـذـي

(١) بالغوا في ضربـهما .

تقدير عدد كفار قريش
ومن خرج من أشرافهم

ترى بالعدوة^(١) القصوى ، قال : « كم هم ؟ » قالا : كثير ،
قال : « ما عدّتهم ؟ » قالا : لا ندرى ، قال : « كم ينحرون
كل يوم ؟ » قالا : يوماً تسعأً ، ويوماً عشرأً ، فقال صلى الله
عليه وسلم : « القوم ما بين تسع مئة وألف » ثم قال لهما :
« فمن فيهم من أشراف قريش ؟ » قالا : عقبة بن ربيعة ،
وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام ،
ونوفل بن خويلد ، وأبو جهل ، وأمية بن خلف ، والضر بن
الحارث ، حتى عدّ جماعة من كبرائهم ، فأقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت إليكم
أفلاذ كبدها » .

أمن أبي سفيان على العير ونجاتها :

(وعندما أمن) أبو سفيان (صخر) من تعرض المسلمين
لعيه (أرسل) بألف الإطلاق ؛ أي : أرسل أبو سفيان (إلى
النفير) : وهم قريش الذين نفروا للقتال مع أبي جهل ، بـ (أن
يؤوب) أي : يرجع النفير (قفلا) بتشديد الفاء : جمع قافل ،
بمعنى راجع ، وقال : إنما خرجمت لتمنعوا عيركم ،
ورجالكم ، وأموالكم ، فقد نجها الله ، فارجعوا ، وستأتي
مقالة أبي جهل في ذلك .

سبب أمن أبي سفيان

وسبب أمن أبي سفيان : أنه خرج بسبس بن عمرو ،

(١) بضم العين المهملة ؛ أي : الجانب المرتفع من الوادي . اهـ منه

وَعُدَيُّ بْنُ أَبِي الزَّغْبَاءِ . . حَتَّى نَزَّلَ بَدْرًا ، فَأَنَاخَاهُ إِلَى تِلٍ قَرِيبٍ
مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ أَخْدَاهُ شَنًّا لَهُمَا يَسْتَقِيَانَ فِيهِ ، وَمَجْدِي بْنُ عُمَرَ
الْجَهْنِيُّ عَلَى الْمَاءِ ، فَسَمِعَ عَدِيُّ وَبَسِّيْسَ جَارِيَتَيْنِ مِنْ جُوَارِيِّ
الْحَاضِرِ^(١) ، وَهُمَا تَلَازِمَانٌ عَلَى الْمَاءِ ، وَالْمَلْزُومَةُ تَقُولُ
لَصَاحِبَتِهَا : إِنَّمَا تَأْتِي الْعِيرُ غَدًّا ، أَوْ بَعْدَ غَدٍ ، فَأَعْمَلُ لَهُمْ ، ثُمَّ
أَقْضِيَكَ الَّذِي لَكَ ، قَالَ مَجْدِي : صَدَقْتَ ، ثُمَّ خَلَصَ بَيْنَهُمَا ،
وَسَمِعَ ذَلِكَ عَدِيُّ ، وَبَسِّيْسَ ، فَجَلَسَا عَلَى بَعِيرِيهِمَا ، ثُمَّ
انْطَلَقا . . حَتَّى أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخْبَرَاهُ بِمَا
سَمِعَا ، وَأَقْبَلَ أَبُو سَفِيَّانُ حَتَّى تَقْدَمَ الْعِيرُ حَذِرًا ، حَتَّى وَرَدَ
الْمَاءِ ، فَقَالَ لِمَجْدِي بْنِ عُمَرَ : هَلْ أَحْسَنْتَ أَحَدًا؟ قَالَ :
مَا رَأَيْتَ أَحَدًا أَنْكَرَهُ ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتَ رَاكِبَيْنِ قَدْ أَنَاخَاهُ إِلَى هَذَا
الْتِلِّ ، ثُمَّ اسْتَقِيَا فِي شَنًّ لَهُمَا ، ثُمَّ انْطَلَقا ، فَأَتَى أَبُو سَفِيَّانُ
مُنَاخَهُمَا ، فَأَخْدَهُ مِنْ أَبْعَارِ بَعِيرِيهِمَا ، فَفَتَّهُ ، فَإِذَا فِيهِ النَّوْيُّ ،
فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَائِفَ يَثْرَبُ ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ سَرِيعًا ،
فَضَرَبَ وَجْهَ عِيرِهِ عَنِ الْطَّرِيقِ ، فَسَاحَلَ بَهَا ، وَتَرَكَ بَدْرًا
يُسَارًا ، وَانْطَلَقَ حَتَّى أَسْرَعَ .

تَتَبعُ أَبِي سَفِيَّانَ أَخْبَارَ
الْمُسْلِمِينَ وَالتَّعْرِفُ
عَلَى تَحْرِكَهُمْ

انْحِرَافُ الْعِيرِ إِلَى
السَّاحِلِ

رجوع الأَخْنَسِ بْنِي زُهْرَةَ :

(وَرَدَ الْأَخْنَسُ) بْنُ شَرِيقِ الثَّقْفِيِّ (الْمُسَوَّدُ) وَالْمُفْضَلُ فِي
بَنِي زُهْرَةَ (عَلَى حَلْفٍ) بَكْسَرِ فَسْكُونٍ ؛ أَيْ : مَعَ حَلْفِ

(١) الْحَاضِرُ : الْقَوْمُ النَّازِلُونَ عَلَى الْمَاءِ .

وَأَبْنُ هِشَامٍ قَالَ لَا أَوْنَرِدَا بَدْرًا فَنَنْحَرَ وَنْرِهَبَ الْعِدَا

لبني زهرة ، قال في « الروض » : ويقال : إنَّه ما ساد حليف غيره ، قوله : (بني زهرة) معمول لقوله : (رد) يعني : أنَّ الأخنس قال : يا بني زهرة ؛ قد نجى الله أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنَّما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جُبنها ، وارجعوا ؛ فإنَّه لا حاجة لكم في محمد وأصحابه ، لا ما يقول هذا ، يريد أبا جهل ، فرجعوا ولم يشهدوا رُهري^(١) (وازداد) بذلك (علا) في الجاهلية .

قال في « روض النهاة » : إلَّا أَنَّه نافق في إسلامه ، ونزلت فيه ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعِجِّبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الآية .

وقيل سبب رده لهم : أَنَّه خلا بأبي جهل حين تراءى الجمعان ، فقال : أَتُرُى مُحَمَّدًا يكذب ؟ فقال : كيف يكذب على الله ، وقد كنا نسميه الأمين ؟! لأنَّه ما كذب قط ، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف السقاية والرِّفادة والمشورة ، ثم تكون فيهم النبوة ، فأي شيء بقي لنا ؟ فحيثُنِّي الأخنس ؛ أي : رجع ببني زهرة ، وكان اسمه أُبيا ، فسمى الأخنس بذلك .

إصرار أبي جهل على عدم رجوع قريش :

(و) الخبيث اللعين أبو جهل (ابن هشام) بتسمية النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقول له العرب : أبا الحكم (قال)

(١) قال المناوي : (ورجعت بنو عدي ، فصادفهم أبو سفيان ، فقال : لا في العير ، ولا في النفير ، قالوا : أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع) اهـ

فَطَأَوْعُوهُ وَمَضَوْا وَبَأْتُوا
 عَنْ كَثَبٍ وَأَصْبَحُوا بِوَحْلٍ
 بِخَيْرِ لَيْلَةٍ وَأَصْبَحَ عَلَى
 بَشَرٍ مَبَاتَ بِهِ بُغَاءُ
 ثَبَطُهُمْ وَبَاتَ خَيْرُ مُرْسَلٍ
 أَثْبَتَ أَرْضٍ لِلْخُطَا وَأَرْتَحَلَ

لما أرسل إليهم أبو سفيان أن يرجعوا ، فأراد أصحابه الرجوع
 لنجاة العبر : (لا) نرجع (أو) أي : إلا أن (نرد بدرأ)
 وكانت من مواسم العرب ، تجتمع لهم به سوق كل عام
 (فنحر) الجُذُر وشرب الخمر ، وتعزف عليه القيان ،
 (ونُزَّهُب العدا) وتسمع بنا العرب .

(فطاوعوه) أي : أبا جهل (ومضوا) لسيلهم .. حتى
 أتوا بدرأ ، ونزلوا بالعدوة القصوى (وباتوا بشر ما) أي : حال
 (بات به بغاء) جمع باغ ، بمعنى ظالم ، من السهر والريح
 والبرد والجزع ، وإنما وصفهم بالظلم ؛ لأنهم أهله ، ويتعلق
 بقوله : (عن كثب) أي : قرب .

نزول المطر يوم بدر نعمة على المسلمين ونقطة على المشركين :
 (وأصبهوا بohl) بفتح الواو والهاء المهملة ؛ أي :
 فيه ، وهو الطين الرقيق ترتطم فيه الذواب ، ولا تكاد تخرج
 منه (ثبطهم) أي : عوّقهم الوحل عن المسير (وبات خير
 مرسل) صلى الله عليه وسلم (بخير ليلة) من الأمان والعافية ،
 ولما احتلم أصحابه ليلتئذ .. أرسل الله عليهم السحاب ،
 فتطهروا بها ، ولبدت لهم الأرض ، وكانت دهساً ؛ أي :
 سهلة لينة ، كما قال : (وأصبح على أثبت أرض للخطا) بضم
 الخاء ، وهو جمع خطوة : ما بين القدمين (وارتاحل)

صلى الله عليه وسلم بأصحابه .. حتى جاء أقرب ماء من بدر ، فنزل به .

المشورة في منزل الحرب :

ثم إنَّ الْحُبَابَ بْنَ الْمَنْذِرِ بْنَ الْجَمْوَحَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ ، أَمْنَزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ ، لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقْدِمَهُ ، أَوْ نَتَأْخِرَ عَنْهُ ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ ، وَالْحَرْبُ ، وَالْمَكِيدَةُ ؟ قَالَ : « بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ ، فَانهَضَ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتَى أَدْنَى مَاءَ مِنَ الْقَوْمِ فَنَزَّلَهُ ، ثُمَّ نَغَوَّرَ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقُلُوبِ ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا ، فَنَمْلُؤُهُ مَاءً ، فَشَرَبَ وَلَا يَشْرِبُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ » فَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ ، فَسَارَ .. حَتَّى أَتَى أَدْنَى مَاءَ مِنَ الْقَوْمِ ، فَنَزَّلَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَمْرَ بِالْقُلُوبِ فَغَوَّرَتْ ، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ ، فَمَلَئَ مَاءً ، ثُمَّ قَذَفُوا فِيهِ الْآَنَيَةَ ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ النَّاظِمُ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : (فَنَزَّلُوا) أَيْ : الصَّحْبُ الْكَرَامُ مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (أَدْنَى الْمِيَاهِ لِلْعِدَّا ، وَغَوَّرُوا) بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ ، وَتَشْدِيدِ الْوَادِ ، وَهُوَ الْمَوْافِقُ لِلنَّظَمِ^(١) (جَمِيعَهُنَّ) أَيْ : الْقُلُوبُ (مَا عَدَا) أَيْ : إِلَّا

(١) قوله : (وهو المواقف للنظم) قال السهيلي في « الروض » عند قوله : (فأمر بتلك القلب فغورت) : (هذه الكلمة نبيلة ، وذلك أن القلب لما كانت عيناً .. جعلها كعين الإنسان ، ويقال في عين الإنسان : عرتها فعارت ، ولا يقال : عورتها ، وكذلك قال في القلب : =

قَلِيبِهِمْ وَجَعَلُوا أَوَانِي فِي جَدْوِلٍ فَهِيَ لَهُمْ دَوَانِي
وَأَقْبَلَتْ بِالْخِيلَا وَالْكِبْرِيَا إِلَى الْمَصَارِعِ الْرُّحُوفُ الْأَشْقِيَا

(قلبيهم) أي : المسلمين ، والقليل في الأصل : البئر قبل أن تطوى وتبني .

(وجعلوا الأواني) للشرب (في جدول) على وزن جعفر وخروع : النهر الصغير ، قاله في « القاموس » والمراد به هنا : الحوض المذكور (فهي) أي : الأواني (لهم) أي : للMuslimين ممَّن يريد الشرب (دواني) أي : قريبة .

(وأقبلت بالخيلا) هو التكبر والإعجاب بالنفس ، فعطف قوله : (والكبريا) عليه عطف تفسير (إلى المصارع) جمع مصرع ، بفتح الميم ، وهو موضع هلاكهم الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين سرَّ ونشَط بقول سعد والمقداد : « إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ - يعنى العير أو النمير - وَاللَّهُ لَكَأْنِي أَنْظَرَ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ » .

وقوله : (الرُّحُوفُ) فاعل (أقبلت) وهو : جمع زحف الجيش ، يزحفون ؛ أي : يمشون إلى عدوهم ، ووصفهم بقوله : (الأشقيا) .

عورت بسكون الواو ، ولكن لمارد الفعل لما لم يسم فاعله . ضمت العين ، فجاء على لغة من يقول : قول القول ، وبوع المتع ، وهو لغة هذيل) اهـ وقال أبو ذر في « شرحه » : (من رواه بالعين المعجمة ، فمعناه : نذهب ونذهب) .

لَوْ طَاوَعُوا عُتْبَةَ أَوْ حَكِيمًا أَوْ أَبْنَ وَهْبٍ مَا رَأَوَا أَلِيمًا
لِكَوْنِهِمْ إِلَى الْقُفُولِ أَرْشَدُوا مِنْ بَعْدِ مَا أَشْفَوْا عَلَى مَا وَرَدُوا

مقال عتبة وحكيم وابن وهب لقريش في الرجوع عن القتال :

قال الناظم :



(لو طاوعوا عتبة) بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم وقد رأه على جمل له أحمر : « إن يكن فيهم خير ، ففي صاحب الجمل الأحمر ، إن يطعوه يرشدوا » (أو حكيم) ابن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، أُمُّهُ فاختة بنت رهين ، ولدته في جوف الكعبة ، وطرحت ثيابها التي ولدته فيها في الحطيم ، وذلك شرع الجاهلية ، وتسمى تلك الشياب : اللقى ، بوزن الفتى ، قال الشاعر :

فواحَزَنَا كَرِيْ عَلَيْهِ كَائِنُهُ
لَقَنَّ بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفَتَيْنِ صَرِيمُ

نجا يوم بدر ، وأسلم يوم الفتح ، رضي الله عنه .

(أو) عمير (ابن وهب) بن خلف بن حذافة بن جمح ، قال في « روض النهاة » : (ويقال له : شيطان العرب ، وقد أسلم رضي الله عنه) (ما رأوا) أي : كفار قريش (أليما) .

(لكونهم) أي : لكون المذكورين (إلى القُفُول) أي : الرجوع عن القتال (أرشدوا) قومهم (من بعد ما) يظهر أنها مصدرية (أشفوا) قال في « القاموس » و « شرحه » : (أشفى

بعث قريش عمير بن
وهب الجمحي
محمساً أخبار
المسلمين

على الشيء : أشرف ، وحصل على شفاه ، وهو يستعمل في
الشر غالباً) أي : من بعد إشرافهم (على ما) أي : القتال
الذي (وردو) بدرأ لأجله .

وأشار الناظم في هذه الأبيات إلى ما ذكره ابن سيد الناس
في « العيون » ، وابن كثير في « البداية » كلامها عن ابن
إسحاق قال : (حدثني أبي إسحاقُ بن يسار وغيره من أهل
العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لَمَّا اطمأنَّ القوم ..
بعثوا عُمير بن وهب الجمحيَّ فقالوا : احْرُزْ لَنَا أَصْحَابَ
مُحَمَّدَ ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثمَّ رجع
إليهم ، فقال : ثلث مئة رجل ، يزيدون قليلاً ، أو ينقصون ،
ولكن أمهلوني حتى أنظر للقوم كمِن ، أو مَدَد ، قال : فضرب
في بطن الوادي .. حتَّى أبعد فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم ،
فقال : ما رأيت شيئاً ، ولكن رأيت يا عشر قريش البلايا
تحمل المنيا ، نواصح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس
لهم مَنْعَة ، ولا ملجاً إلَّا سِيوفُهم .

وفي « السيرة الشامية » : أما ترونَهُمْ خرساً لا يتكلمون ،
يتلَمَّظُونَ تلَمُّظَ الأفاغِي^(١) ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم ..
حتى يقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم عددهم .. فما خير
العيش بعد ذلك ؟ فَرَوْا رأيكم .

(١) تلَمُّظ : إذا تبع بلسانه بقية الطعام في فمه ، وأخرج لسانه فمسح به شفتيه .

مفاوضاتات زعماء قريش
على التراجع عن القتال

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك .. مشى في الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش ، وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي ^(١) ، قال : قد فعلت ، أنت على بذلك ، إنما هو حليفي ، فعلى عقله وما أصيب من ماله ، فأنت ابن الحنظلية - يعني أبي جهل - ثم قام عتبة خطيباً فقال : يا عشر قريش ؛ إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدًا وأصحابه شيئاً ، والله ؛ لئن أصبتموه .. لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عممه ، أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه .. فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك .. ألقاكم ، ولم تعرّضوا منه ما تريدون) .
وإلى هنا انتهى ما دار من المفاوضة بين الثلاثة وأبي جهل .

إصرار أبي جهل على الحرب :

وأماماً جواب أبي جهل .. فهو ما أشار إليه الناظم رحمه الله تعالى بقوله :

(وقال) أبو جهل (عمرو و) الحال أَنَّه (بأنفه) ، يتعلّق بقوله : (شمخ) أي : تكبر ، قوله (ثانية) ، أمّا القولة

(١) أي : الذي قتله واقتدى بن عبد الله في سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة ، وهو أول قتيل .

الأولى قوله - كما تقدم - : لا نرجع .. حتى نرد بدرأاً الخ ،
ومقول القول قوله : (سحر عتبة انتفخ) كما قال : (سحر)
قال في « المختار » : بالضم : الرثة ، والجمع أسحار ، كبرد
وأبراد ، وكذا السحر بالفتح ، وجمعه سحور كفلس وفلوس ،
وقد يحرك لمكان حرف الحلق ، فيقال : سحر وسحر ، كنهر
ونهر ، والثاني هو اللائق بالنظم ، فيحمل عليه (عتبة
انتفخ) .

قال في « العيون » : (قال حكيم : فانطلقت حتى جئت
أبا جهل ، فوجدته قد نثر درعاً له من جرابها ، فقلت :
يا أبا الحكم ؛ إنَّ عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا - لِلَّذِي قال -
قال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، كلاً
والله ، لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة
ما قال ، ولكنه قد رأى أنَّ محمداً وأصحابه أكلة جزور ،
وفيهم ابنه^(١) قد تخوف عليه ، ولما بلغ عتبة قول أبي جهل :
انتفخ والله سحره .. قال : سيعلم مصفر استه من انتفخ
سحره : أنا أم هو ؟ ثمَّ بعث أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي
الذي قُتل أخوه عمرو في سرية ابن جحش ، فقال : هذا
حليفك يريد أن ترجع بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينيك ، فقم
فانشد خُفْرَتَك^(٢) (ومقتل أخيك) وقد أشار الناظم لهذا بقوله :

محاولة حكيم بن حزام
أبا جهل في الرجوع عن
القتال

(١) هو أبو حذيفة من مهاجري الحبشة رضي الله عنه .

(٢) أي : اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك وعهدهك ؛ إذ أنَّه كان حليفاً لهم وجاراً .

استشهاد أبي جهل
ابن الحضرمي بالمطالبة
بالثار من المسلمين

(واستند) أبو جهل عامر (بن الحضرمي) أخا
المقتول ، الذي هو عمرو ، وقال : هذا حليفك ... إلى آخر
ما تقدم (الثار) بالهمزة ، وتبدل ألفاً : الدم ، وقيل : الطلب
به ، كما في « التاج » عن « المحكم » (ف) قام عامر ،
وكشف استه ، وحثا عليه التراب ، ثم صرخ : واعمراء ،
فشارت النفوس ، و(حش حرباً) أي : أوقدها (بينهم
وشتا) .

مقتال الأسودين، عبد الأسد :

فقام الأسود^(١) بن عبد الأسد المخزومي فقال : أُعاهد الله لأنشربنَ من حوضهم ، أو لأهدمنَ ، أو لأموتنَ دونه . فقام إليه سيدنا حمزة رضي الله عنه ، فلما التقى .. ضربه حمزة ، فأطَّنَ قدمه إلى نصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره ، تسبَّبَ رجله دمًا نحو أصحابه ، ثمَّ حبا إلى الحوض .. حتى اقتحم فيه ، قتله حمزة ، فقتله في الحوض .

(١) الأسود هذا : أول من يأخذ كتابه بشماله ، وأخوه أبو سلمة أول من يأخذ كتابه بيمينه بعد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، قالشيخ شيخنا عبد القادر بن محمد سالم في « الواضح المبين » :

سيـدـنـا عـمـرـ هـوـ أـوـلـ
ثـمـ أـبـوـ سـلـمـةـ يـتـلـوـهـ
سـبـحـانـ مـنـ يـفـعـلـ مـاـ يـرـيدـ

فَقَامَ لِلْوَلِيدِ نَجْلَ عَتْبَةِ حَيْدَرَةٌ وَحَمْزَةُ لَشَيْبَةِ
نَجْلِ رَبِيعَةٍ وَعَتْبَةُ أَخْوَةٍ قَامَ لَهُ عُبَيْدَةُ إِذْ رَشَحُوهُ

وذكر الحافظ ابن عبد البر في ترجمة أخيه العلاء بن الحضرمي : (أنَّ عامر بن الحضرمي قُتل يوم بدر كافراً) .

ابتداء الحرب بالمبادرة :

ولمَّا أُوقِدَ أبو جهل الحرب بينهم ، وقتل حمزة الأسود ..
خرج عتبة بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، فدعا إلى المبارزة ،
فخرج إليه ثلاثة من الأنصار : عوف ومعاذ^(١) ابنا الحارث ،
وأُثْمَّهَا عفرا ، والثالث : عبد الله بن رواحة فيما قيل ،
فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار ، فقالوا : ما لنا
بكم من حاجة ، وفي رواية : فقالوا : أكفاء كرام ، ولكن
أخرجوا إلينا من أكفاءنا بني عمنا ، فقال النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة ، قم
يا علي » .

(فقام للوليد نجل) أي : ابن (عتبة) بن ربيعة (حيدرة)
لقب لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، (و) قام
(حمزة) بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لشيبة نجل ربيعة) بن عبد شمس ، (وعتبة أخوه)
أي : أخو شيبة (قام له عبيدة) الآتي نسبة (إذ رشحوه) أي :
قدموه للمبارزة .

(١) في « الهشامية » و « العيون » : معوذ ، بدل معاذ .

وَقُطِعَتْ قَدَمُهُ وَاحْتَمَلُوهُ وَهُوَ أَسْنُ الْجَيْشِ فِيمَا نَقْلُوهُ

قال ابن إسحاق : فلما دنوا منهم .. قالوا : من أنتم ؟
فقال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال عليّ :
عليّ ، قالوا : نعم ، أكفاء كرام فبارز عبيدة ، وكان أسن القوم
عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز عليّ الوليد بن عتبة ، فأماما
حمزة .. فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأماما علي .. فلم يمهل
الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما
أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعليّ بأسافهما على عتبة ، فدفنا
عليه - بالمهملة والمعجمة : أجهزا عليه - واحتمل صاحبهما ،
فحازاه إلى أصحابه .

استشهاد عبيدة بن الحارث :

(قطعت قدمه) أي : عبيدة ، بضربة ضربه بها عتبة في
ركبته ، وصار مُحْسِن ساقه يسيل (واحتملوه) فمات بالصراء ،
وُدُنَّ بها ، رضي الله تعالى عنه ، ونفعنا بمحبته (وهو أَسْنُ
الجيش فيما نقلوه) من الأخبار .

ذكر في «الحلية» : أَنَّه أَسْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِعَشْرِ سَنِينَ .

وقال في «روض النهاة» : له يوم مات ثلاثة وستون
سنة ، وهو القائل يومئذ رضي الله عنه :

فَإِنْ تَقْطَعُوا رِجْلِي فَإِنِّي مُسْلِمٌ
أُرْجِحُ بِهَا عَيْشًا مِنَ اللَّهِ عَالِيَا

وَهُوَ إِذَا أَخَذْتَ فِي نِعْمَةِ النَّسَبِ عَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَلِّبِ

عيدة بن الحارث

وأليسني الرَّحْمَنْ من فضل مَنْهُ

لباساً من الإسلام غطى المساويا

(وهو) أي : سيدنا عيادة المذكور (إذا أخذت في) نسبة الشريف ، و (نعم النسب) هو ، فقل : (عيادة بن الحارث بن المطلب) بن عبد مناف ، أسلم قديماً .

قال في « الإصابة » : (وكان رأس بنى عبد مناف حينئذ ، مع أنَّ العباس وإخوته كانوا في التعدد أقرب ، وكان مع النبيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة ، ثم هاجر) .

قال الحافظ ابن كثير : (ولما جاؤوا به إلى رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأفرشه رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدمه الشريفة ، فوضع خده على قدمه الشريفة ، وقال : يا رسول الله ؟ لو رأني أبو طالب . . لعلم أنِّي أحق بقوله :

وَنُسِّلِمُهُ حَتَّى نُصْرَعَ حَوْلَهُ

ونذهب عن أبنائنا والحلائل

ثمَّ مات رضي الله عنه ، فقال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أشهد أَنَّكَ شهيد » رواه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى) .

وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي مجلز عن قيس بن عُباد : سمعت أبا ذرَّ رضي الله عنه يقسم قسماً : أَنَّ هذه

الآية : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ نزلت في الذين بَرَزُوا يوم بدر : حمزة ، وعليّ ، وعبيدة بن الحارث ، وعُتبة ، وشيبة ابْنِي ربيعة ، والوليد بن عتبة .

وروى البخاري أيضاً من حديث أبي مجلز عن قيس ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أَنَّهُ قال : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجِدُ بَيْنِ يَدِي الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وقال قيس : وفيهم أُنْزِلَتْ : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ شِبَابٌ مِّنْ نَارٍ يُصَبَّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَسِيمُ ِ يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجَلُودُ ِ وَلَمْ يَمْقِطْ مِنْ حَدِيدٍ ِ كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمِّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ِ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَكَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَأَلْوَانٍ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ِ ﴾ ، وقال : هُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بدر : علي ، وحمزة ، وعبيدة رضي الله عنهم ، وشيبة بن ربيعة ، وعُتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة .

(وَشَهِدَ الْمَشْهَدَ هَذَا) أي : بدرأ (أخواه) أي : أخوا عبيدة ، بل شهدا المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما تا في خلافة عثمان رضي الله عنه ، في سنة إحدى وثلاثين (أَعْنَى الْحُصَيْنَ وَالْطَّفِيلَ) ابْنِي الْحَارَثِ .

قال في « روض النهاة » : (إِنَّ الْثَّلَاثَةَ أَشْقَاءَ ، أُمُّهُمْ سَخِيلَةَ) (مشبهاه) أي : عبيدة في قِدَمِ الإِسْلَامِ ، وَالْهِجْرَةِ ، وَشَهُودُ بَدْرٍ .

وَأَبْنُ غَرَبَيَةٍ سَوَادُ أَسْتَتَلَأَ
مِنْ صَفَّهِ وَرَامَ أَنْ يَعْتَدِلَأَ
وَقَالَ إِذْ آلَمَ مَسْنُ قِدْحِهِ
نَبِيُّا فَمَسَّهُ فِي كَشْحِهِ
وَجَدَ فِي أَنْ كَانَ بَاشَرَ الْجَسْدَ
أَوْ جَعْتَنِي نَخْسَا فَأَعْطَنِي الْقَوْدَ

قصة سواد بن غزية مع الرسول صلى الله عليه وسلم :

(وابن غزية) بالتكبير ، البَلَوِي ، حليف بني عدي بن النجار ، واسمه (سواد) بفتح السين ، وتحقيق الواو ، قال في « روض النهاة » : « وكذا كل سواد في العرب ، إلَّا عمر بن سوَاد ، بتشديد الواو ، أحد بني عامر بن لؤي ، من شيوخ الحديث ، وسواد بن مُرّ بن إراشة البَلَوِي حليف الأنصار ، فبضم السين وتحقيق الواو والمذكور في النظم شهد بدرأ ، وما بعدها ، و(استتلا) أي : تقدم (من صفه ، ورام) أي : قصد النَّبِي صلى الله عليه وسلم لَمَّا كان يعْدِلَ الصَّفَوْفَ (أن يعتدلا) والألف للاطلاق ، وفاعله يعود على سواد ، قوله :

(نبينا) فاعل رام (فمسه) أي : مسَّ نبِيَّا صلى الله عليه وسلم سواداً (في كشحه) : هو ما بين الخاصرة إلى الضلع ، (قال) سواد (إذ آلم) هُ (مسْنُ قِدْحِهِ) - بكسر القاف - : السهم قبل أن يُرَاشَ وينصل (أوجعْتَنِي نَخْسَا) : هو غرز الجَنْبَ بعُودَ ، ونحوه ، وهذا مقول القول (فأَعْطَنِي الْقَوْدَ) أي : القصاص ، فأعطاه ذلك ، بأن كشف صلى الله عليه وسلم عن بطنه الشريف ، (وَجَدَ) سواد ، واجتهد (في أَنْ كَانَ بَاشَرَ الْجَسْدَ) أي : جسده صلى الله عليه وسلم ، فاعتنقه ، وقبَّلَ بطنه .

قصة تقبيل سواد بن غزية بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : (وحدَّثني حَبَّانَ بْنُ وَاسِعٍ بْنَ حَبَّانَ ، عن أشياخ من قومه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَّلَ صَفَوْفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَفِي يَدِهِ قِدْحٌ يَعْدِلُ بِهِ الْقَوْمَ ، فَكَانَ يَقُولُ لِهَذَا تَقْدِيمٌ ، وَيُشَيرُ لِلآخِرِ تَأْخِيرًا).

وَذَكَرَ فِي « الشَّامِيَّةِ » : (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ^(١) ، فَمَرَّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيَّةَ حَلِيفِ بْنِ عَدِيَّ بْنِ النَّجَارِ ، وَهُوَ مُسْتَتَلٌ مِنَ الصَّفِّ) .

قال ابن هشام : (فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ بِالْقِدْحِ ، وَقَالَ : « اسْتَوِيْ يَا سَوَادٍ » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ أَوْجَعْتَنِي وَقَدْ بَعْثَكَ اللَّهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ فَأَقِدْنِي ، قَالَ : فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَطْنِهِ ، وَقَالَ : « اسْتَقِدْ » قَالَ : فَاعْتَنِقْهُ ، فَقَبَّلَ بَطْنَهُ فَقَالَ : « مَا حَمَلْتَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادٍ ؟ » قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ حَضَرَ مَا تَرَى ، فَأَرْدَتَ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمْسَسَ جَلْدَكَ ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْرٍ) .

عَرِيشُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَلَمَّا عَدَّلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صُفُوفَهُ .. رَجَعَ إِلَى عَرِيشِهِ ، وَلَيْسَ مَعَهُ فِيهِ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْاشِدُ رَبَّهُ مَا وَعَدَهُ مِنَ النَّصْرِ ، وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ ؟ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

(١) وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْمَقْرِيزِيُّ خَطْبَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ : (وَخَطَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَئِذٍ) فَقَالَ بَعْدَ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ وَالْحَمْدِ : « أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَحْثَكُمْ عَلَى مَا حَثَّكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ شَانِهِ .. . إِلَخُ) .

وَخَفَقَ الْنَّبِيُّ حِينَ الْمَعْرَكَةِ
وَفِي عَرِيشِهِ رَأَى الْمَلَائِكَةَ
عَلَى ثَنَائِيَا جِبْرِيلَ الْقَعْ
وَلَمْ يُقَاتِلْ فِي سِوَاهَا الْجَمْعُ

إن تهلك هذه العصابة اليوم .. لا تُعبد» وأبو بكر يقول : يا نبى الله ؛ بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك .

(و) قد (خَفَقَ) بفتحات (الْبَيْنَ) صلى الله عليه وسلم وهو في العريش خففة ؛ أي : حَرَكَ رأسه وهو ناعس (حين المعركة) بفتح الميم ، والراء مفتوحة ، أو مضمومة : موضع القتال .

الإِمْداد بِالْمَلَائِكَةِ فِي بَدْرٍ :

(وفي عريشه) وهو ما يستظل به من خشب وحشيش (رأى) عليه الصلاة والسلام (الملائكة على ثناءيا جِبْرِيلَ القَعْ) أي : الغبار ، فمن أجل ذلك لما انتبه صلى الله عليه وسلم .. قال : « أبشر يا أبو بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذًا بعنان فرسه يقوده على ثناءيا النَّقْع ». .

روى البيهقي - كما في « شرح المواهب » - عن علي رضي الله عنه قال : (هبَت ريح شديدة لم أر مثلها ، ثم هبَت ريح شديدة ، وأظنه ذكر ثلاثة ، فكانت الأولى جبريل ، والثانية ميكائيل ، والثالثة إسرافيل ، فكان ميكائيل عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها أبو بكر ، وإسرافيل عن يساره وأنا فيها) اهـ .

ورواه ابن سَعْد ، وذكر الثلاثة جَزْمًا ، وقال : (فكانت الأولى : جبريل في ألف من الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم ،

والثانية : ميكائيل في ألف عن يمينه ، والثالثة : إسراويل في ألف عن يساره) قاله القسطلاني .

ثمَّ خرج صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَابِ الْعَرْيَشِ ، وَهُوَ يَتَلَوُ : ﴿سَيِّرُهُمْ بِالْجَمْعِ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ .

دُعَاؤُهُ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبِّهِ :

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» ، و«سِنَنِ أَبِي دَاوُودٍ» و«الْتَّرْمِذِيِّ» عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : (حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ .. نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفُ أَلْفٍ ، وَأَصْحَابِهِ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ ، ثُمَّ مَدَ يَدِيهِ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ : «اللَّهُمَّ ؎ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ ؎ أَتَنِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ ؎ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ .. لَا تَعْبُدْ فِي الْأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ مَادِّاً يَدِيهِ ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ .. حَتَّى سَقَطَ رَدَائِهِ عَنْ مَنْكِبِيهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَخْذَ رَدَائِهِ ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبِيهِ ، ثُمَّ التَّزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؎ كَفَاكَ مَنَشِدُكَ رَبِّكَ ؎ فَإِنَّهُ سَيَنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدْكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِابَ لَكُمْ أَفَمُؤْمِنُكُمْ بِأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فَأَمْدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ) .

استفتح أَبِي جَهَلَ :

وَاسْتَفْتَحْ أَبُو جَهَلَ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ : اللَّهُمَّ ؎ أَفْطِعْنَا لِلرَّحْمَمِ ، وَأَتَانَا بِمَا لَا يُعْرِفُ ، فَأَحِنْهُ الْغَدَاءَ ، فَكَانَ هُوَ الْمَسْتَفْتَحُ عَلَى

نفسه ، وفيه نزلت : ﴿ إِن تَسْتَفْرِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْهُا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعْدُ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من تراب ، فرمى بها قريشاً ، وقال : « شاهت الوجوه » وقال لأصحابه : « سُدُّوا » فكانت الهزيمة ، وكانت تلك الحصبة عظيماً شأنها ، لم تترك أحداً من المشركين إلا ملأت عينيه ، وجعل المسلمين يقتلونهم ، ويأسرونهم ، ويادر التفير إلى كل رجل منهم منكباً على وجهه ، يعالج التراب ، ينزعه من عينيه ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنْ أَلَّهُ فَنَلَّهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنْ أَلَّهُ رَمَى ﴾ أي : عم جميعهم ، وما في قبضتك إلا ما يبلغ بعضهم ، فالله هو الذي رمى سائرهم .

وذكر المقرizi في « إمتاع الأسماع » : إن هزيمة القوم كانت عند الزوال ، وكان الرجل يومئذ يرى الملك على صورة رجل يعرفه ، وهو يثبت ويقول له : ما هم بشيء ، فكر عليهم ، وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلِئَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثِنُوا الَّذِينَ مَأْمَنُوا ﴾ .

قال سيدنا حسان رضي الله عنه :

مِيكَلُ مَعْكَ وَجِبْرِيلُ كِلَاهُمَا

مَدَدٌ لَنْصُرَكَ مِنْ عَزِيزٍ قادرٍ

(ولم يقاتل في سواها) أي : في غير غزوة بدر (الجمع)

آثار حفنة التراب التي
رمها النبي صلى الله
عليه وسلم في وجه
كفار قريش

وَقِيلَ : لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ إِذْ رِيشَةً مِنْهُمْ لِقَوْمٍ مُهْلِكَةً
لَكِنَّهُمْ لِعَدَدٍ وَمَدَدٍ وَطُولَ الْأَبَدِ

قتال الملائكة لمساعدة
المسلمين

من الملائكة ، أما فيها . . فقاتلـت ، وبهذا صرـح العـمـادـ بنـ كـثـيرـ فيـ «ـ تـفـسـيرـهـ »ـ فـقـالـ :ـ (ـ الـمـعـرـوفـ مـنـ قـتـالـ الـمـلـائـكـةـ :ـ أـنـ إـنـماـ كانـ يـوـمـ بـدـرـ -ـ ثـمـ روـيـ بـإـسـنـادـ إـلـىـ اـبـنـ عـبـاسـ -ـ قـالـ :ـ لـمـ تـقـاتـلـ الـمـلـائـكـةـ إـلـأـًـ يـوـمـ بـدـرـ)ـ .ـ

الخلاف في قتال
الملائكة

(ـ وـقـيلـ لـمـ تـقـاتـلـ الـمـلـائـكـهـ)ـ لـاـ فـيـ بـدـرـ وـلـاـ فـيـ غـيـرـهـ ،ـ
وـإـنـماـ كـانـواـ يـكـثـرـونـ السـوـادـ ،ـ وـيـبـتـئـونـ الـمـؤـمـنـينـ ،ـ وـإـلـأـًـ .ـ فـمـلـكـ
وـاحـدـ يـكـفـيـ فـيـ إـهـلـكـ الـدـنـيـاـ ،ـ كـمـاـ قـالـ النـاظـمـ :ـ (ـ إـذـ رـيشـةـ مـنـهـمـ
لـقـومـ مـهـلـكـهـ)ـ مـبـيـدـةـ .ـ

(ـ لـكـنـهـمـ)ـ إـنـماـ حـضـرـواـ بـدـرـأـ (ـ لـعـدـدـ)ـ أـيـ :ـ لـتـكـثـيرـ عـدـدـ
(ـ وـمـدـدـ)ـ فـيـ أـعـيـنـ الـمـشـرـكـينـ ،ـ لـاـ يـضـرـيـوـنـ .ـ

قالـ فيـ «ـ شـرـحـ الـمـوـاـهـبـ »ـ عـقـبـ ذـكـرـ هـذـاـ الـقـيـلـ ،ـ وـمـاـ مـعـهـ
مـنـ الدـلـلـ :ـ (ـ وـهـذـهـ شـبـهـةـ يـدـفـعـهـاـ مـاـ يـأـتـيـ عـنـ السـبـكـيـ ،ـ قـلـتـ :ـ
وـحـاـصـلـ دـفـعـهـاـ عـنـهـ :ـ أـنـ قـتـالـ الـمـلـائـكـةـ مـعـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ
وـسـلـمـ عـلـىـ سـبـيلـ الـاشـتـراكـ فـيـ بـعـضـ الـفـعـلـ ،ـ مـعـ أـنـ جـبـرـائـيلـ
قـادـرـ عـلـىـ أـنـ يـدـفـعـ الـكـفـارـ بـرـيشـةـ مـنـ جـنـاحـهـ ؛ـ لـإـرـادـةـ أـنـ يـكـونـ
الـفـعـلـ لـنـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ،ـ وـلـأـصـحـابـهـ ،ـ وـتـكـونـ
الـمـلـائـكـةـ مـدـدـاـ عـلـىـ عـادـةـ مـدـدـ الـجـيـوشـ ،ـ رـعـاـيـةـ لـصـورـةـ
الـأـسـبـابـ ،ـ وـسـتـهـاـ التـيـ أـجـرـاـهـاـ اللهـ تـعـالـىـ فـيـ عـبـادـهـ ،ـ وـالـلـهـ فـاعـلـ
الـجـمـيعـ)ـ .ـ

وفي المسألة قول ثالث ، ذكره في « شرح المواهب »
وهو : أنها قاتلت فيها وفي غيرها .

سماع الطلبل في بدر :

(وطلبهم) المسمى بطلب أهل الإيمان (هناك) ببدر
يسمع إلى وقتنا هذا ، بل (طول الأبد) وقد شاع ذلك ،
وشوهد من كثير ممَّن يزورون بدرًا ؛ فقد قال القسطلاني في
« المواهب » عن ابن مرزوق : (ومن آيات بدر الباقيه مدى
الأزمان .. ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجاج : أنهم إذا
اجتازوا بذلك الموضع .. يسمعون هيئة الطلبل ، طبل ملوك
الوقت ، ويرون أنَّ ذلك لنصر أهل الإيمان ، قال : وربما
أنكرت ذلك ، وربما تأولته بأنَّ الموضع صُلْب ، فستجيب فيه
حوافر الدواب ، وكان يقال لي : إنَّ دهِس سهل ليس برمل ،
ولا تراب غير صلب ، وغالب ما يسير هناك الإبل ، وأخفافها
لا تصوَّت في الأرض الصلبة ، فكيف بالرمال !) .

قال - أي : ابن مَرْزُوق - : (ثُمَّ لِمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالوصول
إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الْمَشْرَفِ .. نَزَّلَتْ عَنِ الرَّاحِلَةِ أَمْشِي ، وَبِيَدِي
عُودٌ طَوِيلٌ مِّنْ شَجَرَةِ السَّعْدَانِ ، الْمَسْمَى بِأُمِّ غَيْلَانِ ، وَقَدْ
نَسِيَتْ ذَلِكَ الْخَبَرَ الَّذِي كَنْتُ أَسْمَعُ ، فَمَا رَاعَنِي وَأَنَا سَائِرٌ فِي
الْهَاجِرَةِ إِلَّا وَاحِدٌ مِّنْ عَبِيدِ الْأَعْرَابِ الْجَمَالِيِّينَ يَقُولُ : أَتَسْمَعُونَ
الْطَّبْلَ ؟ فَأَخْذَذْتُنِي لِمَا سَمِعْتُ كَلَامَهُ قَشْعَرِيرَةَ بَيْنَةَ ، وَتَذَكَّرَتْ
مَا كَنْتُ أُخْبِرْتُ بِهِ ، وَكَانَ فِي الْجَوِّ بَعْضُ رِيحٍ ، فَسَمِعْتُ

تحقيق العلامة ابن
مرزوق لسماعه

صوت الطلبل ، وأنا دَهِش ممَّا أصابني من الفرح ، أو الهيبة ، أو ما الله أعلم به ، فشككت ، وقلت : لعلَ الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي ، وأوجدت مثل هذا الصوت ، وأنا حريص على طلب التحقيق لهذه الآية العظيمة ، فألقيت العود من يدي ، وجلست على الأرض ، أو ثبَّت قائماً ، أو فعلت جميع ذلك ، فسمعت صوت الطلبل ساماً محققاً ، أو صوتاً لا أشك أَنَّه صوت طبل ، وذلك من ناحية اليمين ونحن سائرون إلى مكة المشرفة ، ثمَ نزلنا ببدر ، فظللت أسمع ذلك الصوت يومي أجمع ، المرة بعد المرة ، وقد أخبرت أَنَّ ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس) انتهى كلام ابن مِرْزُوق .

تحقيق المؤرخ الشهير بالخميس حسين بن محمد :
حسين بن محمد

وقال العلَّامة المؤرخ الشهير بالخميس حسين بن محمد : (وأنا جرَّبها في سنة « ٩٣٦ » وقت اجتيازى ببدر قافلاً من المدينة المنورة إلى مَكَّة المكرَّمة ، وسمعت صوت الطلبل ، وتتابع الناس لسماعه ، وكانوا زهاء مئة إنسان من الرجال ، والنساء في الشقادف ، وغيرها ساماً محققاً بلا شك ، مراراً متعددة ، وكان الصوت يجيء تارة من تحتنا ثمَ ينقطع ، وتارةً من خلفنا ثمَ ينقطع ، وتارةً عن يميننا ، وتارةً عن شمالنا ، وعلى كل الهيئات كنا نسمع الصوت قائماً ، وقاعدًا ، ومتكئاً ، ساماً محققاً بلا شبهة ، وكان الوقت صحواً ، راكداً لا ريح فيه) اهـ^(١)

(١) « تاريخ الخميس » (٤٣١/١) .

وَجَاءَ أَنَّ جِبْرِيلَ يَخْضُرُ
مَنْ مَاتَ مُؤْمِنًا وَقَوْمٌ أَنْكَرُوا
نُزُولَهُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَالْحَقُّ أَنَّ لَيْسَ لَهُ تَنَاهِي

الخلاف في نزول جبريل بعد الرسول عليهما السلام :

(وجاء) في الخبر (أَنَّ جِبْرِيلَ) بالهمزة قبل الياء ، عليه السلام (يَخْضُرُ مَنْ مَاتَ) من أُمَّةٍ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مُؤْمِنًا) وإذا رأَهُ الشَّيْطَانُ . . يُفْرِّغُ مِنْهُ ، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُغُوِّي مِنْ أَرْادَ اللَّهُ تَعَالَى ثَبَاتَهُ ، ثَبَّتَنَا اللَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (وَقَوْمٌ) مِنَ الْعُلَمَاءِ (أَنْكَرُوا نُزُولَهُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال الناظم : (و) القول (الحق أَنَّ) هـ ؛ أي : أَنَّ نزول جبريل (ليس له تناهي) حتى يرَدَ الدجالَ عن الحرمين .

نعم ؛ لا ينزل بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالوحي بشرعية .

التحقيق في نزول
جبريل بعد وفاة النبي
صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال عبد الباقي في « شرحه » على « مختصر سيدى خليل » : (وما اشتهر على ألسنة الناس أَنَّه لا ينزل إلى الأرض بعد موت النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . فَلَا أَصْلِ لَهُ ، وَمَنْ الدَّلِيلُ عَلَى بَطْلَانِهِ مَا لِلْطَّبَرَانِيُّ فِي « الْكَبِيرِ » عَنْ مِيمُونَةَ بَنْتِ سَعْدٍ قَالَتْ : قَلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ هَلْ يَرْقُدُ الْجَنْبُ ؟ قَالَ : « مَا أُحِبُّ أَنْ يَرْقُدَ . . حَتَّى يَتَوَضَّأَ ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَوَفَّ فَلَا يَحْضُرُهُ جِبْرِيلُ ») .

قال العلَّامَةُ الشِّيخُ مُحَمَّدُ الْأَمِيرُ عَلَيْهِ ، أَوْ مَا مَعْنَاهُ :

وَرَاقِبَ الْجَمْعَيْنِ شَخْصَانِ لَكَيْ
يَنْتَهَا مِنْ مُدْبِرِي الْجَمْعَيْنِ شَيْ
فَرَأَيَا الْمَلَكَ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ

(لا ينزل بتجديد شريعة) . ونقله في « مشارق الأنوار » في
فوز أهل الاعتبار ، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه .

قصة الرجلين اللذين
شاهدوا جبريل عليه
السلام

(وراقب الجمعين) أي : جمع المسلمين ، وجمع
المشركين (شخصان) من بني غفار (لكي ينتها) مع من
ينتهب (من مُدْبِرِي الْجَمْعَيْنِ شَيْ) معمول لـ (ينتها) ، وقف
به على لغة ربيعة ؛ أي : ليأخذنا شيئاً .

(فرأيا الملك) جبريل عليه السلام (وهو منطلق) على
فرس قائلاً : أقدم حَيْزُوم (فانشقَ واحد) من الشخصين فمات
مكانه ، (والآخر صَعَقَ) وغُشي عليه .

قال ابن إسحاق : (حدثني عبد الله بن أبي بكر : أنه
حدث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني رجل من
بني غفار قال : أقبلت أنا وابن عم لي .. حتى أصعدنا في جبل
يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ، ننتظر الواقعة على من
تكون الدَّبَرَةَ^(١) ، فننتهب مع من ينتهب ، فيبينا نحن في
الجبل ؛ إذ دنت سحابة .. فسمعنا فيها حَمْمَةَ^(٢) الخيل ،
فسمعت قائلاً يقول : أَقِدَمْ^(٣) حَيْزُوم ، فَأَمَّا ابن عَمِّي فانكشف

(١) الدَّبَرَةَ - بفتح الدال المهملة وسكون الباء - : هي الهزيمة .

(٢) حَمْمَةَ - بحائين مهمليتين مفتوحتين ، بينهما ميم ساكنة - : صوت الخيل .

(٣) أَقِدَمْ : بهمزة قطع مفتوحة وكسر الدال ، من الإقدام كما رجحه ابن الأثير ، وحَيْزُوم : اسم
فرس جبريل ، كما في « الروض الأنف » للسهميلي .

قناع قلبه فمات مكانه ، وأمّا أنا فكدت أهلك ثمّ تماستك) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما رأي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ، ولا أحقر ، ولا أدحر ، ولا أغrieve منه في يوم عرفة ؟ وما ذاك إلّا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، إلّا ما رأي يوم بدر » قيل : وما رأى يوم بدر ؟ قال : « أما إنّه قد رأى جبريل يزع الملائكة » أي : يصفّهم للحرب .

وقال عليه الصّلاة والسّلام يومئذ : « هذا جبريل يسوق الريح كأنّه دحية الكلبي ، إنّي نصرت بالصّبا ، وأهلكت عاد بالدّبور » .

وقال سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : (رأيت يوم بدر رجلين ، عن يمين النّبي صلى الله عليه وسلم أحدهما ، وعن يساره أحدهما ، يقاتلان أشد القتال ، ثم يليهما ثالث من خلفه ، ثمّ ربّعهما رابع أمّاه) .

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عماميّ بيضاً ، ويوم حنين عماميّ حمراً .

وقال ابن هشام : (وكان شumar أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : أحدهما أحد) .

سعد بن معاذ وحراسته الرسول صلى الله عليه وسلم في العريش : (و) سعد (أبن معاذ) سيد الأؤس ، مبتدأ (مبنتي العريش) خبره ؛ فإنّه قال كما رواه ابن إسحاق :

(يا رسول الله ؛ ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونُعِدّ عندك ركائبك ، ثم نلقى عدوّنا ، فإن أعزنا الله ، وأظهرنا على عدوّنا .. كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى .. جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا ؟ فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله وما نحن بأشد لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً .. ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ، ويجاهدون معك ، فأنتى عليه صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير ، ثم بني للرسول صلى الله عليه وسلم عريشاً فكان فيه) .

والعريش : شبه الخيمة يستظل به ، وقال السهيلي : (هو كل ما أظلّك ، وعلاك من فوقك ، فإن علوته أنت .. فهو عرْش لا عريش) .

وتعقبه مُغلطائي بأن تفرقته بينهما لم يروها عن لغوّي ، والذى في « العين » : (أنهما : ما يستظل به) .

رأي سعد بن معاذ وعمر في الأساري :

(و) هو (حارس الثّي) صلى الله عليه وسلم (من) كفار (قريش) على باب العريش ، متوشحاً السيف في نفر من الأنصار ، يحرسونه صلى الله عليه وسلم ، مخافة كر العدو عليه .

وجملة قوله : (يكره إبقاء الأساري) خبر بعد خبر ، لقوله : (وابن معاذ) و (الأساري) بضم الهمزة كالأساري بفتحها : جمع أسير (ويرى) سعد (إهلاكهم) أي :

المشركين (أَوَّلَ قَتْلٍ) أي : في أَوَّلِ قتل ووقة أوقعها الله تعالى بالكفار (أَجْدَرَا) أي : أَحْقَ ، وهو مفعول ثانٍ لـ (يَرَى) والأول : إِهْلَاكَهُمْ ، كما علم من التقرير ، وذلك : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَا رَأَى فِي وَجْهِ سَعْدِ الْكَرَاهَةِ لِمَا يَصْنَعُ النَّاسُ . . . قَالَ : « وَاللَّهُ ؛ لَكَائِنَكَ يَا سَعْدَ تَكْرِهُ مَا يَصْنَعُ الْقَوْمُ » فَقَالَ : أَجْلَ وَاللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَانَ أَوَّلَ وَقْعَةً أَوْقَعَهَا اللَّهُ بِأَهْلِ الشَّرِكَ ، فَكَانَ الإِثْخَانُ فِي الْقَتْلِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اسْتِبْقاءِ الرِّجَالِ .

(وهكذا عمر) بن الخطاب - رضي الله عنه - ابن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاحَ بن عَدَى بن كعب (كان) يرى ابن معاذ في كراهة إبقاء الأسرى ؟ فإنَّه لَمَّا أَخْذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَسْرَى قَائِلًاً : « مَاذَا تَرَوْنَ ؟ » . . . قَالَ عَمَرٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ كَذَبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ ، اضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ .

موافقات عمر رضي الله عنه :

(وَهِيَ) أي : هذه الكلمة (من موافقاته) أي : كلماته الموافقة للقضاء (التي بَعْدُ) بالبناء على الضم لحذف المضاف إليه ؛ أي : التي بعد هذه (تَعَنَّ) بكسر العين ؛ أي : تعرض ، وهي كثيرة ، جمعها الحافظ السيوطي ^(١) .

استشارة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ فِي أَسْرِي بَدْرِ

(١) في نظم سمَّاه « قطف الشمر في موافقات عمر » وهو :

الاستشارة في أسرى بدر :

قال القسطلاني في « المواهب » : (وفي حديث أنس عند الإمام أحمد :

استشارة صلی الله علیه وسلم الناس في الأسرى يوم بدر ،
فقال : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمْكَنَكُمْ مِنْهُمْ » فقام عمر فقال :
يا رسول الله ؛ اضرب أعناقهم ، فأعرض عنهم الصلاة
والسلام ، ثم عاد صلی الله علیه وسلم فقال : « يا أئمَّةِ النَّاسِ ؛

علی نبیِّهِ الَّذِی اجْتَبَاهُ
عَنِ الَّذِی وَافَقَ فِیْهِ عُمْرٌ
مِوْافِقًا لِرَأْیِهِ الصَّوَابِ
مِنْظَوْمَةٌ تَأْمَنُ مِنْ شَتَّاتِ
وَآتَیَتِی تَظَاهَرُ وَسْتَرُ
وَآتَیَتِنَّ أَنْزَلَ فِیْ الْخَمْرِ
وَقَوْلَهُ « شَأْوُمُكُمْ حَرَثٌ » بِیَثِ
يُحَکِّمُوكُمْ » إِذْ بَقْتَلَ أَفْتَنِی
« وَلَا تُصَلِّ » آیَةٌ فِیْ (التَّوْبَةِ)
وَآیَةٌ فِیْهَا بَهَا الْأَسْتَذَانُ
تَبَارَكَ اللَّهُ بِحَفَظِ الْمَتَّقِينَ
وَفِیْ سَوَاهِ آیَةٌ (الْمُنَافِقِينَ)
لَا يَةٌ قَدْ نَزَلَتْ فِی الرَّجْمِ
نَبْهَهُ كَعْبٌ عَلَیْهِ فَسَجَدَ
رَأَیْتَهُ فَسَیْ خَبْرُ مَوْصُولِ
هَنَا اَنْتَهَیَ مَا ذَکَرْهُ مِنْ مَوْافِقَاتِ أَبِی حَفْصٍ ، ثُمَّ أَوْلَاهُ بِمَوْافِقَاتِ أَبِی بَکْرٍ ، فَانْظُرْ ذَلِكَ فِی

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَیْهِ وَسَلَّمَ
يَا سَائِلِی وَالْحَادِثَاتِ تَكْثُرُ
وَمَا يَرَیْ أَنْزَلَ فِی الْكِتَابِ
خَذْ مَاسَأْلَتْ عَنْهُ فِی أَبِیَاتِ
فِی الْمَقَامِ ، وَأَسَارَیْ بَدْرَ
وَذَکَرْ جَبَرِیْلَ لِأَهْلِ الْغَدَرِ
وَآیَةُ الصِّيَامِ فِیْ حَلِ الرَّفَثِ
وَقَوْلَهُ « لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّیْ
وَآیَةُ فِیْهَا الْبَدْرُ أَوْبَهُ
وَآیَةُ فِیْ (النُّورِ) « هَذَا بُهْتَنٌ »
وَفِیْ خَتَامِ آیَةٍ فِیْ (الْمُؤْمِنِينَ)
وَثَلَّةٌ مِنْ فِیْ صَفَاتِ السَّابِقِينَ
وَعَدَدُوْ فِیْ ذَلِكَ نُسُخَ الرِّسَمِ
وَقَالَ قَوْلًا هُوَ فِیْ التُّورَةِ قَدْ
وَفِیْ الْأَذَانِ الْذَکْرُ لِلرَّسُولِ
هَنَا اَنْتَهَیَ مَا ذَکَرْهُ مِنْ مَوْافِقَاتِ أَبِی حَفْصٍ ، ثُمَّ أَوْلَاهُ بِمَوْافِقَاتِ أَبِی بَکْرٍ ، فَانْظُرْ ذَلِكَ فِی
« الْحَاوِیِّ » .

عَنْ قَتْلِ آلِهِ نَهَىٰ إِذْ خَرَجُوا وَفِي خُرُوجِهِمْ عَلَيْهِ حَرَجٌ
وَعَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ إِذْ لَمْ يُؤْذِهِ وَصَكُّ نَبْذِهِمْ سَعَىٰ فِي نَبْذِهِ

إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمْكَنَكُمْ مِّنْهُمْ « فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ اضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ ، فَأَعْرِضْ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَةً ، فَقَامَ أَبُو بَكْرُ الصَّدِيقِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَرَىٰ أَنْ تَغْفِلُ عَنْهُمْ ، وَأَنْ تَقْبِلَ مِنْهُمُ الْفَدَاءَ ، فَذَهَبَ مِنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْغُمَّ ، فَعَفَا عَنْهُمْ ، وَقَبِلَ مِنْهُمُ الْفَدَاءَ) .

النَّهَىٰ عَنْ قَتْلِ بْنِ هَاشِمٍ وَأَبِي الْبَخْتَرِيِّ :

ثَمَّ قَالَ النَّاظِمُ : (عَنْ قَتْلِ آلِهِ) يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ : (نَهَىٰ)
يَعْنِي : نَهَىٰ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ آلِهِ
بْنِي هَاشِمٍ (إِذْ خَرَجُوا) إِلَى بَدْرٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ (وَفِي خُرُوجِهِمْ
عَلَيْهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (حَرَجٌ) أَيْ : ضَيْقٌ ، فَقَدْ أَخْرَجَ
ابْنَ إِسْحَاقَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رِجَالًا مِّنْ بْنِي هَاشِمٍ
وَغَيْرِهِمْ قَدْ أَخْرَجُوا كَرَهًا ، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقَتَالِنَا ، فَمَنْ لَقِيَ
مِنْكُمْ أَحَدًا مِّنْ بْنِي هَاشِمٍ .. فَلَا يَقْتَلَهُ ، وَمَنْ لَقِيَ
أَبَا الْبَخْتَرِيِّ بْنَ هَشَامَ بْنَ الْحَارِثَ بْنَ أَسْدٍ .. فَلَا يَقْتَلَهُ ، وَمَنْ
لَقِيَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .. فَلَا يَقْتَلَهُ ، فَإِنَّمَا خَرَجَ مُسْتَكْرَهًا » ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ
النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ :

(و) نَهَىٰ (عَنْ) قَتْلِ (أَبِي الْبَخْتَرِيِّ) بِفَتْحِ الْبَاءِ وَإِعْجَامِ
الْخَاءِ عَنِ النَّوْرَىٰ ، وَبِضمِ الْبَاءِ مَعَ إِهْمَالِ الْخَاءِ عَنِدَ . . .

غیره^(١) ، وإنما نهى عليه الصلاة والسلام عن قتله (إذ لم يؤذه) أي : لأنَّه لم يؤذ رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع من كان يؤذيه قبلُ ، ولم يبلغه عنه شيء يكرهه ، بل كان يذب عنه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان كثير الإكرام لبني هاشم ما داموا في الشعب^(٢) ، يبعث إليهم بالأطعمة الكثيرة ، ولما لامه أبو جهل .. قال أبو سفيان : دعوه ، كريم وصل رحاما ، وقد سعى في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش في منابذته عليه الصلاة والسلام ، كما أشار لهذا الناظم بقوله : (وصَكُ) : هو الكتاب ، فارسي معرَّب ، وهو مضاف إلى قوله : (نَذِهِمْ) أي : كتاب طرحهم ؛ أي : مشركي قريش النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (سعى) أي : أبو البختري ، وكان المتولى لكتابته بغيض بن عامر العبدري ، بإملاء من قريش ، فشلت يده ، وجملة (سعى) خبر قوله : (وصَكُ) (في نبذه) أي : طرح الصك .

(١) واسمه : العاصي بن هشام بن العمارث بن أسد .

(٢) وذلك : لأنَّه لَمَّا فشا الإسلام ، وكثر المسلمين ، وبلغ المشركين إكرام النجاشي للقادمين عليه من المسلمين .. اثتم المشركون ، وكتبوا بينهم كتاباً تعاقدوا فيه ألاً ينأكحوا بني هاشم وبني المطلب ، ولا يباعوهم ، ولا يكلّموهم ، ولا يجالسونهم حتى يسلمو سيدنا محمداً صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم ، وعلقوا هذه الصحيفة في سقف الكعبة ، وكان ذلك ليلة المحرم في السنة السابعة منبعثة ، فصاروا في الشعب مضيقاً عليهم نحواً من ثلاث سنين حتى فرج الله عنهم ، وأخبر عليه الصلاة والسلام بأنَّ الصحيفة قد أكلت الأرضة جميع ما فيها إلاً اسم الله تعالى ، فكان كما أخبر عليه الصلاة والسلام .

وَجَاءَهُ الْمَجَذُرُ بْنُ ذِيَادٍ وَقَالَ عَنْكَ قَدْ نَهَى خَيْرُ الْعِبَادِ
فَقَالَ وَالزَّمِيلَ قَالَ الْمُصْطَفَى لَمْ يَنْهَ عَنْ قَتْلِ الرَّمِيلِ الْحُنْفَا

قتل المجذر بن ذياد لأبي البختري :

(وجاءه) أي : أبو البختري (المجذر) بصيغة اسم المفعول : المضعف (ابن ذياد) بفتح الذال وتشديد الياء ، قال في « روض النهاة » : (وهو أشهر من كسر الذال ، وتحفيف الياء) .

وهو ابن عمرو بن مرة البلوي الخزرجي ، شهد بدرًا ، وقتله الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري الأوسي يوم أُحد ، بأبيه سُويد ، وكان المجذر قتله في الجاهلية ، في حرب الأوس والخزرج ، فلما اشتبك القتال بين المسلمين والمرشكين يوم أُحد .. عَدَّا الحارث على المجذر فقتله غِيلة ، فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولحق الحارث بمكة مرتدًا ، ثم جاء تائباً لما نزلت : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَنِهِمْ ﴾ ، وحملها إليه رجل وقرأها عليه ، فقال الحارث : والله إنك لصادق ، وإن الله أصدق الصادقين ، فأسلم ثم قتله النبي صلى الله عليه وسلم بالمجذر (وقال) أي : المجذر لأبي البختري (عنك) أي : عن قتلك (قد نهى خير العباد) صلى الله عليه وسلم .

(فقال) أبو البختري (والزميل) أي : الرفيق ، يعني : تقتله أم قد نهيت عنه ، واسمها : جُنادة بن مليحة من بني ليث (قال) المجذر (المصطفى) صلى الله عليه وسلم ، وهو

فَقَالَ وَالنَّخْوَةُ تَأْبَى وَحَكْمُ الظُّبَى
عَنْ تَرْكِهِ جُبْنًا وَحَكْمَ الظُّبَى
لَا يُسْلِمُ أَبْنُ حُرَّةِ زَمِيلَهُ
حَتَّىٰ يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَيِّلَهُ

مبتدأ ، وخبره جملة قوله : (لم ينه عن قتل الزميل) ،
وقوله : (الحنفا) : جمع حنيف ، وهو المائل عن جميع
الأديان إلى دين الإسلام ، مفعول (ينه) أي : لم ينه صلى الله
عليه وسلم أصحابه الحنفاء عن قتل الزميل ، إنما نهى عنك .

(فقال) أبو البختري لسبق شقاوته في الأزل والعياذ
بالله ، (والنخوة) مثلث النون : التكبر (تأبى والإبا) أي :
الامتناع عن الضيم (عن تركه) أي : الزميل (جبنا) أي :
خوفاً من الموت ، (وحكم الظبا) بوزن هدى : جمع ظبة
كثبة : حدد السيف ، ومقول القول :

(لَا يُسْلِمُ أَبْنُ حُرَّةِ زَمِيلَهُ
حَتَّىٰ يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَيِّلَهُ

فَإِنَّهُ قَالَهُ لِمَا حَمَلَ الْمَجْدَرَ بِالسِّيفِ ، وَلَكِنْ طَعَنَهُ الْمَجْدَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَعْدَ أَنْ قَاتَلَهُ فَقَتَلَهُ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْمَجْدَرُ :

أَوْ بَشِّرَنْ بِمِثْلِهَا مِنِّي بَنِي
أَنَا الَّذِي يُقَالُ أَصْلِي مِنْ بَلِي

إِمَّا جَهَلْتَ ، أَوْ نَسِيْتَ نَسِيْيِ
فَأَثَبْتِ النَّسِيْبَةَ إِنِّي مِنْ بَلِي
الطاعنين برماح اليَزَنِي

والطاعنين الكبش حتى ينحني

وَإِذْ نَهَىٰ عَنْ قَتْلِ عَمِّهِ هَفَّا أَبُو حُذَيْفَةَ وَقَالَ سَخَفَا

بَشَّرْ بَيْسِمٍ مَنْ أَبْوَهُ الْبَخْتَرِي

أَطْعَنْ بِالصَّعْدَةِ حَتَّىٰ تَشَنِي

وَأَعْبَطُ الْقِرْنَ بِعَضْ مَشْرَفِي

أَرْزَمُ لِلْمَوْتِ كِلْرَازَمُ الْمَرِي

فَلَا يُرَىٰ مُحَدَّرٌ يَفْرِي فَرِي

ثُمَّ أَتَىٰ الْمُجَدَّرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :

وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ؟ لَقَدْ جَهَدْتَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَأْسِرَ ، فَأَتَيْكَ بِهِ ،

فَأَبْيَ إِلَّا أَنْ يَقْاتِلَنِي ، فَقَاتَلَتْهُ .. فَقُتِلَتْهُ .

مقالة أبي حذيفة وتکفیرها بالشهادة :

(وَإِذْ نَهَىٰ) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عَنْ قَتْلِ عَمِّهِ) الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا خَرَجَ مُسْتَكْرِهً (هَفَّا) أَيْ : زَلَّ (أَبُو حُذَيْفَةَ) : قَيْسُ بْنُ عُتْبَةَ بْنُ رَبِيعَةَ (وَقَالَ) قَوْلًا (سَخَفَا) يَرِيدُ مَرْذُولًا : وَهُوَ أَنْقُلُ آبَاءَنَا ، وَإِخْوَانَنَا ، وَعَشِيرَتَنَا ، وَنَتْرُكُ الْعَبَّاسَ ؟ ! وَاللَّهُ لَئِنْ لَقِيْتُهُ لَا لَحْمَنَهُ السِّيفَ ، فَبَلَغَ هَذَا الْقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقَالَ : « يَا أَبَا حَفْصٍ ^(١) - قَالَ عَمْرٌ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لِأَوْلَ يَوْمٍ كَنَانِي فِيهِ أَبَا حَفْصٍ - أَيُّضُربُ وَجْهَ عَمٍّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسِّيفِ ؟ فَقَالَ عَمْرٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ دَعْنِي أَضْرِبُ عَنْهُ ؛ فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَافَقَ ، فَكَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ يَقُولُ : مَا أَنَا بِآمِنٍ مِنْ تِلْكَ الْكَلْمَةِ ، وَلَا زَلْتُ مِنْهَا خَائِفًا ، إِلَّا أَنْ تُكْفِرَهَا الشَّهَادَةُ .

(١) الحفص : ولد الأسد ، أراد صلى الله عليه وسلم شدة سيدنا عمر رضي الله عنه .

وَكَفَرَتْ هَفْوَاتُهُ الشَّهَادَةِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ لَهَا أَرَادَهُ
وَإِذْ رَأَهُ الْمُصْطَفَى تَضَبَّجَرَا مِنْ جَرِّ عُبَّةِ أَبِيهِ أَعْتَذَرَا

استشهاد أبي حذيفة رضي الله عنه ومولاه سالم يوم اليمامة (وكفرت هفوته) أي : زلت تلك ، وهو مفعول (كفرت) مقدم على فاعله الذي هو (الشهادة يوم اليمامة) : هو يوم مشهور ، كان في أيام أبي بكر ، بعث فيه جيشاً لقتال مُسیلمة الكذاب ، قتل فيه وحشى مُسیلمة ، واستشهد فيه أبو حذيفة ومولاه سالم ، وُجد أحدهما قتيلاً عند رجل الآخر ، رضي الله عنهما .

وكان ذلك في ربيع الأول من سنة اثنى عشرة من الهجرة ، كذا في تاريخ الخميس .

والذي يقتضيه كلام ابن الأثير وابن خلدون في « تاريخهما » : أنَّها كانت في أواخر السنة الحادية عشرة ؛ لأنَّهم ذكروا أنَّ مسیر خالد إلى العراق في أول سنة اثنى عشرة ، وكان بعد فراغه من قتل أهل اليمامة ، كذا في « الفتوحات الإسلامية » (لها) أي : للشهادة ، يتعلّق بقوله : (أراده) أي : اليوم .

قال في « روض النهاة » : (ليس معناه : أنَّه لم يقصد لها الأيام التي قبله ، بل كل وقعة يقصدها للشهادة ، لكن لم تقدَّر ؛ لامتداد أجله إلى ذلك اليوم) .

تمني أبي حذيفة موت أبيه على الإسلام :

(وإذ رأه) أي : أبي حذيفة (المصطفى) صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (تضجراً) من التضجر ، وهو القلق من الغم (من جرِّ)

بِأَنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّ أَبَاهُ يَحْجُرُهُ عَنْ مِيَتَةِ السُّوءِ حِجَاهُ
وَإِذْ مُعَاذُ بْنُ عَمْرُو بْنُ الْجَمْوَحَ أَطَنَ سَاقَ أَبْنِ هِشَامٍ الْطَّمْوَحَ

أي : بسبب جرّ المسلمين إلى القليب (عتبة أبيه) مجرور بالفتحة ، وأبيه بدل منه مجرور بالباء (اعتذرا) بألف الإطلاق
كسابقه ؛ أي : اعتذر أبو حذيفة .

(بَأَنَّهُ كَانَ يَرَى) أي : يعتقد (أنَّ أَبَاهُ) عتبة (يَحْجُرُهُ)
أي : يكفيه ، ويمنعه (عن ميَتَةِ السُّوءِ) : وهي الموت على
الكفر والعياذ بالله ، وفاعل يَحْجُرُهُ قوله : (حِجَاهُ) بكسر
الحاء ؛ أي : عقله ؛ يعني : أَنَّهُ لَمَّا أَمْرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُشْرِكِينَ أَنْ يَلْقَوْا فِي الْقَلِيبِ.. أَخْذَ عَتْبَةَ بْنَ
رَبِيعَةَ ، فَسَحَبَ إِلَى الْقَلِيبِ ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي وَجْهِ ابْنِهِ أَبْنِي حَذِيفَةَ.. فَإِذَا هُوَ كَتِيبٌ مُتَغَيِّرٌ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَعَلَّكَ قَدْ دَخَلْتَ مِنْ شَأْنِ أَبِيكَ شَيْءٍ » أَوْ كَمَا
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاعْتَذِرْ أَبُو حَذِيفَةَ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا شَكَكْتُ فِي أَبِي ، وَلَا فِي مَصْرَعِهِ ، وَلَكِنِي
كُنْتُ أَعْرَفُ مِنْ أَبِي رَأِيًّا وَحِلْمًا وَفَضْلًا ، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ
ذَلِكَ إِلَى إِسْلَامٍ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا أَصَابَهُ ، وَذَكَرْتُ مَا ماتَ عَلَيْهِ
مِنَ الْكُفَّرِ ، بَعْدَ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو لَهُ.. أَحْزَنَنِي ذَلِكُ ، فَدَعَاهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْرٍ ، وَقَالَ خَيْرًا .

مقتل أبي جهل :

(وَإِذْ مُعَاذُ بْنُ عَمْرُو بْنُ الْجَمْوَحَ) بْنُ حَرَامَ بْنَ كَعْبَ بْنَ
غَنْمٍ بْنَ سَلِمَةَ بَكْسَرَ الْلَّامِ (أَطَنَ) قَطْعَ (سَاقَ) أَبِي جَهَلَ (بْنَ

فَطَرَحَ أَبْنَهُ الْهِزَبْرُ عِكْرِمَةَ عَاتِقَهُ وَجَرَّهُ فِي الْمَلْحَمَةِ
أَلْصَقَ خَيْرُ مُرْسَلٍ فَالْتَصَقَ عَاتِقَهُ لَمَّا عَلَيْهِ بَصَقَا

هشام الطموح) أي : الجموح الراكب هواه لِعَيْهِ ؛ وذلك لأنّ
معاذًا قال :رأيت أبا جهل وقد أحاطوا به وهم يقولون :
أبو الحكم لا يُخلص إليه ، فلَمَّا سمعتها.. عمدت نحوه ،
وحملت عليه ، فضربته ضربة أطثت قدمه بنصف ساقه ، فوالله
ما أشَبَّهُها حين طاحت إلَّا بالنواة تَطَيِّحُ من تحت مِرضحة^(١)
النوى حين يضرب بها .

(فـ) بسبب ذلك ضرب معاذًا عكرمة بن أبي جهل على
عاتقه كما قال : (طرح ابنه الْهِزَبَر) بفتح الزاي ، وإسكان الباء
إصابة معاذ بن عمرو
الجموح في عاتقه هنا ، وفيه إسكان الزاي وفتح الباء ، وهو الأسد ، (عِكْرِمَةَ)
وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه ، وما أحسن تعبير الناظم في
جانب ابن الذي أسلم بعدُ بالهزبر ، وأبيه الذي مات كافراً
بالطموح (عاتقه) : هو ما بين المنكب والعنق وهو موضع
الرداء ، (وجَرَّهُ) أي : جر معاذ عاتق نفسه (في الملحمه)
الواقعة العظيمة في الفتنة ، والمراد هنا ساحة القتال .

(أَلْصَقَ خَيْرُ مُرْسَلٍ) صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاتقه في مكانه
(فالتصقا) بـألف الإطلاق ؛ وفاءً له (عاتقه) قوله : (لما
عليه بَصَقا) بتخفيف الميم على أَنَّ ما مصدرية ؛ أي : لبصوقه
عليه ، أو بتشديدها ، على أَنَّ لَمَّا حينية ؛ أي : فالتصق حين
من معجزاته صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) بحاء مهملة ومعجمة : آلة يكسر بها نوى التمر .

.....
بصق عليه ؛ أي : أخرج ريقه ، ورمى به ، قال معاذ :
وضربني ابنه عكرمة على عاتقي ، فطرح يدي ، فتعلقت بجلدة
من جنبي ، وأجهضني ؛ أي : شغلني القتال عنها ، فلقد
قاتلته عامة يومي ، وإنّي لأسحبُها خلفي ، فلما آذتني وضعت
عليها قدمي ، ثمّ تمضي بها عليها ، حتى طرحتها .

قال في « المواهب » : (وجاء معاذ بن عمرو يحمل يده
- ضربه عليها عكرمة - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
كما ذكره القاضي عياض عن ابن وهب ، فبصق عليه الصّلاة
والسّلام عليها ، فلصقت) .

نبية :

التفيق بين الروايات

ما ذكره الناظم تبع فيه أصله اليعمرى ، وعليه جرى
القسطلاني كما رأيت ، قال الزرقانى : (وانتقده - يعني
اليعمرى - محشّيه البرهان ، بأنَّ الذي في « الشفاء » معوذ بن
عفراة . قلت : ينبغي اعتماد ما في « الصحيحين » من حديث
أبي سليمان التيمي ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ينظر ماذا صنع
أبو جهل ؟ » قال ابن مسعود : أنا يا رسول الله ، فانطلق
فوجده قد ضربه ابنا عفراة حتى برد ، قال : فأخذ بلحيته ،
قال : فقلت : أنت أبو جهل ؟ فقال : وهل فوق رجل
قتلتموه ؟ ! أو قال : قتله قومه ، وكذلك رَدَّه محشّيه ، بأنَّ
القاطع لها أبو جهل) .

قال الزرقاني : (نعم ؛ روى ابن إسحاق ، ومن طريقه الحاكم عن ابن عباس قال : قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخوبني سلمة : سمعتهم يقولون وأبو جهل في مثل الحرجة^(١) : أبو جهل لا يخلص إليه ، فجعلته من شأني ، فصممت نحوه ، فلماً أمكنني .. حملت عليه ، فضربته ضربة أطئت قدمه بنصف ساقه ، قال : فوالله ما شبّهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضحة النوى حين يُضرب بها ، قال : وضربني ابنه عكرمة على عاتقي ، فضرب يدي ، فتعلقت بجلدة من جنبي ، وأجهضني القتال عنه ، فلقد قاتلت عامّة يومي وإنّي لأسحبها خلفي ، فلماً آذني .. وضعت عليها قدمي ثمّ تميّت عليها حتى طرحتها ، قال ابن إسحاق : ثمّ عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان رضي الله عنه ، ولم يذكر في حديثه هذا أنّه أتى بها المصطفى ، فتوهم اليعمرى ، وتبعه القسطلاني : أنّ كلام القاضي فيه توهّم ؛ لأنّها قصة أخرى كما علم) .

تسمية أبي جهل فرعون
هذه الأمة

(فرعون) هذه (الأمة) وهو أبو جهل ، لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك جاء عنه صلى الله عليه وسلم قال : هذا فرعون هذه الأمة : عزاه ابن كثير في « البداية » لأبي داود والنّسائي من حديث طويل ، وقال اليعمرى في « العيون » : (روينا عن ابن عائذ : حدثنا الوليد ، قال حدثني خليل ، عن

(١) بفتح الحاء المهملة والراء والجيم وتأنيث : شجر ملتف كالغيبة ، قاله في « النهاية » .

قتادة : أنَّه سمعه يحدث : أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فَرْعَوْنًا ، وَإِنَّ فَرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَبُو جَهْلٍ ، قَتَلَهُ اللَّهُ شَرَّ قَتْلَةٍ ، قَتَلَهُ ابْنًا عَفْرَاءَ ، وَقَتَلَهُ الْمَلَائِكَةَ ، وَذَفَفَهُ ابْنُ مُسْعُودٍ » يعني : أجهز عليه) .

وقوله : (فرعون) مبتدأ وقوله : (النبيُّ) مبتدأ ثانٍ ، خبره (عرفاً) أي : بينه للصَّحْبِ الْكَرَامِ لِمَا أَمَرَ أَنْ يُلْتَمِسَ أَبُو جَهْلَ فِي الْقَتْلَى (بِجَحْشِهِ) بِتَقْدِيمِ الْجَيْمِ عَلَى الْحَاءِ ؛ أي : بَخَدَشَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رَكْبَتِهِ) أي : رَكْبَةُ أَبِي جَهْلٍ (إِذَا اخْتَفَى بَيْنَ الْهَوَالِكِ) .

قال في « السيرة الهشامية » : (وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّحْبِ الْكَرَامِ ، فِيمَا بَلَغْنِي : « انْظُرُوا إِنْ خَفَى عَلَيْكُمْ - يَعْنِي أَبَا جَهْلَ - فِي الْقَتْلَى ، إِلَى أَثْرِ جَرْحٍ فِي رَكْبَتِهِ ؛ فَإِنِّي أَرْدَحْمَتُ يَوْمًا أَنَا وَهُوَ عَلَى مَأْدُبَةٍ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ وَنَحْنُ غُلَامَانَ ، وَكُنْتُ أَشْفَّ مِنْهُ بِيَسِيرٍ ، فَدَفَعْتُهُ ، فَوَقَعَ عَلَى رَكْبَتِيِّهِ ، فَجَحَشَتِهِ فِي إِحْدَاهِمَا جَحْشًا لَمْ يَزِلْ أَثْرُهُ بِهِ » ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنَ مُسْعُودَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَوَجَدْتُهُ بَعْدَ رَمَقَ ، فَعْرَفْتُهُ ، فَوَضَعْتُ رَجْلِي عَلَى عَنْقِهِ ، قَالَ : وَقَدْ كَانَ ضَبَّثَ^(١) بِي مَرَةً بِمَكَّةَ ، فَآذَانِي وَلَكَزَنِي ، ثُمَّ قَلَتْ لِهِ : هَلْ أَخْزَاكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : وَبِمَاذَا أَخْزَانِي ؟ أَعْمَدَ^(٢) مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ ؟ أَخْبِرْنِي

(١) ضَبَّثَ بِهِ : قَبَضَ عَلَيْهِ بِكَفَهِ وَلَزَمَهُ .

(٢) فِي الصَّحِيفَةِ بِسْنِدِهِ إِلَى عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (أَنَّهُ أَتَى أَبَا جَهْلٍ وَبِهِ رَمَقٌ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَالَ =

لمن الدبّرة اليومن؟ قلت: الله ورسوله .

قال ابن إسحاق: (وزعم رجال من بنى مخزوم: أنَّ ابن مسعود كان يقول: ثمَّ احترزت رأسه ، ثمَّ جئت به رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، فقلت: يا رسول الله؛ هذا رأس عدوِّ الله أبي جهل ، قال: فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: «الله الذي لا إله غيره؟» قال: وكانت يمينَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، قال: قلت: نعم ، والله الذي لا إله غيره ، ثمَّ ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، فحمد الله تعالى) .

طرح قتلى المشركين في القليب ونداؤهم :

(و) لما ألقى النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلم قتلى المشركين في القليب (كَلَمَ الْبَيْتِ) صلَّى الله عليه وسلم (جُثَثَهُمْ) : جمع جثة ، وهو الشخص (مُوَيْخًا) أي: مُلَوَّمًا (لـ) لمشركين المشَبَّهين با (الخشب) تشبيهاً بليغاً في عدم النفع ، وهو بضمَّتين جمع خشبة ، وفي التنزيل في صفة المنافقين: ﴿كَانُوكُلُّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدٌ﴾ ، وفي الحديث في صفتهم أيضاً: «خُشُبٌ بالليل ، صُخْبٌ بالنهار» أراد أنَّهم ينامون الليل لا يُصلَّون ، كأنَّ جثثهم خُشُبٌ مطروحة .

أبو جهل: هل أعمد من رجل قتلتمنه؟ قال في «الفتح»: (أعمد - بالمهملة - : أفعل تفضيل من عمد؛ أي: هلك ، يقال: عمد البعير يعمد عمداً بالتحرير ، إذا ورم سنانه من عض القتب ، فهو عميد ، ويكتفى بذلك عن الهلاك) اهـ

وأشار الناظم رحمة الله تعالى إلى ما ذكره الحافظ البَعْمَري في «العيون» قال : (روينا عن ابن عائذ ، أخبرني الوليد بن مسلم ، أخبرني سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن أبي طلحة : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة^(١) ثلاثة ، فلما كان يوم بدر . . أقام ثلاثة ، وألقى بضعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش في طويٰ من أطواء بدر ، ثمَّ أمر براحته ، فسُدَّ عليها رحلُها ، فقلنا : إِنَّه منطلق لحاجة ، حتى وقف على شَفَى الرَّكْبِي ، فجعل يقول : « يا فلان بن فلان ؛ ويا فلان بن فلان . . . ») الحديث .

قال العبد الضعيف : وتمامه : « هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً ؟ فإِنِّي وجدت ما وعدني الله حقاً » فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ؛ كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟ فقال : « ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم ، غير أنَّهم لا يستطيعون أن يرُدُّوا شيئاً » .

قال الحافظ البَعْمَري : (روينا من طريق مالك بن سليمان الهروي قال : حدثنا عمر ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، وفي آخره قال قتادة : أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توبيخاً لهم) .

الاختلاف في إحياء
قتلى بدر من المشركين
وسماعهم توبيخ النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) العرصة بوزن الضربة : كل بقعة بين الدور واسعة ، ليس فيها بناء . اهـ « مختار »

.....

هذا حَمْلٌ لها الخبر على ظاهره ، وقد روينا عن عائشة رضي الله عنه : أَنَّهَا تَأَوَّلَتْ ذَلِكَ ، وَقَالَتْ : إِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُمْ الْأَنَّ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ ، ثُمَّ قَرَأَتْ : **﴿إِنَّكَ لَا تَشْنَعُ الْمَوْقَنَ﴾** الآية .

موقف أهل السنة من خبر إحياء قتلى مشركي أهل بدر

قال السهيلي في «الروض» : (وعائشة لم تحضر - يعني بدرأً - وغيرها ممَّن حضر أحفظ للفظه عليه الصلاة والسلام ، وقد قالوا له يا رسول الله ؛ أتَخاطب قوماً قد جَيَّفُوا ، أو جَيَّفُوا ؟ فقال : « ما أَنْتُمْ بِأَسْمَعِ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ » وإذا جازَ أَنْ يكونوا في تلك الحال عالَمِين .. جازَ أَنْ يكونوا سامعين : إِمَّا بِأَذْنِ رُؤُسِهِمْ ، إذا قلنا : إِنَّ الرُّوحَ يَعُادُ إِلَى الْجَسَدِ ، أو إِلَى بَعْضِ الْجَسَدِ عَنْ الْمُسَأَلَةِ ، وهو قولُ الْأَكْثَرِينَ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ .

وإِمَّا بِأَذْنِ الْقَلْبِ ، أو الرُّوحَ ، عَلَى مِذَهَبٍ مِّنْ يَقُولُ بِتَوْجِهِ السُّؤَالِ إِلَى الرُّوحِ ، مِنْ غَيْرِ رَجُوعٍ مِّنْهُ إِلَى الْجَسَدِ أَوْ بَعْضِهِ .

وقد روي أَنَّ عائشة احتجَتْ بِقُولِهِ اللَّهُ تَعَالَى : **﴿وَمَا أَنَّ يُمْسِيْعَ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ﴾** ، وهذه الآية كقوله تعالى : **﴿أَفَأَنَّ شَنْعَ الْصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمَّى﴾** أي : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَهْدِي ، وَيُوْفِّقُ ، وَيُوْصِلُ الْمَوْعِظَةَ إِلَى آذَانِ الْقُلُوبِ لَا أَنْتَ .

وَجَعَلَ الْكُفَّارَ أَمْوَاتًا ، وَصُمُّمَا عَلَى جَهَةِ التَّشْبِيهِ بِالْأَمْوَاتِ ، وَبِالصَّمِّ ، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَسْمِعُهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِذَا شَاءَ ، لَا نَبِيُّهُ ، وَلَا أَحَدٌ ؛ فَإِذَا دَعَاهُمْ الْكُفَّارُ بِالْآيَةِ مِنْ وَجْهِيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّهَا نَزَّلَتْ فِي دُعَاءِ الْكُفَّارِ إِلَى الْإِيمَانِ .

والآخر : أَنَّهُ إِنَّمَا نَفَى عَنْ نَبِيِّهِ أَنْ يَكُونُ هُوَ الْمَسْمُعُ لَهُمْ ،
وَصَدِقَ اللَّهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُهُمْ إِذَا شَاءَ إِلَّا هُوَ ، وَيَفْعُلُ مَا شَاءَ ،
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) اهـ

إِخْبَارُ الرَّسُولِ بِمَصَارِعِ الْمُشْرِكِينَ بِأَسْمَائِهِمْ قَبْلَ الْقَتْالِ :
(وَعَالَيْنَ) أَيْ : أَبْصَرَ (النَّاسُ) أَيْ : الصَّحْبُ الْكَرَامُ
(الْمَصَارِعُ) جَمْعُ مَصْرَعٍ ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْصَّرْبَعِ ؛ أَيْ :
الْطَّرْحُ .

قَالَ فِي « الْمَصْبَاحِ » : الْصَّرْبَعُ مِنَ الْأَغْصَانِ : مَا تَهَدَّلُ
وَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَمِنْهُ قِيلُ لِلْقَتْلِ : صَرْبَعٌ ، وَالْجَمْعُ :
صَرْبَعَى .

وَالْمَعْنَى : وَأَبْصَرَ الْمُسْلِمُونَ مَوَاضِعَ صَرْبَعِ الْكُفَّارِ (الَّتِي
أَخْبَرَهُمْ بِهَا) أَيْ : بِالْمَصَارِعِ (مَقِيمُ الْمِلَّةِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

قَالَ فِي « الْمَوَاهِبِ » : (وَفِي « الطَّبَرَانِيِّ » عَنْ أَنْسِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَشَأَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَحْدُثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ
فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ
بَدْرٍ بِالْأَمْسِ مِنْ بَدْرٍ : يَقُولُ : « هَذَا مَصْرَعٌ فَلَانٌ غَدَّاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى » قَالَ عُمَرُ : فَوَاللَّهِ بِمَا يَعْلَمُ بِهِ بِالْحَقِّ ؛ مَا أَخْطَأُوهُ الْحَدُودَ
الَّتِي حَدَّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى اتَّهَى إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ :
« يَا فَلَانَ بْنَ فَلَانٍ ؛ وَيَا فَلَانَ بْنَ فَلَانٍ ؛ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدْكُمْ
الَّهُ حَقًا ؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدْنِي اللَّهُ حَقًا » .

استخلاص العظة من
إخبار النبي صلى الله
عليه وسلم عن مصارع
كفار قريش قبل المعركة

قال العبد الضعيف : وحملت الناس فيما ذكر على
الصحاب الكرام ، على معنى أنَّ ما أخبرهم به رسول الله صلى
الله عليه وسلم الصادق الأمين في شأن كفار قريش هو حقٌّ ،
وآمن به الصحب ، وبمشاهدة ذلك قد ازداد الإيمان عياناً ،
والبيان بياناً ، فهو من باب (عين اليقين) وفيه علَّم من أعلام
النبوة باهر .

نصر الله الموعود للمؤمنين :

(فحقق الله له) أي : لنبيه صلى الله عليه وسلم
(ما وعدا) أي : الذي وعده من النصر على أعدائه ؛ حيث
أذن له في الجهاد بقوله عزَّ وجلَّ : ﴿أُذْنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ
ظَلَّمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(١) ، وقول الله تعالى : ﴿وَكَانَ
حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا
لِعَيَادِنَا الرَّسُولَيْنَ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْمَنْصُورِوْنَ وَلَنَجْعَدَنَا هُمُ الْغَلَيْبُوْنَ﴾ ، ومن
إظهار دينه على الدين كله بقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَهِّرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُلَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ
شَهِيدًا﴾ .

(١) قال في «الفتح» : (عن الرُّهْرِي) : إنَّها أول آية نزلت في القتال ، كما أخبرني عروة عن
عائشة ، أخرجه النسائي ، وإسناده صحيح ، وأخرجه هو والترمذى ، وصححه الحاكم من
طريق سعيد بن جبیر عن ابن عباس ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ..
قال أبو بكر : أخرجوا نبیهم ليهلكن ، فنزلت : ﴿أُذْنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ﴾ الآية ، قال ابن
عباس : فهي أول آية نزلت في القتال) اهـ

(وأوْهن) أي : أضعف (الكفر) بقتل أئمَّته ؛ فإنَّ غالب قتلى بدر من المشركين : صناديدهم ، ورؤساؤهم (وأيد) أي : قوى (الهوى) : وهو دين الإسلام ، بتأييد أهله ، فهم عند الله من الأبرار ، وقد قال صلَّى الله عليه وسلم في حارثة بن سراقة الأنصاري وقد أُصيَّب يوم بدر : « إِنَّهُ فِي جنة الفردوس » .

وذكر البخاري بسنده إلى معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقاني عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال : (جاء جبريل فقال : ما تَعْدُونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيهِمْ ؟ قال : « مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ » أَوْ كَلْمَة نَحُواهَا ، قال : وَكَذَلِكَ مَنْ شَهَدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ) وهذا مع قلة المسلمين وكثرة المشركين ، مع ما كانوا فيه من سوابع الحديد والعُدَّةِ الكاملةِ والخيل المسؤومة .

قال في « المواهب » : (أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى بِيَوْمِ بَدْرٍ رَسُولَهُ ، وَأَطْهَرَ وَحِيهِ ، وَتَنْزِيلَهُ ، وَبَيْضَ اللَّهِ وَجْهَ النَّبِيِّ وَقَبْلَهُ ، وَأَخْزَى الشَّيْطَانَ وَجِيلَهُ) ؛ ولهذا قال الناظم رحمه الله تعالى :

المغفرة لأهل بدر :

(لهم) أي : للصحابة الذين شهدوا بدرًا (من الله كتاب) أي : قَدَرْ قَدَرَهُ اللَّهُ لَهُمْ (سابق) في أزله على سعادتهم . . حتى قال صلَّى الله عليه وسلم لسيدنا عمر رضي الله عنه - حين كتب حاطب بن أبي بلتقة كتاباً إلى قريش ، وبعثه مع سارة قينة صَفِيفي بن هاشم يخبرهم : أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلم ي يريد

غزوهم ، فبعث صلى الله عليه وسلم إلى حاطب ، فاعتذر ،
فقال عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنقه ، فقد نافق - :
« يا عمر^(١) ؛ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى
أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ لَهُمْ : أَعْمَلُوا مَا شَتَّمْتُمْ ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » .

وروى الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه بلفظ : « إِنَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ :
أَعْمَلُوا مَا شَتَّمْتُمْ ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » .

واعلم : أَنَّهُ لِيْسَ فِي ذَلِكَ التَّرْخِيصُ لَهُمْ فِي فَعْلِ
الْمَعَاصِي ، بَلِ الْمَعَاصِي إِذَا أَتَوْهَا . . فَهِيَ مَعَاصِي فِي حُكْمِ
الشَّرْعِ ، لَا مَبَاحَاتٌ ، وَلَكِنْ لَا يَتَرَبَّعُ عَلَيْهَا الْعِقَابُ فِي الْآخِرَةِ
بَلِ فِي الدُّنْيَا ، فَقَدْ ثَبَّتَ فِي مَسِنْدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ
جَابِرٍ : « لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا ، وَالْحَدِيبِيَّةُ » فَهُمْ
نَاجُونَ فِي حُكْمِ الْآخِرَةِ ، وَلَا دَلَالَةُ فِي الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَقَامُ
عَلَيْهِمُ الْحَدُّ ؛ فَقَدْ أَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْحَدُّ عَلَى
مَسْطَحِ ، وَهُوَ بَدْرِيَّ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى قَدَّامَةَ بْنِ
مَظْعُونِ الْحَدُّ لِمَا شَرَبَ الْخَمْرَ .

لطيفة : اقتبس الحديث المذكور بعض الأدباء فقال في
محبوب يسمى بدرأ :

يَا بَدْرُ أَهْلَكَ جَارُوا
وَعْلَمَ—وَكَ التَّج—رَّى

(١) مقول لقوله : (قال صلى الله عليه وسلم لعمر) .

وَبَحَّوْلَكَ وَصِلِّي

وَزَيْنَوْلَكَ هَجْرِي

فَلِيفَلَّوْمَا أَرَادُوا

فَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَدْرٍ

(لذاك) أي : لأجل ما ذكر من الكتاب الذي كتبه الله ، وقدّره لمن شهد بدرأ (ما شهدها) أي : الغزوة رجل (منافق) : وهو من أظهر الإيمان وأسرَّ الكفر ؛ لثلاً يدخل في صفتهم الخطيرة .

قال في « روض النهاة » : (واعتذر عن ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قُشير ، والحارث بن سُويد ، بأنَّهم شهدوا بدرأ ، وخرج معهم يومئذ رجالان من الأنصار : حبيب^(١) بن إساف ، وأخر لم يسمَّ وهمما لم يسلما قبل ، فقال لهم النبيَّ صلَّى الله عليه وسلم : « أسلتما ؟ » قالا : لا ، قال : « فأين تريدان ؟ » قالا : نقاتل مع قومنا ، قال : « إنَّا لا نستعين بمشرك ، فإنَّما أن تسلما ، وإنَّما أن ترجعا إلى بلدكمما » فأسلما ، وشهدا بدرأ ، رضي الله عنهمما) .

قلت : وفي حديث حارثة - الآتي ذكره في المستشهدين من الأنصار في هذا اليوم - ما ينبع على عظيم فضل من شهد بدرأ ؛ فإنَّ حارثة هذا كان في النظارة من بعيد ، ولم يكن في

(١) حبيب بن إساف : بكسر الهمزة ، وقد تبدل ياءً : أوسى ، ذكره في « الإصابة » وفي « الشامية » اهـ

يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ فِي الْكُفْرِ
وَقَدْ أَتَى مُنَوَّهًا فِي الْذِكْرِ
بِأَنَّهُ الْعَذَابُ وَاللَّزَامُ
وَأَنَّهُ الْبَطْشُ وَالْأَثْقَامُ

ساحة القتال ، ولا في حومة الوغى ، أصابه سهم غَرْب ، وهو يشرب من الحوض ، ثمَّ مع هذا أخبر صلَى الله عليه وسلم - لِمَا جاءته أُمَّهُ وَلِهَهُ من قتله ، لا تدري مصيره - بِأَنَّهُ في جنة الفردوس ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَمِنْهُ تَفَجُّرُ أَنْهَارُهَا ، وَقَدْ أَمَرَ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إِذَا سَأَلُوا اللهَ تَعَالَى الْجَنَّةَ .. أَنْ يَسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ الْأَعْلَى ، فَإِذَا كَانَ مِنْ فِي النَّظَارَةِ يُعَذَّلُهُ لِهَذَا الْجَزَاءُ الْعَظِيمُ ، فَمَا بِالْكَبِيرِ كَمَا كَانَ فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ ، وَهُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْعَافِهِمْ ؟

وَ(سهم غَرْب) أي : لا يُعْرَفُ رَامِيهِ ، يَقَالُ : سهم غَرْب ، بفتح الراء وسكونها ، وبإِضافة وغير الإِضافة ، انظر «النهاية» لابن الأثير .

يَوْمَ بَدْرُ أَذَلَّ اللَّهُ فِي الْشَّرِكِ وَأَعَزَّ الْإِسْلَامِ :

(يَوْمٌ) أي : يَوْمَ بَدْرٍ يَوْمَ كَائِنٍ (لَهُ مَا بَعْدَهُ فِي الْكُفْرِ) يَقَالُ : أَمْرٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ؛ أَيُّ : تَبَعُ ، وَكَذَلِكَ يَوْمُ بَدْرٍ ، كُلُّ مَا وَقَعَ فِي إِذْلَالِ الْكُفَّارِ بَعْدَهُ تَبَعَ لَهُ (وَقَدْ أَتَى) أَيُّ : يَوْمُ بَدْرٍ (مُنَوَّهًا) مَرْفُوعًا (فِي الْذِكْرِ) الْمُنْتَزَلُ مِنْ عَنْهُهُ تَعَالَى .

(بِأَنَّهُ الْعَذَابُ) قَالَ تَعَالَى : «وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ أَنْتَهِيَ الْأَدَمَنِ» عَذَابُ الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ ، وَالْأَسْرِ ، وَالْجُدْبُ سَنِينَ ،

وَأَنَّهُ الْفُرْقَانُ بَيْنَ الْكُفْرِ
وَالْحَقِّ وَالنَّصْرُ سَجِيسَ الدَّهْرِ
فِي الْأَجْرِ وَالْمَغْنِمِ قَسْمَ الْثَّبِي
لِنَفَرٍ عَنِ الْزَّحَافِ غَيْبٍ

. والأمراض « دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ » عذاب الآخرة « لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ » .

(و) أَنَّهُ (اللزام) قال تعالى : « قُلْ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا رَبِّ الْوَلَا
دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِرَبِّاً » ، وأكثر العلماء على
أَنَّهُ يوْمَ بدر ، وقيل : عذاب الآخرة ، (وَأَنَّهُ الْبَطْشُ وَالْأَنْتَقَامُ)
قال تعالى : « يَوْمَ تَبَطَّشُ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى إِنَّا مُنَقِّمُونَ » .

(وَأَنَّهُ الْفُرْقَانُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَ بَيْنَ الْحَقِّ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
« وَمَا أَنَّزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ أَنْقَلَ الْجَمَعَانِ » .

قال ابن كثير : (يوْمَ بدر يوْمُ الْفُرْقَان) .

قال في « شرح المواهب » : (قاله ابن عباس ، رواه ابن
جَرِير ، وابن المندز ، وصححه الحاكم (و) أَنَّهُ (النَّصْرُ)
لقوله تعالى : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ » ،
وأعظمها يوْمَ بدر ، وقوله (سَجِيسَ الدَّهْر) - بفتح السين
وبعدها جيم مكسورة وياء معجمة - أَيْ : أَبْدَ الدَّهْر .

* * *

الثَّمَانِيَّةُ الْمُتَخَلَّفُونَ عَنْ شَهْوَدِ بَدْرٍ لِعَذْرٍ :

ثُمَّ أَرَادَ النَّاظِمُ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُذَكِّرَ بَعْضَ مِنْ تَخَلَّفَ
عَنْ حُضُورِ بَدْرٍ لِعَذْرٍ قَامَ بِهِ ، وَلَوْلَاهُ لَمَا غَابُوا ، فَكَانُوا كَمِنْ
حَضُرَهَا ؛ وَلَذِكَ أَسْهَمَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
(فِي الْأَجْرِ) أَيْ : ثَوَابُ مَنْ شَهَدَ بَدْرًا (و) فِي

(المغمم) أي : الغنيمة ، والجار والمجرور متعلق بقوله :
 (قسم النبي) صلى الله عليه وسلم (لنفر) هو في الأصل من ثلاثة عشرة ، والذين ذكرهم في النظم ثمانية (عن الزحاف) بكسر الزاي المعجمة : الدنو من القتال ، أو القتال نفسه ، وهو متعلق بقوله : (غَيْب) بضم الغين المعجمة ، وتشديد الياء المفتوحة الواقع نعتاً للنفر ؛ أي : قسم النبي صلى الله عليه وسلم لنفر غيب عن القتال لعدر كما تقدم ؛ فلأجل ذلك أسمهم لهم صلى الله عليه وسلم ، وأخبرهم بثبوت الأجر لهم ، ففي «الحلبية» : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَسْهَمَ لِكُلِّ ، وصار كلَّ مَنْ أَسْهَمَ لَهُ يَقُولُ : وَأَجْرِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فيقول : «وَأَجْرُكَ» .

ثمَّ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَسْمَاءَ أُولَئِكَ ، مع بِيَانِ أَعْذَارِهِمْ فَقَالَ :

طلحة بن عبيد الله سعيد (لطلحة) : هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم القرشي التميمي ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد السابقين^(١) (ولسعيد) : وهو ابن زيد بن نفيل

(١) أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأم طلحة اسمها الصعبه بنت الحضرمي ، وكانت قبل أبيه تحت أبي سفيان بن حرب ، وفيها يقول :
 وإنّي وصيّبة فيما ترى بعيidan واللود ودقرىب
 وإنّا يكّن نسب شاقب فعند الفتاة جمال وطيب
 فيالقصّيّ لا فانظروا إلى الوبى صار الغزال الريّب
 روى ابن ماجه في «سننه» عن صاحب الترجمة أنه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وبيه سفرجلة ، فقال : «دونكها ؟ فإنّها تجمّل المؤّاد» .

.....
عمرٌ وَ بْنٌ نَفِيلٌ بْنٌ عَبْدِ الْعَزَى بْنٌ رِيَاحٌ بْنٌ عَبْدِ اللَّهِ بْنٌ قُرْطٌ بْنٌ
رَزَاحٌ - بَرَاءٌ مُفْتُوحَةٌ ، ثُمَّ زَايٌ وَحَاءٌ مَهْمَلَةٌ - ابْنٌ عَدِيٌّ بْنٌ
كَعْبٌ^(١) ، وَهَذَا كَسَابِقَهُ ، بَدْلٌ مِنْ قَوْلِهِ : (لَنْفَرٌ) .

ثُمَّ بَيْنَ سَبْبِ ذَلِكَ ، وَهُوَ عَذْرٌ تَخْلُفُهُمْ عَنْ شَهُودِ بَدْرٍ ،
أَسْبَابُ التَّخْلُفِ
بِقَوْلِهِ : (أَرْسَلَهُ) وَالْأَلْفُ لِلإِطْلَاقِ ، مُبِينًا لِلْفَاعِلِ ، وَهُوَ فِي
قُوَّةِ الْعُلَةِ لِمَا قَبْلَهُ (لِلرَّكْبِ) وَالْمَرَادُ بِهِ : عِيرٌ أَبِي سَفِيَّانَ ؟
أَيْ : إِنَّمَا قَسْمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمَا ؛ لِأَنَّهُ أَرْسَلَهُمَا
لِرَكْبِ أَبِي سَفِيَّانَ^(٢) (يَنْظَرُانِ أَيْنَ نَزَلَا) أَيْ : الرَّكْبُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : قَدِمَ طَلْحَةُ مِنَ الشَّامِ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَدْرٍ ، فَكَلَّمَهُ ، فَضَرَبَ لَهُ
بِسَهْمِهِ ، فَقَالَ : وَأَجْرِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « وَأَجْرُكَ » ،
وَكَذَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي سَعِيدٍ : « إِنَّهُ قَدِمَ مِنَ الشَّامِ بَعْدَ قَدْوَمِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَدْرٍ ، فَكَلَّمَهُ ، فَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَهْمِهِ ، فَقَالَ : وَأَجْرِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
قَالَ : « وَأَجْرُكَ » .

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي « الْإِسْتِعَابِ » : (عَنْ

وَسَيَّأَتِيَ بَعْضُ مَنَاقِبِهِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، تَوْفَى سَنَةُ سَتِ وَثَلَاثَيْنَ ، وَدُفِنَ
بِالْبَصْرَةِ .

(١) فَهُوَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، وَمِنِ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، تَوْفَى فِي خَلَافَةِ سَيِّدِنَا مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ ، وَهُوَ ابْنٌ بَعْضٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَدُفِنَ فِي أَرْضِهِ بِالْبَقِيعِ .

(٢) فِي إِشَارَةٍ إِلَى أَنَّ فَاعِلَ أَرْسَلَ ضَمِيرَ يَعُودُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَصْحَّ أَنْ يَكُونَ
أَرْسَلَ مُبِينًا لِلْمَفْعُولِ ، وَالْمَرَادُ : أَرْسَلَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الواقدي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من المدينة إلى بدر طلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار ، ثم رجعا إلى المدينة فقدمها يوم وقعة بدر) .

ثم عطف على قوله : (طلحة) قوله :

ترجمة عثمان بن عفان (ولابن عفان) وما بعده ؛ أي : قسم النبي صلى الله عليه رضي الله عنه وسبب تخلفه وسلم في الأجر والمغنم لسيدنا عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ^(١) ؛ لأنَّه تخلف على رقية ابنته صلى الله عليه وسلم ، وكانت مريضة .
قال في « الحلبي » : (وقيل : إنَّه كان مريضاً بالجُدْرِيَّ)

(١) يكفي أبا عبد الله بابنه من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات صغيراً من نقرة الديلك في عينيه رضي الله عنه ، ابن سنت سنين ، ثم ولد له عمرو فكثي به ، وله تقول زوجه نائلة بنت الفراصية تبكيه - وقيل : لوليد بن عتبة -

الا إنَّ خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر وما لاي لا يبكي ، وتبكي قرابتي وقد حجبت عنا فضول أبي عمرو وأمه أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس ، وأخوه لأمه الوليد بن عتبة ، وأم أمها أم حكيم البيضاء ، توأمة عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذا في « روض النهاة » .

قال في « الإصابة » : (قتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة بعد العصر ، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حش كوكب ، كان عثمان اشتراه فوسع به البقع ، وقتل وهو ابن اثنين وثمانين سنة وشهر على الصحيح المشهور) . وترجمته رضي الله عنه واسعة تطلب من المطولات .

توفيق بين الروايتين في
سبب تخلقه

أي : ولا مانع من وجود الأمرين ، وقد قال صلى الله عليه
وسلم : « إِنَّ لَكَ لَأْجُرَ رَجُلٍ وَسَهْمَهُ ». .

الحارث بن الصمة
رضي الله عنه

(ول) لـ حـارـثـ (بن الصـمـةـ) بـكـسـرـ الصـمـةـ بـكـسـرـ الصـمـةـ مـعـ
تـشـدـيـدـ الـمـيـمـ ، اـبـنـ عـمـرـ بـنـ عـتـيـكـ الـأـنـصـارـيـ ، ثـمـ النـجـارـيـ ،
وـالـدـ أـبـيـ جـهـيـمـ ، آـخـىـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـىـهـ وـسـلـمـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ
سـيـدـنـاـ صـهـيـبـ ، وـاـسـتـشـهـدـ بـبـئـرـ مـعـوـنـةـ ذـكـرـهـ الـحـافـظـ فـيـ
« الـإـصـابـةـ ». .

خـواتـ بـنـ جـبـيرـ رـضـيـ
الـلـهـ عـنـهـ صـاحـبـ ذاتـ
الـتـحـيـنـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ

(و) لـ خـواتـ بـتـشـدـيـدـ الـوـاـوـ (بـنـ جـبـيرـ) بـالـتـصـغـيرـ اـبـنـ
الـنـعـمـانـ بـنـ أـمـيـةـ بـنـ اـمـرـئـ الـقـيـسـ الـأـوـسـيـ الـبـكـرـيـ ، آـخـىـ
عـبـدـ اللـهـ بـنـ جـبـيرـ ، وـخـواتـ هـذـاـ هـوـ صـاحـبـ ذاتـ التـحـيـنـ فـيـ
الـجـاهـلـيـةـ ، وـهـيـ اـمـرـأـ مـنـ بـنـيـ تـيـمـ اللـهـ اـسـمـهـ خـوـلـةـ ، يـرـوـيـ : أـنـ
الـنـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـىـهـ وـسـلـمـ سـأـلـهـ عـنـهـ ، فـتـبـسـمـ ، فـقـالـ :
يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ ؟ قـدـ رـزـقـ اللـهـ خـيـرـاـ ، وـأـعـوـذـ بـالـلـهـ مـنـ الـحـوـرـ بـعـدـ
الـكـوـرـ ، قـيـلـ : إـنـهـ مـرـّ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ بـنـسـوـةـ فـأـعـجـبـهـ حـسـنـهـ ،
فـسـأـلـهـنـ أـنـ يـفـتـلـنـ قـيـدـاـ لـبـعـيرـ لـهـ ، زـعـمـ أـنـهـ شـارـدـ ، فـجـلـسـ
إـلـيـهـنـ ، فـمـرـّ بـهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـىـهـ وـسـلـمـ فـأـعـرـضـ عـنـهـ ،
فـلـمـاـ أـسـلـمـ .. سـأـلـهـ عـنـ ذـلـكـ الـبـعـيرـ الشـارـدـ وـهـوـ يـبـتـسـمـ ، فـقـالـ
خـواتـ : قـيـدـهـ الـإـسـلـامـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ . .

قال في « روض النهاة » : (وفي قصته مع خولة يقول :

فـشـدـتـ عـلـىـ التـحـيـنـ كـفـاـ ضـعـيـنـةـ

فـأـعـجـلـتـهـاـ ، وـالـفـتـكـ مـنـ فـعـلـاتـيـ

وَابْنُ عَدِيٍّ عَاصِمُ الْعَجْلَانِي خَلَفَهُ خَيْرُ بْنِي عَدْنَانٍ
عَلَى الْعَوَالِي وَعَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا لُبَابَةَ الْرَّبِيعَ الْزَّيْنَةِ

وفيها المثل : (أشغل من ذات النحين) توفي سنة
أربعين ، وهو ابن إحدى وسبعين سنة .

وأشار الناظم إلى عذر تخلفهما عن بدر فقال : (كسراء)
بالبناء للمفعول ؛ أي : أصاب رجليهما كسر (عن همة)
صادقة لحضور بدر ؛ فلذلك ضرب النبي صلى الله عليه وسلم
سهماً لكل واحد منهما .

العاصم بن عدي (وابن عدي) واسمها (العاصم) وعدي هو : ابن الجد بن العجلان ، فهو منسوب لجده ، كما قال : (العجلاني) حليف الأنصار ^(١) ، وجملة (خلفه خير بنى عدنان) صلى الله عليه وسلم خبر عن المبتدأ ، الذي هو (ابن عدي) ويتعلق بخلفه قوله : (على العوالى) وردد إلية من الروحاء ؛ لسبب ذكره موسى بن عقبة وغيره ، كما في « الروض الأنف » : (أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ شَيْءٌ عَنْ أَهْلِ مَسْجِدِ الْضَّرَارِ ، وَكَانَ قَدْ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى قُبَابِ الْعَالِيَّةِ ، فَرَدَهُ لِيَنْظُرَ فِي ذَلِكَ ، وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمَهُ مَعَ أَهْلِ بَدْرٍ) .

قلت : هكذا قالوا ، ولم يكن إذ ذاك مسجد الضرار ، وإنما كان سنة تسع عند خروجه صلى الله عليه وسلم لتبوك ،
تحقيق سبب تخلفه عن غزوة بدر

(١) يكفي أبا عمرو ، وأبا عبد الله ، وعاصم هذا هو المذكور في حديث الذي يقول له عويمر العجلاني - وهو عمير بن الأبيض - : سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفي سنة خمس وأربعين وهو ابن عشرين ومئة . اهـ من « الروض الأنف »

أبو لبابة بشير بن
عبد المنذر

فيحتمل أن يكون استخلاقه عليه الصَّلاة والسَّلام على أهل قباء والعالية من المدينة لشيء بلغه عنهم ؛ ولذلك عدَّ من البدريين وضرب له بسهم وهو المعتمد ، كما ذكره الحافظ في « الإصابة » أَمَّا ذكر مسجد الضرار .. فَلَا معنى له هنا .

(و) خلف (على المدينة) المنورَة بأنواره عليه الصَّلاة والسَّلام واليَا (أبا لبابة) بشير بن عبد المنذر^(١) ، وكان رده من الروحاء على المشهور ، وإنَّما قلنا : (واليَا) لأنَّه استعمل على الصَّلاة في المدينة ابن أم مكتوم ، وقوله : (الربِطَ) أي : لنفسه بسارية ؛ وذلك : لما طلبه بنو قريظة في حصار النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَاهُمْ ، وسأله عمَّا يكون إذا نزلوا على حكمه ، فأشار لهم بيده للذبح ، فخرج من عندهم نادماً ، فربط نفسه بسارية من سورى المسجد .. حتى تاب الله تعالى عليه ، وحلَّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السارية .

وسيأتي ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى في غزوة بنى قُريظة ، ووصفه بقوله : (الزينة) أي : لقومه ؛ لخصاله الحميدة الجميلة .

(١) هو من سادات بنى عمرو بن عوف ، وهو صاحب الحديث : « اللَّهُمَّ ؛ اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربيه بإزاره » وهو : الثقب الذي يسيل منه ماء المطر ، وكان حض على النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طلب الاستسقاء ، فرأى أبو لبابة قول النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال في « الإصابة » : (ذكره موسى بن عقبة في البدريين ، وقالوا : كان أحد النقباء ليلة العقبة ، وكانت راية بنى عمرو يوم الفتح معه ، مات في خلافة علي ، وقال خليفة : مات بعد قتل عثمان ، ويقال : عاش إلى ما بعد الخمسين) .

ثَامِنُهُمْ رُدَّ مِنَ الرَّوْحَاءِ وَهُوَ أَبْنُ حَاطِبٍ إِلَى قُبَاءِ

(ثامنهم) أي : من تخلف عن بدر لعذر ، فضرب له الحارث بن حاطب النبي ﷺ بسهم (رُدَّ من الرَّوْحَاءِ) إلى قباء ، فقوله : (وهو ابن حاطب) جملة معتبرة أتى بها لبيان تعين الثامن ، وهو الحارث بن حاطب بن عمرو الأوسي ، أخو ثعلبة .

قال في « الإستيعاب » : (رُدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن حاطب ، حين توجَّه إلى بدر من الروحاء في شيء أمره به فيبني عمرو بن عوف ، وضرب له بسهمه ، وأجره ، فكان كمن شهدتها) .

وقوله : (إلى قباء) يتعلَّق بقوله : (رُدَّ) وقباء وحراء قباء وحراء فيهما ما أشار له بعضهم :

حِرَا وَقُبَا أَنْتُهُمَا ذَكَرْنَهُمَا

ومدَّ أوِّلْ أَقْصُرْ وَأَصْرِفْنْ وَامْنَعْ الصَّرْفَا خصائص قباء وقباء : قريةبني عمرو بن عوف ، ومسجدها الذي مدحه الله ومدح أهله بقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَمَسْجِدٌ أَسِسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُجْتَبَوْنَ أَنْ يَنْظَهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴾ أَسَسَهُ صلى الله عليه وسلم لبني عمرو أولَ يوم قدم المدينة ، كان هو أَوَّلَ من وضع حجراً في قبنته ، فجاء أبو بكر بحجر ، ثُمَّ وضعه ، ثُمَّ جاء عمر بآخر ، فوضعه إلى حجر أبي بكر ، فأخذ الناس في البناء .

تنبيه :

زاد الحافظ ابن كثير في « البداية » على ما ذكره الناظم ،

من لم يذكرهم الناظم
مَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ
وَكَانَ لَهُ سَهْمَهَا وَأَجْرَهَا

مَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ
وَكَانَ لَهُ سَهْمَهَا وَأَجْرَهَا

أبا الصَّبَّاحِ بْنِ ثَابَتَ قَالَ : (خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَصَابَ سَاقَهُ نَصِيلٌ حَجْرٌ^(١) ، فَرَجَعَ وَضَرَبَ لَهُ بَسْهَمَهُ وَأَجْرَهُ) .

وَسَعْدًا أَبَا مَالِكَ ، قَالَ فِي « الْبَدَائِيَّةِ » عَنِ الْوَاقِدِيِّ :

(تَجهِيزُ سَعْدٍ لِيُخْرِجَ فَمَاتَ ، وَقَيْلٌ : إِنَّهُ مَاتَ بِالرَّؤْحَاءِ ، فَضَرَبَ لَهُ بَسْهَمَهُ وَأَجْرَهُ) .

ثُمَّ أَرَادَ النَّاظِمُ أَنْ يَذَكُّرَ بَعْضَ مَنْ أُصْبِيَ بِالْأَسْرِ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَقَالَ :

بعض الأسرى من قريش : أسر أبي عزيز بن عمير :

(وَابْنُ عَمِيرٍ) بِالتَّصْغِيرِ (مُصْبَعٌ)^(٢) ، وَعُمِيرٌ : هُوَ ابْنُ

مصعب بن عمير رضي الله عنه

(١) النصيل : حجر طويل مدملاً ، قدر شبر أو ذراع ، جمعه نصل اهـ « نهاية »
يُكَنُّ أبا عبد الله ، أحد السابقين إلى الإسلام ، قال أبو عمر : (أسلم قديماً والنبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ ، وَكَتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفًا مِنْ أُمِّهِ وَقَوْمِهِ ، فَعَلِمَهُ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ ، فَأَعْلَمَ أَهْلَهُ فَأَنْقَوَهُ ، فَلَمْ يَزُلْ مَحْبُوسًا إِلَى أَنْ هَرَبَ مَعَ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْحِبْشَةِ ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى مَكَّةَ ، فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَشَهَدَ بَدْرًا ، وَلَمْ يَشَهِّدْهَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ إِلَّا هُوَ وَسُوَيْطَ بْنُ حَرْمَلَةَ ، ثُمَّ شَهَدَ أَحَدًا وَمَعَهُ الْلَّوَاءَ ، فَاستَشَهَدَا بَاهَا) .

قال في « الروض الأنف » (١/٢٦٩) : (كان قبل الإسلام من أنعم قريش عيشاً وأعطرهم ، وكانت أمه شديدة الكلف به ، وكان يبيت وقub الحيس عند رأسه ، يستيقظ فيأكل ، فلما أسلم .. أصابه من الشدة ما غير لونه ، وأذهب لحمه ، حتى كان رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر إليه وعليه فروة رقعاً فيكي ؛ لما كان يعرف من نعمته ، وحلفت أمه حين أسلم =

عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ (مرّ على) أخيه (شقيقه) أبي عزيز ، واسمه زرارة ، فيما قاله ابن الأثير في «أسد الغابة» وكان لهما أخ آخر لأبويهما ، وهو أبو الرؤوم بن عمير ، وغلط من جعله ممّن قتل يوم أحد كافراً ؛ ذاك أبو عزة ، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى (مستسراً) : بفتح السين الثانية ؛ أي : مرّ عليه حال كونه أسيراً (للفضلا) من الصحابة ، ولم يُؤسر منبني عبد الدار إلاّ هو ، قاله في «روض النهاة» .

(فحضهم) أي : فتح مصعب الفضلاء بـ (أن شدّدوا) عليه في الوثاق (إنَّ لَهُ أَمَّا مَلِيَّة) بتشديد الياء المفتوحة ؛ أي :

وهاجر ، ألاّ تأكل ولا تشرب ولا تستظل حتى يرجع إليها ، فكانت تقف للشمس حتى تسقط مغشياً عليها ، وكان بنوها يحشون فاها بشجار - وهو عود - فيصبون فيه الحساء لثلاً تموت ، ولما سأله الأنصار النبيّ صلّى الله عليه وسلم أن يرسل معهم من يرشدهم للدين ، ولا يكون منهم خوف التنافس .. بعثه معهم هو وابن أم مكتوم ، فنزلوا على سعد بن زراة رضي الله عنهم ، وأسلم على يده جل الأنصار) .

وقال في «الإستيعاب» : (يقال : إنَّ مصعباً أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة ، قال البراء بن عازب : أول من قدم علينا من المهاجرين المدينة مصعب بن عمير أخوبني عبد الدار ، ثمَّ أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم ، ثمَّ أتانا بعده عمار بن ياسر ، وسعد بن أبي وقاص ، وابن مسعود ، وبلال ، ثمَّ أتانا عمر بن الخطاب في عشرين راكباً رضي الله عنهم ، ثمَّ هاجر رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فقدم علينا مع أبي بكر رضي الله عنه ، قتله يوم أحد شهيداً ابن قمثة الليثي ، وهو يومئذ ابن أربعين سنة وأزيد شيئاً رضي الله عنه وعننا به ، ويقال : إنَّ فيه نزلت : «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَيَنْهَمُ مَنْ قَضَى تَحْبُّبُهُ وَمَنْ يَنْنَطِّرُ وَمَا بَدَلَوْا تَبْدِيلًا» .

إكرام الأنصار أبا عزيز
ابن عمير

وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بإكرام الأسرى :

قال ابن إسحاق : (وحدث نبیه بن وهب أخو
بني عبد الدار : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل
بالأسارى . فرَّقْهم بين أصحابه ، وقال : « استوصوا بهم
خيراً » ، قال : وكان أبو عزیز بن عُمیر بن هاشم أخو
مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسرى ، فقال أبو عزیز : مَرَّ
بِي أخِي مُصْعَبَ بْنَ عُمِيرَ ورَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي ، فَقَالَ :
شُدَّ يَدُكَ بِهِ ؟ فَإِنَّ أُمَّهَ ذَاتَ مَتَاعٍ ؛ لَعَلَّهَا تَفْدِيهِ مِنْكَ ، قَالَ
أبو عزیز : فَكُنْتُ فِي رَهْطٍ مِّنَ الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ ،
فَكَانُوا إِذَا قَدَمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ . خُصُّونِي بِالْخَبْرِ ، وَأَكْلُوا
التمر ؛ لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إِيَاهُمْ بَنَا ،
مَا تَقَعُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِّنْهُمْ كَسْرَةُ خَبْزٍ إِلَّا نَفْحَنِي بِهَا ، فَأَسْتَحِي ،
فَأَرْدَهَا عَلَى أَحَدِهِمْ ، فَيَرْدُهَا عَلَى مَا يَمْسِهَا) .

صاحب لواء المشركين
ببدر

قال ابن هشام : (وكان أبو عزیز هذا صاحب لواء
المشركين ببدر بعد النصر بن الحارث ، ولما قال أخوه
مصعب لأبي الیسر - وهو الذي أسره - ما قال .. قال له
أبو عزیز : يا أخي ؟ هذه وصاتك بي ؟ ! فقال له مصعب : إنَّه
 أخي دونك ، فسألتُ أُمَّهَ عن أَغْلَى مَا فُدِيَ به فرشي ، فقيل
لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ، ففديته
بها) .

فائدة :

ذكر أبو عمر : (أَنَّ أَبَا عَزِيزَ هَذَا أَسْلَمَ ، وَصَحْبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَهُ مِنْ سَمَاعٍ ، وَرَدَّ عَلَى مَنْ قَالَ : قُتْلَ يَوْمَ أُحْدٍ كَافِرًا ، بَأْنَ ابْنَ إِسْحَاقَ عَدَّ مَنْ قُتْلَ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا ، لَيْسَ فِيهِمْ أَبُو عَزِيزٍ ، وَإِنَّمَا فِيهِمْ أَبُو يَزِيدَ بْنَ عَمِيرَ .

أَسْرَ أَبِي الْعَاصِي بْنِ الرَّبِيعِ ثُمَّ فَكَهُ :

(و) أَبُو الْعَاصِي (ابن الرَّبِيع) بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ^(١) ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ ، وَخَبْرُهُ : (سَرَّهُهُ الْآتِي) (صَهْرٌ) أَيْ : زَوْجُ بَنْتِ (هَادِي الْأُمَّةِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) أَمَهَ هَالَةُ بَنْتُ خَوَيلَدَ ، وَأَخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ ، فَقَيْلٌ : لَقِيْطٌ ، وَقَيْلٌ : هَشِيمٌ ، لَمْ يَتَفَقَّ أَنَّ أَسْلَمَ إِلَّا بَعْدَ الْهِجْرَةِ ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ كَمَا فِي «الإِصَابَةِ» : (كَانَ فِي رِجَالِ مَكَّةِ الْمَدُودِيْنَ مَالًاً ، وَأُمَانَةً وَتِجَارَةً) .

ثَبَتَ فِي «الصَّحِيفَتَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ الْمُسَوْرِ بْنِ مَخْرَمَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ ، فَذَكَرَ أَبِي الْعَاصِي بْنَ الرَّبِيعِ ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مَصَاهِرَتِهِ خَيْرًا ، وَقَالَ : «حَدَّثَنِي فَصَدِقْنِي ، وَوَعَدْنِي فَوْفِي لِي» .

قَالَ فِي «رُوضَ النُّهَا» : (وَلَدَتْ لَهُ زَيْنَبُ عَلَيَا ، دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفُتْحِ وَهُوَ رَدِيفُهُ ، وَتَوَفَّى وَقَدْ نَاهَرَ الْحَلْمُ ، وَأَمَامَةُ بَنْتُ أَبِي الْعَاصِي تَزَوَّجَهَا عَلَيْهِ وَقُتِّلَ عَنْهَا ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا الْمُغَيْرَةُ بْنُ نُوفَّلَ بِوَصِيَّةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَا يَوْلَدُ لَهَا ، وَانْقَرَضَ أَبُو الْعَاصِي إِلَّا مِنْ بَنْتِهِ مَرِيمَ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ إِلَّا هُؤُلَاءِ الْمُلَائِكَةِ ؛ قَالَ الْحَافِظُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَنْذُرِ مَاتَ أَبُو الْعَاصِي فِي خَلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَيْ عَشَرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) اهـ

بِعِقْدِهَا أَلَّذِي بِهِ أَهْدَتْهَا لَهُ خَدِيجَةُ وَرَفِيقَهَا
سَرَّاحَةُ بِعِقْدِهَا وَعَهْدَا إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا لَهُ غَدَا

وسلم ، وهي زينب ، والصهر يطلق أيضاً على زوج الأخت ، كما في «القاموس» واشتقاقه من صهر الشيء بالشيء يصهره : إذا ألسقه به ، ومنه - كما في «روض النهاة» - ما في حديث بناء النبي صلى الله عليه وسلم مسجد قباء : (كان صلى الله عليه وسلم يأتي بالحجر قد صهره إلى بطنه ، فيأتي الرجل يريد أن يقلبه فلا يستطيع) .

(إذ) ظرفية (في فداء) يتعلّق بأرسلت ، قوله : (زينب) مبتدأ ، خبره : (أرسلت بعدها) هي القلادة (الذى به) أي : بالعقد (أهدتها) أي : أهدت زينب (له) أي : لابن الربيع (خديجة) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى ، وهو فاعل أهدتها (وزففها) عطف تفسير .

(سَرَّاحَه) أي : أطلقه صلى الله عليه وسلم من الأسر (بعدها) أي : مع عدها ذلك ، وبعث العقد لصاحبته (وعهداً إلَيْه) أي : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العهد على أبي العاص بن الربيع إذا وصل هو مكة (أن يردها له) بالمدينة المنورة (غداً) .

وحاصل معنى ما أشار إليه في هذه الأبيات : أنَّ أبا العاصي بن الربيع صهر هادي الخلق إلى الملة الحنيفة صلى الله عليه وسلم ، وزوج ابنته زينب بإشارة خالته خديجة ، وكانت تُعَذَّب بمنزلة ولدتها ، وكان صلى الله عليه وسلم

لا يخالفها قبل أن ينزل عليه الوحي ، فزوّجه ، فلما أكرم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بنبوته .. آمنت به خديجة وبناته ، وثبت أبو العاصي على شركه .. حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سارت قريش إلى بدر .. سار معهم أبو العاصي ، فأصيب في الأسرى ، فكان في المدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما بعث أهل مكة في فداء أسراهـم .. بعثت زينب في فدائه بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها ، كانت أمها خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بـنـها ، قالت : فلما رأـها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. رـقـ لها رـقةـ شـدـيدةـ ، وـقـالـ : « إنـرأـيـتمـ أنـتـلـقـواـ لـهـاـ أـسـيرـهاـ ، وـتـرـدـواـ عـلـيـهاـ عـقـدـهاـ .. فـافـعـلـواـ » قالـواـ : نـعـمـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ ، فـأـطـلـقـوهـ ، وـرـدـواـ عـلـيـهاـ الـذـيـ لـهـ ، وـكـانـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـدـ أـخـذـ عـلـيـهـ الـعـهـدـ أـنـ يـخـلـيـ سـبـيلـ زـينـبـ ، وـبـرـدـهـ إـلـيـهـ .

(فـرـدـهـاـ) إـلـيـهـ ، قـالـ اـبـنـ إـسـحـاقـ : (وـقـدـ بـعـثـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ زـيـدـ بـنـ حـارـثـةـ وـرـجـلـاـ مـنـ الـأـنـصـارـ ، وـقـالـ : « كـوـنـاـ بـيـطـنـ يـأـجـجـ ؛ حـتـىـ تـمـرـ بـكـمـ زـينـبـ ، فـتـصـحـبـاـهـاـ حـتـىـ تـأـتـيـانـيـ بـهـاـ » فـخـرـجـاـ إـلـىـ مـكـانـهـمـاـ ، وـذـلـكـ بـعـدـ بـدرـ بـشـهـرـ ، فـلـمـ قـدـمـ أـبـوـ العاصـيـ مـكـةـ .. أـمـرـهـاـ بـالـلـحـوقـ بـأـيـهـاـ ، فـخـرـجـ بـهـاـ حـمـوـهـاـ أـخـوـ زـوـجـهـاـ كـنـانـةـ بـنـ الرـبـيعـ .. حـتـىـ أـسـلـمـهـاـ إـلـىـ زـيـدـ بـنـ حـارـثـةـ وـصـاحـبـهـ ، فـقـدـمـاـ بـهـاـ عـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ) .

فَأَنْتَهَبِ الْأَصْحَابُ عِيرَ الْقُلْبِ
فَصَرَّحْتَ وَلَمْ تُجْمِحْ الْبَتُولِ
فَجَاءَ وَأَسْتَجَارَ بِابْنَةِ النَّبِيِّ
بِأَنْ أَجَارَتْهُ وَأَمْضَاهُ الرَّسُولُ

(وبعد ذاك) أي : المذكور من إطلاقه من الأسر ، ورد زينب إليه صلى الله عليه وسلم (تَجَرَّا) : بفتح الجيم ، من باب نصر ؛ أي : خرج تاجراً إلى الشام ، وذلك قبيل الفتح ، كما قاله ابن إسحاق ، وكان رجلاً مأموناً ، فخرج بمال له ، وأموال لرجال من قريش أبعضوها معه كما قال : (لنفسه وساكني أُمّ القرى) أي : مكة ، ولما رجع من تجارتة وأقبل فافلاً . لقيته سرية^(١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(فانته) أي : غنم (الأصحابُ عِير) الرجل (القلب) : بفتح اللام المسدة بعد القاف المضمومة ؛ أي : المحتال البصير بتقليل الأمور ، والمراد به أبو العاصي .

استجارته بزينب بنت لرسول صلى الله عليه وسلم وإجارتها له :

(فجاء) أبو العاصي في الليل حتى دخل على زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم (واستجار) أي : طلب الجوار (بابنة النبى) صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها ، (فصرحت ولم تجمجم) أي : لم تتكلم بكلام خفي ، بل

(١) هي سرية زيد بن حارثة إلى العيس ، سببها : أنه بلغه صلى الله عليه وسلم ققول عير قريش من الشام ، فبعث زيداً في مئة وسبعين راكباً ، معتبراً لها ، فأخذوها وما فيها وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية ، وأسرموا رجالاً فيهم أبو العاصي ، قال في « تبصرة المحتاج » :

ثُمَّ ابْنَ حَارِثَةَ الْعِيرَ الَّتِي أَخْذَ فِيهَا صَهْرَ هَادِي الْمَلَةِ

صرحت - بالحاء المهملة - (البَّتُولُ) المراد بها زينب رضي الله عنها ؛ لأنَّها منقطعة عن الدنيا إلى الله عزَّ وجلَّ ، وقوله : (بأن أجarterه) يتعلَّق بصرحت ؛ أي : صرحت ، ونادت في الناس حين خرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلم إلى الصبح : أتَيْها الناس ؛ إِنِّي قد أجرت أبا العاص بن الرَّبِيع (وأمضاه) أي : ما أجرت فيه (الرَّسُولُ) الأَعْظَمُ صلَّى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : (لما سَلَّمَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم من الصلاة .. أقبل على الناس فقال : « أتَيْها الناس ؛ هل سمعتم ما سمعت ؟ » قالوا : نعم ، قال : « أما والذِي نفس محمدَ بيده ؛ ما علِمْتُ بشيءٍ من ذلك حتى سمعت ما سمعتم ، إِنَّه يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ ») .

(فرَدَ) بالبناء للمفعول (ماله عليه) أي : ردَ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلم على أبي العاصي ماله (أجمع تلك الصهارة) التي بينه وبين أبي العاصي بزینب (بها يستشفع) .

قال ابن إسحاق : (وحَدَّثَنِي عبد الله بن أبي بكر : أَنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاصي فقال : « إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مَنْ حَيَثْ قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالًا ، فَإِنْ تَحْسَنُوا وَتَرْدُوا عَلَيْهِ الْمَالَ الَّذِي لَهُ .. فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ ، وَإِنْ أَبْيَتُمْ .. فَهُوَ فِي إِلَهِ الَّذِي أَفَاءَ عَلَيْكُمْ ، فَأَنْتُمْ أَحْقُّ بِهِ » قالوا : يا رسول الله ؛ بل نرده عليه ، حتى إنَّ الرجل ليأتي بالدللو ، ويأتي الرجل بالشنة والإداوة ، حتى إنَّ

أوصى بِهِ مِنْ حَيْثَ الْإِكْرَامُ أُبْنَتُهُ لِكِنْ نَهَاهَا أَنْ تَكُونَ بَعْلَتَهُ

أحدهم ليأتي بالشّظاظ^(١) .. حتى ردوا عليه ماله بأسره ،
لا يفقد منه شيئاً .

لطيفة :

لما كان أبو العاصي تاجراً بالشام قال في زينب :

ذَكَرْتُ زَيْنَبَ بِالْأَجْزَاعِ مِنْ إِصْمَا

فَقُلْتُ سَقِيًّا لِشَخْصٍ يَسْكُنُ الْحَرَمًا

بَنْتَ الْأَمِينِ جَزَاهُ اللَّهُ صَالِحَةً

وَكُلُّ بَعْلٍ سَيِّئَنِي بِالذِّي عَلِمَ

حال أبي العاص مع زينب قبل إسلامه :

ثَمَّ أَرَادَ النَّاظِمُ أَنْ يَبْيَنَ حَالَ أَبِي العاصِي إِذْ ذَاكَ مَعَ ابْنَتِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (أَوْصَى) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ (بِهِ مِنْ حَيْثَ الْإِكْرَامِ) لِمَثَواهِ (ابْنَتِهِ) زَيْنَبَ ؛ لِأَنَّهُمْ
أَهْلُ الْإِكْرَامِ ، وَلَمَّا سَبَقَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْزَّوْجِيَّةِ الْمُوْجَبَةِ لِمَرَاعَاةِ
الْفَضْلِ وَالاحْتِرَامِ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي الَّتِي لَمْ يَدْخُلْ بِهَا
الزَّوْجُ : «وَلَا تَنْسُوَا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» .

(لَكِنْ نَهَاهَا) أَيْ : زَيْنَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، (أَنْ تَكُونَ) زَيْنَبَ (بَعْلَتَهُ) أَيْ : زَوْجَةِ
لَأَبِي العاصِي بْنِ الرَّبِيعِ .

(١) بَكْسُ الشَّيْنِ الْمَشَدَّدَةِ : الْعُودُ الَّذِي يَدْخُلُ فِي الْعُرُوْفَةِ . اهـ «المختار»

وَمَا أَرْتَضَى مِنْ بَعْدِ إِسْلَامِ أُبْنَتِهِ وَكُفُرُهُ بَقَاءَهَا فِي عِصْمَتِهِ
لَوْ أَنَّهُ يُحِلُّ أَوْ يُحَرِّمُ بِمَكَّةٍ عَنْهَا الْحَلِيلَ يَحْسِمُ

(و) هو صلى الله عليه وسلم (ما ارتضى من بعد إسلام ابنته) زينب (وكفره) أي : أبي العاصي (بقاءها) بالنصب معمول لـ(ارتضى) ، قوله : (في عصمتها) متعلق ببقائها ؛ أي : وما ارتضى بقاء زينب ؛ لأنَّها لا تحل له لأنَّها مسلمة نشأت في بيت النبوة ، قال تعالى : ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ، وما وقع في «تفسير القرطبي» في (سورة الممتحنة) مما يخالف ما ذكر .. غير صحيح أو هو مدسوس عليه ، وكان زوجه زينب رضي الله عنه ارتضى ببقاءها في بيت النبوة ،

فإن قيل : إذا كان الأمر كذلك .. فلم لم يفرق بينهما صلى الله عليه وسلم يوم كان بمكة ؟ قلنا : أجاب عنه الناظم بقوله : (لو أَنَّهُ) أي : رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُحِلُّ أَوْ يُحَرِّمُ بِمَكَّةٍ) يعني : لو أَنَّه يُطَاع بمكة فيما يأمر به من الحلال ، وينهي عنده من الحرام (عنها) أي : عن زينب ، متعلق بـ(يَحْسِمُ الْحَلِيلَ) مفعول مقدم لقوله : (يَحْسِم) بكسر السين ؛ أي : عنها الحليل أبو العاصي ، لكن لـما منَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإطلاق من الأسر بلا فداء .. عهد إليه أن يُخْلِي سبيلاً ابنته إليه ، وقد فعل .

قال ابن إسحاق : (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُحِلُّ بِمَكَّةٍ وَلَا يُحَرِّمُ ، مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين

وَسُئَلَ الْإِيمَانَ كَيْنَ يَحْوِزَ
مَالَ قُرْيَشٍ وَبِهِ يَفْوَزَا
فَهَابَ أَنْ يَبْدَا بِالْخِيَانَةِ
إِيمَانَهُ وَيَدْعَ الْأَمَانَةَ
فَرَدَّهَا لِأَهْلِهَا وَأَسْلَمَهَا
وَأَبَ إِذْ إِلَى قُرْيَشٍ أَسْلَمَهَا

أبي العاصي ، وكان لا يقدر على أن يفرق بينهما .

قال في « البداية » : (قلت : إنَّمَا حَرَمَ اللَّهُ الْمُسْلِمَاتِ عَلَى
الْمُشْرِكِينَ عَامَ الْحَدِيْبِيَّةَ سَنَةَ سَتَّ مِنَ الْهِجْرَةِ) .

أمانة أبي العاصي وشرفه وإسلامه :

(وسائل) أبو العاصي (الإيمان) بالله ورسوله (كي يحوزا
مال قريش) الذي معه قوله : (وبه) يتعلق بقوله : (يفزوا)
بالنصب ، معطوف على يحوزا ؛ أي : كي يفوز بالمال .

(فهاب) أبو العاص (أن يبدأ بالخيانة) هي ضد الأمانة
(إيمانه ويدع) أي : يترك (الأمانة) ولو من شرك .

قال ابن هشام : (وحَدَّثَنِي أبو عُبَيْدَةَ : أَنَّ أَبَا الْعَاصِي بْنَ
الرَّبِيعِ لَمَا قَدِمْ مِنَ الشَّامِ ، وَمَعَهُ أَمْوَالَ الْمُشْرِكِينَ . . . قِيلَ لَهُ :
هَلْ لَكَ أَنْ تَسْلُمَ وَتَأْخُذَ هَذِهِ الْأَمْوَالَ ؟ فَإِنَّهَا أَمْوَالُ الْمُشْرِكِينَ ؟
فَقَالَ أَبُو الْعَاصِي ، بِئْسَ مَا أَبْدَأْ بِهِ إِسْلَامِيَّ ، أَنْ أَخُونَ أَمَانَتِي) .

(فردها) أي : الأمانة ، وهي الأموال (لأهلهما) قريش ،
قال : (يا معاشر قريش ؛ هل بقي لأحد منكم مال لم يأخذ ؟
قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفيماً كريماً ، قال :
فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ مُحَمَّداً عبدَهُ وَرَسُولَهُ ، والله
ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت

أداء أبي العاص الأموال
لأهلها من قريش

السبب في إعلان
إسلامه بمكة دون
المدينة

أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها ..
أسلمت) .

فقوله : (وأسلما) أي : دخل في الإسلام قبل الفتح سنة
ثمان ، كما قال ابن كثير (وآب) أي : رجع إلى النبي صلى الله
عليه وسلم معلناً إسلامه (إذ إلى قريش) يتعلّق بقوله :
(أَسْلَمَا) بمعنى : أعطى أمانهم ؛ أي : ورجع إلى المدينة
لما أعطى قريشاً أموالهم .

رد زوجه زينب إليه :

(ف) لَمَّا رَدَّ أَبُو الْعَاصِي إِلَى قَرِيشٍ أَمْوَالَهُمْ ، وَقَدِمَ مُسْلِمًا
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رَدَّهَا) أَيْ : زَوْجُهُ زَيْنَبُ
(إِلَيْهِ) أَيْ : أَبِي الْعَاصِي (خَيْرُ مُرْسَلٍ) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
مِنَ الْإِلَهِ الْعُلِيِّ (بِالْعَقْدِ) الصَّحِيحُ (الْأَوَّلِ) لَمْ يَجْدُ نَكَاحًا لَهَا
(عَلَى الْقَوْلِ الْجَلِيِّ) أَيْ : الظَّاهِرُ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ
دَاوُودَ بْنَ الْحَصَّينِ عَنْ عُكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١) : (أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَّ زَيْنَبَ عَلَى أَبِي الْعَاصِي عَلَى النَّكَاحِ
الْأَوَّلِ ، وَلَمْ يَحْدُثْ شَيْئًا بَعْدَ سَنْتَيْنِ) .

قال السُّهِيْلِيُّ : (ويعارض هذا ما رواه عمرو بن شعيب
عن أبيه عن جده^(٢) : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَّهَا عَلَيْهِ

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، من حديث محمد بن إسحاق « بداية » (٣٣٢) .

(٢) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه =

وَأُمُّهُ هَالَّهُ أُخْتُ صِهْرَتَهُ وَالْمُصْطَفَى رَضِيَ عَنْ صَهَارَتَهُ

بنكاح جديد » وهذا الحديث هو الذي عليه العمل ، وإن كان الحديث داود بن الحسين أصح إسناداً عند أهل الحديث ، ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت ؛ لأنَّ الإسلام كان فرقاً بينهما ، قال تعالى : « لَا هُنَّ جُلُّهُمْ وَلَا هُمْ يَجْلُونَ لَهُنَّ » ومن جمع بين الحديثين قال في الحديث ابن عباس : معنى : ردها عليه على النكاح الأول ؛ أي : على مثل النكاح الأول في الصداق والحباء ، لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره) اهـ

ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَبْيَنَ نَسْبَةَ أَبِي الْعَاصِي لِأُمِّنَا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ :

(وَأُمُّهُ) أي : أُمُّ أَبِي الْعَاصِي المذكور (هَالَّهُ) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصَيْ (أُخْتُ صِهْرَتَهُ) أُمِّنَا خَدِيجَةَ مِنْ أَبِيهَا وَأُمِّهَا وَاسْمُهُ أُمُّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَاطِمَةُ بْنَتُ زَائِدَةَ بْنِ الْأَصْمِ .

نَسْبَةَ أَبِي الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ بْنَتِ خَوْيِلِدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قال ابن مَنْدَهُ : (روت عائشة عنها حرفأً في الحديث) كذا اختصر .

قال الحافظ : (وَكَانَهُ أَشَارَ إِلَى مَا أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي « الصَّحِيفَ » مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ مُسْهِرٍ ، عَنْ هَشَامِ بْنِ عَرْوَةَ ،

عن جده ، قال الإمام أحمد : (هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ وَاهِ ، لَمْ يَسْمَعْهُ الْحَجَاجُ مِنْ عُمَرَ وَبْنَ شَعِيبَ ، إِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَرْزَمِيِّ لَا يُسَاوِي حَدِيثَهُ شَيْئاً ، وَالْحَدِيثُ الصَّحِيفُ الَّذِي رُوِيَ : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَهَا عَلَى النَّكَاحِ الْأَوَّلِ ») اهـ

عن أبيه ، عن عائشة قالت : (استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرف استئذان خديجة ، فارتاع لذلك ، وقال : « اللَّهُمَّ هَالَّةٌ » ففرعت . فقلت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش .) الحديث .
وأصل الحديث في « الصحيحين » من غير ذكر هالة .

ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على أبي العاص (والمصطفى) عليه الصلاة والسلام (رضي عن صهارته)
قال : « حَدَّثَنِي فَضَدَقَنِي ، وَوَعَدَنِي فَوَفَّنِي لِي » وذلك حين خطب على بنت أبي جهل ، وفي هذه الخطبة قال صلى الله عليه وسلم : « لَا تجتمع بنت نبى الله وبنى الله مكاناً واحداً » .

قال في « الفتح » : (أخذ منه عدم جواز التزوج على بنت النبي ، بخلاف التسرّي ؛ لأنّ علياً رضي الله عنه وطئ جارية من الخمس في بعض سراياه) .

فداء أسرى بدر :

ثم أراد الناظم أن يشرح الكلام على الفداء فقال :
(المسلمين) والمراد بهم : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم البدريون (خيروا) بالبناء للمفعول (بئن) أخذ (الفدا) من الأسرى (و) لكن (قدرهم) عددهم ، وهو سبعون (في قابل) عام مقبل (يُسْتَشَهِدا) بالألف المنقلبة عن الفداء

(1) بالرفع ؛ أي : هذه هالة ، أو بالنصب ؛ أي : أجعلها هالة .

وَبَيْنَ قَتْلِهِمْ فَمَالُوا لِلْفِدَا لَأَنَّهُ عَلَى الْقِتَالِ عَضَدًا
وَأَنَّهُ أَدَى إِلَى الشَّهَادَةِ وَهِيَ قُصَارَى الْفَوْزِ وَالسَّعَادَةِ

نون التوكيد (وبين قتلهم) أي : الأسرى ، والمخير لهم النبي
صلى الله عليه وسلم بأمر جبريل عليه السلام ، كما روى
الترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن علي
رضي الله عنه قال : (جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
يوم بدر ، فقال : خير أصحابك في الأسرى ، إن شاؤوا
القتل ، وإن شاؤوا الفداء على أن يقتل منهم عاماً مقبلاً مثلهم
قالوا : الفداء ، ويقتل منا) .

ورواه ابن سعد من مُرَسَّل عُبَيْدَةَ فَقَالُوا : (بَلْ نَفَادِيهِمْ ،
فَتَنَقُوا بِهِ عَلَيْهِمْ ، وَيَدْخُلُ قَابِلًا مِنَ الْجَنَّةِ سَبْعَوْنَ) .

(فَمَالُوا لِلْفِدَا) أي : لقبول الفداء منهم (لأنَّه) أي :
الداء عَضَدَ (على القِتال) فهو متعلق بقوله : (عَضَدًا) المبني
للفاعل بمعنى : أungan .

(وَأَنَّهُ) أي : الداء (أَدَى) أي : أوصل (إلى) الظفر
بـ (الشَّهَادَةِ) في سبيل الله تعالى (وهي) أي : الشهادة
(قُصَارَى) بضم القاف ؛ أي : غاية (الفوز والسعادة) .

ولما اختاروا الداء استشهد منهم في العام القابل وهو عام
أُحُد ، سبعون رجلاً .

ثمَّ أراد أن يبين مقدار ما كان به الداء من المال فقال :

وَهُوَ بِقَدْرٍ وُسْعِهِمْ وَالْمُمْلِقُ مِنْ خَطْهِ عَشَرَةً يُحَذِّفُ
وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْأَسَارِيِّ عَمْرُو نَجْلُ أَبِي سُفْيَانَ ثُمَّ الْصَّهْرُ

(وهو) أي : الفداء (بقدر وسعهم) أي : طاقة الأسرى ، أربعة آلاف درهم ، كأبي وداعة ، وأبي عزيز ، إلى ثلاثة ، إلى ألفين ، إلى ألف (والمملق) بميمين على صيغة اسم الفاعل ، من أملق بمعنى : افتقر ؛ أي : والفقير ، وقد عرف الخطأ (من خطه) يتعلق بقوله : (يحذق) وقوله : (عشرة) بالنصب معمول بقوله : (يحذق) بالبناء للفاعل ؛ والمعنى : أن من لم يكن عنده مال يفادي به نفسه ، علم عشرة من غلمان أهل المدينة الخطأ ، فإذا حذقوا ، وتعلموا .. كان ذلك فداءه ؛ لأنَّ أهل مكة كانوا يكتبون ، وأهل المدينة لا يكتبون ، فمِنْ تعلم الكتابة يومئذٍ سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه في جماعة من غلمان الأنصار .

عَدَدُ الْأَسَارِيِّ
وَالْهَالِكِينَ مِنْ قُرِيشٍ
وَاعْلَمُ : أَنَّ جَمْلَةَ مِنْ أَخْذِ أَسِيرًا مِنَ الْمُشَرِّكِينَ يَبْدُرُ سَبْعُونَ
رَجُلًا ، كَمَا أَنَّ مِنْ هُلُكِهِمْ سَبْعُونَ ، كَمَا فِي « صَحِحِ
الْبَخَارِيِّ » مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ .

واقتصر الناظم على ذكر المشهورين من الأسرى فقال :

مِنْ مَشَاهِيرِ أَسَرِيِّ قُرِيشٍ : عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ :
(ومن مشاهير الأسرى) : (عَمْرُو نَجْلُ) أي : ابن أَبِي سُفْيَانَ) صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ .

قَالَ أَبْنُ إِسْحَاقَ : (وَكَانَتْ أُمَّهُ بَنْتُ عَقْبَةَ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ) .

.....
قال ابن هِشام : (بل كانت أُمّهُ أخت أبي مُعَيْط ، وكان الذي أسره علياً بن أبي طالب) .

قال ابن إسحاق : (وحدّثني عبد الله بن أبي بكر قال : فقيل لأبي سفيان : أفد عمرأً ابنك ، قال : أيجتمع علىي دمي ومالي ؟ قتلوا حنظلة ، وأفدي عمرأً ، دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . قال : فيبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخوبني عمرو بن عوف ، ثم أحدبني معاوية معتمراً ، وكان مُسْلِماً في غنم له بالتنقيع ^(١) ، فخرج من هنالك معتمراً ، ولم يظن أنه يحبس بمكة إذا جاء معتمراً ، وقد كان عهد قريش أن قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلاّ بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة ، فحبسه بابنه عمرو ، وقال في ذلك :

أَرْهَطْ بْنَ أَكَالَ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ
تَعَاقَدْتُمْ لَا تُسْلِمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَأَ
فَإِنَّ بَنِيَ عَمْرُو لَثَامُ أَذِلَّةُ
لَئِنْ لَمْ يَفْكُوْا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَبَلَأَ

قال فأجابه حسان بن ثابت يقول :

لَوْ كَانَ سَعْدَ يَوْمَ مَكَّةَ مَطَّلَقاً
لَا كَثَرَ فِيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُؤْسِرَ الْقَتْلَأَ

(١) موضع قرب المدينة ، وأمّا البقيع بالباء . فهو موضع داخل المدينة وفيه مقبرتها .

بعض حسام أو بصرفاء نبعةٍ

تَحِنْ إِذَا مَا أُنْبِضَتْ تَحْفِزُ النَّبَلَةَ

قال : ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيكروا به أصحابهم ، فأعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلّى سبيل سعد) .

قال في « روض النهاة » : (وليس لعمرو بن أبي سفيان عقب ، ولم يُرَ له ذكر بعد هذا بسلام ولا بغيره) .

وقوله : (ثم الصَّهْرُ) أي : للنبي صلى الله عليه وسلم بنكاحه أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فهو معطوف على قوله نجل .

العباس بن عبد المطلب :

(و) من مشاهير الأسرى (العمُّ) للنبي صلى الله عليه وسلم سيدنا العباس بن عبد المطلب ، أسره أبو اليسر ، بفتح التحتية والسين المهملة ، وبالراء ، كما ضبطه الحافظ في « الفتح » ، واسمها كعب بن عمرو الأنصاري السَّلَمِي بفتحتين .

قال في « المواهب » : (روى الطبراني والبزار من حديث أبي اليسر : وقيل : للعباس بن عبد المطلب وكان جسيماً ، كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم ، ولو شئت .. لجعلته في

كفك؟ فقال : ما هو إلَّا أن لقيته ، فظهر في عيني كالخدمة ، وهي بالخاء المعجمة : جبل من جبال مكة) .

قال في « روض النهاة » : (واختلف في وقت إسلامه ، فقيل : بدر ؛ وذلك أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « افْدِ نَفْسَكَ » فقال : ليس لي مال أفدي به نفسي ، فقال : « الْذَّهَبُ الَّذِي تَرَكْتَهُ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ ، وَقَلْتَ لَهَا : كَيْتَ وَكَيْتَ » فقال : أَشَهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَا حَضَرْنَا إِلَّا اللَّهُ) .

هلاك أبي لهب بالعدسة :

وفي خبر أبي رافع مع أبي لهب دليل على تقدم إسلامه على بدر ، وهو ما رواه ابن إسحاق عن أبي رافع مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : (كُنْتُ غَلَامًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ دَخَلْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَأَسْلَمَ الْعَبَّاسَ ، وَأَسْلَمَتُ أُمَّ الْفَضْلِ ، وَأَسْلَمَتُ ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ يَهَابُ قَوْمَهُ ، وَيَكْرِهُ خَلَافَتَهُمْ ، وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ ، وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ مُتَفَرِّقٍ فِي قَوْمِهِ ، وَكَانَ أَبُو لهب قد تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ ، فَبَعْثَ مَكَانَهُ الْعَاصِمَ بْنَ هَشَامَ بْنَ الْمَغْيِرَةَ ، وَكَذَلِكَ كَانُوا صَنَعُوا ، لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ رَجُلٌ ، إِلَّا بَعْثَ مَكَانَهُ رَجُلًا .

فَلَمَّا جَاءَ الْخَبَرُ عَنْ مَصَابِ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ . . كَبَّتْهُ اللَّهُ وَأَخْزَاهُ ، وَوَجَدْنَا فِي أَنفُسِنَا قَوَّةً وَعَزَّاً ، قَالَ : وَكَنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا ، وَكَنْتُ أَعْمَلُ الْأَقْدَاحَ ، أَنْحَتْهَا فِي حَجْرَةِ زَمْزَمَ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لِجَالِسٍ فِيهَا أَنْحَتُ أَقْدَاحِي ، وَعَنْدِي أُمُّ الْفَضْلِ جَالِسَةٌ ،

وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر.. إذ أقبل أبو لهب يَجْرُ رجليه
بشرّ، حتى جلس على طُنْب الحجرة^(١) فكان ظهره إلى
ظاهري.

في بينما هو جالس؛ إذ قال الناس: هذا أبو سفيان
- واسمه: المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب - قد قدم ،
قال: فقال له أبو لهب: هلّم إلي ، فعندك لعمري الخبر ،
قال: فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال يا ابن أخي :
أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلّا أن لقينا
القوم ، فمتحنناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاؤوا ، ويأسروننا
كيف شاؤوا ، وأيُّم الله مع ذلك ما لُمْت الناس .

لَقِينَا رجَالَ بَيْضَ ، عَلَى خَيْلٍ بُلْقٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ،
وَاللَّهُ مَا تُلِيقُ^(٢) شَيْئاً ، وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ .

قال أبو رافع: فرفعت طُنْب الحجرة بيدي ، ثم قلت:
تلك والله الملائكة ، قال: فرفع أبو لهب يده ، فضرب بها
وجهي ضربة شديدة .

قال: وثأورته^(٣) ، فاحتملني وضرب بي الأرض ، ثم
بَرَّكَ عَلَيَّ يَضْرِبِنِي ، وَكُنْتُ رجلاً ضعيفاً ، فَقَامَتْ أُمُّ الْفَضْلِ إِلَى
عُمُودِ مِنْ عُمُدِ الْحَجْرَةِ ، فَأَخْذَتْهُ ، فَضَرَبَتْهُ بِهِ ضَرْبَةً ،

(١) أي: طرفها.

(٢) تليق: تبقي.

(٣) وثبت إليه.

فلَعَتْ^(١) فِي رَأْسِهِ شَجَّةً مُنْكَرَةً ، وَقَالَتْ : اسْتَضْعَفْتُهُ أَنْ غَابَ
عَنْهُ سَيِّدِهِ ، فَقَامَ مُؤْلِيًّا ذَلِيلًا ، فَوَاللَّهِ مَا عَاشَ إِلَّا سَبْعَ لِيَالٍ حَتَّى
رَمَاهُ اللَّهُ بِالْعَدَسَةِ^(٢) (فَقُتْلَتِهِ) اهـ

هَلَكَ أَبِي لَهَبَ وَالْكِيفِيَّةُ
الَّتِي دُفِنَ بِهَا

وَبَقَى بَعْدَ مَوْتِهِ ثَلَاثًا لَا تُقْرَبُ جَنَازَتِهِ ؛ لَأَنَّ قَرِيشًا تَشَاءُمُ
بِالْعَدَسَةِ ، كَمَا تَشَاءُمُ بِالْطَّاعُونِ ، فَلَمَّا خَافَ بَنُوهُ السُّبْيَةَ - أَيِّ :
الْعَارِ - . حَفَرُوا لَهُ ، وَدَفَنُوا جَنَازَتَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي حَفْرَتِهِ ، وَقَذَفُوهُ
بِالْحَجَارَةِ مِنْ بَعْدِ حَتَّى وَارَوْهُ .

وَيَرَوْيُ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّهَا كَانَتْ
لَا تَمْرَّ عَلَى مَكَانٍ أَبِي لَهَبٍ هَذَا ، إِلَّا نَشَرَتْ ثُوبَهَا حَتَّى تَجُوزُ .

وَفَاتَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَوْفِيَ الْعَبَّاسَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ (٣٢) وَجَزَعَ عَلَيْهِ ابْنُهُ سَيِّدُنَا
عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَأَنْشَدَهُ :
اَصْبَرْ نَكْنْ بَكْ صَابِرِينَ فَإِنَّمَا

صَبْرُ الرُّعْيَةِ بَعْدَ صَبْرِ الرَّاسِ
خَيْرٌ مِنَ الْعَبَّاسِ صَبِرَكَ بَعْدَهُ
وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ لِلْعَبَّاسِ
فَكَانَ أَجْمَلُ عَزَاءٍ .

عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَنُوفُلُ بْنُ الْحَارِثِ :
(وَ) مِنْ مَشَاهِيرِ الْأَسْرَى (ابْنَا أَخْوِيهِ) أَيِّ : الْعَبَّاسِ

(١) شَقَتْ .

(٢) الْعَدَسَةُ : بَشَرَةٌ تُخْرُجُ فِي الْبَدْنِ فَقُتِلَهُ .

(وَهُمَا عَقِيلُ) بفتح العين^(١) وترك التنوين للوزن ، وهو ابن أبي طالب ، أخو علي ، وجعفر ، وكان الأسن^(٢) ، يكفي عقيل : أبا يزيد ، قال له صلى الله عليه وسلم : « يا أبا يزيد ؛ إني أحبك حُبَّيْن : حبًّا لقرباتك مني ، وحبًّا لما أعرف من حب عمي إياك ». .

قال الحافظ في « الإصابة » : (وفي « تاريخ البخاري » الأصغر بسند صحيح : أَنَّه مات في أول خلافة يزيد قبل المحرّة) .

(نَوْفَلُ) أي : ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، يكفي : أبا الحارث (وبعد) أي : بعد بدر (أسلماً) أي : عقيل ، ونوفل .

أَمَّا عقيل .. فإنَّه أسلم عام الفتح ، كما قاله في « الإصابة » وضَعَّف القول بأنَّه أسلم بعد الْحُدُبِيَّة ، وهاجر في أول سنة ثمان .

وأَمَّا نوفل : فذكر في « الإستيعاب » : (أَنَّه أسلم وهاجر يوم الخندق) وقيل : أسلم يوم فدى نفسه .

واختلفوا أيضاً في فدائِه ، فقيل : فداء العباس ، وقيل : فدى نفسه ؛ وذلك : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قال

(١) كل ما جاء على هذا اللفظ في العرب بضم العين .. إلَّا هذا ، وعقيل بن علفة المري ، كذا في « روض الْهَمَة » اهـ

(٢) كان أسن من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أسن من علي بعشر سنين ، وطالب أسن من عقيل بعشر سنين ، وأمهم كلهم : فاطمة بنت أسد رضي الله عنهم . اهـ من « الروض »

وَخَالِدُ أَخُو أَبِي جَهْلٍ وَقَدْ أَسْلَمَ أَيْضًا وَسُهَيْلُ الْأَسَدُ

له « افْدْ نَفْسَكَ » قال : ما لِي شَيْءٌ أَفْتَدِي بِهِ ، قال : « افْدْ نَفْسَكَ بِرَمَاحِكَ الَّتِي بِجُدْدَةِ » فقال : وَاللَّهُ ؟ مَا عَلِمْتُ أَحَدًا لِي بِجُدْدَةِ رَمَاحًا غَيْرِي بَعْدَ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَدْلَيْ نَفْسِهِ بِهَا ، وَكَانَتْ أَلْفَ رَمَحٍ . ذَكْرُهُ الْحَافِظُ أَبُو عُمَرَ فِي « الإِسْتِعَابِ » عَنْ أَبْنَ سَعْدٍ ، وَهَذَا مِمَّا يَقُوِّيُّ القَوْلَ بِأَنَّهُ أُسِرَّ وَفَدَلِيْ نَفْسِهِ .

ذَكْرُ جُدْدَةِ

تُوْفَّى بِالْمَدِينَةِ فِي دَارِهِ بَهَا سَنَةَ خَمْسَ عَشَرَةَ ، فِي خَلَافَةِ عَمَرٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عَمْرُ بَعْدَ أَنْ مَشَى مَعَهُ إِلَى الْبَقِيعِ ، وَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى دُفِنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَفَاتَهُ نُوفَلُ بْنُ الْحَارِثَ

خَالِدُ بْنُ هَشَامَ الْمَخْزُومِيِّ ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرُو الْعَامِرِيِّ :

(وَ) مِنْ مَشَاهِيرِ الْأَسَرَى بِبَدْرِ (خَالِدُ أَخُو أَبِي جَهْلٍ) إِذْ ذَاكَ ، وَقَدْ قَطَعَ الْإِسْلَامَ تِلْكَ الْأَخْوَةَ ، فَإِنَّهُ أَسْلَمَ كَمَا قَالَ : (وَقَدْ أَسْلَمَ أَيْضًا) مِثْلَ سَابِقِيهِ ، وَهُوَ أَبُونِ هَشَامَ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ مَخْزُومِ الْقَرْشَيِّ الْمَخْزُومِيِّ ، قَالَ الْحَافِظُ أَبُونِ عَبْدِ الْبَرِّ : (ذَكْرُهُ بَعْضُهُمْ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قَلْوَبُهُمْ) ، ثُمَّ قَالَ : (وَفِيهِ نَظَرٌ) .

(وَسُهَيْلٌ) - بِالْتَّصْغِيرِ - أَبُونِ عَمْرُو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدِ بْنِ نَصْرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ حِسْنٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ لَؤَيِّ الْعَامِرِيِّ ، سَهِيلُ بْنُ عَمْرُو خَطِيبُ قَرِيشٍ (الْأَسَدُ) أَيِّ : كَالْأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ ، فَهُوَ تَشْبِيهٌ بَلِيْغٌ ، حَذْفٌ مِنْهُ الْأَدَاءُ ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ ، أَوْ هُوَ الْأَسَدُ ، بِتَشْدِيدِ قَرِيشٍ

الدال ؟ أي : قوله^(١) ، والذى أسر سهيلًا مالك بن الدُّخْشُم ،
أخوبني سالم بن عوف ، فقال في ذلك :

أَسْرَتْ سُهْيَلًا فَلَا أَبْتَغِي
أَسِيرًا بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَمْمِ
وَخِنْدِفُ تَعْلَمُ أَنَّ الْفَتَنَى
فَتَاهَا سُهْيَلٌ إِذَا يُظَلَّمُ
ضَرَبَتْ بَذِي الشَّفْرِ حَتَّى انْتَنَى
وَأَكَرَهَتْ نَفْسِي عَلَى ذِي الْعِلْمِ

(١) قال الحافظ : هو الذي تولى أمر الصلح بالحدبية ، وكلامه ومراجعته للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك في « الصحيحين » وغيرهما .

روى حميد بن أبي حسين قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل البيت ، ثم خرج فوضع يده على عضادي الباب ، فقال : « ماذا تقولون ؟ » فقال سهيل : نقول خيراً ، ونظن خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، وقد قدرت . فقال : « أقول كما قال أخي يوسف : ﴿لَا تَرِبَّ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ قال في « روض النهاة » : (خرج سهيل بجماعة أهله إلى الشام فجاهدوا .. حتى ماتوا كلهم هنالك ، فلم يبق من ولده إلا فاختة بنت عتبة بن سهيل ، قدم بها على عمر ، وكانت تسمى الشريدة ، فروجها من عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكان أيضاً يسمى الشريد ، كان أبوه خرج هو وسهيل حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » قالا : لئن فاتتنا الهجرة وأول الإسلام فلا يفوتنا الجهاد ، والشهادة ، فخرج كل بأهله ، فلم يرجع ممن خرج معهما إلا عبد الرحمن الشريدي ، وفاختة الشريدة ، فسمماهما الناس بالشريدين ، قال عمر رضي الله عنه : زوجوا الشريدي ، لعل الله ينشر منهما أمة ، وأقطعهما خطة ، فأوسعها لهما ، فقيل له : أثنت ، فقال : أردت لكي ينشر الله منهما أمة ، فأنشر الله منهما رجالاً ونساء) ومعنى (الشريدي) : الذي لم يبق من أهله غيره . قال في « الإصابة » : (توفي سهيل بالطاعون سنة ثمان عشرة ، فيما قاله ابن خيثمة) .

وَمِكْرَزُ رَكَزِي مَرْكَزِهِ حَتَّىٰ أَتَىٰ فِدَاؤُهُ لِعِزَّهُ

قال ابن إسحاق : (وكان سهيل رجلاً أعلم^(١) من شفته السفلي) .

(و) لما أُسر سهيل . . قدم (مِكْرَز) - بكسر الميم^(٢) مكرز العامري و مقامه من فداء سهيل وفتح الراء - ابن حفص بن الأخفيف - في فداء سهيل ، فلما قاولهم فيه مِكْرَز ، وانتهى إلى رضاهم . . قالوا : هاتِ الذي لنا ، قال : اجعلوا رجلي مكان رجله ، وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلوا سبيل سهيل ، و (رَكَز) مِكْرَز (في مَرْكَزِه) بفتح الميم وإسكان الراء ؛ أي : وضع مِكْرَز نفسه في موضع سهيل في القيد (حتى أتى فداءه) أي : فداء سهيل ، وإنما فعل ذلك مكرز بسهيل (لعزه) أي : سهيل عندهم .

قال في « روض النهاة » : (ومكرز هذا هو العامري الذي تحقق الشارح إسلام مكرز العامري بعثه أهل مكة يوم الحديبية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأه . . قال : « أتاكِمْ رجل فاجر ، فلم يُغْنِ شيئاً » فبعثوا سهيلاً ، فلما رأه صلى الله عليه وسلم . . قال : « سَهَّلَ الله لكم من أمركم » ، ولم نجد لمكرز إسلاماً ، ولا ذكرأ في الصحابة ، إلا أنَّ صاحب « نور النبراس » ذكر : أنَّ ابن حبان ذكر له صحبة) .

قلت : وكذلك ذكر الحافظ ابن حجر في « الإصابة » عن

(١) الأعلم : المشقوق الشفة العليا أو أحد جانبيها .

(٢) يقال : بكسر الميم وفتحها ، ولكن لا يروى في السيرة إلا بالكسر . اهـ من « الروض » (ص ٨٠)

ابن حبان : (أنه ذكره في الصحابة) والله تعالى أعلم .

عبد الله بن أبي بن خلف ، وأبو وداعة السهمي :

(و) من الأسرى عبد الله (ابن أبي) بن خلف بن حذافة القرشى الجمحي ، أسلم عام الفتح ، وقتل يوم الجمل ، رضي الله عنه .

(و) منهم الحارث (أبو وداعة) ابن ضبيرة السهمي ، ولما أسر .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لَهُ بِمَكَةَ ابْنًا كَيْسَارًا ، تَاجِرًا ، ذَا مَالٍ ، وَكَانَكُمْ بِهِ قَدْ جَاءَ فِي طَلْبِ فَدَاءٍ » .

الحارث أول الأسرى
فداء

ولما قالت قريش : لا تعجلوا بفداء أسراكم ، لا يأرب ⁽¹⁾
عليكم محمد وأصحابه ، قال المطلب بن أبي وداعة - وهو
الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى - : صدقتم
لا تَعْجَلُوا ، وانسلَّ من الليل ، وقدم المدينة ، وأخذ أباه بأربعة
آلاف درهم ، فانطلق به ، فكان أول أسير فدي ، كما قال :
(أول مفدي) وهو خبر مبتدأ مقدر ، كما علم من التقرير ،
ويصح أن يكون خبر قوله : (أبو وداعة) ، (من الرباعية)
بكسر الراء ؛ أي : من أسرى بدر .

قال السهيلي (أسلم هو وابنه المطلب بن أبي وداعة يوم
فتح مكة) .

(1) من أرب الدهر : اشتد .

وَخَالِدُ بْنُ الْأَعْلَمِ الَّذِي أَفْتَخَرَ فَكَانَ قَبْلَ كُلِّ هُوَهَةٍ عَجَرْ
وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْمُمَاتِ حَنْظَلَةُ مُبَّهَّةٌ وَصِنْوَهُ وَأَبْنَانِ لَهُ

خالد بن الأعلم الخزاعي :

(و) منهم : (خالد بن الأعلم) الخزاعي ، ويقال :
العُقيلي ، كما قال ابن هشام (الذي افتخر) يوم بدر بقوله :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا

ولَكِنْ عَلَى أَقْدَمَا تَقْطُرُ الدَّمَا

(فكان) خالد (قبل كل هوهة) بضم الهاء الأولى وفتح
الثانية بمعنى : جبان ، يتعلّق بقوله : (عَجَرْ) أي : ثني
عنقه ، وفَرَّ سريعاً قبل كل جبان ، قتل يوم أُحد كافراً ، كما في
«روض النّهاة» وغيره .

مشاهير من القتلى من مشركي قريش :

ثمَّ لما فرغ من مشاهير الأسرى بدر ، وهم تسعه حسبما
ذكر .. شرع في ذكر مشاهير القتلى من المشركين ، فقال :

(ومن مشاهير الممات) بضم الميم من أمات يميت ؛
أي : القتلى ، والألف واللام للجنس ، لا للاستغراف ؛ لأنَّه
لم يستوعب مشاهيرهم (حنظلة) ابن أبي سفيان ، قتله زيد بن
حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكره ابن
هشام واليعمرى ، وكذا (مُبَّهَّ) بصيغة اسم الفاعل المضاعف
وهو : ابن الحجاج بن عامر بن حذيفة ، من بني سهم بن
عمرو ، قتله أبو اليَسَر أخوبني سلمة (و) كذا (صَنْوَه) أي :

حنظلة بن أبي سفيان

منبه بن الحجاج

وَهُمْ نُبِيَّهُ حَارِثٌ وَالْعَاصِي
 مِنْ مَكَّةَ لِكَوْنِهِ مُسْتَضْعِفًا
 فِي زَعْمِهِ وَيَوْمَ بَدْرٍ زَحْفًا
 أَنْفُسِهِمْ مَلَائِكُ الْمَلَاحِمِ

شقيق منبه (وابنان له) أي : لمنبه ، ثمَّ يَبَّنُ أسماء الثلاثة على طريق اللف والنشر المرتب فقال :

نبيه بن الحجاج (وهم) أي : صنوه وأبناء (نبيه) بالتصغير ، ابن الحجاج ، وأمه وأم منبه : أروى بنت عميلة ، الذي قتلها سيدنا حمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبي وقاص ، اشتراكاً فيه ، فيما قاله ابن هشام . قال في « روض النهاة » : (كان منبه ونبيه من المطعمين في الطريق إلى بدر) و (حارث) بن منبه بن الحجاج ، قتلها صهيب بن سنان .

المستضعفون بمكة في زعمهم الكاذب :

العاشي بن منبه بن الحجاج (العاشي) بن منبه بن الحجاج ، قتلها علي بن أبي طالب ، فيما قاله ابن هشام (أحد) بالرفع خبر مبتدأ مقدر ؛ أي : والعاصي المذكور أحد (رهط) بالتنوين : هو ما دون العشرة من الرجال ، وما فيهم امرأة ، كما في « القاموس » (غير ذي خلاص) أي : نجاة (من) أهل (مكة) بالتنوين للوزن (لكونه) أي : ذلك الأحد (مستضعفًا في زعمه ، و) الحال أنه (يوم بدر زحفا ، مع قريش) لقتال النبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله : (وَتَوَقَّتْ ظَالِمٍ أَنْفُسِهِمْ مَلَائِكُ الْمَلَاحِمِ) جمع

مَلْحَمَةٌ ؛ أَيْ : الْحَرْبُ ، يُشَيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِعَيْ أَنفُسِهِمْ قَالُوا كُنْتُمْ كُلُّكُمْ مُسْتَصْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَمَّ تَكُونُ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَا حِرْوَانٌ فِيهَا قَوْلَاتِكَ مَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ إِلَّا الْمُسْتَصْعِفِينَ مِنَ الْجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَلَدَنَ لَا يَسْتَطِعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَيِّلًا ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوا عَفْوًا﴾ .

قال الحافظ السيوطي : (نزلت في جماعة أسلموا ، ولم يهاجروا ، فقتلوا يوم بدر مع الكفار) اهـ

مقتل علي بن أمية ، وأمية بن خلف :

ثمَّ أراد إتمام عَدَّ المستضعفين في زعمهم ، وهم أربعة
سوى العاصي ، فقال :

(وهم عليٰ بن أميّة) بن خلف بن وهب بن حُدافة بن جُمّع (الردي) أي : الهالك بالموت على الكفر ، والعياذ بالله تعالى ؟ فإنه قُتل يوم بدر مع أبيه كافرین .

قال ابن إسحاق : (حدثني يحيى بن عباد وعبد الله بن أبي بكر وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة ، وكان اسمه عبد عمرو ، فقسمت حين أسلمت عبد الرحمن ، فكان يلقاني ونحن بمكة ، فيقول : يا عبد عمرو ؛ أرغبت عن اسم سماكه أبواك ؟ فاقول : نعم ، فيقول : فإني لا أعرف الرحمن ،

علي بن أمية
حديث عبد الرحمن بن عوف عن علاقته بأمية ابن خلف

فاجعل بيدي وبينك شيئاً أدعوك به ، أمّا أنت .. فلا تجيئني
باسمك الأوّل ، وأمّا أنا .. فلا أدعوك بما لا أعرف .

قال : وكان إذا دعاني : يا عبد عمرو .. لم أجبه ، قال :
فقلت له : يا أبا عليّ ؟ اجعل ما شئت ، قال : فأنت
- عبد الإله ، قال : فقلت : نعم ، قال : فكنت إذا مرت
بها .. قال : يا عبد الإله ، فأجبه ، فأتحدث معه ، حتى إذا
كان يوم بدر مرت به وهو واقف مع ابنه عليّ ، وهو آخذ
بيده ، قال : ومعي أدراج لي قد استلبتها ، فأنا أحملها ، فلما
رأني .. قال : يا عبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال : يا عبد
الإله ، فقلت : نعم ، قال : هل لك في ؟ فأنا خير لك من هذه
الأدراج التي معك . قال : قلت : نعم ، ها الله ذا ، قال :
فطرحت الأدراج من يدي ، وأخذت بيده وبيد ابنه ، وهو
يقول : ما رأيت كاليلوم قط ! أما لكم حاجة في اللبن ؟ ثم
خرجت أميّة بهما .

مصرع أميّة بن خلف
وابنه

قال ابن إسحاق : (حدّثني عبد الواحد بن أبي عون عن
سعد بن إبراهيم ، عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال
لي أميّة بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذًا بأيديهما :
يا عبد الإله ؟ من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره ؟
قال : قلت : حمزة ، قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل ، قال
عبد الرحمن : فوالله إني لأقودهما إذ رأه بلال معي ، وكان هو
الذي يعذّب بلاً بمكة على الإسلام ، فلما رأه .. قال : رأس

الكفر أميّة بن خلف ، لا نجوت إن نجا ، قال : قلت : أي
بلال ؟ بأسيري ، قال : لا نجوت إن نجا ، قال : ثم صرخ
بأعلى صوته : يا أنصار الله ؛ رأس الكفر أميّة بن خلف ،
لا نجوت إن نجا ، فأحاطوا بنا ، حتى جعلونا في مثل
المسكَة^(١) ، فأنا أذُبُّ عنه قال : فأخلف رجل السيف ،
وأبنه فضرب رجل ابنه فوق ، وصاح أميّة صيحة ما سمعت بمثلها
قطّ ، قال : قلت : انحُ بنفسك ولا نجاء به ، فوالله ما أغنني
عنك شيئاً ، قال : فهبروهما بأسيافهم ، حتى فرغوا منهما
قال : فكان عبد الرَّحْمَن يقول : يرحم الله بلا ، فجعني
بأدراعي وبأسيري .

وهكذا رواه البخاري في « صحيحه » قريباً من هذا
السياق .

مقتل الحارث بن زمعة :

(والحارث بن زَمْعَةَ بْنَ الْأَسْوَدَ) بن المطلب بن أسد ،
وزمُّعة أبوه ، ويكتنُ : أبا حَكِيمَةَ ، قُتِلَ هُوَ وَأَخْوَه عَقِيلَ بْنَ
الْأَسْوَدَ يَوْمَئِذٍ ، وَالْأَسْوَدُ أَحَدُ الْمُسْتَهْزَئِينَ ، وَأَصَابَهُ فِي الدُّنْيَا
مَا أَشَارَ لَهُ الْعَارِفُ الْبَوْصِيرِيُّ بِقَوْلِهِ :

فَدَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ مُطَلِّبٍ أَيُّ
عَمَّى مَيَّسَّ بَهُ الْأَحْيَاءُ

الأسود بن المطلب

(١) المسكَة بالتحريك : السوار ؟ أي : جعلونا في حلقة كالسوار وأحدقوا بنا . اهـ « نهاية »

فإِنَّه دعا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ يَعْمَلِ اللَّهُ
بَصْرَهُ ، وَيُثْكِلَهُ وَلَدَهُ . فَخَرَجَ الْأَسْوَدُ يَسْتَقْبِلُ وَلَدَهُ زَمْعَةَ ، فَبَيْنَا
هُوَ قَاعِدٌ بَظْلَ شَجَرَةٍ جَعَلَ جَبَرِيلَ يَضْرِبُ عَيْنَيْهِ بُورْقَةَ مِنْ
وَرْقَهَا ، أَوْ بِشُوكَةَ مِنْهَا ، فَاسْتَغَاثَ بِعَلَامَهُ فَقَالَ : لَا أَحَدٌ يَصْنَعُ
بِكَ شَيْئاً غَيْرَ نَفْسِكَ ، فَهَلَكَ مِنْ ذَلِكَ .

نواح الأسود بن المطلب على بنيه :

قال ابن إسحاق : (حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَادَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْزُّبَيرَ ، عَنْ أَبِيهِ عَبَادٍ قَالَ : نَاحَتْ قَرِيشٌ عَلَى قَتْلَاهُمْ ، ثُمَّ
قَالُوا : لَا تَفْعَلُوا ، فَيَلْعَبُ مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ ، فَيَشْمَتُوا بِكُمْ ،
وَلَا تَبْعُثُوا فِي أَسْرَاكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنُوا بِهِمْ ، لَا يَأْرَبُ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ
وَأَصْحَابُهُ فِي الْفَدَاءِ) .

قال ابن إسحاق : (وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمَطَّلِبِ قَدْ أُصْبِبَ لِهِ
ثَلَاثَةٌ مِنْ وَلَدِهِ : زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَعَقِيلُ بْنُ الْأَسْوَدِ ،
وَالْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى بَنِيهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ
كَذَلِكَ إِذْ سَمِعَ نَائِحَةً مِنَ الظَّلَلِ ، فَقَالَ لِغَلَامٍ لَهُ وَقَدْ ذَهَبَ
بَصْرَهُ : انْظُرْ هَلْ أُحِلَّ التَّحْبُّ ؟ هَلْ بَكَتْ قَرِيشٌ عَلَى قَتْلَاهَا ؟
لَعَلَّي أَبْكِي عَلَى أَبِي حَكِيمَةَ - يَعْنِي زَمْعَةَ - إِنَّ جَوْفِي قد
احْتَرَقَ ، قَالَ : فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ الْغَلَامُ .. قَالَ : إِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ
تَبْكِي عَلَى بَعِيرٍ لَهَا أَصْلَلَهُ ، فَذَاكَ حِينَ يَقُولُ الْأَسْوَدُ :

أَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ
وَيَمْنَعُهَا مِنِ النَّوْمِ السُّهُودُ

فلا تبكي على بُكْرٍ ولكن
 على بدرٍ تقاصَرَتِ الجدودُ
 على بدر سَرَّاً بْنِي هُصَيْص
 ومُخزُومٍ ورَهْطَ أَبْنَى الْوَلِيدِ
 وبَكَّيْ إِذْ بَكَيْتَ عَلَى عَقِيلٍ
 وبَكَّيْ حارثاً أَسَدَ الْأَسْوَدِ
 وبَكَّيْهُمْ وَلَا تَسْمِي جَمِيعاً
 وَمَا لِأَبِي حَكِيمَةَ مِنْ نَدِيدٍ
 أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ
 وَلَوْلَا يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَسُودُوا

إسلام عمير بن وهب :

قال في «الإِمْتَاع» : (وناحت قريش على قتلها بمكة
 شهراً ، وجز النساء شعورهنَّ ، وجعل صفوان بن أميَّة
 لعمير بن وهب إن قتل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ
 يتحمل بديته ، ويقوم بعياله ، وحمله على بعير ، وجهزه ،
 فقدم عمير المدينة ، ودخل المسجد متقللاً سيفه يريد
 رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأدخله عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال :
 « ما أقدمك يا عمير؟ » قال : قدمت في أسرى عندكم تقاربونا
 فيه ، قال : « فما بال السيف؟ » قال : قبّحها الله من سيف !
 وهل أغنت من شيء؟ إنما أنسىته حين نزلت ، وهو في

الجل الذي خصَّه
 صفوان بن أميَّة لقتل
 النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وسُلِّمَ

رقبتي ، فقال : « أَصِدْقُ ، مَا أَقْدَمْكَ يَا عَمِيرَ ؟ » قال : كشف النبي صلى الله عليه وسلم الأمر الذي قدم من أجله عمير إلى المدينة ما قدمت إلَّا في أَسِيرِي ، قال : « فَمَا شرطْتْ لصَفَوَانَ فِي الْحَجَرِ ؟ » فَفَزَعَ عَمِيرٌ ، فَقَالَ : مَاذَا شرطْتَ ؟ ! قال له : « تَحْمِلْتَ لَهُ بِقْتَلِي عَلَى أَنْ يَقْضِي دِينَكَ ، وَيَعْوَلْ عِيَالَكَ ، وَاللهُ حَاطِلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ » قال عَمِيرٌ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، وَإِنَّكَ صَادِقٌ ، وَأَسْلَمَ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلِمْوَا أَخَّاكُمُ الْقُرْآنَ ، وَأَطْلَقُوا لَهُ أَسِيرَهُ » فَعَادَ عَمِيرٌ إِلَى مَكَّةَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِسْلَامِ ، فَأَسْلَمَ بَشَّرٌ كَثِيرٌ .

ابن الفاكهي (وابنان) أحدهما (للفاكهي) وهو أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم (و) الآخر لـ (الوليد) وهو أبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

فهؤلاء الخمسة قتلوا ببدر ، ونزل فيهم من القرآن ، كما ذكره ابن هشام : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِعَيْ أَنْفُسِهِمْ قَاتَلُوا فِيَمْ كُنُّمْ قَاتَلُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَاتَلُوا أَمَّا تَكُونُ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَنَهَا حِرْرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ وذلك : أنَّهم كانوا أسلموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكَّةَ ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. حبسهم آباءُهم وعشائرُهم بمكَّةَ ، وفتنوهم فافتُنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر ، فأصيروا جميعاً .

حكم الذين أدعوا أنَّهم مستضعفون وقتلوا ببدر

قال في « حاشية الجلالين » : (وهل ماتوا عصاة ، أو

كفاراً؟ خلاف؛ لأنَّ الهجرة كانت ركناً أو شرطاً، قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا» وهذا كان قبل الفتح، ثم نسخ بعده، والقاتل لهؤلاء الملائكة؛ لعلهم بأنَّ الله لم يقبل منهم الإسلام؛ لفقد شرطه وهو الهجرة، مع قدرتهم عليها، وليس التخلف من أجل صيانة المال، والعيال عذراً، والمتبادر من ذلك أنَّهم ماتوا كفاراً).

المستضعفون بمكَّةَ حقاً رضي الله عنهم :

(وَأَيْنَ هُمْ) أي : هؤلاء الخمسة المستضعفون بالزعم الكاذب (من ابنه) أي : الوليد (المجيد سميَهُ) أي : المعاون له في الاسم ، وهو الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، المستضعف حقاً ، أخو خالد بن الوليد ، حضر بدرأً مع المشركين فأسر ، فافتداه أخوه هشام وخالد ، ولماً أسلم .. حبسه أخوه ، فكان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو له في القنوت ، كما ثبت في الصحيح ، ثم أفلت من أسرهم ، ولحق بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمرة القضية .

قال الحافظ : ذكر الزُّبير بن بكار عن محمد بن الضحاك ، عن أبيه : لما هاجر الوليد بن الوليد .. قالت أمُّه :

قد هاجر الوليدُ رُبْعَ السَّاقَةِ

فاشتر منها جملًاً وناقةً

واسمُ بنفسي نحوُهُمْ تَوَاقَهُ

وفي شعرها إشعار بأنّها أسلمت .

(وأخوي) بالثانية مجروراً بالعطف على (ابن) أي : وأين أولئك الذين توفتهم الملائكة ظالمي أنفسهم من ابن الوليد ومن أخوي (فرعون) أبي جهل شقيقه ، وهو سلمة بن هشام ، ولا مه وهو : عياش بن أبي ربيعة ؟ وهذا مراده بقوله : (شقيق أو للأم ذاقا) أي : الأخوان (الهونا) بضم الهاء : الهوان من مشركي مكة .

وصف الوليد ،
 وسلمة ، وعياش

وقوله : (سلمة) و (عياش) يعود على قوله : (شقيق أو للأم) ، على سبيل اللف والنشر المرتب ، ثم وصف الثلاثة الوليد وسلمة وعياشاً بقوله : (المستضعفين) أي : حقاً فلأجل ذلك (قنَّتْ لاستقادهم) أي : خلوصهم من أيدي المشركين (طه) عليه الصلاة والسلام (الأمين) فكان يقول : « اللَّهُمَّ ؛ أَنْجِ الوليد بن الوليد ، و سلمة بن هشام ، و عياش بن أبي ربيعة .

دعاة النبي صلى الله عليه وسلم بنجاتهم من الكفار

وفي « صحيح البخاري » بسنده إلى أبي هريرة : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي العشاء إذ قال : « سمع الله لمن حمده » ثم قال قبل أن يسجد : « اللَّهُمَّ ؛ أَنْجِ عياش بن أبي ربيعة ، اللَّهُمَّ ؛ أَنْجِ سلمة بن هشام ، اللَّهُمَّ ؛ أَنْجِ الوليد بن الوليد ، اللَّهُمَّ ؛ أَنْجِ المستضعفين من المؤمنين ، اللَّهُمَّ ؛ اشْدُّ وَطَأْتَكَ عَلَى مُضَرَّ ، اللَّهُمَّ ؛ اجعلها عليهم سنين كستني يوسف » .

.....
أَمَّا الْوَلِيدُ .. فَإِنَّهُ أَفْلَتَ مِنْ أَسْرِهِمْ ، وَلَحَقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ مَشَى عَلَى رَجْلِهِ لِمَا هَرَبَ وَطَلَبَهُ ، فَلَمْ يَدْرِكْهُ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ مَاتَ بِبَئْرِ أَبِي عَتَبَةَ عَلَى مَيْلٍ مِّنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ ، ذَكْرُ هَذَا فِي « الإِصَابَةِ » .

وَأَمَّا سَلْمَةُ .. فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : (ذَكْرُ الْوَاقِدِيِّ : أَنَّهُ لَمَّا لَحَقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ - وَذَلِكَ بَعْدَ الْخَنْدَقِ - قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ ضُبَاعَةُ بْنَ عَامِرٍ بْنَ قُرْطَنَ بْنِ سَلْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ :

لَا هُمْ رَبُّ الْكَعْبَةِ الْمُحَرَّمَةِ
أَظْهَرُهُ عَلَى كُلِّ عَدُوٍّ سَلَمَةُ
لَهُ يَدَانِ فِي الْأُمُورِ الْمُبَهَّمَةِ
كَفُّ بِهَا يُعْطِي ، وَكَفُّ مُنْعِمَةً

فَلَمْ يَزِلْ سَلْمَةُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. إِلَى أَنْ تُؤْفَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الشَّامِ حِينَ بَعْثَ أَبُو بَكْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْجَيُوشَ لِقَتَالِ الْرُّومَ ، فُقْتَلَ سَلْمَةُ شَهِيدًا بِمَرْجِ الصُّفَرِ ، فِي الْمُحْرَمِ ، سَنَةَ أَرْبَعَ عَشَرَةَ ، وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ خَلَافَةِ عَمَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) .

وَأَمَّا عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رِبِيعَةَ .. فَقَالَ فِي « رَوْضَ النُّهَا » : (لَمَّا أَفْلَتَ الْوَلِيدَ مِنْهُمْ .. دَخَلَ مَكَّةَ لِيَلَّا ، فَلَمْ يَزِلْ يَتَجَسَّسُ الْأَخْبَارَ عَنْ صَاحْبِيهِ عَيَّاشَ وَسَلْمَةَ بْنَ هَشَامَ .. حَتَّى لَقِيَ امْرَأَ تَحْمَلُ طَعَامًا ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدِينِ يَا أَمَّةَ اللَّهِ ؟ قَالَتْ : أُرِيدُ

سَلْمَةَ بْنَ هَشَامَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رِبِيعَةَ

هذين المعدّين - تعني عياشاً وسلمة - فتبعها حتى عرف مكانهما ، فأخرجهما من الحبس ، فكسر القيد) .

وذكر الحافظ أبو عمر عن ابن سعد : أنَّ عياشاً قتل يوم اليرموك .

تنبيه :

الاصل - كما يستفاد من « الإستيعاب » وغيره - : أنَّ أم سلمة بن هشام ، ضُباعنة بنت عامر بن قُرط بن قيس ، منبني عامر بن صعصعة القائلة :

اللَّيْلَةَ الْمُبَارِزَةَ الْمُهَاجِرَةَ
يَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ
وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أَحْلَةُ

.. لا أمَّ أبي جهل أسماء بنت مخرمة .

فعليه : لا يكون سَلْمَةً شَقِيقاً لِفَرْعَوْنَ الْأَمْمَةِ أَبِي جَهَلِ ،
ويتأيد بما في بعض نسخ النظم الصحيحة ، من قوله : (للأب
أو للأم ذاقا الهاونا) .

شهداء بدر من المهاجرين والأنصار :

ثَمَّ لَمَا كَانَ جَمْلَةً مِنْ اسْتَشْهِدَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعَةً عَشَرَ رَجُلًا ..
أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ عَدْدَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ ، وَعَدْدَ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ فَقَالَ :

(وَاسْتَشْهِدَتْ سِتٌّ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ) الْأَوْلَى : (عُيَيْدَةُ الْمَذْكُورُ فِي الْمُبَارِزِينَ)
الحارث بن المطلب (المذكور في) عدد الثلاث (المبارزين)

ئُمَّ عَمِيرُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ وَأَبْنُ الْبُكَيْرِ عَاقِلُ الشَّاصِي
وَذُو الْشَّمَالَيْنِ وَمَهْجَعُ عُمَرْ صَفْوَانُ بَيْضَاءُ الَّذِي بِهَا أَشْتَهَرْ

لثلاثة من قريش أبناء عمهم ، ضربه عتبة بن ربيعة ،
قطع رجله ، فمات بالصفراء .

(ثُمَّ) الثاني : (عُمير) بالتصغير (بن أبي وقاص) بن
أُهيب بن عبد مناف بن زُهرة ، ذكر الواقدي كما في
«الروض» : (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَدْ رَدَّ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ ؛ لِأَنَّهُ اسْتَصْغَرَهُ ، فَبَكَى عُميرٌ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَاءَهُ . أَذْنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُ ، فُقْتَلَ
وَهُوَ ابْنُ سَتَّ عَشَرَةَ سَنَةً ، قُتْلَهُ الْعَاصِي بْنُ سَعِيدَ) .

(و) الثالث : (ابن البكير) بوزن الزبير ، واسمه :
(عاقل) والبکير : هو ابن عبد ياليل الليثي ، حليف
بني عدي بن كعب ، وكان عاقل من السابقين الأوَّلين .

قال الحافظ : (شهد بدرًا هو وإخوته إياس ، وخالد ،
وعامر ، واستشهد عاقل بدر) قاله موسى بن عقبة ، وابن
إسحاق ، وغيرهما .

وقوله : (الشاصي) أي : الميت ، يقال : شَصَى الميت
شُصِّيًّا : ارتفعت يداه ورجلاه .

(و) الرابع : (ذو الشماليين) عمير بن عبد عمرو بن
نضلة الخزاعي ، حليف بني زُهرة ، وهو غير ذي اليدين
الخرابق بن عبد عمرو السُّلْمِي ، صاحب حديث : (أَقْصَرَتْ

عمير بن أبي وقاص

عاقل بن عبد ياليل
الليثي

ذو الشماليين عمير بن
عبد عمرو

الصلوة ؟) ؛ لأنَّ ذا الشمالين استشهد ببدر ، وحديث السهو حضره أبو هريرة ، وإسلامه تأخر عن بدر بست سنين .

(و) الخامس : (مهْجَع) بوزن مِنْبَر مولى عمر بن الخطاب ؛ فلذا أضافه إلى قوله : (عمر) .

مهجع مولى عمر بن الخطاب أول قتيل من المسلمين

قال ابن إسحاق : (وقد رُمِيَ مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ، فكان أول قتيل من المسلمين ، رضي الله عنه) .

وقال السهيلي : (أول قتيل من المسلمين حارثة بن سُراقة) .

والسادس : (صفوان بيضاء) بحذف حرف العطف

صفوان بن بيضاء

(الذي بها) أي : بيضاء أُمّه ؛ أي : بالنسبة إليها ، يتعلّق بقوله : (اشتهر) فقيل : صفوان بن بيضاء ؛ يعني : إنما نُسب لأُمّه لذلك ، لا لكونه لا يُعرف له أب ، وإنَّه فأبوه - كما في « الإستيعاب » - وهب بن ربيعة ، وأخوه سهل وسُهيل ابنا وهب ، المعروفون ببني البيضاء ، أمَّا سُهيل .. فهاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة ، وشهد بدرًا مع صفوان ، وأمَّا سهل .. فتأخر إسلامه عن بدر ، واسم أمهم البيضاء دَعْدَ .

(واثنان) ممَّن شهد بدرًا منسوبيان (للأوس) :

الأَوَّل : (أَبْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ) واسمه : (مُبَشِّر) من بنى عمرو بن عوف .

مبشر بن عبد المنذر

وَسِتَّةُ الْخَرْزَاجِ هُمْ يَزِيدُ عَوْفُ مُعَوْذُ أَخْوَهُ الْصَّيْدُ

والثاني : (سعد بن خيثم)^(١) بوزن جعفر ، من بني عمرو بن عوف أيضاً ، وحذفت التاء من خيثم للضرورة (الجري) الشجاع ، تسميم حذفت منه الهمزة للوزن .

(وستة الخرج هم يزيد) بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الحارث بن الخرج ، قتله طعيمة بن عدي ، والثاني منهم : (عوف) .

يزيد بن الحارث

عوف وأخوه معوذ ابنا رفاعة

والثالث : (معوذ) بفتح الواو المضددة (أخوه) لأنهما ابنا الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وأخوه معاذ أيضاً ، قال أبو عمر : (وسمى بعضهم عوفاً عَوْذَاً بالذال ، وعوف أكثر) كذا قال ، وذكر في « الإصابة » عن ابن إسحاق : (حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : لَمَّا التقى الناس يوم بدر ، قال عوف بن عفرا : يا رسول الله ؟ ما يُضحكُ الربَّ من عَبْدِه ؟ قال : « أَن يراه قد غَمَسَ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا » فنزع عوف دِرْعَه ، وتقىم فقاتل ، حتى قتل شهيداً ، رضي الله عنه) .

وقوله : (الصَّيْد) جمع أصيد : وهو اسم من أسماء السبع ، شبههم به لشجاعتهم .

(١) قال الحافظ : (يكنى أبا خيثمة ، وكان أحد القباء بالعقبة ، ذكره ابن إسحاق وغيره) وقال ابن إسحاق في « المغازي » : (نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء على كلثوم بن الهدم ، وكان إذا خرج من منزله .. جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة ، وكان يقال له : بيت العزاب ، وانختلف في قاتله ، فقيل : طعيمة ، وقيل : غيره) اهـ

والرابع : (حارثة) بن سُراقة بن الحارث بن عديّ بن حارثة بن سراقة مالك بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجار . قال في « الإستيعاب » : (رماه حِبَانُ بْنُ الْعَرْقَةَ بِسَهْمٍ ، وهو يشرب من الحوض ، وكان خرج نظاراً ، فأصاب حنجرته فمات وجاءت أمه الرُّبِيع - بالتصغير - بنت النضر ، عمة أنس بن مالك فقالت : يا رسول الله ؟ قد علمت موضع حارثة مني ، فإن يكن في الجنة .. أصبر ، وأحتسب ، وإن يكن غير ذلك .. فسُترى ما أصنع ، فقال : « أَوَجَنَّةً وَاحِدَةً هِيَ ؟ إِنَّمَا هِيَ جَنَّاتٍ ، وَإِنَّ أَبْنَكَ فِيهَا لَفِي الْفِرْدَوْسِ ») . قال الناظم في « عمود النسب » :

حَارِثَةُ الْبَرُّ^(١) رَأَى جِبْرِيلًا

مَعَ النَّبِيِّ وَوَعَى تَرِيَالًا

(١) قوله : (البر) كذلك سماه صلى الله عليه وسلم ، فروى النسائي من طريق الزُّهري عن عروة عن عائشة عن النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : دخلت الجنة فسمعت قراءة ، فقلت : « من هذا ؟ » فقيل : حارثة بن النعمان ، فقال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كذلك البر » وكان برأً بأمه .

وقال في « الإصابة » : (روى الإمام أحمد ، والطبراني من طريق الزُّهري ، أخبرني عبد الله بن عامر عن حارثة بن النعمان قال : مرت على رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْهُ جِبْرِيلُ جَالِسٌ فِي الْمَقَاعِدِ ، فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَجَعَتْ .. قَالَ : « هَلْ رَأَيْتَ الَّذِي كَانَ مَعِي ؟ » قَلَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : « فَإِنَّهُ جِبْرِيلٌ وَقَدْ رَدَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ » إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ) . وذكره موسى بن عقبة ، وابن سعد فيمن شهد بدرًا ، فقيل : إنَّه توفي في خلافة معاوية كما ذكره في « الإستيعاب » عن خليفة ، ولم يذكره الناظم هنا ؛ وإنَّما ذكرته للتنبية على أنَّه بصري ، وأنَّه غير ابن سراقة ، ولكون الناظم في « عمود النسب » ربط بينهما . اهـ

في جنة الخلد له النبي

وهكذا سميته الأبي

حارثة القتيل بعد مهاجع

وأمهه عليه ذات جزع

(و) الخامس : (ابن المعلى) بن لودان بن حارثة بن عدي بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب بن عبد بن حارثة بن مالك بن عضب بن جشم بن الخزرج ، واسمه : (رافع) قتله عكرمة .

رافع بن المعلى

(ثم) السادس : (عمير) بالتصغير (بن الحمام) بوزن غراب ، كما في « الإصابة » ويزن سحاب كما في « روض النهاة » والميم مخففة على كل ، وهو ابن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري ، السلمي ، قتله خالد بن الأعلم .

عمير بن الحمام

قال ابن إسحاق : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسي بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً ، محتسباً ، مقبلاً غير مدبر .. إلا أدخله الله الجنة » فقال عمير أخوبني سلمة وفي يده تمرات يأكلهنَّ : بَخْ بَخْ ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، فقدف التمر من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل حتى قُتل وهو يقول :

رَكضًا إِلَى الله بغير زاد

إِلَّا التقوى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد »

وإلى هذا أشار بقوله : (النازع) أي : المشتاق (لربه) عز وجل (وهو يقول : أَنَّمَا بَيْنِي وَبَيْنَ جَنَّةٍ إِلَّا الْحِمَا) بكسر الحاء ؛ أي : الموت .

تنبيه :

في حديث « الصحيحين » : أَنَّ هَذِهِ الْقَصَّةَ كَانَتْ أَيْضًا يَوْمًا أَحَدًا ، لَكِنْ لَمْ يَسْمَّ فِيهَا عَمِيرًا وَلَا غَيْرَهُ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ ، كَذَا فِي « الرَّوْضَ » لِلْسَّهِيْلِيِّ ، قَالَ فِي « الْفَتْحَ » : (الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُمَا قَصْتَانٌ وَقَعْتَانٌ لِرَجُلَيْنِ) وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

تكميلة :

علم ممّا تقدم : أَنَّ عَدْدَ الشَّهِيدَاءِ الْبَدْرِيِّينَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ ، وَاقْتَصَرَ النَّاظِمُ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَسْمَاءَ مَنْ حَضَرَ بَدْرًا ، غَيْرَ مَنْ اسْتَشَهَدَ فِيهَا ، وَقَدْ اسْتَوْفَى ذَلِكَ كُلَّهُ الْيَعْمَرِيِّ فِي « الْعَيْوَنَ » وَمِنْ قَبْلِهِ أَبْنَ إِسْحَاقَ ، وَسَرَدَ أَسْمَاءَ مَنْ شَهَدَهَا مِنَ الْمَهَاجِرِينَ ، ثُمَّ مِنَ الْأَنْصَارِ ثُمَّ قَالَ : فَجَمِيعُ مَنْ شَهَدَ بَدْرًا مِنَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ شَهَدَهَا ، وَمِنْ ضَرَبَ لَهُ بِسْمِهِ وَأَجْرَهُ ثَلَاثَ مِائَةَ رَجُلٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، مِنَ الْمَهَاجِرِينَ ثَلَاثَةَ وَشَمَانَوْنَ ، وَمِنَ الْأَوْسَ أَحَدَ وَسَتُونَ ، وَمِنَ الْخَزْرَجِ مِائَةَ وَسَبْعَوْنَ رَجُلًا ، وَقَدْ سَرَدَهُمُ الْحَافِظُ أَبْنُ كَثِيرٍ فِي « الْبَدَايَةِ » مُبْتَدِأً بِسَيِّدِهِمْ وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْتَبًا عَلَى حِرَفِ الْمَعْجَمِ فَانْظُرْهُ .

التبشير بنصر الله للمؤمنين وهزيمة المشركين :

ولما فرغ المسلمون من بدر.. قدم زيد بن حارثة ،
وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهمَا إلى المدينة مبشرين بسلامة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونصره ، وهزيمة
المشركين ، فتلقى الناس بالروحاء^(١) رسول الله صلى الله عليه
وسلم مهئّين له بالفتح والنصر ، فدخلها منصوراً ، مؤيّداً ،
مظفراً ، أعلى الله كلامه ، ومكن له ، وذلك من ثنيّة الوداع يوم
الأربعاء ، الثّاني والعشرين من رمضان ، وتلقاه الولائـ
بالدفوف ينشدـن :

دخول النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة
متصرّاً مظفراً

طلع الـبـدر عـلـيـنـا
من ثـنـيـات الـودـاع
وـجـبـ الشـكـر عـلـيـنـا
ـمـا دـعـا الله دـاعـ

وتهيئاً لـسـيـدـنـا عـمـيرـ بـنـ عـدـيـ الـأـنـصـارـيـ الـخـطـمـيـ أـنـ يـفـيـ
بنـذـرـهـ فـقـدـ ذـكـرـ المـقـرـيـزـيـ فـيـ «ـ إـمـتـاعـ الـأـسـمـاعـ »ـ :ـ (ـ إـنـ عـصـماءـ
بـنـتـ مـرـوـانـ كـانـتـ تـؤـذـيـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ،ـ
وـتـحـرـضـ عـلـىـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ،ـ فـنـدـرـ عـمـيرـ بـنـ
عـدـيـ :ـ لـئـنـ رـدـ اللهـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـ بـدـرـ إـلـىـ
الـمـدـيـنـةـ ..ـ لـيـقـتـلـنـهـاـ ،ـ فـلـمـاـ رـجـعـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ

وفـاءـ عـمـيرـ بـنـ عـدـيـ
الـأـنـصـارـيـ بـنـذـرـهـ فـيـ قـتـلـ
عـصـماءـ بـنـتـ مـرـوـانـ

(١) الروحاء : هي المعروفة اليوم ببئر الراحة .

من بدر إلى المدينة جاءها عمير ليلاً حتى دخل عليها بيتها ، وحولها نفر من ولدها نيا م منهم من ترضعه في صدرها ، فجسّها بيده ، وكان ضرير البصر ، ونحّي الصبي عنها ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ، وأتى وصلي الصبح مع النبي صلي الله عليه وسلم ، فلما انصرف .. نظر إليه وقال : « أقتلت ابنة مروان ؟ » قال : نعم يا رسول الله ، قال : « نصرت الله ورسوله يا عمير » فقال : هل علي شيء من شأنها يا رسول الله ؟ فقال : « لا يتتطح فيها عزان ^(١) » فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وقال لأصحابه : « إذا أحببتم أن تنتظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب .. فانتظروا إلى عمير بن عدي » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انظروا إلى هذا الأعمى الذي تشرئ ^(٢) في طاعة الله تعالى ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « لا تقل الأعمى ، ولكنه البصير » فلما رجع عمير .. وجد بنيها في جماعة يدفونها ، فقالوا : يا عمير ؟ أنت قتلتها ؟ قال : نعم ، فكيدوني جميماً ثم لا تنتظرون ، فوالذي نفسي بيده ؛ لو قلتم بأجمعكم ما قالت .. لضربكم بسيفي هذا حتى الموت أو أقتل لكم ، فيومئذ ظهر الإسلام فيبني خطمة) .

* * *

(١) أي : لا يعارض فيها معارض .

(٢) أي : باع نفسه في طاعة الله تعالى .

(٦) غزوة بنى سليم

(ف) بعد أن انتهى صلى الله عليه وسلم والصحاب الكرام

تاريختها

من بدر بسبع ليال ، كما جزم به ابن إسحاق .. خرج (لسليم)

بضم المهملة ، وفتح اللام ، في مئتي رجل ، لما بلغه صلى الله

عليه وسلم : أنَّ جمِعًا من بنى سليم وغَطَّافَانَ ، بما يقال له :

(الكُدر) بضم الكاف وسكون المهملة ، فاقام عليه - عليه

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ثلاثًا ، فلم يلْقَ كيدًا ، وكانت غيته صلى الله

عليه وسلم خمسَ عشرةَ ليلة ، واستخلف على المدينة سِبَاعَ بن

عدد المسلمين

عُرْفَةَ ، وحمل اللَّوَاءَ على بن أبي طالب .

تنبيه :

حامل اللواء

جعل الناظم غزوة بنى سليم غير غزوة قَرْفَةَ الْكُدر ؛ لما

سيأتي فهما غزوتان ، تبعاً لأصله « العيون » وجعلهما صاحب

« المواهب » غزوة واحدة ، وتبعه تلميذه الشامي .



(٧) غزوة بنى قينقاع

(ف) بعدها خرج صلى الله عليه وسلم يوم السبت في

نصف شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة (لـ) لقتال بنى

(قَيْنَاعَ) بفتح القافين وسكون التحتية وتثليث النون ، والضم

أشهر : بطن من يهود المدينة ، وهم رهط سيدنا عبد الله بن

تاريختها

سلام رضي الله عنه ، قال السمهودي في « الوفاء » : (منازلهم عند جسر بطحان مما يلي العالية ، ولهم شجاعة) ولذا وصفهم بقوله : (المتصدّين) أي : المتعرضين (إلى القراء) بكسر القاف ؛ أي : المقارعة والمضاربة .

قال في « القاموس » : (قرع رأسه بالعصا : ضربه) .

سبب هذه الغزوة :

وسبب ذلك : نقضهم العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى ابن هشام : (أنَّ امرأة من العرب قدمت بجَلْب لها من إبل ، وغنم ، وغيرهما فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ يهودي بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبَت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها ، فعَقَدَه إلى ظهرها ، فلَمَّا قامَت .. انكشف سُوءُهَا ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، فشدَّت اليهود على المسلم فقتلواه ، فاستصرخ أهل المسلم على اليهود ، فغضِّبَ المسلمون ، فوقع الشُّرُّ بينهم وبين بني قينقاع) .

وهذا هو مراد الناظم بقوله : (هم) أي : يهود بني قينقاع (كشفوا إزارها) أي : المسلمة ، فالضمير يعود على المجرور في قوله : (عن) امرأة (مسلمة) المتعلق مع جاره بقوله : (كشفوا) .

(فهاج حربٌ بينهم) أي : اليهود (و) بين (المسلم)
أي : المسلمين ، وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم « ما على
هذا أقرناهم » .

براءة عبادة بن الصامت من حلفهم :

وتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم ، وكان أحد
بني عمرو بن عوف لهم من حلفه ، مثل الذي لهم من
عبد الله بن أبي ، فخلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال : يا رسول الله ؛ أتَوْلَى الله ورسوله ، وأبرا من حلف
هؤلاء الكفار ، وتشيّب به عبد الله بن أبي ابن سلول ، وقام
دونهم ، وفيه نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَشَدُّدُوا إِلَيْهِوْدَ وَالْمُصَدِّرَيْ
أَفْلَيْهِ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَهُ بَعْضٌ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
أَفَلَمْ يَرَوْا فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَرِّعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ تَخَشَّى أَن
تُصِيبَنَا دَارِيَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عَنْدِهِ فَيُصِيبُونَ عَلَى مَا أَسْرَوْا
فِي أَنفُسِهِمْ تَدْمِيْنٌ إِلَيْهِمْ حِرْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغَنِّمُونَ ﴾ .

فجمعهم صلى الله عليه وسلم ، وقال لهم : « يا معاشر
يهود ؛ احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النعمة - أي :
بدر - وأسلموا ؛ فإنكم قد عرفتم أيّ نبيٍّ مرسل ، تجدون
ذلك في كتابكم ، وعهد الله تعالى إليكم » قالوا : يا محمد ؛
إِنَّكَ ترِي أَنَا مثْلَ قومك ، وَلَا يُغْرِيْنَكَ أَنَّكَ لقيتَ قوماً لَا عِلْمَ
لَهُمْ بِالْحَرْبِ ، فَأَصْبَتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً ، إِنَّا وَاللَّهِ لَوْ حَارَبَنَا
لَتَعْلَمَنَّ أَنَا نَحْنُ النَّاسُ .

تحذير النبي صلى الله
عليه وسلم اليهود من
نعمة الله عز وجل

حامِل اللِّوَاء
والمُسْتَخْلِفُ عَلَى
الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

فَتَحْصَنُوا فِي حُصُونِهِمْ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِوَاءِهِ بِيَدِ عَمِّهِ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا لُبَابَةَ ، وَحَاصِرَهُمْ خَمْسَ عَشَرَةَ لَيْلَةً أَشَدَّ الْحِصَارِ ، وَكَانُوا أَرْبَعَ مِائَةَ حَاسِرٍ ، وَثَلَاثَ مِائَةَ دَارِعٍ^(١) ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : (فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بْنَ سَلْوَلَ حِينَ أَمْكَنَ اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدَ ؎ أَحْسَنْ فِي مَوَالِيٍّ - وَكَانُوا حَلْفَاءَ الْخَزْرَاجَ - فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدَ ؎ أَحْسَنْ فِي مَوَالِيٍّ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرْسِلْنِي » وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى رَأَوْا لَوْجَهَهُ ظِلَالًا^(٢) ، قَالَ : « وَيَحْكَ ! أَرْسِلْنِي » قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أُرْسِلُكَ حَتَّى تُحْسِنَ فِي مَوَالِيٍّ أَرْبَعَ مِائَةَ حَاسِرٍ وَثَلَاثَ مِائَةَ دَارِعٍ قَدْ مَنَعْنَتِي مِنْ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ ، تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَةٍ وَاحِدَةٍ ، إِنِّي وَاللَّهِ أَمْرُؤُ أَخْشَى الدَّوَائِرِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هُمْ لَكَ » .

(١) الْحَاسِرُ : الَّذِي لَا دَرَعَ لَهُ ، وَالْدَّارِعُ : الَّذِي لَهُ دَرَعٌ .

(٢) هَكُذا فِي نسخةِ الشَّيْخِ مَصْحَحًا عَلَيْهِ ، وَفِي غَيْرِهَا : ظِلَالًا جَمْعُ ظَلَةٍ ، وَقَدْ تَجَمَّعَ فَعْلَةٌ عَلَى فَعَالٍ ، كَبْرَةٌ وَبِرَامٌ ، فَمَعْنَى الرَّوَايَتَيْنِ وَاحِدٌ ، وَالظَّلَةُ : مَا حَجَبَ عَنْكَ ضَوْءُ الشَّمْسِ وَصَحْوُ السَّمَاءِ ، وَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَشْرَقًا بِسَاماً ، فَإِذَا غَضِبَ .. تَلَوَنَ الْأَوَانَآ ، فَكَانَتْ حَائِلَةً دُونَ الْإِشْرَاقِ وَالضَّيَاءِ الْمُنْتَشِرِ عِنْدِ تَبَسَّمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . اهـ قَالَ السَّهِيْلِي فِي « الرُّوْضَ الْأَنْفَ »

إصرار اليهود على الكفر ، وعداؤه المسلمين :

(لو آمنت) برسول الله ، وبما جاء به من عند الله (من اليهود كُلَّهَا) بالمدينة (زُهَاء) بضم الزاي ؛ أي : قدر (عَشْرَة) بسكون الشين للوزن ؛ أي : من رؤسائهم ، أو من أحبارهم ، كما قاله الإمام النووي في « شرحه صحيح مسلم » ، وإنما آمن من اليهود أكثر من هذا العدد على عهده عليه الصلاة والسلام (أهْتَدَوْا) أي : اهتدى كل اليهود إلى الدخول في دين الله (لِأَجْلِهَا) أي : العَشَرة المذكورين .

يشير الناظم بهذا إلى ما رواه الشيخان - واللفظ للبخاري -

عن أبي هريرة مرفوعاً : « لو آمنَ بي عَشَرةَ مِنَ الْيَهُودِ .. لَآمَنَ بِي الْيَهُودِ » .

بيان المقصود من الحديث الشريف « لو آمن بي عشرة من اليهود... »

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » نقاً عما أخرجه ابن سعد في « شَرْفُ الْمُصْطَفَى » : (قال كعب : هم الذين سَمَّا هم الله في سورة المائدة ، فعلى هذا فالمراد عشرة مختصة ، وإنما آمن به أكثر من عشرة ، ثم قال : والذي يظهر أنَّهم الذين كانوا حينئذ رؤساء في اليهود ، ومن عدتهم كان تبعاً لهم ، فلم يسلم منهم إلَّا القليل ، كعبد الله بن سَلَام رضي الله عنه .

وكان من المشهورين بالرياسة في اليهود عند قدوم النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة من بنى النضير : أبو ياسر بن أخطب ، وأخوه حُبَيْبَةُ بْنُ أَخْطَبٍ ، وَكَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ ، وَرَافِعَ بْنَ أَبِي الْحُقَّاقِ .

المشهورون بالرياسة
من اليهود في عهد النبي
صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ومن بنى قيُّقَاع : عبد الله بن حنيف ، وفِحَاص ،
ورفاعة بن زيد .

ومن بنى قُرَيْظَة : الزُّبَيرُ بْنُ بَاتَا ، وَكَعْبُ بْنُ أَسْد ،
وَشَمُوْلَى بْنُ زَيْد ، فَهُؤُلَاءِ لَمْ يَثْبِتْ إِسْلَامُ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ، وَكَانَ كُلُّ
وَاحِدٍ مِّنْهُمْ رَئِيْسًا فِي الْيَهُود ، وَلَوْ أَسْلَمَ .. لَأَتَّبَعَهُ جَمَاعَة
مِنْهُمْ ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُوا الْمَرَادَ .

وقد رَوَى أَبُو نَعِيمَ فِي « الدَّلَائِلُ » مِنْ وَجْهِ آخِرِ الْحَدِيثِ
بِلِفْظِهِ : « لَوْ آمَنَ بِي الزُّبَيرُ بْنُ بَاتَا ، وَذُووْهُ مِنْ رُؤْسَاءِ يَهُودِ ..
لَأَسْلَمُوا كُلَّهُمْ » اهـ مِنْهُ

ثُمَّ قَالَ : وَأَخْرَجَ يَحْيَى بْنُ سَلَامَ فِي « تَفْسِيرِهِ » مِنْ وَجْهِ
آخِرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ هَذَا الْحَدِيثُ فَقَالَ :
(قَالَ كَعْبٌ : إِنَّمَا الْحَدِيثُ اثْنَا عَشَرَ ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :
﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ أَثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا ﴾) ، فَسَكَتَ أَبُو هَرِيرَةَ ، قَالَ
ابْنُ سِيرِينَ : أَبُو هَرِيرَةَ عِنْدَنَا أَوْلَى مِنْ كَعْبٍ ، قَالَ يَحْيَى بْنُ
سَلَامَ : وَكَعْبٌ أَيْضًا صَدُوقٌ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى عَشَرَةَ بَعْدَ الْاثْنَيْنِ ،
وَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامَ ، وَمُخْرِيقَ كَذَا قَالَهُ) اهـ

فَسَادَ طَبِيعَةِ الْيَهُود ، وَإِفْسَادُهُمْ ، وَوَعِيدُ اللَّهِ لَهُمْ :
وَالْحَاصلُ :

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَفَادَنَا بِذَلِكِ الْيَأسِ مِنْ
إِيمَانِ الْيَهُودِ كُلَّهُمْ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَلْغِ مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ ؛ أَيْ : مِنْ
الْيَأسِ مِنْ إِيمَانِ الْيَهُودِ وَبِيَانِ خَصَائِصِهِمْ
الْدِينِيَّةِ

عَادُوا لِلْفَسَادِ فَعَادَ اللَّهُ وَقَيْنَقَاعُ الْعُمَّةُ الْعَزَّاءُ

رؤسائهم مبلغ العشرة ، وقد عُرف من عادة اليهود في معاملتهم المكر ، ونقض العهد ، والإصرار على العناد والباطل ، وتحريف ما أنزل الله على أنبيائهم ورسلهم ، ونكذب الأنبياء صلى الله عليهم وسلم ، وقتلهم بغير حق ، والإفساد في الأرض ، كما قال الناظم :

(عادوا للافساد) بمقتضى اتصافهم بهذه الصفات الذميمة فأصرّوا على الكفر ، وإظهار آثاره ؛ فلذلك : عاملهم الله تعالى بالمثل ، بمقتضى العدل ، كما قال الناظم :

(فعاد الله) مسيراً إلى قوله تعالى في (سورة الإسراء) : « وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِتَقْسِيدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنَ وَلَعَلَّنَ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدَ أُولَئِمَّا بَعْثَنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَئِنَّ بِأَيْسَ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خَلَلَ الْدِيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَقْعُولاً ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَكُم بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنَّ أَحَسَنَتُمْ أَحَسَنَتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدَ الْآخِرَةِ لِيَسْتَعُوا وُجُوهَكُمْ وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةً وَلَيُسْتَرِّوْا مَا عُلُوًّا تَنْتَسِيرًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَفَرِينَ حَصِيرًا » .

قال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير في تفسير هذه الآيات : (يخبر تعالى : أنَّه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب ؛ أي : تقدم إليهم ، وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم ، أنَّهم سيفسدون في الأرض مرتين ، ويعلُّون عُلوًّا

الآيات من سورة الإسراء تتحدث عن اليهود

تفسير ابن كثير للآيات في سورة الإسراء عن بنى إسرائيل من اليهود

كبيراً ؛ أي : يَتَجَبَّرُونَ وَيَطْعَمُونَ وَيَفْجُرُونَ عَلَى النَّاسِ .

وقوله : **﴿فَإِذَا جَاءَهُ وَعْدُ أُولَئِكُمْ﴾** أي : أولى الإفسادتين **﴿بَعْثَاتَنِي كُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾** أي : سلطاناً عليكم جُنداً من خلقنا أولى بأس شديد ؛ أي : قوّةً وعُدّةً ، وسلطة شديدة ، **﴿فَجَاسُوا خَلَنَ الْدَّيَارِ﴾** أي : تملّكوا بلادكم ، وسلكوا خلال بيوتكم ؛ أي : بينها ووسطها ، وانصرفوا ذاهبين وجائين ، لا يخافون أحداً ، وكان وعداً مفعولاً .

واختلفوا في هؤلاء المسلمين عليهم : فقيل : جالوت وجندوه ، سلط عليهم أولاً ، ثم أديلوه عليه بعد ذلك ، وقتل داود جالوت ؛ ولهذا قال : **﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾** وقيل : سُنْحَارِيب وجندوه ، وقيل : بختنصر ملك بابل ، ثم قال : **﴿إِنْ أَحَسَنْتُمْ أَحَسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾** أي : فعليهما ، كما قال تعالى : **﴿مَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَأَ فَلَعَلَّهَا﴾** وقوله : **﴿فَإِذَا جَاءَهُ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾** أي : الكرّة الآخرة ؛ أي : إذا أفسدتم الكرّة الثانية ، وجاء أعداؤكم **﴿لِيُسْتُقْوِيُّونَ كُمْ﴾** أي يُهينوكم ، ويقهرونكم ، **﴿وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾** أي : بيت المقدس **﴿كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةً﴾** أي : في التي جاسوا فيها خلال الديار **﴿وَلِسْتَرِوا﴾** أي : يُدمرُوا ويُخربُوا **﴿مَا عَلَوْا﴾** أي ما ظهروا عليه **﴿تَنَبَّرُوا﴾** * عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْجِمَكُمْ فيصرفهم عنكم **﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدُّنَا﴾** أي : متى عدتم إلى الإفساد عدنا إلى الإدلة عليكم في الدنيا ، مع ما نذخره لكم في الآخرة

أَوْلُ مَنْ غَدَرَ مِنْ يَهُودًا وَأَبْنُ أَبَيٍّ سَأَلَ الْقُرُودًا

من العذاب والنkal ؛ ولهذا قال : « وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكُفَّارِينَ حَصِيرًا » أي : مستقراً ، محصراً ، وسجناً لا محيد لهم عنه .

قال قتادة : قد عاد بنو إسرائيل ، فسلط الله عليهم هذا الحي ، محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، يأخذون منهم الجزية عن يدِ وهم صاغرون) اهـ

بنو قينقاع أول من غدر من اليهود :

(وَقَيْنَقَاعُ) من يهود المدينة (العُمَّةُ) بضم العين وتشديد الميم المفتوحة ، جمع عَمَّهُ : بكسر الميم المخففة وعامة ، وهو المتَحِيرُ في أودية الضلال ، لا يعرف له جهة (العِزَّاهُ) جمع عِزَّه بالكسر وككتف : اللئيم ، صفة ثانية لقينقاع الواقع مبتدأ ، وخبره قوله : (أَوْلُ مَنْ غَدَرَ مِنْ يَهُودًا) وذلك بعد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه بينه وبينهم ، يؤمن بهم فيه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، وقوله عليه الصلاة والسلام لهم وهم مجتمعون بسوق بني قينقاع كما تقدم : « يا معاشر يهود ؛ احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النَّقْمة ، وأسلموا ، فإنَّكُم قد عرفتم أنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم » وإجابتَهم بما تقدم ذكره عنهم قبَّحَهم الله .

قال الحافظ اليعمري في « عيون الأثر » عن ابن إسحاق : (فَحَدَّثَنِي مولى لَآل زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جُبَير ، أو عن عِكْرَمَة ، عن ابن عباس قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلَّا فيهم :

نَبَيَّنَا وَهُمْ أَسَارَى سَطْوَتَهُ فَأَطْلَقُوا وَطُرِدُوا مِنْ طَيْبَتَهُ

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتَغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَإِنَّ
الْمُهَاجِدَ قَدْ كَانَ لِكُمْ أَيَّهُ فِي فَتَيَّنَ النَّقَّةَ ﴾ أي : أصحاب بدر
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش ﴿ فَعَنْهُ تُقْتَلُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٍ يَرَوْنَهُمْ مُشَيَّهِمْ رَأَى الْعَيْنَ وَاللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْنَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَرِ ﴾ .

قال : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة : أنّهم كانوا أولَ
يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وحاربوا فيما بين بدرٍ وأحدٍ ، فحاصرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتّى نزلوا على حكمه) اهـ

إلحاد رئيس المنافقين في إطلاقبني قينقاع :

(و) عبد الله (ابن أبي) ابن سلول - هذه أمه ، وأبواه
أبي ، ولذلك يكتب (ابن سلول) بالألف وإن كان بين
علمين ؛ لأنّ سلول لم يكن أبوه لأبي ، كما قرر ذلك في محله -
(سأل القرود) أي : سأّل عبد الله المذكور لأجل القرود
إخوانهبني قينقاع ، سماهم القروداً جمع قرد ؛ لأنّه أحسن
الحيوانات وأقبحها ؛ أو لأنّ طائفة منبني إسرائيل إخوانهم
مسخوا قردة ، قال تعالى : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُنُوا قِرَدَةً خَسِيْنَ ﴾ ،
﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمْ أَقْرَدَةً وَالْخَنَازِيرَ ﴾ .

(نبّيّنا) صلى الله عليه وسلم مفعول سأّل (وهم) أي :
والحال أنّ أولئك اليهود (أسرى) بضم الهمزة ، جمع أسير
(سطوه) وقهّره ؛ أي : سأّله أن يطلقهم له من الأسر ، وكان

عرف من عاداته صلى الله عليه وسلم : أنه لا يسأل شيئاً إلا
أعطاه (فأطْلِقُوكُوا وَطُرُدُوكُوا مِنْ طَيْبِتِهِ) إلى أذْرِعَاتِهِ ، وقال عليه
الصلوة والسلام : « خَلُوْهُمْ لَهُ ، لَعْنُهُمُ اللَّهُ وَلَعْنُهُمْ مَعْهُمْ »
وترکهم من القتل ، وأمر أن يُجلوا من المدينة ، وتولى ذلك
عبدة بن الصامت ، فلحقوا بأذْرِعَاتِهِ ، فما كان أقل بقاء لهم
بها .

فائدة :

طيبة : اسم من أسماء المدينة المنورة ، سميت بذلك سبب تسمية المدينة
لكمال المناسبة بين الاسم والمعنى ، وقد أخبر عليه الصلاة
والسلام بأنَّه ينَصُّ طيبها وتنفي الخبث كما ينفي الكِير خبث
الحديد ، والمشاهدة لمن نور الله بصيرته أكبر شاهد على
ذلك ، ولقد صدق والله القائلُ حيث يقول :

بَطِيْبَةَ عَرَّجَ إِنَّ بَيْنَ قِبَابِهَا

بَحِيَّاً لِأَدْوَاءِ الْقُلُوبِ طَيِّبُ
إِذَا لَمْ تَطْبِ فِي طَيِّبَةِ عَنْدَ طَيِّبٍ
بِهِ طَيِّبَةَ طَابَتْ فَأَيْنَ تَطْبِيْبُ ؟

عزاه أبو سالم العياشي في « رحلته » إلى الشيخ إبراهيم بن
الشيخ خير الدين ، من علماء المدينة المنورة الذين أخذ
عنهم ، قال العياشي : وقد تطفلت عليه في ذلك فقلت :

بَطِيْبَةَ طَابَ الطَّيِّبُونَ لِطَيِّبِهَا

بِأَطَيْبِ طَيِّبٍ طَيِّبٌ لِمَطَيِّبٍ

وفي بعض الأخبار عن كعب الأحبار قال : (إِنَّ نَجْدَ فِي التُّورَاةِ ذَكْرٌ طَيْبَةٌ فِي التُّورَاةِ) . يقول الله للمدينة : « يا طيبة ، يا طابة ، يا مسكينة ؛ لا تقبلني الكنوز ، ارفعي أجاجيرك على أجاجير القرى » (١) .

وكانت تسمى قبل ذلك بيشرب ، اسم رجل من العمالق أول ما نزلها ؛ ولما في هذا الاسم من التشريب نهى الشارع عن هذه التسمية ؛ إذ لا يليق بها ذلك .

وأما قوله تعالى في (سورة الأحزاب) : « وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأَهَّلُ يَثْرِبُ لَا مُقَامَ لَكُمْ » .. فذلك حكاية عن طائفة من المنافقين قالت : يا أهل يثرب ؟ لا مُقام لكم ، فنبه بما حكى عنهم ، أئّهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به ، وأئّوا إلّا ما كانوا عليه في جاھلیتھم ، والله تعالى سماها المدينة ، فقال غير حاك عن أحد : « مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْكَمْ مِنَ الْأَغْرَابِ » الآية .

وقد ذكر العلامة البركة العارف بالله عزّ وجلّ ، الشيخ محمد بن عبد رب النبي الأنباري القشاشي كثيراً من أسماء المدينة ، في مؤلفه المسمى « الدرة الثمينة فيما لزائر المدينة » فانظره .

(١) جمع إجار ، بكسر الهمزة فتشديد الجيم بلغة أهل الشام والججاز : هو سطح ليس حواله ما يرد الساقط عنه ، وفي الحديث : « من بات على إجار .. فقد برئت منه الذمة » وفي حديث محمد بن مسلمة : (فإذا جارية من الأنصار على إجار لهم) اهـ « نهاية »

إسلام عبد الله بن سلام :

(ومنهم) من يهودبني قينقاع (الشاهد) المعنى في الآية الآتية (عبد الله نجل) أي : (سلام) بتخفيف اللام ، ابن الحارث الإسرائيلي ، ثمَّ الأنصاريُّ الخزرجيُّ (العظيم الجاه) والقدر .

قال الإمام النووي في « التهذيب » : (وهو من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ، وكان اسمه في الجاهلية حُصَيْنًا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله ، أسلم أول قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك : أَنَّه لَمَّا بَلَغَه مَقْدَمُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم المدينة . . أتاه يسأله عن أشياء ، فقال : إِنِّي سائلك عن ثلات لا يعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه ، أو إلى أُمِّه ؟ قال : « أَخْبَرْنِي بِهَا جَبَرِيلُ آنفًا » قال ابن سلام : ذلك عدو اليهود من الملائكة ، قال : « أَمَّا أول أشراط الساعة : فنار تحشرُهُم من المشرق إلى المغرب ، وأمَّا أول طعام يأكله أهل الجنة : فزائد كبد الحوت ، وأمَّا الولد : فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة . . نزعَ الولد^(١) ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل . . نزعَت الولد » قال : أشهد أن لا إله إِلَّا الله ، وأنَّك رسول الله ، قال : يا رسول الله ؛ إنَّ اليهود قوم

المسائل الثلاث التي
دللت عبد الله بن سلام
على صدق النبي صلى
الله عليه وسلم

(١) بالنصب على المفعولية ؛ أي : جذبه إليه .

إعلان عبد الله بن سلام
إسلامه في مواجهة
اليهود

بُهُت^(١) ، فسألهم عنى قبل أن يعلموا بإسلامي ، فجاءت اليهود ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَيُّ رجل عبد الله بن سَلَامَ فِيهِمْ ؟ » قالوا : خيرُنا ، وابن خيرِنا ، وأفضلُنا وابن أفضلنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمْتُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامَ ؟ » قالوا : أَعْذَّهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَعْدَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : مِثْلُ ذَلِكَ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ . قالوا : شُرُّنَا وَابْنُ شُرُّنَا ، وَتَنَقَّصُوهُ ، قَالَ : هَذَا مَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ) هَكُذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبَخَارِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » فِي (بَابِ هَجْرَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ) .

ووصفه الناظم بعظم الجاه والمنزلة ؛ لأنَّه كان كذلك في قومه ، وبعد إسلامه عند المسلمين أيضاً ، ونزل في فضله قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مُتَّلِئٍ فَعَمَّا نَوْكَبْرُتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ كَفَنِي بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدُهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ .

قال في « التهذيب » : (رُوِيَ لِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَةً وَعَشْرَوْنَ حَدِيثًا ، اتَّفَقَا عَلَىٰ حَدِيثٍ ، وَانْفَرَدَ الْبَخَارِيُّ بَعْدَهُ ، رُوِيَ عَنْهُ أَبْنَاهُ مُحَمَّدٌ ، وَيُوسُفٌ ، وَرُوِيَ عَنْهُ

(١) بضم الباء الموحدة والهاء ، ويجوز إسكانها على القاعدة المعروفة ، جمع : بهيت ، كقليل وقلب ، وقضيب وقضب : وهو الذي يبهت السامع بما يفتري عليه من الكذب .

أيضاً أبو هريرة ، وأنس ، وعبد الله بن مُغفل المزني ، وكذا جماعات من التابعين ، وشهد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح بيت المقدس والجابية .

مرويات عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

روينا في صحيحي «البخاري» و«مسلم» عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحبي يمشي على الأرض : «إِنَّمَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لَعْبَدُ اللَّهِ بْنَ سَلَامَ ، قَالَ : وَفِيهِ نَزْلَتْ 《وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ》 الْآيَةُ .

شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن سلام بالجنة

وتوفي سنة (٤٣) بالمدينة المنورة ، ومناقبه كثيرة مشهورة) .

وفاته رضي الله عنه

٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦

(٨) غزوة السويف

السويف : هو قمح أو شعير يُقلن ، ثم يطحن ، فيزيد به ملتوتاً بماء أو سمن أو عسل ، سميت الغزوة بذلك لما سيأتي ، وكانت في ذي الحجة ، يوم الأحد لخمس خلون منها ، على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة ، فهي بعد غزوة بني قينقاع ؛ فلذلك قال : (غزوة السويف) .

تاريخها

خرج صلى الله عليه وسلم في مئتين من المهاجرين والأنصار (في إثر) بكسر الهمزة (أبي سفيان) ومعه مئتان من قريش ، واستخلف على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر

عدد المسلمين

خليفة النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة

(أَنْ) بفتح الهمزة ؛ أي : لأجل أنه (حرق) بالتخفيض سبها للراء ، وبالتشديد مبالغة ، وضميره يعود على أبي سفيان (نخل يثرب ، وغال) أي : قتل (نفسين) على حين غفلة ، أحدهما : معبد بن عمرو من الأنصار ، كما حكاه الشامي عن « الإِمْتَاع » ، ولما فعل ذلك أبو سفيان .. رأى أنْ قد انحلت يمينه (وكان آلى) من الإِيَلَاء ؛ أي : حلف أنه (لا يقرب النساء) كنایة عن عدم وطنهنَّ (أو) أي : حتى (ينالا) غرضه من الأخذ بثأر المشركين الذين قتلوا بدر ، والألف للإطلاق .

نذر أبي سفيان أن يغزو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا الذي في النظم لازم قول أبي سفيان ، كما في « ابن إسحاق » قال : (لما رجع أبو سفيان إلى مكة ، ورجع فل^(١) قريش من بدر .. نَذَرَ أَلَا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فخرج في مئي راكب من قريش ، ليَبَرِّ يمينه ، فسلك التجديف حتى نزل بصدر قناة^(٢) ، إلى جبل يقال له : نَبَّ^(٣) من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم

(١) بفاء مفتوحة ، فلام مشددة : القوم المنهزمون .

(٢) بفتح القاف وختمة التون : واد بالمدينة .

(٣) قال الزرقاني : (بنون فتحية موحدة ، قال البرهان : كذا في نسخة - أي : من « العيون » وأصولها - ولم أره ، فلعله تصحيف ينبع بفتح التحتية ، بوزن يغيب : جبل بالمدينة ، ذكره في « القاموس » أُوتيت بفوقيتين أولاهما مفتوحة بينهما تحية ساكنة أو مشددة ، كimit وميت : جبل قرب المدينة ، ذكره في « الذيل » و« القاموس ») اهـ ملخصاً والذي يظهر : أنَّ ذا الأخير هو المراد بقوله : (على بريد ونحوه من المدينة) لأنَّ الرسم لا يخالفه ، ينبع الذي بزنة يغيب . اهـ

خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حُبَيْيَ بن أخطب ، فضرب عليه بابه فخافه ، ولم يفتح له الباب ، فانصرف عنه إلى سَلَامَ بن مِشْكَمْ ، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك ، وصاحب كُنْزِهِمْ ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، فقرأه وسَقَاه ، وبَطَّنَ له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قُريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منهم يقال لها : العَرَيْضُ^(١) ، فحرقوا في أصوار^(٢) من نخل بها ووجدوا بها رجلاً من الأنصار ، وحليفاً له في حرث لهما ، فقتلواهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونذر^(٣) بهم الناس ؛ أي : علموا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم .

(وكان) أبو سفيان حين انصرف راجعاً لمَكَّةَ (يُلْقِي) أي : يطرح بالأرض (جُرْبَ السَّوِيقَ) بضمَّتين : جمع جراب ككتاب وكتب : الوعاء ، وكان ذلك عامَةً أزوادهم ؛ وإنَّما فعل ذلك (مخافة) أي : لأجل خوف (اللَّحْوِقَ) أي : أن يلحقه (في الطريق) من نُصْرٍ بالرُّعبِ صلى الله عليه وسلم ، فأخذها المسلمون .

(١) بزنة حسين مصغراً : واد بالمدينة .

(٢) جمع صور : نخل مجتمع .

(٣) بفتح النون وكسر الذال المعجمة .

أول عيد ضحى فيه
النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(فَسُمِّيَتْ) الغزوة من أجل هذا (بذاك) أي : بغزوة السَّوَيْق ، فرجع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَصَلَّى صَلَةَ الْأَضْحَى بِالْمَصْلَى ، وَضَحَّى ، وَهُوَ أَوْلَى عِيدِ ضَحَّى فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ غَيْبَتِهِ خَمْسَةُ أَيَّامٍ ، وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ رَجَعُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ؟ أَتَطْمِعُ أَنْ تَكُونَ لَنَا غَزْوَةٌ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » .

٦٣٣

(٩) غزوة ذي قرقرة

بفتح القافين ، وَحُكِيَّ ضَمْهَا ، قَالَ الدَّمَبِرِيُّ ، كَمَا فِي « شَرْحِ الْمَوَاهِبِ » : وَالْمَعْرُوفُ فَتَحُّهُمَا ، قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : وَيَقَالُ : قَرَارَةُ الْكُدْرِ . وَفِي « الصَّحَاحِ » : قُرَاقِرٌ ، بِضمِّ الْقَافِ : اسْمَ مَاءٍ ، وَمِنْهُ : غَزَّةُ قُرَاقِرٍ ، فِيهَا ثَلَاثَةُ أُوْجَهٍ .

كانت في نصف المحرم ، على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من مهاجرة ، كما ذكره في « العيون » عن ابن سعد ؛ فهيء بعد غزوة السَّوَيْق ؛ فلذا قال النَّاظِمُ : (ثُمَّ بَعْدَهَا قَرْقَرَةُ الْكُدْرِ) وبهذا ترجمتها اليَعْمَرِيُّ في « العيون » والسهيلي .

وَالْقَرْقَرَةُ : أَرْضٌ مُلْسَأَ ، وَالْكُدْرُ : طَيْرٌ فِي الْوَانِهَا كُدْرَةٌ ، عُرِفَ بِهَا ذَلِكُ الْمَوْضِعُ الَّذِي هُوَ قَرْقَرَةٌ ؛ لَا سَقْرَارَ هَذِهِ الْطَّيَّوَرَ بِهِ ، وَيَقَالُ : قَرْقَرَةُ الْكُدْرِ : مَاءُ لَبَنِي سُلَيْمٍ ، وَغَطَّافَانَ ، وَهُمُ الْمَرَادُ بِالْقَوْمِ فِي قَوْلِهِ : (لِقَوْمٍ عِنْدَهَا) .

معنى (قرقرة الكدر)

قال في «العيون» : (ولماً بلغه صلى الله عليه وسلم أنَّ
بهذا الموضع جمِعاً من بني سُلَيْمَ ، وَغَطْفَانٍ .. استخلف على
المدينة سيدنا عبد الله بن أُمَّ مكتوم رضي الله عنه ، وسار
إليهم ، وحمل لواهه صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ،
فلم يجد في المحال^(١) أحداً ، وأرسل نفراً من أصحابه في
أعلى الوادي ، واستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بطن الوادي ، فوجد رِعَاء^(٢) ، منهم علام يقال له : يَسَار ،
فسألَه عن الناس فقال : لا علم لي بهم ، إنَّما أُورِدُ
الخِمْس^(٣) ، وهذا يوم رِبْعَيٍ ، والناس قد ارتفعوا في المياه ؛
ونحن عزاب في الغنم .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بالنَّعْمَ ،
فانحدر به إلى المدينة ، واقسموا غنائمهم بصرار^(٤) ، على
ثلاثة أميال من المدينة . وكانت النعم خمسةٌ بعير ، فأخرج
خُمسه ، وقسَّم أربعةَ خماسه على المسلمين ، فأصاب كلَّ
رجل منهم بعيران ، وكانوا مئتي رجل ، وصار يَسَار في سهم

ال الخليفة على المدينة

حامل اللواء

تبعد لأخبار العدو

الغنائم التي ظفر بها
المسلمون

(١) بفتح الميم وتشديد اللام جمع محلة : منزل القوم .

(٢) بالكسر : جمع راع .

(٣) بكسر المعجمة من إضماء الإبل ؛ أي : ترعى ثلاثة أيام ، وترد اليوم الرابع .

(٤) قال الزرقاني : (بكسر المهملة ، وراء مهملة مخففة ، فألف فراء ثانية ، كما قيده الدارقطني وغيره ، ووقع للحمودي والمستلمي : بضاد معجمة ، وهو وهم كما في «المطالع» : موضع قريب من المدينة ، وقيل : بئر قديمة ، على ثلاثة أميال منها ، من طريق العراق) اهـ

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَعْتَقَهُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ رَآهُ يَصْلِيُّ ،
وَغَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَ عَشَرَ لِيَلَةً) .

قال السُّهِيْلِيُّ : (وَقَدْ كَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
يَذْكُرُ مَسِيرَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ،
فَقَالَ لِعُمَرَ بْنَ سَوَادَةَ ، حِينَ قَالَ لَهُ : إِنَّ رَعِيْتِكَ تَشْكُو مِنْكَ
عُنْفَ السَّيَّاْقِ ، وَقَهْرَ الرَّعْيَةِ ، فَدَقَّنَ عَلَى الدَّرَّةِ^(١) وَجَعَلَ يَمْسَحُ
سُيُورَهَا ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ كُنْتُ زَمِيلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي قَرْفَرَةِ الْكُدْرِ ، فَكُنْتُ أَرْتَعِنُ فَأَشْبَعَ^(٢) ، وَأَسْقَيْ
فَأُرْوِيَ ، وَأَكْثَرَ النَّجَرَ^(٣) ، وَأَقْلَلَ الضرَبَ ، وَأَرْدَدَ الْعَنْوَدَ^(٤) ،
وَأَزْجَرَ الْعَرَوْضَ ، وَأَضْمَنَ الْلَّفَوْتَ^(٥) ، وَأَشْهَرَ بِالْعَصَاَ ،
وَأَضْرَبَ بِالْلِيَدِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ .. لَأَغْدَرْتُ فَتَرْكَتَ^(٦)) يَذْكُرُ
حَسْنَ سِيَاسَتِهِ فِيمَا وَلِيَ مِنْ ذَلِكَ .

.....

(١) ذَقْنُ بِالْقَافِ وَالْنُّونِ ، قَالَ فِي « شَرْحِ الْقَامُوسِ » : (ذَقْنُ عَلَى يَدِهِ أَوْ عَلَى عَصَاهُ : وَضْعُ ذَقْنِهِ
عَلَيْهَا وَاتَّكَأَ ، وَفِي حَدِيثٍ : فَوْضَعَ الدَّرَّةَ ، ثُمَّ ذَقْنَ عَلَيْهَا ، وَفِي رَوَايَةٍ : فَذَقْنَ بِسُوْطِهِ
يَسْتَمِعُ ، وَالدَّرَّةُ بِالْكَسْرِ : الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا ، عَرَبِيَّةً مَعْرُوفَةً ، وَالْجَمْعُ دَرَرٌ : نَقْوُلُ : حَرَمْتَنِي
دَرَكَ فَاحْمَنَنِي دَرَكَ) اهـ

(٢) أَتَرْكُ الْمَاشِيَّةَ تَرْعِيْ حَيْثُ شَاءَتْ .

(٣) هُوَ أَنْ تَضْمِنَ فِي كَفِكَ بِرْجَمَةَ الْإِصْبَعِ الْوَسْطَى ثُمَّ تَضْرِبُ بِهَا رَأْسَ أَحَدَ ، قَالَهُ فِي
« الْقَامُوسِ » اهـ

(٤) الْعَنْوَدُ : الْخَارِجُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْعَرَوْضُ : الْمُسْتَصْبَعُ مِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِ . اهـ « سَهِيْلِيُّ »

(٥) الْلَّفَوْتُ بِوزْنِ صَبُورٍ : الْعَسْرُ الْخَلْقُ ، كَمَا فِي « الْقَامُوسِ » .

(٦) لَأَغْدَرْتُ : لَضَيَعْتُ .

وَبَعْدَهَا ذُو أَمْرٍ وَغَطْفَانٌ
كِلَاهُمَا تُذْعَى بِهِ وَتُسْتَبَانْ
لِغَطْفَانَ وَجُمُوعِ ثَعْلَبَةٍ
جَمِيعَهَا دُعْثُورٌ صَاحِبُ الْظُّبَّةِ

(١٠) غزوة ذي أمر وغطfan

بفتح الهمزة والميم ، وشدّ الراء : موضع من ديار
غَطْفَانٌ ، قاله ابن الأثير ، وغَطْفَانٌ ، بفتح المعجمة ، والطاء
المهملة : قبيلة من مُضَرٍ ، قال الزُّرْقَانِي : (أُضيفت لها
الغزوة ؛ لأنَّ بني ثعلبة الذين قصدتهم من غطfan) .

قال في «المواهب» : (وسمَّاها الحاكم : غزوة أنمار ،
وهي بناحية نجد ، وكانت لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع
الْأَوَّل ، على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة) فهي بعد
غزوة قرقرة الكُدر .

موقعها
تاریخها

فلذا قال : (وبعدها ذو أمر) بتخفيف الراء للوزن
(وغطfan كلاهما) أي : الاسمين (تُذْعَى) بالبناء للمفعول ؛
أي : تسمى (به) هذه الغزوة (وَتُسْتَبَانْ) أي : تُعرف .

(لِغَطْفَانَ) يتعلق بقوله بعد : (جَمِيعَهَا) ، وقوله :
(وَجُمُوعِ ثَعْلَبَةٍ) بن سعد بن خصَّفة أخي غطfan بن سعد ،
مبتدأ خبره جملة : (جَمِيعَهَا دُعْثُورٌ) بضم الدال وسكون العين
المهملتين ، وهو ابن الحارث الغطفاني المحاري (صاحب
الْظُّبَّةِ) بوزن ثُبة : حَدَّ السِّيفِ ، ويشير بهذا إلى سببها .

سبب هذه الغزوة :

وهو : لأنَّ دعثوراً جمع الجموع من بني ثعلبة ، يريدون أن

يُصِيبُوا من أطراف بلاده صلٰى الله عليه وسلم ، فلما علم ذلك .. ندب صلٰى الله عليه وسلم المسلمين ، فخرج في أربع مئة وخمسين رجلاً ، ومعهم أفراس ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما سمعوا بهبطه صلٰى الله عليه وسلم .. هربوا في رؤوس الجبال ، فأصابوا رجلاً منهم من بنٰي ثعلبة اسمه : جبار^(١) ، وبالجيم وشد الموحدة ، فأدخله الصحابة على رسول الله صلٰى الله عليه وسلم فأخبره من خبر القوم ، وقال : لن يلاقوك ، ولما سمعوا بمسيرك إليهم .. هربوا في رؤوس الجبال ، وأنا سائر معك ، فدعاه إلى الإسلام ، فأسلم ، وضمه إلى بلال ليعلّمه الشرائع .

إسلام دعثور بن الحارث :

تَأَمَّرَ بْنِي ثَعْلَبَةَ عَلَى اغْتِيَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَهُوَ أَيُّ : دَعْثُورُ (الَّذِي وَجَدَ خَيْرَ مُرْسَلٍ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يُجْفَثُ بِكَسْرِ الْجَيْمِ) ؛ أَيُّ : يُبَيِّسُ عَلَى شَجَرَةِ (ثَوْبَيْنِ لَهُ بِمَعْزِلٍ) أَيُّ : بِمَوْضِعٍ بَعِيدٍ عَنْ أَصْحَابِهِ لِمَطْرِ أَصَابِهِمْ ، وَاضْطَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَذَهَبَ كُلُّ مَنْ مُسْلِمٌ فِي شَأْنِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ بِمَرْأَيَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا لِدَعْثُورَ - وَكَانَ فِيهِمْ شَجَاعًا - : قَدْ انْفَرَدَ مُحَمَّدًا ، فَعَلِيكَ بِهِ ، فَأَقْبَلَ وَمَعَهُ الظُّبَّةُ .

(١) هذا هو الصواب ، خلافاً لمن قال : اسمه حبان ، كما ذكره في « شرح المواهب » .

فَسَلَّهَا وَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَا
وَفِيهِ أَوْ فِي غَوْرٍ أَوِ النَّضِيرِ
﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾ أُنْزِلَتْ عَلَى الْبَشِّيرَ

(فَسَلَّهَا وَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَا) مَنِي الْيَوْمُ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُ » (فَصَدَّهُ) أَيْ : مَنْعِهِ (جَبَرِيلُ عَمَّا) أَيْ : الْحَرْمَةُ الَّتِي (اِنْتَهَكَاهَا) أَيْ : أَرَادَ أَنْ يَنْتَهِكُهُنَّا ، بَأْنَ دَفْعَ فِي صَدْرِهِ ، فَوْقَ السَّيْفِ مِنْ يَدِهِ ، فَأَخْذَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِي ؟ » قَالَ : لَا أَحَدُ ، وَأَنَا أَشْهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ .

مواجِهَة دعثُور رسُول
الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مشهُوراً سيفه

استسلام دعثُور وإعلانه
الإسلام

قال في شرح « المواهب » : (وزاد ابن فَتَحُونَ في الذيل : فَأَعْطَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِيفَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِوْجَهِهِ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَأَنْتَ خَيْرُ مِنِي ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ » ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ ، فَقَالُوا لَهُ : مَالِكَ وَيْلَكَ ! فَقَالَ : نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ أَبِيسْنَ ، قَدْ دَفَعَ فِي صَدْرِي ، فَوَقَعَتْ لَظَهِيرِي ، فَعْرَفْتُ أَنَّهُ مَلِكٌ ، وَشَهَدْتُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ ، لَا أَكْثُرُ عَلَيْهِ جَمِيعاً ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ) .

دعثُور رضي الله عنه
يحكى لقومه ما شهد
لدى عزمه وتمكنه من
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

(وَفِيهِ) أَيْ : فِي دَعْثُورِ ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ وَابْنُ سَعْدٍ وَطَائِفَةً (أَوْ فِي غَوْرٍ أَوِ النَّضِيرِ) فِي (النَّضِيرِ) قَالَهُ قَتَادَةُ وَمَجَاهِدُ ، فَ(أَوِ) لَتْنُوِيْعُ الْخَلَافَ آيَهُ : « يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ إِمَانُوا أَذْكُرُوا نَعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ (إِذْ هُمْ قَوْمٌ) أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ » أَيْ : بِالْقَتْلِ ، وَالْإِهْلَاكِ « وَكَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَسْتَوْكُلِ الْمُؤْمِنُونَ » (أُنْزِلَتْ عَلَى الْبَشِّيرِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الخلاف في سبب نزول
قوله تعالى : « يَتَأَيَّهَا
الَّذِينَ إِمَانُوا أَذْكُرُوا
نَعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ »

وقيل كما في «شرح المواهب» : (أنزلت والمصطفى صلى الله عليه وسلم بعسفان لما أراد المشركون الفتاك بال المسلمين ، وهم في الصلاة ، فأنزل الله صلاة الخوف قال القشيري : وقد تنزل الآية في قصة ، ثم تنزل في أخرى ، لادكار ما سبق) .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلْقَ عودة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حرباً .

(١١) غزوة بحران

بضم الموحَّدة ، وسكون المهملة ، فراء ، فَالْفُ ،
فنون ، على المشهور ، وهو موضع بناحية الفُرُع ،
بضمتين^(١) ، من المدينة ، وفيها عينان يقال لهما : الرَّبِّض
والنجف ، تسقيان عشرين ألف نخلة ، كانت لحمزة بن
عبد الله بن الرَّبِّير ، وكانت هذه الغزوة في السنة الثالثة ، لست
خلوًونَ من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهراً من
الهجرة ، كما قال ابن سعد .

وقال الناظم : (وبعدها) أي : ذي أَمْرَ (غزوة بحران)
بالتثنين ؛ لأنَّه مصروف ، فخرج صلى الله عليه وسلم في ثلاثة
مائة من أصحابه الكرام بعد أن استعمل على المدينة ابن
المدينة

(١) وأمَّا بفتحتين : فموضع بين الكوفة والبصرة ، هذا الصواب الذي نَبَّهَ عليه السهيلي وغيره .

أم مكتوم (إلى أم القرى) يريده قريشاً عند ابن إسحاق (أو لسليم) يريدها عند غيره ، وتسمى : غزوة بنى سليم أيضاً ، بضم السين ، وفتح اللام ، قال في «شرح المواهب» : (لأنَّ الذين اجتمعوا ، وبلغ خبرهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ) ف(أو) في كلام الناظم لتنويع الخلاف .

ولمَّا سار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ . . . وَجَدُوهُمْ تَفَرَّقُوا فِي مِيَاهِهِمْ ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا ، وَكَانَتْ غَيْتَهُ عَشْرَ لَيَالٍ ، وَوَصَفُوهُمْ بِقَوْلِهِ : (الْجُهَلَا) لِعَدَمِ إِسْلَامِهِمْ إِذَا ذَاكَ ، ثُمَّ وُفِّقُوهُمْ لِإِسْلَامٍ بَعْدُ ، حَتَّى كَانُوا مِنْ أَكْثَرِ الْعَرَبِ إِسْلَامًا ، وَحَتَّى غَزَتْ مَكَّةَ أَلْفَّ أَوْ تَسْعَ مِئَةً مِنْهُمْ ، مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَهُ فِي «رَوْضَ النُّهَا» .

عُودَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

(١٢) غزوة أُحد

بضم الهمزة والهاء ، وبالدال المهملة ، مصروف ، وأُحد : جبل مشهور بالمدينة ، سُمِّيَ بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال أُخر هناك ، قال فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما أخرجه الشيخان : «أُحد جبل يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» وهذه المحبة حقيقة ؛ فقد خاطبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخاطبة من يعقل ، فقال لما اضطرب : «أَسْكُنْ أُحدَ ؟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ ، وَصَدِيقٌ ، وَشَهِيدٌ» فوضع الله الحب فيه ، كما وضع التسبيح

خصائص جبل أُحد

فَأَحُدٌ بِرِبِّحِ عِيرِ صَخْرِ تَأَهَّبُوا لِيَتَرُوا مِنْ بَدْرِ

في الجبال مع داود ، وكما وضع الخشية في الحجارة التي قال فيها : « وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةَ اللَّهِ » وكما حَنَّ الْجِدُع لمقارنته صلى الله عليه وسلم ، حتى سمع الناس حنيه ، فلا ينكر وصف الجماد بحب الأنبياء ، وقد سَلَّمَ عليه الشجر والحجر ، وسَبَّحَت الحصاة في يده الشريفة ، وكلّمه الذراع ، إلى غير ذلك .

تاریخها

وكانت عند هذا الجبل هذه الواقعة سنة ثلث من الهجرة في شوال ، يوم السبت ، لإحدى عشرة ليلة خلت منه على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة ؛ فلذلك قال : (فَأَحُد) أي : بعد بُحْرَان غزوة أُحُد . (بِرِبْح) بكسر الراء ، يتعلق بقوله : (تَأَهَّبُوا) وهو مضاد إلى (عِير) بكسر العين ، والمراد : التجارة التي تحملها العير ، وأضيف ذلك إلى أبي سفيان (صَخْر) بن حرب ؛ لأنَّ المقدَّم فيهم إذ ذاك (تَأَهَّبُوا) أي : أَعْدُوا ذلك الرابع (لِيَتَرُوا) أي : ليأخذوا بثارهم (من بدر) .

سبب هذه الغزوة :

وحاصل ما أشار إليه الناظم من سبب هذه الغزوة : ما ذكره ابن إسحاق بزيادة توضيح : أنَّ قريشاً لما رجعوا من بدر إلى مَكَّةَ وقد أُصِيبَ أَصْحَابُ الْقَلِيلِ ، ورجع أبو سفيان بِعِيرِه .. لم يكن شغلاً الشاغل إلَّا الأَخْذُ بِالثَّأْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : فأبُو سفيان ينذر أن لا يمس طيباً ، ولا يمس رأسه ماء من

جناية حتى يغزو محمداً ، وينال من المسلمين ما يشفي غليله ،
ويجهد أن يرسل البعوث والرسل تسير في بطحاء مكة
ونواحيها ؛ للتحريض على مؤازرته ونصرته .

وعبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، في
جماعة ممن قتل آباءهم وإخوانهم وأبناءهم يوم بدر يحثون
إخوانهم على ذلك ويقولون : يا عشر قريش ؟ إنَّ محمداً قد
وَتَرَكَمْ ، وقتل خياركم ، فأعيننا بهذا المال على حربه
- ويُعْنُونَ عِيرَ أبي سفيان ، أو من كانت له في تلك العِيرِ
تجارة^(١) - لعلنا ندرك منه ثأرنا ، فأجابوا لذلك ، فباعوها ،
وكان ألف بعير ، والمال خمسون ألف دينار^(٢) .

وأمضت سنة كاملة تعدُّ خيلها ورجلها ، وقضّها
و قضيضاها ، وجدها وحديدها ، ومن يتبعها من بني كنانة
وتهمة ، وفيهم أنزل الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيُصْدِّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفَقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسَرَةً ثُمَّ
يُغَلَّبُونَ ». .

فاجتمعت قريش ، ومن حالفها لحرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شوال من السنة الثالثة ، وكان سيدنا العباس
بِمَكَّةَ عَلَى عِلْمٍ تَامٍ مِّنْ هَذِهِ الْحَرْكَاتِ لِقَرِيشٍ ، فَكَتَبَ كِتَاباً يَخْبِرُ

إعداد قريش للحرب

إِبْلَغَ العَبَاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التَّبَّيَّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَزْمَ قَرِيشٍ لِقَتَالِهِ

(١) وكانت موقوفة بدار الندوة .

(٢) فسلموا إلى أهل العِيرِ رؤوسَ أموالهم ، وأخرجوا أرباحهم ، وكانوا يربحون في تجارتهم
لكل دينار ديناراً .

وَخَرَجُوا بِ (يَهِ) طُعْنٍ وَهُمْ جِيمُ الْوَفِ وَالْخِيُولُ لَهُمْ
رَاءٌ وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ فَرَسُ وَفِي زُرُوعِ قَيْلَةٍ إِخْتَبَسُوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم مع رجل من بنى غفار ،
وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ، فقدم عليه
وهو بقباء ، فقرأه عليه أبي بن كعب ، واستكتم أبياً ، ونزل
صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع ، فأخبره بكتاب
العباس ، فقال : « والله ؟ إنني لأرجو أن يكون خيراً ،
فاستكتمه » .

العدد والكراع في الجيدين :

(وخرجوا) أي : المشركون (بـ « يه ») أي : بهذا العدد
المشار إليه ، بالياء والهاء ^(١) ، وذلك خمسة عشر من النساء ،
وهو المعنى بقوله : (طُعْن) : جمع طعينة ، يقال للهودج ،
وللمرأة ما دامت فيه ، وإنما خرجن بهن التماس الحفيظة ^(٢) ،
وأن لا يفِرُّوا (و) أَمَّا (هم) أي : الرجال من قريش
ف (جِيمُ الْوَفِ) أي : ثلاثة آلاف عددهم ، كما جزم به ابن
إسحاق ، وتبعه اليعمرى ، فيهم مئتا دارع ، (وَالْخِيُولُ) :
جمع خيل لجماعة الأفراس ، ولا واحد له من لفظه ، (لَهُمْ)
أي : لقريش (راء) أي : مئتان (و) الحال أنه (ما) أي :
ليس (لل المسلمين فرس) واحد ، وقد جزم موسى بن عقبة

(١) بحسب الجمل ، فالباء بعشرة ، والهاء بخمسة ، وكذا الجيم بثلاثة ، والراء بمئتين .

(٢) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء ، قال السهيلي : (أي : الغضب للحرم) انظر في « سيرة ابن إسحاق » أسماءهن .

وَقِيلَ : فِيهِمْ فَرَسٌ تَحْتَ أَبِي بُرْدَةِ الْتَّدْبِ وَأُخْرَى لِلَّهِبِي
وَقَدْ رَأَى فِي نَوْمِهِ خَيْرُ الْأُمَمِ أَنْ كَانَ فِي ذُبَابٍ سَيِّفِهِ ثَلَمْ

بذلك ، كما في «الفتح» وأثنا عدد من خرج معه صلى الله عليه وسلم فألف رجل ، كما عند ابن إسحاق (وفي زروع) يتعلق بقوله : (احتبسوا) وهو مضاف إلى (قبيلة) وهي أم الأوس أم الأوس قيلة والخُرُج .

قال الناظم في «عمود النسب» :

أَوْسٌ وَخَرْجٌ هُمُ الْأَنْصَارُ

وَقِيلَةٌ أُمُّهُمْ وَالْخَسَارُوا

(احتبسوا وقيل فيهم) أي : المسلمين (فرس تحت أبي بُرْدَة) هانئ بن نيار (التدب) أي : الظريف النجيب (و) فرس (أخرى للنبي) صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ في «الفتح» : (وقع في «الهدي») : أنه كان معهم خمسون فرساً ، وهو غلط بين ، وقد جزم موسى بن عقبة بأنه لم يكن معهم في أحد شيء من الخيل ، ووقع عند الواقدي : كان معهم فرس له عليه الصلاة والسلام ، وفرس لأبي بُرْدَة) .

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأويلها :

(وقد رأى) قبل هذه الواقعة ليلة الجمعة ، كما عند عقبة رؤيا النبي صلى الله عليه وابن عائذ (في نومه) رؤيا (خير الأمم) صلى الله عليه وسلم ، ورؤيا حق لا يتسلط عليها شيطان ، وهي : (أن)

وَأَنَّهُ أَدْخَلَ فِي دِرْعٍ يَدَهُ
وَبَقَرَا يُذْبَحُ أَيْضًا وَجَدَهُ
فَالثَّلَمُ الْعَمُ وَأَمَّا الْبَقَرُ
يُذْبَحُ فَهُوَ الْنَّفَرُ الْمُعَفَّرُ
مِنْ صَحْبِهِ وَدِرْعُهُ الْحَصِينَةُ
أَدْخَلَ فِيهَا يَدَهُ الْمَدِينَةُ

بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة ؛ أي : أنه (كان في ذباب)
بضم الذال المعجمة : طَرَف (سيفه) أو حده (ثَلَمْ) : كسر ،
وهو من باب ضرب ، وفتح .

قال في « روض النهاة » : (وهذا السيفُ هو ذو الفقار
بالفتح ، سيف العاص بن منبه ، الذي سُلِّب منه يوم بدر ،
وكان هو والصمصامة سيفُ عمرو بن معد يكرب من حديدة
وُجِدت في أساس الكعبة ، ثم أُعطيه صلى الله عليه وسلم عَلِيَّاً
رضي الله عنه) .

(و) رأى في منامه هذا أيضاً : (أَنَّهُ أَدْخَلَ فِي دِرْعٍ)
حصينة (يَدَهُ) الشريفة (وبَقَرَا يُذْبَحُ أَيْضًا وَجَدَهُ) صلى الله
عليه وسلم في منامه هذا .

تعبر رؤياه صلى الله
عليه وسلم
إذا سمعت ما تلوته عليك من الرؤيا ، وأردت تعبيرها حفأ
(فالثَّلَمُ) الذي رأه في السيف : (الْعَمُ) فكان سيدنا حمزة بن
عبد المطلب استشهد فيها (وَأَمَّا الْبَقَرُ يُذْبَحُ فَهُوَ الْنَّفَرُ) من
أصحابه صلى الله عليه وسلم يُقتلون ، ووصفهم بقوله :
(الْمَعَفَّرُ) وهو المضروب بالعَفَر ، وهو ظاهر التراب (من
صحبه) بيان للنفر ، وهو عدة رجال ، من ثلاثة إلى عشرة ،
ففيه مسامحة (وَدِرْعُهُ الْحَصِينَةُ) أي : المحكمة التي (أَدْخَلَ
فيها يَدَهُ) هي (المَدِينَةُ) المنورة .

قال في «شرح المواهب» : (ووجه التأويل : أنهم كانوا
أشبوا المدينة بالبنيان من كل ناحية ، وجعلوا فيها الآطام
والحُصون ، فهي حصن) .

وهذا المذكور في النظم من المرفوع ، قال ابن هشام :
(وحدَثني بعض أهل العلم : أنَّ رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قال : رأيت بقراً لي تذبح ، قال : فأمَّا البقر .. فهي ناس من
أصحابي يقتلون ، وأمَّا الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي .. فهو
رجل من أهل بيتي يقتل) .

استشارة الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه في الخروج أو
البقاء بالمدينة :

قال ابن إسحاق : (قال : -أي : الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهם حيث نزلوا ،
فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .
وكان رأيُ عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأي رسول الله
صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يرى ألا يخرج إليهم ، وكان رسول الله
صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكره الخروج ، فقال رجل من المسلمين
ممن أكرم الله بالشهادة يوم أُحُد ، وغيره ممن كان فاته بدر :
يا رسول الله ؟ اخرجْ بنا إلى أعدائنا ؟ لا يرون أَنَّ جَبَّناَ عنهم
وضعفنا ، فقال عبد الله بن أبي : يا رسول الله ؟ أقم بالمدينة ،
لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍ لنا قطُّ إلَّا
أصابنا ، ولا دخلها علينا إلَّا أصيَّنا منه ، فدعهم

وَأَسْتَكِرُهُوا خَيْرُ الْوَرَى فَأَخْرَجُوهُ وَبَعْدَ مَا أَسْتَلَامَ فِيهَا أَسْتَبْطُوهُ

يا رسول الله ، فإن أقاموا .. أقاموا بشرٌ مَحْبِسٌ ، وإن دخلوا .. قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورمأهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا .

فلما يزل الناسُ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم .. حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ومعه أصحابه أبو بكر وعمر رضي الله عنهمما ، ورأى الخروج ، فعمّاه ، وألبساه ، وصفَّ الناس ما بين حجرته إلى منبره ، ينتظرون خروجه عليه الصَّلاة والسَّلام ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة .

عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على القتال :

وخرج عليهم عازماً على القتال ، لابساً لأمته ، وقد ندم الناس وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك ، فلما خرج عليهم صلى الله عليه وسلم .. قالوا : يا رسول الله ؟ استكرهناك ، ولم يكن لنا ذلك ، فإن شئت .. فاقعد ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل » .

واللامة بالهمزة وقد ترك تخفيفاً ، وجمعه لأم ، كتمرة وتمر : هي الدرع ، أو السلاح ، أو أداة الحرب .

وإلى هذه الإشارة بقوله : (واستكرهوا) أي : أكرهوا ، فالسين زائدة للتأكيد (خير الورى) صلى الله عليه وسلم على

الخروج إلى العدو بقولهم المتقدم : اخرُج بنا إلى عدونا ، والناس بين راغب في الشهادة ، آسفٌ على فوات بدر (فآخر جوه) صلى الله عليه وسلم من بيته وقد لبس الأمة (وبعد ما استسلم) أي : لبس لأمته ، أي : أداة الحرب (فيها) أي : المدينة (استبطوه) أي : طلبوه لبيه بالمدينة على رأيه الأول صلى الله عليه وسلم ، وقالوا ما تقدم ذكره .

قال في «شرح المواهب» : (فإن قيل : لِمَ عَدَلَ صَلَى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَأْيِهِ الَّذِي لَا أَسْدَدُ مِنْهُ ، وَقَدْ وَافَقَهُ عَلَيْهِ أَكَابِرُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَابْنُ أُبَيٍّ - وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا لَكُنَّهُ مِنَ الْكَبَارِ الْمُجْرِبِينَ لِلأُمُورِ ؛ لِذَا أَحْضَرَهُ صَلَى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَشَارَهُ - إِلَى رَأْيِ^(١) هُؤُلَاءِ الْأَهْدَافِ ؟

قلت : لأنَّه صلَى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مأمور بالجهاد ، خصوصاً وقد فجأهم العدو ، فلما رأى تصميم أولئك على الخروج لا سيما وقد وافقهم بعض الأكابر من المهاجرين : كحمزة ، والأنصار : كابن عبادة .. ترجح عنده موافقة رأيهم ، وإن كرهه ابتداء ؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، وهذا ما ظهر لي ولم أره لأحد) اهـ

قال العبد الضعيف كان الله له : ويمكن أن يقال في الجواب : إنَّ المسألة لم يكن فيها وحي من الله تعالى يتبع ، بل كان الأمر فيه إلى اجتهاده صلَى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قد أعلمته الله

اجتهاد الشارح رحمة الله تعالى في تعليل عدول النبي صلَى الله عليه وسلم عن رأيه إلى رأي الآخرين

(١) يتعلّق بقوله : (عدل) اهـ

تعالى بمقتضى تلك الرؤيا ، من استشهاد بعض أصحابه ، وما يصيّبهم من التمحيص في ذلك اليوم ، وكان ذلك مرتبًا على الخروج إلى العدو . وهذا ما ظهر ، والعلم عند الله تعالى .

(فراح) أي : ذهب صلى الله عليه وسلم بعد الزوال وصلاة الجمعة ، ولبس لأمته (نحو) أي : جهة جبل (أحد ، وابتكرأ) أي : سار بكره ، ومعه صلى الله عليه وسلم ألف من أصحابه ، وعقد ثلاثة ألوبية :

لواء للأوس ، بيد أَسَيْدَ بْنَ الْحُضَيْرِ ، ولواء للخزرج بيد الحُبَابَ بْنَ الْمَنْذَرِ ، ولواء المهاجرين ، بيد مُضَعَّبَ بْنَ عُمَيْرٍ .

واستعمل على المدينة ابن أُمِّ مكتوم رضي الله عنه على الصلاة بالناس .

ثُمَّ ركب فرسه ، وتقلد القوس ، والمسلمون عليهم السلاح ، وخرج السعدان يعْدُوَانِ أمامه ، والناس عن يمينه ، وعن شماليه ، حتى انتهى إلى رأس الثَّنَيَةِ ، حتى إذا كان بالشَّيْخِيْنِ^(١) .. التفت فنظر إلى كتيبة خشناه لها زَجَل فقال : « ما هذه ؟ » فقالوا : هؤلاء حلفاء ابن أبي من يهود ، فقال : « لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك » .

(١) اسم موضع بطريق أحد ، فإنَّ شيخاً وشيخةً كانوا يجلسان عليه يتناجيان هناك ، وهو مشهور عند أهل المدينة بهذا الاسم .

قال في «الإمتع» : (ولبس عليه الصلاة والسلام من الشيختين درعاً واحدة حتى انتهى إلى أحد فلبس درعاً أخرى ، ومغفراً ، وبيضة فوق المغفر ، ولمّا نهض عليه الصلاة والسلام من الشيختين .. زحف المشركون على تعبئة ، وقد ترأّس فيهم أبو سفيان لقتل أكابرهم ببدر ، ووافى عليه الصلاة والسلام أحداً وقد حانت الصلاة وهو يرى المشركين فأذن بلال وأقام ، فصلّى عليه الصلاة والسلام بأصحابه الصبح صفوافاً) .

انحرال المنافقين :

وانحرل ابن أبي عن المسلمين بثلث الناس كما قال الناظم :

(وخام) أي : نكص ، ورجع (عنه) صلى الله عليه وسلم عبد الله (ابن أبي) ابن سلول في ثلاثة مئة من قومه المنافقين (وامترا) أي : شك ، وقال : أطاعهم وعصاني ، علام نقتل أنفسنا؟ فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه - وكان خزرجياً كابن أبي - فقال : يا قوم ؛ أذركم الله ألا تخلعوا قومكم ونبيكم بعدما حصر من عدوهم ، فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون .. لما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال ، فلما أبوا .. قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغبني الله عنكم نبيه .

فلمّا انحرل ابن أبي بمن معه .. سقط في أيدي طائفتين من المسلمين ، وهما أن يقتلا ، وهما بني حارثة من الخزرج ،

زجر عبد الله بن عمرو
ابن حرام ابن أبي ابن
سلول وجماعته في شد
أزر المسلمين

وبنو سَلِمَةَ مِنَ الْأَوْسَ ، وَفِي الصَّحِيفَعْنَ جَابِرَ : نَزَلَتْ هَذِهِ
الآيَةُ فِينَا : ﴿إِذْهَمَتْ طَبِيقَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَقْشَلَأَوَالَّهُ وَلِهُمَا وَعَلَى اللَّهِ
فَلَيَسْتَوْكِلُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بَنِي سَلِمَةَ ، وَبَنِي حَارِثَةَ ، وَمَا أَحَبُّ أَنَّهَا لَمْ
تَنْزَلْ ، وَاللَّهُ يَقُولُ : ﴿وَالَّهُ وَلِهُمَا﴾ .

قَالَ الْحَافِظُ : أَيُّ : أَنَّ الْآيَةَ ، وَإِنْ كَانَ فِي ظَاهِرِهَا غَضْ
مِنْهُمْ . . لَكِنْ فِي آخِرِهَا غَايَةُ الْشَّرْفِ لَهُمْ ، فَبَقِيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ مَائَةً وَجَعَلَ أَحُدًا خَلْفَ ظَهِيرَهُ ،
وَاسْتَقْبَلَ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ .

تَفَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(وَاسْتَلَ سَيْفَ رَجُلٍ) بِالنَّصْبِ مَفْعُولٌ لـ (اسْتَلَ) ، مَقْدَمٌ
عَلَى فَاعِلِهِ الَّذِي هُوَ (ذَبْ) أَيُّ : دَفْعَ (فَرَسْ) بِذَنْبِهِ ؛ يَعْنِي :
أَنَّهُ مِنْ عَادَةِ الْفَرَسِ أَنْ يَذْبَ بِذَنْبِهِ مَا يَؤْذِيَهُ ، وَكَانَ رَجُلًا مِنَ
الصَّحَابَةِ حَامِلًا سَيْفَهُ فِي غَمْدَهُ ، فَدَفَعَ الْفَرَسُ بِذَنْبِهِ السَّيْفَ ،
فَأَخْرَجَهُ مِنْ غَمْدَهُ (فَقَالَ) عِنْدَ ذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِلرَّجُلِ : (شِمْ سَيْفَكَ) أَمْرٌ مِنْ شَامٍ يَشِيمُ : إِذَا سَلَّهُ أَوْ
أَغْمَدَهُ ، وَالْمَرَادُ هُنَا الثَّانِي (وَالْحَرْبَ) أَيُّ : الْقَتَالُ ، بِالنَّصْبِ
مَعْمُولٌ مَقْدَمٌ لِقَوْلِهِ : (افْتَرَسْنَ) بِمَعْنَى : تَفَرَّسَ^(١) ، وَفَاعِلِهِ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) قَالَ صَاحِبُ « الرُّوْضَ » : (وَافْتَرَسْ) : افْتَلَعَ مِنَ الْفَرَاسَةِ ؛ أَيُّ : تَفَرَّسَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ الْحَرْبَ ، وَيُؤْيِدُهُ : أَنَّهُ رَبُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : « وَكَانَ لَا يَعْتَافُ » أَهـ
قَلْتُ : وَهُوَ إِنَّمَا يَصْحُّ لَوْ وَجَدَ افْتَرَسَ بِمَعْنَى الْفَرَاسَةِ ، وَقَدْ قَالَ فِي « الْقَامُوسَ » :
(الْفَرَاسَةُ : اسْمُ مِنَ الْفَرَسِ) أَهـ

وَكَانَ لَا يَعْتَافُ إِلَّا أَنَّهُ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ إِذَا عَنَّ لَهُ

قال ابن إسحاق : (ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .. حتى سلك في حرة بني حارثة ، فذبَّ فرسٌ بذنبِه ، فأصابَ كُلَّاب^(١) سيف فاستلَه ، فقال صلى الله عليه وسلم - وكان يحب الفَأْلَ ولا يعتَافُ^(٢) - لصاحب السيف : « شِمْ سيفك ؛ فإِنِّي أَرَى السِّيُوفَ الْيَوْمَ سُتُّسِلَ ») وفي هذا دليل ظاهر للقول بأنَّ معهم فرساً ، ولم يكن هذا منه عليه الصَّلاة والسَّلامَ تطْيِراً ، كيف وقد نَهَى عن الطَّيْرَةِ ؟ ! فلذلك قال الناظم :

(وكان) صلى الله عليه وسلم (لا يعتَاف) من العِيفِ ؛
أي : لا يتشاءم ، يقال : عَفْتُ الطِّيرَ ، واعْتَفْتُهَا عِيافَةً ،
واعْتِيافاً ، قاله السُّهَيْلِيُّ .

(إِلَّا أَنَّهُ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ) الحسن (إذا عَنَّ) أي : عَرَضَ (له) .

ذكر السهيلي في « الروض الأنف » : (أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم مَرَّ في غزوة بدر بجبلين ، فسألَ عن اسميهما ؟ فتَقَبَّلَ له : أحدهما اسمه مُسْلِحٌ ، والآخر اسمه مُخْرِيٌّ^(٣) فعدلَ عن طريقهما ، وقال : ليس هذا من باب الطَّيْرَةِ التي نَهَى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن من باب كراهة الاسم

(١) كُلَّاب السيف : الحديدة العقفاء ، وهو التي تلي الغمد .

(٢) جملة معتبرة بين القول ومقوله .

(٣) ضبطه في « الشامية » بصيغة اسم الفاعل في الاسمين .

القبيح ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يكتب إلى أمرائه : إذا أبردتم لي بريداً فاجعلوه حسن الوجه ، حسن الاسم ، ذكره البزار من طريق بريدة) .

قلت : وذكر الحافظ ابن عبد البر في « الإستيعاب » بسنده إلى عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتطيئ ، ولكن يتفاءل ، فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم ، فتلقي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « من أنت ؟ » قال : أنا بريدة ، فالتفت إلى أبي بكر ، فقال : « يا أبي بكر ؟ برد أمينا وصلاح » قال : ثم قال لي : « ممَّن أنت ؟ » قلت : من أسلم ، قال لأبي بكر : « سلمنا » . ثم قال لي : « من بني مَن ؟ » قلت : من بني سهم ، قال : « خرج سهمك » .

وقال الإمام مالك في « الموطأ » : عن يحيى بن سعيد ، قال صلى الله عليه وسلم في لَقْحة : « من يحلب هذه ؟ » فقام رجل فقال : أنا ، فقال له : « ما اسمك ؟ » قال : مُرّة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجلس » ، ثم قال : « مَن يحلب هذه ؟ » فقام رجل فقال : أنا ، فقال له : « ما اسمك ؟ » قال : حرب ، قال : « اجلس » ثم قال : « من يحلب هذه ؟ » فقام آخر ، فقال : « ما اسمك ؟ » قال : يعيش ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احلب » .

قال الشمس الشامي - لما ذكر نحو ذلك عن ابن سعد في

وَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِالْحَاثِي فِي أَوْجُهِ الْقَوْمِ وَكَانَ رَائِي

الطبقات - : وفي رواية ابن وهب : فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ؟ كنت نهيتنا عن التطير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تطيرت ، ولكنني آثرت الاسم الحسن » أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

ما كان من المنافق مربع بن قيظي حين سلك النبي صلى الله عليه وسلم حائطه :

(ومر) صلى الله عليه وسلم (في طريقه) إلى أحد (بالحاثي) أي : الرامي التراب (في أوجه القوم) المسلمين ؛ وذلك : أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « مَنْ رَجَلٌ يُخْرِجُ بَنَاهُ عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثَبٍ - أَيْ : مِنْ طَرِيقٍ قَرِيبٍ - لَا يَمْرُ بَنَاهُ عَلَيْهِمْ ؟ » فقال أبو خيثمة أخوه بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فنفَذَ به في حَرَّةٍ بْنِي حَارَثَةَ ، وبين أموالهم ، حتى سلك في حائط لِمِرْبِعٍ بْنِ قِيَظَيِّ ، وكان رجلاً منافقاً أعمى البصر ؛ فلما سمع صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين . . قام يَنْخُبُ في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله فإني لا أَحْلُ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ حائطي .

قال ابن إسحاق : وقد ذُكِرَ لي : أنه أخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : والله لو أَنِّي أعلم أَنِّي لا أُصِيبُ بها غيرك يا مُحَمَّدَ . لضررت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلواه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَقْتُلُوهُ ، فَهَذَا الْأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ ، أَعْمَى الْبَصَرِ » وقد بدر إليه سعد بن زيد أخوه بني عبد الأشهل قبل نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه بالقوس في رأسه فشَّجَه ، (وكان) بهذه الفَعْلَةِ الشَّنِيعَةِ

(رأي) أي : أحمق ووقف به على لغة ربعة .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد ، في عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكته إلى أحد ، واستقبل المدينة وجعل جبل عينين - وهو جبل الرماة - على يساره .

الصغار الذين رأهم
رسول الله صلى الله عليه
 وسلم

إجازته صلى الله عليه وسلم أبناء خمس عشرة ورده من دونهم :
(أجاز) صلى الله عليه وسلم في الخروج لميدان القتال في أحد (أبناء يه) أي : أبناء خمس عشرة سنة ؛ لما عرضوا عليه (واستصغرا) بألف الإطلاق (من دونهم) في السن ، وردهم ؛ لأنَّه لم يرهم بلغوا ، منهم : أُسامه بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأبو سعيد الخدري ، وأسَيد بن ظهير ، وعَرَابَةَ بْنَ أَوْسَ^(١) ، والبَرَاءَ بْنَ عَازِبَ ، وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ ، وَسَعْدَ بْنَ حَبَّةَ^(٢) ، وَزَيْدَ بْنَ جَارِيَةَ ، وَرَافِعَ بْنَ خَدِيجَ .

(١) عَرَابَةَ هَذَا هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي الشَّمَاخِ الْأَسْدِيِّ :

رأيت عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخِيرَاتِ مِنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَأَيَتَهُ رَفَعْتَ لِمَجْدِهِ تَلْقَاهَا عَرَابَةَ بِالْيَمِينِ
وَهُوَ بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةَ ، صَحَابِيٌّ حَلِيلٌ .

(٢) بفتح المهملة وسكون المودحة وفتح الفوقيه : هي أمه ، واسم أبيه بجير مصغراً .
ذكر الحافظ ابن عبد البر في « الإستيعاب » عن جابر بن عبد الله : (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نظر إلى سعد بن حبطة يوم الخندق يقاتل قتالاً شديداً وهو حديث السن ، فدعاه وقال له : « من أنت يا فتى ؟ » قال : سعد بن حبطة ، فقال له النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم : « أَسْعَدَ الله جدك ، اقترب مني » فاقترب منه ، فمسح على رأسه ، قال : ولا يختلفون أَنَّ =

ثُمَّ أَجَازَ رَافِعًا لِمَا قِيلَ لَهُ : إِنَّهُ رَامٌ ، فَقَالَ سَمْرُةُ بْنُ جَنْدَبِ
الْفَزَارِيُّ لِزَوْجِ أُمِّهِ - مَرِي بْنِ سَنَانَ - أَجَازَ رَافِعًا وَرَدَّنِي وَأَنَا
أَصْرَعُهُ ، فَأَعْلَمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : تَصَارِعَا ،
فَصَرَعَ سَمْرُةُ رَافِعًا ، فَأَجَازَهُ (وَالْجَيْشُ) أَيِّ : جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ
الْمُخْلِصِينَ (ذَلِّاً) أَيِّ : سَبْعَ مَائَةَ (أَنْبَرِي) أَيِّ : اعْتَرَضَ .

أَمَّا الْمُشْرِكُونَ .. فَثَلَاثَةُ آلَافٍ رَجُلٌ كَمَا تَقْدَمَ ، وَتَلْكَ
صُورَةٌ مِنْ إِيمَانِ الصَّحَابَةِ الصَّادِقَ ، وَبِطْوَلِهِمُ الْحَقَّةِ حِيثُ
نَافَسُوا بِأَنفُسِهِمْ ، وَأَرْوَاحِهِمْ ، وَتَسَابَقُوا إِلَى مَيْدَانِ الْقَتَالِ ،
وَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنِ الصَّغِيرَةِ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَجَعَلُنَا مِنْ
مُحَبِّيهِمْ وَحَزْبِهِمْ ، آمِينٌ .

إِعْطَاءِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْفَ لِأَبِي دُجَانَةَ :

(وقال) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ وَقَدْ أَخْذَ سَيْفًا :
(من يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفًا بِحَقِّهِ) ^(١) فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُالٌ ، مِنْ أَبْطَالِ
الْمُسْلِمِينَ كُلَّ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْهُمْ غُمِيرٌ وَالْزَّبِيرُ ، فَأَمْسَكَهُ
عَنْهُمْ ، حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ ، فَقَالَ : وَمَا حَقُّهُ

أَبَا يُوسُفَ الْقَاضِيِّ هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ خَنِيسٍ بْنُ سَعْدٍ بْنِ حَبِيبَ الْأَنْصَارِيِّ) .
قَالَ فِي «الْحَلْبِيَّةِ» : (وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ بِالْبَرَكَةِ ، مَا مَاتَ حَتَّى كَانَ أَبَا⁼
لِعَشْرِينَ ، وَعَمَّاً لِأَرْبَعِينَ ، وَخَالَّاً لِأَرْبَعِينَ) اهـ
(١) ذَكَرَ أَبُو الْرَّبِيعُ فِي «الْإِكْتِفَاءِ» - كَمَا فِي «شَرْحِ الْمَوَاهِبِ» - : (أَنَّهُ كَانَ مَكْتُوبًا فِي إِحْدَى
صَفْحَتَيْهِ :
فِي الْجَبَنِ عَارٍ وَفِي الْإِقْدَامِ مَكْرَمَةٌ وَالْمَرْءُ بِالْجَبَنِ لَا يَنْجُو مِنِ الْقَدْرِ

مصارعة سمرة ورافعاً
رضي الله عنهم

تكبر أبي دجابة رضي الله عنه احتقاراً للعدو

يا رسول الله ، قال : «أن تضرب به في وجه العدو حتى ينحني» فقال : أنا آخذه بحقه يا رسول الله (فناله واستوفى أبو دُجَانَةَ) سِمَاكَ ابْنَ خَرَشَةَ الْأَنْصَارِيِّ السَّاعِدِيِّ ، المتفق على شهوده بدرأً ؛ فإنه كان رجلاً شجاعاً^(١) (وَخَالَ) أي : تكبر (إِذْ مَشَى) في ميدان القتال ، (وَمَشِيهُ مِنْ بُغْضِهِ) أي : الله عزَّ وَجَلَّ حَشَا) هذا الوطن ؛ فإنَّ الله لا يُبْغِضُ هذه المنشية فيه ؛ لدلائلها على احتقار العدو ، وعدم الاكتراط به ، وحشاً : لغة في حاشا .

الزبير بن العوام يعرب عن مشاعره تجاه أخذ أبي دجابة للسيف

قال الزُّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ : وَجَدْتُ فِي نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْفَ فَمَنْعَنِيهِ ، وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ وَقَلْتُ : أَنَا ابْنُ صَافِيَةِ عَمْتِهِ ، وَمِنْ قُرَيْشٍ ، وَقَدْ قَمْتُ إِلَيْهِ ، وَسَأَلْتَهُ إِيَّاهُ قَبْلَهُ ، فَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ وَتَرَكَنِي ، فَقَلْتُ : وَاللَّهِ لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ أَبُو دُجَانَةَ ، فَاتَّبَعْتَهُ ، فَأَخْذَ عِصَابَةَ الْحَمَرَاءِ ، قَالَ فِي «الْمَوَاهِبِ» : مَكْتُوبٌ فِي أَحَدِ طَرَفِيهَا : نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ، وَفِي طَرْفِهَا الْآخِرُ : الْجَانَةُ فِي الْحَرْبِ عَارٌ ، وَمَنْ فَرَّ لَمْ يَنْجُ مِنَ النَّارِ ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : أَخْرُجْ عِصَابَةَ الْمَوْتِ ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

(١) قال في «الإستيعاب» : (كان أبو دجابة بهمة من البهم الأبطال ، استشهد يوم اليمامة ، وهو ممن اشترك في قتل مسليمة يومئذ مع عبد الله بن زيد بن عاصم ووحشى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخرَ بين أبي دجابة وعتبة بن غزوان) اهـ وسيأتي له ذكر في هذه الغزوة أيضاً ، فارتقب .

أبو دجابة رضي الله عنه
يغنى بالشعر في ساحة
القتال

أنا الذي عاهدنا خليلي
ونحن بالسفر لدَي النخيل
أنْ لَا أَقُومَ الدهرَ في الكيُول^(١)

أَصْرِبْ بسيف الله والرسولِ

قال ابن إسحاق : (فجعل لا يلقى أحداً من المشركين إلا قتله ، وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذفف^(٢) عليه ، فجعل كل واحد منهم يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجابة ، فاتقاء بدرقه ، فغضبت بسيفه^(٣) ، فضربه أبو دجابة فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند ، ثم عدل السيف عنها ؛ يعني : إكراماً لسيف رسول الله أن يضرب به امرأة) .

قال الرُّبِير فقلت : اللهُ ورسوله أعلم .

وبدأت نار الحرب تشتعل وأول من أشَّبَّها أبو عامر
الفاسق^(٤) .

قال في « الإِمْتَاع » : (طلع في خمسين من قومه مع عبдан

وصف الزبير قاتل أبي
دجابة للمشركين يوم
أحد

أول من أشَّبَّ العرب

(١) الكيول - بفتح الكاف ، وتشديد المثناة التحتية المضمومة - : مؤخر الصنوف .

(٢) بالذال المعجمة والمهملة ، وشد الفاء الأولى مفتوحات : أسرع قتله .

(٣) عض به عضأً : مسكه ولا مسنه .

(٤) هو عبد بن عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان ، أحد بنى ضبيعة ، وكان يسمى في الجاهلية : الراهب ، فسمّاه الرسول صلى الله عليه وسلم : الفاسق .

وَأَسْتَأْصِلُوا أَهْلَ الْلَّوَافَانْهَرَمُوا وَشَمَرَتْ عَنْ سُوقَهَنَ الْحُرَمْ

قريش فنادى يا للأوس أنا أبو عامر ، فقالوا له لا مرحبا بك ولا أهلاً يا فاسق : فقال لقد أصاب قومي بعدي شر ، فتراموا بالحجارة ساعة حتى ولئ) اهـ

استصال أهل اللواء من المشركين :

ودعا أهل اللواء إلى المبارزة ، فاستأصلهم المسلمون كما

قال الناظم :

(واستأصلوا أهل اللّوا فانهزموا) أي : أتى المسلمين على جميع أهل اللواء قتلاً ، وهم آل أبي طلحة بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار ، واللواء : أحد الخمسة التي أتحف بها قصيّ ابنه الكبير عبد الدار لما لم تبلغ همة همّتهم ، قال الناظم في « عمود النسب » :

حِجَابَةَ سِقَايَةَ رِفَادَةَ

لَوَاءَ النَّدْوَةَ بِالْقَلَادَةَ

أَتْحَفَ عَبْدَ الدَّارَ إِذْ رَأَهُ

دُونَ مَدْنَى إِخْوَتَهِ مَدَاهُ

تحريض أبي سفيان قريشاً على الحرب :

قال في « روض النهاة » : (لما ورد المشركون أحدها ..

قام أبو سفيان ، فحرّض الناس ، فقال : يابني عبد الدار ؟ إنكم قد ولّيتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم وإنما يُؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت .. زالوا ، فلما أن تكفونا

لوعنا ، وإنما أن تخلوا بيننا وبينه .. فنكفيكموه ، فهموا به
وتوعّدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لوعنا ؟ ! ستعلم غداً إذا
التقينا ما نصنع ! وذلك ما أراده أبو سفيان) .

تحريض هند والنسوة قريشاً على الحرب :

فلما التقى الناس .. قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي
معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ، فقالت
هند تستحث قريشاً على القتال شرعاً : هند :

وَيَهَا بَنْيَ عَبْدِ الدَّارِ
وَيَهَا حُمَّادَةَ الْأَدِيَارِ
ضَرِبَاً بِكُلِّ بَشَارٍ

وقالت :

إِنْ تَقْبِلُوا نَعَانِيْقُ
وَنَفْرُوشُ النَّمَارِقُ
أَوْ تَدْبِرُوا نَفَارِقَ
فَرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ

فاقتتل الناس ، وحميت الحرب ، والرماة يرثقون^(١) خيل
المشركين ، كما أمرهم صلى الله عليه وسلم ، يردونها
هوارب ، فصاح طلحة بن أبي طلحة صاحب اللواء : من
بيارز ؟ فقام إليه عليٌّ فقتله ، وهو كبس الكتبية - أي : رئيسها -
حملة لواء قريش الهالكين

(١) أي : يرمونها بالنبيل ، وهو من (باب نصر) .

مُوَلِّوَاتٍ إِثْرَهُمْ وَرَغَبَا فِي الْمَغْنَمِ الْرُّثَمَةِ حِينَ أَسْتِلُّهَا

ثمَ حمل اللواء أخوه عثمان^(١) ، فحمل عليه حمزة ، فقطع
جناحه ، حتى انتهى إلى مؤترره ، وبدا سَحْرَه ، ثمَ حمله
أبو سعد أخوهما ، فقتله سعد بن أبي وقاص ، ثمَ حمله مسافع
بن طلحة بن أبي طلحة فقتله عاصم بن ثابت . ثمَ حمله
الحارث أخوه ، فقتله عاصم أيضاً . ثمَ حمله كلاب أخوهما ،
فقتله الزُّبِير ، ثمَ حمله الجُلَاس أخوهما ، فقتله طلحة بن
عُبَيْدَ اللَّهِ ، ثمَ حمله أرطاة بن شُرَحْبِيل بن هاشم بن
عبد مناف ، فقتله علىّ ، ثمَ حمله شُرِيعَ بن قارظ ، فلا يُدْرِي
من قتله . ثمَ حمله غلام اسمه صُوَّاب ، فقيل : قتله علىّ ،
وقيل : سعد بن أبي وقاص ، وقيل : قُرْمَانُ الْعَبْسِيُّ ، وهو
أثبت الأقوایل^(٢) . فهؤلاء عشرة .

(وَشَمَّرَتْ) أي : رفعت (عن سُوقَهِنَّ) جمع ساق :
ما بين الكعب إلى الرُّكبة (الْحُرْمُ) بضم ففتح : جمع حرمة ،
وهي ما يُحْمَى ويقاتل عليه ، والمراد به هنا : نساء قريش :
هند وصواتها الخارجات ؛ لئلاً يفَرُّ الناس .

(مُوَلِّوَاتٍ) أي : فعلن ذلك حال كونهنَّ داعيات
بالويل ، وهو حلول الشر للجد في الهروب (إِثْرَهُمْ) أي :
خلف رجالهنَّ الفارين . ولما كانت تلك الهزيمة عليهم ، بقتل

(١) أي : وهو يقول :

إِنَّ عَلَى أَهْلِ الْلَّوَاءِ حَقًا إِنْ يَخْضُبُوا الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقَا

(٢) هكذا في «شرح المواهب» وبه جزم ابن إسحاق .

حاملي لواهم .. بقي اللواء ملقى في الأرض لا يلتفت إليه .
ثمَّ أخذته عمرة بنت علقة الحارثية^(١) ، ورفعته لهم ،
فاستداروا به ، واجتمعوا عنده ، وفي ذلك يُعَيِّرُهم سيدنا
حسان رضي الله عنه بقوله :

ولِيَ الْبَأْسَ مِنْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ
أُسْرَةُ مِنْ بَنِي قُصَيٍّ صَمِيمٌ
عَمَرْتُ حَمْلَ اللَّوَاءِ وَطَارْتُ
فِي رَعَاعٍ^(٢) مِنَ الْقَنَا مَخْزُومٌ
لَمْ تُطِقْ حَمْلَهُ الْعَوَاقِقُ مِنْكُمْ
إِنَّمَا يَحْمِلُ اللَّوَاءِ النَّجُومُ

اشتغال الرماة بالغنائم عن الحرب :

ثمَّ تبعهم المسلمون حتى أزالوه ، ووقفوا يتتهبون
العسكر ، ويأخذون ما فيه من الغنائم ، واشتغلوا عن الحرب
(ورَغِبَا في المغنم) بفتح الميم الأولى ؛ أي : في أخذ الغنمية
(الرِّمَادُ) جمع رام بالنبل وهم الخمسون الذين أمرهم الرسول
عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يثبتوا في مركزهم على جبل عينين ،
وأميرهم عبد الله بن جُبَير (حين استُلْبِيَا) بالبناء للمفعول ؛
أي : أخذ اللواء من أيدي المشركين ، ويبقى ملقى بالأرض ،
حتَّى أخذته عمرة الحارثية .

(١) قال في « شرح المواهب » عن البرهان : (لا أعلم لها إسلاماً ، والظاهر : هلاكها على
دينها) اهـ

(٢) الرَّاعِ : الأحداث الطغام .

وَخَالَفَ الرِّمَاءُ أَمْرَ الْمُضْطَفَى
بِالصَّبَرِ وَالثَّبَاتِ خَلْفَ الْحُنَفَا
فَكَرَّ رَاجِعًا بِكُلِّ حَارِدٍ
فَتَرَكُوا ظُهُورُهُمْ لِخَالِدٍ

(وخالف الرِّمَاءُ) أي : أكثرهم (أَمْرَ المُضْطَفَى) صلى الله عليه وسلم (بالصبر) في موطن الحرب ، (والثبات خلف الحُنَفَا) المجاهدين ، وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلَامُ : « إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَّفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرُحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ هَذَا ، حَتَّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزِمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَانَاهُمْ ، فَلَا تَبْرُحُوا حَتَّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ » لكن رئيس الرِّمَاءِ عبد الله بن جُبَيرٍ في أقل من عشرة من أصحابه لم يخالف ، بل ذَكَرُهُمْ أُمْرُهُ صلى الله عليه وسلم بالصبر والثبات فقالوا : لم يُرِدَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا ، وَقَدْ انْهَمَ الْمُشْرِكُونَ ، فَمَا بَقَوْنَا هَنَا ؟ فَانْطَلَقُوا يَتَّبِعُونَ الْعَسْكَرَ ، وَيَتَهَبُونَ مَعْهُمْ ، وَأَخْلَوُا الْجَبَلَ ، حَتَّىٰ كَانَ مِنْ شَوْءِ الْمُخَالَفَةِ لِهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُمْرِهِ مَا أَشَارَ لَهُ النَّاظِمُ بِقُولِهِ :

حَمْلَةُ خَالِدٍ عَلَىٰ مَنْ بَقَىٰ مِنَ الرِّمَاءِ :

(فَتَرَكُوا) أي : المسلمين (ظُهُورُهُمْ لِخَالِدٍ) بن الوليد ، وقد أسلم رضي الله عنه بعد الحُدُبِيَّة مرجع النبي صلى الله عليه وسلم منها (فَكَرَّ) بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ ، يَتَعَدَّى بِعْلَى ، بِمَعْنَى عَطْفٍ ، وَيَعْنِي : بِمَعْنَى رَجْعٍ ، فَقُولُهُ : (رَاجِعًا) حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ عَلَى الثَّانِي ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ لَمَّا نَظَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى خَلَاءِ الْجَبَلِ مِنَ الرِّمَاءِ ، وَقَلَّةُ أَهْلِهِ .. كَرَّ بِالْخَيْلِ (بِكُلِّ) رَجُلٍ (حَارِدٍ) أي : غَضِبَانٍ ، فَحَمَلُوا عَلَىٰ مَنْ بَقَىٰ مِنَ الرِّمَاءِ

فقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير ، وانتقضت صفوف المسلمين .

شئم مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم :

(وحالت الريح) قلت : يصح قراءته بالجيم المعجمة ، من الإجالة بمعنى الإدراة ، والمراد بالريح : القوة ؛ أي : ودارت القوة للعدو على المسلمين بشئم المخالفة ، ويصح قراءته بالحاء المهملة ؛ أي : حالت الريح ، وتغيرت إلى دبور ، بعد أن كانت صباً ، والله أعلم (ودارت الرحى) أي : رحى الحرب .

قال في « روض النهاة » : (إن أراد بها حومة الحرب .. فحسية ، وإن أراد الرحى المعروفة .. فاستعارة عن انقلابها إلى الهزيمة ، إكراماً وتحميساً للمسلمين ، أكرم الله تعالى من أكرم منهم بالشهادة) .

روى الإمام أحمد والحاكم عن ابن عباس : أنهم لما رجعوا .. اختلطوا بالمرتدين ، والتبس العسكريان ، فلم يتميزوا ؛ أي : حتى صاروا يقاتلون من غير شعارهم الذي هو : (أمت أمت) فوق القتل في المسلمين بعضهم في بعض (وذاق من خالقه) صلى الله عليه وسلم عاقبة (ما اجترحا) أي : اكتسب من المخالفة .

شعار المسلمين

وَصَرَخَ الصَّارِخُ أَنْ مَاتَ النَّبِيُّ فَأَرْتَهُمْ بِالذَّاكَرِ كُلَّ الرَّهَبِ
وَقَالَ إِذْ ذَلِكَ : « لَوْ كَانَ لَنَا » مِنْ دَهْشٍ قَائِلُهُمْ فَأَفْتَنَا

إعلان موت الرسول
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كذباً

(وصرخ) أي : صاح (الصارخ) إبليس اللعين وقد تصور في صورة جعال بن سراقة (أن مات النبي) صلى الله عليه وسلم ؛ ليُرْهَب بذلك المؤمنين (فارتهبوا لذاك) الخبر المشؤوم (كل الرهاب) الخوف ، وقيل : إنَّ الصارخ هو عبد الله بن قميئه بوزن سفينه ، لما قتل مصعب بن عمير ، فظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّه كان يشبهه إذا لبس اللامة ، فصاح : أن قتلتُ محمداً .

موقف المسلمين بعد
الإعلان الكاذب

قال موسى بن عقبة : ولما فُقدَ عليه الصَّلاةُ والسَّلَامُ قال رجل منهم : إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُدِّمَ قُتْلُ ، فارجعوا إلى قومكم ؛ ليؤمِّنُوكُمْ قبل أن يأتُوكُمْ فيقتلوكم ، فإنَّهُمْ دَخَلُوا بَيْوْتَهُمْ .

وقال آخرون : إنَّ كَانَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُتْلُ ، أَفَلَا تَقَاتِلُونَ عَلَى دِينِكُمْ ، وَعَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ نَبِيُّكُمْ ، حَتَّى تَلْقَوْا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ شَهَادَةً ؟ مِنْهُمْ أَنْسُ^(١) بْنُ مَالِكٍ ، شَهَدَ لِهِ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذَ .

مقالة معتب بن قشير

(وقال إذ ذلك) أي : وقت صرخ الصارخ : أن مات النبي صلى الله عليه وسلم : (لو كان لنا) من الأمر شيء ما قتلنا

(١) قال اليعمري في « عيون الأثر » : (كذا وقع في هذا الخبر أنس بن مالك ، وإنما هو أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك بن النضر) اهـ

وَنَجْلُ مُطِعْمٍ جُبَيْرٌ إِذْ قَاتَلَ حَمْزَةُ عَمَّهُ طُعَيْمَةَ احْتَفَلَ
لِقَاتِلِهِ بِأَنْ عَلَيْهِ ذَمَّرَا وَحَشِيَّهُ يَوْمَئِذٍ وَحَرَّرَا

ههنا ، قوله صادراً (من دهش) وتحير ، وفاعل قال :
(قائلهم) معتب بن قشير ، وكان يرمي بالنفاق ، وقيل : كان
منافقاً (فاقتتنا) أي : وقع في الفتنة بتلك المقالة ، وقيل : لم
يكن منافقاً ؛ لأنَّه شهد بدرأً ، ولم يشهدها منافق .

استشهاد سيدنا حمزة :

(ونجل مطعم) بن عدي بن نوفل بن عبد مناف (جبير)
بدل من نجل (إذ قتل حمزة) بن عبد المطلب ، ففاعل قتل ،
والمفعول (عمَّه طعيمة) بن عدي ؟ يعني : أنَّ حمزة عم النبي
صلى الله عليه وسلم ، لما قتل بدر طعيمة عم جبير .
(احتفل) أي : تهيأ نجل مطعم (لقاتله) أي : حمزة ، وذلك
(بأنْ عليه) يتعلق بقوله : (ذمرا) بألف الإطلاق ؛ أي : بأن
حضرَ عليه (وحشيه) غلامه المدعو وحشياً بن حرب
الجاشي ؛ فلذلك أضافه إلى ضميره (يومئذ) أي : يوم أحد
(وحررا) أي : جعله حرراً إن هو قتله .

روى الإمام البخاري في « صحيحه » بسنده إلى جعفر بن
عمرو بن أمية الضميري قال : (خرجت مع عبيد الله بن
عدي بن الخيار ، فلما قدمنا حمص .. قال عبيد الله بن عدي :
هل لك في وحشى نسأله عن قتل حمزة ؟ قلت : نعم ، وكان
وحشى يسكن حمص ، فسألنا عنه ، فقيل لنا : هو ذاك في ظل

رواية وحشى رضي الله
عنه قتله لسيد الشهداء

قصره ، كأنه حَمِيت^(١) ، قال : فجئنا حتى وَقَفَنَا عَلَيْهِ بِيَسِيرٍ ، فسلَّمنَا ، فرَدَ السَّلَامَ ، قال : وَعَبِيدُ اللَّهِ مُعْتَجِرٌ^(٢) بِعِمَامَتِهِ ، مَا يَرَى وَحْشِيٌّ إِلَّا عَيْنِيهِ وَرَجْلِيهِ ، فَقَالَ عَبِيدُ اللَّهِ : يَا وَحْشِيٌّ ؟ أَتَعْرَفُنِي ؟ قال : فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قال : لَا وَاللَّهُ ، إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ : أَنَّ عَدِيًّا بْنَ الْخِيَارِ تَزَوَّجُ امْرَأَةً يَقَالُ لَهَا : أُمُّ قَتَالِ بَنْتِ أَبِي الْعِصْ ، فَوُلِدَتْ لَهُ غَلَامًا بِمَكَةَ ، فَكَنْتُ أَسْتَرْضِعُ لَهُ ، فَحَمَلَتْ ذَلِكَ الْغَلَامَ مَعَ أُمِّهِ ، فَلَكَانَ إِذَا نَظَرَتْ إِلَيْهِ قَدْمِيَكِ .. نَظَرَتْ إِلَيْهِ^(٣) قال : فَكَشَفَ عَبِيدُ اللَّهِ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قال : أَلَا تَخْبُرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ ؟ قال : نَعَمْ .

إِنَّ حَمْزَةَ قُتْلَ طُعْيَمَةَ بْنَ عَدِيًّا بْنَ الْخِيَارِ بِبَدْرٍ ، فَقَالَ لِي مَوْلَايُ جَبِيرُ بْنُ مَطْعَمٍ : إِنَّ قَتْلَ حَمْزَةَ بِعَمِّي .. فَأَنْتَ حَرْرٌ ، قال : فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيَّنَيْنِ - وَعَيْنَيْنِ : جِبَلُ بِحِيَالِ^(٤) أَحَدٌ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٌ - خَرَجَتْ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقَتَالِ ، فَلَمَّا اصْطَفَوْا لِلْقَتَالِ .. خَرَجَ سِبَاعَ - يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَزَاعِيِّ ثُمَّ الْغُبْشَانِيِّ - فَقَالَ : هَلْ مَنْ مَبَارِزٌ ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ ، فَقَالَ : يَا سِبَاعَ ؟ يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارَ ، مَقْطَعَةً

(١) بوزن رغيف : زق كَبِير لِلْسَّمِنِ ، يُشَبِّهُ بِالرَّجُلِ السَّمِينِ .

(٢) بجيم معجمة مكسورة ، بأن يلف العمامة على الرأس من غير أن يدبرها على حنكه .

(٣) قال الشهاب القسطلاني : (إِنَّ شَبَهَ قَدْمِيَهُ بِقَدْمِ الْغَلَامِ الَّذِي حَمَلَهُ ، فَكَانَهُ هُوَ هُوُ ، وَكَانَ بَيْنَ الرَّؤْيَتَيْنِ نَحْوَ مِنْ خَمْسِينَ عَامًا) اهـ

(٤) بكسر الحاء المهملة ؛ أي : من ناحيته .

البظور^(١) ، أتحادُ الله ورسوله صلَى الله عليه وسلم ، قال : ثمَ شدَّ عليه ، فكان كأمس الذاهب .

قال : وكَمْنَتْ لِحْمَزَةَ تَحْتَ صَخْرَةً ، فَلَمَّا دَنَا مِنِي .. رَمَيْتَه بحربتي ، فأَضْعَعُهَا فِي ثُنْثَةٍ - يَعْنِي عَانَه - حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرْكَيْه ؛ قَالَ : فَكَانَ ذَلِكَ آخِرُ الْعَهْدِ بِهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ .. رَجَعَتْ مَعْهُمْ ، فَأَقْمَتْ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَّا فِيهَا الإِسْلَامُ . ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الطَّائِفَ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ الله صلَى الله عليه وسلم رَسُولًا ، فَقَيْلَ لِي : إِنَّهُ لَا يَهْيِجُ الرُّسُلَ ، قَالَ : فَخَرَجَتْ مَعْهُمْ ، حَتَّى قَدَمَتْ عَلَى رَسُولِ الله صلَى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا رَأَيْتَه .. قَالَ : « أَنْتَ وَحْشٌ ؟ » قَلَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : « أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ ؟ » قَلَتْ : قَدْ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ بَلَغْتُ ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « فَهَلْ تَسْتَطِعُ أَنْ تَغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِي ؟ » قَالَ : فَخَرَجَتْ .

فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ الله صلَى الله عليه وسلم ، فَخَرَجَ مُسِيلَمَةُ الْكَذَابَ ، قَلَتْ : لَا يَرْجِعُ إِلَى مُسِيلَمَةَ ، لَعَلَّيُ أَقْتَلُه ، فَأُكَافِئُهُ بِهِ حَمْزَةَ ، قَالَ : فَخَرَجَتْ مَعَ النَّاسِ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، فَإِذَا رَجُلٌ فِي ثُلْمَةٍ جَدَارٌ ، كَأَنَّهُ جَمْلٌ أَوْرَقٌ^(٢) ، ثَائِرُ الرَّأْسِ ، قَالَ : فَرَمَيْتَه بحربتي ، فأَضْعَعُهَا بَيْنِ ثَدَيْهِ ، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ

(١) جمع بظر ، وهو اللحمة التي تقطع من فرج المرأة ، الكائنة بين أسكتيها عند ختانها ، وكانت أمها ختانة ، تختن النساء بمكة ، فغيره بذلك .

(٢) أي : لونه مثل الرماد ، وكان ذلك من غبار الحرب . اهـ « فتح »

وَدَقَّهُ فِي شِدْقِهِ أَبْنُ حَرْبٍ فَقَالَ « ذُقْ عَقْقُ » أَيْ ذُقْ حَرْبِي
أَبْلَى بَلَاءَ حَسَنَاً قُرْزَمَانُ عَلَى الْحِفَاظِ فَلَهُ الْخُسْرَانُ

بين كتفيه ، قال : ووَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ^(١) مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَضَرَبَهُ
بِالسِيفِ عَلَى هَامِتِهِ (اهـ)

قال ابن هشام : (فبلغني : أَنَّ وحشياً لَمْ يَزُلْ يُحَدُّ فِي
الْخَمْرِ ، حَتَّى خُلِعَ مِنَ الْدِيَوَانِ ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَابَ
يَقُولُ : قَدْ قَلْتَ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِي دَعَ قاتل حمزة) .

استنكار فعلة أبي سفيان بحمزة بعد استشهاده :

(و) بعدهما قتل وحشى سيدنا حمزة رضي الله عنه (دَقَّهُ فِي
شِدْقِهِ) أَيْ : جَانِبَ فَمِهِ بُزُّجٌ رَمْحَهُ أَبُو سَفِيَانَ صَخْرٌ (بْنُ حَرْبٍ
فَقَالَ : ذُقْ عَقْقُ) بوزن عُمَرَ ، وَهُوَ فَاعِلُ الْعَقْوَقِ ، ضَدُّ الْبَرِّ
أَيْ : ذُقْ يَا عَاقِ جَزَاءَ فَعْلَكِ ؛ فَلَذَا قَالَ : (أَيْ : ذُقْ حَرْبِيِّ) .

قال ابن إسحاق : (إِنَّ سِيدَ الْأَحَابِيَّشِ الْحَلِيْسَ بْنَ زَيَّانَ مَرَّ
بِأَبِي سَفِيَانَ وَهُوَ يَضْرِبُ بُزُّجَ لِرَمْحٍ فِي شِدْقِ سَيِّدِنَا حَمْزَةَ ،
وَيَقُولُ : ذُقْ عَقْقُ ، فَقَالَ الْحَلِيْسُ : يَا بْنَى كَنَانَةَ ؛ هَذَا سِيدُ
قَرِيْشٍ يَصْنَعُ بَابِنِ عَمِهِ مَا تَرَوْنَ لِحَمَّاً ، فَقَالَ : وَيَحْكُ ! اكْتَمِهَا
عَنِّي ، فَإِنَّهَا كَانَتْ زَلَّةً .

مقتل قزمان العبسي منافقاً كما أخبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بذلك :

(أَبْلَى) بِالْبَنَاءِ لِلْفَاعِلِ ؛ أَيْ : اخْتَبَرَ نَفْسَهُ فِي الْحَرْبِ
(بَلَاءَ) أَيْ : اخْتَبَارًا (حَسَنَاً قُرْزَمَانُ) بِضْمِ الْقَافِ ابْنُ الْحَارِثِ

(١) هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني ، على الأشهر الذي جزم به الواقدي وغيره .

العبيسي ، حليف الأنصار ، فقد قُتِلَ في ذلك اليوم سبعة أو ثمانية من المشركين ، ووصف البلاء بالحسن باعتبار ما يؤول إليه من الظفر والغنية أو الشهادة ، لكن لم يتم ذلك لقزمان ؛ لأنَّه إنَّما كان يقاتل (على الحِفاظ) بكسر الحاء المهملة ؛ أي : الحمية ، والذب عن المحارم ؛ فلذلك قال الناظم :

(فله الخسران) فهو من أهل النار ، كما أخبر بذلك عليه الصَّلاة والسَّلام .

وجاء في قزمان هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله ليؤيدُ هذا الدين بالرجل الفاجر » ولما قتل ذلك العدد .. هُنَّئَ به فقال : كلا ، إن قاتلت إلَّا عن أحساب قومي ، فلما آذته الجراحات .. عمَدَ إلى نفسه فقتلها ، فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم كان شَفِيقاً عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ قزمان من أهل النار » مع ما يرى من فعله ، فقال : أشهد أَنَّك رسول الله ، قال : « وما ذاك ؟ » قال : الذي قلت لنا : « إنَّه من أهل النار » قتل نفسه .

استشهاد أَصْيَرِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ :

(وعكسه) أي : عكس قزمان عمرو بن ثابت بن وَقْشَنَ بن عبد الأشهل (أَصْيَرِ) بالتصغير ، المقاتل في سبيل الله لا حمية ، فإنه لما خرج إلى أُحُد.. وقع الإسلام في قلبه ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛ أَسْلِمْ أَمْ أُقاتِلْ ؟ فقال : « أَسْلِمْ وَقَاتِلْ » فأسلم ، وأخذ سلاحه ،

.....
وقاتل حتى أثبته الجراحات ، فبينما رجال منبني عبد الأشهل يلتمسون قتلهم في المعركة .. إذا هم به ، فقالوا : والله إنَّ هذا للأُصيরم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنَّه لمنكِّر لهذا الحديث .

فسألوه : ما جاء بك يا عمرو هنا ؟ أَحَدَبًا على قومك ، أَم رغبةً في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله ، وأسلمت ، ثُمَّ أخذت سفيسي ، فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثُمَّ لم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إِنَّه من أهل الجنة ». .

(المخردل) بالخاء المعجمة والدال المهملة ؛ أي : المقطوع لحمه في الله (ليس له غير القتال) في سبيل الله (عمل) من أعمال الإيمان ، فدخل الجنة بمجرد الإيمان ، ومن ثُمَّ كان أبو هريرة يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يُصلِّ قَطَّ ، فإذا لم يعرفه الناس قال : أُصييرمبني عبد الأشهل .

ثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم والثابتون معه :
ولمَّا انكشف المسلمون بسبب مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم .. ثبت صلى الله عليه وسلم بجماع ، فروي البيهقي عن المقداد : (فوالذِّي بعثه بالحق ؟ ما زالت قدمه شبراً واحداً ، وإنَّه لفي وجه العدو ، تفيء إليه طائفة من أصحابه مرة ،

وَثَبَّتْ مَعَ الْبَيِّنِيْ أُثْنَاهُ عَشَرْ بَيْنَ مُهَاجِرٍ وَبَيْنَ مَنْ نَصَرْ
مِنْهُمْ أَبُو دُجَانَةَ وَأَبْنُ أَبِي وَقَاصِ الَّذِي أَفْتَدَاهُ بِالْأَبِ

وتفترق مرة ، فربما رأيته قائماً يرمي عن قوسه ، ويرمي بالحجر ، حتى انحازوا عنه) .

(وثبتت مع النبي اثنا عشر) رجلاً ، ولا ثبوت الجبال الرواسي (بين مهاجر وبين من نصر) من الكثمة الأشواوس لحديث البراء في « البخاري » : (لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلاً) .

(منهم أبو دجانية) سماك بن خرشة المتقدم ؛ فإنَّه تَرَسَّ بنفسه دونه صلَّى الله عليه وسلم ، يقع البَلْ في ظهره وهو مُنْحَنٍ عليه ، حتى كثُرَ فِيَه البَلْ . (و) سعد (بن سعد بن أبي وقاص) بن أَهْيَبْ بن عبد مناف^(١) (الذي افتداه)

أبو دجانية سماك بن خرشة رضي الله عنه
سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه

(١) يكُنْيَ أبا إسحاق ، دعا له صلَّى الله عليه وسلم بقوله : « اللَّهُمَّ ؛ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاهُ » رواه الترمذى وابن حبان والحاكم ، فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة ، وممَّا شوهد في إجابة دعائِه : ما رواه الإمام البخاري بسنده إلى جابر بن سمرة قال : (شَكَّا أَهْلَ الْكُوفَةَ سَعْدًا إِلَى عَمِرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَعَزَّلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَارًا ، فَشَكَّوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يَحْسِنُ يَصْلِي ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ؛ إِنَّ هُؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تَحْسِنُ تَصْلِي ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : أَمَا أَنَا وَاللَّهُ .. فَإِنِّي كُنْتُ أَصْلِيَ بَعْنَمِ صَلَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَخْرَمَ عَنْهَا ، أَصْلِيَ صَلَاتَ الْعَشَاءِ فَأَرْكَدَ - أَيْ : أَطْوَلَ - الْقِيَامَ فِي الْأُولَيْنِ ، وَأَخْفَى فِي الْأُخْرَيْنِ ، قَالَ : ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رجلاً أو رجلاً إلى الكوفة ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلُ الْكُوفَةَ ، وَلَمْ يَدْعُ مسجداً إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ ، وَيَشْتَوْنُ عَلَيْهِ مَعْرُوفاً ، حَتَّى دَخَلَ مسجداً لِبَنِي عَبْسَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْهُمْ ، يَقُولُ لَهُ : أَسَامِيَّ بْنُ قَتَادَةَ يَكُنْيَ أَبَا سَعْدَةَ قَالَ : أَمَا إِذَا نَشَدْنَا .. فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِّيَّةِ ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسُّوْيَّةِ ، وَلَا يَعْدُلُ فِي الْقَضِيَّةِ ، قَالَ سَعْدٌ : أَمَا وَاللَّهُ ؛ لَا دَعْوَنَّ بِثَلَاثَ : اللَّهُمَّ ؛ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسَمْعَةً .. فَأَطْلَلَ =

رسول الله صلى الله عليه وسلم (بالأب) ففي « صحيح البخاري » بسنده إلى عبد الله بن شداد قال : سمعت علياً يقول : ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جمع أبويه لأحد إلاً لسعد بن مالك ، فإني سمعته يقول يوم أحد : « يا سعد ؛ ارم ، فداك أبي وأمي » .

طلحة بن عبيد الله رضي

الله عنه

(و) منهم (طلحة) بن عبيد الله الجواد بنفسه ، الفياض بماله ، من قضى نحبه ، وأرضى ربه ، ففي الصحيح بسنده إلى قيس قال : رأيت يد طلحة شلاء ، وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ؛ فقد قاتل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالاً شديداً حين أحدق به المشركون من كل ناحية ، وصار يذب بالسيف من بين يديه ومن ورائه ، وعن يمينه ، وعن شماليه ، يدور حوله ، ويترس بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن هو إلا جنة بنفسه عن رسول الله حتى انكشفوا (وفي) أي : النبي صلى الله عليه وسلم (شلت يده) بالبناء للفاعل والمفعول : أصابها الشلل ، وهو فساد اليد (إذ اتقى) أي : لأن طلحة كان اتقى (النبل) والسيام (بها) أي : بيده

شلل يد طلحة رضي الله عنه

عمره ، وأطل فقره ، وعرضه للفتن . قال : أي : عبد الملك بن عمير أحد الرواة - : وكان بعد إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتني دعوة سعد ، قال عبد الملك : فأنا رأيته بعد سقط حاجبه على عينيه من الكبر ، وإنَّ ليتعرض للجواري في الطريق يغمزهنَّ اهـ ورواه أيضاً مسلم ، وأبو داود ، والنسائي .
مات سعد بالحقيقة من المدينة المنورة ، ودفن بالبيع سنة بضع وخمسين من الهجرة .
رضي الله تعالى عنه . اهـ

وَتَحْتَهُ جَلْسَ أَنْ جَهَضَهُ دِرْعَاهُ وَالْجِرَاحُ فَاسْتَهَضَهُ

حال كون النبل (يضمده) بضم الميم ؛ أي : يقصد النبي صلى الله عليه وسلم .

(وتحته) صلى الله عليه وسلم (جلس) أي : طلحة ، فرفعه حتى استوى على الصخرة (أَنْ جَهَضَهُ دِرْعَاهُ) أي : غلبه عن الصعود درعاه ، وكان ظاهر عليه الصلاة والسلام بين درعين (و) غلبه (الجراح) التي أصابته ذلك اليوم عن الصعود (فاستنهضه) أي : أراد منه بذلك الفعل : أن ينهض عليه الصلاة والسلام ، ويقوى على الصعود .

وفي طلحة يقول سيدنا أبو بكر رضي الله عنه :

شعر أبي بكر رضي الله

عنه

حَمَى نَبِيَ الْهُدَى وَالْخَيْلُ تَبَعَهُ

حتى إذا ما التقوا حامى على الدين

صبراً على الطعن إذ ولت جماعتهم

والناسُ ما بينَ مهزوِّمٍ وَمَفْتُونٍ

يا طلحةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ قد وَجَبْتُ

لَكَ الْجَنَانَ وَكُمْ زُوْجْتَ مِنْ عَيْنِ

يشير بقوله : (يا طلحة بن عبید الله قد وجبت) إلى قوله

صلى الله عليه وسلم لطلحة في ذلك اليوم : « أوجب طلحة »

أي : أحدث أمراً يستوجب به الجنّة ، قالوا : وكان لطلحة

يومئذِ المقام المحمود .

وفي هذا اليوم سماه طلحة الخير ؛ رضي الله تعالى عنه ،

طلحة الخير رضي الله

عنه

قال في « الهمزية » :

وَالْعَمَرَانِ وَعَلِيٌّ وَعَفَا
إِلَهُنَا عَنِ الَّذِي مِنْهُمْ هَفَا
وَثَبَّتْ نَسِيَّةُ الْمُبَايِعَةَ
قَبْلُ وَعَنْ خَيْرِ الْوَرَى مُدَافِعَةَ

طلحة الخير المُرتضيه رفيقاً

واحداً يوم فرَّتِ الرُّفَقاءُ

فقد كان رضي الله عنه أَعْظَمُ النَّاسِ غَنَاءً وَدَفَاعاً عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(و) ثبت معه صلى الله عليه وسلم (العُمَرَانَ) : أبو بكر
رضي الله عنهم و عمر (و علِيٌّ) بن أبي طالب (و عفَا إِلَهُنَا) بقوله تعالى :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَّقْوَى الْجَمِيعَانِ إِنَّمَا أَسْتَرْلَهُمُ الشَّيْطَانُ
بِعَضٍ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَّ اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (عِنِّي الَّذِي
مِنْهُمْ هَفَا) أي : زَلَّ ، يقال : هفا الرجل : زل ، وهي
الهفوة ، للزلة والسقطة ، ومنه لكل عالم هفوة ، والإنسان كثير
الهفوات ، والزللة في قول المؤمنين الذين جالوا يومئذ : ﴿ لَوْ
كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا فَيْتَنَا هَذِهِنَا ﴾ وأولى بالعفو من لم يقل ،
وهذا بناءً على ما قيل : إِنَّ الْآيَةَ نَزَّلَتْ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
جَالُوا ، وقيل : نزلت في الذين جالوا دون الذين قالوا تلك
المقالة ، كعثمان بن عفان ، وسعد بن عثمان ، وعقبة بن
عثمان من بني زُرِيق ، وعليه فهفا : بمعنى أسرع .
قال في « القاموس » : هفا يهفو هفوا وهفوة : أسرع
وخفّ .

(وثبتت) مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (نَسِيَّةَ)
بالتَّكْبِيرَ ، كَمَا ضَبَطَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ ، وَهِيَ أُمُّ عُمَارَةَ بَنْتَ كَعْبَ
نَسِيَّةَ أُمِّ عُمَارَةَ بَنْتَ
كَعْبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

.....
المازنية^(١) (المبايعة) رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زوجها زيد بن عاصم (قبل) أي : قبل أحد ، وذلك بالعقبة الثانية ، ولم يشهدها من النساء إلّا هي وأختها ، كما قاله في « الإصابة » .

(وعن خير الورى مدافعاً بالسيف ضرباً ، والقوس رمياً ، دفاع الكمة الأبطال رضي الله عنها ، فإنها قالت : خرجت أول النهار ، حتى انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقمت أباشر القتال ، وأذبّ عنه صلى الله عليه وسلم بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت - أي : وصلت - الجراح إلى ، أصاتيبي ابن قميّة أقمأه الله ، لما ولّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أقبل يقول : دلعني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، قالت : فاعتبرت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممّن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ، ولكن ضربته على ذلك ثلاثة ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع : فرأيت على عاتقها

(١) من بنى مازن بن النجار الأنصارية ، قال أبو عمر : (شهدت العقبة وأحداً مع زوجها زيد بن عاصم ولديها حبيب ، وعبد الله ، وشهدت بيعة الرضوان ، وجرحت يوم اليمامة اثنتي عشرة جراحة ، وقطعت يدها ، وحبيب هو الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى مسيلة الكذاب بكتاب ، فقال له : أتشهد أنَّ محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فقال : أتشهد أنَّ رسول الله ؟ فيقول : أنا أصم ، قال له ذلك مراراً ، فقطعه - لعنه الله - عضواً) اهـ

وَجُرَحَتْ فِيهِ وَشَلَّتْ يَدُهَا
وَلِلْتَّبَرِكِ الْوَرَى تَقْصِدُهَا
فِي حُفْرَةٍ وَقَعَ خَيْرُ مُرْسَلٍ
فَنَاشَهُ طَلْحَةُ وَالصَّهْرُ عَلِيٌّ

جرحاً أجوف له غور ، وكان معها يقاتل ابناها ، عبد الله وحبيب ابنا زيد بن عاصم ، قال عليه الصلاة والسلام لابنها عبد الله : « بارك الله عليكم من أهل بيته ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ، ومقام ربيك - يعني غزية بن عمرو زوج أمك - خير من مقام فلان وفلان ، ومقامك خير من مقام فلان وفلان رحمكم الله أهل بيته » .

قالت أم عمارة : ادع الله أن نرافقك في الجنة ، قال : « اللهم ؟ اجعلهم رقائفي في الجنة ». قالت : ما أبالي ما أصابني من الدنيا أو جرحت .

(وجُرِحَتْ فِيهِ) أي : في دفاعها ذلك محمود اثنى عشر جرحاً ، ما بين طعنة برمج ، وضربة بسيف (وَشَلَّتْ) أي : بيسط (يدها) وعاشت بعد ذلك دهراً يقصدها الناس تبركاً ، كما قال (ولِلْتَّبَرِكِ الْوَرَى تَقْصِدُهَا) من مسافة بعيدة ، فتمسح يدها الشّلاء على العليل ، وتدعوه له ، فيشفيه الله تعالى .

ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد :

(في حُفْرَةٍ) من الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون (وَقَعَ خَيْرُ مُرْسَلٍ) صلى الله عليه وسلم (فَنَاشَهُ) أي : تناوله (طَلْحَةُ) بن عُبَيْدَ اللَّهِ التَّيْمِيِّ السابق (وَالصَّهْرُ عَلِيٌّ) بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فأخذ

الجروح التي أصابتها
رضي الله عنها

وقوع النبي صلى الله
عليه وسلم في حفرة
حفرها أبو عامر

إِذْ عَتْبَةُ هَشَّ رَبَاعِيَّةً وَشَقَّ مِنْ شِقْوَتِهِ شَفَّةً

عليٌّ بيده ، واحتضنه طلحةً حتى استوى قائماً .

كسر رباعية النبي صلى الله عليه وسلم (إذ عتبة) أي : وقع صلى الله عليه وسلم في حفرة حين عتبة بن أبي وقاص (هشّ) أي : ضرب فكسر (رباعيته) بفتح الراء وتحريف الياء ، السن التي بين الشين والناب ؛ لأنَّه رماه بأربعة أحجار ، فكسر حَجَرٌ منها رباعيته اليمنى السفلَى ، كما في رواية ابن هشام .

قال في « شرح المواهب » : (والمراد : أنَّها كسرت فذهب منها فلقة ، ولم تقع من أصلها ، قاله في « الفتح ») .

(وشق) عتبة (من شقوته) مثلث الشين ؛ أي : من شقائه (شفته) صلى الله عليه وسلم السفلَى .

روى ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص : ما حرصت على قتل رجل قُطُّ حرصي على قتل أخي عتبة لما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشتدَّ غضب الله على من دمَّ وجه رسوله » .

واعلم : أنَّه ليس في شيء من الآثار ما يدل على إسلامه ، بل فيها ما يصرح بموته على الكفر ، قاله في « شرح المواهب » .

قال السهيلي في « الروض » : (لم يولد من نسله ولد فيبلغ الحلم إلَّا وهو أبخر ، أي متن الفم ، أو أهتم ، أي

شُؤم الآباء على الأبناء

مكسور الثنایا من أصلها ، يعرّف ذلك في عقبه) اهـ

قلت : وهذا من شؤم الآباء على الأبناء ، نسأل الله السلامة
والعافية بمنه وكرمه .

دعاة النبي صلى الله عليه وسلم على ابن قمئه (وشجه) عليه الصلاة والسلام عبد الله (بن قمئه)
ويقال : ابن قمئه ، في وجنته ، فدخلت فيها حلقتان من
المغفر ، وقال حين ذاك : خذها وأنا ابن قمئه ، فقال صلی الله
عليه وسلم : « أقمأك الله » أي : أذلك وصغارك^(١) .

عبد الله بن شهاب الزهري (و) عبد الله (ابن شهاب) الزهري ، وقد أسلم بعد ذلك
رضي الله عنه ، وهو جد الإمام محمد بن مسلم بن عبد الله بن
عبيد الله بن شهاب الزهري ، شيخ الإمام مالك ، قيل له :
أكان جدك عبد الله شهد بدرأ ؟ فقال : نعم ، ولكن في الجانب
الآخر ، وأخو عبد الله هذا عبد الله الأكبر من مهاجرة الحبشة ،
ومات بمكة قبل الهجرة رضي الله عنه .

قال في « الهمزية » مُعرِّباً أنَّ هذه الشجة زادته حسناً
وجمالاً على حسنه وجماله :

مظِّهِرٌ شَجَّةُ الْجَيْنِ عَلَى الْبُرِّ
كَمَا أَظْهَرَ الْهَلَالَ الْبَرَاءُ

(١) قد استجاب الله دعاءه صلی الله عليه وسلم فيه ؛ فإنه بعد الوعقة خرج إلى غنمه ، فرأفأها
على أعلى الجبل ، فأخذ يعترضها ، فشدَّ عليه كبسها ، فنطحه نطحة أرداه من شاهق
الجبل ، فتقطع .

وَأَزْدَرَ الدَّمَ أَبُو الْخُدْرِيٍّ وَأَنْتَزَعَ الْحَلْقَةَ فِي الْتَّبِيِّ

سُرِّ الحُسْنُ مِنْهُ بِالْحُسْنِ فَاعْجِبْ

لِجَمَالٍ لِهِ الْجَمَالُ وِقَاءُ

فَهُوَ كَالْزَّهْرَ لَاحٌ مِنْ سُجْفَ

الْأَكْمَامِ وَالْعُودِ شُقَّ عَنْهُ الْحَاءُ

وَقَالَ سَيِّدُنَا حَسَانٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي وَصْفِ جَبِينِهِ

الشَّرِيفِ وَأَحْسَنَ :

مَنْ يَبْدُ فِي الدَّاجِي الْبَهِيمَ جَبِينُهُ

يَلْحُ مِثْلَ مَصْبَاحِ الدُّجَى الْمُتَوَقِّدِ

فَمَنْ كَانَ أَوْ مَنْ قَدْ يَكُونُ كَأَحْمَدٍ

نَظَامًا لِحَقٍّ أَوْ نَكَالًا لِمُلْحِدٍ

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (مَا سَعَ) صَبَّ (سَحَابَ)

بِالْمَطَرِ ، وَاتَّصَلَتْ عَيْنُونَ بِنَظَرِهِ ، وَالْمَقْصُودُ : الدُّعَاءُ

الْمُسْتَمِرُ .

(وَازْدَرَدَ) أَيْ : ابْتَلَعَ (الْدَّمَ) مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَيْ : دَمَ جَرَاحَاتِهِ مَالِكَ بْنَ سَنَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

وَهُوَ (أَبُو) أَبِي سَعِيدِ (الْخُدْرِيِّ) وَحِينَ امْتَصَهُ قَالَ عَلَيْهِ

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ مَسَّ دَمِيْ دَمَهُ لَمْ تَصْبِهِ النَّارُ » .

وَفِيهِ مِنَ الْفَقِهِ أَنَّ دَمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْالِفُ

غَيْرِهِ مِنَ الدَّمَاءِ فِي التَّحْرِيمِ ، وَأَنَّ دَمَهُ طَاهِرٌ ، حِينَ لَمْ يَغْسِلْ

مِنْهُ فَمَهُ ، وَلَمْ يَأْمِرْهُ بِذَلِكَ .

وَصَفَ جَبِينَهُ الشَّرِيفَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَبُو عَبِيْدَةِ فَكَانَ أَثْرَمَا
بِسَاقِطِ الشَّيْئَيْنِ أَعْلَمَا
جَاءَ لِيُشْرَبَ شَفِيعُ النَّاسِ
بِمِلْءِ دَرْقَةٍ مِنَ الْمِهْرَاسِ

(وانتزع الحلقة) من المغفر (في) جرح (النبي) صلى الله عليه وسلم الذي جرّحه ابن قمئة ، وهم حلقتان ، وفاعل انتزع هو قوله : (أبو عبيدة) عامر بن الجراح انتزع إحداهما ، فسقطت ثيته ، ثم انتزع الأخرى ، فسقطت ثيته الأخرى (فكان) أبو عبيدة (أثرمًا) بفتح الهمزة وهو ساقط الشيتين أو إحداهما ، والرّباعيات ، وهو هنا ساقط الشيتين ، فلذلك قال : (بساقط الشيتين) والباء سبية .

وقوله : (أعلمًا) خبر بعد خبر لكان .

والأعلم كأحمر : الرجل المشقوق الشفة العليا ، ومؤنثه علماء ، ويعادل الأفلح ، وهو : مشقوق الشفة السفلية ، قال العلّامة الزمخشري في أبيات :

ومذ أفلح الجهال أيقنت أنّي
أنا الميم والأيام أفلح أعلم

(بملء دُرْقَة) بالتحريك وقد تسكن الراء كما هنا :
الجَحَفَةَ^(١) (من المهراس) بيان لقوله : (بملء) المتعلق بقوله : (جاء) والمهراس ، بكسر الميم : صخرة منقرفة تمسك الماء فيتوضاً منه ، شبه بالمهراس الذي هو الهاون ، قال السهيلي : (وهم المبرد ، فجعل المهراس اسمًا علمًا

(١) هي الترس .

للمهراس الذي بأحد خاصة ، وإنما هو اسم لكل حجر نقر ،
فأمسيك الماء) .

يعني : أنه لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب .. جاء بالماء الذي ملأ به الدرقة (ليشرب شفيع الناس) صلى الله عليه وسلم منه (حيدرة) لقب سيدنا علي رضي الله عنه ، وهو فاعل لجاء ، فلما جاء به .. وجد له ريجا (فعافه) أي : كرهه ولم يشرب منه (ورضا) بالحاء المهملة المفتوحة : أي غسل (عن وجهه) الشريف (الدم) وصب على رأسه (فجاز) سيدنا علي رضي الله عنه (بالرضا) من الله تعالى ، ومن رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال في « شرح المواهب » : (وهذا وقع قبل انصراف الكفار من عليٍّ وحده ، ثمَّ لَمَّا انصرفوا - كما في رواية الطبراني - أتت السيدة فاطمة رضي الله عنها فجعلت تغسل ، وعلى يسبُّ ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول : « اشتَدَّ غضب الله على من دَمَّ وَجْهَ نَبِيِّهِ » رواه البخاري) .

قال في « روض النهاة » : (إِنَّ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَا يَغْسِلَانِ الدَّمَ ، وَيَزِدَادُ سِيلَانًا ، فَعَمَدَتِ السَّيْدَةُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ ، وَوَضَعَتْهُ فِي الْجَرْحِ ، فَرَقَ الدَّمَ ، وَأَعْطَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ سِيفَهُ ، وَقَالَ : « اغْسِلِي يَا بَنِيَّهُ هَذَا ، فَقَدْ وَالله صدقني

الصَّحَابَةِ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
الْقَتَالَ

الْيَوْمِ^(١) ثُمَّ نَأَوَلَهَا عَلَيْهِ سِيفَهُ، وَقَالَ: وَهَذَا فَاغْسِلِيهِ، فَقَدْ
صَدَقَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ كُنْتَ
أَحْسَنَتِ الْقَتَالَ، فَقَدْ أَحْسَنَهُ مَعَكَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتَ،
وَأَبُو دُجَانَةَ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةَ، وَسَهْلِ بْنِ حُنَيْفَ» وَقَالَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَفَاطَمَ هَاءُ السَّيْفَ غَيْرَ ذَمِيمٍ
فَلَسْتُ بِرِعْدِيٍّ وَلَا بِلَثِيمٍ
وَهَبَّتْ يَوْمَئِذٍ رِيحٌ سَمِعُوا فِيهَا قَائِلًا يَقُولُ:
لَا سِيفٌ إِلَّا ذُو الْفَقَادَ

رِ وَلَا فَتَنَّى إِلَّا عَلِمَى

مَقْدَارَ مَحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
نَفُوسِ الصَّحَابَةِ رَضْوَانُ
اللَّهِ عَلَيْهِمْ

وَمِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرِ اِمْرَأٍ مِّنْ بَنِي النَّجَارِ،
ثُمَّ مِنْ بَنِي دِينَارٍ وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجَهَا وَأَخْوَهَا وَأَبْوَهَا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ، فَلَمَّا نَعَوا إِلَيْهَا..
قَالَتْ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: خَيْرًا
يَا أُمَّ فَلَانَ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تَحِبُّينَ، قَالَتْ: أَرَوْنِيهِ حَتَّى
أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ، حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ.. قَالَتْ: كُلُّ مَصِيرَةٍ
بَعْدَكَ جَلَلٌ؛ أَيْ: حَقِيرَةٌ.

قَلْتَ: وَمَنْ هَذَا تَعْرِفُ مَقْدَارَ مَا يَحْمِلُ الْأَصْحَابُ الْكَرَامُ
مِنْ مَحْبَةِ صَادِقَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا فَرْقَ بَيْنَ

(١) هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ بِسِيفِهِ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ حَتَّى أَصَابَهُ الدَّمُ.

صغير وكبير ، ورجل وامرأة .

وإليك حادثة أخرى من هذا الطراز تزداد بها حباً ، ويقيناً ،
وإيمانًا وعقيدة في شأن هؤلاء السادة الأبطال العظام الذين يفخر
بهم الإسلام .

يقول العلامة المقرizi في « الإمتاع » : (حرج عمرو بن الجموح وهو أعرج إلى أحد وهو يقول : اللهم ؛ لا ترددني إلى أهلي ، فقتل شهيداً ، واستشهد ابنه خلاد وعبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي ، فحملتهم هند بنت عمرو بن حرام زوجة عمرو بن الجموح على بعير لها تريد بهم المدينة ، فلقيتها عائشة رضي الله عنها وقد خرجمت عائشة في نسوة تستروح الخبر ، ولم يضرب الحجاب يومئذ .

قالت لها : عندك الخبر ، فما وراءك ، أمّا رسول الله .. فصالح ، وكل مصيبة بعده جلل ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء ، وردد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً ، قالت عائشة : من هؤلاء ؟ قالت : أخي وابن خلاد وزوجي عمرو بن الجموح ، قالت : فأين تذهبين بهم ؟ قالت : إلى المدينة أقربُهم فيها ، ثم قالت : حل - تزجر بعيرها - فبرك . قالت عائشة : لِمَا علية ، قالت : ما ذاك به ، لربما حمل البعيران ، ولكنني أراه لغير ذلك ، وزجرته فقام ، فوجّهْتُه راجعةً إلى أحد ، فأسرع . فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك ،

استشهاد عمرو بن الجموح وابنه

هند بنت عمرو بن حرام
تحمل الشهداء إلى
المدينة

هند رضي الله عنها تخبر
عائشة رضي الله عنها
أباء المعركة

«إِنَّ مِنْكُمْ يَا مُعْشِرَ الْأَنْصَارِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَأَهُ»
فقال : «إِنَّ الْجَمْلَ مَأْمُورٌ ، هَلْ قَالَ عُمَرُ شَيْئاً؟» قَالَتْ : إِنَّ عُمَراً لَمَا وُجِهَ إِلَى أُحْدٍ.. قَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَرْدَنِي إِلَى أَهْلِي حَزِيْنَ ، وَارْزَقْنِي الشَّهَادَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «فَلَذِكَ الْجَمْلُ لَا يَمْضِي ، إِنَّ مِنْكُمْ يَا مُعْشِرَ الْأَنْصَارِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ.. لَأَبْرَأَهُ ، مِنْهُمْ : عُمَرُ بْنُ الْجَمْوَحِ ، يَا هَنْدَ ؛ مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَظْلَةً عَلَى أَخِيكَ مِنْ لَدُنْ قُتْلِهِ إِلَى السَّاعَةِ ، يَنْظَرُونَ أَيْنَ يَدْفَنُ» ، ثُمَّ مَكَثَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَتَّى قَبْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ : «يَا هَنْدَ ؛ قَدْ تَرَافَقُوا فِي الْجَنَّةِ عُمَرُ بْنُ الْجَمْوَحِ وَابْنُهُ خَلَادُ وَأَخْوَهُ عَبْدُ اللَّهِ» قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَهُمْ (اهـ)

كمال إيمان الصحابة
رضوان الله عليهم

وهذه الحوادث مشهورة في كتب السير الصحيحة ، وفيها
برهان واضح على كمال إيمان هؤلاء الأصحاب الكرام ،
ومنهم تلك المرأة التي أُصيبت بزوجها عميد أسرتها ، وابنها
فلذة كبدتها ، وأخيها في يوم واحد ، مبتهجة قائلة : كل مصيبة
دونك يا رسول الله جلل .

الواجب في حب
الصحابـة رضوان الله
عليـهم

نعم ؛ صدقت ، وصدقـوا ؛ لـأنـهم أخـبرـوا بـأمرـ وـاعـيـ تـكـنهـ
صـدـورـهـمـ وـتـعـرـبـ عنـهـ أـسـتـهـمـ ، وـهـذـاـ العـمـلـ الـخـالـدـ الـمـبـرـورـ
مـنـهـمـ قـلـلـ مـنـ جـلـ ، مـمـاـ يـعـبـرـ عـنـ مـحـبـتـهـمـ الصـادـقـةـ وـإـيمـانـهـمـ
الـكـامـلـ ، وـحـسـبـهـمـ شـرـفـأـ ثـنـاءـ اللـهـ عـلـيـهـمـ فـيـ الـكـتـابـ الـقـدـيـمـ قـبـلـ
بـرـوـزـهـمـ إـلـىـ هـذـاـ الـوـجـودـ ، فـجـدـيـرـ بـنـاـ أـنـ تـنـخـذـ لـهـمـ مـنـ سـوـيـدـاءـ
قـلـوبـنـاـ مـحـلـاـ نـجـعـلـهـمـ فـيـهـ ، وـنـتـخـذـ لـنـاـ مـنـ أـمـثـالـ هـذـهـ الـحـوـادـثـ

نصح وتوجيه

درساً نقتدي بهم فيه ؛ حتى ننال سعادة الدارين بشرف هذا الحب الخالص ، وجدير بأنينا وشبابنا أن يتخذوا من سيرة الرسول العطرة وأصحابه الكرام ما يجعلونه سميرهم في هذه الحياة .

باء قنادة والمعجزة في حادثة عينه :

(قتادة) أي : ممَّن ثبت قنادة بن النعمان بن زيد الأوسي^(١) (دو العين) التي أصيَّبت يوم أحد ، فوقعت على وجنته ، فأتَى بها النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال له : « إن شئت صبرت ، ولَكَ الجنة ، وإن شئت رددتها ودعوت الله لك ، فلَمْ تفقد منها شيئاً » فقال : يا رسول الله ؛ إنَّ الجنة لجزاء جميل ، وعطاء جليل ، ولكنني رجل مبتلى بحب النساء ، وأخاف أن يقلنَّ أعور ، فلا يرذنني ، ولكن ترددتها وتسأَلُ الله لي الجنة ، فقال : « أَفْعَلْ يَا قَاتَادَةً » ، فـ (ردها النبي) صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بـأَنَّ أَخْذَهَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ ، وردها إلى موضعها ، وقال : « اللَّهُمَّ اكْسِهِ جَمَالًا » .

وروى الطبراني وأبو نعيم عن قنادة : (كنت أتقى السهام بوجهي دون وجهه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكان آخرها سهماً ندرَّتْ منه حدقتي ، فأخذتها بيدي ، وسعيت إلى رسول الله

(١) شهد جميع المشاهد معه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سمعه عليه الصَّلاةُ والسَّلَامُ يقرأ : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » يردها فقال : « وَجَبَتْ » وتوفي سنة ثلث وعشرين عن خمس وستين ، وصلَّى عليه عمر بن الخطاب .

صلى الله عليه وسلم ، فلما رأها في كفي .. دمعت عيناه ،
فقال : « اللَّهُمَّ ؎ قَنْتَادَةَ كَمَا وَقَى وَجْهَ نَبِيِّكَ ، فاجعَلْهَا أَحْسَنَ
عَيْنِيهِ ، وَأَحَدَّهُمَا نَظَرًا » فَكَانَتْ كَذَلِكَ .

قال البرهان في « النور » : (روى الأصمسي عن
أبي عشر قال : قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد
قتادة ، فقال ممَّن الرجل ؟ فقال :
أنا ابن الذي سالت على الخد عينه

فرُدَّتْ بِكَفِ الْمُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدَّ

فعادت كما كانت لأول أمرها
فيَ حُسْنَ مَا عَيْنٍ وَيَا حُسْنَ مَا خَدٌ

فقال عمر :

تَلَكَ الْمَكَارُمُ لَا قَعْبَانٌ مِنْ لَبَنٍ
شِبَّاً بِمَاءٍ فَعَادَ بَعْدُ أَبْوَالَأَ
وَفِي رَوَايَةٍ : فَقَالَ عَمَرٌ : بِمِثْلِ هَذَا فَلِيَتَوَسَّلُ الْمُتَوَسِّلُونَ .
وَوَصَّلَهُ وَأَحْسَنَ جَائِزَتِهِ) .

وقال البوصيري يصف راحته الكريمة عليه الصلاة
والسلام :

وَأَعَادْتُ عَلَى قَتَادَةَ عَيْنَا
فَهِيَ حَتَّى مَمَاتَهِ النَّجَلَاءُ
وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ مَعْجِزَةً لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَمَزِيَّةٌ
لِسَيِّدِنَا قَتَادَةَ ، وَأَشَارَ لِمَزِيَّةِ لَهُ أُخْرَى بِقُولِهِ : (بِقُوسِهِ) أَيِّ :

بقوس النبّي صلى الله عليه وسلم ، وهو يتعلق بقوله :
(حُبِيْ) .

(وقد) أي : والحال أَنَّهَا قد (تَشَظَّتْ) بالبناء للفاعل ؛
أي : تفرقت (حُبِيْ) أي : أُعْطِي قتادة بلا جزاء .

قال ابن إسحاق : « وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرُو بْنُ قَتَادَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَى عَنْ قَوْسِهِ حَتَّى اندَّقَتْ سِيَّتَهَا^(١) ، فَأَخْذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النَّعْمَانَ فَكَانَتْ عَنْهُ ». .

فائدة :

قال في « الحلبيه » : (هذا القوس هو الذي أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحبني قيئقاع لما أجلالهم عن المدينة ، ويسمى : الكَتُوم ؛ لأنَّه لا يسمع له صوت إذا رُمي به) .

أَوَّلُ مَنْ بَشَّرَ الْمُسْلِمِينَ بِحَيَاةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(أَوَّلُ مَنْ عَرَفَهُ) صلى الله عليه وسلم بعد التحدث بقتله ، وخفائه عن أعينهم ، (فَبَشَّرَاهُ بِهِ) منادياً بأعلى صوته : يا معاشر المسلمين ؛ هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. هو كعب (ابن مالك) الخزرجي الشلمي ، العَقَبِي^(٢) (قَرِيبُ) أي :

كعب بن مالك رضي الله عنه أول من عرف بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) هو ما انعطف من القوس .

(٢) قال البغوي : كنَّاه صلى الله عليه وسلم أبا عبد الله ، ولم يكن لمالك ولد غير كعب ، وهو أحد الثلاثة الذين تبَّعَ عليهم في غزوة تبوك ، قال ابن سيرين : قال كعب بيتبين كانا سبب =

فَعَاوَدُوهُ وَتَسَاقَطُوا عَلَيْهِ وَنَهَضُوا لِلشَّعْبِ إِذْ أَوْفَا إِلَيْهِ

شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهورون

سيد (الشّعرا) المجموعين في قول الحافظ السيوطي :
وشعراء المصطفى ذُرُو الشان

ابن رواحة وَكَعْبُ حَسَانٌ

والمراد : الشعراء المشهورون ، وإلأ . فكم له صلى الله عليه وسلم من شاعر يمدحه وينافح عنه من أصحابه .

روى الطبرانيُّ بِرِجَالِ ثَقَاتٍ عَنْ كَعْبٍ : (لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدُّ ، وَصَرَنَا إِلَى الشَّعْبِ.. كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَلَّتْ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ، فَأَشَارَ إِلَيَّ بِيَدِهِ : أَنْ اسْكُتْ ، ثُمَّ أَبْيَسْنِي لِأَمْتَهُ ، وَلِبِسْ لِأَمْتَيْ ، فَقَدْ ضُرِبَتْ حَتَّى جُرِحَتْ عَشْرِينَ جِرَاحَةً ، أَوْ قَالَ : بَضْعَا وَعَشْرِينَ ، كُلُّ مَنْ يَضْرِبُنِي يَحْسِبُنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

عوادتهم للرسول صلى الله عليه وسلم :

(ف) سلماً سمع الصحابة الكرام ذلك (عاودوه) أي :
النبي صلى الله عليه وسلم مسرعين (وتساقطوا) أي : تتابعوا

إسلام دوس ، وهما :

قضينا من تهامة كل وتر
تخرنا ، ولو نطقت لقالت
فواضبئن دوساً ، أو ثقيفاً
بلماً بلغ ذلك دوساً . قالوا : خذوا الأنفسكم ؛ لا ينزل بكم ما نزل بثقيف .
قال ابن حبان : مات أيام قتل علي بن أبي طالب ، وقال البغوي : بلغني أنه مات بالشام في
خلافة معاوية . اهـ ملخصاً من « الإصابة »

فَبَأْيَعُوا عَلَى الْمَمَاتِ الْمُجْتَبَى
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَ الْصَّبَا^١
وَبَعْدَ مَا أَطْمَأَنَّ فِي الْشَّعْبِ عَلَتْ
عَالِيَّةً مِنْ فَوْقِهِمْ فَأَنْزَلَتْ

في وقوعهم (عليه) لكثرتهم ، فلم يكن التتابع توانياً منهم (ونهضوا) معه صلى الله عليه وسلم (للشعب) لينظر حال الناس ، هو بكسر الشين : الطريق في الجبل (إذ أتوا) أي : التجأوا (إليه) صلى الله عليه وسلم .

(فَبَأْيَعُوا عَلَى الْمَمَاتِ الْمُجْتَبَى) أي : المختار (صلَّى
عَلَيْهِ اللَّهُ وَسَلَّمَ) (مَا هَبَ) ريح (الصَّبَا) وهي ريح النصر .

قال يعمر في « العيون » : (لما عرف المسلمون
رسول الله صلى الله عليه وسلم .. نهضوا به ، ونهض معهم
نحو الشعب ، معه أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، وطلحة ،
والزبير ، والحارث بن الصمة ، ورهط من المسلمين ، وقال
موسى بن عقبة : بايده على الموت) .

(وبعد ما اطمأن) رسول الله صلى الله عليه وسلم (في
الشعب) معه أولئك النفر (علت عاليه) جماعة من مشركي
قريش الجبل (من فوقهم) فقال صلى الله عليه وسلم :
« اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلُوْنَا » (فأنزلت) الجماعة
العالية من الجبل لما قاتلهم عمر بن الخطاب ، ورهط من
المهاجرين .

قال يعمر : (ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان

نهوض رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمعاونة
طلحة بن عبيد الله
ودعاؤه له

بَدَنٌ^(١) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَظَاهِرٌ بَيْنَ دِرْعَيْنِ ، فَلِمَّا ذَهَبَ لِيَنْهَضَ .. لَمْ يَسْتَطِعْ ، فَجَلَسَ تَحْتَهُ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَنَهَضَ بِهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَيْهَا) .

قَالَ أَبْنَ إِسْحَاقَ : (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَادَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الرَّبِّيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ الرَّبِّيْرِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ : «أَوْجَبَ طَلْحَةً»^(٢) حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا صَنَعَ) .

قَالَ أَبْنَ هَشَامَ : (وَبِلْغَنِي عَنْ عَكْرَمَةَ عَنْ أَبِنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَبْلُغْ الدَّرْجَةَ الْمَبْنَيَّةَ فِي الشَّعْبِ) .

صَلَّى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بِهِمْ) أَيْ : بِالصَّحَابَةِ (وَقَعَدُوا) مَتَابِعَةً ، أَوْ مِنَ الْجَرَاحِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ (وَقَعَدَا) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (ظُهْرًا) مَعْمُولٌ لِقُولِهِ : (صَلَّى) ، (لِمَا) أَيْ : لِلْجَرَاحِ الَّتِي أَجْهَدَتْهُ ، وَشَقَّتْ عَلَيْهِ ، فَقُولِهِ : (مِنَ الْجَرَاحِ) بِيَانِ لِمَا (أَجْهَدَا) .

قَالَ أَبْنَ هَشَامَ : (وَصَلَّى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظَّهَرَ يَوْمَئِذٍ قَاعِدًا ، مِنَ الْجَرَاحِ الَّتِي أَصَابَتْهُ ، وَصَلَّى الْمُسْلِمُونَ خَلْفَهُ قَعُودًا) .

(١) قَالَ الْبَرْهَانُ : (بَدَنٌ - بَفْتَحُ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ الْمَشَدَّدَةِ - أَيْ : أَسْنَ أوْ ثَقْلَ مِنَ السَّنِ) اهـ «شَرْحُ الْمَوَاهِبِ»

(٢) قَالَ الْيَعْمَرِيُّ : (يَعْنِي : أَحَدُثُ شَيْئًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ الْجَنَّةَ) اهـ

وَأَسْتَبَدَّلْتْ هِنْدُ مِنْ أَلَالِيٍ
قَلَائِدًا مِنْ أَنْفِ الرِّجَالِ
وَطَوَّقْتْ وَحْشِيَّهَا الْفَرِيدَا
وَأَذْبَرَتْ ثُرَدَّهَا النَّشِيدَا

تمثيل هند بنت عتبة بالشهداء :

(واستبدلت هند) بنت عتبة بن ربيعة المتقدم في بدر^(١)
(من اللالي) جمع لولوة : الدر (قلائد) : جمع قلادة ،
وهي ما يجعل في العنق ؛ يعني : أنها جعلت (من أنف الرجال)
قلائد بدلاً من اللالي ، وأنف على أفعى : جمع
أنف .

قال ابن إسحاق : (ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي
معها يمثلن بالقتل) من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يُجَدِّعُنَّ : أي يقطعن الآذان ، والأذوف حتى اتخذت هند من
آذان الرجال وأنفِهِمْ خَدَمَا^(٢) وقلائد ، وأعطت خَدَمَهَا وقلائدها
وقرطها وحشياً كما قال : (وطوقت وحشيه الفريدا) ، وهو
الدر إذا نظم وفصل بغيره ، أي : ألبسته الفريد ، وجعلته طوقاً
في عنقه ، وأضيف إليها ، إما لأنَّه لبني عبد مناف ، وهي من
رؤسائهم يومئذ بمكة ، أو لرضاها عنه يومئذ حتى جعلته
كالابن ، أو لغير ذلك .

(١) أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان بليلة ، وشهدت معه اليرموك ، روى الأزرق
وغيره : أنها لما أسلمت جعلت تضرب صنفها في بيتها بالقدوم فلذة فلذة ، وتقول : كفاني
غورراً .

روى عنها ابنها معاوية وعائشة ، وماتت سنة أربع عشرة .

(٢) بفتح الخاء المعجمة والدال المهملة : الخالخيل ، واحدتها : خدمة .

نَحْنُ جَزِينَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرٍ
وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سُعْرٍ
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرٍ
وَلَا أَخِي وَعَمَّهُ وَبِكْرٍ

نشيد هند فرحاً بقتل
سيد الشهداء حمزة
رضي الله عنه وانتقام
قرיש لقتلة بدر

(وأدَبَرْتُ تُرَدَّدُ النَّشِيدَ) بأعلى صوتها ، وتقول :
(نَحْنُ جَزِينَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرٍ
وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سُعْرٍ^(١)
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرٍ
وَلَا أَخِي وَعَمَّهُ وَبِكْرٍ^(٢))

وبعده :

شَفِيتُ نَفْسِي وَقُضِيَتُ نَذْرِي
شَفِيتَ وَحْشِيُّ غَلِيلَ صَدْرِي^(٣)
فَشُكْرُ وَحْشِيُّ عَلَيَّ عُمْرِي
حَتَّى تَرَمَّ أَعْظُمِي فِي قَبْرِي^(٤)

قال في « روض النهاة » : (ليس بكرها حنظلة بن أبي سفيان ، ولا قيس بن الفاكه ، كما يزعم بعض الجهلة ؛ لأنّ حنظلة أمه صفية بنت أبي العاص عمّة عثمان ، وأمّا قيس بن الفاكه .. فأمّه أم عثمان بنت عم أبيه الفاكه ، وهند أول ما ولدت من الرجال : أبان بن حفص بن المغيرة ، لكن

(١) بضم السين والعين ، وفيها التسكين أيضاً ، وهو المناسب هنا ؛ أي : وال Herb ذات التهاب .

(٢) بكسر الباء ، تريد حنظلة بن أبي سفيان الذي هو كأول أولادها .

(٣) الغليل - بالغين المعجمة - : العطش ، وأيضاً : حرارة الجوف .

(٤) ترم - بقوية مفتوحة فراء مكسورة - أي : تبلّ أعظمي .

لم نقف على أنه قتل يوم بدر ، ولا على نفيه عنه) اهـ

وأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب المطلبية ،

أَخْتُ مُسْطَح بقولها :

خَزِيتِ^(١) فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ

هند بنت أثاثة تجيب

هندأ زوج أبي سفيان

على شماتتها بما حصل

للمسلمين

يا بنت وقاع عظيم الْكُفَّرِ

صَبَحَكِ اللَّهُ غَدَةَ الْفَجْرِ

مِلْهَاشَمِينَ^(٢) الطَّوَالِ الزُّهْرِ

بِكُلِّ قَطَاعٍ^(٣) حُسَامٌ يَفْرِي

حَمْزَةُ لَيْثِي وَعَلَيٌّ صَقْرِي

إِذْ رَامَ شَيْبٌ وَأَبْوَكِ غَدْرِي

فَخَضْبَا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّحْرِ^(٤)

وَنَذْرُكِ السَّوَاءَ فَشَرُّ نَذْرِ

قال في « شرح المواهب » : (قال الحافظ أبو الربيع في

« الإكتفاء » : هذا قول هند والكفر يحققاها ، والوتر يقللها ،

(١) خزيت - بخاء معجمة فزاي - والخزي : الذلة والإهانة ، والواقع - بتشديد القاف : الكثير الواقع في الدنيا .

(٢) بميم مكسورة ، فلام ساكنة : أصله (من الهاشميين) ، فحذفت التون لالتقاء الساكنين ، والزهر - بضم الزاي المتشددة - أي : البيض .

(٣) الحسام - بضم الحاء المهملة - : السيف القاطع ، ويفري - بالتحتية المفتوحة - أي : يقطع .

(٤) رام بمعنى : طلب ، وفاعله (شيب) مرخم من شيبة في غير النداء ، وهو جائز ، وخطب - بالضاد المعجمة المتشددة - وضواحي النحر : ما ظهر منه .

والحزن يُحرقها ، والشيطان ينطقها ، ثم إنَّ الله هداها إلى الإسلام ، وعبادة الله ، وترك الأصنام ، أخذ بمحجزتها عن سوء النار ، ودلَّها على دار السلام ، فصلحت حالها ، وتبدلَت أقوالها ، حتى قالت له صلَّى الله عليه وسلم : والله يا رسول الله ؛ ما كان على أهل الأرض أهلُ خباءٍ أحبَّ إلىَّيْ أن يَذَلُّوا من أهل خبائك ، وما أَصْبَحَ الْيَوْمَ أَهْلُ خباءٍ أَحَبَّ إلىَّيْ أَن يَعْزُّوا من أهل خبائك ، فالحمد لله الذي هدا نا برسوله أجمعين) .



استشهاد عبد الله بن جحش كما سأله ربه :

(كلا المجدَّع) بصيغة اسم المفعول في الأصل : المقطوع الأذن ، أو الأنف ، أو هما ، أو اليد ، أو الشفة ، والمراد به هنا : سيدنا عبد الله بن جحش⁽¹⁾ ؛ فإنه قُطع في هذا

(1) ابن رياض - براء وتحتانية وآخره موحدة - ابن يعمر الأسدي ، حليف بنى عبد شمس أحد السابقين ، قال ابن إسحاق : هاجر إلى الحبشة ، وشهد بدرأ .

أول أمير في الإسلام عبد الله بن جحش رضي الله عنه أول أمير في الإسلام عن طريق إبراهيم بن سعد عن مسلم بن محمد الأنصاري ، عن رجل من قومه قال : (آخى النبي صلَّى الله عليه وسلم بين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت) ومن طريق زياد بن علاقه عن سعد بن أبي وقاص ، قال : بعثنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلم في سرية قال : « لأبعشَ عَلَيْكُمْ رجلاً أصبركم على الجوع والعطش » فبعث علينا عبد الله بن جحش ، فكان أول أمير في الإسلام .

قال الزَّبَير : كان يقال له المجدع في الله ، وكان سيفه قد انقطع يوم أحد ، فأعطاه النبي صلَّى الله عليه وسلم عرجونا ، فصار في يده سيفاً ، فكان يسمى ذا العرجون قال : وقد بقي هذا السيف حتى بيع من بغا التركي بمئتي دينار . اهـ ملخصاً

اليوم أنفه وأذناه في سبيل الله تعالى (وسعد) بالجر معطوف على (المجدع) الواقع مضافاً إليه ، وهو سيدنا سعد بن أبي وقاص (المفتدى) أي : الذي افتداه النبي صلى الله عليه وسلم بأبويه ، ولم يُفْدَ بهما غيره ، قيل : والزبير يوم الخندق .

وفاعل قوله : (سأله) عائد على كلا الواقع مبتدأ ، خبره جملة سأله (رب العرش) عزّ وجلّ (منهم أسدًا) أي : رجلاً شجاعاً يقاتل كل منهما في سبيله تعالى .

وذلك ما حَدَثَ به سعد : أَنَّه لَقِيَ يَوْمَ أُحُدَّ أَوَّلَ النَّهَارِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشَ ، فَخَلَّا بَهُ ، وَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : يَا سَعْدُ ؛ هَلْمَ فَلَدْعُ اللَّهِ ، وَلِيذَكِّرُ كُلَّ مَنْ حَاجَتِهِ فِي دُعَائِهِ ، وَلِيؤْمِنْ بِالْآخَرِ ، قَالَ سَعْدٌ : فَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنِّي أَلْقَى فَارْسًا شَدِيدًا بِأَسْهِ ، شَدِيدًا حَرَدَهُ^(١) فَأَفْتَلَهُ ، وَأَخْذَ سَلَبَهُ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ ؛ آمِنٌ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عَبْدَ اللَّهِ الْقَبْلَةَ ، وَرَفَعَ يَدِيهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ ؛ لَقِنِي فَارْسًا شَدِيدًا بِأَسْهِ ، شَدِيدًا حَرَدَهُ ، يَقْتَلُنِي وَيَجْدِعُ أَنْفِي وَأَذْنِي ، فَإِذَا لَقْيْتُكَ غَدَّاً تَقُولُ لِي : يَا عَبْدَ اللَّهِ ؛ فَيْمَا جَدَعَ أَنْفَكَ ؟ فَأَقُولُ : فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ ، فَتَقُولُ : صَدِقْتَ ، قَلْ يَا سَعْدُ : آمِنٌ ، قَالَ : فَقَلْتُ : آمِنٌ ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِهِ آخِرَ النَّهَارِ قَتِيلًاً مَجْدُوعًا الْأَنْفُ وَالْأَذْنِينَ ، وَإِنَّ أَنْفَهُ وَأَذْنِي مَعْلَقَتَانِ فِي خِيطٍ ، وَلَقِيْتُ أَنَا فَلَانًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَتَلْتُهُ ، وَأَخْذَتْ سَلَبَهُ .

الدعاء الذي دعا به كل من سعد بن أبي وقاص وبعد الله بن جحش رضي الله عنهما قيل المعركة

(١) بفتح الحاء والراء ؛ أي : شدیداً غضبه .

أَمَّا الْمُجَدَّعُ فَلِلشَّهَادَةِ وَسَعْدُ الْفَتَكَ بِهِ أَرَادَهُ
وَإِذْ أَبُو رُهْمَ الْغِفارِيُّ نُحِرَ بِرِيقِهِ فِي الْحِينِ قَامَ مُسْتَمِرٌ

وإلى ذلك أشار بقوله : (أَمَّا المجدع فللشهادة) كان سؤاله ، فظفر بها (و) أَمَّا (سعد) فأراد (الفتاك به) فهو مفعول لفعل مقدر يفسره قوله : (أراده) .

طلب الموت المنهي

والفتاك : هو ارتكاب ما هم من الأمر ، وانتهاز الفرصة بالقتل ، وهو المراد هنا ، وهذا ليس من تمني الموت المنهي عنه ، وإنما يكون المنهي عنه لضرر نزل به ، وقاتل عبد الله كما في « الإصابة » أبو الحكم ابن الأختنس بن شرقي لعنه الله تعالى وقد قتل يومئذ والحمد لله ، وكانت سُنّة سيدنا عبد الله بن جحش يومئذ بضعاً وأربعين سنة ، ودفن مع حاله سيدنا حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد رضي الله عنهما .

قاتل عبد الله بن جحش

دفنه مع حاله سيد الشهداء رضي الله عنهما

أبو رهم كلثوم بن الحصين وما أصابه

(وإذ أبُو رُهْمَ) بضم الراء مع إسكان الهاء ، وهو سيدنا كلثوم بن الحصين (الْغِفارِيُّ نُحِرُ) بالبناء للمفعول ؛ أي : أصابه سهم في نحره .

(بريقه) صلى الله عليه وسلم ، وهو يتعلق بقوله : قام (في الحين) أي : في وقته (قام مستمر) أي : قام مستمراً بالبرء في حين بَصَقَ عليه صلى الله عليه وسلم ، وأبُو رُهْمَ هذا هو الذي استخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة لِمَا توجه إلى فتح مَكَّةَ ، هو مَمَّن بَاعَ تحت الشجرة .

وَأَسْتَشْهِدُ الْلَّذَانِ قَدْ تَخَلَّفَا
لِكَبَرٍ فَلَحْقًا وَزَحْفًا
هُمَا حُسَيْلُ الْيَمَانِيُّ أَسْلَمَهُ
حُذِيفَةُ إِذْ أَهْلَكَتْهُ الْمُسْلِمَةُ

استشهاد حُسَيْلُ بْنُ جَابِرَ الْيَمَانِيِّ :

(واستشهد) بالبناء للفاعل ، أي : طلب الشهادة (اللذان قد تخلفا) أي : قعدا عن الخروج ابتداءً مع النبّي صلى الله عليه وسلم (لكبر) بكسر الكاف وفتح الباء (فلحقا) أي : بالنبي صلى الله عليه وسلم (وزحفا) أي : قاتلا ، والزحف الدنو من القتال .

و (هما) سيدنا (حُسَيْل) بالتصغير ، ابن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جَرْوَة (الْيَمَانِيُّ) سمي بذلك لأنَّه أصاب دمًا في قومه ، فهرب إلى المدينة ، فحالَفَ بني عبد الأشهل ، فسمي به لمحالفته اليمانية ، وهم الأنصار (أسلمه) أي : أعطاه ابنه (حُذِيفَةَ)^(١) للمسلمين ؛ يعني : ردَّ دينه ولم يقبلها

(١) يكتفى : حذيفة أبا عبيد الله ، كما ذكره السهيلي ، حليف بني عبد الأشهل .

قال في « روض النهاة » : (شهد أَحَدًا وَمَا بَعْدَهَا ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ ، بَعْثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْخُنْدَقِ يَنْظُرُ إِلَى قَرِيشٍ ، وَكَانَ يَعْرَفُ بِصَاحِبِ سَرِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ ، وَكَانَ يَتَحَرَّأُ فِي شَهَادَةِ الْجَنَائِزِ ، وَخَيْرُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْهِجْرَةِ وَالنَّصْرَةِ ، فَاخْتَارَ النَّصْرَةَ ، شَهَدَ نَهَاوَنْدَ ، وَأَخْذَ الرَّايةَ بَعْدَ قَتْلِ نَعْمَانَ بْنَ مَقْرَنَ ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَدِيهِ ، وَسُئِلَ : أَيُّ الْفَتْنَ أَشَدُ ؟ قَالَ : أَنْ يَعْرَضَ عَلَيْكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ ، وَلَا تَدْرِي أَيْهُمَا تَرْكِبُ . وَقَالَ : لَا تَقْوِيمُ السَّاعَةِ حَتَّى تَسُودَ كُلُّ قَبْلَةٍ مُنَافِقُوهَا .

مات رضي الله عنه سنة بضع وثلاثين ، وقتل ابنه صفوان وسعيد مع علي رضي الله عنه بوصية أبيهما) اهـ

من المسلمين (إذ أهلكته المسلمون) خطأً ، اختلفت عليه أسيافهم ، يظنونه من المشركين ، وكان الذي قتله خطأً سيدنا عتبة بن مسعود^(١) رضي الله عنه .

تنبيه :

وقع في «شرح مسلم» للأبي عن القرطبي : أنَّ صاحب هذه القصة عبد الله بن عمرو بن حرام ، وأنَّ قتله المسلمين خطأً ، وهو وَهُمْ ؛ فلذا اقتضى التنبيه عليه ، والله أعلم .

استشهاد ثابت بن وقش ، وأخيه رفاعة ، وابنيه الأصيর ، وسلمة :

عزم حسيل وثابت بن وقش رضي الله عنهم على مشاركة المسلمين قتالهم

(وثابت بن وقش) بالرفع ، معطوف على حُسْيل ، قال ابن إسحاق : (حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبَيدَ ، قال : لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُحُدٍ .. رُفِعَ حُسْيلُ بْنُ جَابِرَ الْيَمَانِيُّ أَبُو حُذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانَ ، وَثَابَتْ بْنُ وَقْشٍ فِي الْأَطَامِ ، مَعَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ ،

أول من سمى المصطفى

مصحفاً

(١) هو أخو سيدنا عبد الله بن مسعود ، وجد عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الفقيه ، ذكره عبد بن حميد في «التفسير» . وعتبة أول من سمي المصحف مصحفاً فيما روى ابن وهب في «الجامع» نقله السهيلي .

وقال في «روض النَّهَا» : (أسلم عتبة قبل أخيه عبد الله ، واستشهد يوم اليمامة ، ونحو أبني مسعود هذين ابنا الخطاب عمر وزيد ، قال عمر رحم الله : أخبي سبقني إلى الحُسْنَيْنِ : الإسلام والشهادة ، وكان عمر رضي الله عنه حريصاً على الشهادة ، رمي في هذا اليوم بدرعه لأخيه زيد ، فقال له زيد : يا أخي ؟ أريد من الشهادة ما تريده ، فتركتها جميعاً) اهـ

قال أحدهما لصاحبه وهما شيخان : لا أبا لك ! ما ننتظر ؟ !
فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلاَّ ظِمْءُ حمار^(١) ، إنما نحن
هامُّ اليوم أو غد ، أفلَّا نأخذ أسيافنا ، ثمَّ نلحق برسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لعلَّ الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأخذنا أسيافهما ، ثمَّ خرجا ، حتى دخلا في
الناس ، ولم يعلم بهما .

فأمَّا ثابت بن وقش .. فقتله المشركون ، وأمَّا حُسْنِي بن
جابر .. فاختلفت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه
ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبي والله ! فقالوا : والله إن
عرفناه ! وصدقوا . قال حذيفة : يغفر الله لكم والله أرحم
الراحمين . فأراد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدِيه ،
فتصلَّقَ حذيفة بديته على المسلمين . فزاده ذلك عند رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيراً .

وقوله : (المُسْتَشَدُ) بالرفع : صفة ثابت (أخوه)
رفاعة بن وقش ، فإنه استشهد يوم أُحُد (وابناء) أي : ثابت ،
وهما : عمرو بن ثابت بن وقش الملقب بالأصيর ، المتقدم
خبره ، وسلامة بن ثابت رضي الله تعالى عنهم ، ونفعنا
بحبهم ، (وكلُّ) من المذكورين (وتَدُّ) بفتحتين ، شبههم
بالجبال ، التي هي أوتاد الأرض ، تشبيهاً بليغاً ، لشرفهم في
قومهم ، وفضلهم في الإسلام .

(١) مقدار ما يكون بين شربتي الحمار ، وهو أقصر مسافة ، وهو كنایة عن قرب الأجل .

وَأَبْنُ الرَّبِيعِ سَعْدُ اللَّذْ سَأَلَ
شَفَاءَ الشَّهَادَةِ فَأَرْسَلَ الْرِّضَا

استشهاد سعد بن الرَّبِيع :

سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عما فعل
الله عليه وسلم في شفاعة شفاعة بن كعب بن
الحارث ، واسمه (سعد ، اللذ سألا نبيشا) صلى الله عليه
 وسلم (عنه) يوم أحد بعد إسفارهم عن المعركة ، فقال :

«مَنْ رَجُلٌ يَنْظَرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعَ ، أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ
فِي الْأَمْوَاتِ؟» فقال رجل : أنا يا رسول الله ، قيل : هو
أبي بن كعب ، وقيل : محمد بن مسلمة ، فنادى في الأموات
فلم يجده ، إلى أن قال : يا سعد ؟ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بَعْثَنِي أَنْظُرْ لِي مَا صَنَعْتَ ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي
الْأَمْوَاتِ ؟ قال : فأجابني بصوت ضعيف : أنا في الأموات ،
فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنِّي السَّلَامَ ، وقل له إِنَّ
سعد بن الرَّبِيع يقول لك : جزاك الله عنا خيراً ما جزى نبياً عن
أمتة ، وأبلغ قومك عنِّي السلام ، وقل لهم : إِنَّ سعد بن الرَّبِيع
يقول لكم : لا عذر لكم عند الله إن يخلصن إلى نبيكم وفيكم
عين تطْرُف ، ثم قال : فلم أُبَرِّحْ حتى مات ، فجئت رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأخبرته خبره ، وهذا ما أشار له بقوله :

(فَأَلْفِي) أي : فُوِّجِدَ (على شفاعة) أي : على طرف
(الشهادة) وشفاعة كل شيء : حرفه ، وطرفه ، يقال للرجل عند
موته : ما بقي منه إِلَّا شفاعة (فأرسل الرضا) أي : المرضي

المتقدم أيضاً ، (بحمزة) أي : مع حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف^(١) ، ووصفهم بقوله : (المهاجرون) وأخبر عن الأسماء المذكورة بقوله (أربع) ، أي ممَّن استشهد في وقعة أُحد من المهاجرين وبقية السبعين من الأنصار .

= يرد إلى أُحد ، فيدفن هناك كما هو في ثيابه التي مات فيها ، بعد أن مكث يوماً وليلة ، إلَّا أنَّه لم يأكل ولم يشرب .

قلت : قال في «روض النهاة» : (قالت أخته ترثيه وقيل : زوجته - وأراه لو كانت له ثَمَّ زوجة . لما تنازعه غيرها من النساء :

على كريم من الفتيان لباس
صعب البديهة ميمون نقبيته
أقول لَمَّا أتَى الناعي به جزعاً
وقلت لما خلت منه مجالسه
يا عين جودي بدمع غير إبساس
حمل الوليمة ركب أفراس
أودي الجواد وأودي المطعم الكاسي
لا يبعد الله منا قرب شناس»
حمزة سيد الشهداء (١) عم رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، قال في «الإستيعاب» : (يكتنِّي أبا
عمارة ، وأبا يعلى ؛ بابنيه ، أسلم في السنة السابعة من المبعث) .

ذكر البكائي عن ابن أصحاق قال : (كان حمزة أسن من رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بستين ، كان يوم قتل ابن تسع وخمسين سنة ، ودفن هو وابن أخته عبد الله بن جحش في قبر واحد ، روي عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أنه قال : «حمزة سيد الشهداء» وروي : «خير الشهداء ، ولو لا أن تجد صفيحة .. لتركت دفنه حتى يحشر في بطون الطير والسباع» وكان قد مثل به وب أصحابه يومئذ ، ولما رأى النبي صلَّى الله عليه وسلم ما صنع بحمزة من المثلة .. قال : «لئن ظفرت بقريش .. لأمثلنَّ بثلاثين منهم» فأنزل الله عزَّ وجلَّ : «وَلَئِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَابِقُوا بِمِثْلِ مَا عَوَقْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبَرْكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَأْفُ في صَرِيقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَتَقْوَا وَالَّذِينَ هُمْ مُتَّسِّعُونَ» .

هذا : وترجمته وكراماته رضي الله عنه تضيق عنها الصحف .

حَنْظَلَةُ الْغَسِيلُ نَجْلُ الْفَاسِقِ
أَجَنْبَ مِنْهَا فَاسْتَخَفَهُ الْقِتَالُ

استشهاد حنظلة غسيل الملائكة :

ومَمَنْ اسْتُشَهِدْ بِأَحَدْ أَيْضًا : (حنظلة) الملقب
بـ (الغسيل) لما سيأتي (نجل) أي : ابن أبي عامر
(الفاسق) بتلقيب النبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان قبْلُ يسمى
الراهب (زوج جميلة ابنة) عبد الله بن أبي ، (المنافق أجنب
منها) أي : أمنى من زوجته جميلة ، لما ابْتَنَى بها تلك الليلة ،
فأراد الاغتسال (فاستخلفه القتال عن) غسل (شَقَه) على أَنَّه
اغتسل ، وبقي شَقَه (أو عن جميع الاغتسال) على أَنَّه لم يغسل
شيئاً ، فأو لتنويع الخلاف .

رواية جميلة زوج حنظلة
رضي الله عنهم

قال في « روض النهاة » : (وكانت زوجة جميلة رأت
تلك الليلة في النوم كأنَّ باباً من السماء قد فُتح له ، فدخله
وأَغْلَقَ دونه ، فعلمت أَنَّه ميَّت ، فدعت رجالاً من قومها حين
أَصْبَحَت ، فأَشَهَدُتْهُمْ على الدخول بها ، خشية أَنْ يكون في
ذلك نزاع ، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ
صَاحِبَكُمْ لِتَغْسِلُ الْمَلَائِكَةَ » وفي رواية : « رأيت الملائكة
تغسله في صهاف الفضة ، بماء المزن ، بين السماء والأرض »
فَسُئِلَتْ ، فقالت : خرج وهو جُنْبٌ حين سمع الهاتفة ،
والتُّمِسَ في القتل ، فوجدوه ورأسه يقطر ماء ، وليس بقريه
ماء ، تصدِيقاً لقوله عليه الصَّلاة والسَّلَام .

وفي هذا القول متعلّقٌ لمن قال من الفقهاء : إِنَّ الشَّهِيدَ

وَقَالَ صَخْرٌ إِذْ رَأَهُ قَتَّالَهُ شَدَّادُهُمْ حَنْظَلَةُ بْنُ حَنْظَلَةَ
وَأَسْتُشْهِدَ أَلْأَعْرَجُ عَمْرُو بْنُ الْجَمْوَحَ وَعَنْ حَيَاةِ الْمُضْطَفَى أَبَا الْفُتوْحِ

يعسل إذا كان جُنباً ، ومنهم من قال : لا يغسل كسائر
الشهداء ؛ لأنَّ التكليف سَقَطَ عنهم بالموت .

وحملت جميلة تلك الليلة بعد الله بن حنظلة ، إمام أهل
المدينة لما خَلَعُوا اليزيد ، فكانت عليهم وقعة الحرَّةِ) .

(وقال) أبو سفيان (صخر) بن حرب (إذ رأه) أي :
رأى حنظلة المقتول : قد (قتله) أي : حنظلة ، وفاعل (قتله)
(شَدَّادُهُمْ) أي : قريش ، وهو شداد بن أبي نعيم بن
الأسود بن شعوب الليثي ، حليف العباس بن عبد المطلب ،
وكان حنظلة بن أبي سفيان قتل المسلمين ببدر : (حَنْظَلَةَ
بحنظلة) بالرفع ؛ أي : حنظلة هذا ، مقتول بحنظلة بن
أبي سفيان . أو بالنصب ؛ أي : قتلنا حنظلة بحنظلة .

والذي قتل حنظلة بن أبي سفيان زيد بن حارثة في يوم
بدر ، هذا هو الصواب ، خلافاً لمن قال : إنَّ القاتل له هو
حنظلة الغَسِيل : لأنَّ الغَسِيل لم يشهد بدرأ .

استشهاد عمرو بن الجموح :

(وَأَسْتُشْهِدَ) بالبناء للمفعول على الأكثر ؛ أي : طلب
الشهادة فنالها (الأعرج) هو كما في « القاموس » : من أصابه
شيء في رجله ، يقال : عَرَجَ كجلس ، أو يثلث إذا كان غير
خلقة ، وإذا كان خلقة فهو كفرح ، ومشية العَرَجَانِ محركة .

قاتل حنظلة الغَسِيل

والمراد هنا سيدنا (عمرُو بن الجَمْوح) بفتح الجيم ، وتخفيض الميم ، ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاريّ ، وإنما ذكره الناظم بصفة العرج ؛ لأنّها صفة مانعة له عن الخروج ، ويعذر عن الجهاد من اتصف بها ، ولكن حمله على الخروج قوة إيمانه وعظيم إيقانه رضي الله عنه ونفعنا

بـ .

إصرار عمرو بن الجموح
على الخروج للقتال

وكان شديد العَرَج ، ولما عرف بنوه منه ذلك .. أرادوا حبسه ، فشكاهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أَمَا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ » ثُمَّ قال لبنيه : « مَا عَلَيْكُمْ أَلَّا تَمْنَعُوهُ ؛ لعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَة » فأخذ سلاحه ، وأقبل على القِبْلَة وقال : اللَّهُمَّ ؛ ارزقني الشهادة ، ولا ترُكَنِي إلى أهلي خائباً ، فلما انكشف المسلمون .. حمل هو وابنه خلاد فقتلا رضي الله عنهمَا ، وجَمَعَنَا بهمَا في دار كرامته ، بمنه وكرمه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مَنْكُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ .. لَا يَرَهُ ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمْوح ، وَلَقَدْ رَأَيْتَهُ يَطَّافُ فِي الْجَنَّةِ بِعَرْجَتِهِ » .

ولمَّا استشهد .. حمله أهله على بعيره ، فاستصعب عليهم ، فكَلَّما وجوهه إلى جهة .. سارع إليها ، إِلَّا جهة المدينة ، فكَلَّما وجوهه إليها .. امتنع ، فذكروا قوله : اللَّهُمَّ ؛ لَا ترُدْنِي ، فدفونه في مَضْرِعَه مع ابن عمّه عبد الله في قبر واحد .

.....
روى الإمام مالك في «موطنه» : (أنَّ عمرو بن الجموح
وعبد الله بن عمرو الأنصاريين السُّلْمَيْنَ كان قد حفر السيل
قبرهما ، وكان قبرهما ممَّا يلي السيل ، وكانا في قبر واحد ،
وهما ممَّن استشهد يوم أحد ، فحُفِرَ عنهمَا ، ليغير من مكانهما
فُوِجِدا لم يتغيرا ، كأنَّهما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد
جرح ، فوضع يده على جرحه ، فدفن وهو كذلك ، فَأَمْيَطَتْ
يده عن جرحه ، ثُمَّ أُرْسِلتْ فرجعت كما كانت ، وكان بين أَحَدْ
وبين يوم حُفِرَ عنهمَا ست وأربعون سنة) .

لطيفة :

قال في «شرح الموطأ» : (روى البخاري في «الأدب
المفرد» وأبو الشيخ ، وأبو نعيم عن جابر ، قال لنا رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ سِيدُكُمْ يَا بْنَي سَلِمَةَ؟» قالوا :
الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ ، عَلَى أَنَا نَبْخَلُهُ ، فَقَالَ يَدِهِ هَكُذَا ، وَمَدَّ يَدَهُ :
«وَأَيْ دَاءُ أَدْوَى مِنَ الْبَخْلِ؟! بَلْ سِيدُكُمُ الْأَيْضُ الْجَعْدُ
عَمَرُو بْنُ الْجَمَوْحِ» .

عمرو بن الجموح رضي
الله عنه سيد قومه

قلت : قال شيخنا الشرييف سيدي أحمد المأمون البلغوي
رحمه الله تعالى في «شرح الابتهاج» :

وقالَ رَسُولُ اللهِ وَالْحَقُّ قَوْلُهُ

لِمَنْ قَالَ مِنَ تَعَدُّونَ سَيِّدًا
فَقَلَنَا لَهُ الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى الَّتِي
نُبَخَّلُهُ فِيهَا ، وَلَوْ كَانَ سَيِّدًا

فَسَوَّدَ عُمَرُ بْنُ الْجَمْوحَ لِجُودِهِ
وَحُقُّ لِعْمَرٍ بِالنَّدَىٰ أَنْ يَسُودَ

فَتَسْأَلُ مَا تَخْطُلُ خِطَّةً لِدَنَيَّةٍ
وَلَا مَدَّ فِي يَوْمٍ إِلَى سَوْءَةٍ يَدَا

إِذَا جَاءَهُ الرُّكْبَانُ أَنْفَقَ مَالَهُ
وَقَالَ خُذُوهُ إِنَّهُ عَائِدٌ غَدَّا

فَلَوْ كُنْتَ يَا جَدُّ بْنَ قَيْسٍ عَلَىٰ الَّتِي
عَلَىٰ مِثْلِهَا عُمَرُ لَكُنْتَ الْمُسَوَّدَ

سَوْالٌ أَبِي سَفِيَّانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَابِ عَنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَوَعَّدَهُ :

(وَعْنْ حَيَاةِ الْمَصْطَفَىٰ) يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ : (سَأَلَ) وَمَفْعُولُ
(سَأَلَ) (أَبَا الْفَتوْحِ) وَالْمَرَادُ : بِهِ سَيِّدُنَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَابِ ،
قَالَ ذَلِكَ فِيهِ لَكْثَرَةٌ فَتَوَحَّاَهُ .

يَعْنِي : (سَأَلَ) أَبُو سَفِيَّانَ (صَخْرُ) عُمَرَ بْنَ الْخَطَابِ عَنْ
حَيَاةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَنْسُدْكَ اللَّهُ يَا عُمَرُ ؛ هَلْ قَتَلْنَا
مُحَمَّدًا ؟ وَكَانَ قَالَ أَبْنَ قَمَّةَ : إِنِّي قَتَلْتُ مُحَمَّدًا ، قَالَ عُمَرُ :
اللَّهُمَّ لَا ، وَإِنَّهُ الآنِ يَسْمَعُ كَلَامَكَ ، قَالَ : أَنْتَ أَصْدِقُ عَنِّي
مِنْ أَبْنَ قَمَّةَ وَأَبِرَّ ، ثُمَّ نَادَى أَبُو سَفِيَّانَ : إِنَّهُ كَانَ فِي قَتْلَكُمْ
مُثْلٌ ، وَاللَّهُ مَا رَضِيَّتْ بِهِ ، وَلَا سُخْطَتْ ، وَلَا نَهَيْتْ وَلَا أَمْرَتْ .
وَلَمَّا انْصَرَفَ .. نَادَى : إِنَّ مَوْعِدَكُمْ بَدْرُ الْعَامِ الْقَابِلِ ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ :

وَأَرْتَقَبُوا إِنْ يَجْتَبُوا فَهُمْ قُفْلٌ أَوْ يُسْرِجُوا فَهُمْ لِطَيْبَةٍ نُسْلٌ

«نعم ، هو بيننا وبينكم موعد ». .

وإلى هذا أشار بقوله : (وانثنى) أي : وانعطف أبو سفيان (يفرد) أي : يرفع صوته طرباً قائلاً : (موعدكم) للقتال في العام القابل (بدر وقال) من الرسول صلى الله عليه وسلم القائل : « هو بيننا وبينكم (الموعد) » فكان ذلك الموعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فألاً حسناً ، وفيه الخير .

وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى على غزوة بدر هذه ، والله أعلم .

تعرف مقصد جيش المشركين :

(وارتقبوا) أي : أشرف المسلمين للنظر في جيش العدو هل يريد مكة أو الرجوع إلى المدينة المنورة ؟ ! فـ (إن) بكسر الهمزة (يجتبوا) بفتح الياء المثلثة ؛ أي : يقودوا الخيل (فهم) أي : الكفار (قفل) بالتحريك : اسم جمع لقافل ؛ أي : راجعون عن طيبة إلى مكة .

(أو) إن (يُسْرِجُوا) الخيل ؛ أي : يجعلوا السروج عليها (فهم لطيبة نسل) بضمتين ؛ أي : مسرعون ؛ وذلك بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب ، أو لسعد بن أبي وقاص ؛ فإنه قال له : « اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون ؟ - أي : ما يريدون ؟ - فإن كانوا جنباً الخيل - أي :

جعلوها منقادة بجانبهم - وامتظوا الإبل - أي : ركبوا مطاحها ، وظهورها - فإنهم ي يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل .. فإنهم ي يريدون المدينة ، والذى نفسي بيده ، لئن أرادوها .. لأسرينَ إلَيْهِمْ ، ثُمَّ لَأُنَاجِزَنَّهُمْ فِيهَا » قال علي ، أو سعد : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ؟ فجَنَبُوا الخيل ، وامتظوا الإبل ، وتوجهوا إلى مَكَّةَ ، بعدما تشاوروا في نهب المدينة ، فأشار عليهم صفوان أن لا تفعلوا ، فإنَّكُم لا تدرُونَ مَا يغشَّاهُمْ .

ثُمَّ فَرَغَ النَّاسُ لِقَتْلِهِمْ فَهُنَّا كَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ . . . » الحديث ، وقد تقدم .

مقتل أبي بن خلف لعنه الله :

(وبأبي) يتعلّق بقوله : (مر) أي : مر بأبي بن خلف الجُمحي (بعد) أي : بعد وقعة أحد ، سيدنا عبد الله (بن عمر) رضي الله عنه (وهو) أي : أبي (الذى رماه) حقيقة (خالق البشر) جلت قدرته ، وكان في الرَّمية حفه ، قال تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ ، وفي ذلك نزلت ، وقيل : في القبضة التي رمى النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها المشركين يوم بدر .

وكان من حديث أبي : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا لقيه بمَكَّةَ يقول : يا محمد ؟ إِنَّ عَنِي الْعَوْذُ - يعني فرساً -

استشهاد مصعب بن
عمير رضي الله عنه

بحث أبي بن خلف عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقتله

مصعب أبي بن خلف
على يد رسول الله صلى
الله عليه وسلم

أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه ، فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم : « بل ، أنا أقتلك إن شاء الله » فلما انحاز المسلمون عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقيه مصعب بن عمير فقتله ابن قمئة .. جاء أبي وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجا ، فاعتراضه رجال من المسلمين ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يخلعوا طريقه .

قال الزبير : وكان معي حربة ، فأخذها مني ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشّعراء - وهي ذباب صغير له لدغ - عن ظهر البعير إذا انتفض ، فأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبي بين سابعة الدرع والبيضة ؛ فطعنها فيها ، فوقع عن فرسه صريعاً ، ولم يخرج من طعنته دم ، فأدركه المشركون وارتثوه ^(٢) وله خوار ، وهو يقول : قتلني والله محمد ، قالوا : ذهب والله فؤادك ، والله ما يلوك من بأس ، فقال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك ، والله لو بصدق علي .. لقتلني ، فقفزوا به نحو مكة وهو يقول : والذى نفسي بيده ، لو أنَّ الذى بي بأهل المجاز .. لماتوا أجمعون ، ومات عدو الله بسرف - ككتف - موضع قريب من التعيم ، وظهر بهذا أنَّ قوله : (وهو الذي رماه خالق البشر) جملة معتبرة بين قوله : (مرَّ بعد ابن

(١) ويقال : أخذها من الحارث بن الصمة .

(٢) أي : حملوه من المعركة .

مُسْلِسْلًا صَدِيَانَ فَاسْتَسْقَاهُ وَالسَّقِيُّ عَنْهُ مَلَكُ نَهَاءُ
وَمَرَّ أَيْضًا بِأَبِي جَهْلٍ لَدَى

عمر) وبين الحال ، وهو قوله :

(مسلسلاً) أي : مجعلولاً في السلسلة من الحديد ، وحال
كونه (صَدِيَان) أي : عطشان (فاستسقاه) أي : طلب منه
السقي ، (والسقي عنه) متعلق بقوله : (نهاء) الواقع خبراً
لقوله : (ملك) بفتح اللام ، من الملائكة لم يعين (نهاء)
فقال لابن عمر : لا تسقه ؛ فإنه كافر .

(ومَرَّ) سيدنا عبد الله بن عمر (أَيْضًا بِأَبِي جَهْلٍ لَدَى)
أي : عند (بَدْرِ بِهِ) يتعلق بقوله : (أَضَرَ لَاعِجَ) هو مضاف
إلى (الصَّدَى) بفتح الصاد ؛ أي : العطش ، من إضافة الصفة
إلى الموصوف ؛ أي : الصدى اللاعج ؛ أي : المحرق ، قال
في « القاموس » : لعج الجلد : أحرقه ، والبدن ألمه .

أشار رحمة الله في هذه الآيات إلى ما ذكره الشعالي عند
قوله تعالى : ﴿فَلَنُذَاقَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بسنده إلى
عبد الله بن عمر ، والزرقاني في « شرح الموطأ » عند حديث :
(الواحد شيطان) .

قال الشعالي : قال أبو عمر في كتاب « التمهيد » مسندًا
إلى سالم بن عبد الله ، عن أبيه قال : خرجت مرة فمررت بقبر
من قبور الجاهلية ، فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجج ناراً ،
في عنقه سلسلة ، ومعي إداوة من ماء ، فلما رأني .. قال :
يا عبد الله ؛ اسقني ، قال : فقلت : عرفني فدعاني باسمي ،

أو كلمة تقولها العرب : يا عبد الله - إذ خرج على إثره رجل من القبر ، فقال : يا عبد الله ؟ لا تسقه ؟ فإنه كافر ، ثمَّ أخذ السلسلة ، فاجتبه فأدخله القبر .

قال : ثمَّ أضافني الليل إلى بيت عجوز إلى جانبها قبر ، فسمعت من القبر صوتاً يقول : بولٌ وما بول ، شَنٌّ وما شن ؟ فقلت للعجزة : ما هذا ؟ قالت : كان زوجاً لي ، وكان إذا بال لم ينْقِ البول ، وكانت أقول له : ويحك ! إنَّ الجمل إذا بال . . تفاجَّ ، وكان يأبى ، فهو ينادي من يوم مات : بول وما بول ؟ قلت : فما الشن ؟ قالت : جاء رجل عطشان ، فقال : اسقني ، فقال : دُونك الشن ، فإذا ليس فيه شيء ، فخرَّ الرجل ميتاً ، وهو ينادي منذ مات : شَنٌّ وما شن .

فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أخبرته ، فنهى أن يسافر الرجل وحده .

قال أبو عمر : هذا الحديث في إسناده مجهولون ، ولم نورده للاحتجاج به ، ولكن للاعتبار ، وما لم يكن حكم ، فقد تسامح الناس في روایته عن الضعفاء .

وذكر الشعالي أيضاً عن الوائلي نحوه ، وزاد : أنَّ الرجل الأول هو أبو جهل ، قال الشعالي : (وذكرنا الحكاية الأولى عن الوائلي في (سورة اقرأ) بغير هذا السند ، وأنَّ الرجل الأول هو أبو جهل) اهـ

العبرة فيما أصاب المسلمين بأحد :

إذا علمت ما شرحته لك في قصة أحد .. فليكن على بالك
أنَّ في القصة وما اشتملت عليه مما أُصيب به المسلمين يوم
أحد ، فوائد وحكمة ربانية ، ودلائل نبوية :

منها : تعريفهم سوء عاقبة المخالفـة ، وشـؤم ارتـكاب شـؤم المخالفـة وسواءـها
النهـي ، لـمـا تـرك الرـئـمة مـوضـعـهم الـذـي أـمـرـ بهـ المـصـطـفـي صـلـى
الـلـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـ لـا يـفـارـقـوهـ .

وـمنـها : أـنـهـمـ لـو اـنـتـصـرـوا دـائـمـاـ . دـخـلـ فيـ المـسـلـمـينـ منـ
الـحـكـمـةـ فـيـ نـصـرـ المـسـلـمـينـ
لـيـسـ مـنـهـمـ ، وـلـمـ يـتـمـيزـ الصـادـقـ مـنـ غـيرـهـ ، وـلـوـ انـكـسـرـواـ مـرـةـ وـهـزـيمـهـمـ أـخـرىـ
دـائـمـاـ . لـمـ يـحـصـلـ المـقـصـودـ مـنـ الـبـعـثـةـ ، فـاقـضـتـ الـحـكـمـةـ
الـجـمـعـ بـيـنـ الـأـمـرـيـنـ ؛ لـيـتـمـيزـ الصـادـقـ مـنـ الـكـاذـبـ ، فـلـمـاـ وـقـعـ
ذـلـكـ . . ظـهـرـ أـهـلـ النـفـاقـ ، فـعـرـفـ الـمـسـلـمـونـ : أـنـ لـهـمـ عـدـوـاـ فـيـ
دـيـارـهـمـ ، فـتـحـرـرـزـواـ مـنـهـمـ ، وـكـانـتـ الـعـاقـبـةـ عـلـىـ كـلـ حـالـ
لـلـمـؤـمـنـيـنـ .

وـمنـها : أـنـ فـيـ تـأـخـيرـ النـصـرـ فـيـ بـعـضـ الـمـوـاطـنـ هـضـمـاـ
لـلـنـفـوسـ ، فـلـمـاـ اـبـتـلـيـ الـمـؤـمـنـوـنـ . صـبـرـواـ ، وـجـزـعـ الـمـنـافـقـوـنـ .
مـرـاجـعـ الـمـسـلـمـيـنـ نـفـوسـهـمـ

وـمنـها : أـنـ اللـهـ هـيـأـ لـعـبـادـهـ الـمـؤـمـنـيـنـ مـنـازـلـ فـيـ دـارـ كـرـامـتـهـ ،
لـاـ تـبـلـغـهـ أـعـمـالـهـمـ ، فـقـيـضـ لـهـمـ أـسـبـابـ الـابـلـاءـ وـالـمـحـنـ ؛
لـدـرـجـاتـهـمـ

لـيـصـلـوـاـ إـلـيـهـاـ .

وـمنـها : أـنـ الشـهـادـةـ مـنـ أـعـلـىـ مـرـاتـبـ الـأـوـلـيـاءـ ، فـسـاقـهـاـ اللـهـ
تـعـالـىـ إـلـيـهـمـ .

الـشـهـادـةـ أـعـلـىـ الـمـرـاتـبـ

ومنها : أَنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ إِهْلَكَ أَعْدَائِهِ ، فَقَيَّضَ لَهُمُ الْأَسْبَابَ
الَّتِي يَسْتَوْجِبُونَ بِهَا ذَلِكَ ، مِنْ كُفُّرِهِمْ ، وَبَغْيَهُمْ ، وَطَعْنَاهُمْ
فِي أَذْيَ أُولَائِهِ ، فَمُحَصَّنُ بِذَلِكَ ذُنُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَحَقَّ بِذَلِكَ
الْكَافِرِينَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَائِدِ الَّتِي يَعْلَمُهَا اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى .

إِبْجَادُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
الْأَسْبَابُ لِهَلَكَ
الْكَافِرِينَ

١٣٦ ١٣٧ ١٣٨

(١٣) غزوة حمراء الأسد

(وبعدها) أي : بعد غزوة أُحُد (غزوة حمراء الأسد)
قال المناوي : تأثيث أحمر مضافة إلى الأسد : موضع على
ثمانية أميال من المدينة ، عن يسار الطريق إذا أردت
ذا الْحُلَيْفَةِ .

موقعها

سبب هذه الغزوة :

وأشار الناظم إلى سببها بقوله :

(كانت لِإِرْهَابِ) أي : تخويف للعدو ؛ ليبلغُهُمْ : أَنَّهُ
خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ ؛ لِيظْنُوا بِالْمُسْلِمِينَ قُوَّةً ، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ
يُوَهِّنْهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ (صَبِيَّحَةَ أَحُدْ) فَكَانَتْ يَوْمُ الْأَحَدِ لِسْتَ
عَشْرَ لَيْلَةً مَضْتَ مِنْ شَوَّالَ ، عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَثَلَاثَيْنِ شَهْرًا مِنْ
الْهِجَرَةِ .

تاریخها

قلت : وهذا الذي ذكره تبع فيه ابن إسحاق ، وقال
موسى بن عقبة وغيره ، كما في «السيرة الشامية» وغيرها في

وَأَمْرَ النَّبِيِّ أَنْ لَا يَخْرُجَا إِلَّا الَّذِي بِالْأَمْسِ كَانَ خَرَجَا

سببها : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ : أَنَّ أَبَا سَفِيَّانَ وَأَكْثَرَ مِنْ مَعْهُ يَرِيدُونَ أَنْ يَرْجِعُوْا ؛ لِيُسْتَأْصِلُوا مِنْ بَقِيَّ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حَثَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ عَلَى الْخُرُوجِ فِي طَلَبِ الْعُدُوِّ ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْطَّبَرَانِيُّ بِاسْنَادٍ صَحِيْحٍ عَنْ أَبِنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

(لَمَّا رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَحُدٍ قَالُوا : لَا مُحَمَّدًا قَتَلْنَا ، وَلَا الْكَوَاعِبَ أَرْدَفْنَا ، بَئْسَ مَا صنَعْنَا ، ارْجِعُوْا ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَدِبَ الْمُسْلِمِينَ ، فَانْتَدَبُوا ، فَخَرَجُوا بِهِمْ .. حَتَّى يَلْعَلُ حَمْرَاءُ الْأَسْدِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « الَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمْ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحَسَّنُوا مِنْهُمْ وَأَنَّقُوا أَجْرًا عَظِيمًا » وَخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُجْرُوحٌ ، وَفِي وَجْهِهِ أَثْرُ الْحَلْقَتَيْنِ ، وَرِبَاعِيَّتِهِ مَكْسُورَةٌ ، وَشَفَتُهُ السُّفْلَى مَشْقُوقَةٌ ، وَرِكْبَتَاهُ مُجْرُوحَتَانِ مِنْ وَقْعَةِ الْحَفِيرَةِ ، وَأَمْرَ أَنْ لَا يَخْرُجَ إِلَّا مِنْ خَرْجِ يَوْمِ أَحُدٍ) .

كما قال الناظم :

(وَأَمْرَ النَّبِيِّ أَنْ لَا يَخْرُجَا إِلَّا الَّذِي بِالْأَمْسِ كَانَ خَرَجَا)

عدد الذين خرجوا معه
صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَفِي « الْبَدَائِيَّةِ » : (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَنْطَلِقَنَّ مَعِي إِلَّا مِنْ شَهِدَ الْقَتَالَ » وَالَّذِينَ شَهَدُوهُ فِي أَحُدٍ سَبْعُ مِائَةَ ، قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ ، وَخَرَجَ الْبَاقُونَ إِلَى حَمْرَاءِ

وَلَابْنِ عَبْدِ اللَّهِ جَابِرٍ سَمَحْ
بِالْفَرْزُو إِذْ لَاخْوَاتِهِ جَنَحْ
مَا كُنْتُ أُؤْثِرُكَ بِالْفَرْزُو عَلَيَّ
بِالْأَمْسِ ، إِذْ قَالَ أَبُوهُ يَا بُنْيَّ

الأسد ، وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على أخواته التسع) وإليه أشار بقوله :

(ولابن عبد الله جابر سمح) رسول الله صلى الله عليه وسلم (بالغزو إذ لأخواته) يتعلّق بقوله : (جَنَحْ) أي : مال لهنَّ (بالأمس) في غزوة أُحُد ، (إذ قال أبوه) عبد الله بن عمرو بن حرام : (يَا بُنْيَّ مَا كُنْتُ أُؤْثِرُكَ) أي : أقدمك (بالغزو علىيَّ) .

السماح لجابر بن عبد الله بالخروج

قال في « الإماماع » : (ولما صلّى الصبح يوم الأحد صبيحة أُحد و معه عليه الصّلاة والسلام وجوه الأوس والخزرج ، وقد باتوا في المسجد على بابه .. أمر بلا فنادى : إنَّ رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس ، فخرج سعد بن معاذ إلى داره يأمر قومه بالمسير وكلهم جريح ، فقال : إنَّ رسول الله يأمركم أن تطلبوا عدوكم ، فقال أُسید بن حضير وبه سبع جراحات يريد أن يداویها : سمعاً وطاعة الله ولرسوله ، وأخذ سلاحه ، ولم يعرج على دواء ، ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء سعد بن عبادة قومه ، وجاء أبو قنادة إلى طائفته ، فبادروا جميعاً وخرج من بني سلمة أربعون جريحاً ، بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحاً ، وبخراش بن الصّمة عشرة جراحات

بدء المسير إلى المعركة

نداء بلال رضي الله عنه بالخروج للعدو

تلبية الصحابة رضوان الله عليهم نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم برغم ما بهم من إصابات معركة أُحد

.....
دعا الرسول وإخباره
عما تكون عليه حالهم
مستقبلًا : حتى وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لَمَّا رأهُمْ :
« اللَّهُمَّ ؟ ارحم بني سلمة ». .

وخرج عبد الله ورافق ابنا سهل الأنصاريان يزحفان
لجراجهم الكثيرة فضعف رافع فحمله عبد الله على ظهره
عقبة ، ومشي عقبة ، فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وقال : « إن طالت بكم مدة كانت لكم مراكب من
 خيل ، وبغال ، وإبل ، وليس ذلك بخير لكم » وكانت عامة
 زادهم التمر) .

مدة الإقامة بحرماء
الأسد
استخال ابن أم مكتوم
رضي الله عنه على
المدينة
قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، فأقام بها الإثنين ، والثلاثاء ،
 والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة ، وكان استعمل على المدينة
 ابن أم مكتوم ، فيما قاله ابن هشام .

تخييل معبد الخزاعي قريشاً عن الرجوع للحرب :

قال ابن إسحاق : (وقد مَرَّ به - كما حدَثني عبد الله بن
 أبي بكر - مَعْبُدُ^(١) بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة
 مسلُّمُهُمْ وكافرُهُمْ عَيْة^(٢) نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 بتهامة ، صَفَقُهُمْ معه ، لا يخونون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد^(٣)
 يومئذٍ مشرك ، فقال - أي : معبد - : يا محمد ؟ أَمَا والله لقد

(١) فاعل مره .

(٢) بفتح العين المهملة : موضع السر والأمانة .

(٣) قال في « الشامية » : (وجزم أبو عمر ، وابن الجوزي في « التلقيح » بإسلام معبد) اهـ

عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي نَفْسِكَ ، وَفِي أَصْحَابِكَ ، وَلَوْدِنَا أَنَّ اللَّهَ
عَافَاكَ فِيهِمْ .

ثُمَّ خَرَجَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَمْرَاءِ
الْأَسْدِ ، حَتَّى لَقِيَ أَبَا سَفِيَّانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ ، وَقَدْ
أَجْمَعُوا الرَّجَعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ ،
وَقَالُوا - أَيُّ - : أَصْبَنَا حَدَّ أَصْحَابِهِ ، وَقَادَتْهُمْ ، وَأَشْرَافَهُمْ ، ثُمَّ
نَرَجَعُ قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ ، لَنَكْرَرَنَّ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ ، فَلَنْفَرُّ عَنَّ
مِنْهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو سَفِيَّانَ مَعْبُدًا . قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبُدًا ؟
قَالَ : مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلَبُكُمْ ، فِي جَمْعٍ لِمَ أَرَمْلَهُ
قَطَّ ، يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحْرِقًا ، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخْلَفَ
عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ ، وَنَدَمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا ، فِيهِمْ مِنَ الْحَنَقِ
عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرَمْلَهُ قَطَّ ، قَالَ : وَيْلَكَ مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ
مَا أَرَاكَ تَرْتَحِلُ حَتَّى تَرَى نَوَاصِيَ الْخَيْلِ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ
أَجْمَعْنَا الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ، لَنْسْتَأْصِلَ شَأْفَتِهِمْ . قَالَ : فَإِنِّي أَنْهَاكَ
عَنْ ذَلِكَ ، وَوَاللَّهِ لَقَدْ حَمَلْنِي مَا رَأَيْتَ ، عَلَى أَنْ قَلْتَ فِيهِ أَبِيَاتًا
مِنْ شِعْرٍ ، قَالَ : وَمَا قَلْتَ ؟ قَالَ : قَلْتَ :

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي

إِذْ سَأَلَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ^(١)

(١) الجرد : قصيرة شعر الجلد ، والأبابيل : جماعة في تفرقة ، وتردي الخيل : إذا ضربت الأرض بحوارفها في سيرها ، والتنابلة : القصار ، واحدها تبالي ، والميل : الذي يميل على السرج ولا يستوي عليه ، والمعازيل ، واحده معزال : القوم ليس معهم سلاح .

أبو سفيان بن حرب
بالروحاء يعزم الرجوع
لمحاربة المسلمين

عبد يثبط كفار قريش
ويثنى عزّهم عن قتال
المسلمين

تَرْدِي بِأَسْدِ كَرَامٍ لَا تَنَابِلَةٌ
 عَنْدَ الْلَقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلٌ
 فَظَلَّتْ غَدْوَاً أَظْنَنَ الْأَرْضَ مَاثِلَةً
 لِمَا سَمَوَا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْذُولٍ
 فَقُلْتَ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لَقَائِكُمْ
 إِذَا تَغَطَّمَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْجِيلِ^(١)
 إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسْلِ ضَاحِيَةً
 لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولٍ
 مِنْ جَيْشٍ أَحَمَدَ لَا وَخْشُ قَنَابِلُهُ
 وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقِيلِ
 قَالَ : فَشَنِي ذَلِكَ أَبَا سَفِيَانَ ، وَمَنْ مَعَهُ ، وَمَرَّ بِهِ رَكْبُ مِنْ
 عَبْدِ الْقِيسِ ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : الْمَدِينَةُ ، قَالَ :
 وَلِمَ ؟ قَالُوا : نَرِيدُ الْمِيرَةَ ، قَالَ : فَهَلْ أَنْتُمْ مُبْلَغُونَ عَنِ الْمُحَمَّدَ
 رِسَالَةِ أُرْسِلَكُمْ بِهَا إِلَيْهِ ، وَأَحْمَلُ لَكُمْ إِبْلَكُمْ هَذِهِ غَدَّاً زَبِيَّاً
 بِعَكَاظٍ إِذَا وَافَيْتُمُوهَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ ..
 فَأَخْبَرُوهُ أَنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ ؛ لِنَسْتَأْصِلَ
 بِقِيَتِهِمْ فَمَرَّ الرَّكْبُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِحَمْرَاءِ
 الْأَسْدِ ، وَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو سَفِيَانَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ » .

(١) من الغطمة : وهو صوت غليان القدر ، وفي نسخة (بالخيل) ، والوحش : أرذال الناس وسقاطهم ، والقنابل : الطائفة من الناس ومن الخيل ، الواحد : قنبل وقنبلة .

وَفَتَكُوا بِجَدَّ عَبْدِ الْمَلِكِ لِأُمِّهِ سِبْطِ أَبِي الْعَاصِ الْذَّكِي
وَهُوَ الْمُمَثَّلُ بِعَمِّ أَخْمَدِ وِبِمَعَاوِيَةَ يُعْرَفُ الرَّدِي

مقتل معاوية بن المغيرة بن أبي العاص لتجسسه لقريش :

ثمَّ أشار إلى حادثة وقعت حين قفولهم للمدينة ، فقال :
(وفتوكوا) أي : انتهز الصحابة في رجوعهم من حمراء الأسد
فرصة ، ففتوكوا فيها (بجد عبد الملك) بن مروان (لأمه)
عائشة بنت معاوية المفتول (سبط أبي العاص) بكسر
المهملة ، هو ولد الولد ، ومعاوية هو ابن المغيرة بن
أبي العاص (الذكي) بالذال ؛ أي : سريع الفطنة ، صفة
لأبي العاصي .

(وهو) أي : جد عبد الملك المذكور (الممثل) أي :
المنكِل يوم أُحد (بعم أحمد) صلى الله عليه وسلم ؛ يعني
سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه (وبمعاوية) يتعلّق بقوله :
(يُعْرَفُ) مبنياً للمجهول ؛ أي : يُعْرَفُ (الرَّدِي) أي :
الهالك بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن
عبد شمس .

وحاصِل قصته : أَنَّه لَمَّا رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أُحُدِّ.. ذَهَبَ
مَعَاوِيَةَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أَتَى عُثْمَانَ فَدَقَّهُ، فَقَالَتْ أُمُّ كَلْثُومَ بَنْتُ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَنْ أَنْتُ؟ قَالَ:
ابْنُ عَمِّ عُثْمَانَ، فَقَالَتْ: لَيْسَ هُوَ هُنَا، قَالَ: أُرْسَلَيْ إِلَيْهِ فَلَهُ
عِنْدِي ثُمَّ بَعِيرَ كَنْتَ اشْتَرَيْتَهُ مِنْهُ.

حاصل قصة معاوية
ابن المغيرة بن العاص

فجاء عثمان رضي الله عنه ، فلما نظر إليه .. قال : أهلكتني ، وأهلكت نفسك ، فقال : يا بن عم ؛ لم يكن أحد أمس بي منك رحمة ، فأجرني ، فأدخله عثمان رضي الله عنه منزله ، وجعله في ناحية .

ثم خرج عثمان رضي الله عنه ؛ ليأخذ له أماناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « إِنَّ معاوية بالمدينة ، فاطلبوه » فدخلوا منزل عثمان رضي الله عنه ، فأشارت إليهم أم كلثوم بأنّه في ذلك المكان ، بعد أن علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بذلك ، فأخرجوه ، وأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بقتله ، فقال عثمان : يا رسول الله ؛ والذي بعثك بالحق ، ما جئت إلّا لأخذ له أماناً ، فهبه لي ، فوهبه له ، وأجله ثلاثة ، وأقسم أنه إن وجده بعدها .. قتله ، وخرج صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد ، فأقام معاوية ثلاثة ؛ ليستعلم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليأتي بها قريشاً ، فلما كان باليوم الرابع .. عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فخرج معاوية هارباً ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَه بِمَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، فَاقْتُلُوه » فأدركه زيد بن حارثة ، وعمّار بن ياسر ، فقتلاه .

مقتل أبي عزة الجمحي الهجّاء للرسول صلى الله عليه وسلم :

(وبالذي) معطوف على قوله : (بجد عبد الملك) أي :

إعطاؤه الأمان ثلاثة

أيام

تجسسه وإهداه دمه

ثَانِيَةً أَنْ كَانَ ذَانِيَةً وَهُوَ أَبُو عَزَّةَ ذُو الْهَنَّاتِ

وفتكوا أيضاً بآبائي عزة الذي (عليه) يتعلّق بقوله : (أشفق)
(قبل) أي : قبل هذا اليوم (أشفقاً نبيّنا) نبّي الرحمة صلّى الله
عليه وسلم ، وذلك : أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ظَفَرَ بِهِ يَوْمٌ
بَدْرٌ ، وَأَسْرَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ إِنِّي فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ وَحَاجَةٍ
كَمَا تَعْلَمُ ، فَامْنُنْ عَلَيَّ .. مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ ، فَرَحْمَهُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَطْلَقَهُ مِنْ غَيْرِ فَدَاءٍ ، وَكَانَ شَاعِرًا
يَشْتَغِلُ بِسَبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَسْتَفِرُ النَّاسُ
لِلْقَاتَالِ ، وَكَانَ عَاهَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ أَنَّ
لَا يَعُودُ إِلَى شَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا مَنَّ عَلَيْهِ .. رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ ،
وَنَقَضَ الْعَهْدَ ، وَاشْتَغَلَ بِمَا كَانَ مُشْتَغِلًا بِهِ قَبْلَ مِنَ السَّبَّ ،
وَالْهَجَاءِ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ .. خَرَجَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ عَلَى
ذَلِكَ الْحَالِ ، فَلَمَّا نَزَلَ الْمُشْرِكُونَ بِحَمْرَاءِ الْأَسْدِ .. نَزَلَ
مَعَهُمْ ، ثُمَّ سَارُوا ، وَتَرَكُوهُ نَائِمًا ، فَأَدْرَكَهُ الْمُسْلِمُونَ ،
وَأَسْرَوْهُ ، وَكَانَ الَّذِي أَسْرَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابَتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
فَلَمَّا ظَفَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
أَقْلَنِي ، وَامْنُنْ عَلَيَّ ، وَدُعْنِي لِبَنَاتِي ، وَأَعْاهِدُكَ أَنْ لَا أَعُودُ ،
هَذَا مَا أَشَارَ لَهُ بِقَوْلِهِ : (ثُمَّ ارْتَجِعِ) أَيْ : أَمَّلَ (أَنْ يُطْلَقَا)
مَرَّةً (ثَانِيَةً) لِأَجْلِ (أَنْ كَانَ ذَانِيَةً وَهُوَ) أَيْ : صَاحِبِ تَلْكَ
الْفَعْلَةِ الْقَبِيْحَةِ ، وَالْحَالَةِ الشَّنِيْعَةِ (أَبُو عَزَّةَ) عَمَرُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبِ الْجَمْحِيِّ (ذُو الْهَنَّاتِ) جَمْعُ هَنَّةَ ، بَفْتَحِ الْهَاءِ
فِيهِمَا : الْأَخْبَارُ الْمَكْرُوْهَةُ .

أَسْرَهُ بَبْدَرٍ وَاسْتَعْطَافَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِرْسَالِهِ

نَقْضِهِ لِلْعَهْدِ وَخَرْجِهِ
مَعَ الْمُشْرِكِينَ

اسْتَعْطَافَهُ ثَانِيَةً بَعْدِ
الْقِبْضِ عَلَيْهِ

.....
المؤمن لا يلدغ من
جحر مرتين

ولمَّا قال ذلك أبو عَزَّةٍ . . قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَاللَّهِ لَا تَمْسُحُ عَارِضِيكَ بِمَكَّةَ ، تَقُولُ : خَدَعْتَ مُحَمَّدًا مَرْتَيْنَ - وَفِي رَوَايَةَ : « تَمْسُحُ لَحْيَتِكَ ، تَجْلِسُ بِالْحَجْرِ تَقُولُ : خَدَعْتَ مُحَمَّدًا » وَفِي لَفْظِ : « سَحَرْتَ مُحَمَّدًا مَرْتَيْنَ » - إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرِ مَرْتَيْنَ^(١) ، اضْرَبْ عَنْقَهِ يَا زُبِيرَ » وَفِي رَوَايَةَ : « يَا عَاصِمٍ » فَضَرَبَتْ عَنْقَهِ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا جِنِينَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ .

أول رأس حمل في
الإسلام على رمح

قيل : ولمَّا قُتِلَ . . حمل رأسه على رُمح إلى المدينة ، هو أول رأس حمل في الإسلام ؛ أي : على رمح ؛ فَلَا يَنَافِي أَنَّ أول رأس حمل في الإسلام إلى المدينة رأس كعب بن الأشرف : وهذا المثل لم يسمع من غيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨

(١٤) غزوة بنى النَّضِير

بفتح النون ، وكسر الضاد المعجمة : قبيلة من اليهود ، ينسبون إلى سيدنا هارون أخي سيدنا موسى ، عليهما وعلى نبينا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، سكنا مع العرب ، ودخلوا فيهم ،

(١) ذكره ابن هشام بـلاغاً عن سعيد بن المسيب ، وقال في « الشامية » : (رواه البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً ، وعزاه الحافظ السيوطي للإمام أحمد ، والشيخين وأبي داود ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه لكن بلفظ : « لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرْتَيْنَ ») .

تاریخها

واختلف أهل السّير في السنة التي كانت فيها هذه الغزوة فذهب الزُّهري وجماعة ، وصدر به الإمام البخاري تعليقاً جزماً : أنها كانت بعد غزوة بدر ، وقبل أُحد ، وقال في (الهُدُي) : (الصحيح الذي عليه أهل السير : أنها بعد غزوة أُحد ، وللنبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود أربع غزوات : أولها : غزوة قيُّنَاع بعد بدر ، والثانية : غزوة بني النَّضير بعد أُحد ، والثالثة : غزوة بني قُرْيطة ، بعد الخندق ، والرابعة : خيير ، بعد الحُدَيْبِيَّة ، وذهب ابن إسحاق إلى أنها كانت بعد أُحد وبئر معونة ، ورجح المحققون من الحفاظ قوله ، قالوا : وكانت في ربيع الأول من السنة الرابعة ، على رأس خمسة أشهر من غزوة أُحد ، وإياهم تَبع النَّاظم فقال :

غزوات النبي صلى الله عليه وسلم لليهود أربع

سبب هذه الغزوة :

(ثُمَّ أَنْتَصِرُ هَاجَهَا) أي : أثار الغزوة المفهومة من المقام ، وفاعل هاج : المصدر المنسبك من قوله : (أن جاءهم) بفتح الهمزة ؛ أي : مجئه صلى الله عليه وسلم إياهم حال كونه (مستوهباً) أي : طالباً هبة (من دية) وكان بين بني النضير وبين عامر عَقد وحَلْف ، فيسهل الدفع منهم ، وهو بيان لقوله : (ما نابهُمْ) أي : نزل بهم ، والمراد : دية العامريين اللذين قتلهم عمرو بن أمية الضَّمْري ، مرجعه من بعث بئر معونة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم عَقد لهما جواراً ، ولم يعلم به عمرو ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

«قتل قتيلين لأدينهما» وعمرو يرى أنه أصاب ثاراً بهما ، بعض أصحابه الذين قتلوا ببئر معونة .

فخرج عليه الصلاة والسلام يوم السبت ، فصلّى في مسجد قباء ومعه رهط من المسلمين ، ثمّ جاء بني النضير فجلس يكلّمهم في ذلك ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه ، وقد آن لك أن تزورنا ، وأن تأتينا ، اجلس حتى تطعّم وترجع بحاجتك ، ونقوم فنتشاور ، ونصلح أمرنا فيما جئتنا به ، ثمّ كان ما أشار إليه الناظم بقوله : (فأَصْعَدُوا أَحَدَهُمْ) وهو عمرو بن جحاش ، فإنه قال : أنا لذلك ، لما اختاروه لعمل السوء (ليلقىأ علىه صخرة ثريح) اليهود (الأغيا) ء : جمع غبيّ ، وهو الذي لا يفطن ومنه : وغبيّ من ساعه المئيّ والسالبيّ

وأرضاه الفُّوْمُ والقِيَاءُ

وذلك بعد أن خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال منفرداً ليس معه أحد من أصحابه إلا نحو العشرة ، وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلم قاعداً إلى جنب جدار ، وفي رواية : قالوا - لما رأوا قلة أصحابه - : نقتله ونأخذ أصحابه أسرى إلى مكة ، فنبينهم من قريش ، فقال سلام بن مشكم لليهود : لا تفعلوا ، فوالله ليُخْبِرَنَّ بما هممت به ، وإنّه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه ، كما أشار لذلك بقوله :

وَأَخْبَرَ أَبْنُ مِشْكَمٍ أَنْ يُخْبَرَ أَنْ يُخْبَرَ أَنْ يُخْبَرَ
وَجَاءَهُ الْخَبَرُ مِنْ رَبِّ السَّمَا وَفِي حِصَارِهَا الْعَقَارُ حُرْمًا

(و) لما أجمع اليهود غدرًا بالنبي صلى الله عليه وسلم (أَخْبَرَ) بالبناء للملعون ؛ أي : أخبرهم سلام (ابن مِشْكَمٍ) بوزن مِنْبَرٍ (أَنْ يُخْبَرَ) بالبناء للمفعول ؛ أي : بأنه صلى الله عليه وسلم يُخبر من طريق الوحي بما تقدم ، وفي رواية : قال لهم : يا قوم ؛ أطعوني في هذه المرة ، وخالفوني الدهر ، والله لئن فعلتم ليُخْبَرَنَّ بأننا قد غدرنا به ، وإنَّ هذا نقض للعهد الذي بيننا وبينه (وزجر الرَّهْط) بسكون الهاء ، وتفتح كثيراً ؛ أي : قومه وقبيلته (فلم ينجزرا) أي : الرهط بالألف المنقلبة عن النون الخفيفة .

(وجاءه الخبر) أي : خبر القوم ، وما أسرُوه بينهم (من رب السما) .

قال ابن إسحاق : (وَأَتَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرُ مِنْ رَبِّ السَّمَا ، مَعَ جَبَرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ ، فَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَظَهِرًا أَنَّهُ يَقْضِي حَاجَتَهُ ، خَوْفًا أَنْ يَفْطُنُوا لَهُ ، فَيُؤَذِّنُوا أَصْحَابَهُ ، وَلَذِكْ تَرْكُ أَصْحَابِهِ فِي مَجَالِسِهِمْ ، وَرَجَعَ مُسْرِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَبْطَأُوهُ ، فَقَامُوا فِي طَلَبِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ حُبَيْيٌ : لَقَدْ عَجَلَ أَبُو الْقَاسِمَ ، كَنَا نَرِيدُ أَنْ نَقْضِي حَاجَتَهُ وَنَفْرِيهِ ، وَنَدْمَتِ الْيَهُودُ عَلَى مَا صَنَعُوا ، قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ : وَنَزَلَ فِي ذَلِكَ : ﴿ يَسْأَلُهَا الَّذِينَ أَمَّنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ

نصح سلام بن مشكم
لليهود بالرجوع عن
مؤامرتهم

إعلام النبي صلى الله
عليه وسلم بمؤامرتهم
عليه

استبطأوه صلى الله
عليه وسلم
ندم اليهود على
مؤامرتهم

فَوْمَ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَأَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ ﴿٢٠﴾ ، وَقِيلَ : نَزَلَتْ فِي غَيْرِ ذَلِكِ ۝ .

استخلاف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم على الصلاة محاصرة النبي صلى الله عليه وسلم لليهود

وقال ابن إسحاق : فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أُمّ مكتوم - يعني إماماً^(١) للصلوة - ثم سار بالناس ، حتى نزل بهم ، فحاصرهم ستّ ليل ، قال ابن إسحاق : فتحصّنوا منه في الحصون ؛ فقطع النخل ، وحرّقها ، وخرّب أماكنهم ، فنادوه يا محمد ؟ قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعييه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقه ؟

قال السهيلي : « قال أهل التأويل : وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِسَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا فَأَلِمَّهُمْ عَلَى أُصُولِهَا فَيَأْذَنُ اللَّهُ وَلِيُخْرِجَ الْفَسَقِينَ ﴾ ، واللّيّنة : ألوان التمر ما عدا العجوبة والبرّني ، ففي هذه الآية : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُحَرِّقْ مِنْ خلْهُمْ إِلَّا مَا لَيْسَ بِقُوتٍ لِلنَّاسِ ، وَكَانُوا يَقْتَاتُونَ الْعَجْوَةَ .

نَزَولٌ تَحْرِيمٌ الْخَمْرٌ تَحْرِيمًا بَاتَّاً وَسُورَةُ الْحَشْرِ :
(وَفِي حَصَارَهَا) أَيْ : بَنِي النَّضِيرِ (الْعَقَارِ) بِضمِ
الْعَيْنِ : الْخَمْرُ ، سُمِّيَّتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا عَقَرَتِ الْعُقْلَ (حُرْمًا)
أَيْ : نَزَلَ تَحْرِيمَهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي (سُورَةُ الْمَائِدَةِ) : ﴿يَأَيُّهَا

(١) قال في «شرح الموهاب» : (ولم يستعمل على أمرها أحداً لقربها ؛ لأنَّ بينها وبين المدينة ميلن) اهـ

وَالْحَسْرُ أُنْزِلَتْ بِهَا وَنَقَضاً نَجْلُ أَبِي عَهْدَهُمْ وَرَفَضَا

الَّذِينَ أَمْنَوْا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴿الآية﴾ .

وما ذكره الناظم .. يقتضي أنها حُرِّمت سنة أربع . قال الحافظ : وفيه نظر ؛ لأنَّ أنساً كما في الصحيح ، كان الساقِي يوم حُرِّمت ، وأنَّه لما سمع المنادي بتحريمها .. بادر فاراقها ، فلو كانت سنة أربع .. لكان أنس يُصْغِر عن ذلك ، وقال قبل هذا : وقد بينت في تفسير (المائدة) الزمن الذي نزلت فيه الآية المذكورة ، وأنَّه كان في عام الفتح قبل الفتح ، ثمَّ رأيت الدِّمِياطِي في «سيرته» جزم بأنَّ تحريم الخمر كان سنة الحُدَيْبِيَّة ، والْحُدَيْبِيَّة كانت سنة ست .

واعلم : أنَّ أول آية نزلت في شأن الخمر قوله تعالى :

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْخَيْلِ وَالْأَعْنَبِ لَتَنْجُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ ، ثمَّ نزل قوله تعالى : ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَيْرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ ، ثمَّ نزل قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا لَا تَقْرَبُوا أَصْكَلَوْهَا وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَنْثُلُونَ﴾ ، ثمَّ نزل قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَذْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعْلَكُمْ مُفْلِحُونَ﴾ ، قال سيدنا عمر رضي الله عنه : انتهينا ، فحرمت إلى يوم القيمة تحريماً باتاً .

(والحشر) أي : (سورة الحشر) ، (أُنْزِلت) بأسرها كما في «سيرة ابن هشام» (بها) أي : في غزوة بني النضير ، وفي المنافقين الذين بعثوا إليهم ، وهم : عبد الله بن أبي بن سُلَول ، ووديعة بن مالك ، وغيرهما من منافقي بني عمرو بن

أول آية نزلت في شأن
الخمر

تحريم الخمر تحريماً
باتاً إلى يوم القيمة

سبب نزول سورة
الحشر

عوف من الخزرج ، بعثوا إلىبني النضير : أن اثبتو ،
وتمنعوا ، فإنّا لن نسلمكم ، إن قوتلتكم قاتلنا معكم ، وإن
آخر جتم خرجنـا معكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ،
قتل كعب بن الأشرف فقذف الله في قلوبهم الرّعب بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ،
وروى عبد بن حمـيد : أنّ غزوـة بنـي النـضير كانت صـيحة قـتل
كعب بن الأشرف .

إخراج بنـي النـضير من دـيارـهم :

وروى ابن سـعد ، كما في المـواهـب وـغـيرـها : أنـهـمـ حينـ
همـمـوا بـعـدـرـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، وـأـعـلـمـهـ اللهـ بـذـلـكـ ، وـنـهـضـ
سـرـيـعاـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ ، بـعـثـ إـلـيـهـ مـحـمـدـ بـنـ مـسـلـمـةـ : «ـأـنـ
اـخـرـجـواـ مـنـ بـلـدـيـ ، فـلـاـ تـسـاـكـنـوـنـيـ بـهـاـ ، وـقـدـ هـمـمـتـ بـمـاـ هـمـمـتـ
بـهـ مـنـ الـغـدـرـ ، وـقـدـ أـجـلـتـكـمـ عـشـرـاـ ، فـمـنـ رـئـيـ مـنـكـمـ بـعـدـ ذـلـكـ
ضـرـبـتـ عـنـقـهـ »ـ فـمـكـثـوـنـاـ عـلـىـ ذـلـكـ أـيـامـاـ يـتـجـهـزـوـنـ ، وـتـكـارـوـنـاـ مـنـ
أـنـاسـ مـنـ أـشـجـعـ إـبـلـاـ ، فـأـرـسـلـ إـلـيـهـ عـبـدـ اللهـ بـنـ أـبـيـ :
لـاـ تـخـرـجـوـاـ مـنـ دـيـارـكـمـ ، وـأـقـيـمـوـاـ فـيـ حـصـونـكـمـ ؛ـ فـإـنـ مـعـيـ
أـلـفـينـ مـنـ قـوـمـيـ مـنـ الـعـرـبـ ، يـدـخـلـونـ حـصـونـكـمـ ، وـتـمـكـنـ
قـرـيـظـةـ وـحـلـفـاؤـكـمـ مـنـ غـطـفـانـ ، فـطـمـعـ حـيـيـ فـيـمـاـ قـالـهـ اـبـنـ أـبـيـ ،
فـأـرـسـلـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ :ـ إـنـاـ لـنـ نـخـرـجـ مـنـ
دـيـارـنـاـ ، فـاـصـنـعـ مـاـ بـدـاـ لـكـ .

حـثـ عـبـدـ اللهـ بـنـ أـبـيـ
الـيـهـودـ بـعـدـ الـخـرـوجـ

خـرـوجـ الرـسـوـلـ صـلـىـ
الـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـقـتـالـ
الـيـهـودـ

فـأـظـهـرـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ التـكـبـيرـ ، وـكـبـرـ الـمـسـلـمـونـ
بـتـكـبـيرـهـ ، وـسـارـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ إـلـيـهـمـ فـيـ أـصـحـابـهـ ، فـصـلـىـ

حامل الراية

العصر بفناء بنى النَّضير ، وعلى رضي الله عنه يحملُ رايته ، فلما رأوه صلَّى الله عليه وسلم .. قاما على حصونهم ، ومعهم الشَّبل والحجارة ، واعتزلهم ابن أبَيِّ ، ولم يعنهم ، كما قال الناظم :

(ونقضا) أي : أبطل (نجل أبَيِّ) عبد الله (عهدهم) أي : عهده إياهم بالمدد والنصرة (ورفضا) وكذلك حلفاؤهم من غَطَّافَان ، فقال ابن مِشكِّم وكتانة لِحْيَيَّ : أين الذين زعمت ؟ قال : ما أصنع ؟ هي ملحمة كتبت علينا ، فيئسوا من نصرهم ، فحاصرهم صلَّى الله عليه وسلم ، وقطع نخلهم ، وقال لهم عليه الصَّلاة والسلام : « اخرجوا منها ، ولكم دماؤكم ، وما حملت الإبل ، إلا الحلقة^(١) » .

موقف النبي صلَّى اللهُ عليه وسلم من يهود بنى النَّضير بعد شد الحصار عليهم

فنزلت يهود على ذلك ، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، وولي إخراجهم محمد بن مسلمة ، وحملوا النساء ، والصبيان ، وتحملوا أمعتهم على ست مئة بعير ، فلحقوا بخيَّر وقبض رسول الله صلَّى الله عليه وسلم الأموال ، والحلقة فوجد خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاث مئة وأربعين سيفاً وحزن عليهم المنافقون حزناً شديداً .

تولى محمد بن مسلمة رضي الله عنه إخراج اليهود

فيهم للرسول صلَّى اللهُ عليهِ وسلم وقد خصَّ به المهاجرين برضَا الأنصار :

(وَفِيهِمْ) أي : بنى النَّضير ، وهو مبتدأ خبره : (لخِير

تعريف الفيء

(١) بأسكان اللام : هي السلاح كله ، وقيل : الدرع والمراد هنا الأول .

أَمَّا الْغَنِيمَةُ فَقِي زَحَافٍ وَالْأَخْذُ عَنْوَةً لَدَى الْزَّحَافِ
لِخَيْرٍ مُرْسَلٍ وَخَصَّ فِتَّةً وَفِي رِضَا أَنْصَارِهِ عَطِيَّةً

مرسل) وما بينهما معرض ؛ لبيان معنى الفيء والغنية المشار
إليه بقوله : (والفيء في الأنفال) جمع نَفَلٌ ، كسب
وأسباب ؛ أي : الغنية (ما) أي : الغُنم الذي (لم يكن أَخْذُ
عن قتال) بل أَوْجَفَ عليه المسلمون بلا خيل ، ولا رِكَابٍ ،
قال تعالى : ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَمَّا أَوْجَفْتُمْ عَنْهُ مِنْ حَيْلٍ
وَلَا رِكَابٍ وَلَكُنَّ اللَّهُ يُسْلِطُ رُسُلَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴾ .

(أَمَّا الغنية) المقابلة للفيء (فَ) هي : ما أَخْذَتْ تعريف الغنية
(في) حال (زحاف) للجيش ، وهو بكسر الزاي (والأخذ)
أي : مع الأخذ (عنوة) بفتح العين ؛ أي : قهراً باستعانة
السيف (لَدَى الْزَّحَافِ) أي القتال .

وكذلك كانت أموال بني النَّضير فيئاً ، وهي (لخير
مرسل) صلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما تقدم في الآية .

قال الشهاب القسطلاني في « المawahب » : (ولم يُسْهِم
منها ؛ أي : من أموال بني النَّضير لأحد) ؛ لأنَّ المسلمين لم
يُوجفوا عليها بخيل ولا رِكَابٍ ، وإنَّما قُذِفَ في قلوبهم
الرُّعب ، وأُجْلُوا عن منازلهم إلى خير ، ولم يكن ذلك عن
قتال من المسلمين لهم) .

(وَخَصَّ) النَّبِيُّ صلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعطاء من الفيء
سبب إشار النَّبِيِّ صلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المذكور (فِتَّةً) أي : طائفته المهاجرين ، فقسمها بينهم ؛ عليهِ وَسَلَّمَ المهاجرين
بالفيء

ليرفع بذلك مؤونتهم عن الأنصار ؛ إذ كانوا قاسموهم في الأموال ، والديار ، غير أنه أعطى سهْل بن حنْيْف ، وأبا دُجَانة لحاجتهما ، وأعطى أيضاً سعد بن معاذ سيف كنانة بن أبي الرَّبِيع بن أبي الحَقِيق وهو سيف له ذِكر عندهم (وفي رضا) أي : بسبب رضا (أنصاره) صلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو فاعل للمصدر ، ومفعوله قوله : (عَطِيَّتْهُ) للمهاجرين ما أفاء اللهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِير ؛ أي : بسبب ذلك (كان الترحم) منه عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (على الأنصار) إذ قال : « اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ » (أن آثروا) أي : قدَّمَ الْأَنْصَارُ عَلَى أَنفُسِهِمْ (به) أي : بالفَيْءِ المذكور (بَنِي نِزَارٍ) أي : المهاجرين .

قال الْيَعْمَرِيُّ في « عيون الأثر » : (لما غنم رسول الله صلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْوَالَ بَنِي النَّضِير .. دعا ثابت بن قيس بن شماس ، فقال : « ادع لي قومك » فقال ثابت : الخزرج يا رسول الله ؟ قال صلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْأَنْصَارُ كُلُّهَا » فدعا له الأوس والخزرج ، فتكلَّم رسول الله صلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثمَّ ذكر الْأَنْصَارَ وَمَا صنعوا بالْمَهَاجِرِينَ ، وإنْزَالَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وإيَّاهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ ، ثُمَّ قال : « إِنَّ أَحَبِّتُمْ قَسْمَتَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَهَاجِرِينَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ بَنِي النَّضِير ، وَكَانَ الْمَهَاجِرُونَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ السُّكْنَى فِي

دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَارِ

دُعَوةِ الرَّسُولِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْأَنْصَارُ لِعَرْضِ مَوْقِفِهِ
مِنْ تَقْسِيمِ الْفَيْءِ

منازلكم وأموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دُورِكم » .

فتكلّم سعد بن عُبادة ، وسعد بن معاذ ، فقالا :
 يا رسول الله ؛ بل تقسم بين المهاجرين ، ويكونون في دورنا
 كما كانوا ، وقالت الأنصار : رضينا وسلّمنا يا رسول الله ،
 فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ ؛ ارحم
 الأنصار ، وأبناء الأنصار » فقسم رسول الله صلّى الله عليه
 وسلم ما أفاء الله عليه ، وأعطى المهاجرين ، ولم يُعط أحداً من
 الأنصار شيئاً إلّا رجلين كانوا محتاجين سهل بن حنيف
 وأبا دجابة ، وأعطى سعد بن معاذ سيف كنانة بن أبي الحُقيق .
 وقال سيد المهاجرين أبو بكر رضي الله عنه : جزاكُم الله
 يا عشر الأنصار خيراً ، فوالله ما مثلنا ومثلُكُم إلّا كما قال
 الغنوي :

جزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَرْلَقْتَ
 بنا نَعْلُنا فِي الْوَاطِئِينَ فَرَلَتِ
 أَبُوا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمَّا
 تُلَاقِي الْذِي لَا قَوْهُ مِنَ الْمَلَتِ

ثم ذكر الناظم بعض تفضيلات الأنصار في إيثارهم .

فضل الأنصار بإيثارهم المهاجرين على أنفسهم :

(وشاطرُوهُمْ) أي : قاسمُوهُمْ (مالَهُمْ و) حتى إنَّهُمْ
 (نَزَلُوا) أي : الأنصار (عنِ الْحَلَائِلِ) أي : الزوجات (لَهُمْ)

مَنْ سَنَهُ مُخَيْرًا بَيْنَ أَثْنَيْنِ إِبْنُ الرَّبِيعِ لِابْنِ عَوْفِ الْمَكِينِ
فَتَرَكُوهُنَّ لَهُمْ تَعْفُفًا فَعَفَ هَذَاكَ وَذَاكَ أَسْرَفَا

يتعلق بـ (نزلوا) . فمن كان عنده زوجتان.. كان يختار المهاجري في واحدة ، فينزل له عنها ، حتى إذا انقضت عدتها يتزوجها .

(وأَوْلَ من سَنَهُ) أي : التزول عن الحالات حال كونه (مُخَيْرًا بَيْنَ أَثْنَيْنِ) سيدنا سعد (ابن الرَّبِيعِ لَ) سيدنا عبد الرَّحْمَنَ (بن عَوْفِ الْمَكِينِ) المترفة عند الله تعالى ، بالهجرة له ، لما أَخْرَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمَا .

ففي « صحيح البخاري » : (أَخْرَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ) ، فقال سعد لعبد الرَّحْمَنَ : إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا ، هَلْمَ أَقْسَمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ نَصْفَيْنِ ، وَلِي امْرَأَتَانِ ، فَانظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ ، فَسَمِّهَا أَطْلَقَهَا لَكَ ، إِنَّا إِذَا انْقَضَتِ عِدَّتَهَا فَتَزَوَّجُهَا ، قَالَ : بَارِكْ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلَكَ وَمَالِكَ ، أَيْنَ سُوقُكَ ؟ فَدَلَّوْهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قِينِيَّاعَ ، فَمَا انْتَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلُّ مِنْ أَقْطَاعِ ، وَسَمْنَ ، ثَمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمَ وَبِهِ أَثْرَ صُفْرَةَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَهْمِيمٌ » قَالَ : تَزَوَّجْتَ ، قَالَ : « كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا ؟ » قَالَ : نَوَاهَ مِنْ ذَهَبٍ ، أَوْ وَزْنَ نَوَاهَ .

(فَتَرَكُوهُنَّ لَهُمْ) أي : الحالات لأزواجهنَّ (تعففًا) مصدر تعفف إذا تزه . قال السيد محمد مرتضى في « شرح القاموس » : (التعفف : الصبر ، والتراهنة في الشيء) .

أول من سن التنازل
عن الزوجات
للمهاجرين سعد بن
الربيع

مؤاخاة الرسول صلى
الله عليه وسلم بين
عبد الرحمن بن عوف
وسعد بن الربيع

(فُعْفٌ) أي : كف^(١) (هذاك) أي : المهاجري بعده نزوله عن الحليلة ؛ لأنَّه لا يحمل . قال في « القاموس » : (عف الرجل عفا ، فهو عف وعفيف : كف عما لا يحمل) وهو المراد هنا ، وعما لا يحل وهو غير مراد (وذاك) أي : الأنصاري (أسرفا) بالسين المهملة ، وألف الإطلاق ؛ أي : جاوز في الإيثار ، حتى قصد أن ينزل عن إحدى حليلتيه للمهاجري ، فإنَّ الإسراف ضد القصد .

الإشادة ب موقف
الأنصار من
المهاجرين رضي الله
عنهم

وهذه الأخلاق من الأنصار - شكر الله سعيهم ، ورزقنا
حبهم - مظهر عظيم من مظاهر إيمانهم وحبهم الله ورسوله ،
ولكل من لجأ إليهم فارأً بدينه من بلاد الكفر وحزب الضلال ،
فرضي الله عن هؤلاء الصحب الكرام الذين تبوعوا الدار
والإيمان ﴿يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدُثُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا
أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ إِيمَانُهُمْ خَصَّاصَةً وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ، ورزقنا حبهم ، وجمعنا بهم في
مستقر حرمه ، بمنه وكرمه ، إنَّه على ذلك قدير ، آمين .

(١) يحتمل أن تكون العبارة هكذا : (فعفها ذاك) على أنَّ الهاء ضمير الحليلة ، لا حرف تبيه ، وذاك : هو المهاجري ، ولكن لم أر ذلك في نسخة .

(١٥) غزوة ذات الرقاع

قال الزرقاني : (بكسر الراء بعدها قاف ، فألف ، فعین مهملة : جمع رُقعة بضمها ، وهي غزوة محارب^(١) ، وغزوة بنی ثعلبة ، وغزوة بنی أئمَّار ، وغزوة صلاة الخوف ، وغزوة الأعاجيب ، وقول البخاري : (وهي غزوة مُحارب بن خَصَّفة بن ثعلبة بن غَطَّفَان) وهم ؛ لاقتضائه أَنَّ ثعلبة جد مُحارب ، وليس كذلك ، كما عند ابن إسحاق وغيره ، فصوابه : وبنی ثعلبة بواو العطف ؛ فإنَّ غَطَّفَان هو ابن سعد بن قيس عَيْلَان ، ومحارب بن خَصَّفة بن قيس عَيْلَان ، فمحارب وغَطَّفَان أبناء عم ، فكيف يكون الأعلى منسوباً إلى الأدنى ؟ ! وفي قوله : (ثعلبة بن غَطَّفَان) نظر أيضاً ، والأولى ما عند ابن إسحاق : (وبنی ثعلبة من غَطَّفَان) ، بميم ونون ، قاله الحافظ ، ونبَّه على ذلك أبو علي الجياني في أوهام الصحيح) .

قال اليعمری : (سُمِّيَت بذلك لأنَّه رَقَعوا فيها راياتهم ؛ ويقال : ذات الرقاع ، شجرة بذلك الموقع ، وقيل : لأنَّ أقدامهم نَقَبت ، فكانوا يلْفُون عليها الخرق) اهـ

قلت : وهذا هو الأصحّ ، لما رواه البخاري ومسلم عن

استدراك الشارح

سبب التسمية

(١) قال في «الفتح» : (جمهورهم على أَنَّ غزوة ذات الرقاع هي : غزوة محارب ، وجزم به ابن إسحاق) .

أبي موسى ، قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن ستة نفر ، بينما بعير نعتقه ، فنقيبت أقدامنا ، ونقيبت قدماي ، وسقطت أظفاري ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ؛ لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق .

الاختلاف في وقت وقوع هذه الغزوة :

واختلف متى كانت على أقوال : فعند ابن إسحاق بعد بنى النضير ، سنة أربع في ربيع الآخر ، وبعض جمادى .
وعند ابن سعد ، وابن حبان في المحرم سنة خمس .
ومال البخاري : إلى أنها كانت بعد خيبر ؛ لأنَّ أبا موسى شهدَها ، وهو إنَّما جاء من الحبشة بعد خيبر ، سنة سبع ، فلزم أنها كانت بعد خيبر .

قال الحافظ : (وعجبت من ابن سيد الناس كيف قال : جعل البخاري حديث أبي موسى هذا حجَّة في أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر ، قال - يعني اليَعْمَرِي - : وليس في حديث أبي موسى ما يدل على شيء من ذلك) قال الحافظ : (هذا النفي مردود ، والدلالة من ذلك واضحة) .

قلت : وذلك : لأنَّ أبا موسى كان قد ومه من الحبشة بعد فتح خيبر ، وفي الصحيح قال أبو موسى : فوافينا النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر ، لكن الناظم رحمة الله تعالى جرى على أنها بعد بنى النضير كأصله ، فقال :

ثُمَّ إِلَى مُحَارِبٍ وَّثَلْبَةٍ دَاتِ الرِّفَاعِ نَاهَزُوا الْمُضَارِبَه
وَلَمْ يَكُنْ حَرْبٌ وَّغَورَثٌ جَرَى فِيهَا لَهُ الَّذِي لِدُعْثُورٍ جَرَى

(ثُمَّ) أي : بعد غزوة بنى النضير ، توجه صلى الله عليه وسلم (إِلَى) غزو (مُحَارِبٍ) بضم الميم ابن خَصَفَة ، بفتح المعجمة والصاد (و) بنى (ثَلْبَةٍ) وهم بأرض نجد ، و(ذات الرقاع) فإنَّ الغزوة تسمى بهذه الثلاثة ، كما تقدم ، ثُمَّ استأنف الكلام بجملة وقعت جواباً عن كيفية الغزوة ، فقال : (ناهزوا) أي : قاربوا (المضاربة) والمقاتلة ، (ولم يكن حرب) .

الأسماء الثلاثة لهذه الغزوة

وذلك : أَنَّه لَمَا بَلَغَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْجَمَوْعَ .. خَرَجَ - كَمَا قَالَهُ الْيَعْمَرِيُّ عَنْ أَبِي سَعْدٍ - لِيَلَةَ السَّبْتِ ، لِعَشْرِ خَلُونَ مِنَ الْمُحْرَمِ ، فِي أَرْبِعِ مِئَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَيَقَالُ : سَبْعَ مِئَةً ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَيْلٌ : أَبَا ذَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ فِي « شَرِحِ الْمَوَاهِبِ » : (وَسَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنَّ وَصْلَ وَادِي الشُّقْرَةِ ، فَأَقَامَ فِيهَا يَوْمًا ، وَبَعْثَ السَّرَّاِيَا ، فَرَجَعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْلَّيْلِ ، وَخَبَرُوهُ : أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا أَحَدًا ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ نَخْلَاءً ، بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ : مَوْضِعُ مِنْ نَجْدٍ ، مِنْ أَرْضِ غَطْفَانِ) .

خَلِيلَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ

قَالَ أَبْنَ إِسْحَاقَ : (فَلَقِي جَمِيعًا مِنْهُمْ ، فَتَقَارَبَ النَّاسُ ، وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ ، وَقَدْ أَخَافَ النَّاسُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا ، حَتَّى صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْخُوفِ) .

قال الزرقاني : (وكان في صلاة العصر ، كما رواه البيهقي عن جابر ، ثم انصرف الناس ، وكان ذلك أول ما صلاتها) .

قال في « روض النهاة » : (وممّا تختلف به غيرها من الحكم أنه لا سهو فيها) اهـ

وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة ، وبعث جعال بن سراقة بشيراً بسلامته وسلامة المسلمين .

غورث وما هم به من قتل الرسول صلى الله عليه وسلم : (وغورث) بن الحارث من بني محارب (جرى فيها) أي : في هذه الغزوة (له الذي) جرى (لدعور) فهو يتعلق بقوله : (جرى) والدلال فيه مضمومة ، وفي البيت الإيطاء ، ويتعلق به أيضاً قوله :

(مع النبي) صلى الله عليه وسلم ، روى ابن إسحاق ، وذكره اليعمري عنه : (عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أنَّ رجلاً من بني محارب يقال له : غورث ، قال لقومه من غطfan ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلـ ، وكيف قتله ؟ قال : أفتـك به ، قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالـ وسـيفـه في حـجرـه ، فقال : يا مـحمدـ ؟ أنـظرـ إلى سـيفـكـ هـذاـ ؟ قال : « نـعـمـ » فـأـخـذـهـ فـاسـتـلـهـ ، ثمـ جـعـلـ يـهـزـهـ وـيـهـمـ ، فـيـكـبـتـهـ اللهـ تـعـالـيـ . ثمـ قالـ : يا مـحمدـ ؟ أـمـاـ تـخـافـنـيـ ؟ قالـ : لـاـ ، وـمـاـ أـخـافـ منـكـ ؟ قالـ : أـمـاـ تـخـافـنـيـ وـفـيـ يـدـيـ السـيفـ ؟ قالـ : لـاـ ، بـلـ يـمـنـعـنـيـ اللهـ منـكـ » قالـ : ثـمـ عـمـدـ إـلـىـ

سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ يَتَأَبَّلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نَعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذَا هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَنْفُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَسْتَوْكُلُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وقد رواه من حديث جابر أيضاً أبو عوانة وفيه : (فسقط السيف من يده ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « من يمنعك مني ؟ » قال : كن خيراً آخذ ، قال : « تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنني رسول الله ؟ » قال الأعرابي : أُعاهدك أنني لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، قال : فخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله ، فجاء إلى قومه فقال : جئتم من عند خير الناس) .
ثم قال الناظم تبعاً لأصله .

(وعلى المعتمد جرت) هذه القصة (لواحد) اختلف الرواة في اسمه ، فقال بعضهم : اسمه دُعْثُور ، وبعضهم : غَورث ، قوله : (بلا تعدد) تأكيد ، فإنَّ اليعمري قال في « العيون » : (والظاهر : أنَّ الخبرين واحد) وقال غيره من المحققين كابن كثير : الصواب : أنَّهما قستان في غزوتين :

قصة لرجل اسمه دُعْثُور بغزوة ذي أَمْرَ وغطفان ، وفيها التصریح بأنَّه أسلم ، ورجع إلى قومه ، فاهتدى به خلق كثير .
وقصة بذات الرقاع لرجل اسمه غَورث ، وليس في قصته تصریح بإسلامه .

وفي هذه القصة فرط شجاعته صلى الله عليه وسلم ، وقوه
يقينه ، وقوه صبره على الأذى ، وقوه حلمه على الجهال ،
عليه الصلاة والسلام من ذي الجلال .

قصة جابر وحمله مع الرسول صلى الله عليه وسلم :

فائدة :

في انصرافه صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة أبطأ جمل
جابر بن عبد الله ، فنخسه صلى الله عليه وسلم ، فانطلق متقدماً
بين يدي الركاب ، ثم قال : « أتبينيه ؟ » فابتاعه منه وقال :
« لك ظهره إلى المدينة » فلما وصل .. أعطى الشمن ، وزاد ،
ووهب له الجمل ، والحديث أصله في البخاري ، قال
الزرقاني : (في عشرين موضعاً ، لكن لم يقع فيه : أنه في
ذات الرقاع) .

قال ابن إسحاق : (وحدثني وهب بن كيسان ، عن
جابر بن عبد الله رضي الله عنهمما قال : خرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل
لي ضعيف ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال :
جعلت الرفاق تمضي ، وجعلت أتختلف ، حتى أدركتني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما لك يا جابر ؟ »
قال : قلت : يا رسول الله ؛ أبطأ بي جملي هذا ، قال :
« أنْخْه » قال : فأنْخْته ، وأنْاخ رسول الله صلى الله عليه
 وسلم .

.....

ثمَّ قال : « أعطني هذه العصا من يدك ، أو اقطع لي عصاً من شجرة » قال : ففعلت ، قال : فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتخسَّ بها نَخَسَاتٍ ، ثمَّ قال : « اركب » فركبت ، فخرج والذِي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة^(١) ، قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : « أتبيني جملك هذا يا جابر ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ؟ بل أهبه لك ، قال : « لا ، ولكن بِعْنِيه » قال : قلت : فسُمِّنْيه يا رسول الله ، قال : « قد أخذته بدرهم » قال : قلت : لا ، إذن تغْبِّنِي يا رسول الله ، قال : « فبدرهمين » قال : قلت : لا ، قال : « فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمنه حتى بلغ الأُوْقِيَةِ » قال : فقلت : أفقد رضيَّت يا رسول الله ؟ قال : « نعم » قلت : فهو لك . قال : « قد أخذته » .

قال : ثمَّ قال : « يا جابر ؟ هل تزوجت بعد ؟ » قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : « أثيَّا أم بكرأ ؟ » قال : قلت : لا ، بل ثيَّاً ، قال : « أَفَلَا جارِيَةً تلاعِبُها وتلَاعِبُك ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ؛ إِنَّ أَبِي أُصَيْبَ يوْمَ أُحُدَّ ، فترك بنات له سبعاً ، فنكحْت امرأة جامِعَةً ، تجمع رؤوسهنَّ ،

(١) المواهقة : أن تسير مثل سير صاحبك ، قال في « النهاية » : (وفي حديث جابر : « فانطلَّ الجمل يواهق ناقته مواهقة » أي : يباريها في السير ، ويعاشرها ، ومواهقة الإبل : مد أعناقها في السير) اهـ

.....
وتقوم عليهنَّ ، قال : « أصبت إن شاء الله ، أما إنَّا لو قد جئنا
صِراراً^(١) .. أمرنا بجذور ، فنحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذاك ،
وسمعت بنا ، فنفضت نمارقها » قال : قلت : والله
يا رسول الله ما لنا من نمارق ، قال : « إنَّها ستكون ، فإذا أنت
قدمت فاعمل عملاً كَيْسَا » .

قال : فلما جئنا صراراً .. أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بجذور فنحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى
رسول الله صلى الله عليه وسلم .. دخل ودخلنا ، قال :
فححدثت المرأة الحديث ! وما قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، قالت : فدونك سمعاً ، وطاعة ، قال : فلما
أصبحت .. أخذت برأس الجمل فأقبلت به .. حتى أنفخته على
باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم جلست في
المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرأى الجمل فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : يا رسول الله ؛
هذا جمل جاء به جابر ، قال : « فأين جابر ؟ » قال : فدعى
له ، قال : فقال : « يا ابن أخي ؛ خذ برأس جملك ، فهو
لك » ودعا بلاً ، فقال له : « اذهب بجابر ، فأعطيه أُوقية »
قال : فذهبت معه فأعطياني أُوقية ، وزادني شيئاً يسيراً ، قال :
فوالله ؛ ما زال ينمى عندي^(٢) ، ويرى مكانه من بيتنا ، حتى

(١) موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(٢) من نمى المال زاد .

أُصِيبُ أَمْسٍ فِيمَا أُصِيبُ لَنَا ، يَعْنِي يَوْمَ الْحَرَةِ .

قال السهيلي : (ومن لطيف العلم في حديث جابر بعد أن
علم قطعاً : أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَفْعُلْ شَيْئاً عَبْثاً ، بَلْ
لِحْكَمَةِ مُؤْيَدَةِ بِالْعَصْمَةِ ، اشْتَرَاءُ الْجَمَلِ مِنْهُ ، ثُمَّ أَعْطَاهُ الثَّمَنَ ،
وَزَادَهُ ، ثُمَّ رَدَّ الْجَمَلَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَعْطِيهِ ذَلِكَ بِلَا
مُسَاوِمَةٍ ، وَلَا اشْتَرَاءٍ ، وَلَا شَرْطٍ تَوْصِيلٍ ، فَالْحِكْمَةُ فِيهِ بَدِيعَةٌ
جَدِّاً ، فَلَتَنْتَظِرْ بَعْنَ الْاعْتَبَارِ) .

وَذَلِكَ : أَنَّهُ سَأَلَهُ : « هَلْ تَزَوَّجْتَ ؟ » ثُمَّ قَالَ : « هَلَا
بَكْرًا » فَذَكَرَ مَقْتُلَ أَبِيهِ وَمَا خَلَفَ مِنَ الْبَنَاتِ ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخْبَرَ جَابِرًا بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْيَا أَبَاهُ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ
رُوحَهُ ، وَقَالَ : مَا تَشْتَهِي فَأَرِيدُكَ ، فَأَكَدَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
هَذَا الْخَبَرُ بِمِثْلِ مَا يَشْبَهُهُ :

فَأَشْتَرَى مِنْهُ الْجَمَلَ وَهُوَ مُطِيَّهُ كَمَا اشْتَرَى اللَّهُ مِنْ أَبِيهِ وَمِنْ
الشَّهِدَاءِ أَنْفُسَهُمْ بِشَمْنَ هُوَ الْجَنَّةُ ، وَنَفْسُ الْإِنْسَانِ مُطِيَّهُ .

ثُمَّ زَادُوهُمْ زِيَادَةً فَقَالَ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مُحْسِنٌ وَرَيَادٌ﴾ .

ثُمَّ رَدَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمُ الَّتِي اشْتَرَى مِنْهُمْ فَقَالَ : ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ
الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ .

فَأَشَارَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاشْتَرَاءِ الْجَمَلِ مِنْ جَابِرَ ،
وَإِعْطَائِهِ الثَّمَنَ وَزِيَادَتِهِ ، ثُمَّ رَدَ الْجَمَلَ الْمُشْتَرَى عَلَيْهِ ، أَشَارَ
بِذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى تَأْكِيدِ الْخَبَرِ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ عَنْ فَعْلِ اللَّهِ تَعَالَى
بِأَبِيهِ ، فَتَشَكَّلَ الْفَعْلُ مِنَ الْخَبَرِ ، كَمَا تَرَاهُ ، وَحَاشَا لِأَفْعَالِهِ

من لطيف العلم في
حديث جابر

تشاكل الفعل مع الخبر

صلى الله عليه وسلم أن تخلو من حكمة ، بل هي كلها ناظرة إلى القرآن ، ومنتزعة منه صلى الله عليه وسلم) اهـ

(١٦) غزوة بدر الأخيرة

وهي الصغرى لعدم وقوع حرب فيها ، وتسمى بدر الموعد ، للمواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أُحد .

(ثمَّ) بعد غزوة ذات الرقاع (لـ) أَجَل (مِيعَاد) أبي سفيان (ابن حرب بدر) وذلك : أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رجع من ذات الرقاع . . أقام بالمدينة ثلاثة أشهر ، ثمَّ خرج إلى بدر الموعد في شعبان سنة أربع ؛ إذ قال أبو سفيان يوم أُحد : الموعدُ بيننا وبينكم بدر من العام القابل ، فقال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لرجل من أصحابه هو عمر : « قل : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد إن شاء الله » فخرج النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ أَلْفَ وَخَمْسَ مِائَةٍ مِّنْ أَصْحَابِهِ ، وَعَشْرَةُ أَفْرَاسٍ .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول .

نَكْوَصُ أَبِي سَفِيَّانَ :

خليفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة المنورة

(وَكَعَ) بتشديد العين ماض معناه : نكص ، ورجع على عقبيه (عنها) أي : عن هذه الغزوة (نجل حرب) أبو سفيان (صخر) وكان قد خرج من مَكَّةَ فِي أَلْفَيْنِ ، ومعهم خمسون

فرساً ، ونزل على مجنَّة من ناحية مَرَّ الظَّهْرَان ، ثُمَّ بدا له
الرجوع ، وقال : يا معشر قريش ؟ إِنَّه لا يصلحكم إِلَّا عام
خِصْبٍ غيداق ، ترعنون فيه الشَّجَر ، وتشربون فيه اللَّبَن ، وإنَّ
عامكم هذا عام جَذْبٍ ، وإنِّي راجع فارجعوا ، فرجع الناس ،
فسمَّاهم أهل مَكَّة جيش السَّوِيق ، يقولون : إِنَّمَا خرجتُم
شربون السَّوِيق .

جيش السويف

وفاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوعده :

أَمَّا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. فوفَى بوعده ، وأقام
ثمانية أيام ببدر ينتظر أبا سفيان ، وباعوا ما معهم من التجارة ،
فربحوا الدرهم درهمين ، ونزل فيهم : ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ إِنَّ
النَّاسَ قَدْ جَمَعُوكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَرَأَدُوكُمْ إِيمَنًا وَقَاتَلُوا حَسْبَنَا اللَّهُ وَنَعَمْ
الْوَكِيلُ﴾ .

قال الجلال السُّيوطي : (﴿الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ إِنَّ
النَّاسَ﴾) أي : نعيم بن مسعود الأشعري⁽¹⁾ ، (إِنَّ النَّاسَ) : أبا سفيان
وأصحابه (قَدْ جَمَعُوكُمْ) الجموع ليست أصلوكم (فَأَخْشَوْهُمْ) ،
ولا تأتوهم (فَرَأَدُوكُمْ) ذلك القول (إِيمَنًا) وتصديقاً بالله ،
ويقيناً .

المسلمون ونعيم بن
مسعود

(1) وذلك : أَنَّ نعيمًا قدم مكة فأخبر أبا سفيان بتهيئ المسلمين لحربهم ، فأعلم أبو سفيان : أَنَّه
كاره الخروج ، وجعل له عشرين فريضة على أن يخذل المسلمين عن المسير ، فقدم نعيم
المدينة وأرجف بكثرة جموع أبي سفيان ، فلم يؤثر ذلك في المسلمين ، فلأنَّهم قالوا :
يا رسول الله ؟ إِنَّ الله مظهر دينه ، ومعز نبيه ، وقد وعدنا القوم ، ولا نحب أن نتختلف ،
فسر لموعدهم فمدحهم الله تعالى بوعي منزل على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ : كافينا أمرهم ، ﴿وَقَمَ الْوَكِيلُ﴾ : المفوض إليه الأمر هو ، وخرجوا فوافوا سوق بدر ، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه ، فلم يأتوا ، وكان معهم تجارات ، فباعوا ، وربحوا .

قال تعالى : ﴿فَانْقَلِبُوا﴾ : رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِ﴾ : بسلامة وربح ، ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ : من قتل أو جرح ، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته ، وطاعة رسوله في الخروج ، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته ، ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمْ﴾ أي : القائل : إن الناس . . . إن الخ ﴿الشَّيْطَنُ يُحَوِّلُ﴾ كم ﴿أَوْلَيَاءَهُ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ﴾ في ترك أمرى ﴿إِن كُلُّمُؤْمِنٍ﴾ حقاً) اهـ

وفي الآية : أن الله تعالى أعطاهم من الجزاء النعمة ، والفضل ، وصرف السوء ، واتباع الرضا ، فرضاهم عنه ، ورضي عنهم ، وذلك : لما فوضوا أمرهم إليه ، واعتمدوا بقلوبهم عليه .

.....

(١٧) غزوة دومة الجندل

قال اليُعْمَرِيُّ : (بضم الدال وفتحها ؛ أي : من دومة ، وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال ، ويعُدُّها عن المدينة خمس عشرة ، أو ست عشرة ليلة ، سميت بدومنى بن إسماعيل ؛ لأنَّه نزلها) .

فَدُومَةُ الْجَنْدِلِ هَاجَهَا زُمْرٌ بِدُومَةٍ يَظْلِمُنَّ مَنْ يَهْنَ مَرٌ

قال في « روض النهاة » : (وكان فيها التحكيم بين سيدنا علي وسيدنا معاوية رضي الله عنهم) .

وقال ياقوت في « معجمه » : (وذهب أكثر الرواة إلى أنَّ التحكيم كان بأذرح بضم الراء مع فتح أوله) .

قال في « القاموس » و « شرحه » : (موضع ، وقيل : بلد بجنب جرباء الشام وقد جاء ذكره في حديث الحوض وبينهما مسيرة ثلاثة أميال على الصحيح) .

(ف) بعد غزوة بدر هذه (دومة الجندي) أي : غزونها ، وكانت سنة خمس ، كما صرَّح به ابن هشام في ربيع الأول ، على رأس تسعه وأربعين شهراً من الهجرة .

سبب هذه الغزوة :

وبين الناظم سببها بقوله :

(هاجها) أي : أثار هذه الغزوة (زُمْر) بوزن زُفَر : جمع زُمْرَة ؛ أي : جماعة كائنة (بِدُومَةٍ يَظْلِمُنَّ مَنْ) أي : الذي مرَّ بهنَّ ، فقوله : (بهنَّ) يتعلق بقوله : (مَرٌ) فعل ماض من المرور .

وذلك : أنَّه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنَّ جماعة بدومن يظلمون من مرَّ بهم ، وأنَّهم يريدون أن يدنسوا من المدينة فيظلموا أهلها ، فخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من أصحابه ، فكان يسير الليل ، ويكمُنُ

تاریخها

النهار ، واستعمل على المدينة سِباع ابن عُرْفُطَةَ الغِفارِيَّ ، قال محمد بن عمر الواقدي ، كما في « البداية والنهاية » ، بإسناده عن شيوخه ، عن جماعة من السَّلَفِ ، قالوا : أراد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْعُونَا إِلَى أَدَانِي الشَّامِ ، وَقَيْلَ لَهُ : إِنَّ ذَلِكَ مَمَّا يُفْزِعُ قِصْرَ ، وَذُكْرَ لَهُ أَنَّ دُوْمَةَ الْجَنْدَلِ جَمِيعاً كَثِيرًا ، وَأَنَّهُمْ يَظْلَمُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ ، وَكَانَ بِهَا سُوقٌ عَظِيمٌ ، وَهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَدْعُونَا مِنْ الْمَدِينَةِ ، فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ ، فَخَرَجَ فِي أَلْفِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيلَ ، وَيَكُنُّ النَّهَارَ ، وَمَعَهُ دَلِيلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ، يَقَالُ لَهُ : مَذْكُورٌ ، هَادِ ، خَرِيْتَ .

فَلَمَّا دَنَا مِنْ دُوْمَةَ الْجَنْدَلِ .. أَخْبَرَهُ دَلِيلُهُ بِسَوَائِمِ بَنِي تَمِيمَ ، فَسَارَ حَتَّى هَاجَمَ عَلَى مَا شَيْتُهُمْ ، وَرَعَاهُمْ ، فَأَصَابَ مِنْ أَصَابَ ، وَهَرَبَ مِنْ هَرَبَ فِي كُلِّ وَجْهٍ ، وَجَاءَ الْخَبَرُ أَهْلَ دُوْمَةَ الْجَنْدَلِ ، فَتَفَرَّقُوا ، فَنَزَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَاحِتِهِمْ ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا أَحَدًا ، فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، وَبَعْثَ السَّرَايَا ، ثُمَّ رَجَعُوا ، وَأَخْذَ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَأَتَى بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْأَصْحَابِ ، فَقَالَ : هَرَبُوا أَمْسَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامَ ، فَأَسْلَمَ ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ سَالَّمًا لِعَشْرِ لِيَالٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ .

عودة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة



(١٨) غزوة الخندق

سميت بذلك للخندق الذي حُفر حول المدينة في شاميّها ،
من طَرَفِ الْحَرَّةِ الشَّرْقِيَّةِ ، إِلَى طَرَفِ الْحَرَّةِ الْغَرْبِيَّةِ ، وَتُسَمَّى :
(غزوة الأحزاب) لِتَحْزِبْ طوائفَ الْكَفَّارِ عَلَى حَرْبِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَهُمْ : قَرِيشٌ ، وَغَطَّافَانَ ، وَالْيَهُودَ ، وَمِنْ
تَّبَعِهِمْ .

تسميتها

وَكَانَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ عَلَى مَا قَالَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ ، وَجَنَحَ لَهُ
الإِمَامُ الْبَخَارِيُّ ، وَاسْتَدَلَّ لَهُ بِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ فِي « صَحِيحِهِ »
أَوْ فِي شَوَّالٍ ، سَنَةُ خَمْسَةٍ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ فِي
« شَرْحِ الْمَوَاهِبِ » : قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : وَهُوَ الْأَصْحَّ ، وَالْذَّهَبِيُّ :
هُوَ الْمَقْطُوعُ بِهِ ، وَالْحَافِظُ : هُوَ الْمَعْتَمَدُ .

تاريخها

وَذَكَرَ النَّاظِمُ سَبِيلَهَا فَقَالَ :

سببها

(ثُمَّتْ) لِغَةٌ فِي ثَمَّ (لَمَّا أَجْلَيْتَ يَهُوداً) ^(١) مِنْ الْمَدِينَةِ
أَيْ : أَخْرَجْتَهُمُ الَّتِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْمَدِينَةِ ،
وَأَلْحَقْتَهُمُ بِخَيْرِ ، وَالشَّامِ ، وَأَخْذَ أَمْوَالَهُمْ ، وَقُتِلَّ مِنْهُمْ مِنْ
قُتْلٍ ، وَغَاظَهُمْ ذَلِكُ ، كَمَا قَالَ : (وَأَوْعَرْتَ) أَيْ : أَوْقَدْتَ
(صَدُورَهَا) أَيْ : فِي صَدُورِ الْيَهُودِ (الْحَقُودِ) جَمْعُ حِقدٍ
بَكْسَرِ الْحَاءِ : هُوَ الْضُّغْنُ ، وَهُوَ إِمسَاكُ الْعَدَاوَةِ فِي الْقَلْبِ .

(١) جواب لَئِنَّا . . قَوْلُهُ فِيمَا يَأْتِي : (خَنْدَقُ خَيْرٍ مَرْسَلٍ) .

تحريض اليهود لقريش وغطfan على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم :

(وَحَرَبَتْ) بالتشديد ؛ أي : جمعت اليهود (عساكرًا)
 جمع عسكر : هو الجمع ، فخرج من خيبر سلام بن مشكم ،
 وابن أبي الحقيق النضرى ، وحبيبي بن أخطب النضرى ،
 وكنانة بن الربيع ، زوج أمّنا صفية قبل ، وهودة بن قيس
 الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني النضرى ، ونفر
 من بني وائل ، حتى قدموا على قريش مكة ، فدعوهם إلى
 حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنّا سنكون
 معكم عليه نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا عشر يهود ؛
 إنّكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن
 ومحمد ، أفاديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ،
 وأنتم أولى بالحق منه ، فأنزل الله فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالْطَّغْوَى وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ
 كَفَرُوا هَتُولَاءَ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ أَمَنُوا سَيِّلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ
 وَمَنْ يَعْنِي اللَّهَ فَلَنْ يُحَمِّلُهُ نَصِيرًا ﴾ الآيات .

فلما قالوا ذلك لقريش .. سرّهم ، ونشطوا المادعوه إلية
 من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا بذلك ،
 واتّعدوا له .

ثمّ خرج أولئك النفر من اليهود ، حتى جاؤوا غطfan ،
 فدعوهם لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهם
 أنّهم سيكونون معهم عليه ، وأنّ قريشاً قد تابعوه على ذلك ،
 واجتمعوا معهم فيه .

مساءلة قريش لليهود
 وتزوير هؤلاء للحقيقة

دعوة اليهود غطfan
 لحرب النبي صلى الله عليه وسلم

خروج الأحزاب من المشركين للحرب :

فخرجت قريش في أربعة آلاف ، ولواً لهم بيد عثمان بن أبي طلحة قبل إسلامه ، وخيلهم ثلاث مئة فرس ، وإبلهم ألف وخمس مئة بعير ، وقائهم أبو سفيان ، وخرجت غطفان في ألف ، وقائهم عيّنة بن حصن الفزارى ، وقد أسلم بعد ، وخرجت أشجع في أربع مئة ، يقودهم مسعود بن رُخْيَة ، وأسلم بعد ذلك ، وسلّيم في سبع مئة ، يقودهم سفيان بن عبد شمس ، وبنو أسد ، يقودهم طليحة بن خويلد الأَسْدِي ، وأسلم واستشهد بنهاوند ، وخرجت بنو مُرَّة في أربع مئة ، يقودهم الحارث بن عوف ، وأسلم بعد ذلك ، والجميع عشرة آلاف .

وكانوا ثلاثة عساكر ، يقود الكل أبو سفيان ، كما قال الناظم .

(عِنَاجُها) بكسر العين - مبتدأ - : وهو مِلَكُ الشَّيْءِ ؛ أي : مِلَكُ الْعُسَاكِرِ (إِلَيْ) أَبِي سَفِيَانَ (بْنَ حَرْبٍ) وهو خبر المبتدأ ، (وَقَرِيشٌ تَاجُهَا) أي : الْعُسَاكِرِ ؛ أي : قريش في مقدمتها .

(وَجَعَلُوا) أي : اليهود (كَيْ يَتَرُّوا خَيْرَ الْوَرَى) أي : لأجل ذلك ، وهو مأخوذ من وتر الرُّجْلَ : أفرعه ، وأدركه بمكروه ، كما في «القاموس» ويتعلق قوله : (لِغَطَّافَانَ) بقوله : (جَعَلُوا) ومفعوله (نِصْفَ تَمْرٍ خَيْرًا) وهي مدينة لليهود سيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى في غزوتها .

جيوش الكفار من كل قبيل

عدد جيش الكفار

حفر الخندق :

فلمَّا كانَ ما ذُكِرَ ، وَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرْوَجُهُمْ ، وَنَدَبَ النَّاسُ ، وَأَخْبَرُهُمْ خَبْرَ عَدُوِّهِمْ (خَنْدَقٌ) أَيْ : حَفْرُ الْحَفْرَةِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ (خَيْرُ مُرْسَلٍ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَمِلَ فِيهِ بِيَدِهِ ، تَنْشِيطًا لِلنَّاسِ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْرِبُ مَرَةً بِالْمَعْوَلِ ، وَمَرَةً بِالْمَسْحَةِ يَعْرَفُ بِهَا التَّرَابَ ، وَمَرَةً يَحْمِلُ التَّرَابَ فِي الْمَكْتَلِ .


قال في «روض النهاة» : وَكَمْلَةٌ فِي سَتَةِ أَيَّامٍ ، وَقَيْلٌ : فِي خَمْسَةِ عَشَرَ ، وَقَيْلٌ : فِي عَشْرِينَ يَوْمًا ، وَكَانَ عَدْدُ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ عَلَى الصَّحِيفَةِ الْمُشْهُورَ ، وَغَلِطٌ مِنْ قَالَ : إِنَّهُمْ سَبْعُ مِائَةٍ ، وَكَانَ مَعَهُمْ سَتَةُ وَثَلَاثُونَ فَرْسَانًا ، وَكَانَ الْخَنْدَقُ (بِأَمْرٍ) أَيْ : بِإِشَارَةِ (سَلْمَانَ) الْفَارَسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَإِنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّا كَنَا إِذَا حُوَصِرْنَا خَنْدَقَنَا عَلَيْنَا ، فَكَانَتْ هَذِهِ مَكِيدَةً لَمْ تَعْرَفْهَا الْعَرَبُ (وَالْحُرُوبُ ذَاتُ مَكْرٍ) أَيْ : احْتِيَالٌ وَخَدِيعَةٌ .

قلت : وَلَوْ أَنَّ النَّاظِمَ قَالَ :

استدراك الشارح

خَنْدَقَ خَيْرُ مُرْسَلٍ وَقَدْ أَشَارَ

سَلْمَانُ بِالْخَنْدَقِ نَعَمَ الْمُسْتَشَارُ

.. لَكَانَ أَلَيَّقَ بِالْأَدْبِ فِي حَقِّ الْجَنَابِ النَّبَوِيِّ .

ارتجاز المسلمين في حفر الخندق :

قال ابن إسحاق : (وعِملَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ حَتَّى أَحْكَمُوهُ ، وَارْتَجَزُوا فِيهِ بِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يُقَالُ لَهُ : جُعِيلٌ ، سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرًا ، فَقَالُوا فِيمَا يَقُولُونَ :

تَسْمِيَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيِّلًا عَمْرًا

سَمَّاهُ مِنْ بَعْدِ جُعِيلٍ عَمْرًا

وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْمًا ظَهِيرًا

وَكَانُوا إِذَا قَالُوا : عَمْرًا ، قَالُوا مَعْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَمْرًا » وَإِذَا قَالُوا : ظَهِيرًا ، قَالُوا لَهُمْ : « ظَهِيرًا » .

معجزات باهرة وأعلام للنبيَّة ظاهرة :

واعلم : أَنَّه قد كانت في حفر الخندق آيات ، فيها أعظم عِبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك على مَرْأَى من المسلمين ، أشار إلى بعضها بقوله :

(كَمْ آيَةً) من الآيات على تحقيق نبَوَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَظِيمٌ عَنِيَّةٌ رَبِّهِ بِهِ ظَهَرَتْ (فِي حَفْرِهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْخَنْدَقِ ، وَذَلِكَ (كَالشَّبَعِ) لِأَهْلِ الْخَنْدَقِ (مِنْ حَفْنَةِ) تَمَرٍ ، وَهِيَ مِلْءُ الْكَفَّ ، جَاءَتْ بِهَا ابْنَةُ بَشِيرٍ بْنِ سَعْدٍ لِأَبِيهَا وَخَالِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، لِيَغْتَدِيَا بِهِ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا بَنِيَّةَ ؎ مَا هَذَا الَّذِي مَعَكُمْ ؎ » قَالَتْ : قَلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؎ هَذَا تَمَرٌ بَعْثَتْنِي بِهِ أُمِّي إِلَى

مِنْ مَعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكْثِيرَ التَّمَرِ

أبى بشير بن سعد ، وخالى عبد الله بن رواحة يتغدىان به
فقال : « هاتيه » قالت : فصبيته في كفى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فما ملأهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، دحًا بالتمر
عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : « اصرخ في
أهل الخندق : أن هلموا إلى الغداء » فاجتمع أهل الخندق
عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر أهل
الخندق عنه وإنَّه ليسقط من أطراف الثوب .

تكثير الطعام (و) كالشبع لهم من (سخلة) : هي ولد الغنم من الصأن
والمعز ساعة وضعه ، ذكرًا كان ، أو أنثى السخلة (للمجمع)
بفتح الميمين : موضع اجتماع القوم ، وكانت السخلة
لجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه .

دعوة جابر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفراً
من أصحابه للطعام وكان من حديثها ما رواه الإمام البخاري بسنده إلى جابر
قال : (لما حُفِرَ الخندق .. رأيت برسول الله صلى الله عليه
 وسلم خَمَصًا ، فانكفتَ إلى امرأتي فقلت : هل عندك شيء ؟
 فِيَنِّي رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خَمَصًا شديداً ،
 فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن ،
 فذبحتها ، فطحنت ، ففرغت إلى فراغي ، وقطعتها في
 بُرْمَتها .

دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل
الخندق جميعاً لحضور مأدبة جابر
رضي الله عنه ثم ولَّت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت :
لا تفْسِحْنِي برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه ،
فجئتَه ، فسأرْتَه ، فقلت : يا رسول الله ؛ ذبحت بهيمة لنا ،

وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفرٌ معك
فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أهل
الخندق ؛ إنَّ جابرًا قد صنع سُورًا ، فَحَيَّهُلَا بِكُمْ » فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ ،
وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أُجِيءَ » .

فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس ،
حتى جئت امرأتي ، فقالت : بك وبك ! فقلت : قد فعلت
الذي قلت . فأخرجت لنا عجيناً ، فبسق فيه وبارك ، ثمَّ أَمَدَ
إلى بُرْمَتنا ، فبسق وبارك ، ثمَّ قال : ادْعِي حَبَّازَةً فلتخبز
معك ، واقدَحِي من بُرْمَتك ، ولا تنزلوها ، وهم ألف ، فأُقْسِمُ
بإله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإنَّ برمتنا لتغطَّ كما هي ،
وإن عجيناً كما هو) .

ويرحم الله الإمام العارف ، إذ يشير إلى هذه الآية مع آية
تكثير الماء بقوله :

فَتَغَذَّى بِالصَّاعِ أَلْفُ جِيَاعٍ
وَتَرَوَى بِالصَّاعِ أَلْفُ ظِمَاءٍ

(وكم بشارَة) أي : كثير منها ، فكم للتكثير كالسابقة
(لخَيْرِ مُرْسَلٍ) صلى الله عليه وسلم ، وقوله : (منَ الفتوح)
بيان للبشرَة ، والمراد : فتوح الْبُلْدَان ، كائنة تلك البشرَة
المخبر عنها (تحت ضرب المِعْوَل) بوزن مِنْبَر : وهي الحديدة
يُنْقَرُ بها الجبال .

إخباره صلى الله عليه
وسلم عن فتح المدن
والأمسار

وأشار بهذا إلى ما رواه الإمام أحمد والنَّسائي من حديث البراء ، قال : (لما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق .. عَرَضْتُ لَنَا فِي بَعْضِ الْخَنْدَقِ صَخْرَةً لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَاعُولُ ، فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ لِلَّهِ أَكْبَرٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ وَأَخْذَ الْمِعْوَلَ ؟ يَعْنِي : مِنْ سَلْمَانَ ، فَقَالَ : « بِاسْمِ اللهِ » ثُمَّ ضَرَبَهُ ، فَنَشَرَ ثُلُثَهَا ، وَقَالَ : « اللهُ أَكْبَرُ ، أُعْطِيْتُ مَفَاتِيحَ الشَّامَ ، وَاللهُ إِنِّي لَا بَصِرْ قَصْوَرَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ » ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ ، فَقَطَعَ ثُلُثَآخْرَ ، فَقَالَ : « اللهُ أَكْبَرُ ، أُعْطِيْتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ ، وَاللهُ إِنِّي لَا بَصِرْ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبِيْضَ الْآنَ » ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ ، وَقَالَ : « بِاسْمِ اللهِ » فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ ، فَقَالَ : « اللهُ أَكْبَرُ ، أُعْطِيْتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنَ ، وَاللهُ إِنِّي لَا بَصِرْ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي السَّاعَةِ^(١) » .

قال ابن إسحاق : (وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَهُمْ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ : أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : حِينَ فُتُحَتْ هَذِهِ الْأَمْسَارِ فِي زَمْنِ عُمُرٍ ، وَزَمْنِ عُثْمَانَ وَمَا بَعْدِهِ : افْتَتِحُوا مَا بَدَا لَكُمْ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هَرِيرَةَ بِيْدِهِ ، مَا افْتَحْتُمْ مِنْ مَدِينَةٍ وَلَا تَفْتَحُوهُنَّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحَهَا قَبْلَ ذَلِكَ) .

(١) قال في « شرح المواهب » : (هذا الحديث الحسن لا يعارض رواية ابن إسحاق بلفظ حديث عن سلمان ، فذكره وفيه : « أَمَّا الْأُولَى .. فَإِنَّ اللهَ فَتَحَ بِهَا عَلَيْهِ الْيَمَنَ » ، « الْثَّالِثَةُ : الشَّامُ وَالْمَغْرِبُ » ، « الْثَّالِثَةُ : الْمَشْرُقُ وَفَارِسُ » ؛ لَأَنَّهُ مُنْقَطِعٌ فَلَا يَعْرِضُ الْمَسْنَدُ الْمَرْفُوعُ الْحَسَنُ ، وَمَنْ ثُمَّ لَمْ يَلْتَفِتْ الْحَافِظُ لِرَوَايَةِ ابنِ إِسْحَاقِ ، وَإِنْ تَبَعَهُ عَلَيْهَا الْيَعْمَرِيُّ وَغَيْرُهُ ، بَلْ افْتَصَرَ عَلَيْهَا هَذِهِ الْحَدِيثُ وَأَيَّدَهُ بِتَعْدِيدٍ طَرْقَهُ) اهـ

الكدية التي عادت
كتيّباً

ومن الآيات التي لم يذكرها الناظم ، وذكرها أصله :
Hadith Kudya⁽¹⁾ جابر ، فإنَّه حدَّثَ : أَنَّهَا اشتدَّ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ
الخندقِ كُدْيَةً ، فَشَكَوُا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَأَخْذَ الْمِعْوَلَ وَضَرَبَ ، فَعَادَ كَثِيرًا أَهْمِيلَ⁽²⁾ وَرُوِيَ فِي
هَذَا الْخَبَرِ : (أَنَّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دُعَا بِمَاءٍ فَتَقَلَّ فِيهِ ، ثُمَّ
دُعَا بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُ بِهِ ، ثُمَّ نَصَّحَ ذَلِكَ الْمَاءَ عَلَى تَلْكَ
الْكُدْيَةِ فَيَقُولُ مَنْ حَضَرَهَا : فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ : لَأَنْهَا لَتَحْتَ حَتَّى
عَادَتْ كَالْكَثِيرِ ، وَمَا تَرَدَ فَأَسَاً وَلَا مِسْحَةً) .

اجتماع الجيшиين حول الخندق :

وَلَمَّا فَرَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ . أَقْبَلَتْ قَرِيشٌ
حَتَّى نَزَلُوا بِمَجَمِعِ الْأَسِيَالِ ، وَغَطَّفَانَ بِذَنْبِ نَقْمَى⁽³⁾ ، إِلَى
جَانِبِ أُحُدٍ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ مَعِهِ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى جَعَلُوا ظَهُورَهُمْ إِلَى جَبَلِ سَلْعٍ ، فَضَرَبَ
هُنَاكَ عَسْكِرٌ ، وَالْخَنْدَقُ بَيْنِهِ وَبَيْنِ الْقَوْمِ ، وَأَمْرَ بِالنِّسَاءِ
وَالذَّرَارِيِّ أَنْ يُجْعَلُوا فِي الْأَطَامِ⁽⁴⁾ .

(١) هي بضم الكاف : الأرض الغليظة .

(٢) يعني : صار رملاً يسيل ولا يتمسك ، وأهيل : بفتح الهمزة والتحتية ، بينهما هاء ساكنة ،
وآخره لام ، وفي رواية بالميم بدل اللام والمعنى واحد .

(٣) بفتح النون والكاف والميم مقصوراً : موضع من أعراض المدينة ، نقله في « شرح
الموهاب » عن البرهان .

(٤) الأبنية العالية المرتفعة .

حاملاً لواء المهاجرين
والأنصار رضي الله
عنهم

وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ، ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة ، وكان عباد بن بشر على حرس النبي صلى الله عليه وسلم مع غيره من الأنصار ، يحرسونه كل ليلة ، وقيل : إنَّ الذي حرسه يوم الخندق الزبير بن العوام رضي الله عنه .

وكان المشركون يتناوبون بينهم ، فيغدو يوماً أبو سفيان في أصحابه ، ويوماً خالد بن الوليد ، ويوماً عمرو بن العاص ، ويوماً هبيرة بن أبي وهب ، ويوماً عكرمة بن أبي جهل ، ويوماً ضرار بن الخطاب .

قال في « روض النها » : (وأسلم هؤلاء إلَّا هُبيرة ، فلا يزالون يجilon خيلهم ، ويفترقون مرة ، ويجتمعون أخرى ، ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقدّمون رُمَاتَهُم في مون) .

نقض كعب عهده للرسول صلى الله عليه وسلم :
(وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ) الْقُرَاطِيُّ صَاحِبُ عَقْدِ بَنِي قَرِيظَةِ (إِذْ فَتَنَهُ) أَيْ : أَوْقَعَهُ فِي الْفَتْنَةِ وَأَضْلَلَهُ (عَنْ عَهْدِهِ) الَّذِي كَانَ عَاهَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَاقَدَهُ مِنْ تَرْكِ قَتَالِهِمْ لَهُ مَعَ أَحَدٍ ، وَالْكَفُّ عَنْهُ ، وَفَاعْلَمَ فَتَنَهُ قَوْلُهُ : (حُيَيْ) بَتَرَكَ التَّنْوِينَ لِلْوَزْنِ ، وَخَبَرَ الْمُبْتَدَأَ الَّذِي هُوَ كَعْبٌ ، جَمْلَةُ قَوْلِهِ : (أَعْطَى) أَيْ : كَعْبُ الْمَذْكُورُ لِحُيَيِّ (رَسَنَهُ) أَيْ : أَعْطَاهُ قِيَادَةَ ، وَهُوَ بَفْتَحِ الرَّاءِ وَالسَّينِ : مَا يُقَادُ بِهِ مِنْ زَمَانٍ وَنَحْوِهِ .

فَغَدَرْتُ قُرِيَظَةً لِغَذْرِهِ يَوْمَئِذٍ إِذْ هُوَ أُسْنُ نَجْرِهِ

وحاصل ما أشار له الناظم كما ذكره ابن إسحاق وغيره : (أنه خرج عدو الله حبيبي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي ، وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، فأغلق دونه باب حصنه ، وأبى أن يفتح له ، وقال : ويحك يا حبيبي إنك امرؤ مشهود ، وإنى قد عاهدت محمدا ، فلست بناقض ما بيني وبينه ؛ فإني لم أر منه إلا وفاء ، وصدقأ .

فقال : ويحك ! افتح لي ، ولم يزل به حتى فتح له ، فقال : ويلك يا كعب ! جئتكم بعزم الدهر جئتكم بقريش حتى أنزلتكم بمجتمع الأسيال ، ومن دونه غطفان ، وقد عاهدوني على أن لا يُبرحوا حتى نستأصل محمدا ، ومن معه .

فقال له كعب : جئتني والله بذل الدهر ، وبِجَهَام^(١) قد أُهْرِيقَ مأوهِيْرِيْد وَبِيْرِقَ ، وليس فيه شيء ، ويحك يا حبيبي ! دَعْنِي وما أنا عليه ؛ فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء ، ولم يزل به يفتله في الدروة والغارب^(٢) .. حتى نقض عهده ، وبرئَ ممَّا كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(فغدرت قريظة) العهد ، ونقضته مع كعب (لـ) أَجْل (غدره يومئذ إذ هو) أي : كعب (أُسْن) بتثليث الهمزة ، أصل البناء ، وهو مضارف إلى (نَجْرِهِ) بفتح النون وسكون الجيم :

(١) بجيم مفتوحة ، فهاء مخففة : السحاب الذي لا ماء فيه ، وأهريق : بضم الهمزة وسكون الاء وكسر الراء : صب ، اهـ « شامية » .

(٢) مثل : أصله البعير يستصعب عليك ، فتأخذ القراد من ذروته وغارب سنانه ، فيجد لذة ، فيأنس بعد ذلك ، فضرب مثلاً في المراوحة ، قاله في « الروض الأنف » اهـ

حاصل مسابق
حبي بن أخطب يقنع
كعباً بنقض العهد

كعب ينقض عهده

.....
وهو الأصل .

تحرّي الرسول صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ عن نقض كعب للعهد :

ولمّا انتهى هذا الخبر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلام إلى المسلمين .. بعث جماعة من أصحابه فقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ، فإن كان حقا .. فالحنوا لي لحنا^(١) حتى أعرفه ، ولا تُفْتَنُوا^(٢) في أعضاد الناس ،

(١) اللحن : العدول بالكلام عن الصواب الذي هو معروف ، وقال الجاحظ في قول مالك بن أسماء :

منطق صائب وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحناً أراد اللحن الذي هو الخطأ ، قد يستملح ويستطاب من الجارية الحديثة السن ، وخطئ الجاحظ في هذا التأويل ، وأخبر بما قاله الحجاج بن يوسف لامرأته هند بنت أسماء بن خارجة حين لحت فأنكر عليها اللحن ، فاحتاجت بقول أخيها مالك بن أسماء : (وخير الحديث ما كان لحناً) فقال لها الحجاج : لم يرد أخوك هذا ، إنما أراد الذي هو التورية والإلغاز ، فسكتت ، فلما حدث الجاحظ بهذا الحديث قال : لو كان بلغني هذا قبل أن أُولف كتاب البيان .. ما قلت في ذلك ما قلت ، فقيل : أفلأ تغييره ، فقال : وكيف وقد سارت به البغال الشهب ، وأنجد في البلاد وغار ، اهـ حكاه السهيلي .

قال في « العيون » : (وتأويل الجاحظ أولى ؛ لما فيه من مقابلة الصواب بالخطأ ، ولعل الشاعر لو أراد المعنى الآخر .. لقال : « منطق ظاهر » ليقابل بذلك ما تقتضيه التورية واللغز من الخفاء . فكما قال الجاحظ في تأويل : « وتلحن أحياناً » اهـ قلت : وما قاله في « العيون » ظاهر .

(٢) بضم الفاء وشد الفوقيـة ، قال في « الروض » : (أي : تكسروا من قوتهم وتوهونهم ، ضرب العضد مثلاً ، وقال : في أعضاد ، ولم يقل : في أعضاء ؛ لأنَّه كناية عن الرعب الداخل في القلب ، ولم يرد كسرأ حقيقة ، ولا العضو الذي هو العضو ، إنما هو عبارة عما يدخل في القلب من الوهن ، وهو من أفصـح الكلام) اهـ

وارسل السعدين حير مرسى وابن رواحة لهم يسبّي
ما هم عليه ، فإذا هم عَصَلَ وَسَرَّ حَيْرَ الْخُلُقِ ذَاكَ الْخَذَلُ

وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا بذلك
للناس ، وإلى هذا الإشارة بقوله :

(وأرسل السعدين) سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ .
وفاعل أرسل (خير مرسى) صلى الله عليه وسلم (و) أرسل
عبد الله (ابن رواحة) معهم ، وكذا خوات بن جبير ، ويتعلق
بأرسل العjar والمجرور في قوله : (لهم) أي : لبني قريظة ،
فقال صلى الله عليه وسلم لهم ما ذكر ، وإنما أرسل لهم
(لينجلي) أي : ليتحقق (ما) أي : الأمر ، والموقف الذي
(هم) أي : بنو قريظة (عليه) من العهد ، أو نقضه .

فخرجوا حتى أتوا بني قريظة ، فوجدوهم على أختب
ما بلغه عنهم ، نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ،
ولا عقد ، فشاتهم سعد بن معاذ وشاتموه ، فقال له سعد بن
عبادة : (دع عنك مشاتمهم ، فما بيننا وبينهم أربى من
المشاتمة) .

ثم أقبل السعدان ومن معهما على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، فسلموه عليه ، ثم قالوا : عَصَلَ والقارة ؟ أي : هم
غدوا كغدر عَصَلَ والقارة بأصحاب الرجيع .

إلى هذا الإشارة بقوله :

(فإذا هم عَصَلَ) بفتح المهملة ثم المعجمة : هي قبيلة

رسُلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلوقوف
عَلَى حَقِيقَةِ بَنِي قَرِيظَةِ

غَدَرُ بَنِي قَرِيظَةِ
وَنَقْضُهُ لِلْعَهْدِ

سابقة عَصَلَ في نقض
الْعَهْدِ

من بني الهُون بن خزيمة ، غدروا بأصحاب الرجيع .

وعلم من التقرير : أَنَّ مَا بعد الفاء مرتب على مقدر .

استشارة النبي صلى الله عليه وسلم (ذاك الخذل) من بني قريظة ؛ لأنَّه علم صلى الله عليه وسلم : أَنْ قَدْ قَرُبَ الْفَرْجُ ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : « إِنَّ اللَّهَ أَكْبَرَ ! أَبْشِرُوا يَامِعْشَرِ الْمُسْلِمِينَ ». (وسَرٌ) بالبناء للفاعل ، ومفعوله (خَيْرُ الْخَلْقِ) صلى الله عليه وسلم

شدة خوف المسلمين ، وظهور نفاق المنافقين :

قال في « العيون » : (وَعَظَمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَلَاءُ ، وَاشْتَدَّ الْخُوفُ ، وَأَتَاهُمْ عُدُوَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَمِنْ أَسْفَلِهِمْ ، حَتَّى ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلَّ ظُنُونٍ ، وَنَجَمَ النُّفَاقُ مِنْ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ ، قَالَ تَعَالَى : « يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ أَمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلِكُمْ وَإِذَا رَأَيْتَ الْأَبْصَرَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَكَارَ وَنَظَرُوكُمْ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ أَبْتَأَ الْمُؤْمِنُونَ وَرُلِزُلُوا زِلَّ الْأَشْدِيدَا » .

تنبيه :

توفيق الشارح بين الروايات المتعددة

ما ذكره الناظم بعًا لأصحاب المغازي لا ينافي ما رواه الشيخان عن عبد الله بن الزبير ، قال : (كُنْتُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلْمَةَ مَعَ النِّسَاءِ فِي أَطْمَ حَسَانٍ ، فَنَظَرَتِ إِذَا الرَّبِّيرُ عَلَى فَرْسِهِ ، يَخْتَلِفُ إِلَيْنِي قَرِيظَةُ مَرْتَيْنَ أَوْ ثَلَاثَةَ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ .. قَلَتْ : يَا أَبْتَ ؛ رَأَيْتَكَ تَخْتَلِفُ ، قَالَ : رَأَيْتَنِي

قَالَتْ جَنُوبُ لِلشَّمَالِ انْطَلِقِ
نَنْصُرُ خَيْرَ مُرْسَلٍ فِي الْخَنْدَقِ
فَقَالَتِ الشَّمَالُ إِنَّ الْمُحَرَّةَ
لَمْ تَسْرِ بِاللَّيلِ فَذَاكَ عُرَّةَ

يا بني ؟ قلت : نعم ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ يَأْتِي بْنَيْ قَرِيظَةَ فَيَأْتِيَنِي بِخَبْرِهِمْ ؟ » فانطلقت ، فلَمَّا رَجَعَتْ .. جَمِيعُ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَبْوَيْهِ فِي الْفِدَاءِ ، فَقَالَ : فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي) ؛ لِمَا قَالَهُ فِي « شَرِحِ الْمَوَاهِبِ » :

(مَنْ أَنَّهُ أَرْسَلَ الْجَمِيعَ دُفْعَةً ، أَوْ بَعْدِ إِرْسَالِ الزُّبِيرِ ؛
لَا حَتَّمَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى الْعَهْدِ بَعْدِ نَقْضِهِ ، حَيَاءً مِّنْ حَلْفَائِهِمْ ؛
لَائِنَّهُمْ كَانُوا حَلْفَاءَ الْأُوْسَ ، وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ سِيْدُهُمْ ، فَغَلَبُتْ
عَلَيْهِمُ الشَّقْوَةَ .)

وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَقُولَ : أَوْ لَا حَتَّمَ أَنَّ الزُّبِيرَ عَلِمَ مِنْ غَيْرِهِمْ
نَقْضَ الْعَهْدِ ، فَاَكْتَفَى بِهِ ؛ لَائِنَّهُ ظَنَ سُوءَ بِمَثِيلِ الزُّبِيرِ ، تَأْبَاهُ
مَرْوِعَتُهُ وَشَجَاعَتُهُ .

إِرْسَالِ رِيحِ النَّصْرِ وَالْمَلَائِكَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ :

(قَالَتْ جَنُوبُ) بِفَتْحِ الْجَيْمِ ؛ أَيْ : رِيحُ الْجَنْوَبِ ،
وَمَهْبِهَا مِنْ مَطْلَعِ سَهْلَيْ إِلَى مَطْلَعِ الشَّرَيْأَيَا (لِلشَّمَالِ) بِفَتْحِ
الشَّيْنِ ، وَمَهْبِهَا نَاحِيَةُ الْقُطْبِ (انْطَلِقِ) بِكَسْرِ الْقَافِ لِلرَّوْيِيَّ
(نَنْصُرُ خَيْرَ مُرْسَلٍ) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِي الْخَنْدَقِ) .

(فَقَالَتِ الشَّمَالُ) مَجِيَّةً لَهَا بِلْسَانَ الْمَقَالِ ، أَوْ بِلْسَانِ
الْحَالِ : (إِنَّ الْحَرَةَ لَمْ تَسْرِ بِاللَّيلِ ، فَذَاكَ) أَيْ : سِيرَهَا بِاللَّيلِ
(عُرَّةَ) بِضَمِّ الْعَيْنِ ؛ أَيْ : قَبِيْحَ .

فَأَرْسَلَ اللَّهُ الصَّبَا وَالْمَلَكَةَ
وَغَطَّفَانُ رَامَ أَنْ يُخَوِّلُوا

(فأرسل الله الصبا) بفتح الصاد المهملة ، وخفة المودة ، وهي الشرقية ، ويقال لها : القبُول ؛ لأنَّها تقابل الشمال : وهي الرياح العقيمة ، التي لا خير فيها ، قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجْهُوكُلَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (والملائكة) : جمع ملك ، بفتح اللام فيهما (فنصرًا نبيه) صلى الله عليه وسلم (في المعركة) بفتح الميم والراء ، موضع الحرب كالمعترك .

الصبا والدبور
واثارهما على نتائج
المعركة

وأشار بهذا إلى ما رواه ابن مردوه ، والبزار وغيرهما برجال الصحيح عن ابن عباس قال : لما كانت ليلة الأحزاب ..
قالت الصبا للشمال : اذهي بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : إنَّ الحرائر لا تهُبُ بالليل ، فغضب الله عليها فجعلها عقيمة ، وأرسل الصبا فأطافت نيرانهم ، وقطعت أطنانهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « نُصْرَتْ بِالصَّبَا ، وَأَهْلَكَتْ عَادَ بِالدَّبُورِ » .

وروى الشيخان ، والنسائي عنه مرفوعاً : « نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور » بفتح الدال : الرياح الغربية .
ومن لطيف المناسبة : كون القبول نصرت أهل القبول ، والدبور أهلكت أهل الإدبار .

مشروع الصلح بين المسلمين وغطافان ، وعدم تمامه :
(وغطافان رام) أي : أراد صلى الله عليه وسلم ، وقد

وَأَنْفَ السَّعْدَانِ مِنْ صُلْحِ النَّبِيِّ وَحَكْمًا حَدَّ شِفَارِ الْقُضْبِ

بعث إلى عيّينة بن حصن ، والحارث بن عوف المُرّي ، وهما قائداً غَطْفَانَ (أَنْ يَخْوَلُوا) بالبناء للمفعول ، أي : يُعطُوا (ثُلُثَ تَمْرٍ طَيْبٍ لِيَعْدِلُوا) أي : ليَمْلِأُوا وَيَرْجِعُوا بِمِنْ مَعْهُمْ عَنْهُ ، وَعَنْ أَصْحَابِهِ ، فَجَرِيَ بَيْنَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَهُمَا الصَّلْحُ ، حَتَّى كَتَبُوا الْكِتَابَ ، وَلَمْ تَقْعُ الشَّهَادَةُ ، وَلَا عَزِيمَةُ الْصَّلْحِ ، فَلَمَّا أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَفْعُلَ .. بَعْثَةٌ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مَعَاذَ سَيِّدَ الْأَوْسَ ، وَسَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ سَيِّدَ الْخَرْجِ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي الْأَمْرِ .

(وَأَنْفَ) عَنْدَ ذَلِكَ ؛ أَيْ : اسْتَنْكَفَ (السَّعْدَانِ مِنْ صُلْحِ النَّبِيِّ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَمْرًا تَحْبِهُ فَنَصْنَعُهُ ، أَمْ شَيْئًا أَمْرَكَ اللَّهُ بِهِ ، لَا بَدَّ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا ؟ قَالَ : « بَلْ شَيْءًا أَصْنَعُهُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ مَا أَصْنَعَ ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمْتُكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَالْبُوكَمُ^(١) مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ؛ فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرِ مَا » .

فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مَعَاذَ سَيِّدَ الْأَوْسَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَدْ كَنَا نَحْنُ وَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى الشُّرُكَ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا ثُمَرَةً إِلَّا قَرِيَّ ، أَوْ بَيْعًا ، أَفْحِينَ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامَ ، وَهَدَانَا لَهُ ، وَأَعْزَنَا بِكَ وَبِهِ ، نَعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا ؟ ! مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ ، وَاللَّهُ لَا نَعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيفَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ .

استشارة النبي صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
السعدين في ماساومته
عليه غطافان

(١) يقال كلب الدهر على أهلِه إذا أَلْحَ وَاشْتَدَّ ، وكذا العدو . انظر « النهاية » ، مادة (كلب) .

(وَحَكْمًا حَدَّ شِفار) بكسير أوله ، جمع شَفَرَة بالفتح ؛
أي : حَدَّ السِيوف (القُضْب) أي : القواطع ، فقال رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَعْدٍ : « فَأَنْتَ وَذَاكَ » فتناول سعد
الصَّحِيفَةَ فَمَحَا مَا فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ ، ثُمَّ قَالَ : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا .

اقتحام بعض المشركين الخندق :

فَأَقْاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ وَعَدُوَّهُم
مُحَاصِرَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قَتَالٌ ، إِلَّا أَنَّ فَوَارِسَ مِنْ قُرَيْشٍ
مِنْهُمْ : عُمَرُ بْنُ عَبْدِ وَدٍ ، وَعِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَضِرَارُ بْنُ
الْخَطَابِ تَلَبَّسُوا لِلقتالِ ، ثُمَّ خَرَجُوا عَلَى خَيْلِهِمْ ، حَتَّى مَرَوْا
بِمَنَازِلِ بَنِي كَنَانَةَ ، فَقَالُوا : تَهْيَأُوا يَا بَنِي كَنَانَةَ لِلْحَرْبِ ؛
فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ الْفَرْسَانُ الْيَوْمَ ، ثُمَّ اقْبَلُوا تُعْنِقَ^(١) بِهِمْ خَيْلُهُمْ ،
حَتَّى وَقَفُوا عَلَى الْخَنْدَقِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ .. قَالُوا : وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ
لِمَكِيدَةِ مَا كَانَ الْعَرَبُ تَكِيدُهَا ، ثُمَّ تَيَمَّمُوا مَكَانًا مِنَ الْخَنْدَقِ
ضِيقًا ، فَضَرَبُوا خَيْلَهُمْ فَاقْتَحَمُوهُ مِنْهُ ، فَجَالَتْ بَهِمْ فِي السَّبَّاغَةِ
بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَسَلْعَ .

فلة معتب بن قشير :

وَ (مَعْتَبٌ نَجْلُ قُشَيْرٍ) بِالتَّصْغِيرِ ، الْأَوْسَيِّ ، قَالَ
الْحَافِظُ : (ذُكْرُوهُ فِيمَنْ شَهَدَ الْعَقْبَةَ ، وَقَيْلُ : إِنَّهُ كَانَ مَنَافِقًا ،
وَقَيْلُ : إِنَّهُ تَابَ ، وَقَدْ ذُكِرَهُ أَبْنَ إِسْحَاقَ فِيمَنْ شَهَدَ بَدْرًا) ،

(١) أي : تسع .

والألف في قوله : (قالا) للإطلاق ؛ يعني : لما غدرت بنو قريظة ، واشتدا البلاء والخوف على المسلمين ، وأتاهم عدوهم غطفان من فوقهم من قبل المشرق ، وقريش من أسفل منهم من قبل المغرب ، وظن المؤمنون كل الظن ، ونجم النفاق من بعض المنافقين .. قال معتب :

(وعدنا النبى أن ننالا) بألف الإطلاق أيضاً ، ومفعوله : (كنوز قيصر) وهو علم لكل من ملك الروم ، وأصله من القصر ، وهو البقر بالعجمية ؛ لأنَّه يُقرَّ عنه بطُنُّ أمَّه ، وكان يفخر بذلك ، يقول : لم تلدني النساء (وكسري) : هو لقب لكل من ملك الفرس ، ومعناه : واسع الملك (ونرى) الواو للحال ؛ أي : يقول معتب : وعدنا النبى أن نأخذ أموال قيصر وكسري ، والحال أننا نرى ونبصر (أحدنا اليوم يخاف المختارى) بضم الميم ، مكان الغائط ؛ أي : لا يأمن أن يذهب إلى الغائط .

قال في « شرح المواهب » : (أخرج جوبير عن ابن عباس قال : أنزلت هذه الآية : ﴿ وَلَدَ يَقُولُ الْمُنْتَفِعُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا عَرَرُوا ﴾ في معتب بن قشير الانصاري : هو صاحب هذه المقالة ، وقيل : عبد الله بن أبي وأصحابه) .

قال ابن هشام : (وأخبرني من أثق به من أهل العلم : أنَّ معتباً لم يكن من المنافقين ، واحتاجَ بأنَّه كان من أهل بدر) وفي بعض النسخ بدل البيت :

وَنَوْفَلٌ مِنْ طَيْشِهِ وَنَرَقَةُ
أَوْثَبَ طِرْفَهُ حَفِيرَ خَنْدَقَهُ
فَوَقَعَا فِيهِ وَأَعْطَى فِدْيَتَهُ
إِخْوَانُهُ فَأَسْتَوْهُبُوهُ جُثَّهُ

وابنُ قُشَيْرٍ مَعْتَبٌ قَالَ أَمَّا
وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ أَنْ نَغْنَمَ
وَالخطب سهل ، والمعنى واحد .

مقتل نوبل المخزومي حين اقتحم الخندق :

(نوبل) هو ابن عبد الله بن المغيرة المخزومي (من طيشه) : خفته (ونرقه) عطف تفسير (أوثب طرفه) بكسر الطاء ، الكريم من الخيل ؛ أي : حمله على أن يثبت (حفير) أي : على المحفور من (خندقه) صلى الله عليه وسلم يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم (فوقعا) أي : نوبل وفرسه (فيه) أي : في الخندق ، فاندقت عنقه ، وقتله الله ، وعظم ذلك على المشركين ، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إننا نعطيكم الدية ، على أن تدفعوه إلينا فندفنه ، وإليه الإشارة بقوله : (وأعطى) بالبناء للفاعل (فديته) بالنصب مفعول مقدم على فاعل أعطى الذي هو (إخوانه) والفدية : ما يعطى لإنقاذ الشيء .

قال ابن هشام : (بلغني عن الزهري : أنهم أعطوا في جسدة عشرة آلاف درهم) .

(فاستوهبوا) أي : طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم : أن يهب لهم (جثته) أي شخصه .

فَقَالَ فِيهِ أَكْرَمُ الْبَرِّيَّةِ خَيْثُ جِيفَةِ خَيْثُ دِيَةِ
عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدِ إِذْ قَامَ لَهُ حَيْدَرَةُ بِسَيْفِهِ خَرْدَلَهُ

(فقال فيه أكرم البرية) عليه من ربه أزكي صلاة عطرية ردأ عليهم ، وجواباً لقولهم : هو (خيث جيفه) لموته كافراً محارباً لله ولرسوله (خيث دية) بالتشديد للباء للوزن ؛ لعدم حلها ؛ إذ لا دية في مثل هذه الصورة ، زاد في المawahب : « فلعن الله ، ولعن ديته ، ولا نمنعكم أن تدفنه ، ولا أرب لنا في ديته » .

مقتل عمرو بن عبد ود بسيف علي :

(عمرو بن عبد ود) العامري (إذ قام له) مُبارزاً (حيندرة) لقب لسيدنا علي بن أبي طالب القائل :

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَةُ

أَكِيلُكُمْ بِالسِيفِ كَيْلَ السَّنَدَرَةِ^(١)

(بسيفه) يتعلق بقوله : (خردله) أي : قطع أعضاءه .

قال اليعمرى في « العيون » : (كان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر ، حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق .. خرج معلماً ، ليُرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله .. قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذكر ابن سعد في هذا الخبر : أنَّ عَمْرَاً كان ابن

(١) أي : أقتلتم قتلاً واسعاً ذريعاً ، والسندرة : مكيال واسع ، قيل : يحتمل أن يكون اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل منها النبل والقسي .

.....
 تسعين سنة ، فقال عليٌ : أنا أبازره ، فأعطيه النبيٌ صلى الله عليه وسلم سيفه وعممه ، وقال : « اللَّهُمَّ ؟ أعنِه عليه » .
 وعن ابن إسحاق من غير رواية البكائي : (أَنَّ عَمْرَاً لَمَا نادَى يَطْلُب مِنْ يُبَارِزَهُ . قَامَ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مُقْنَعٌ فِي الْحَدِيدِ ، فَقَالَ : أَنَا لَهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ : « اجْلِسْ إِنَّهُ عُمَرٌ » ثُمَّ كَرَرَ عُمَرٌ النَّدَاءَ ، وَجَعَلَ يُؤْتَبِهِمْ وَيَقُولُ : أَيْنَ جَنَّتُكُمُ الَّتِي تَزْعُمُونَ أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ دَخْلَهَا ؟ أَفَلَا تُبَرِّزُونَ لِي رَجُلًا ؟ فَقَامَ عَلَيْهِ فَقَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ : « اجْلِسْ ، إِنَّهُ عُمَرٌ » ثُمَّ نادَى الثَّالِثَةَ ، وَقَالَ :

ولَقَدْ بِحْتُ مِنَ النَّدَاءِ

إِلَجْمِعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ

وَوَقَتْتُ إِذْ جَبَنَ الْمَشْجُعُ

وَقَفَّةَ الرَّجُلِ الْمَنَاجِزُ

وَكَذَاكَ أَنِّي لَمْ أَزَلْ

مَتَسْرِعًا قَبْلَ الْهَزَاهِرِ

إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْفَتَنِ

وَالْجُهُودُ مِنْ خَيْرِ الْغَرَائِزِ

فَقَالَ عَلَيِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : « إِنَّهُ عُمَرٌ » فَقَالَ : وَإِنْ كَانَ عَمْرًا ، فَأَذِنْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَشَى إِلَيْهِ عَلِيٌّ وَهُوَ يَقُولُ :

لَا تَعْجَلْنَ فَقَدْ أَتَأْ

كَمُجِيبُ صَوْتِكَ غَيْرَ عَاجِزٌ

عُمَرٌ يَتَحدَّى
الْمُسْلِمِينَ

تَقْلِدُ عَلِيًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَدُعَاؤُهُ لَهُ

عُمَرٌ يَتَحدَّى

الْمُسْلِمِينَ

.....
دُو نِيَّةٍ وَيَصِيرَةٍ

وَالصَّدْقُ يُنْجِي كُلَّ فَائِزٍ
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُقِيمَ
عَلَيْكَ نَائِحَةَ الْجَنَائِزِ
مِنْ ضَرْبَةٍ تَجْلَاءَ يَقْنَى

ذَكْرُهَا عِنْدَ الْهَزَاهِرِ

فَقَالَ عُمَرُ : مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ : أَنَا عَلَيْيَ ، قَالَ : أَبْنَ
عَبْدِ مَنَافٍ؟ قَالَ : أَنَا عَلَيْيَ بْنُ أَبْيِ طَالِبٍ ، قَالَ : غَيْرُكَ يَا أَبْنَ
أَخِي ، مِنْ أَعْمَامِكَ مَنْ هُوَ أَسْنَنُ مِنْكَ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُهْرِيقَ
دَمَكَ ، فَقَالَ عَلَيْيَ : لَكَنِّي وَاللَّهِ مَا أَكْرَهُ أَنْ أُهْرِيقَ دَمَكَ ،
فَغَضِبَ وَنَزَلَ ، وَسَلَ سِيفَهُ كَأَنَّهُ شَعْلَةُ نَارٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ عَلَيْيَ
مَغْضِبًا ، وَيَقُولُ : إِنَّهُ كَانَ عَلَيْ فَرْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلَيْ : كَيْفَ
أُفَاتَكَ وَأَنْتَ عَلَيْ فَرَسِكَ؟ وَلَكِنَّهُ انْزَلَ مَعِيَ ، فَنَزَلَ عَنْ
فَرْسِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ عَلَيْ بَدْرَقَتِهِ ، فَضَرَبَهُ عُمَرُ
فِيهَا ، فَقَدَّهَا ، وَأَبْتَثَ فِيهَا السِّيفَ . وَأَصَابَ رَأْسَهُ ، فَشَجَّهَ ،
فَضَرَبَهُ عَلَيْ عَلَى حَبْلِ الْعَاتِقَ ، فَسَقَطَ وَثَارَ الْعَجَاجَ ، وَسَمِعَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّكْبِيرَ ، فَعَرَفَ أَنَّ عَلَيْهِ قَدْ
قُتِلَهُ) .

قَالَ أَبْنَ هَشَامَ : وَكَانَ شَعَارُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْخَنْدِقِ وَيَوْمَ بَنِي قُرْيَظَةَ : (حَمْ لَا يُنْصَرُونَ) .

منازلة علي رضي الله
عنه عمرو بن عبد ود

شعار المسلمين يوم
الخندق ويوم بنى
قرية

تخييل نعيم بن مسعود للأحزاب عن المسلمين :

نعميم بن مسعود رضي الله عنه والإشاعات بين صنوف الكفار (وفضّل) بتشديد الضاد المعجمة (جمعهم) أي : فرق جمع العرب وبني قريظة ، وهو مفعول لـ (فض) مقدم على فاعله ، الذي هو (نعيّم) بالتصغير ، ابن مسعود بن عامر (الأشجاعي إذ نمّ) أي : لأنّه سعى بالتنمية المطلوبة في مثل هذا الموطن (بينهم بكل مجمع) من مجتمع الكفار : بني قريظة ، وقريش ، وغطفان ؛ فإنّه أتى النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله ؛ إنّي أسلمت ، وإنّ قومي لم يعلموا بِاسلامي ، فمرني بما شئت .

قال له رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « إنّما أنت فيما رجل واحد ، فَخَذِّلْ عَنَا مَا اسْتَطَعْتَ ، إِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةً^(١) » فخرج حتّى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال لهم : يا بني قريظة ؛ قد عرفتم ودّي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بِمِنْهُمْ ، فقال لهم : إنّ قريشاً وغطفان ليسوا كما أنتم : البلد بلدكم ، وبه أموالكم وأبناءكم ، ونساؤكم ، لا تقدرون أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإنّهم جاؤوا للحرب محمّداً وأصحابه ، وقد ظاهرت مومهم

(١) قال الحافظ : (فتح المعجمة ، وبضمها مع سكون الدال المهملة فيهما ، وبضم أوله ، وفتح ثانية ، صيغة مبالغة ، كهمة ولمزة ، قال النووي : انفقوا على أنّ الأولى أفصح ، حتى قال ثعلب : بلغنا : أنّها لغة النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، وبذلك جزم أبو ذر الهروي والقرزاز) اهـ

عليه ، وبلدhem وأموالhem ونساءhem بغيره ، فإن رأوا نُهْزَةً ..
أصابوها ، وإن كان غير ذلك .. لحقوا ببلادهم ، وخلوا بينكم
وبينه ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلأ بكم ، فلا تقاتلوا معهم
حتى تأخذوا منهم رُهْنًا من أشرافهم ، يكونون ثقة لكم على أن
يقاتلوا معكم محمَّداً ، حتى تناجزوه ، فقالوا : لقد أشرت
بالرأي .

ثم أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه : قد عرفتم وُدّي
لكم ، وفراقي محمَّداً ، وإنه قد بلغني أمر ، رأيت حقاً عليّ أن
أبلغُكمُوه ، نصحاً لكم ، فاكتموه عني ، قالوا : نفعل ، قال :
إنَّ عشر يهود ندموا على ما صنعوا ، وأرسلوا إلى محمَّد : إنَّا
قد ندِمنا على ما فعلنا ، أيرضيك أن نأخذ لك من أشراف قريش
وغَطَّافان رجالاً فتضرب أعناقهم ، ثمَّ نكون معك على من بقي
منهم ، حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : نعم ، قال نعيم :
إن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رُهْنًا فلا تدفعوا إليهم
رجالًا واحدًا .

ثمَّ أتى غَطَّافان فقال : إنكم أصلي وعشيرتي ، وأحبُّ
الناس إلى ، ولا أراكم تتهمونني ، قالوا : صدقت ، ما أنت
عندنا بمتهم ، قال : فاكتموا عني ، قالوا : نفعل ، فقال لهم
مثلاً ما قال لقريش ، وكانت ليلة السبت من شوال ، ستة
خمس ، وكان من صنع الله لرسوله : أنَّ أبا سفيان ورؤوس
غَطَّافان أرسلوا إلىبني قريظة عكرمة في نفر من القبيلتين
قالوا : إنَّا لسنا بدار مُقام ، وقد هلك الحفَّ والحاfer ، فأعدُّوا
لقتال حتى نناجز محمَّداً ، ونفرغ ممَّا بيننا وبينه .

إيقاع نعيم رضي الله عنه
بين قريش وحلفائهم
اليهود

عكرمة رسول قريش
وغَطَّافان إلىبني قريظة
جواببني قريظة لقريش

فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ : إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ ، لَا نَعْمَلُ فِيهِ شَيْئاً ،
وَكَانَ قَدْ أَحْدَثَ فِيهِ بَعْضُنَا حَدَثاً ، فَأَصَابَهُمْ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ ،
وَلَسْنَا مَعَ ذَلِكَ بِمُقَاتِلِينَ مَعَكُمْ .. حَتَّى تُعْطُونَا رُهْنًا مِنْ
رِجَالِكُمْ ، يَكُونُونَ بِأَيْدِينَا ثَقَةً لَنَا ، حَتَّى نَاجِزَ مُحَمَّداً ، فَإِنَّا
نَخَشِي إِنْ اشْتَدَّ عَلَيْكُمُ الْقَتَالُ .. أَنْ تَرْجِعُوا إِلَى بِلَادِكُمْ ،
وَتَرْكُونَا وَالرَّجُلُ فِي بِلَادِنَا ، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ .

فَقَالَتْ قَرِيشٌ وَغَطَّافَانْ : وَاللَّهِ إِنَّ الَّذِي حَدَثَكُمْ بِهِ نُعَيْمَ
لِحَقِّ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ : إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَقْاتِلُ مَعَكُمْ .. حَتَّى تُعْطُونَا
رُهْنًا ، فَأَبْوَا عَلَيْهِمْ ، وَخَذِلَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ، وَيَئِسَ كُلُّ مِنْهُمْ مِنْ
الْآخَرِ ، وَأَخْتَلَفَ أُمُرُهُمْ ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دُعَا عَلَى
الْأَحْزَابِ فَقَالَ : «اللَّهُمَّ ؎ مِنْزُلُ الْكِتَابِ ، سَرِيعُ الْحِسَابِ ،
اهْزِمُ الْأَحْزَابَ ، اللَّهُمَّ ؎ اهْزِمْهُمْ» وَكَانَ دُعَاؤُهُمْ يَوْمَ
الْإِثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الْثَّلَاثَاءِ ، وَيَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، فَاسْتَجَبَ لَهُ بَيْنَ
الظَّهَرِ وَالْعَصْرِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَعَرَفَ السَّرُورُ فِي وَجْهِهِ الشَّرِيفِ :

دُعَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
الْأَحْزَابِ
اسْتِجَابَةُ دُعَائِهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسْرَةِ وَجْهِهِ

لَمْعَتْ كَلْمَعُ الْبَارِقِ الْمُتَهَلِّلِ

فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ السَّبْتِ .. بَعْثَ اللَّهُ الرِّيحَ عَلَى الْأَحْزَابِ ،
حَتَّى مَا يَكَادُ أَحَدُهُمْ يَهْتَدِي لِمَوْضِعِ رَجْلِهِ ، وَلَا يَقْرَرُ لَهُمْ قِدْرَ
وَلَا بَنَاءً .

بَعْثُ حَذِيفَةَ لِاسْتِكْشافِ أَمْرِ الْمُشْرِكِينَ :

(وَعِنْدَمَا) هِيَ مَصْدِرِيَّةُ ، وَقُولُهُ : (إِلَى التَّشَتُّتِ) أَيْ :

مَنْ يَأْتِ بِالْخَبَرِ عَنْهُمْ يَكُنْ غَدَّاً رَفِيقَنَا وَمِنْهُمْ يَأْمَنْ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ غَيْرُ أَبْنِ الْيَمَانِ مِنْ شِدَّةِ الدُّغْرِ وَمِنْ بَرْدِ الْزَّمَانِ

التفرق ، يتعلّق بأجمع ، وقوله : (الْزُّمَر) جمع زمرة : الجماعة ، مبتدأ ، خبره جملة (أجمع) أي : اتفق (أمرهم) وفي نسخة (أزمع) أي : وعند إجماع الزمر من الأحزاب أمرهم إلى التفرق ، وخففت كل طائفة من الأخرى ، وأرسل الله عليهم الريح ، واشتد البرد تلك الليلة (دعا) الله عزّ وجلّ (خير البشر) صلى الله عليه وسلم ما أصنعت أذن لخبر ، وجلّيت عين لنظر ، قائلاً : « (من يأت بالخبر عنهم) أي : عن الأحزاب (يكن) جزاؤه (غداً) يوم القيمة (رفيقنا) في الجنة » (ومنهم) أي : من القوم (يأمن) من مكرهه يصيّبه .

(فلم يقم إليه) صلى الله عليه وسلم أحد من الصحابة (غير) حذيفة (ابن اليمان) ففي رواية البيهقي : قال صلى الله عليه وسلم : « من يذهب فيعلم لنا علم القوم ، جعله الله رفيقي » فلم يقم أحد ، فقال أبو بكر : ابعث حذيفة ، وفي رواية ابن إسحاق : فدعاني ، فلم يكن بدّ من القيام ، وإنّما لم يقم أحد من الصحابة (من) أَجْلُ (شدة الدُّغْرِ) بضم المشددة أي : الخوف (ومن برد الزمان) أي : من شدته .

قال ابن إسحاق : (حدّثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرطي ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ؟ أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته ؟ قال : نعم يا ابن أخي ، قال : فكيف كنتم

بعث حذيفة بن اليمان
رضي الله عنه لمعرفة
ما فعل الأحزاب

تصنعنون؟ قال : والله لقد كنا نجهد ، قال : فقال : والله لو
أدركناه .. ما تركناه يمشي على الأرض ، ولهملناه على
أعناقنا .

قال : فقال حذيفة : والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالخندق ، وصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هؤلئك من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : « مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فِينَظِرُ لَنَا
مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجُعُ؟ » يشرط له رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الرجعة ، « أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ »
فما قام رجل من القوم من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة
البرد ، فلما لم يقم أحد .. دعاني رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني ، فقال :
« يَا حَذِيفَةُ؛ اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ ، فَانظُرْ مَا يَصْنَعُونَ ،
وَلَا تُحْدِثْ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِيَنَا ». .

قال : فذهبت فدخلت في القوم ، والريح ، وجنود الله
تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقْرِرُ لَهُمْ قِدْرًا ، ولا نارًا ، ولا بناءً ،
فقام أبو سفيان فقال : يا معاشر قريش ؟ لينظر امرؤ من
جليسه ، قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي
فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان) .

نداء أبي سفيان بالرحيل وانهزام المشركين :

ثُمَّ قال أبو سفيان : يا معاشر قريش ؟ إنكم
والله ما أصبحتم بدار مقام ، ولقد هلك

الكراع^(١) والخُفُّ ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء فارتخلوا ؛ فإنّي مُرْتَحِل ، ثمَّ قام إلى جَمْلِه وهو معقول ، فجلس عليه ، ثمَّ ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلَّا وهو قائم ، ولو لا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىي : « أَن لَا تُحْدِثْ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِيَنِي » لقتلته بسهم .

تبشير حذيفة بانهزام المشركين :

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلّي في مِرْط لبعض نسائه مُرْجَل ، قال ابن هشام : (المراجل : ضرب من وشي اليمن) فلما رأني .. أدخلني إلى رجليه ، وطرح علي طرف المِرْط ، ثمَّ ركع وسجد وإنّي لفيه ، فلما سلم .. أخبرته الخبر ، وسمعت غطfan بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

تنبيه :

هذه القصة التي ذهب لكشفها سيدنا حُذيفة بن اليمان غير قصّة سيدنا الرّبّير ؛ فإنّها كانت لكشف خبر بني قريظة : هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ، ووافقوا قريشاً على محاربة المسلمين ؟ فروي البخاري وغيره عن جابر : أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاة

(١) بضم الكاف وتخفيض الراء : اسم لجمع الخيل .

وَقَالَ خَيْرُ الْخَلْقِ لَنْ تَغْرُوْكُمْ قُرَيْشُ بَعْدَ الْيَوْمِ وَالْغَرْزُ لَكُمْ
وَشَغَلَ النَّبِيَّ زَحْفُ الْخَنْدَقِ عَنْ ظُهُرِهِ وَعَصْرِهِ لِلشَّفَقِ

والسلام قال يوم الأحزاب : « من يأتيني بخبر القوم ؟ » يعني
بني قريطة ، فقال الزبير : أنا ، ثم قال : « من يأتيني بخبر
ال القوم ؟ » فقال الزبير : أنا ، ثم قال : « من يأتيني بخبر
ال القوم ؟ » فقال الزبير : أنا ، ثم قال : « إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا
وَإِنَّ حَوَارِيَ الرَّبِّيْرِ ». .

(وقال خير الخلق) صلى الله عليه وسلم حين أجلَى الله
الأحزاب : « (لَنْ تَغْرُوْكُمْ قُرَيْشُ بَعْدَ الْيَوْمِ) - يوم الخندق -
(و) لَكُنْ (الْغَرْزُ لَكُمْ) عَلَيْهِمْ : تَأْتُونَهُمْ فِي دُورِهِمْ » ولفظه
كما ذكره البخاري في جامعه ، بسنده إلى سليمان بن صرد :
« قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الآن
نَغَرُوْهُمْ وَلَا يَغْرُوْنَا ، نَحْنُ نَسِيرٌ^(١) إِلَيْهِمْ ». .

قال اليعمرى وغيره : وانصرف رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يوم الأربعاء لسبعين بقين من ذي القعدة سنة خمس .

تأخير الصلاة عن وقتها يوم الخندق :

(وَشَغَلَ النَّبِيَّ) صلى الله عليه وسلم ، وهو مفعول مقدم
على فاعله الذي هو (زَحْفُ) الزحف : الجيش يزحف ، وهو
مضاف إلى (الخندق) أي : شغل النبي صلى الله عليه وسلم

(١) قد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، فكان علماً من أعلام نبوته ، ففي السنة المقبلة
اعتبر فضحته قريش ، ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها ، فكان فتح مكة لذلك .

وأصحابه جيشُ العدوَّ الذي يريد أن يقتسم الخندق (عن) صلاة (ظهره وعصره لـ) مغيب (الشفق) كما رواه الإمام مالك عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : أَنَّه قال : ما صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظَّهَرَ وَالعَصْرَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ . . حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ .

الصلوات التي تأخر أداؤها

وكما رواه الإمام أحمد ، والنسائي عن أبي سعيد : أَنَّه شغلوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الظَّهَرِ ، وَالعَصْرِ ، وَالْمَغْرِبِ ، وَصَلَّوَا بَعْدَهُو يَوْمًا مِنَ الْلَّيْلِ ، وَقِيلَ : شَغَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْعَصْرِ فَقَطْ ، وَهُوَ مَقْتَضِيُّ رِوَايَةِ الشِّيَخِيْنِ عَنْ جَابِرٍ وَعَلِيٍّ ، وَقِيلَ : شَغَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ ، حَتَّى ذَهَبَ مِنَ الْلَّيْلِ مَا شَاءَ ، وَهُوَ مَقْتَضِيُّ رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ وَالترمذِيِّ .

وقال الترمذِيُّ^(١) : ليس بإسناده بأس ، إلَّا أَنَّ أَبَا عَبِيْدَةَ لَمْ يسمع من عبد الله .

قال في «المواهب» إثْرَ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ : (فَمَا ابْنُ الْعَرَبِيِّ إِلَى التَّرْجِيْحِ ، فَقَالَ : الصَّحِيْحُ : أَنَّ الَّتِي اشْتَغَلَتْ عَنْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحِدَةً ، وَهِيَ الْعَصْرُ ، وَقَالَ النَّوْوَيُّ : طَرِيقُ الْجَمْعِ : أَنَّ وَقْعَةَ الْخَنْدَقِ بَقِيَتْ أَيَّامًا ، فَكَانَ هَذَا أَيَّ شَغَلَهُمْ عَنِ الْعَصْرِ ، أَوْ عَنِ الظَّهَرِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . وَهَذَا ؛ أَيِّ : تَأْخِيرُ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِي بَعْضِهَا) .

الترجيح بين الروايات المتعددة

(١) حيث رواه في الباب عن عبد الله بن مسعود برواية أبي عبيدة عنه .

وعلم من كلام الناظم : أنَّ سبب تأخير الصلاة في ذلك اليوم هو شغفهم ، فلم يتمكّنا من فعلها ، قال في «شرح المواهب» : وهو أقرب لا سِيَّما ولأحمد والنسائي عن أبي سعيد : أنَّ ذلك كان قبل أن يُنزل الله تعالى في صلاة الخوف **﴿وَرِجَالًا أَوْ رُكَبًا﴾** وقيل : النسيان ، واستبعد وقوعه من الجميع ، أمَّا اليوم .. فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها بسبب القتال ، بل تصلّى صلاة الخوف على حسب الحال .

تميم :

ذكر ابن إسحاق وغيره : (أنَّه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير ، سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس ، وعبد الله بن سهل الأوسيون ، والطفيلي بن النعمان ، وثعلبة بن عئنة ، وكمب بن زيد ، الخَزْرَجِيُّونَ .

قال العبد الضعيف كان الله له : سيدنا سعد بن معاذ استشهد بعد رجوعه من غزوة بنى قريظة ، حيث انفجر الجرح الذي كان أصابه يوم الخندق برمي ابن العرقة كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، فالمراد : أنَّه استشهد بسبب تلك الرَّمية يوم الخندق .

وهلk من المشركين : مُنْبَهَ بن عُبَيْد ، ونوفل بن عبد الله المخزوميّ ، وعمرو بن عبد وُد العامري .

ومن هديه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح ، إذا رجع من غزوة أو حج أو عمرة .. أن يبدأ فيكِير ثلث مرات ، ثم

لُّمَّا قُرِيَظَةُ إِلَيْهَا جَبْرَئِيلُ وَلَمْ يَضَعْ سِلَاحَهُ أَسْتَدْعِي رَعِيلٌ

يقول : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، آيَبُونُ ، تَائِبُونُ ، عَابِدُونُ ، سَاجِدُونُ لِرَبِّنَا حَامِدُونُ ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ». .

وَاللَّهُ سَبَّحَنَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤

١٩) غزوة بنى قريظة

بضم القاف ، وفتح الراء ، وسكون التحتية ، وبالظاء المعجمة . قال الزرقاني في « شرح المواهب » : (قال السمعاني : اسم رجل نزل أولاده قلعة حصينة بقرب المدينة ، فنسبت إليهم ، وقريظة والنضير أخوان من أولاد هارون .

وذكر عبد الملك بن يوسف : أَنَّ بْنِي قَرِيظَةَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُم مِنْ ذرِيَّةِ شُعَيْبٍ نَبِيِّ اللهِ - قَالَ الْحَافِظُ : وَهُوَ مُحْتَمِلٌ - وَأَنَّ شُعَيْبًا كَانَ مِنْ بْنِي جُذَامَ ، الْقَبْيلَةُ الْمَشْهُورَةُ ، وَهُوَ بَعِيدٌ جَدًا) اهـ
قلت : وَبَنُو قَرِيظَةَ كَانُوا يَسْكُنُونَ الْعَوَالِيَّ مِنْ الْمَدِينَةِ ،
فِيهَا مَنَازِلُهُمْ .

مساكن بنى قريظة

أَمْرُ اللهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى لِسَانِ جَبَرِيلٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بِقَتَالِ بْنِي قَرِيظَةَ :

(لُّمَّا قُرِيَظَةُ) أَيْ : غَزَوْتَهَا بَعْدَ الْخَنْدَقِ ، بَلْ كَانَتْ عَقِبَهَا
بِلَا مُهْلَةٍ ؛ فَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي الْيَوْمِ

.....

الذي انصرف فيه من الخندق - وهو عند ابن سعد يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة^(١) - خرج لغزوهم باستدعاء جبريل لهم كما قال : (إليها) أي : استدعى إلىبني قريظة (جِبْرِيلُ) بالهمز بعدها ياء على إحدى لغاته ، فقوله : (إليها) يتعلق بـ (استدعى) الواقع خبراً عن قوله : (جبريل) ، والجملة خبر عن قوله : (ثم قريظة) ، وقد وقع بينهما الجملة الحالية معتبرضة وهي قوله : (وَلَمْ يَضَعْ) أي : والحال أنه لم يضع جبريل عليه السلام (سِلَاحَه اسْتَدْعَى) أي : جِبْرِيلُ ، ومعموله (رَعِيلُ) وقف به على لغة ربيعة ، والرعيل : الجماعة القليلة ، نحو العشرين أو الخمسة والعشرين من الخيل .

روى الإمام البخاري في (باب الجهاد) من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها : (أَنَّه لَمَّا رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَأَغْتَسَلَ... أَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟! وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ... قَالَ : «فَإِلَى أَيْنَ؟» قَالَ : هُنَّا ، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قَرِيظَةَ) اهـ ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم .

سيره صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة وروى البخاري أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه قال : (لَكَانَيْ أَنْظَرْتُ إِلَى الْغَبَارِ سَاطِعًا فِي زَقَاقِ بَنِي غَنْمٍ مَوْكِبَ جِبْرِيلِ حِينَ سَارَ إِلَى بَنِي قَرِيظَةَ) .

(١) وفي «الإِمْتَاعِ» : (لَسْعَ خَلُونَ مِنْ ذِي الْحِجَةِ) .

وَقَادَهُ وَزَلَّلَ الْحُصُونَا
وَقَذَفَ الرُّعْبَ وَلَا يَدْرُونَا
وَأَسْتَدْمَرَ الْبَيْتِ خَيْلَ اللَّهِ
وَعَنْ صَلَةِ الْعَصْرِ قَامَ الْنَّاهِي

(قاده) أي : قاد جبريل الرعيل إلىبني قريظة (وزلّل) حرك (الحصونا) لبني قريظة (وَقَذَفَ الرُّعْبَ) والفرز في قلوبهم (و) هم على حين غفلة (لا يَدْرُونَا) ذلك .

(واستدمر) أي : استحث وحضر (النبي) صلى الله عليه وسلم .

في «القاموس» و«شرحه» : (الدَّمَرُ بالفتح : الملامة والحضر [معاً] ، والتهجد والغضب والتشجيع ، وفي حديث عليٌّ : «ألا وإنَّ الشَّيْطَانَ قدْ دَمَرَ حِزْبَهِ» أي : حضُّهم وشَجَّعُهم) .

ومعمول (استدمر) قوله : (خيل الله) أي : أصحابها قائلاً : «يا خيل الله اركبي»^(١) لمن بعثه أن ينادي بها ، قال الشامي : (المنادي هو بلال) .

وخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس الدرع والمغفر والبيضة ، وتقلد القوس ، وركب فرسه ، ثم سار إليهم في المسلمين ، وهم ثلاثة آلاف ، والخيل ستة وثلاثون فرساً ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

(١) قال بعضهم : هو على المجاز والتوضيح ، وقال في «شرح المواهب» عن شيخه : (الأظهر) : أنه نزل الخيل منزلة المقاتلين ، حتى كأنها هي التي يوجد منها الفعل ، فخاطبها بطلب الركوب منها ، والمراد أصحابها ، فلما عبر بالخيل .. راعى لفظها ، فأسند الفعل إليها ؛ أي : فقال اركبي) اهـ ، وقيل غير ذلك .

إِلَّا بِهِمْ وَلَمْ يَعِبْ مَنْ أَخْرَاهُ أَئْتَمْرَا

أمره صلى الله عليه وسلم صحابته بالصلاة في بي قريظة

(وعن صلاة العصر) يتعلّق بقوله : (قام) ، والواو في الحقيقة داخلة على الفعل ، يعني : وقام (الناهي) عن صلاة العصر أن تصلّى (إِلَّا بِهِمْ) أي : ببني قريظة ، ويشير بهذا إلى قوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح عن ابن عمر : « لا يُصلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » .

(ولم يعُبْ من أَخْرَا) أي : لم ينْسُبْ من أَخْرَ العصر (إلى العشاء) إلى العيب ، ولم يعْنِهِم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّهُمْ إِنَّمَا أَخْرُوهُمْ لِفَهْمِهِمُ النَّهَيِّ عَنْ فَعْلِهَا قَبْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَإِنْ خَرَجَ الْوَقْتُ ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْفَظْوَهُرِ ؛ (إِذْ يَرَاهُ) أي : يرى أَنَّهُ مِنْ أَخْرِهَا عَنْ وَقْتِهَا قَدْ (أَئْتَمْرَا) أي : فعل ما أُمِرَّ بِهِ ، قال ابن عمر في الحديث السابق : (فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا نَصْلِي حَتَّى نَأْتِهَا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ نُصْلِي ، لَمْ يُرِدْ مَنْ ذَلِكَ ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلَّنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يُعْنِفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ) .

قال في « شرح المواهب » : (في رواية ابن إسحاق : فَصَلَوُا الْعَصْرَ بِهَا - أي : ببني قريظة - بَعْدِ الْعَشَاءِ الْآخِرَةِ ، فَمَا عَابَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، وَلَا عَنْهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال السهيلي وغيره : « في هذا الحديث من الفقه : أَنَّهُ لَا يَعْبَرُ عَلَى مَنْ أَخْذَ بِظَاهِرِهِ حَدِيثًا أَوْ آيَةً » ، وَلَا عَلَى مَنْ اسْتَنْبَطَ مِنَ النَّصِّ مَعْنَى يُخَصِّصُهُ ؛ أي : مَمَّنْ كَانَ لَهُ أَهْلِيَّةً ، وَفِيهِ كُلُّ مجتهدٍ فِي الْفَرْوَانِ مَصِيبٍ) اهـ

اجتهد الصحابة
رضوان الله عليهم في
فهم أمره صلى الله
عليه وسلم

المستفاد فقهًا من
تبليغ اجتهد الصحابة
لأمره صلى الله عليه
 وسلم

قلت : وهو المشار إليه في قول حسان زمانه رضي الله

عنه^(١) :

كَلَّهُمْ فِي أَحْكَامِهِ ذُو اجْتِهَادٍ
وَصَوَابٌ وَكَلَّهُمْ أَكْفَاءٌ

نعم ؛ المصيب في القطعيات والمعتقدات واحد لا غير ،
وقد تكفل علم الأصول بتفصيل ذلك ، وذكر أدلة كل ،
فليراجع في كتبه .

تخيير كعب بن أسد لقومه بين خلال ثلث ، ورفضهم لها :

وقد حاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة كما قاله ابن
إسحاق (و) لما اشتد عليهم الحصار ، وقدف الله في قلوبهم
الرُّعب .. (خَيْرٌ) كعب (بن أَسَدٍ) رَئِيسُ بَنِي قُرَيْظَةَ
(قُرَيْظَةَ) بالنصب معمول لخَيْرٍ ، مضاف لضمير كعب ؛ لأنَّهَ
رَئِيسُهُمْ ، وأشار إلى المُحَيَّرِ فيه بقوله : (بَيْنَ ثَلَاثٍ) من
الخلال .

حصار المسلمين لبني
قريظة

(وَازْدَرُوا) أي : احتقر بنو قريظة (رَوَيْتَهُ) بكسر الواو
وشد الياء المفتوحة ؛ أي : رأيه ؛ فإنَّه لما قال لهم :
(يا معاشر يهود ؛ قد نزل بكم ما ترون ، وإنِّي أعرض عليكم
خلالاً ثلاثاً ، فخذلوا أيَّها شئتم .. قالوا : وما هي ؟ قال :
تابعُهُدا الرجل ونصدقُهُ ، فوالله ؛ لقد تبيَّنَ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ ،

الخلة الأولى

(١) المراد به : شرف الدين البوصيري رحمه الله في « همزاته » .

أَنْ يُؤْمِنُوا فَيَأْمُنُوا فَقَدْ دَرَفُوا فِي كُتُبِهِمْ مَا عَنْهُ إِذْ جَاءَ أَبُوهُا

وأنه للذى تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم

الخلة الثانية

وأبنائكم ونسائكم . فأبوا ، قال : فإذا أبىتم على هذه .. فهلم
فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً
مُصلّتين^(١) السيف ، لم نترك وراءنا ثقلاً^(٢) ، حتى يحكم الله
بيتنا وبين محمد ، فإن نهلك .. نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً
نخشى عليه ، وإن نَظَهَرَ .. فلعمري ؛ لنَجِدَنَّ النساء والأبناء .

الخلة الثالثة

قالوا : أي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا ؟ ! فقال : فإن أبىتم
عليه هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وعسى أن يكون محمد
وأصحابه قد أَمِنُوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد
وأصحابه غرَّة . قالوا : نفسد سبُتنا ، ونُحدِثُ فيه ما لم يُحدِث
فيه من كان قبلنا إلَّا من قد علمت ، فأصابه ما لم يَخُفْ عليك
من المَسْخ ؟ ! قال : ما بات رجلٌ منكم منذ ولدته أُمه ليلة
واحدة من الدهر حازماً) ذكر ذلك ابن إسحاق .

وأشار الناظم إلى الخلة الأولى بقوله : (أن يؤمنوا)
برسول الله صلى الله عليه وسلم (فيأمنوا) على دمائهم من
القتل ، وعلى أموالهم وأبنائهم ونسائهم من الأسر والسلب
(فقد دَرَفُوا) وعلموا (في كُتُبِهِمْ) كالتوراة (ما) أي : الأمر
الذى (عنه) يتعلق بقوله : (أبوا) ، قوله : (إذ جاءَ)
ظرف لقوله : (أَبُوهُا) قُدْمٌ عليه ؛ أي : فقد علم بنو قريطة

(١) جمع مصلت - بكسر اللام وبالصاد المهملة الساكنة - أي : مجردين السيف من أغmadها .

(٢) بفتح المثلثة والقاف ، ويجوز كسر الثاء .

أَوْ يَحْصُدُوا النِّسَاءَ وَالصِّبِيَّانَ فَلَمْ يُخْلُوا خَلْفَهُمْ إِنْسَانًا
أَوْ يَفْتَكُوا فِي السَّبْتِ إِذْ يَأْمُرُهُمْ جَيْشُ الْعَرَمَرَمِ وَلَا يَأْبَهُمْ

نعته صلى الله عليه وسلم الذي أبوا عنه لما جاءهم ، وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ أنَّ اليهود كانت تستنصر الله على الكافرين من مشركي العرب ، وتقول إذا حَزَبُهُمْ أمر أو دَهَمُهُمْ عدوًّ : اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَيْهِمْ بِالنَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، الَّذِي نَجَدْ صَفْتَهُ فِي التُّورَاةِ ، فَكَانُوا يُنْصَرُونَ ، فَقَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ الْمُبِينِ : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كَنْتُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلٍ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ». .

وقال **البغوي** في « تفسيره » : (كانوا يقولون لأعدائهم من المشركين : قد أظلَّ زمان نبِيٍّ يخرج بتصديق ما قلنا ، فنقتلكم معه قتل عاد وثモود وإرام) اهـ

فكان ما أخبر الله ، ونعاهم عليهم ؛ من كفراهم حسداً ، ونزول اللعنة عليهم بذلك .

وأشار للخلة الثانية بقوله : (أو يحصدوا) بضم عين الفعل وبكسرها ، من الحصد بمعنى القطع ؛ أي : أو يقتلوا (النِّسَاءَ وَالصِّبِيَّانَا) ثمَّ يخرجوا إلى محمد وأصحابه مشاة مقاتلين (فلم يُخْلُوا) أي : يتركوا (خلفَهُمْ إِنْسَانًا) من أولئك يخشون عليه ، وتقديم جواب هذه الخلة كسابقتها ولاحقتها .

وأشار إلى الثالثة بقوله : (أو يفتكوا) بالضم والكسر للعين ، من الفتاك ، وهو : القتل على غرة ؛ أي : أو يتهزوا

وَضَاقَتِ الْأَرْضُ بِهِمْ لِرُعْبِهِمْ
وَأَسْتَبَّوْا أَبَا لُبَابَةَ الْخَبَرِ
وَجَهَلُوا كَيْفَ النَّكَايَةُ بِهِمْ
فَرَقَ لِلْعَهْدِ الَّذِي بِهِمْ غََبَرْ

الفرصة (في) القتال يوم (السبت إذ يأمنهم) بفتح الميم ، من الأمان ، وهو : الاطمئنان وسكون القلب ، وفاعل (يأمن) قوله : (جيشُ العرمِ) أي : يسكن إليهم في يوم السبت الجيش الكثير من المسلمين ، ويعتقدون أنه لا يحدث فيه شيء ؛ لما علموا من تعظيمنا له (ولا يأبُهُمْ) يتهمهم بالخروج في السبت ، وهو بتقديم الباء المفتوحة على النون .

وذكر هذه الآيات في هذا الوضع هو المافق لما ذكره ابن إسحاق ، وفي بعض النسخ تقديم قوله : (أو يفتکوا...) البيت ، على قوله : (أو يحصدوا...) البيت .

ربع اليهود بعد رفضهم للخلال الثلاث (و) لما خيرهم كعب بين الخلال الثلاث ، ولم يأخذوا واحدة منها . (ضاقت الأرض بهم لرعبهم) وفرَّعْهم ، وقد أيقنوا بالهلاك (وَجَهَلُوا كَيْفَ النَّكَايَةُ من المسلمين (بِهِمْ) أي : ببني قريظة ، والنكایة - بكسر النون - : ما يُفعل بالعدو من قتل وجرح ونحوهما .

طلبهم أبا لبابا وقصته معهم ، وتوبته رضي الله عنه :
(وَاسْتَبَّوْا أَبَا لُبَابَةَ) مبشر بن عبد المنذر أخا
بني عمرو بن عوف من الأوس^(١) رضي الله عنه ، وتقدمت

(١) وقيل : اسمه رفاعة ، وقيل : بشير .

أَنْ جَأَرْتُ فِي وَجْهِهِ الْصَّبِيَّانُ
 فَفَتَنَوْهُ وَأَنْتَحَى عَنْ بَلَدٍ
 فَقَامَ فِيهِ بُرْهَةً مُرْتَبَطًا

ترجمته (الخبر) وكانت قريظة أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَنِ ابْعَثَ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ نَسْتَشِيرُهُ فِي أَمْرِنَا ، فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ .. قَامَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ ، وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ (فَرَقَ) لَهُمْ وَرَحْمَهُمْ (لِلْعَهْدِ الَّذِي بَهُمْ غَيْرُهُ) أي : ماضٍ ، وَكَانُوا حَلْفَاءَ الْأَوْسَ .

(أَنْ جَأَرْتُ) صاحت (في وجهه الصبيان) بكسر الصاد ، وتضم (وَاسْتَعْطَفْتُ رَحْمَتَهُ) طلبت العطف منه والرحمة (النِّسَوانِ) ولما سأله و قالوا : يا أبا لبابا ؟ أترى أن ننزل على حكم محمد^(١) ؟ قال : نعم - وأشار بيده إلى حلقه : أَنَّهُ الدَّبَحَ - قال أبو لبابا : فوالله ؟ ما زالت قدماءِي مِنْ مَكَانِهِمَا .. حتى عرفت أَنِّي قد خُنْتُ الله وَرَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم .

(فَفَتَنَوْهُ) أي : فبسبب ما ذُكر أوقعوا أبا لبابا في الفتنة ، فندم واسترجع (وَأَنْتَحَى) أي : ذهب إلى ناحية بعيدة (عَنْ بَلَدِهِ عَصَى بِهِ) ربه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَشَاطَ) جرى (نَحْوَ الْمَسْجِدِ) النبوى .

(فَقَامَ فِيهِ بُرْهَةً) زماناً طويلاً (مُرْتَبَطًا^(٢)) إلى عمود من

(١) أي : كما قال صلى الله عليه وسلم لشاس بن قيس الذي بعثوه إليه بأن ينزلوا على ما نزل بنو النضير ، فأبى صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكمه .

(٢) وقيل : إن ارتباطه هذا كان بسبب تخلفه عن غزوة تبوك . راجع «العيون» وكتب التفسير في (سورة التوبة) .

عُمْدَه ، وَقَالَ : لَا أَبْرُحُ مَكَانِي هَذَا حَتَّى أَمُوتُ ، أَوْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْتُ ، وَأَعْاهَدُ اللَّهَ أَلَّا أَطْأَبْنِي قُرْيَظَةً أَبْدًا ، وَلَا أَرَى فِي بَلْدَتِنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيهِ أَبْدًا .

وَكَانَ ارْتِبَاطَهُ سَتْ لَيَالٍ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ هَشَامَ ، تَأْتِيهِ امْرَأَتُهُ فِي وَقْتٍ كُلِّ صَلَاةٍ فَتَحْلِهُ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ يَعُودُ فَتَرْبِطُهُ بِالْجَذْعِ (مَعْذِبًا لِنَفْسِهِ مُوَرَّطًا) أَيْ : مُوَقِّعًا لَهَا فِي الْوَرْطَةِ وَالْهَلْكَةِ .

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : (رَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ : أَنَّ أَبَا لَبَابَةَ ارْتَبَطَ بِسَلْسِلَةٍ ثَقِيلَةٍ بَضْعِ عَشَرَةِ لَيَالٍ حَتَّى ذَهَبَ سَمْعُهُ وَكَادَ يَذْهَبُ بِصَرْهُ ، فَكَانَتْ ابْنَتُهُ تَحْلِهِ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةَ أَوْ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ لِحَاجَتِهِ ، فَإِذَا فَرَغَ . . أَعَادَهُ) .

تَحْقِيقُ اخْتِلَافِ الرِّوَايَةِ

قَلْتُ : وَلَا مَانِعٌ أَنْ تَأْتِيهِ امْرَأَتُهُ مَرَةً فَتَحْلِهُ مَدَدًا سَتْ لَيَالٍ ، وَابْنَتُهُ مَرَةً أُخْرَى كَذَلِكَ فِي بَاقِي الْبَضْعَةِ عَشَرَةِ لَيَالٍ .

الآيةُ الَّتِي نَزَّلَتْ فِي
تَوْبَةِ أَبِي لَبَابَةِ

قَالَ ابْنُ هَشَامَ : (وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي لَبَابَةَ - فِيمَا قَالَ ابْنُ عَيْنِيَةَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ - : 《 يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَخُونُوا مَا أَنْتُمْ كَسْكُسَمْ وَأَتَمْ تَعْلَمُونَ * وَأَعْلَمُوْا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ 》 .

وَلِمَا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَهُ - وَكَانَ قَدْ اسْتَبَطَهُ - قَالَ : « أَمَّا إِنَّهُ لَوْ جَاءَنِي . . لَا سَتَغْفِرُتْ لَهُ ، فَأَمَّا إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ . . فَمَا أَنَا بِالَّذِي أَطْلَقْتُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ » .

قال أبو لبابة : فكنت في أمر عظيم ، في حرّ شديد عدّة ليال ، لا أكل فيهنّ شيئاً ولا أشرب ، وقلت : لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا ؛ أو يتوب الله عليّ .

(فتاب من هفوطه) أي : زلتـه (الله) عزّ وجلّ (عليه) أي : على أبي لبابة ، ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو في بيت أم سلمة قوله تعالى : « وَآخَرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَطَّطُوا عَمَلًا صَنَعَا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » فقلـت أم سلمـة : فسمـعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السـحر وهو يضـحك ، فقلـت : يا رسول الله ؟ مـمـ تضـحك ؟ أضـحك الله سـنـك ، قال : « تـيب على أبي لـبـابة » قـلت : أـفـلا أـبـشرـه يا رسول الله ؟ قال : « بـلى ، إـنـ شـئت » فـقـامت عـلـى بـاب حـجـرـتهاـ . وـذـلـك قـبـل أـنـ يـضـربـ عـلـيهـنـ الحـجـابـ . فـقـالت : يا أـبـا لـبـابة ؛ أـبـشرـ ، فـقـد تـابـ الله عـلـيـكـ ، فـثـارـ النـاسـ إـلـيـهـ لـيـطـلـقـوهـ ، فـقـالـ : لـا وـالـلـهـ ؛ حـتـى يـكـونـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ هوـ الـذـي يـطـلـقـنـيـ بـيـدـهـ ، فـلـمـا مـرـأـ عـلـيـهـ خـارـجـاـ إـلـىـ صـلـةـ الصـبـحـ . أـطـلـقـهـ كـمـا قـالـ : (وـحـلـهـ خـيـرـ الـأـنـامـ بـيـدـيـهـ) .

قال الزـرقـانـيـ عنـ السـهـيلـيـ : (إـنـ قـبـيلـ : إـنـ الـآـيـةـ لـيـسـ نـصـاـ فيـ تـوـبـةـ اللهـ عـلـيـهـ أـكـثـرـ مـنـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ : عـسـىـ اللـهـ أـنـ يـتـوـبـ عـلـيـهـمـ ؟)

فالـجـوابـ : أـنـ « عـسـىـ » مـنـهـ سـبـحـانـهـ وـاجـبـ ، وـخـبـرـ صـدـقـ .

نـزـولـ الـوـحـيـ بـتـوـبـةـ أـبـيـ
لـبـابةـ وـبـشـارـةـ أـمـ سـلـمـةـ
لـهـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـاـ

منـاقـشـةـ دـلـلـةـ الـآـيـةـ عـلـىـ
تـوـبـةـ أـبـيـ لـبـابةـ

فإن قيل : القرآن نزل بلسان العرب ، و «عسى» ليست في
كلامهم بخبر ، ولا تقتضي وجوباً .

قلنا : «عسى» تعطي الترجي مع المقاربة ، ولذا قال :
﴿عَسَى أَن يَعْثُكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ومعناه الترجي مع الخبر
بالقرب ، كأنه قال : قرب أن يعثك ، فالترجي مصروف إلى
العبد ، والخبر عن القرب مصروف إلى الله ، وخبره حق ،
ووعلده حتم ، فما تضمنه من الخبر فهو الواجب دون الترجي ،
الذي هو محال على الله تعالى) اهـ باختصار .

المعاني المستفادة من
قصة أبي لبابة رضي
الله عنه

قال العبد الفقير كان الله له : وفي قصة سيدنا أبي لبابة هذه
ما يرشد إلى قوي إيمانه ، وعظيم إخلاصه ، مما لا يبالي أن
يضحي بنفسه في سبيل الله تعالى ورضاء رسوله ، فيعذبها ذلك
العذاب ، وينظر إليها بتلك النظرة . وتأمل قوله : (لا أبرح
من مكاني هذا حتى أموت أو يتوب الله علـيـه) تعلم أن نفسه
عليه رخصة في جانب الله عز وجل ، وأنه من الذين أضافوا إلى
جهاد الكافرين جهاد أنفسهم . فرضي الله عن الصحابة
وأراضهم ، وبلغنا بهم لحقهم ، آمين .

تحكيم سعد بن معاذ في قريظة :

(و) لما يئس بنو قريظة بعد اشتداد حصارهم .. أذعنوا أن
ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فـ (حَكْمَ
النَّبِيِّ فِيهِمْ سَعْدَ الْأَوْسَنْ) بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام
للوزن ، وهو : أبو عمرو سعد بن معاذ سيد الأوس .

وفي « صحيح البخاري » : فردَ الحكم إلى سعد .

قال في « الفتح » : (كَأَنَّهُمْ أَذْعَنُوا التَّزُولَ عَلَى حَكْمِ الْمُصْطَفَى ، فَلَمَّا سَأَلَهُ الْأَنْصَارُ فِيهِمْ .. رَدَّ الْحَكْمَ إِلَى سَعْدٍ) وهذا هو مراد الناظم بقوله : (إِذْ غَاظَهُمْ) أي : الأوس ، وفاعل غاظ (إطلاقه) أي : إطلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، يعني : وإنَّمَا رَدَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم الحكم إلى سعد ؛ لأنَّ قومَهُ الأوس كَانُوا غاظُهُمْ أَنْ يُطْلَقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم (عن كُلِّ بُؤْسٍ) هو ضد النعيم (لابن أبيه) عبد الله وهو يتعلَّق بالإطلاق العامل النصب في قوله : (حَلَفَاءُ الْخَرْجِ) وهم بُنُوْقَيْنَاعَ .

قال ابن إسحاق : (لَمَّا أَصْبَحَ بَنُو قَرِيظَةَ .. نَزَلُوا عَلَى حَكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَوَاثَبَتِ الْأَوْسُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ : إِنَّهُمْ كَانُوا مَوَالِيْنَا دُونَ الْخَرْجِ ، وَقَدْ فَعَلْتَ فِي مَوَالِيْنَا إِخْرَانَنَا بِالْأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْتَ - وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ بَنِي قَرِيظَةَ قَدْ حَاصَرَ بَنِي قَيْنَاعَ ، وَكَانُوا حَلَفَاءَ الْخَرْجِ ، فَنَزَلُوا عَلَى حَكْمِهِ ، فَسَأَلَهُ إِيَّاهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيِّ ابْنِ سَلْوَلَ ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ - فَلَمَّا كَلَمَهُ الْأَوْسُ .. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا تَرْضُونَ يَا مَعْشِرَ الْأَوْسِ أَنْ يُحَكَّمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِّنْكُمْ ؟ » قَالُوا : بَلَى . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَذَلِكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » .

اختيار سعد بن معاذ
رضي الله عنه حكماً

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها : **رُفِيَّة** - بالتصغير -
الإسلامية في مسجده ، كانت تداوى **الجرحى** ، وتحتسب
بنفسها على خدمة من كانت به ضياعة من المسلمين ، وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم
بالخندق : « اجعلوه في خيمة رُفِيَّة ؟ حتى أعوده من قريب ،
فلما حَكَمَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى قريظة .. أتاه
قومه ، فحملوه على حمار قد وَطَّوْه له بوسادة من أَدَم ، وكان
رجلًا جسيماً جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم يقولون : يا أبا عمرو ؟ أحسن في مواليك ؟
إإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّما ولَّك ذلك لتحسين
فيهم .

فلما أكثروا عليه .. قال : **لَقَدْ** آن لسعد أن لا تأخذه في الله
لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار
بني عبد الأشهل ، فتَعَنَّ لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل
إليهم سعد ؛ عن كلمته التي سمع منه .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وال المسلمين .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **قَوْمًا**
إلى سيدكم » فأمَّا المهاجرون من قريش .. فيقولون : إنَّما أراد
رسول الله صلى الله عليه وسلم **الأنصار** ، وأمَّا **الأنصار** ..
فيقولون : قد عمَّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين
- أي : **أنصاراً** ومهاجرين - فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ؟

موقف سعد بن معاذ
الحازم من بنى قريظة

أمره صلى الله عليه
وسلم بالقيام لسعد بن
معاذ

وَحَمَلُوا سَعْدًا عَلَى حِمَارٍ مِنَ الْمَدِيْنَةِ إِلَى الْمُخْتَارِ
وَعِنْدَمَا اَنْتَهَى إِلَى الْنَّدِيْيِّ سَوَّدَهُ خَيْرُ بَنِي لُؤَيٍّ

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ وَلَّاَكَ أَمْرَ مَوَالِيْكَ لِتُحْكَمَ فِيهِمْ ، فَقَالَ سَعْدٌ : عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ لَمَّا حَكَمْتُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : وَعَلَى مَنْ هُنَّا ؟ - فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ مَعْرِضٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِجْلَالًا لَهُ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَعَمْ » قَالَ سَعْدٌ : إِنِّي أَحْكَمَ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ ، وَتُقْسَمَ الْأَمْوَالُ ، وَتُسْبَّبَ الْدَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ .

(وَكَانَ فِي التَّحْكِيمِ) أَيْ : تَحْكِيمُ سَعْدٍ فِيهِمْ (حَسْمٌ) أَيْ : قَطْعُ (الْهَرَجِ) : الْخَصَامُ وَالْفَتْنَةُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَقْبَ مَا ذُكِرَ : (فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرُو بْنِ سَعْدٍ بْنِ مَعَاذَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَاصِ الْلَّيْثِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَعْدٍ : « لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ ») جَمْعُ رَقِيعٍ ، وَهُوَ السَّمَاءُ ؛ لَأَنَّهَا رَقَعَتْ بِالنَّجُومِ .

وَقَدْ أَشَارَ النَّاظِمُ إِلَى مَا ذُكِرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنَ الْفَصْحَةِ بِقَوْلِهِ : (وَحَمَلُوا سَعْدًا عَلَى حِمَارٍ) لِأَعْرَابِيِّ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ (مِنْ) الْمَسْجِدِ النَّبُوَيِّ بِـ (الْمَدِيْنَةِ إِلَى الْمُخْتَارِ) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

(وَعِنْدَمَا اَنْتَهَى) أَيْ : بَلَغَ (إِلَى النَّدِيْيِّ) بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ ، بَوْزَنَ النَّبِيِّ ، وَهُوَ : مَجْلِسُ الْقَوْمِ (سَوَّدَهُ) أَيْ : جَعَلَ سَعْدًا

عَلَى الْجَمِيعِ أَوْ عَلَى الْأَنْصَارِ لَا غَيْرِهِمْ عِنْدَ بَنِي نِزَارِ
وَرَأْوَدْتَهُ قَوْمُهُ أَنْ يَحْكُمَ بِغَيْرِ مَا حَكْمَ فَاحْتَمَى

سيداً (خير بنى لؤي) صلى الله عليه وسلم بقوله : « قوموا إلى سيدكم » قال في « شرح المawahب » : (وفي حديث عائشة عند أحمد : « قوموا إلى سيدكم فأنزلوه » فقال عمر : السيد هو الله . قال رجال من بنى عبد الأشهل : قمنا له على أرجلنا صفين ، يحييه كل رجل منا ، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

ويتعلق بـ (سواده) قوله : (على الجميع) من المهاجرين والأنصار ، (أو على الأنصار لا غيرهم) من المهاجرين . وهذا القول (عند بنى نزار) أي : المهاجرين : لأنهم من ولد نزار بن معد بن عدنان .

سبب تسمية بنى نزار قال في « روض النهاة » : (سمي نزاراً من التَّرْرُ ؛ أي : القليل ؛ لأنَّ أباه مَعَدًا حين ولَدَ ونظر إليه .. رأى النور بين عينيه ، وهو نور النبوة الذي كان ينتقل في الأصلاب الطاهرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففرح فرحاً شديداً ، ونحر وأطعم ، وقال : إنَّ هذَا كله نَزَرٌ في حَقِّ هَذَا الْمَوْلُودِ) .
(ورأودته قومه) الأوس (أن يحكمها) بـ (الأَلْطَاقِ) أي : أن يحكم سعد في بنى قريظة (بغير ما حكم فيهم) أي : ما أراد أن يحكم فيهم من القتل والقسم والسيبي (فاحتمى) وامتنع ، وتقىم قولهم له : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ولَّكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ لِتَحْسِنَ فِيهِمْ .

لِدَمِهِمْ خَنْدَقَ أَفْضَلُ لُؤَيْ وَمَعَهُمْ فِي كُلِّ كُرْبَةِ حُيَيْ

مقتل بنى قريظة وحيي بن أخطب :

ثمَّ بَيْنَ كِيفَ كَانَ قَتْلُ بَنِي قَرِيظَةَ فَقَالَ : (لِدَمِهِمْ خَنْدَقَ) وَشَقَ فِي الْأَرْضِ شَقَّاً فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ^(١) (أَفْضَلُ لُؤَيْ) صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَلَسَ مَعَ أَصْحَابِهِ ، وَأَخْرَجُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَالًا^(٢) ، فَضَرَبُوا أَعْنَاقَهُمْ عَلَيْهِ وَالزُّبَيرِ .

وَذَكَرَ أَبْنَى إِسْحَاقَ : (أَنَّهُمْ كَانُوا سِتَّ مِائَةً ، أَوْ سِبْعَ مِائَةً ، وَالْمُكْثُرُ لَهُمْ يَقُولُ : كَانُوا مَا بَيْنَ الثَّمَانِ مِائَةً وَالْتِسْعِ مِائَةً ، وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبَ بْنَ أَسْدَ وَهُمْ يُذْهَبُونَ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَالًاً : يَا كَعْبَ ! مَا تَرَاهُ يَصْنَعُ بَنَا ؟ قَالَ أَفَيْ كُلُّ مُوْطَنٍ لَا يَعْقُلُونَ ؟ أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزَعُ ، وَأَنَّهُ مَنْ ذُهِبَ بِهِ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُ ؟ ! هُوَ وَاللَّهِ الْقَاتِلُ . فَلَمْ يَزِلْ ذَلِكَ الدَّأْبُ حَتَّى فَرَغَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

(وَمَعَهُمْ فِي كُلِّ كُرْبَةِ) هِيَ : غَمْ يَأْخُذُ بِالنَّفْسِ وَالْقَتْلِ ، وَأَصْلُهُ : تَضْيِيقُ الْقَيْدِ عَلَى الْمَقِيدِ ، وَاجْتَمَعَتْ كُلُّهَا فِيهِمْ ، ثُمَّ الْخَلْوَةُ فِي النَّارِ - وَالْعِيَازُ بِاللَّهِ تَعَالَى - أَيْ : وَكَانَ مَعَهُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ (حُيَيْ) بْنَ أَخْطَبَ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّ رَسُولِهِ ، وَوَالَّدُ أَمْنَا صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا .

عدد من قتل من بنى
قريظة

(١) هو معروف اليوم بسوق البرسيم بالمناخة .

(٢) أَفْوَاجًا وَفَرَقًا مُنْقَطِعًا بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ .

قال في «روض النهاة» : (كانت صافية تحدث تقول : كت أحب ولد أبي إليه وإلى عم أبي ياسر ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة.. غدوا عليه ، ثم جاؤوا من العشي ، فسمعت عمي يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : أتعرفه وتبته ؟ قال : نعم ، قال : فما في نفسك ؟ قال : عداوته ما بقيت ، قالت : ورأيت ليلة في نومي أن القمر سقط في حجري ، فقصصتها على أبي ، فلطماني لطمة هذا أثراها في وجهي - وكان بها ندب في وجهها - وقال : ترعمين أنك تتزوجين ملك العرب ، وكانت تحت كنانة بن الريبع بن أبي الحقيق ، خلفه عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

قال ابن إسحاق : (وأتى بحبي بن أخطب عدو الله وعليه حلة له ففاحية - قال ابن هشام : ففاحية : ضرب من الوشى - قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملاه ؛ لئلا يسلبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال : أما والله ما لمت نفسي على عداؤتك ، ولكنه من يخذل الله يُخذل ، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ؛ إنَّه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ومُلحمة كتبها الله على بني إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه) .

قال ابن إسحاق : (وحدَثني محمد بن جعفر بن الزُّبير عن عروة بن الزُّبير ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، إنَّها قالت : لم يُقتل من نسائهم إلَّا امرأة واحدة ، قالت : والله إنَّها

الحديث صفة رضي الله عنها عن حب أبيها لها وإضماره عداوة النبي صلى الله عليه وسلم

هيئة حبي بن أخطب وهو مقود إلى القتل

الحديث عائشة رضي الله عنها عن اليهودية عندها

لَعْنِي تَحَدَّثُ معي ، وَتَصْحُكُ ظهراً وَبِطْنَاً وَرَسُولُ الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ رَجُلَهَا فِي السُّوقِ .. إِذْ هَتَّ هَاتِف
بِاسْمِهَا : أَيْنَ فَلَانَةُ ؟ قَالَتْ : أَنَا وَاللهُ ، قَالَتْ قَلَتْ لَهَا :
وَيْلَكَ ، مَا لَكَ ؟ قَالَتْ : أُقْتُلُ ، قَلَتْ : وَلِمَ ؟ قَالَتْ :
لِحَدِثٍ أَحَدِثْتُهُ ، قَالَتْ : فَانْطَلَقَ بِهَا ، فَضُرِبَتْ عَنْقَهَا ، فَكَانَتْ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ : فَوَاللهِ ؟ مَا أَنْسَى عَجَباً مِنْهَا طَيْبَ
نَفْسِهَا ، وَكُثْرَةَ ضَحْكِهَا وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا تُقْتَلَ) قَالَ ابْنُ هَشَامَ :
(وَهِيَ الَّتِي طَرَحَتِ الرَّحَى عَلَى خَلَادَ بْنَ سُوِيدَ فَقُتِلَتْهُ) .

مَقْتُلُ الزَّبِيرِ بْنِ بَاطِيَا الْقُرَاطِيِّ :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : (وَقَدْ كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسَ بْنُ الشَّمَاسِ
- فِيمَا ذُكِرَ لِي ابْنُ شَهَابَ الزَّهْرِيِّ - أَتَى الزَّبِيرُ ابْنُ بَاطِيَا
الْقُرَاطِيِّ^(١) ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَكَانَ الزَّبِيرُ قَدْ مَنَّ
عَلَى ثَابِتَ بْنَ قَيْسَ بْنَ شَمَاسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، ذُكِرَ لِي بَعْضُ وَلَدِ
الْزَّبِيرِ : أَنَّهُ كَانَ مَنَّ عَلَيْهِ يَوْمَ بُعَاثَ ، أَخْذَهُ فَجَزَّ نَاصِيَتَهُ ، ثُمَّ
خَلَّى سَبِيلَهُ ، فَجَاءَهُ ثَابِتٌ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَقَالَ :
يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ هَلْ تَعْرَفُنِي ؟ قَالَ : وَهُلْ يَجْهَلُ مَثْلِي
مَثْلَكَ ؟ قَالَ : إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْزِيَكَ بِيَدِكَ عَنْدِي ، قَالَ : إِنَّ
الْكَرِيمَ يَجْزِيُ الْكَرِيمَ .

(١) بفتح الزاي وكسر الباء ، جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور في «الموطأ» في (كتاب النكاح) .

وَأَخْتَلَفَ فِي الزَّبِيرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقَيْلُ فِي الضَّبْطِ : كَأَسْمَ جَدِهِ ، وَقَيْلُ : بِالْتَّصْغِيرِ . اهـ
مِنْ «الروض الأنف» بتصرفـ .

موافقة النبي صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس على حقن دم الزبير وأهله وولده وماله

ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : إنَّه قد كانت للزَّبِير علَيَّ مَنَّةٌ ، وقد أحببت أن أجزيه بها ، فهب لي دمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو لك » فأتاه فقال : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هب لي امرأته وولده ، قال : « هم لك » قال : فأتاه فقال : قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهْلَكَ وولدك ، فَهُمْ لك ، قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاوهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ماله ، قال : « هو لك » فأتاه ثابت فقال : قد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ، فهو لك ، قال : أي ثابت ؟ ما فعل الذي كأنَّ وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذاري الحي كَعْبُ بن أَسْد ؟ قال : قُتِلَ ، قال : فما فعل سيد الحاضر والبادي حُبَيْبَيْنَ بن أَخْطَب ؟ قال : قُتِلَ ، قال : فما فعل مقدمتنا إذا شدتنا ، وحاميتنا إذا فَرَرْنَا ، عَزَّالُ^(١) بن سَمْوَأْل ؟ قال : قُتِلَ ، قال : فما فعل المجلسان^(٢) ؟ - يعنيبني كعب بن قريطة وبني عمرو بن

(١) بالعين المهملة وتشديد الزاي .

(٢) بكسر اللام محل الجلوس وفتحها المصدر .

قريظة - قال : ذهبوا قُتِلُوا ، قال : فإنّي أسألك يا ثابت ييدي عندك إلّا الحقّتني بالقوم ، فوالله ؟ ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لـ الله قبّلَة^(١) دلو ناضح حتى ألقى الأحبة ، فقدمه ثابت فضرّب عنقه ، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : ألقى الأحبة .. قال : يلقاهم في نار جهنم خالداً مخلداً) .

رفض الزّبير البقاء حيّا
بعد زعماء بنى قريظة
وقتله بسيف شفيه

استشهاد سعد واهتزاز عرش الرّحمن لموته :

(وعندما انتهى الحصار) أي : عند انتهاء الحصار على بنى قريظة وإتمام أمرهم بما قرّت به عين سعد بن معاذ ؛ من إجابة الله تعالى له ؛ فإنه قال لـ ممّا أصيب في أكحله من حبان بن العرقة بغزوة الخندق : (اللَّهُمَّ ؛ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ .. فاجعلها شهادة ، ولا تتمتي حتى تقرّ عيني في بنى قريظة) وكان جرحه يسيل دمًا ، فلم تقطر منه قطرة حتى تم أمر بنى قريظة .. فمرّت عَزْرٌ وهو مضطجع ، فأصابت الجُرح بِظُلْفَهَا ، فانبعث الدم وما رفأ حتى مات و(استشهادا ، واهتزَّ لـه (عَرْشُ اللَّهِ حِينَ بَرَدًا) أي : مات رضي الله عنه ، وأتى جبريل عليه السلام متعمّماً بعمامة من إستبرق ، قال : يا محمد ؛ من هـذا العـبد الصـالـح الـذـي فـتـحـتـ لـه أـبـوـابـ السـمـاءـ ، واهـتزـ لـه العـرـشـ ؟ فـقـامـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ سـرـيـعاـ

(١) بالقاف والباء الموحدة ؛ أي : مقدار ما يتناول المستسقي للدلـو ، وفي رواية (فـتـلـة) بالفاء والباء المثناة فوق .

يحرث ثوبه إلى سعد فوجده قد مات . رضي الله عنه وأرضاه .

(و) لَمَّا حَمَلَهُ عَلَى نَعْشِهِ - وَهُوَ السريرُ الَّذِي يَجْعَلُ عَلَيْهِ الْمَيْتَ - (خَفَّ نَعْشَهُ عَلَى عَظَمَتِهِ) أَيْ : مِنْ عَظَمَةِ سَعْدٍ ؛ لَأَنَّهُ كَانَ مَعَ عَظَمَتِهِ الْمَعْنُوَيَّةِ عَظِيمُ الْجَسْمِ (إِذْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ) جَمْلَةِ (حَمَلَتِهِ) بِفَتْحَاتِهِ ، جَمْعِ حَامِلٍ ، وَأَخْبَرَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَأْنَ لَهُ حَمْلَةً غَيْرَكُمْ » .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَقَدْ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ شَهَدُوا سَعْدًا ، مَا وَطَئُوا الْأَرْضَ إِلَّا يَوْمَهُمْ هَذَا » .

وَبَعْثَ صَاحِبُ دُوَمَةِ الْجَنْدُلِ بِبَغْلَةِ وَجْبَةٍ مِنْ سَنَدِسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ أَصْحَابَهُ يَعْجَبُونَ مِنْ حَسْنِ الْجُبْنَةِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ » اهـ

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي « الإِسْتِيَاعَ » : (وَحْدِيَثُ اهْتِرَازِ الْعَرْشِ ثَابِتٌ مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ ، رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ) .

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ :

وَمَا اهْتَرَزَ عَرْشُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ هَالِكٍ
سَمِعْنَا بِهِ إِلَّا لَمَوْتِ أَبِي عَمْرُو

وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ بِسَنَدِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ : (قَالَ سَعْدٌ : ثَلَاثٌ أَنَا فِيهِنَّ رَجُلٌ - يَعْنِي : كَمَا يَنْبَغِي ، وَمَا سُوِيَ ذَلِكَ فَأَنَا رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ - : مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

شَهُودُ الْمَلَائِكَةِ تَشْيِيعَ
سَعْدَ بْنَ مَعَاذَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مَقْرَبِهِ

الْآخِرِ

خَصَائِصُ سَعْدِ بْنِ
مَعَاذٍ كَمَا يَتَحَدَّثُ هُوَ
عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

.....
وسلم حديثاً قطُّ إلَّا علمت أَنَّهُ حَقٌّ مِّنَ اللهِ ، وَلَا كنْتُ فِي صَلَةٍ
قَطُّ فَشَغَلْتُ نَفْسِي بِغَيْرِهَا حَتَّى أَقْضِيهَا ، وَلَا كنْتُ فِي جِنَانَةٍ قَطُّ
فَحَدَثْتُ نَفْسِي بِغَيْرِهَا ، تَقُولُ وَيَقُولُ لَهَا ، حَتَّى أَنْصَرَفَ عَنْهَا .

قال سعيد بن المسيب - يعني الراوي عن ابن عباس - :
(هَذِهِ الْخَصَالُ مَا كنْتُ أَحْسَبَهَا إلَّا فِي نَبِيٍّ) .

قال العلامة الحلبـي في « سيرته » : (عن أبي سعيد
الحدري رضي الله عنه : كنـت فـيمـن حـفـر لـسـعـد رـضـي اللهـعـنـه
قـبـرـهـ ، فـكـانـ يـفـوحـ عـلـيـنـاـ المـسـكـ كـلـمـاـ حـفـرـنـاـ قـبـرـهـ مـنـ تـرـابـهـ ،
وـجـاءـ : « لـوـ كـانـ أـحـدـ نـاجـيـاـ مـنـ ضـمـةـ الـقـبـرـ . لـنـجـاـ مـنـهـ سـعـدـ ،
ضـمـ ضـمـةـ ، ثـمـ فـرـجـ اللهـعـنـهـ » .

وَخُصَّ رَسُولُ اللهِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ ضَمَّةِ
الْقَبْرِ .

ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :
يا رسول الله ؛ ما انتفعت بشيء مذ سمعتك تذكر ضغطة القبر
وضمته ، وصوت منكر ونكير ، فقال : « يا عائشة ؛ إنَّ
ضغطة القبر على المؤمن كضم الشفقة يديها على رأس ابنها
يشكوا إليها الصداع ، وصوت منكر ونكير عليه كالكحـلـ في
العين ، ولكن يا عائشة ؛ ويل للشـاكـينـ الـكـافـرـينـ ، أـولـئـكـ
الـذـينـ يـضـغـطـونـ فـيـ قـبـورـهـمـ ضـغـطـاـ يـقـبـضـ عـلـىـ الصـخـرـ ») اهـ

وفي رواية : « ضغط البيض على الصخر » .

وترجمة سيدنا سعد بن معاذ طويلة جداً ؛ إذ إنَّ حياته

قبر سعد بن معاذ
رضي الله عنه يفوح
مسكاً

ضمـةـ الـقـبـرـ بـالـنـسـبـةـ
لـلـمـؤـمـنـ وـالـكـافـرـ

- على قصرها - كلها حياة خالدة وجهاد صادق ، وقد تقدم شيء منها في غزوة بدر ، فرضي الله عنه وأرضاه ، وجمعنا به في مستقر رحمته ورضاه ، أمين .

وفي قصة بني قريظة وخبر سيدنا سعد من الفوائد :
جواز تمني الشهادة ، وهو مخصوص من عموم النهي عن
تمني الموت كما قاله في « الفتح » .

وفيها : تحكيم الأفضل من هو مفضول .

وفيها : جواز الاجتهاد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي مسألة خلافية عند أهل الأصول ، والمحتر :
الجواز ، سواء كان بحضور النبي صلى الله عليه وسلم أم لا .

* * *

(٢٠) غزوة بني لحيان

بفتح اللام وكسرها ، لغتان .

قال الحافظ اليعمرئي : (وكانت لغرة ربيع الأول سنة ست من الهجرة ، عند ابن سعد) .

وذكر ابن إسحاق : (أنها في جمادى الأولى ، على رأس ستة أشهر من بني قريظة) أي : في السنة الخامسة .

قلت : وعلى كل من القولين : فهي بعد بني قريظة ؛ فلذا ذكرها الناظم عقبها كالأصل ، فقال : (ثُمَّ غَرَا^١ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ قُرَيْظَةَ بْنَيِّ (لِحَيَانَ) نَسْبَةً

إلى لحيان بن هذيل بن مُدركة بن إلیاسَ بن مُضرَ (جَرَاءَ) أي : من أجل (الرجيع)^(١) هو في الأصل : ماء لهذيل ، بين مكة وعُسفان ، كان فتكُ المشركين بأصحاب رسول الله صلَى الله عليه وسلم قريباً منه ، فنسبت الواقعة إليه ، فقيل : وقعة الرجيع ، وسمى البخاري في « جامعه » هذا الموضع بالهداة^(٢) .

قلت : ويسمى اليوم بهذا الشام ، ويعرف بهذا الاسم ، وله طريق من مَرَّ الظهران - وادي فاطمة - بينه وبينها نحو ساعة بالسيارة ، وبهذا الموضع مزارع كثيرة وهواء طلق ، وتخيل وعيون وآبار عذبة جداً ، جئته يوماً من الصباح إلى المساء ، فصلت في جامعه ، وبه مدرسة ابتدائية ، ويقال : إنَّ عدد من يسكنها اليوم يقرب من الألف . اهـ

هذا الشام : موقعه
ووصفه حاضراً

سبب هذه الغزوـة :

ويشير الناظم إلى سبب غزوـة بني لحيان ، وهو : تأثره عليه الصَّلاة والسَّلام وغضبه على بني لحيان ؛ لغدرهم بأصحابه المستشهدين بالرجيع ، المشار إليـهم بقول العـلـامة غالـي بن المختار قال بنـ أـحـمـدـ تـلـمـودـ الـبـسـاتـيـ رـحـمـهـ اللهـ تـعـالـىـ

غزوـةـ الرـجـيعـ

(١) كان بـعـثـ الرـجـيعـ فيـ صـفـرـ عـلـىـ رـأـسـ سـتـةـ وـثـلـاثـينـ شـهـرـاـ مـنـ الـهـجـرـةـ ،ـ كـمـاـ فـيـ «ـ العـيـونـ »ـ فـهـوـ فيـ السـنـةـ الرـأـبـعـةـ .

(٢) بـفتحـ الـهـاءـ ،ـ قـالـ الـحـافـظـ :ـ وـسـكـونـ الدـالـ بـعـدـ هـمـزةـ مـفـتوـحةـ لـأـكـثـرـ الرـوـاـةـ ،ـ وـلـلـكـشـمـيـهـنـيـ بـفتحـ الدـالـ وـتـسـهـيلـ الـهـمـزةـ ،ـ وـعـنـدـ اـبـنـ إـسـحـاقـ :ـ بـالـهـدـأـةـ بـتـشـدـيدـ الدـالـ بـغـيـرـ أـلـفـ .

.....
.....
.....

في «تبصرة المحتاج إلى بعوث صاحب المراج»^(١) :

فَمَرْثِدًا بَعْدُ إِلَى الرَّجِيع
فَفَتَكَتْ لِحَيَانٍ بِالْجَمِيعِ
وَأَخْذُوا ابْنَ طَارِقٍ وَزِيَادًا
وَابْنَ عَدِيٍّ بِالْأَمَانِ كَيْدًا
وَمَرْثِدٌ وَعَاصِمٌ وَخَالِدٌ
لَمْ يَقْبِلُوا عَهْدَهُمْ وَجَالُوا
وَعَاصِمٌ أَنْشَدَ إِذْ يُقَاتِلُ
مَا عَلَّتِي وَأَنَا جَلْدُ بازْلُ
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرُ عَنَابِلُ
تَرِزُّ عَنْ صَفْحِهَا الْمَعَابِلُ
الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ باطِلُ
وَكُلُّ مَا حَمَّ إِلَهٌ نَازْلُ
بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ إِلَيْهِ آئِلُ
إِنَّ لَمْ أَفَاتِكُمْ فَإِنِّي جَاهِلٌ

بعث الرجيع :

وحاصل بعث الرجيع كما في «عيون الأثر» :

(١) هي منظومة جامعة لخلاصة بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه ، تجيء في نحو ثلاثة وثلاثين بيتاً ، جعلها ذيلاً لمنظومتنا هذه إذ يقول :

نظمأ على صفو البعوث محتو مذيلاً به مغازي البدوي وهي مخطوطة في مكتبة الشارح رحمة الله تعالى ، وقد طبعت بتحقيق فضيلة العلامة السيد الدكتور محمد بن علوى الحسني المكي المالكي .

امتناع عاصم رضي الله عنه عن التزول على عهد كافر

أنَّه صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ جَمَاعَةً مِّنْ أَصْحَابِهِ عَيْنَأً يَتَجَسِّسُونَ أَخْبَارَ قَرْيَشٍ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابَتَ بْنَ أَبِي الْأَقْلَحِ أَمِيرًا ، فَخَرَجُوا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يَسِيرُونَ اللَّيلَ ، وَيَكْمُنُونَ النَّهَارَ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالرَّجِيعِ .. لَقِيَهُمْ سُفِيَّانَ بْنَ خَالِدَ الْهُذَلِيَّ وَقَوْمَهُ - وَهُمْ بَنُو لَحِيَانَ - فِي مَئِةِ رَامَ ، فَلَمَّا أَحْسَوْا بِهِمْ .. لَجَؤُوا إِلَى جَبَلِ هَنَاكَ ، فَأَحْاطُوا بِهِمْ وَقَالُوا لَهُمْ : انْزِلُوا وَلَكُمُ الْعَهْدُ أَلَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا ، فَقَالَ عَاصِمٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَمَّا أَنَا .. فَلَا أَنْزَلُ فِي ذَمَّةِ كَافِرٍ ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا رَسُولَكَ ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا .

وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ عَلَى الْعَهْدِ : خَبِيبٌ وَزَيْدٌ بْنُ الدَّيْنَةِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقَ ، فَأَطْلَقُوا أَوْتَارَ قَسِيَّهُمْ ، فَرَبَطُوا بِهَا خَبِيبًا وَزَيْدًا ، وَامْتَنَعَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَقَالَ : هَذَا أُولُو الْغَدَرِ ، وَاللَّهُ لَا أَصْبِحُكُمْ ؛ إِنَّ لِي بِهُؤُلَاءِ أُسُوَّةً - يَرِيدُ الْقَتْلَى - فَقَتَلُوهُ .

أَمَّا خَبِيبٌ وَزَيْدٌ : فَدَخَلُوا بِهِمَا مَكَّةَ وَبَاعُوهُمَا بِأَسِيرِينَ مِنْ هُذِيلٍ كَانَا بِمَكَّةَ ، فَحُبْسُوهُمَا ، حَتَّى إِذَا انْقَضَتِ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ .. خَرَجُوا بِهِمَا إِلَى الْحِلَلِ لِلْقَتْلِ .

استشهاد خبيب بن عدي :

فَأَمَّا خَبِيبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَإِنَّهُ لَمَا وَصَلَوَا بِهِ إِلَى التَّنْعِيمِ الْمَشْهُورِ الْيَوْمَ بِمَسْجِدِ عَاشَةَ لِيُصْلِبُوهُ .. قَالَ لَهُمْ : دَعُونِي أَصْلِي رَكْعَتَيْنِ ، فَتَرَكُوهُ ، فَرَكِعَ رَكْعَتَيْنِ - كَمَا فِي الصَّحِيفَ - ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : لَوْلَا أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزْعٌ مِّنَ الْمَوْتِ ..

غَدَرُ بَنِي لَحِيَانَ بِمَنْ أَعْطَوْهُمُ الْأَمَانَ

لزدت ، ودعا وقال لما رفعوه على الخشبة وأوثقوه : اللَّهُمَّ أَحَصْهُمْ عدَّاً ، واقتلهم بددًا ، ولا تبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا . ثُمَّ قُتْلُوهُ رضي الله عنه .

قال العلَّامَةُ الزرقانيُّ فِي «شَرْحِ المَوَاهِبِ» : (وَفِي مَرْسَلِ بَرِيدَةَ بْنِ سَفِيَّانَ : فَلَمَّا رُفِعْ خَيْبٌ عَلَى الْخَشْبَةِ .. اسْتَقْبَلَ الدُّعَاءَ ، فَلَمْ يَحْلِ الْحَوْلَ وَمِنْهُمْ أَحَدٌ حَيٌّ غَيْرَ رَجُلٍ لَبَدَ بِالْأَرْضِ خَوْفًا مِنْ دُعَائِهِ . وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ الْقَوْمَ اجْتَمَعُوا لِصَلَبِهِ :

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابَ حَوْلِيَ وَأَلْبُوا

قَبَائِلَهُمْ وَاسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعٍ

وَكُلُّهُمْ مِبْدِيُ الْعَدَاوَةِ جَاهِدٌ

عَلَيَّ لَأْنِي فِي وِثَاقٍ بِمَضِيْعٍ

وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ

وَقَرَبُتْ مِنْ جَذْعٍ طَوِيلٍ مَمْنَعٍ

إِلَى اللَّهِ أَشْكَوْ غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي

وَمَا أَرْصَدَ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرِعِي

فَذَا الْعَرْشِ صَبَرْنِي عَلَى مَا يُرِادُ بِي

فَقَدْ بَضَعُوا لَحْمِي وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ

يَارَكَ عَلَى أَوْصَالِ شَلْوَ مَمْزَعٍ

وَقَدْ خَيَّرَنِي الْكُفَّارُ وَالْمَوْتُ دُونَهُ

وَقَدْ هَمَلْتَ عَيْنَايِ منْ غَيْرِ مَجَزَعٍ

وَمَا بِي حَذَارُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيْتُ
 وَلَكِنْ حَذَارِي جَهَنَّمُ نَارٌ مُلْفَعٌ
 وَوَاللَّهِ مَا أَخْشَى إِذَا مِنْتُ مُسْلِمًا
 عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مُصْرِعِي
 وَلَسْتُ بِمُبْدِلٍ لِلْعَدُوِّ تَخْشَعَا
 وَلَا جَزِعًا إِنِّي إِلَى اللَّهِ مُرْجِعِي
 ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ أَبُو سَرْوَةَ عَقْبَةَ بْنَ الْحَرْثَ فَقْتَلَهُ .

وَعَنْ عُرُوْةَ : أَنَّهُ لَمَا وَضَعَ فِيْهِ السَّلَاحِ .. نَادَاهُ وَنَادَاهُ :
 أَتَحُبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا مَكَانِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ؟ مَا أَحُبُّ أَنْ يَفْدِيَنِي
 بِشَوْكَةٍ فِي قَدْمِهِ ، وَيَقُولُ : إِنَّ ذَلِكَ لِزِيدَ بْنَ الدَّثْنَةَ ، وَأَنَّ
 أَبَا سَفِيَّانَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو سَفِيَّانَ : مَا رَأَيْتَ مِنَ النَّاسِ
 أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحْبَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا .

أَقُولُ : وَلَا مَنَافَاةَ فَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَقُعَ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ
 الصَّحَابَيْنَ وَغَایَتِهِمْ وَاحِدَةٌ وَهُوَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُمَرِ بْنِ أُمَيَّةَ الْضَّمَرِيِّ قَالَ :
 (بَعْنَيْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَيْ عَيْنَاهُ إِلَى قَرِيشٍ ،
 فَجَئَتْ خَشْبَةُ خَبِيبٍ بْنِ عَدِيٍّ لَأَنْزَلَهُ مِنْهَا ، فَصَعَدَتْ عَلَى خَشْبَتِهِ
 لِيَلَّا ، فَقَطَعَتْ عَنْهُ وَأَقْيَتْهُ ، فَسَمِعَتْ وَجْهَ خَلْفِي ، فَالْتَّفَتْ فَلِمْ
 أَرَى خَبِيبًا ، وَكَأَنَّمَا ابْتَلَعْتَهُ الْأَرْضُ ، فَلِمْ أَرَى لَهُ أَثْرًا حَتَّى
 السَّاعَةِ) .

بَعْثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ بْنَ
 أُمَيَّةَ الْضَّمَرِيِّ عَيْنَاهُ
 عَلَى قَرِيشٍ
 وَصَفَ خَبِيبَ بْنَ
 عَدِيَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
 مِنْ قَتْلِهِ

وفي رواية : (أنَّه وجد رطباً على الخشبة لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوماً ، لونه لون الدم ، وريحه ريح المسك) .

استشهاد زيد بن الدثنة :

وأمَّا زيد بن الدثنة رضي الله عنه : فابناعه صفوان بن أمية فقتله بأبيه ، وعند ابن سعد : أنَّ الذي قتله نسطاس مولى صفوان .

قال في « شرح المواهب » : (ولما بعث به صفوان مع مولاه نسطاس إلى التنعيم ليقتله ، واجتمع هو وخبيب في الطريق .. تواصوا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره) .

أحكام وعبر في قصة بعث الرجيع :

وفي حديث هؤلاء الصحابة الكرام من الفوائد : أنَّ للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ، ولا يمكن من نفسه ولو قتل ، وإن أراد الرخصة .. فله أن يستأمن .

ومنها : إثبات كرامات الأولياء ، والدعاء على المشركين ، والصلوة عند القتل ، وإنشاء الشعر وإنشاده عند القتل .

ومنها : ما يدل على قوة يقين خبيب وأصحابه في دين الله تعالى .

.....
ومنها : ما يدل على عظيم محبتهم لهذا النبي الكريم
صلى الله عليه وسلم ، وتفديتهم له بالروح ، وقوة إخلاصهم
و ثباتهم .

ومنها : أنه تعالى قد يبتلي عبده المسلم بما شاء كما سبق
في علمه ؛ ليشيه ، ولو شاء ربك ما فعلوه .
ومنها : استجابة دعاء المسلم ، وإكرامه حياً وميتاً .

ومن الفوائد غير ذلك مما يظهر للتأمل ؛ من الحب لله
ولرسوله ، ولأصحابه الكرام الذين تنزل الرحمات عند
ذكرهم ، وفي قصصهم عظةٌ وعبرة ، وازدياد لمحبتنا لهم ؛ إذ
نالوا مقام المحبوبة لله ولرسوله .

فنسأله تعالى أن يرزقنا حبهم ، والاجتماع بهم في
مستقر رحمته تبارك وتعالى ، مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

هذا ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم الخروج إلى
بني لحيان لذلك .. أظهر أنه يريد الشام ؛ ليصيب من القوم
غرة ، وعسكر في مئتي رجل ، ومعهم عشرون فرساً ،
واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم أسرع السير
حتى انتهى إلى بطن غرآن - وادٍ بين أمجح وعسفان - وبين بطن
غرآن وعسفان خمسة أميال ، قال ابن إسحاق : (وهي منازل
بني لحيان حيث كان مُصاب أصحابه) فترحم ودعا لهم
بالمغفرة ، فسمعت بنو لحيان ، فهربوا في رؤوس الجبال ،

توبية النبي صلى الله
عليه وسلم بالخروج
إلى الشام

موقع غرآن

فلم يقدر منهم على أحد ، وهذا معنى قول الناظم :
(فاحتضنوا) أي : اعتنقا (بكل باذخ) جبل عال (منبع)
لا يرام .

فأقام عليه الصلاة والسلام يوماً أو يومين يبعث السرايا في كل ناحية ، ثم خرج حتى أتى عسفان ، فبعث أبا بكر في عشرة فوارس ؛ لتسمع بهم قريش فيُفِزُّونَهُمْ ، فأتوا كُرَاعَ الْغَمَّيمِ^(١) ولم يلقوا كيداً ، وانصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلْقَ كيداً ، وهو يقول : «آئُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ » وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة .

عدة بعث الرجيع :

ثم أشار الناظم إلى الخلاف في عدد بعث الرجيع بقوله :
(بعث الرجيع) أي : عدادة من الصحابة (ستة) على قول ،
وسماهم ابن إسحاق فقال : (وهم : عاصم ، ومرثد ،
وخيَّب ، وزيد بن الذِّئْنَة ، وعبد الله بن طارق ، وخالد بن
البَّكَيْر) (أو عشرة) على ما جزم به ابن سعد ، وهو الأصح
الذي ذكره الإمام البخاري في « صحيحه ». فـ (أو) في النظم
لتنويع الخلاف ، ويمكن الجمع بأنَّ الأربعة الآخرين كانوا
أتباعاً ، فلم يحصل الاعتناء بتسميتهم .

(١) بضم الكاف وتحقيق الراء وعين مهملة مضاد إلى الغيم - بفتح الغين المعجمة وكسر الميم : وادأمام عسفان ، والكراع : ما سال من ألف الجبل أو الحرة ، وطرف كل شيء .

وَالْعَضْلُ وَالْقَارَةُ نَجْلَا الْهُونِ
نَجْلٌ خَرِيمَةٌ سَعَوْا فِي الْهُونِ
وَأَرْبَعُوا بِئْرٍ مَعْوَنَةً الْعَرَزِ
إِبْنُ الْطَّفِيلِ عَامِرٌ فِيهِمْ خَفَرٌ

فتـك عـضـل وـالـقـارـةـ بـالـبـعـثـ :

ثـمـ كـشـفـ الـحـقـيقـةـ عـنـ بـنـيـ لـحـيـانـ وـسـوـءـ طـوـيـتـهـمـ بـقـوـلـهـ :
(لـحـيـانـ حـيـ منـ هـذـيـلـ)ـ بـنـ مـدـرـكـةـ (عـدـرـةـ)ـ أـيـ :ـ مـوـصـفـوـنـ
بـالـغـدـرـ وـالـخـيـانـةـ .

(وـ)ـ أـمـاـ (الـعـضـلـ)ـ بـفـتـحـ الـعـيـنـ وـالـضـادـ فـيـ الـأـصـلـ وـسـكـنـتـ
الـضـادـ هـنـاـ لـلـوـزـنـ (وـالـقـارـةـ)ـ بـتـخـيـفـ الـرـاءـ..ـ فـهـمـاـ (نـجـلـ)
أـيـ :ـ اـبـنـاـ (الـهـوـنـ)ـ بـضـمـ الـهـاءـ وـسـكـونـ الـوـاـوـ (نـجـلـ خـرـيمـةـ)ـ بـنـ
مـدـرـكـةـ بـنـ إـلـيـاـسـ بـنـ مـضـرـ (سـعـوـاـ فـيـ الـهـوـنـ)ـ بـضـمـ الـهـاءـ؛ـ
أـيـ :ـ الـخـرـيـ العـظـيمـ؛ـ لـفـتـكـهـمـ بـعـاصـمـ وـأـصـحـابـ .

وـكـأـنـ مـرـادـ النـاظـمـ :ـ بـيـانـ أـنـ قـصـةـ عـضـلـ وـالـقـارـةـ كـانـتـ مـعـ
بـعـثـ الرـجـيـعـ،ـ لـاـ فـيـ سـرـيـةـ بـئـرـ مـعـوـنـةـ،ـ وـقـدـ فـرـقـ بـيـنـهـمـ إـمـامـ
الـفـنـ اـبـنـ إـسـحـاقـ فـيـ «ـسـيـرـتـهـ»ـ فـذـكـرـ بـعـثـ الرـجـيـعـ فـيـ أـوـاـخـرـ سـنـةـ
ثـلـاثـ،ـ وـبـئـرـ مـعـوـنـةـ فـيـ أـوـاـئـلـ سـنـةـ أـرـبـعـ،ـ بـلـ سـيـأـتـيـ لـلـنـاظـمـ أـنـهـمـاـ
بـعـثـانـ .

نعمـ؛ـ رـوـوـاـ عـنـ الـوـاـقـدـيـ :ـ أـنـ خـبـرـ بـئـرـ مـحـوـنـةـ وـخـبـرـ
أـصـحـابـ الرـجـيـعـ جـاءـاـ إـلـىـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ لـيـلـةـ
وـاحـدـةـ،ـ فـلـعـلـ أـدـرـجـهـاـ مـعـهـاـ نـظـرـ لـلـقـرـبـ .

تـوـفـيقـ بـيـنـ الـرـوـاـيـاتـ

بـعـثـ بـئـرـ مـعـوـنـةـ :

(وـأـرـبـعـواـ)ـ مـبـدـأـ،ـ وـهـوـ مـلـحـقـ بـالـجـمـعـ المـذـكـرـ،ـ وـحـذـفـتـ

نونه ؛ للإضافة إلى (بئر معونة) بفتح الميم وضم المهملة :
 موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان ، نسب إليه البعث ، وكان
 في صفر على رأس أربعة أشهر من غزوة أحد^(١) عند ابن إسحاق
 (الغُرْز) جمع غُرَّة في الأصل : بياض في جبهة الفرس ، وهو
 نعت قوله : (أربعاً) أي : الموصوفون بالشرف (إبن
 الطُّفَيْل) مبتدأ ثان ، قوله : (عَامِرٌ فِيهِمْ) عطف بيان ،
 وجملة : (خَفَر) خبر للثاني ، وهو والخبر خبر للأول ،
 ومفعول خفر قوله : (أبا بَرَاءٍ) أي : نقض عهد عمه
 أبي بَرَاء .

جوار أبي براء للبعث ، ونقض ابن أخيه له :
 عدد أفراد بعث بئر
 معونة

وذلك لأنَّ أبا براء - واسمه عامر بن مالك العامري ،
 المعروف بملاعب الأسنة - قدم على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، فعرض عليه الإسلام ، فلم يسلم ، ولم يَتَبَعَّد ، بل
 قال : يا محمد ؛ إنِّي أرى أمرك هذا حسناً شريفاً وقومي
 خلفي ، فلو أَنَّكَ بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد
 فدعوه إلى أمرك .. لرجوت أن يستجيبوا لك ،
 فقال صلى الله عليه وسلم : « إنِّي أخْشَى أهْلَ نَجْدَ عَلَيْهِمْ »
 وهم : بنو عامر ، وبنو سليم ، قال أبو براء : أنا لهم جار
 فابعثُمْ ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن

(١) وقد كانت أُحد في شوال سنة ثلث .

قتل عامر بن الطفيلي
رسول الله صلى الله عليه وسلم

عمر و أخيه بني ساعدة المعنق للموت في أربعين رجلاً من القراء
- أو سبعين كما في «الصحيحين» - من خيار المسلمين ،
فساروا حتى إذا نزلوا بئر معاونة . بعثوا حرام بن ملحان بكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيلي
العامري ابن أخي أبي براء ، فلما أتاه . لم ينظر في كتابه حتى
عدا على الرجل فقتله .

استشهاد البعث :

ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فأبوا أن يجيبوه ، وقالوا :
لن نُخْفِر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم
قبائل من بني سليم : عصيّة ، ورعلاء ، وذكوان ، فأجابوه إلى
ذلك ؛ طلباً لثار طعمة بن عدي - وكانوا أخواه - فخرجت هذه
القبائل حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما
رأوهم . أخذوا سيفهم ، فقاتلواهم حتى قتلوا إلى آخرهم ،
إلاّ كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار . فإنهما تركوه وبه
رمق ، فارتُّث من بين القتلى - حمل من المعركة جريحاً رثياً ؛
أي : وبه بقية حياة - فعاش حتى قُتل يوم الخندق شهيداً
رضي الله عنه .

خفر عامر بن الطفيلي
عهد عمه أبي براء

الغدر بأفراد البعث
وقتلهما عدا كعب بن
زيد رضي الله عنه

حزن الرسول صلى الله عليه وسلم على الشهداء ، ودعاؤه على
القتلة :

فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم . قال : «هذا
عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوّفاً» ، فبلغ ذلك
أبا براء ، فمات أسفأ على ما صنع ابن أخيه عامر .

وفي الصحيح : (أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ .. قَنَّتْ شَهْرًا يَدْعُو فِي صَلَاةِ الصَّبْعِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِّنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ : عَلَى رِعْلٍ ، وَذَكْوَانٍ ، وَعُصْبَيَّةٍ ، وَبَنِي لَحِيَانٍ) اهـ وَذَكْرُ الْإِمَامِ الْقَسْطَلَانِيِّ عَنِ الْعَيْنِيِّ عَنْ كِتَابِ « شَرْفِ الْمَصْطَفَى » : (لَمَّا أُصِيبَ أَهْلَ بَئْرِ مَعْوَنَةٍ .. جَاءَتِ الْحَمْىُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهَا : « اذْهَبِي إِلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانٍ وَعُصْبَيَّةٍ عَصَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » فَأَتَتْهُمْ ، فَقُتِلَتْ مِنْهُمْ سَبْعُ مِائَةِ رَجُلٍ ، بِكُلِّ رَجُلٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ عَشْرَةً) اهـ

دَفِينُ الْمَلَائِكَةِ :

وَمِنْ قُتْلِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ : عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةِ مَوْلَى أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ ، فَلَمْ يَوْجِدْ جَسْدَهُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، دَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ .

مَهْمَةُ الْبَعْثَيْنِ :

وَقُولُهُ : (وَكَلَا الْبَعْثَيْنِ) أَيْ : بَعَثَ الرَّجِيعَ ، وَبَعَثَ بَئْرَ مَعْوَنَةَ (قَدْ أَرْسَلَ) مِنْ طَرْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لِيُرِسِّدَ اللَّدَّيْنِ) وَلَمْ يَرْسِلْ لِقَتَالٍ^(١) ، فَمَنْ ثَمَّ قَالَ أَنَّسَ - كَمَا

(١) فِي الصَّحِيفَةِ عَنِ أَبِي هَرِيرَةَ : (أَنَّ بَعَثَ الرَّجِيعَ كَانَ عَيْنًا يَتَحَسَّسُونَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَفِي رَوَايَةِ عَرْوَةَ : (بَعْثَمْ عَيْوَنًا إِلَى مَكَّةَ ؛ لِيَأْتُوهُ بِخَبْرِ قَرْيَشِ) وَهُوَ مَا تَقْدِمُ فِي الشَّرْحِ ، وَفِي حَدِيثِ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ مَا يَفِيدُ أَنَّ الْبَعْثَ لِتَنَفِّعِهِ فِي الدِّينِ وَتَعْلِيمِهِمُ الشَّرَائِعَ ، وَهُوَ مَا اعْتَمَدَهُ النَّاظِمُ . وَيَجْمِعُ بِأَنَّهُ أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثَمْ عَيْوَنًا . . وَافْقَدَ مَجِيَّهُ النَّفَرَ مَعَهُ - عَضْلَ وَالْقَارَةِ - بَنَاءً عَلَى طَلْبِ بَنِي لَحِيَانٍ يَطْلَبُونَ بَعْثًا مَعَهُمْ لِتَنَفِّعِهِ ، فَبَعْثَمْ فِي الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا ، فَتَأْمَلُ . اهـ مِنْ « شَرْحِ الْمَوَاهِبِ » .

رواه ابن سعد بسنده صحيح - : (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وَجَدَ على أحد ما وَجَدَ على أهل بئر معونة)
لا سيّما وقد جرت عادة العرب قديماً بأنَّ الرسُلَ لا تُقتل .

وتعُرف هذِه السَّرِيَّة بسُرِيَّة المَنْذُرِ بْنِ عُمَرَ السَّاعِدِيِّ ،
وبيَّنَ معونَة ، وبسُرِيَّة الْقُرَاءِ .

الفرق بين البعث والسرية :

تنبيه :

قال العلّامة ابن المختار في « تبصّرة المحتاج » : (قد بحث أشد البحث عن الفرق بين البعث والسرية ، فلم أحصل في الفرق بينهما على طائل ؛ لأنَّ كُلَّاً منهما معناه : هو الذي لم يخرج فيه النَّبِيُّ عليه الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ بنفسه الشَّرِيفَةَ ، فهما متراوْفان ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالُ : إِنَّ البعثَ مَا أُرْسِلَ للدعوةِ لللَّهِيْنِ ، كأهْلِ الرَّجِيعِ ، وَأهْلِ بئرِ معونَةِ ، والسريةِ : مَا أُرْسِلَ للقتالِ ، فتُسمِّيَتْهَا إِذَا بالبعثِ من تسميةِ الكلِّ باسمِ الجزءِ ، إِلَّا والغزوَةُ : مَا خَرَجَ فِيهَا عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ بذاتِهِ الشَّرِيفَةِ ، إِلَّا مُؤْتَهَ .. فَإِنَّهُمْ يَعْدُونَهَا فِي الْمَغَازِيِّ ؛ إِمَّا لِعَظِيمَهَا ، أَوْ لِارْتِفَاعِ معرِكتَهَا لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ حَتَّى شَاهِدَهَا ، فَكَانَهُ حَضُورًا بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ) .

قال في « روض النُّهَاةِ » : (كانَ النَّاظِمَ رَحْمَهُ اللهُ تَعَالَى سُئِلَ نَظَمَ بَعْثَ الرَّجِيعِ ، فَلَمَّا نَظَمَهُ .. نَظَمَ بَعْثَ بئرِ معونَةِ ، ثُمَّ نَظَمَ الْغَزَوَاتِ) اهـ

تعريف البعث
تعريف السرية
تعريف الغزوة

قلت : يؤخذ من شرح الحافظ ابن حجر للسّرية التي قبل نجد ، لأنَّ السّرية : القطعة من الجيش ، تخرج منه وتعود إليه ، وما افترق في السّرية يسمى بعثاً ، وهذا فيما لم يخرج فيه تعرّف السّرية النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم لك .

• • •

(٢١) غزوة الغابة

(غزوة ذي قرد)

بغين معجمة : موضع على بريد من المدينة في طريق الشام ، وبها ضيعة لسيدنا الزبير رضي الله عنه ، قال في « شرح المواهب » : (بيعت في تركة الزبير بـألف ألف وست مئة ألف ، أضيفت إليها الغزوة ؛ لأنَّ اللّقاح التي سيأتي أنَّ المشركين أغروا عليها كانت بها) .

(فـ) بعد غزوة لحيان (غزوة الغابة ، وهي) أي : اسمها أيضاً (ذو قرد) بفتح القاف والراء ، وبالدال المهملة ، وهو ماء على نحو بريد من المدينة ممّا يلي بلاد غَطْفَان ، وسميت بذلك ؛ لأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم وصل إليها وصلّى بها .

وكانت قبل خير بثلاثة أيام ، كما هو عند الإمام البخاريّ ، وخير بعد الحديبية بنحو عشرين يوماً ، وفي « صحيح مسلم » نحوه ، قال الحافظ ابن حجر : (ما في

وَنَاسَهُمْ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْنَوْعِ وَهُوَ يَقُولُ الْيَوْمُ يَوْمُ الْرُّضُعِ

الصحيح من التاريخ لغزوة ذي قرد أصح مما ذكره أصحاب السير ، يعني : من أنّها سنة سِتٍ في ربيع الأوّل ، أو في جمادى الأولى ، أو في شعبان قَبْلَ الحديبية ^(١) .

سبب هذه الغزوة :

ثمَّ أشار للغزوة مع بيان سببها فقال : (خَرَجَ) صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِي إِثْرٍ) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ ؛ أَيْ : أَثْرٌ - بفتحها - كما في « المختار » (لِقَاحِهِ) بوزن كتاب ، جمع لِقَحَةٍ : القريبة العهد بالنتائج والولادة .

وَكَانَتْ عَشْرِينِ لِقَحَةٍ تَرْعِي بِالْغَابَةِ ، وَكَانَ أَبُو ذَرَّ فِيهَا ، وَابْنَهُ وَامْرَأَهُ ، فَأَغَارَ عَلَيْهَا عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي أَرْبَعِينَ فَارِسًا مِنْ غَطْفَانَ ، فَاسْتَاقُوهَا ، وَقَتَلُوا ذَرَّاً أَبْنَ أَبِي ذَرَّ ، وَكَانَ رَاعِيَ الْلَّقَاحِ ، وَأَسْرَوْهَا الْمَرْأَةَ .

فَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِذَلِكَ (وَجَدَ) مَعْطُوفًا عَلَى عَدْدِ أَفْرَادِ الْغَزْوَةِ قَوْلَهُ : (خَرَجَ) أَيْ : خَرَجَ ، وَأَسْرَعَ فِي السِّيرِ فِي خَمْسَ مِئَةٍ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أَمْ مَكْتُومَ ، وَخَلَفَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي ثَلَاثِ مِئَةٍ يَحْرُسُونَ الْمَدِينَةَ .

بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي اسْتِنْقَادِ الْلَّقَاحِ :

(وَنَاسَهُمْ) أَيْ : تَنَاهُولُ الْمُغَيْرِينَ (سَلَمَةُ) بْنُ وَهْبٍ (بْنُ الْأَكْنَوْعِ) وَقَيْلٌ : سَلَمَةُ بْنُ عَمْرُو بْنُ الْأَكْنَوْعِ ، وَاسْمُ الْأَكْنَوْعِ :

(١) وَكَانَ هَلَالُ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةُ سِتٍ .

سِنَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ قُشَيْرَ بْنَ خَزِيمَةَ الْأَسْلَمِيِّ ، يُكْنَى
أَبَا إِيَّاسَ ، بَايْعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، قِيلَ : إِنَّهُ الَّذِي كَلَّمَهُ الدَّبُّ ،
كَانَ شَجَاعًا ، فَاضْلًا ، رَامِيًّا يَسْبِقُ الْفَرَسَ ، رُوِيَ عَنْهُ أَبَنُهُ
إِيَّاسُ ، وَمَوْلَاهُ يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَ ، وَقَالَ إِيَّاسُ : مَا كَذَبَ أَبِي
قَطَّ ، ماتَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ أَرْبَعَ وَسَبْعِينَ ، اسْتَلَبَ يَوْمَئِذٍ وَحْدَهُ
قَبْلَ أَنْ تَلْحُقَ بِهِ الْخَيْلُ مِنَ الْعَدُوِّ ثَلَاثِينَ بُرُودَةً ، وَثَلَاثِينَ دَرَقَةً ،
وُقْتُلَ مِنْهُمْ بِالنَّبْلِ كَثِيرًا ، فَكَلَّمَا هَرَبُوا .. أَدْرَكَهُمْ ، وَكَلَّمَا
رَامُوهُ .. فَاتَّهُمْ (وَهُوَ يَقُولُ : الْيَوْمُ يَوْمُ الرَّضَعِ) جَمْعُ رَاضِعٍ ؛
أَيْ : الْلَّثَيْمُ ، أَيْ : الْيَوْمُ يَوْمُ حَيْنِ الْلَّثَامِ - بَفْتَحِ حَاءِ حَيْنِ -
أَيْ : يَوْمُ هَلَاكَهُمْ ، وَالرَّاضِعُ : هُوَ الَّذِي رَضَعَ الْلَّؤْمَ مِنْ ثَدِي
أُمِّهِ ، فَصَارَ سَجِيْتَهُ الَّتِي لَا تَفَارِقُهُ ، أَوْ الَّذِي يَرْضَعُ مَا بَيْنَ
أَسْنَانِهِ حَرَصًا عَلَى الشَّبَعِ ؛ لِيَسْتَكثُرَ مِنَ التَّجْشُعِ ، يَعْنِي : أَنَّ
سَلَمَةً كَانَ إِذَا رَمَاهُمْ .. يَقُولُ :

خَذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ

وَالْيَوْمِ يَوْمُ الرَّضَعِ

رَوَى الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمُ عَنْ سَلَمَةَ : (خَرَجَتْ قَبْلَ أَنْ يَؤَذَّنَ
بِالْأُولَى^(١) ، وَكَانَتْ لِقَاحَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْعِيَ
بَذِي قَرْدَ ، قَالَ : فَلَقِينِي غَلامٌ لَعِبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، فَقَالَ :
أَخِذْتَ لِقَاحَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَلَتْ : مَنْ
أَخِذَهَا ؟ فَقَالَ : غَطْفَانٌ وَفَرَّارَةٌ . قَالَ : فَصَرَّخْتُ ثَلَاثَ

(١) يَعْنِي : صَلَاةُ الصَّبَحِ ، وَفِي «مُسْلِمٍ» : (أَنَّهُ تَعَبُّهُمْ مِنَ الْغُلُسِ إِلَى غَرَوْبِ الشَّمْسِ) أَهـ

صَرَخَاتٍ : يَا صَبَاحَاهُ ! قَالَ : فَأَسْمَعْتَ مَا بَيْنَ لَابَيِّ الْمَدِينَةِ ،
ثُمَّ انْدَفَعَتْ عَلَى وَجْهِي - أَيْ : لَمْ أَلْتَفَتْ يَمِينًا وَلَا شَمَالًا -
وَكَانَ شَدِيدُ الْعُدُوِّ - حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ وَقَدْ أَخْذَوْا يَسْتَقْوِنُ مِنَ
الْمَاءِ ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنْبَلِي ، وَكُنْتُ رَامِيًّا ، وَأَقُولُ :

أَنَا بْنُ الْأَكْوَعْ

وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعْ

فَأَرْتَجَزْ ، حَتَّى اسْتَقْذَتِ اللَّقَاحُ مِنْهُمْ ، وَاسْتَلَبَتْ مِنْهُمْ
ثَلَاثَيْنِ بُرُودَةً .

قَالَ : وَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ ، فَقَلَّتْ :
يَا نَبِيَّ اللَّهُ ؛ إِنِّي قَدْ حَمِيتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشُ ، فَابْعَثْ
إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ ، فَقَالَ : « يَا بْنَ الْأَكْوَعْ ؛ مَلْكُتَ فَأْسَجِحْ »^(١)
قَالَ : ثُمَّ رَجَعْنَا وَيَرْدَفْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
نَاقَتِهِ ، حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ) اهـ

وَقَالَ فِي « شَرْحِ الْمَوَاهِبِ » عَنْ مُسْلِمٍ وَابْنِ سَعْدٍ : (قَالَ
- يَعْنِي سَلْمَةً - : (فَأَقْبَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنْبَلِي وَأَرْتَجَزْ ، فَأَلْحَقْ رَجَلًا
مِنْهُمْ ، فَأَمْكَنْتُهُ سَهْمًا فِي رِجْلِهِ ، فَيَخْلُصُ السَّهْمُ إِلَى كَعْبَةِ ، فَمَا
زَلَتْ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقَرْهُمْ ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ مِنْهُمْ .. أَتَيْتُ
شَجَرَةً فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا ثُمَّ رَمَيْتُهُ ، فَعَقَرْتُ بِهِ ، فَإِذَا تَضَايَقَ
الْجَبَلُ فَدَخَلُوا فِي مَضَايِقِهِ .. عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَرَمَيْتُهُ بِالْحَجَارَةِ ،

مَلَحْقَةُ سَلْمَةِ بْنِ
الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
غَطْفَانَ وَفَزَارَةَ

(١) أَسْجَحْ - بِهِمْزَةٍ قَطَعَ فَسِينَ سَاكِنَةٍ ثُمَّ جَيْمَ وَبَعْدَهَا حَاءٌ - بِمَعْنَى : سَهْلٌ ، وَالسَّجَاجِحَةُ : السَّهْوَلَةُ ، وَالْمَعْنَى : قَدْرَتْ فَاعِفَّ .

وَفَرَضَ الْهَادِي لَهُ سَهْمَيْنِ لِسَبْقِهِ الْخَيْلَ عَلَى الْرِّجْلَيْنِ
وَأَسْتَنَقُدُوا مِنْ أَبْنِ حِصْنٍ عَشْرَةَ وَقَسْمَ الْنَّبِيِّ فِيهِمْ جُزْرَا

فما زلت كذلك حتى ما خلق الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم من بعير .. إلَّا خَلَفَتْهُ وراء ظهري ، ثمَّ أَتَبْعَهُمْ أَرْمِيهِمْ ، حتى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَيْنِ بُرُودَةً وَثَلَاثَيْنِ رُمْحًا ؛ يَتَخَفَّفُونَ مِنْهَا .

فَأَتَوْا مَضِيقًا ، فَأَتَاهُمْ عَيْنَةً مُمِدَّا لَهُمْ ، فَجَلَسُوا يَتَغَدَّوْنَ ، وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْحَ - الشَّدَّةُ وَالْأَدْنِي - مَا فَارَقْنَا السَّخَرَ حَتَّى الْآنَ ، وَأَخْذَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا ، وَجَعَلَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ عَيْنَةُ : لَوْلَا أَنَّهُ يَرَى وَرَاءَهُ طَلْبًا .. لَتَرْكُكُمْ ، لَيُقْمِدُ إِلَيْهِ أَرْبَعَةَ مِنْكُمْ ، فَصَعِدُوا فِي الْجَبَلِ ، فَقَلَتْ لَهُمْ : أَتَعْرَفُونِي ؟ قَالُوا : وَمَنْ أَنْتُ ؟ قَلَتْ : ابْنُ الْأَكْوَعَ ، وَالَّذِي أَكْرَمَ وَجْهَ مُحَمَّدَ ؛ لَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيَدْرِكُنِي ، وَلَا أَطْلُبُهُ فَيَفْوَتُنِي ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : أَظُنُّ ، فَرَجَعُوا ، فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي ، حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اهـ

إعطاء سلمة رضي الله

عن سهمين

(وَفَرَضَ الْهَادِي) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَهُ) أَيْ : لَسْلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعَ (سَهْمَيْنِ) سَهْمَ الرَّاجِلِ وَالْفَارِسِ (لِسَبْقِهِ الْخَيْلَ عَلَى الرِّجْلَيْنِ) قَالَ سَلْمَةُ : (فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمَ الرَّاجِلِ وَالْفَارِسِ جَمِيعًا) .

أمر عيينة بن حصن :

(وَاسْتَنَقُدُوا) أَيْ : اسْتَخْلَصُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مِنْ) عَيْنَةَ (ابْنِ حِصْنٍ) الْمَعْرُوفَ بِالْأَحْمَقِ

.....
المطاع في قومه ، الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : « إنَّ شرَّ
الناس من وَدَّعَه الناس انتقامَ شره ». .

وقال فيه : « أُدَارِيَّه ؛ إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَفْسُدَ عَلَيَّ خَلْقًا
كَثِيرًا ». .

وقال فيه : « إِنَّا لَنَبَشُّ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ ، وَإِنَّ قَلْوبَنَا
لَتَلْعَنُهُمْ ». .

وَدَخَلَ يَوْمًا الْمَسْجِدَ ، فَكَشَفَ ثِيَابَهُ ، وَبِالَّذِيْهِ ، فَصَاحَ
الْمُسْلِمُونَ ، فَقَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« لَا تُزِّرُّمُوهُ » أَيْ : لَا تَقْطَعُوا عَلَيْهِ بُولَهُ ، فَأَمَرَ بِمَاءِ فَصُبَّ عَلَى
البُولِ . .

وَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَيْرِ إِذْنٍ ، فَلَمَّا قَالَ
لَهُ : « أَيْنَ الْإِذْنُ ؟ » قَالَ : مَا اسْتَأْذَنْتُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَكَ مِنْ
مُضَرٍّ ، وَقَالَ : مَا هُذِهِ الْحُمْرَاءُ الَّتِي مَعَكَ يَا مُحَمَّدَ ؟ قَالَ :
« هِيَ عَائِشَةُ بْنَتُ أَبِي بَكْرٍ » فَقَالَ : طَلَقُهَا ، وَأَنَا أَنْزَلَ لَكَ عَنِ
أَجْمَلِ مِنْهَا ، أُمَّ الْبَنِينَ بْنَتَ حَذِيفَةَ ، فِي أَشْيَاءِ كَثِيرَةٍ تَذَكَّرُ مِنْ
جَفَائِهِ . .

(عَشْرًا) مِنَ الْلَّقَاحِ ، وَكَانَتْ عَشْرِينَ ؛ أَيْ : وَنَجَا الْعَدُوُّ
بِعَشْرَ ، كَذَا قَالَهُ النَّاظِمُ تَبَعًا لِأَصْلِهِ ، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ وَابْنُ
سَعْدٍ ، وَذَكَرَهُ فِي « الْمَوَاهِبِ » عَنْهُمَا ، وَهُوَ مُخَالِفٌ لِقَوْلِ
سَلَمَةَ فِي « الصَّحِيحَيْنِ » : (إِنَّهُ اسْتَنْقَذَ جَمِيعَ الْلَّقَاحِ) قَالَ
الشَّامِيُّ : (وَهُوَ الْمُعْتَمَدُ لِصَحَّةِ سِنْدِهِ) . .

تعارض الروايات في
عدد اللقاح الناجية

(وَقَسْمُ النَّبِيِّ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِيهِمْ) أَيْ : فِي أَصْحَابِهِ (جُرْرًا) جَمْعُ جَزُورٍ ، لِكُلِّ مِائَةٍ جَزُورٌ يَنْحَرُونَهُ ، وَكَانُوا خَمْسٌ مِائَةٌ .

فَوَائِدُ هَذِهِ الْقَصَّةِ :

قَالَ الْحَافِظُ : وَفِي الْقَصَّةِ مِنَ الْفَوَائِدِ :

جَوَازُ الْعُدُوِ الشَّدِيدِ فِي الْغَزْوَةِ ، وَالْإِنْذَارُ بِالصِّيَاحِ الْعَالِيِّ ، وَتَعْرِيفُ الشَّجَاعَةِ بِنَفْسِهِ لِيُرْعِبَ خَصْمَهُ ، وَاسْتِحْبَابُ الشَّنَاءِ عَلَىِ الشَّجَاعَةِ وَمَنْ فِيهِ فَضْيَلَةٌ ، لَا سِيمَّا عِنْدِ الصُّنْعِ الْجَمِيلِ ؛ لَيُسْتَزِيدَ مِنْهُ ، وَمَحْلُهُ حِيثُ يُؤْمِنُ الْأَفْتَانُ .

وَفِيهِ جَوَازُ الْمَسَابِقَةِ عَلَىِ الْأَقْدَامِ ، وَلَا خَلَافٌ فِي جَوَازِهَا بَغْيَرِ عَوْضٍ ، أَمَّا بِالْعَوْضِ .. فَالصَّحِيحُ : لَا يَصْحُ .

وَفِيهِ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِهِذَا الْحَبِيبِ الْعَظِيمِ حِيثُ أُوجِدَ اللَّهُ لَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ يَغْنِي عَنِ الْخَيْلِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ وَيُسْبِقُهَا .

وَفِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْبَسَلَةِ الْأَمْجَادُ ؛ فِي الْقِيَامِ بِالْتَّضْحِيَةِ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ خَيْرُ قِيَامٍ ، فَجَزَاهُمُ اللَّهُ عَنَا وَعَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرُ الْجَزَاءِ .

قَصَّةُ امْرَأَةِ أَبِي ذِرٍ وَنَذْرُهَا :

(وَ) لَمَّا وَصَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ (أَقْبَلَتْ إِمْرَأَةٌ) بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ الْمَكْسُورَةِ لِلْوَزْنِ ، وَاسْمُهَا لَيْلَى كَمَا فِي

وَهِيَ عَلَى رَاحِلَةٍ مِنْ ذِي الْإِبْلِ قَدْ نَذَرْتُ إِهْلَاكَهَا حِينَ تَصِلُ

«أبي داود» وهي زوج أبي ذر (الغفاري) رضي الله عنه (قتيل) بمعنى : مقتول (نهب) مصدر بمعنى اسم الفاعل ؛ أي : مقتول القوم الناهبين (إبل) أي : لإبل (المختار) صلى الله عليه وسلم .

وفي كلامه نظر ؛ فإنَّه إذا كان الغفاري أباً ذر . . فكيف يصفه بأنه مقتول للذين أغروا على اللَّقاح ، فإنَّ المعروف عند أهل السير : أنَّ المقتول هو ابن أبي ذر ، واسميه ذر ، ولم يقل أحد : إنَّ المقتول أبو ذر ؟

(وهي على راحلة) أي : والحال أنَّ تلك المرأة جاءت راكبة على راحلة (من ذي) أي : من هذه (الإبل) التي أخذها العدو ، وهي البيضاء ، وخبر المبتدأ جملة قوله : (قد نذَرْتُ إهْلَاكَهَا حِينَ تَصِلُ) إلى المدينة سالمة من العدو .

روى مسلم وأبو داود عن عمران بن الحصين رضي الله عنه : أنَّهم أوثقوا المرأة ، وكانوا يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم ، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق ، فأتت الإبل ، فإذا دنت من البعير رغًا ، فتركته حتى انتهت إلى العصباء فلم ترغ ، فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت ، وعلموا بها ، فطلبوها فأعجزتهم . اهـ

وقال ابن إسحاق : (وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قدِمت عليه فأخبرته الخبر ، فلما فرغت . . قالت : يا رسول الله ؛ إني قد نذَرت لله

استدراك الشارح

.....
أن أنحرها إن نجّاني الله عليها ، قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثمَّ قال : «بئسما جَزَيْتَهَا أَنْ حَمَلَكَ اللهُ عَلَيْهَا وَنَجَاكَ أَنْ تَنْحِرَهَا ، إِنَّهُ لَا نَذْرٌ فِي مُعْصِيَةِ اللهِ ، وَلَا فِيمَا لَا تَمْلِكُينِ ، إِنَّمَا هِيَ نَافِةٌ مِنْ إِبْلِي ، ارْجِعِي إِلَى أَهْلِكَ عَلَى بُرْكَةِ اللهِ » .

حكم النذر والطلاق
والعتاق والنكاح فيما
لا يملك

قال العبد الضعيف كان الله له : أخرج أبو داود والترمذى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا نَذْرٌ لَابْنِ آدَمَ فِيمَا لَا يَمْلِكُ ، وَلَا عَنْقٌ لَهُ فِيمَا لَا يَمْلِكُ ، وَلَا طَلَاقٌ لَهُ فِيمَا لَا يَمْلِكُ » انظر «نصب الراية» للزيلعى ، واحتَجَّ به بعض العلماء على أن لا طلاق إلَّا بعد النكاح ولو عَيْنَ المطلقة .

قتله لرئيس المشركين

ثناء الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي قَتَادَةِ :

وقال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ فَرَغُوا مِنْ أَمْرِهِمْ : «خَيْرُ فُسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ ، وَخَيْرُ رِجَالِنَا الْيَوْمَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ» .

وممَّا صنَعَهُ بِهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعَيْ : أَنْ قُتِلَ مُسْعِدَةُ بْنُ حَكْمَةَ الْفَزَارِيِّ رِئِيسُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ ، أَوْ حَبِيبُ بْنُ عَيْنَةَ بْنِ حَصْنٍ ، وَسَجَاهُ بَرِدَةً ، فَاسْتَرْجَعَ النَّاسُ ، وَقَالُوا : قُتِلَ أَبُو قَتَادَةَ ، فَقَالَ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَيْسَ بِأَبِي قَتَادَةَ ، وَلَكِنَّهُ قَتِيلَهُ ، وَضَعُّ عَلَيْهِ بَرِدَةٌ ؛ لِتَعْرِفُوهُ فَتَخَلَّوْا عَنْ قَتِيلِهِ وَسَلَبَهُ» فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسَهُ وَسَلَاحَهُ .

ما صنعته عكاشة بن محسن :

وأدرك عكاشة بن محسن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح ، فقتلهما جمياً .

وممَّا فعله بهم سلمة بن الأكوع أن قال : يا نبي الله ؛ قد حميت القوم الماء وهم عطاش ، فابعث إليهم الساعة .

وفي « مسلم » : أتاني عامر بماء ولبن ، فتوسلات وشربت ، ثم أتتني النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على الماء الذي أجلطتهم عنه ، فإذا هو قد أخذ كل شيء استنقذته منهم ، ونحر له بلال ناقته ، وشوى له من كبدها وسنامها ، فقلت : يا رسول الله ؛ خلَّني أنتخب من القوم مئة رجل فأتبعهم فلا يبقى منهم مخبر ، فضحك حتى بدت نواجذه ، وقال : « أتراك كنت فاعلاً ؟ » قلت : نعم ، والذي أكرمك ، فقال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ملكت فأسجح » أي : قدرت عليهم فارفع ، ثم قال عليه الصَّلاة والسلام : « إنَّهُمُ الْآنَ لِيُقْرَوْنَ فِي غَطَّافَانَ » يعني : إنَّهُمْ وصلوا إلى غطافان وهم يُضيغونهم ، فلا فائدة في البعث في الآخر ؛ لأنَّهُمْ لحقوا بأصحابهم .

وفي إخباره عليه الصَّلاة والسلام بذلك معجزة ؛ فإنَّه جاء بعد ذلك رجل من غطافان ، فقال : مروا على فلان الغطافاني ، فنحر لهم جزوراً ، فلمَّا أخذوا يكشطون جلدتها .. رأوا غبرة ، فتركوها وقالوا : أتاكم القوم ، وخرجوا هرابة .

قال في « المواهب » : (وصلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

إصرار سلمة رضي الله عنه على ملاحقة الفارين وسماحة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكفه عنهم

من معجزاته صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِالْمَالِحِ
فَعَيَّرَ أَسْمَهُ وَغَيَّرَ أَلِلَّاهَ
طَلْحَةُ بِالْفَيَاضِ سَمَاءُ الْبَيْنِ
بِيَانِ ذَا الْلَّقَبِ غَيْرُ صَالِحِ
صِفَتِهِ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَشْتَرَاهُ
إِذْ قَدْ تَصَدَّقَ بِهِ لِيُثْرِبُ

وسلم بذى قردا صلاة الخوف ، وأقام به يوماً وليلة يتجسس
الخبر ، ورجع وقد غاب خمس ليال .

معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم :

(ومر) صلى الله عليه وسلم (في طريقه) في هذه الغزوة
بالبئر التي تسمى (بالمالح بيان) فقال الصحابة الكرام : بيان
وهو مالح (ذا اللقب) يعني بيان (غير صالح ، غير)
النبي صلى الله عليه وسلم (اسمه) فقال : نعمان ، وهو
طيب ، (وغير الله) تبارك وتعالى (صفته) المالحة إلى
صفته العذبة ، بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكور ،
ونظير هذه المعجزة ما ذكره في «الشفاء» : (أنه عليه الصلاة
والسلام بزق في بئر كانت في دار أنس ، فلم يكن ماء في
المدينة أذب منها) ورواه أبو نعيم ، والله در القائل :

ولو تغلت في البحر والبحر مالح
لأصبح ماء البحر في ريقه عذبا

شراء طلحة الفياض للبئر وتصدقه بها :

سبب تسمية النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
له بالفياض
(وبعد ذلك اشتراه) أي : البئر ، وفاعل اشتري (طلحة)
أبن عبيده الله الثئمي الصحابي الجليل ، أحد العشرة المتقدم
ذكره ، وترجمته في الكلام على غزوة بدر وأحد ، وتصدق بها

على أهل المدينة (بالفياض) بتشديد الياء ؛ أي : الوهاب الججاد ، يتعلق بقوله : (سمّاه) أي : طلحة (الثبي) صلى الله عليه وسلم ، فقال له عليه الصلاة والسلام : « أنت الفياض » فصار له لقباً ، كما صار نعمان للبئر لقباً (إذ قد تصدق به ليشرب) أي : لأهل المدينة ، وهذا سبب التسمية به ، وتسمية المدينة بشرب تسمية جاهلية ، سميت باسم رجل نزلها ، ولما جاء الله تعالى بالإسلام سميت طابة ، وطيبة ، والطيبة ؛ لطيفها به صلى الله عليه وسلم ، فتغير اسمها وصفتها .

الطلحات الخمسة الأجواد :

ثمَّ استطرد الناظم رحمة الله تعالى باسم الفياض ، إلى ذكر من كان من الأجواد في الإسلام يسمى طلحة فقال :

فَالْطَّلَحَاتُ خَمْسَةُ سِوَى الْعَلَمِ

فَطَلْحَةُ الْجُودِ ابْنُ عَمِّهِ الْخِضْمِ

(فالطلحات) بفتح اللام جمع طلحة بسكونها (خمسة سوى العلم) العلم في الأصل : السيد للقوم ، والمراد به : سيدنا طلحة بن عبيد الله المتقدم ، فهم معه ستة ، هو أولها .

طلحة الجود :

(ف) ثانيها : (طلحة الجود) أي : الملقب بذلك ، وهو ابن عمر بن عبيد الله بن معمراً بن عثمان بن عمر بن كعب بن

طلحة بن عمر بن
معمر

سعد بن تَيْم ، وَجَدَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْمَرٍ مِنَ الْأَجْوَادِ أَيْضًا ، ذَكَرَ أَبْنَ الْعَمَادَ فِي « الشَّدَرَاتِ » : أَنَّهُ اشْتَرَى جَارِيَةً تُسَمَّى الْكَامِلَةُ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ لِفَتْنَىٰ قَدْ أَدَبَهَا أَحْسَنُ الْأَدْبُ ، فَأَمْلَقَهَا فَبَاعَهَا وَهُوَ مُغْرَمٌ بِهَا ، فَأَنْشَدَتْ أَبْيَاتًا مِنْهَا :

عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا زِيَارَةَ بَيْتِنَا

وَلَا وَصْلَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ أَبْنَ مَعْمَرٍ

فَرَقَّ لَهَا عُبَيْدُ اللَّهِ ، وَرَدَهَا عَلَيْهِ وَثَمَنَهَا ، قُتِلَ عَنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً بِرِسْتَاقٍ إِصْطَدْخَرٍ .

قَالَ الْحَافِظُ : (أَخْرَجَ أَبْنَ أَبِي عَاصِمِ الْبَغَوِيِّ مِنْ طَرِيقِ حَمَادَ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ هَشَامَ بْنِ عَرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أُوتِيَ أَهْلُ بَيْتِ الرَّفِقِ إِلَّا نَفَعُهُمْ ، وَلَا مُنْعِهُ إِلَّا ضَرَّهُمْ » قَالَ الْبَغَوِيُّ : « لَا أَعْلَمُهُ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَهُ ، وَلَا رَوَاهُ عَنْ هَشَامٍ إِلَّا حَمَادٌ » .

وَطَلْحَةُ الْجُودِ : هُوَ (أَبْنُ عَمِهِ) أَيْ : أَبْنُ عَمِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ (الْخُضْرَمُ) بِوزْنِ خِدَبٍ مَكْسُورِ الْأُولَى ، مَفْتُوحٌ الْثَّانِي : الْكَثِيرُ الْعَطَاءُ .

طَلْحَةُ الْخَيْرِ ، وَطَلْحَةُ النَّدَى :

(و) ثَالِثُهَا : (طَلْحَةُ الْخَيْرِ) بْنُ الْحَسَنِ السَّبْطِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ الْحَسَنِ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(و) رابعها : (طلحة الندى) بالقصر : الجود ؛ أي : طلحة بن عبد الله بن عوف بن عبد الحارث بن الملقب بذلك ، وهو ابن عبد الله بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة ابن أخي سيدنا عبد الرحمن بن عوف ، كان من سراة قريش ، ولي قضاء المدينة .

قال الحافظ في « التهذيب » : (قال ابن أبي خيّمة : كان هو وخارجة بن زيد بن ثابت في زمانهما يُسْتَفْتِيَان ، ويُتَهَذِّبَان الناس إلى قولهما ، ويُقْسَمُان المواريث ، ويُكْتَبَان الوثائق ، تُوفَّى بالمدِّيَّة سنة سبع وتسعين وهو ابن اثنين وسبعين سنة ، وأبُوه عبد الله بن عوف صَحَّابِي ، أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَلَمْ يَهَاجِرْ).
فقوله : (إلى الحسين وابن عوف أَسْنَدَا) أي : أَسْنَد طلحة الخير إلى الحسين ، وطلحة الندى إلى ابن عوف ، على طرِيق الْلَّفْظِ وَالنُّشُرِ الْمُرْتَبِ .

طلحة الدرهم :

(و) خامسها : (طلحة الدرهم) ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أُمّه عائشة بنت طلحة بن عُبيدة الله .

وقال في « التهذيب » : له صحبة ، حَكَى الزَّبَّيرُ : أَنَّ عُرُوَةَ بْنَ الزَّبَّيرِ أَوْدَعَهُ وَغَيْرَهُ مَالًا لِمَا سَافَرَ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا رَجَعَ . . جَحَدَهُ بَعْضُهُمْ ، وَرَدَّ مَا لَهُ طلحة ، فَقَالَ فِيهِ :
فَمَا اسْتَخْبَأَتْ فِي رَجُلٍ خَيْبَاتِ
كَدِينِ الصَّدَقِ لَوْ يَنْسَبْ عَتِيقِ

طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن

ذَوُو الْأَحْسَابِ أَكْرَمُ مَا تَرَاهُ

وَأَصْبَرُ عِنْدَ نَائِبَةِ الْحَقْوَقِ

وَقُولُهُ : (الْعَتِيقُ) مُبْتَدأ ، وَالْمَرَادُ بِهِ أَبُو بَكْرٌ ؛ لِأَنَّهُ عَتِيقُ
اللَّهِ مِنَ النَّارِ (جَدُّ أَبِيهِ) أَيْ : عَبْدُ اللَّهِ ، خَبْرُ الْمُبْتَدَأِ .

وَقُولُهُ : (بِالْعَلَاءِ) يَتَعَلَّقُ بِقُولِهِ : (حَقِيقُ) يَعْنِي : أَنَّ
الْعَتِيقُ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ جَدُّ أَبِيهِ طَلْحَةَ ، وَهُوَ حَقِيقُ الْعَلَاءِ ،
وَلَا كَلَامٌ .

وَلِيُسْ يَصِحَّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ
إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

مَا شَرَ طَلْحَةُ الْخُرَزَاعِيُّ :

طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَيْ : الْطَّلْحَاتُ ، قَالَ فِي « رَوْضَ النُّهَا » :
الْخُرَزَاعِيُّ طَلْحَةُ
الْطَّلْحَاتُ وَالضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى الْطَّلْحَاتِ مُبْتَدَأ ، وَقُولُهُ : (طَلَحَتُهَا) أَيْ :
طَلْحَةُ الْطَّلْحَاتِ ، خَبْرُ الْمُبْتَدَأِ ، وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ
خَلْفٍ بْنِ سَعْدٍ بْنِ بِيَاضَةِ الْبَصْرِيِّ (الْخُرَزَاعِيُّ) يَقُولُ : لِأَبِيهِ
صَحْبَةِ (أَجْوَدِهِمْ) أَيْ : هُوَ أَجْوَدُ الْطَّلْحَاتِ ، سُمِيَ طَلْحَةُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بِذَلِكِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَجْوَدُهُمْ (كُلَّاً بِلَا نِزَاعَ) أَيْ :
لَا يَنْازِعُونَهُ فِي الْجُودِ ، وَهُذَا بِمَعْنَى قُولِ بَعْضِهِمْ فِيهِ : إِنَّهُ فَاقَ
فِي الْجُودِ خَمْسَةَ أَجْوَادٍ ، اسْمُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ طَلْحَةٌ .

قَالَ الشَّيْخُ حَمَادٌ فِي « رَوْضَ النُّهَا » : (وَهُذَا كَلَامٌ

فِي سَنَةٍ وَهَبَ أَلْفَ جَارِيَةٍ فَأَوْلَدَتْ عُفَّاً ثُمَّ جَوَارِيَةٍ
أَلْفُ غُلَامٍ بِاسْمِهِ سَمَّى الْإِمَامَ جَمِيعُهُمْ لِمِثْلِهِ فَهَيَّئَهُمْ

صاحب «الغرر»^(١) ، وكان الشيخ رحمة الله تعالى يشدق على نفسه من تفضيله في الجود على ابن السبط ، ويعذر عنه بأنه إنما نظم ما في الكتاب .

قال الحافظ ابن حجر : (سمع عثمان بن عفان وكان مع عائشة يوم الجمل) اهـ

وفي سنة (٦٣) بعث مسلم بن زياد طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي والياً على سجستان ، فأقام بها طلحة إلى أن مات .

ومن آثار جوده : ما ذكره في «الغرر» وعقده الناظم بقوله : (في سَنَةٍ وَهَبَ) لزواره وقادسيه (أَلْفَ جَارِيَةٍ) أي : أَمَّةٍ (فَأَوْلَدَتْ عُفَّاً ثُمَّ) بضم العين جمع عاف ، وهو : الزائر الطالب للمعرفة .

(جواريه) بالنصب معمول لقوله : (أَوْلَدَتْ) على نزع الخافض ؛ أي : أَوْلَدَتْ من جواريه .

(أَلْفُ غُلَامٍ بِاسْمِهِ) أي : بطلحة (سَمَّى الْإِمَامَ) بالقصر للوزن ، جمع أمة (جَمِيعُهُمْ) بالرفع تأكيد للإماء (لِمِثْلِهِ) .

(١) يعني «غرر الخصائص الواضحة ، وعر النقائض الفاضحة» للأديب المتنبّن أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن يحيى الكتباني ، المعروف بالوطواط ، المولود سنة (٦٣٢) والمتوفى سنة (٧١٨) .

فهيهما) بالهمز : أي عجباً لمثل هذه العطية من الكثرة والبركة .

وزاد في « الغرر » عن الحسن قال : (باع طلحة بن عبد الله الخزاعي أرضاً بسبعين مئة ألف درهم ، فبات ذلك المال عنده ليلة ، فبات أرقاً ؛ مخافة ذلك المال ، حتى أصبح ففرقه) .

وقال الزبيدي عن « المستقصى » : قال سحبان وائل البليغ المشهور في طلحة الطلعات ^(١) :

يا طلح أكرمَ مَنْ مَشَى
حَسِبَاً وَأَعْطَاهُمْ لِتَالِدْ

منك العطاء فأعطني

وعليَّ مدحوك في المشاهدْ

فحكمه ، فقال : فرسك الورد ، وقصرك بزرنج ،
وغلامك الخباز ، وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة : أَفْ
لَك ! لم تسألني على قدرى ، وإنما سألتني على قدرك وقدر
قبيلتك باهلة ، والله ؛ لو سألتني كل فرس وقصر وغلام لي ..
لأعطيتك ، ثم أمر له بما سأله ، وقال : والله ؛ ما رأيت مسألة
مُحَكَّمَ الْأَمْ منها .

(١) قوله : (سحبان وائل) لعله سقط لفظة (ابن) قبل (وائل) لأنَّه هو الذي في عصر الإسلام ، وهو البليغ الذي كان في زمن معاوية رضي الله عنه ، وأمَّا سحبان وائل بالإضافة .. فهو جاهلي كما نقله شيخنا في « شرح الإبهاج » عن ابن التلمساني في « حاشية الشفاء » فلذا اقتضى التنبيه عليه .

وَيَعْدَهَا أَنْتَهَبَا الْأُولَى أَنْتَهَوْا لِغَايَةِ الْجُهْدِ وَطَبِيَّةَ أَجْتَسَوْفَا

وفيه يقول ابن قيس الرقيقيات :

رَحْمُ اللَّهِ أَعْظُمَاً دَفَنُوهَا

بِسِجِّشَانَ طَلْحَةَ الْطَّلْحَاتِ

قال الخفاجي في « الطراز » في طلحة الطلحات : (ليس المراد : أنه واحد من هؤلاء المسميين بهذا الاسم كما يتبادر منه ، وإنما المراد : أنه أجود الأجواد ؛ لأن طلحة لشهرة مسماه بالجود كحاتم ، فيذكر ويراد به الجoward ، فالطلحات بمعنى الأجواد :

النَّاسُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ فَمَنْ عَلِمَوْا

أَنْ قَدْ أَقْلَى فَمَخْذُولٌ وَمَحْقُورٌ

وَهُمْ بَنُو أُمٍّ مَنْ ظَنَوْا بِهِ نَشَّاباً

فذاك بالعين ملحوظ ومستور)

قصة العرنين وسرية سعيد بن زيد إليهم سنة ست :

ثم أتى غزوة الغابة بالكلام على قصة العرنين - للمناسبة الظاهرة بينهما ، وتباعاً لليعمرى ، إلا أنه ذكر السرية من أصلها ، وهي تعرف بسرية سعيد^(١) بن زيد إليهم ، وهي في شوال سنة ست عند ابن سعد - فقال : (وبعدها) أي : بعد غزوة الغابة (انتهتها) أي : اللقاء المذكورة في غزوة الغابة ؛

تاریخها

(١) كما عند ابن عقبة بالياء ، وعند غيره : أنه سعد بن زيد الأشهلاني الأنصاري .

فَخَرَجُوا وَشَرِبُوا أَلْبَانَهَا وَنَبَذُوا إِذْ سَمِّنُوا أَمَانَهَا

أي : أخذها نهبةَ القومُ (الأُولَى انتهُوا) أي : وصلوا (لغایةَ الجهد) والمشقة .

التعريف بعربية (وطيبة) بالنصب معمول لقوله : (اجتَوْفَا) أي : وكرهوا طيبة ؛ أي : المُقام بها ، ولم يوافقهم هواها ، وهم من عُرَيْنَة^(١) ، وعُرَيْنَة : حيٌّ من بجيلة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكلموا بالإسلام ، وكانوا مجاهودين مضرورين ، وقد كادوا يهلكون ، وقالوا : يا رسول الله ؛ إنَّا كنا أهل ضَرْعٍ ؛ أي : ماشية وإبل ، ولم نكن أهل ريف ، واستوخرموا المدينة ، فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذَوْدَ ورَاعٍ ، وأمرهم أن يخرجوا مع الذود ، فيشربوا من ألبانها وأبواها .

وفي لِبن اللِّقَاحِ : جلاء ، وتلَبَّين ، وإدرار ، وتفتيح للسدد ؛ فإنَّ الاستسقاء وعظم البطن إنَّما ينشأ عن السدد وآفة في الكبد ، ومن أعظم ما ينفع الكبد لِبن اللِّقَاحِ ، لا سيَّما إن استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل على حرارته التي يخرج بها . ذكر هذه الفائدة ابن برهان في « سيرته » .

(فَخَرَجُوا وَشَرِبُوا أَلْبَانَهَا) وَصَحُّوا ، وسِمِّنُوا ، ورجعت إليهم ألوانهم ، حتى إذا كانوا ناحية الحَرَة بناحية قباء .. كفروا

(١) وهم ثمانية كما في « الإِمْتَاع » وفي « المَوَاهِب » : (هم من عكل - بضم فسكون قبيلة من تيم الرباب - وعرينة) .

فَاقْتَصَّ مِنْهُمُ النَّبِيُّ أَنْ مَثَلُوا بِعَبْدِهِ وَمُقْلَتِيْهِ سَمَلُوا

بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم يساراً ،
 واستاقوا الذود كما قال : (ونبذوا) أي : طرحا وألقوا (إذ
 سَمِنُوا) بشرب اللّبن (أمانَهَا) أي : اللقاح ، والمراد أهلها ،
 فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث في آثارهم سرية
 أمر عليها سعيد بن زيد .

قتل يسار رضي الله
 عنه راعي اللقاء

وفي « صحيح مسلم » عن أنس : (أَنَّ السَّرِيَّةَ كَانَتْ قَرِيبًا
 مِنْ عَشْرِينَ فَارِسًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَبَعَثَ مَعَهُمْ قَائِفًا يَقْصُ
 آثارَهُمْ) .

عدد أفراد السرية

وقال ابن سعد كما في « عيون الأثر » : (وبلغ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الخبر ، فبعث في آثارهم عشرين فارساً ،
 واستعمل عليهم كُرْز^(١) بن جابر الفهري ، فأدركوه وأحاطوا
 بهم ، فأسروه وربطوه ، وأردوه على الخيل ، حتى
 قدموا بهم المدينة قال : كانت اللّقاح خمس عشرة غزاراً ،
 فردوها إلى المدينة ، ففقد رسول الله صلى الله عليه وسلم منها
 لِقْحَةً ، فسأل عنها ، فقيل : نحروها) .

قائد السرية كرز بن
 جابر رضي الله عنه

الاقتراض من العرنيين :

(فاقْتَصَّ مِنْهُمُ النَّبِيُّ) صلى الله عليه وسلم بـأَنْ سَمَرَ^(٢)
 أَعْيُنَهُمْ ، وَقَطَعَ أَيْدِيهِمْ ، وَأَرْجَلَهُمْ ، وَتُرْكُوا فِي نَاحِيَةِ الْحَرَّةِ .

(١) كرز هذا هو الذي أغار على سرح المدينة قبل أن يسلم ، فهذا الله للإسلام ، كما ذكر أوّل الكتاب ، واستشهد يوم فتح مكة .

(٢) بتحفيف الميم ، وروي بشدها ، قال الحافظ المنذري : (الأوّل أشهر وأوجه) اهـ

حتى ماتوا على حالهم .

وفي لفظ عند البخاري : (وسَمَرُوا أَعْيُنَهُمْ - أَيْ :
كَحْلُوهَا بِالْمَسَامِيرِ الْمُحْمَمِيَّةِ - ثُمَّ نَبَذُوا فِي الشَّمْسِ حَتَّى
مَاتُوا) .

وإِنَّمَا فَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمْ ذَلِكَ (أَنْ) أَيْ :
لَأَنَّهُمْ (مَثَلُوا بَعْدَهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلِفَظِ الْأَصْلِ :
(مُولَّا) ، لَكِنْ وَقَعَ بِلِفَظِ الْعَبْدِ عِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ :
(أَصَابَهُ فِي غَزْوَةِ بَنِي ثَعْلَبَةِ) .

وفي « المواهب » : (روى ابن مَرْدُوْيَهُ عن سلمة بن الأكوع قال : كان للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْلَى يُقالُ لَهُ : يسَارٌ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَحْسِنُ الصَّلَاةَ ، فَأَعْتَقَهُ ، وَبَعْثَهُ فِي لَقَاحٍ لِهِ
بِالْحَرَّةِ ، فَكَانَ بِهَا ، قَالَ : فَأَظَهَرَ قَوْمُ الْإِسْلَامِ مِنْ عُرْيَنَةِ ،
وَجَاؤُوهُ وَهُمْ مَرْضَى مَوْعِدُوكُونَ قَدْ عَظَمْتَ بَطْوَنَهُمْ ، وَغَدَوْا
عَلَى يِسَارٍ فَذَبَحُوهُ ، وَجَعَلُوهُ الشَّوْكَ فِي عَيْنِهِ وَهُوَ حَيٌّ ، فَبَعْثَ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آثَارِهِمْ خِيَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
أَمِيرُهُمْ كُرْزَنْ جَابِرُ الْفَهْرِيُّ ، فَلَحَقُوهُمْ ، فَجَاءُوهُمْ ، فَقُطِعَ
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ ، وَسَمَرَّ أَعْيُنَهُمْ) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : حَدِيثٌ
غَرِيبٌ جَدًا . وَقَالَ الزَّرْقَانِيُّ : (وَقَدْ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ
صَالِحٍ كَمَا فِي « الْفَتْحِ » فَلَوْ عَزَاهُ لَهُ . لَكَانَ أَوْلَى .

(وَمَقْلُتِيهِ) مَعْمُولٌ لِقُولِهِ : (سَمَلُوا) بِفَتْحِ الْمَيْمَ من بَابِ
دَخْلٍ ؛ أَيْ : سَمَلُوا ، وَفَقَوْا مَقْلُتِيهِ ، قَالَ أَنْسٌ : (إِنَّمَا سَمَلَ

رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينهم ؛ لأنَّهم سَمَّلُوا أعين
الراغي) رواه مسلم ، فيكون ما فعل بهم قصاصاً ، كما قال
الناظم : (فاقتض) لا مُثْلَه ؛ فإنَّها ما كانت ابتداء بغير جزاء .

فإن قيل : قد تركهم يستسقون فلا يُسْقَون حتى ماتوا
عطشاً . قلنا : عطَّشُهُم ؛ لأنَّهم عطشوا أهل بيت
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تلك الليلة من لقاحهم ، وقد دعا
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعطش على من عَطَّشَ آلَّ بَيْتِهِ ، كما رواه
النسائي^(١) .

وقد أشار إلى هذه السَّرِيَّة الشَّيخ غالى بن المختار في
«تبصرة المحتاج» ببساطة مما هنا ، وسمها بسرية كُرْز بن
جابر الفهريّ بقوله :

فنجُلُ جابر المنيف ذو العلا
كُرْز بِإِثْرِ نَفَرٍ عَدَّوْا عَلَى
لِقَاحِ خَيْرِ مَرْسَلٍ وَقُتِلُوا
غَلَامَهُ وَمَقْلِتِيهِ سَمَّلُوا
وَإِذْ بَهُمْ أُتِيَ النَّبِيُّ قَطَعَا
أَيْدِيهِمْ وَنَعَمَ مَا قَدْ صَنَعَا
وَقَطَعَ الْأَرْجَلَ ثُمَّ سَمَّلَا
أَعْيُنَهُمْ وَرَدَّهُمْ مُمْتَلَا

(١) وقيل : عطَّشُهُم ؛ لکفرهم بنعمة سقي ألبان الإبل التي حصل لهم الشفاء بها من الجوع
والوخم .

بجانب الحَرَّةِ يَسْتَقْوِنَا

لَمَّا أَصَابَهُمْ فَلَا يُسْقَوْنَا

فوائد هذه القصة وأحكامها :

وفي هذه القصة من الفوائد :

— قدوم الوفد على الإمام ونظره في مصالحهم .

طهارة بول ما يؤكل لحمه - ومشروعية الطب والتداوي بألبان الإبل وأبواهها ، وطهارة أبوالها ، وهو حجة للإمامين مالك وأحمد ومن وافقهما على طهارة بول ما يؤكل لحمه نصاً في الإبل ، وقياساً في غيرها ؛ وذلك أنه أمرهم بالتداوي ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شَفَاءً أَمْتَقِي فِيمَا حَرَمَ عَلَيْهَا » رواه أبو داود وغيره .

ومن قال بنجاسة الأبوال كلها حملوا الحديث على التداوي ، فلا يفيد الإباحة حالة الاختيار ، وإلاً فلا حرمة كالمية ، وقد يقال : إنَّ ما ذكر لم يتعين طريقة للدواء ، وفي حديث ابن عباس مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ في أبوالإبل شفاء للذرْبة بطنهم » ما هو صريح بأنَّها حالة اختيار ، وهو يمنع حمل الحديث على ما ذكر ، والذرب : فساد المعدة .

- ومنها : أنَّ كُلَّ جَسَدٍ يُطْبَ بِمَا اعْتَدَ ، وَأَنَّ الْمَدِينَةَ تُنْفِي
عَنْهَا الْخَبَثَ ؛ مَصْدَاقًا لِّقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ
الْمَدِينَةَ كَالْكَبِيرِ ، تُنْفِي خَبَثَهَا كَمَا يُنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ » .

.....
- وقتل الجماعة بالواحد ، سواء قتلوا غيلة أو حراة ، إن

قلنا : إنَّ قتلهم كان قصاصاً .

- والمماثلة في القصاص ، وأنَّه ليس من المثلة المنهي

عنها .

- ومنها : العمل بقول القائل ، وهو : الذي يعرف

اعتماد القيافة من أدلة

الآثار ، وللعرب المعرفة التامة في ذلك .

ثبوت النسب

وقد حكم رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَلْفَاؤُهُ

الراشدون من بعده رضي الله عنهم بالقيافة ، وجعلها دليلاً من

أدلة ثبوت النسب ، والله أعلم .

٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥

(٢٢) غزوة المريسيع

(غزوة بنى المصطلق)

وهو بضم الميم وفتح الراء : ماء لبني خُزَاعَة ، بينه وبين

موقعها

الفُرْعَ مسيرة يوم .

قال في «القاموس» : (خُزَاعَة حيٌّ من الأَزْد) اهـ ،

سُمُّوا بذلك لأنَّهُم تَخَرَّعُوا ؛ أي : تخلَّفُوا عن قومهم وأقاموا

بمكة .

ويقال لها أيضاً : غزوة بنى المصطلق - بضم الميم ،

وسكون الصاد المهملة ، وفتح الطاء ، وكسر اللام - وهو لقب

لجُذِيَّة بن سعد بن عمرو الخزاعي ، لقب به لحسن صوته ،

وهو أول من غنى من خزاعة نقله الزرقاني عن القسطلاني ،
وقال أيضاً : (روى الطبراني من حديث سفيان بن وبرة قال :
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة المريسيع : غزوة
بني المصطلق) وأشار الناظم إلى ترادفهما بقوله : (ثم
المريسيع أو المصطلق) فأول للتخيير في التسمية (كلاهما)
أي : الاسمين (على الغزوة) بفتح الغين المعجمة ؛ أي :
الغزوة (يطلق) وتسمى به .

تاریخ هذه الغزوة :

وظاهر النظم كما يفيده الترتيب بثم : أنَّ هذه الغزوة كانت
سنة ست ؛ فإنه جعلها بعد الغابة ، والغابة كانت في السنة
السادسة كما تقدم ، وهو قول ابن إسحاق ، وأنَّها في شعبان ،
وإليه ذهب المقرizi في « الإمتاع » .

ولكن عند ابن سعد : أنَّها كانت في شعبان سنة خمس ،
وهو الذي قال فيه أصحاب السير : إنَّ أشبه بالصواب ؛ لأنَّ
فيها جرى حديث الإفك ، قال في « الإمتاع » : (ولا يشك
أحد من علماء الآثار أنَّ حديث الإفك في غزوة بني المصطلق
هذه) اهـ ، وسيأتي هنا ، وقد ثبت فيه : أنَّ سعد بن معاذ
تنازع مع سعد بن عبادة في أصحاب الإفك ، فلو كانت سنة
ست مع كون الإفك كان فيها .. لكان ما وقع من الصحيح من
ذكر سعد بن معاذ غلطاً ؛ لأنَّه مات أيام قريظة ، وكانت سنة
خمس على الصحيح .

سبب هذه الغزوة :

وبسبب هذه الغزوة : أنَّهَ بَلَغَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، أَنَّ رَئِيسَ بَنِي الْمَصْطَلِقَ - وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارَ - سَارَ فِي قَوْمِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَرَبِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَجَابُوهُ وَتَهْيَئُوا لِلْمَسِيرِ مَعَهُ إِلَيْهِ ، وَكَانُوا يَنْزَلُونَ نَاحِيَةَ الْفُرْعَعَ ، فَبَعَثَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ الْأَسْلَمِيِّ يَعْلَمُ حَالَهُمْ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ ، فَاسْتَأْذَنَهُ أَنْ يَقُولَ ، فَأَذْنَ لَهُ ، فَأَتَاهُمْ ، وَلَقِيَ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي ضِرَارَ وَكَلَمَهُ ، فَوُجِدُهُمْ قَدْ جَمَعُوا الْجَمْعَ ، قَالُوا : مَنْ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : مَنْكُمْ ، قَدَمْتُ لَمَا بَلَغْنِي مِنْ جَمِيعِكُمْ لِهُذَا الرَّجُلِ ، فَأَسِيرُ فِي قَوْمِي وَمَنْ أَطَاعَنِي ، فَنَكُونُ يَدًاً وَاحِدَةً حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُ ، قَالَ الْحَارِثُ : فَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ ، فَعَجَلَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ بُرَيْدَةُ : أَرْكُبُ الْآنَ وَآتِيَكُمْ بِجَمْعِ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِي ، فَسُرُّوا بِذَلِكَ مِنْهُ .

انتصار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُزِيمَةُ الْعَدُوِّ :

وَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُمْ ، فَنَدَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْرِعًا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمَنَافِقِينَ لَمْ يَخْرُجُوا فِي غَرَّةٍ قُطُّ مُثْلَهَا ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ زَيْدُ بْنَ حَارِثَةَ ، وَقَادُوا الْخَيْلَ : عَشْرَةَ الْمَهَاجِرِينَ ، وَعَشْرِينَ لِلْأَنْصَارِ ، وَخَرَجَتْ عَائِشَةَ وَأُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَبَلَغَ

استخلاف زيد بن حارثة على المدينة المنورة

حاملاً الراية
شعار المسلمين

الحارثَ ومن معه مسيره عليه الصَّلاة والسَّلام ، فسيء بذلك الخبر هو ومن معه ، وخفوا خوفاً شديداً ، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب الذين جمعهم الحارث من غير قومه ، ووصل عليه الصَّلاة والسَّلام إلى المُرَيْسِيع ، وصفَّ أصحابه ، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر ، وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة ، فتراموا بالنَّبل ساعة ، وكان شعار المسلمين (يا منصور ؛ أمت أمت) ثمْ أمر عليه الصَّلاة والسَّلام أصحابه ، فحملوا حملة رجل واحد ، فما أفلت منهم إنسان ، كما قال الناظم .

(لم ينفلت منهم) أي : لم يخلص من بني المصطلق (أنيس) بالتكبير ؛ أي : أحد ، قال في «المختار» : (الأنيس : المؤانس ، وكل ما يؤنس به ، وما بالدار أنيس : أحد) .

(وسبا) أي : ملك عليه الصَّلاة والسَّلام (غير رجال عشرة) وهم النساء والصبيان .

قال في «شرح المواهب» : (قال البرهان : لم يذكر عدتهم ، وقال بعض شيوخي : كانت الأسرى أكثر من سبع مئة ، فطلبتهم منه جويرية ليلة دخوله بها فوهبهم لها ، ولم يقتل من المسلمين إلَّا رجل واحد ، هو هشام بن صُبَابَة^(١) ،

(١) بصاد مهملة مضمومة فموحدة مخففة ، أصحابه أنصار يقال له : أوس ، من رهط عبادة بن الصامت ، قتله خطأً وهو يرى أنه من المشركين .

وساق من الإبل ألفي بعير ، ومن الشاة خمسة آلاف شاة ») كما
قاله الزرقاني عن ابن سعد .

وأَمَّا العشرة من الرجال .. فـ (قد نهَبَا) ، بألف الإطلاق
مبنياً للفاعل (أَعْمَارَهُمْ) أي : قتلهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؛ أي : قتلهم أصحابه الكرام .

(وسُبَيْتُ) بالبناء للمفعول ؛ أي : أخذت في السبي أُمَّنا
(جُوَيْرِيَةُ) بنت رئيس بنى المصطلق : الحارث بن
أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة ، وجذيمة هو
المصطلق من خزاعة ، كما في « الروض الأنف » وكانت قبل
أن تسبى عند مُسَافِعٍ بن صفوان الخزاعي المقتول كافراً يوم
المرىسيع كما جزم به ابن أبي خيثمة والواقدي ، ونقله عنهما
الزرقاني في « شرحه للمواهب » وكان اسمها بَرَّةٌ ، فسماها
صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُوَيْرِيَةٌ ؛ كره أن يقال : خرج من عند بَرَّةَ .

وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس ، ثم جاءت
رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعين به في كتابتها ، قالت
عائشة رضي الله عنها : وكانت امرأة حلوة ملائحة^(١) ، فوالله ؛
ما هو إلَّا أن رأيتها على باب حجرتي .. فكرهتها ، وفي قول
عائشة ذلك بيان ما كان عليه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
من الغيرة عليه ، والعلم بمواقع الجمال منه^(٢) ، فلما طلبت

(١) بفتح الميم وتشديد اللام ؛ أي : بارعة الجمال ، وهذا البناء للمبالغة في الملاحة .

(٢) من ذلك : أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَطَبَ امْرَأَةً فَأَرْسَلَ عَائِشَةَ لِتَنْظَرَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا رَجَعَتْ =

.....
منه أن يعينها على كتابتها.. قال لها عليه الصَّلاة والسَّلام :
« هل لك في خير من ذلك ؟ أن أقضي عنك كتابتك وأعتقك ،
ثم أتزوجك » فرضيت ، فاشتراها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وأعتقها فتزوجها .

بركتها على قومها :

(ووهب) صلى الله عليه وسلم (السبي لها) أي :
لジョيرية ، لما طلبته منه ليلة دخوله بها (لِتَدْرِيَة^(١)) أي :
لتعلمَ جويرية بِإِجَابَة طلبها مكانتها عنده صلى الله عليه وسلم .
قال الزرقاني : (ولا يشكل بما رواه ابن إسحاق وغيره من
حديث عائشة ، قالت : وخرج الخبر إلى الناس أَنَّه صلى الله
عليه وسلم قد تزوج جويرية ، فقال الناس : أصهار رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بِأَيْدِيهِم ، قالت : فلقد أعتق
بتزويجها مئة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت
أعظم بركة على قومها منها ؟ لأنَّ طلبها إِيَّاهُم منه ، وكونه
وهيهم لها.. لا يمنع كون المسلمين حين سمعوا أَنَّه تزوجها
أطلقوا الأسرى ، فكان ذلك زيادة إكرام من الله لنبيه ؛ حتى

إليه.. قالت : ما رأيت طائلاً ؟ قال : « بلى ، لقد رأيت خالاً في خدها اشعرت منه كل
شعرة في جسدي » اهـ

(١) والهاء في (تدريه) هاء السكت ، وإنما قلت ذلك مخالفًا لصاحب « روض النهاة » في أَنَّ
الصيغة خطاب لمذكر ؛ حرصاً على عدم حمل كلام الناظم على الحشو ؛ فإنه يقل في نظمها
كما ترى ، والله أعلم .

.....
لا يسأل أحداً منهم في ذلك شيء ، أو مجاناً ؛ أي : بلا
بدل) اهـ

وأشار سيدى غالى فى «نظم الأمهات» إلى قصة جويرية
هذه ، وإلى اجتماعها في النسب مع سيد البشر صلى الله عليه
وسلم ما اتصلت عين بنظر ، وإلى أنَّ والدتها الحارث صحابي
: بقوله :

وَمَنْ بَنْيَ مُضْطَلِقٍ جُوَيْرَيْهُ
أَبْرَكُ عَرْسٍ أَمْنَا الْحُرَزَاعِيَّهُ
نَالَ بَهَا عَشِيرُهَا إِذْ أَسْرُوا
مَا لَمْ يَنْلِهِ بِالنِّسَاءِ مَعْشَرُ
إِذْ أَعْتَقُوا وَهُمْ زُهَاءُ مَئَهُ
بَيْتٌ مِّنْ اسْتِرْقَاقٍ أَهْلُ الْمَلَهُ
وَهِيَ بَنْتُ حَارَثَ نَجْلُ أَبِي
ضِرَارِ الْقَائِدِ صَاحِبِ النَّبِيِّ
يَجْمِعُهَا مَعَ الْبَيِّنِ الْهَادِيِّ

جَدَهُمَا إِلِيَّاسُ ذُو الْأَيَادِيِّ
وَتَوْفَيْتَ أَمْنَا جَوَيْرَيَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَنَةُ خَمْسِينَ مِنَ
الْهِجْرَةِ ، وَقِيلَ : سَنَةُ سَتِ وَخَمْسِينَ ، كَمَا حَكَاهُ فِي
«الإِصَابَةِ» عَنِ الْوَاقِدِيِّ ، قَالَ : (وَصَلَّى عَلَيْهَا مُرْوَانٌ) .

وَغَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَدِينَةِ ثَمَانِيَّهُ
وَعَشْرِينَ يَوْمًا ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ لِهِلَالِ رَمَضَانَ .

وفاة أم المؤمنين
جويرية رضي الله عنها

إسلام الحارث وبني المصطلق :

(وأسلموا) أي : بنو المصطلق (بعد) أي : بعد أن أسرروا ، وأعتقوا ؛ لمصاورة النبي صلى الله عليه وسلم .

سبب إسلام الحارث
بن ضرار

وأسلم الحارث بن أبي ضرار ، وسبب إسلامه : ما ذكره الحافظ عن ابن إسحاق في « المغازي » : (أن الحارث جاء إلى المدينة ومعه فداء ابنته بعد أن أسرت ، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان بالعقبق .. نظر إلى الإبل ، فرغب في بعيرين منها ، فغيّبها في شعب من شعابه ، ثم جاء فقال : يا محمد ؛ هذا فداء ابنتي ، فقال : « فأين البعيران اللذان غيّبتهما بالعقبق في شعب كذا وكذا ؟ » فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما اطلع على ذلك إلا الله ، قال : فأسلم ، وأسلم معه ابنيان له وناس من قومه رضي الله عنهم ، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن إسلامها) .

قصة الوليد بن عقبة ونزول الآية فيها :

(وفي من فُسْقَا) بالبناء للمفعول ، وألفه للإطلاق ، وهو بتضييف العين ؛ أي : فسقه الله تعالى ، و(من) الموصولة واقعة على الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، والجار والمجرور يتعلق بقوله بعد : (أُنْزِل) .

(أرسله الهادي) صلى الله عليه وسلم ، حال من نائب فاعل فُسقٌ (لهم) أي : لبني المصطلق (مصدقاً) بكسر الدال المشددة ؛ أي : آخذآ الصدقة .

وقوله : (﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾) مبتدأ على إرادة اللفظ أو الآية ، خبره جملة (أنزل) ، نظيره : « لا حول ولا قوة إلا بالله كنر من كنوز الجنة » يعني : أنَّ في الوليد المذكور الذي فسقه الله تعالى في الآية حال كونه مرسلاً من قبل النبي صلى الله عليه وسلم لبني المصطلق ليأخذ الصدقة .. أُنزلت وهي : (﴿يَتَأَبَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ يُنَبِّئُ فَتَبَيَّنُوا﴾) .

قال اليعمري في « العيون » : (ثمَّ بعد ذلك بأزيدَ من عامين ، بعث إليهم الوليد بن عقبة مُصدقاً ، فخرجوا للقاء ، فتوهُمْ أنَّهم خرجوا لمقاتلته ، ففرَّ راجعاً ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بظنه ، فهمَّ عليه الصلاة والسلام بقتالهم ، فأنزل الله تعالى : (﴿يَتَأَبَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ يُنَبِّئُ فَتَبَيَّنُوا﴾ الآية والتي بعدها) .

وقال ابن إسحاق : (حدَّثَنِي يزيد بن رومان : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فلماً سمعوا به .. ركبوا إليه ، فلماً سمع بهم .. هابهم ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أنَّ القوم قد همُوا بقتله ، ومنعوه ما قبلَهم من صدقتهم ، فأكثر المسلمين في ذكر غزوهم ، حتى همَّ

رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم .

قدوم وفدبني المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فبيناهم على ذلك . . قدم وفهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ؟ سمعنا برسولك حين بعثه إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنّا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ؟ ما جئنا بذلك ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ يُنَبِّئُ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصْبِيُوهُ قَوْمًا بِمَا يَهْلِكُهُمْ فَتُنَصِّبُهُمْ عَلَىٰ مَا فَعَلُوكُمْ نَدِيمَنَ وَأَعْلَمُوهُمْ أَنَّ فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُوكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعِنْتُمْ وَلَكُنَّ اللَّهَ حَبَّ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَرَبَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفَّارُ وَالْفَسُوقُ وَالْعَصَيَانُ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِيدُونَ فَضَلَّا مِنَ اللَّهِ وَنَعَمَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

قال الحافظ ابن عبد البر في « الإستيعاب » : (ولا خلاف بين أهل العلم بالتأويل للقرآن فيما علمت أنَّ قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ يُنَبِّئُ﴾ نزلت في الوليد بن عقبة وذكر البعث . .) إلخ .

(وهم) تفسير للضمير المجرور في قوله : (أرسله الهادي لهم) (خزاعة) يعني : أنَّ بني المصطلق من خزاعة ؛ فإنَّ بني المصطلق هم بنو جذيمة ، و (مصطلق جدّ لهم) .

قال في « المواهب » : (والمصطلق : لقب ، واسمه : جذيمة بن سعد بن عمر ، بطن من بني خزاعة) .

وَأَفْرَزَتْ رِيحُ خِيَارِ الْيَاتِ
فَوَجَدُوا كَهْفَ الْمُنَافِقِينَ رِفَاعَةً يَوْمَئِذٍ دَفِينَا

موت رفاعة بن زيد كهف المنافقين :

ثم أشار الناظم إلى حادثة وقعت في اليوم الثاني من يوم الواردة الآتي ذكرها فقال :

(وأفرزت) أي : خَوَفت (ريح) شديدة ، ومفعول (أفرعت) قوله : (خيار اليات) لغة في الناس ، وخيارهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تخافوها ، فإنما هبَتْ لموت عظيم من عظماء الكفار » وهو معنى قوله : (لا باس) أي : عليكم (بموت عات) بالإضافة : متجاوز للحد متكبر .

(ف) لَمَّا قَدَمُوا الْمَدِينَةِ . . (وَجَدُوا كَهْفَ الْمُنَافِقِينَ) أي : ملجأهم ، وأبدل من الكهف قوله : (رفاعة) وهو ابن زيد بن التابوت ، أحد بنى قينقاع ، وكان عظيماً من عظماء اليهود ، وكهفاً للمنافقين (يومئذٍ دفينا) أي : وجدوه يوم قدوهم المدينة مدفوناً ، ولو أَخْرَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ عن حادثة الواردة.. لكان أولى ، كما صنعه صاحب الأصل الحافظ الْيَعْمَرِي في « سيرته » وكذا غيره .

استدراك الشارح

معظم المنافقين كان من الشيوخ :

قال في « روض النهاة » : (ومن كان معه - أي : رفاعة - على النفاق من أخبار يهود من بنى قينقاع ؛ سعد بن حنيف ،

ونعمان بن أوفى بن عمرو ، وأخوه عثمان ، وزيد بن اللصيت ، ولم ينافق شباب من اليهود ومن الأنصار إلَّا قيس بن عمر بن سهيل بن التجار) وذلك قوله رحمة الله تعالى : (وهو) أي : الشأن ، أو ضمير مبتدأ يفسره ما بعده ؛ أي : (النفاق) خبره قوله : (في الشيوخ) جمع شيخ ، وهو : من طعن في السن (لا) في (الشباب) جمع شاب (والخير كل الخير) أي : جميعه (في عصر) أي : في مدة (الشباب) يعني : في مدة حداثة السن ، فلا إيطاء ، وإنما كان الخير كله في عصر شباب الإنسان وفتنته ؛ لأنَّه الوقت الذي إذا قابل الخير فيه وهو على استعداد القابلية دخل قلبه ، فتمكن فيه ، كما قال بعضهم :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

صادف قلباً خالياً فتمكنا

فمن أجل ذلك أتى الناظم بالقضية المسورة بـ (كل) واعتبر ما قاله في هذه الغزوة من عمل ابن أبي ، وهو ممَّن بلغ سن الشيخوخة وقد باء بالنفاق ، ونزل إلى الدركات ، ومن عمل ابنه الشاب المؤمن المخلص وقد تبوا بحبوحة الإيمان ، وجلس على عرشه ، حتى كان حرباً على من تأبى على بيبة الإسلام يريد أن يصدعها ولو كان والده ، كما سيأتي خبره

معه .

نماذج رفيعة من
شباب الصحابة رضي
الله عنهم

زيد بن أرقم

وكذلك زيد بن أرقم ، وهو رضي الله عنه من قوم ذلك

المنافق ، لكن بيانه في الإخلاص والأدب مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وَكَثِيرٌ مِنَ الشَّابِّ مِنْ أُولَئِكَ الصَّحْبِ الْكَرَامِ عَلَى هَذَا
الْخَيْرِ ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ هَذَا الطَّرَازِ الْمَبَارَكِ .

وَإِنَّمَا قُلْتُ : عَلَى اسْتَعْدَادِ الْقَابِلِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَلَى فَسَادِ
فِي الْاسْتَعْدَادِ ، فَلَا شَيْءٌ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ ، كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ فِي
أَفْرَادٍ مِنَ الشَّابِّ ، ذَهَبُوا بِشَبَابِهِمُ النَّضِيرِ مُذَهِّبِ الْلَّهُو وَالْغَرُورِ
وَالْهَوِيِّ ، وَلَا وَازْعٌ وَلَا زَاجِرٌ ، وَلَا يَسْعُنَا إِلَّا أَنْ نَتَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى بِأَنْ يَهْدِيَهُمْ ، وَيَدْخُلُهُمْ فِي حَظِيرَةِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالْهَدَى
النَّبَوِيِّ ؛ حَتَّى يَكُونُوا عَدَةٌ قَوِيمَةٌ قَوِيمَةٌ عَلَى الْمُلْحِدِينَ أَعْدَاءِ
الدِّينِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ .

قابلية الشباب للخير

نُورَةُ جَاهِلِيَّةٍ لِجَهْجَاهِ الْغَفَارِيِّ وَسَنَانِ الْجَهْنَمِ :

(وَ) لَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِبَنِي الْمَصْطَلِقِ ،
وَلَقِيَهُمْ عَلَى مَاءِ الْمَرِيسيِّعِ ، وَأَسْفَرَتِ الْغَرَّةُ عَنِ نَصْرِ
الْمُسْلِمِينَ .. (وَرَدَتْ وَارِدَةُ الْعَرَمْرَمِ) بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ
وَالرَّاءِينَ ، بَيْنَهُمَا مَيْمَنَةٌ سَاكِنَةٌ ؛ أَيِّ : الْجَيْشُ ، وَالْوَارِدَةُ :
الْقَوْمُ يَرْدُونَ الْمَاءَ (فَ) بَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ (فَافْتَنَ) وَاقْتُلُونَ
(الْوَارِدَ) أَيِّ : الْوَارِدُونَ (فِي الْمَزْدَحِ) أَيِّ : مَوْضِعُ الزَّحَامِ
عَلَى الْمَاءِ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَجِيرًا لِعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْ بَنِي غَفارٍ
يُقَالُ لَهُ : جَهْجَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ جَاءَ يَقُودُ فَرْسَهُ ، فَازْدَحَمَ مَعَ
سَنَانَ بْنَ وَبَرَةَ الْجَهْنَمِيِّ فَاقْتُلَ .

فَاسْتَصْرَخَ الْأَنْصَارَ فَارِطٌ لَهُمْ
لَطَمَهُ مَنْ نَالَهُ مَعْرُوفُهُمْ
وَاسْتَصْرَخَ الْمُهَاجِرِينَ اللَّهُ كَسْرٌ
عَصَا الْبَيْنِ جَهْجَاهٌ عَامِلٌ عُمَرٌ

(فاستصرخ) واستغاث (الأنصار) مفعول لاستصرخ ،
مقدم على فاعله الذي هو (فارط) أي : مقدم (لهم) أي :
لأنصار ، وهو الجهني ، فقال : يا معاشر الأنصار ، وذلك أنه
(لطمه) أي : ضربه بكفه مبسوطة (من) أي : الذي (ناله)
وأصحابه (معروفهم) هو ضد المنكر ، وضميره لأنصار ،
وهذه الجملة من كلام عبد الله بن أبي رئيس المنافقين كقوله
وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم : (أَوْقَدْ فَعَلُوهَا ؟ !
قد نافرُونَا وَكَثُرُونَا فِي بَلَادِنَا ، وَاللَّهُ ؛ مَا أَعْدُنَا وَجْلَابِيبَ⁽¹⁾
قُرْيَشٍ هَذِهِ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأُولُونَ : سَمِّنْ كَلْبَكَ .. يَأْكُلُكَ) .

(واستصرخ المهاجرين اللَّهُ) أي : الذي (كسر عصا
النبي) صلى الله عليه وسلم بركته ، وكانت في يد سيدنا عثمان
رضي الله تعالى عنه يخطب بها ؛ إذ كان أحد المعينين على
قتله ، وأبدل من الموصول قوله : (جهجاه) بن مسعود بن
سعد بن حرام (عامل عمر) وأجيشه فقال مستغيثاً :
يا للمهاجرين ، فلما سمعها النبي صلى الله عليه وسلم ..
قال : « دعوها ؛ فإنها مُتّنَةٌ » قال السهيلي في « الروض » :
(يعني : أنها كلمة خبيثة ؛ لأنّها من دعوى الجاهلية ، وجعل
الله المؤمنين إخوة وحزباً واحداً ؛ فإنّما ينبغي أن تكون
الدعوى : يا للمسلمين .

(1) الجلابيب : الغرباء .

وَقَالَ فِيهَا أَبْنُ أَبِيٍّ مُنْكَرًا وَعَاهُ زَيْدٌ مُوقِنًا وَمَا أُمْتَرَى

الحكم الشرعي فيمن
دعا بدعوى الجاهلية
في الإسلام

فمن دعا في الإسلام بدعوى الجاهلية . . فيتوجه للفقهاء
فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يُجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين
سوطاً ، اقتداءً بأبي موسى الأشعري رضي الله عنه في جلده
النابغة الجعدي خمسين سوطاً حين سمع : يا لعامر ، فأقبل
يشتد بعصبة له .

والقول الثاني : أن فيها الجلد دون العشرة ؛ لننهيه عليه
الصلوة والسلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلّا في حد .

والقول الثالث : اجتهاد الإمام في ذلك على حسب ما يراه
من الذريعة وإغلاق باب الشر : إما بالوعيد ، وإما بالسّجن ،
وإما بالجلد .

فإن قيل : إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعَاقِبِ الرِّجَلِينَ
حِينَ دَعَوْا بِهَا . . قَلْنَا : قَدْ قَالَ : « دَعُوهَا ؛ فَإِنَّهَا مُنْتَهَى » فَقَدْ
أَكَدَ النَّهْيَ ، فَمَنْ عَادَ إِلَيْهَا بَعْدَ هَذَا النَّهْيِ ، وَبَعْدَ وَصْفِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا بِالْإِنْتَنَانِ . . وَجَبَ أَنْ يُؤَدِّبَ حَتَّى
يَشْمَنْ تَنَّهَا كَمَا فَعَلَ أَبُو مُوسَى بِالْجَعْدِيِّ ، فَلَا مَعْنَى لِتَنَّهَا إلَّا
سُوءُ الْعَاقِبَةِ فِيهَا وَالْعَقُوبَةِ عَلَيْهَا) .

قول منكر لرأس المنافقين ، وما نزل فيه من القرآن :
(وقال فيها) أي : في الواردة عبد الله (بنُ أَبِي) رئيس
المنافقين قوله (منكراً) وهو قوله - وقد غضب من مقالة

المهاجري - : (أَوْقَدْ فَعَلُوهَا ؟ قَدْ نَافَرُونَا ، وَكَاثِرُونَا فِي بَلَادِنَا ، وَاللَّهُ مَا أَعْدَنَا وَجْلَابِيبَ قُرَيْشٍ هَذِهِ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوْلُ : سَمِّنْ كَلْبَكَ .. يَأْكُلُكَ ، أَمَا وَاللَّهُ ؟ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ .. لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْزَمَ مِنْهَا الْأَذْلَمَ) ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مِنْ حَضْرَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ : (هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنفُسِكُمْ ، أَحْلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ ، أَمَا وَاللَّهُ ؟ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ .. ، لَتَحْلُولُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ) .

إِعْلَام زَيْدَ بْنِ أَرْقَمِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَقَالِ رَأْسِ الْمَنَافِقِ :

فَعِنْدَ ذَلِكَ (وَعَاهْ) أَيْ : حَفْظُهُ (زَيْدٌ) هُوَ ابْنُ أَرْقَمِ الْخَزْرَجِيِّ ، حَالَ كَوْنَهُ (مُؤْقَنًا وَمَا امْتَرَى) أَيْ : وَمَا شَكَ ، تَأْكِيدٌ فِي الْمَعْنَى لِمَا قَبْلَهُ ، فَمَشَى زَيْدٌ بِذَلِكَ الْمَقَالِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَمَا فَرَغَ مِنْ عَدْوَهُ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ وَعِنْهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : مُرْ بِهِ عَبَادُ بْنُ بَشَرَ فَلِيَقْتُلَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَكَيْفَ يَا عَمِّ إِذَا تَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يُقْتَلُ أَصْحَابَهُ ؟ لَا وَلَكُنْ أَذْنَ بِالرِّحْيلِ » وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَحِلُ فِيهَا ، فَارْتَحَلَ النَّاسُ .

حَلْفُ رَأْسِ الْمَنَافِقِينَ بِاللَّهِ كَذِبًا :

(و) قَدْ مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلْوَلِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ زَيْدًا قَدْ بَلَّغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ ، فَ(حَلْفُ الْفَاجِرِ) بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (مَا قَالَ الْمَقَالُ) وَلَا تَكَلَّمْ بِهِ

(وصَدَّقَهُ لِلْمَكَانَةِ) وَالْمَنْزَلَةِ - فَإِنَّهُ كَانَ فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا -
(رَجَالٌ) مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ عَسَى أَنْ يَكُونَ
الْغَلامُ قَدْ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَ الرَّجُلُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : (فَلَمَّا اسْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَسَارَ . . لَقِيَهُ أَسِيدُ بْنُ الْحُضَيْرِ ، فَحِيَاهُ بِتَحْيَةِ النَّبُوَّةِ ،
وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ وَاللَّهُ ؟ لَقَدْ رُحْتَ فِي سَاعَةٍ
مُنْكَرَةٍ مَا كُنْتَ تَرُوحُ فِي مُثْلِهَا ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوَّلَمْ بَلَغْكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ ؟ » قَالَ : وَأَيِّ
صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيِّ » قَالَ :
وَمَا قَالَ ؟ قَالَ : « زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ . . أَخْرَجَ الْأَعْزَرُ
مِنْهَا الْأَذْلَّ » قَالَ : فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهُ تَخْرُجُهُ مِنْهَا إِنْ
شَتَّى ، هُوَ وَاللَّهُ الدَّلِيلُ ، وَأَنْتَ الْعَزِيزُ ، ثُمَّ قَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ارْفُقْ بِهِ ، فَوَاللَّهِ ؛ لَقَدْ جَاءَنَا اللَّهُ بَكَ وَإِنَّ قَوْمَهُ
لَيَنْظِمُونَ لَهُ الْخَرْزَ لِيَتَوَجُّوْهُ ؛ فَإِنَّهُ لَيَرِى أَنَّكَ اسْتَلْبَتَهُ مُلْكًا .

ثُمَّ مَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ
حَتَّى أَمْسَى ، وَلِيَلِتُهُمْ حَتَّى أَصْبَحُ ، وَصَدَرْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى
آذَتْهُمُ الشَّمْسُ ، ثُمَّ نَزَلَ بِالنَّاسِ ، فَلَمْ يَلْبِسُوا أَنْ وَجَدُوا مَسَّ
الْأَرْضَ ، فَوَقَعُوا نِيَاماً ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِيُشْغِلَ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ
حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيِّ ، أَخْزَاهُ اللَّهُ وَأَذْلَهُ) .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ لِئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَا
وَعَرَكَ النَّبِيُّ أُذْنَ الْوَاعِي
زَيْدٌ بْنُ أَرْقَمٍ ذِي الْإِسْتِمَاعِ
أَنْ شَهَدَ اللَّهُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ
بِالْكَذِبِ الْمُخْضِ وَأَوْلَاهُ الْيَقِينَ

تصديق القرآن زيد بن أرقم :

(فَأَنْزَلَ اللَّهُ : لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَا) بِأَلْفِ
الِّإِطْلَاقِ لِلْوَزْنِ ، يَعْنِي : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ)
فِيهَا تَصْدِيقٌ لِرِيزْدَ بْنِ أَرْقَمَ : « يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ
لَيُخْرِجَنَّ الْأَعْزَمَهَا أَلَذَّلَ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ » ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « هَذَا
الَّذِي أَوْفَى اللَّهُ بِأَذْنِهِ » وَأَشَارَ لِهِ النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ : (وَعَرَكَ)
الَّذِي (النَّبِيُّ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أُذْنُ الْوَاعِي) أَيِّ :
الْحَافِظُ ، وَأَبْدَلَ مِنْهُ قَوْلَهُ : (زَيْدٌ بْنُ أَرْقَمٍ ذِي) أَيِّ : صَاحِبُ
(الْإِسْتِمَاعِ) لِلْخَبَرِ الْمَذْكُورِ مِنْ رَئِيسِ الْمُنَافِقِينَ (أَنْ) أَيِّ :
لِأَجْلِ (أَنْ شَهَدَ اللَّهُ) تَعَالَى (عَلَى الْمُنَافِقِينَ بِالْكَذِبِ الْمُخْضِ)
أَيِّ : الْخَالِصُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَذِبُونَ » (وَأَوْلَاهُ) أَيِّ : وَأَعْطَى اللَّهُ تَعَالَى زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ
(الْيَقِينَ) وَالْتَّحْقِيقَ فِي نَقْلِ خَبْرِ ابْنِ أَبِيِّ .

قَالَ الْبَرَهَانُ الْحَلَبِيُّ فِي « إِنْسَانُ الْعَيْنَ » : (عَنْ زَيْدِ بْنِ
أَرْقَمِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ تَأْخِذُهُ الْبُرْحَاءُ ، وَيَعْرَقُ جَبِينَهُ الشَّرِيفِ ، وَتَثْقِلُ بَهُ
رَاحْلَتَهُ ، فَقَلَّتْ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوْحَى
إِلَيْهِ ، وَرَجُوتُ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ تَصْدِيقِي ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ

أول مشاهد زيد بن
أرقم رضي الله عنه
وفاته

صلى الله عليه وسلم . . أخذ بأذني وأنا على راحتي يرفعها إلى السماء ، حتى ارتفعت عن مقعدي وهو يقول : « وعَتْ أُذْنَكِ يَا غَلَام ، وَصَدَقَ اللَّهُ حَدِيثَك ، وَكَذَّبَ الْمُنَافِقِينَ » وفي رواية : « هُذَا الَّذِي أَوْفَى اللَّهُ بِأُذْنِهِ » ونزل : « وَعَيَّهَا أُذْنَ وَعِيَّةً » فكان يقال لزيد بن أرقم رضي الله عنه : (ذو الأذن الوعية) .

وسيلنا زيد المذكور أنصاري ، خزرجي ، قيل : أول مشاهده هذه الغزوة ، وشهد ما بعدها ، وشهد صفينا - كسبجين - مع سيدنا علي رضي الله عنه ، وتوفي بالكوفة سنة ثمان وستين .

وذكر الإمام النووي في « تهذيبه » : أنه استصغر يوم أحد ، وكان يتيمًا في حجر ابن رواحة رضي الله عنه ، وسار معه في غزوة مؤتة .

طلب عبد الله بن رئيس المنافقين تولي قتل أبيه بنفسه :

ولما بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه . . أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؟ إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت لا بد فاعلاً . . فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا ، فوالله ؛ لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبى بوالده مني ، وإنّي أخشى يا رسول الله أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس . . فاقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل نترفق به ، ونحسن صحبته ما بقي معنا ». .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث .. كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنفونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : « كيف ترى يا عمر ؟ أمّا والله ؛ لو قتلتة يوم قلت لي اقتله .. لأُرْعِدَتْ له آنفُكَ لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » قال : قال عمر : قد والله علمت لأمْر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أعظم بركة من أمري .

قال السهيلي : (وفي هذا العلم العظيم ، والبرهان المنير من أعلام النبوة ؛ فإنَّ العرب كانت أشد خلق الله حمية وعصباً ، فبلغ الإيمان منهم ، ونور اليقين من قلوبهم إلى أن يرحب الرجل منهم في قتل أبيه وولده ؛ تقرباً إلى الله وتزلفاً إلى رسوله ، مع أنَّ رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام أبعد الناس نسبياً منهم ، وما تأخر إسلام قومه ويني عمه وسبق إلى الإيمان به الأبعد .. إلَّا لحكمة عظيمة ؛ إذ لو بادر أهله وأقربوه إلى الإيمان به .. لقليل : قوم أرادوا الفخر برجل منهم وعصبوا له ، فلما بادر إليه الأبعد ، وقاتلوا على حبه من كان منهم أو من غيرهم .. علم أنَّ ذلك عن بصيرة صادقة ، ويفين قد تغلغل في قلوبهم ، ورعبه من الله أزالت صفة قد كانت سدِّكتْ في نفوسهم من أخلاق الجاهلية ، لا يستطيع إزالتها إلَّا الذي فطر الفطرة الأولى ، وهو القادر على ما يشاء) .

وأماماً عبد الله بن عبد الله : فكان من كتّاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان اسمه حباب ، وبه كان يكنى أبوه ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، رضي الله عنه .

وروى الدارقطني مسندأ : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى جَمَاعَةٍ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ أَبِيِّ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ وَلَى ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَقَدْ عَنَا إِبْنَ أَبِي كَبِشَةَ فِي هَذِهِ الْبَلَادِ ، فَسَمِعَهَا ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، فَاسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَنْ يَأْتِيهِ بِرَأْسِ أَبِيهِ ، فَقَالَ : « لَا ، وَلَكَ بَرَّ أَبَاكَ » .

وسيدنا عبد الله هذا كان ممَّن شهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد ، ذكره الحافظ في « الإصابة » وأنَّه استشهد باليمامنة في قتال أهل الردة سنة اثنتي عشرة .

وفي قصته هذه ما يدل على عظيم إيمانه ، وقوة محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قيل : نزل فيه وفي أمثاله من الصحابة الأجلاء قول الله عزَّ وجلَّ : « لَا يَحْدُثُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَئِكَ كَانُوا إِبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْ لَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ أَلِيمَنَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مَّنِّهِ » الآية .

وفيها تمجيد وتعديل من الله تعالى لأولئك الصحابة ، وثناء من قبله تعالى عليهم ، وأنَّ محبتيهم له ولرسوله بلغت بهم ذلك المدى وتلك التضحية ، وأنَّه كتب الله في قلوبهم الإيمان ، وأنَّه أثبته وأيَّدهم ، وقواهم بروح منه هو النور ،

مدلوارات موقف
عبد الله بن عبد الله بن
أبي ابن سلول رضي
الله عنه من أبيه رئيس
المناقفين

وَالْأَلْفُكُ فِي قُولِهِمْ وَنُقِلَّا
أَنَّ الْتَّيْمَمَ بِهَا قَذْ أُنْزِلَ

والإيمان ، والهدى ، ووعدهم الوعد الجميل بما لهم في الآخرة من الفضل الجزيل ، جمعنا الله بهم في مستقر رحمته بكرمه ومنه ، آمين .

حديث الإفك وتربيتة الله للسيدة عائشة الصديقة :

(والإفك) بكسر الهمزة ، وسكون الفاء في اللغة المشهورة ، وبفتحهما معاً ، هو الكذب ، ومراده أنَّ قصة الإفك على أمنا الصديقة ، المبرأة من رب البرية ، كان (في قولهم) بضم القاف أي : رجوعهم من هذه الغزوة .

وحدث الإفك اتفق عليه الشیخان ، قال العلامة الفقيه عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري في «البهجة» : (وألفاظهم فيه متقاربة ، وقد كفاناها أبو عبد الله الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» له ، فرواه عنهما من حديث الزهري عن عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص الليثي ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، من حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا .

قال الزهري : وكلهم حدثني طائفه من حديثها ، وبعضهم كان أوعى له من بعض ، وأثبتت له اقتصاصاً ، وقد وَعَيْتُ عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة ، وبعض حديثهم يصدق بعضاً ، قالوا :

قالت عائشة : كان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا . أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ ، فَأَيْتُهُمْ خَرْجَ سَهْمَهَا . . خَرْجَ بَهَا مَعَهُ .

قالت : فأقرع بيتنا في غزاة غزاهما ، فخرج فيها سهمي ، فخرجت معه بعد أن أنزل الحجاب ، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه ، فسرنا ، حتى إذا فرغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوه تلك وَقَفَلَ ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافْلِينَ . . آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت من شأني . . أقبلت إلى الرحل ، فلمست صدري ، فإذا عقد لي من جَزْعٍ ظَفَارٍ^(١) قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي ، فحبسني ابغاوه .

قالت : وأقبل الرهط الذين كانوا يَرْحَلُونَ بِي ، فاحتملوا هودجي ، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكِبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذَا ذَاكَ خَفَافًا لَمْ يَتَقْلُنْ - وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : لَمْ يُهَبَّلُنْ - وَلَمْ يُغَشَّهُنَّ الْلَّحْمُ ، إِنَّمَا يَأْكُلُنَّ الْعُلْقَةَ^(٢) مِنَ الطَّعَامِ ، فَلَمْ يَسْتَنِكِرِ الْقَوْمُ ثَقْلَ الْهُودُجِ حِينَ رَفْعَوْهُ - وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : خَفَةُ الْهُودُجِ - فَاحْتَمَلُوهُ ، وَكَنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِ ، فَبَعْثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا ، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ ، فَجَئْتُ مَنْزِلَهُمْ ، وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ ، - وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : فَجَئْتُ

(١) الجزع : الخرز ، وظفار مدينة باليمن قرب صنعاء .

(٢) ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء .

منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب - فتيممت منزلتي الذي
كنت به ، وظنت أنَّهم سيفقدونني فيرجعون إلىَّ .

فبينما أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت ، وكان صفوان بن
المعطل السُّلَمِي ، ثُمَّ الدَّكَوَانِي ، قد عرَّسَ من وراء الجيش ،
فأَدْلَجَ^(١) ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأَتَانِي
فعرفني حين رأني - وكان يراني قبل الحجاب - فاستيقظت
باسترجاعه^(٢) حين عرفني ، فَخَمَرَتْ وجهي بجلبابي ، والله
ما يكلمني بكلمة ، ولا أُكلمه ، وما سمعت منه كلمة غير
استرجاعه ، وهوَى حتى أناخ راحلته فوْطَئَ على يدها ، فقامت
إليها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش
بعدما نزلوا مُعَرِّسِين - وفي رواية صالح بن كيسان وغيره :
مُوَغِّرين في نَحْرِ الظَّهِيرَة - قالت : فهَلَكَ من هَلَكَ في شَأْنِي ،
وكان الذي تولى كِبْرَه عبد الله بن أَبِي ابن سَلَول .

فقدمنا المدينة ، فاشتكيت بها شهراً ، والناس يفِضُّون في
قول أصحاب الإِلْفَكَ ولا أَشُعُّر ، ويرَبِّيني في وجعي أَنِّي لا أَرَى
من النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَطْفَلَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ
أَشْتَكَى ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فِي سَلْمٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : « كِيفَ تَيْكُمْ » ثُمَّ
يَنْصُرُفُ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَرِبِّينِي وَلَا أَشُعُّرُ بِالشَّرِّ ، حَتَّى نَفَهَتْ .

فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمِّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ ، وَهُوَ مُتَبَرَّزٌ ، وَكُنَا

(١) أَدْلَجَ - بتشديد الدال - : سار من آخر الليل ، وأَدْلَجَ - بالتحفيف - : سار من أوله .

(٢) قوله : إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

.....

لا نخرج إلَّا ليلاً ، وذلك قبل أن نتخد الْكُنْف قريباً من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرّز قبل الغائط ، وكنا نتأذى بالْكُنْف أن نتخدها عند بيوتنا ، فأقبلت أنا وأمِّي مِسْطح - وهي ابنة أبي رُهْم بن المَطَّلِب بن عبد مناف ، وأمِّها بنت صخر بن عامر ، خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مِسْطح بن أُثَاثة بن عباد بن المَطَّلِب - حين فرغنا من شأننا نمشي ، فعَرَّتْ أمِّي مِسْطح في مِرْطَهَا ، فقالت : تَعِسْ مِسْطح ، فقلت لها : بئس ما قلتِ ، أتسبّين رجلاً شهد بدرأً ، فقالت : يا هَنْتَاه ، ألم تسمعي ما قال ؟ قلت : وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإلْفَك ، فازدادت مِرْضاً على مرضي .

فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فسَلَّمَ ، وقال : « كيْف تَيْكُم ؟ » فقلت : أتأذن لي أَنْ آتِيَ أَبَوَيِّ قالَتْ : وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتِيقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِما فَأَذِنْ لي رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، فأتَيْتَ أَبَوَيِّ ، فقلت لآمِّي : يا أَمَّتَاه ؟ مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهِ ؟ فقلتْ : يا بُنْيَة ؛ هَوَنَيْ على نَفْسِكَ الشَّائَنَ ، فَوَاللهِ ؛ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضَيْئَةً عند رجل يَحْبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرٌ .. إلَّا أَكْثَرُنَّ عَلَيْهَا ، فقلتْ : سَبَحَانَ اللهِ ! وَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا ؟ قالتْ : فَبَكَيْتَ تَلَكَ اللَّيْلَةَ ، حَتَّى أَصْبَحْتَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ^(١) ، وَلَا أَكْتَحِلُ بَنَوْمًا ، فَدَعَا رسول الله صلَّى الله عليه وسلم عليَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ

(١) أي : لا ينقطع .

.....
وأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيَ؛ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فَرَاقِ أَهْلِهِ.

قَالَتْ : فَأَمَّا أُسَامَةُ .. فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوَدَّ لَهُمْ ، فَقَالَ أُسَامَةُ : هُمْ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا نَعْلَمُ بِهِمْ وَاللَّهُ إِلَّا خَيْرًا ، وَأَمَّا عَلَيَّ بَنِي أَبِي طَالِبٍ .. فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ لَمْ يَضِيقَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سُوَاهَا كَثِيرٌ ، وَسُلَّمَ الْجَارِيَةَ تَصْدُفُكَ ، قَالَتْ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةً ، فَقَالَ : « أَيْ بَرِيرَةٌ ؟ هَلْ رَأَيْتَ مِنْهَا شَيْئًا يَرِيكَ ؟ » فَقَالَتْ لَهُ بَرِيرَةً : لَا وَالَّذِي بَعْثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا ، إِنْ رَأَيْتَ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصْهُ^(١) عَلَيْهَا أَكْثَرُ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنْنِ ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا ، فَتَأْتِيَ الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ .

قَالَتْ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلَولٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ : « مَنْ يَعْذِرْنِي مِنْ رَجُلٍ^(٢) بِلْغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ؟ فَوَاللَّهِ ؛ مَا عَلِمْتُ فِي أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِيِّنًا » .

قَالَتْ : فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذَ أَحَدُ بْنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، فَقَالَ :

(١) أي : أعنيه .

(٢) أي : مَنْ يَقُولُ بِعَذْرِي إِذَا كَافَأْتَهُ عَلَى سُوءِ صَنْيِعِهِ .

يا رسول الله ؛ أنا والله أعذرك منه ، إن كان من الأوس ..
ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج .. أمرتنا ففعلنا فيه
أمرك .

فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج ، وكانت أم حسان
بنت عمه من فحذه ، وكان رجلاً صالحًا ، ولكن احتملته
الحمية - ومنهم من قال : اجتهلته الحمية - فقال لسعد بن
معاذ : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على ذلك .

فقام أسيد بن حضير ، وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال
لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لقتلته ، فإنك منافق تجادل
عن المنافقين ، فتباذر الحيّان : الأوس والخزرج ، حتى همّوا
أن يقتتلوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ،
فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهم حتى سكروا
وسكتوا .

قالت : وبكيت يومي ذلك ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل
بنوم ، ثمَّ بكيت ليلتي المقبلة ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل
بنوم ، فأصبح عندي أبوابي وقد بكيت ليلتين ويوماً ، حتى أظن
أنَّ البكاء فالقُ كبدي .

قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت
امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ، فبينما
نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلم ثمَّ
جلس ، قالت : ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل

قبلها ، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء ، فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أمّا بعد يا عائشة : فإنّه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيُرثك الله ، وإن كنت ألمّت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله .. تاب الله عليه .

قالت : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته ، فلَصَ دمعي حتى ما أحس قطرة ، فقلت لأبي : أجب عنّي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ، قال : والله ؛ ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأمّي : أجيبي عنّي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ، قالت أمّي : والله ؛ ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : وأنا جارية حديثة السن ، لا أقرأ كثيراً من القرآن ، فقلت : إنّي والله لقد علمت أنّكم سمعتم ما تحدث الناس به ، حتى استقرّ في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت : إنّي بريئة - والله يعلم إنّي بريئة - لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم إنّي منه بريئة - لتصدقوني ، فوالله ؛ ما أجد لي ولكم مثلاً إلّا أبا يوسف إذ قال : «فَصَبَرَ جَيْلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَنُ عَلَىٰ مَا تَصْفُونَ» .

قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، وأنا والله أعلم إنّي بريئة ، وأنّ الله مُبَرِّئي ببراءتي ، ولكن ما كنت أظن أنّ الله ينزل في شأني وحياً يُتّلّى ، ولشأنني في نفسي كان أحقر من

أن يتكلّم الله فيّ بأمر يُتّلّى - ومنهم من قال : فلأننا أحقر في
نفسنا من أن يتكلّم الله بالقرآن في أمري - ولكن كنت أرجو أن
يرى رسول الله صلّى الله عليه وسلم رُؤيا يُبَرِّئني الله بها ،
فوالله ؛ ما رام^(١) رسول الله صلّى الله عليه وسلم مجلّسه ،
ولا خرج أحد من أهل البيت ، حتى أنزل الله على نبّيّ صلّى الله
عليه وسلم ، فأخذ ما كان يأخذ من البرحاء ، حتى إنَّه
ليتحدَّر منه مثل الجُمان^(٢) من العرق في يوم شاتٍ من ثقل
القول الذي أُنْزِلَ عليه ، فَسُرِّيَ عن رسول الله صلّى الله عليه
وسلم وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلّم بها أن قال :
يا عائشة ؛ احْمَدِي الله - ومنهم من قال : أبشّري يا عائشة ،
أَمَّا الله فقد بَرَأْك - فقالت لي أُمِّي : قومي إلى رسول الله
صلّى الله عليه وسلم ، فقلت : لا والله لا أقوم إليه ، ولا أَحْمَد
إِلَّا الله ، هو الذي أُنْزِلَ بَرَاءَتِي .

فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأَيْكَ عُصْبَةٌ مُنْكَرٌ لَا
يَحْسِبُوْهُ شَرًا لَّكُمْ بِلَهُ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ يَمْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْأَثْمِ وَالَّذِي
تَوَلَّ كَبُرُّهُمْ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَّوْلَا إِذْ سَعَتُمُوهُ طَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِنْكُمْ مُّبِينٌ لَّوْلَا جَاءُوْهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ
شَهَادَةً فَإِذَا لَمْ يَأْتُو بِالشَّهَادَةِ فَأُفْلَتِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذَّابُونَ لَوْلَا
فَضْلُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمْ يَسْكُنُ فِي مَا أَفْضَلْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ

الآيات الكريمة في
براءة أم المؤمنين
عائشة رضي الله عنها

(١) رام يريم : فارق ، والمصدر الريم .

(٢) الجمان - بضم الجيم - مفرد جمانة ، وهي تعلم من الفضة كالدرة . اهـ « مختار »

عَظِيمٌ ۝ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنَّتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَا فَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
وَنَحْسِبُونَهُ هِنَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ۝ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا
أَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا سَبِّحَنَكَ هَذَا بَهْتَنْ عَظِيمٌ ۝ يَعْلَمُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ
أَبْدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَمَبْيَنُ اللَّهِ لَكُمُ الْآيَتِ ۝ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝
إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشْيَعَ الْفَجْحَشَةَ فِي الْدِينِ مَا مَأْمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي
الْأَدْنِيَةِ وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنَّمَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ .

فلما أنزل الله هذا في براءتي .. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وكان يُنْفِق على مسْطح بن أُثاثة ؛ لقربته منه وفقره - : والله ؛ لا أُنْفِق على مسْطح شيئاً أبداً بعدما قال لعائشة ما قال ، فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَا يَأْتِي أُولَوْا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُقْرَبُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ » فقال أبو بكر : بل والله ، إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، فرجع إلى مسْطح الذي كان يجري عليه ، وقال : والله ؛ إِنِّي لا أُنْزِعُهَا مِنْهِ أبداً^(١) .

قالت عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زَيْنَب بنت جَحْش عن أمري ، فقال : « يا زَيْنَب ؛ مَا عَلِمْتِ ؟ مَا رَأَيْتِ ؟ » قالت : يا رسول الله ؛ أَحِمِي سَمْعِي ، والله ؛

(١) بل في « معجم الطبراني الكبير » و« النسائي » : (أنه أضعف له في النفقه التي كان يعطيه إياها قبل القذف) ذكره في « الحلبية » اهـ

.....
ما علمت عليها إلّا خيراً ، قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فعصّمها الله بالورع ، قالت : وطَفِقْتُ أختها حَمْنَة تجاوب لها ، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإلْفَك .

قال ابن شهاب : فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط) اهـ

عظم فوائد هذا الحديث :

وفي هذا الحديث العظيم فوائد كثيرة :
فيه - وهو المقصود الأعظم - : تبرئة منصب السيدة عائشة رضي الله عنها مما رماها به أهل الإلْفَك ، قال الإمام التوسي : (وهي براءة قطعية بنص القرآن ، فلو تشَكَّكَ فيها إنسان والعِيَادُ بالله .. صار كافراً بإجماع المسلمين ، قال ابن عباس رضي الله عنهم : (لم تزن امرأة نبيَّ قَطَّ) ففيه مَنْقُبة ظاهرة لعائشة ، وفضيلة لأبيها وأمها .

وفيه : فضيلة لسعد بن معاذ ، وأسيد بن حُضير ، وزينب بنت جحش ، وصفوان بن المعطل ، وأم مسطح بن أثاثة .

وفيه : جواز رواية الحديث الواحد عن جماعة ، عن كل واحد منهم قطعة مبهمة ، إذا كان كل منهم بصفة العدالة .

وفيه : ثبوت القرْعَة .

قال العلّامة الحلبي في « سيرته » : (قال السُّهِيْلي : وكان

نزول براءة عائشة رضي الله عنها بعد قدومهم المدينة - أي : من الغزوة المذكورة - لسبع وثلاثين ليلة في قول بعض المفسرين ، فمن نسب إليها رضي الله عنها اقتراف الفاحشة كغلاة الرافضة .. كان كافرا ؛ لأنَّ في ذلك تكذيباً للنصوص القرآنية ، ومكذبها كافر) .

دعاة الفرج :

وفي « روح المعاني » للعلامة الألوسي : (أنه جاء في خبر غريب ذكره ابن النجاشي في « تاريخ بغداد » بسنده إلى أنس رضي الله عنه : كنت جالساً عند عائشة لأقرَّ عينها ببراءة وهي تبكي وتقول : هجرني القريب والبعيد حتى هجرتني الهرة ، وما عرض على طعام ولا شراب ، فكنت أرقد وأنا جائعة ظامئة ، فرأيت في منامي فتى ، فقال : ما لك ؟ قلت : حزينة مما ذكر الناس ، فقال : ادعني بهذه يفرج الله عنك ، قلت : وما هي ؟ قال : قولي : يا سابع النعم ، ويا دافع النقم ، ويا فارج الغمم ، ويا كاشف الظلم ، ويا أعدل من حَكَم ، ويا حسيب من ظلم ، ويا أول بلا بداية ، ويا آخر بلا نهاية ؛ اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً . قالت : فقلت ذلك ، فانتبهت وأنا ريانة شبعانة وقد أنزل الله فرجي .

قلت : وهو حرثي أن يسمى دعاة الفرج .

قال بعضهم : برأ الله تعالى أربعة بأربعة : برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهل زليخا ، وبرأ موسى عليه السلام من قول

اليهود فيه إِنَّ لَهُ أُدْرَةٌ بِالْحَجَرِ الَّذِي فَرَّ بِثُوبِهِ ، وَبِرَّأَ مَرِيمَ بِإِنْطَاقِ ولدِهَا ، وَبِرَّأَ عَائِشَةَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ .

لطيفة ذكرها الصلاح الصَّفَدي قال :

رأيت بخط ابن خَلْكَانَ أَنَّ مُسْلِمًا نَاظِرَ نَصْرَانِيًّا ، فَقَالَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ فِي خَلَالِ كَلَامِهِ ، مَحْتَقِنًا فِي خَطَابِهِ بِقَبِيحِ آثَامِهِ : يَا مُسْلِمٌ ؛ كَيْفَ كَانَ وَجْهُ زَوْجِنَبِيكُمْ مَعْتَذِرًا بِضَيَاعِ عِقْدِهَا ؟ فَقَالَ لَهُ الْمُسْلِمُ : يَا نَصْرَانِيُّ ؛ كَانَ وَجْهُهَا كَوْجَهِ بَنْتِ عُمَرَانَ لَمَّا أَتَتْ بَعِيسَى تَحْمِلَهُ مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ ، فَمِمَّا اعْتَقَدَتْ فِي دِينِكَ مِنْ بِرَاءَةِ مَرِيمٍ .. اعْتَقَدْنَا مِثْلَهُ فِي دِينِنَا مِنْ بِرَاءَةِ زَوْجِنِبِيْنَا صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَانْقَطَعَ النَّصْرَانِيُّ وَلَمْ يُحْرِجْ جَوَابًا) أَهـ ، وَهُوَ جَوَابٌ مَفْحِمٌ مُسْكِنٌ ، فَلَلَّهُ دُرُّهُ مِنْ مُؤْمِنٍ مُحَبٍّ صَادِقٍ ، أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالصَّوْبَ عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ الَّذِي دَحِّرَ بِهِ ذَلِكَ النَّصْرَانِيَّ الْأَثِيمَ ، وَالسَّيْدَاتُ كُلُّ مِنْهُمَا مَطْهَرَتَانِ بِرِيَّتَانِ مَبْرَأَتَانِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَرْضَاهُمَا ، آمِينٌ .

مُفَاجِرَ عَائِشَةَ وَفَضَائِلِهَا :

وَاعْلَمُ : أَنَّ لِلصَّيْدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مُفَاجِرًا لَا يُشَارِكُهَا فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْأَزْوَاجِ الطَّاهِرَاتِ ، وَكَانَتْ هِيَ تَفْتَخِرُ بِهَا ، وَحْتَ لَهَا ذَلِكَ .

فَمِنْهَا : أَنَّهَا خَلَقْتَ طَيْبَةَ ، وَوَعَدْتَ مَغْفِرَةً وَرِزْقًا كَرِيمًا ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِيهَا : ﴿وَالَّطَّيِّبَاتُ لِلَّطَّيِّبِينَ وَالظَّبِيبُونَ لِلظَّبِيبِينَ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ .

ومنها : أنَّ جبريل عليه السَّلام أتى بصورتها في سُرَّقة حرير - أي : قطعة من جيد الحرير - وقال : هَذِهِ زوجتك ، ويروي : أنَّهُ أتى بصورتها في راحته .

ومنها : أَنَّهُ قال عليه الصَّلاة والسَّلام في مرض موتة : ليهُونَ عَلَيَّ أَنِّي رأيْتُ بياضَ كفِ عائشَةَ فِي الْجَنَّةِ ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، نَقْلَهُ عَنْ أَبْنَى كَثِيرٍ فِي « الْبَدَايَةِ » .

ومنها : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكُنْدَرًا غَيْرَهَا .

ومنها : أَنَّهُ قُبِضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَرِهِ ، وَفِي يَوْمِهَا ، وَدُفِنَ فِي بَيْتِهِ .

ومنها : أَنَّهُ كَانَ يَنْزَلُ الْوَحْيَ عَلَيْهِ ، وَهِيَ مَعَهُ فِي الْلَّحَافِ ، وَنَزَلَتْ بِرَاءَتِهَا مِنَ السَّمَاءِ ، وَأَنَّهَا ابْنَةُ الصَّدِيقِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي « القُرْطُبِيِّ » : (قال بعض أهل التحقيق : إنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رُمِيَ بِالْفَاحِشَةِ . . بَرَأَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ صَبِيٍّ فِي الْمَهْدِ^(١) ، وَإِنَّ مَرِيمَ لَمَّا رُمِيَتْ بِالْفَحْشَاءِ . . بَرَأَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ وَلَدَهَا عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَإِنَّ عَائِشَةَ لَمَّا رُمِيَتْ بِالْفَحْشَاءِ . . بَرَأَهُ اللَّهُ بِالْقَوْلِ ، فَمَا رَضِيَ لَهَا بِرَاءَةُ صَبِيٍّ

(١) هو الذي أشارت له آية : « وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا » إلخ ، قال الحافظ السيوطي : ابن عمها ، روى أنَّهَا كانَتْ فِي الْمَهْدِ ، قال : « إِنْ كَانَ فَيَصُمُّهُ قَدْ مِنْ قَبْلِهِ » إلى آخر الآية .

.....
ولا نبئ ، حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان) .

نزول آية التيمم :

(وَنُثِلَّا^(١) أَنَّ التَّيْمِمَ) أَيْ : آيَتِهِ (بِهَا) أَيْ : فِي هَذِهِ
الغزوة (قَدْ أَنْزَلَا) فِي (الْمَائِدَةَ) وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « يَأَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ » الآيَةَ .

الأحكام التي شرعت
في هذه الغزوة

وَقِيلَ : هِيَ الْآيَةُ الَّتِي فِي (النِّسَاءِ) لَأَنَّ آيَةَ (الْمَائِدَةَ)
تَسْمَى آيَةُ الْوَضُوءِ ، وَآيَةَ (النِّسَاءِ) لَا ذِكْرٌ لِلْوَضُوءِ فِيهَا ،
فَيَجِدُهُ تَسْمِيَتَهَا بِآيَةِ التَّيْمِمِ .

قَالَ الْحَافِظُ : (وَخَفِيَ عَلَى الْجَمِيعِ مَا ظَهَرَ لِبَخَارِي :
أَنَّهَا آيَةُ « الْمَائِدَةَ » بِلَا تَرْدُدٍ ؛ وَذَلِكَ لِمَا فَقَدَتِ السَّيْدَةُ عَائِشَةُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِقْدَهَا أَيْضًا ، فَاحْتَبَسُوا عَلَى طَلْبِهِ ، فَبَعْثَتِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَيْنِ فِي طَلْبِهِ ، أَحدهُمَا
أُسَيْدُ بْنُ حُضِيرٍ أَحَدُ النَّبَّاءِ ، فَحَضَرَتِ صَلَاةُ الصُّبْحِ ، وَكَانُوا
عَلَى غَيْرِ مَاءِ ، فَجَاءَ النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَشَكَوُا إِلَيْهِ مَا نَزَلَ
بِهِمْ ، فَجَاءَ إِلَيْهَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضْعَفَ رَأْسَهُ
الشَّرِيفِ عَلَى فَخْذَهَا قَدْ نَامَ ، فَقَالَ لَهَا : حَبَسْتَ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسَ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءِ ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ
مَاءِ ، فَجَعَلَ يَطْعُنُ بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِهَا ، وَيَقُولُ : يَا بَنِيَّ ؟ فِي
كُلِّ سَفْرَةٍ تَكُونُنِي عَنَاءً وَبِلَاءً ، وَلَيْسَ مَعَ النَّاسِ مَاءُ ، قَالَتْ :

(١) الألف للإطلاق .

فلا يمنعني من التحرك إلّا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخدي ، فأنزل الله آية التيمّم .

قال أُسَيْدُ بْنُ حَضَيْرَ - وَهُوَ أَحَدُ النَّبَّاءِ - : مَا هِيَ بِأَوْلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَتْ أُمُّنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَبَعْثَنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتَ أَرْكَبْ عَلَيْهِ ، فَوَجَدْنَا الْعَدْنَ تَحْتَهُ » .

قال ابن بُرْهَانُ الْحَلَبِيُّ فِي « سِيرَتِهِ » - وَقَدْ ذُكِرَ نَحْوُ مَا ذُكِرَهُ النَّاظِمُ مِنْ مُشْرُوعِيَّةِ التَّيْمُمِ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ - : (وَهُدَا الْقَيْلُ نَقْلَهُ إِمَامَنَا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ عَدَّةِ مِنْ أَهْلِ الْمَغَازِيِّ ؛ أَيْ : وَعَلَيْهِ يَكُونُ سَقَطُ عَقْدِهَا فِي تَلِّكَ الْغَزْوَةِ مَرَتَيْنِ ؛ لَا خَتْلَافُ الْقَضِيَّيْنِ بِالْخَتْلَافِ سِيَاقَهُمَا .

وَالصَّحِيحُ : أَنَّ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ أُخْرَى ؛ أَيْ : مَتَّخِرَةً عَنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ) اهـ

النهي عن العزل عن النساء :

وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ نَهَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ الْعِزْلِ ، وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَصَبَنَا سَبِيًّا ، فَكَنَا نَعِزْلُ ، فَسَأَلَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : « إِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ ؟ - قَالَهَا ثَلَاثَةً - مَا مِنْ نَسْمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إلَّا وَهِيَ كَائِنَةٌ » .

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : حَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمَصْطَلِقِ فَأَصَبَنَا سَبِيًّا مِنْ سَبِيِّ الْعَرَبِ ، فَاشْتَهَيْنَا النِّسَاءَ ، وَاشْتَدَّتْ عَلَيْنَا

العزوّبة ، وأحببنا العزل ، فاردنا أن نعزل ، فقلنا : نعزل
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا قبل أن نسأله ؟ !
فسألنا عن ذلك ، فقال : « ما عليكم أن لا تفعلوا ، ما من
نسمة كائنة إلى يوم القيمة إلَّا وهي كائنة » .

تنبيه :

إذا قلنا بجواز العزل بشرطه .. فلا ينافي أنَّ التسبب
لإسقاط النطفة بعد وصولها إلى الرحم غير جائز مطلقاً ؛
لوضوح الفرق بينهما ؛ فإنَّ المنى حال نزوله محض جماد لم
يتهيأ للحياة بخلافه بعد استقراره في الرحم وأخذه في مبادي
التلخُّل ، أمَّا استعمال ما يقطع الحبل من أصله .. فحرام ؛
لمصادمته الشريعة الغراء التي تقول : « تناكروا تناسلوا .. »
إلخ ، فليعلم .

حكم التسبب لإسقاط
النطفة

(٢٣) غزوة الحديبية

(ثُمَّ) بعد غزوة المُرْيَسِيع وإقامته صلى الله عليه وسلم
بالمدينة رمضان ، وشَوَّالاً (الْحُدَيْبِيَّة) - بضم الحاء ، وفتح
الdal المهملتين ، وسكون التحتية ، وكسر الموحدة ،
وتحفيض الياء الثانية ، وقد تشدّد : بئر بقرب مكة ، على تسعه
أميال منها ، سُمِّي المكان باسمها - خرج صلى الله عليه وسلم
يوم الإثنين لهلال ذي القعْدَة ، كما عند ابن سعد ، سنة ست

موقع الحديبية

تاریخها

بلا خلاف كما قال في « البداية » و (ساق البُدُنَا) بإسكان الدال
وبضمها على اللغتين المشار إليهما في قول بعضهم :

وكل فُعلٌ بسكون العين

كاليُسْرٍ والعُسْرٍ ونحو الأُذُنِ

فضَمْ عَيْنِهِ يُرَأَى اتَّبَاعًا

لَفَائِهِ عَنْ أَسَدٍ قَدْ شَاعَ

وَفُعْلٌ كَعْنُقٍ وَطُنْبٍ

تَسْكِينَهُ إِلَى تَمِيمٍ انْسُب

وهو جمع بَدَنَةٍ : ما يُهْدِي إلى البيت الحرام من إبل
وبيقر . وكانت سبعين بَدَنَةً فيها جمل أبي جهل الذي غَنِمَه
الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر كما سيأتي .

سبب الخروج للحدبية :

وسبب خروجه : أَنَّه رأى صلى الله عليه وسلم في منامه ،
أَنَّه دخل البيت هو وأصحابه آمنين مُحَلَّقِين رؤوسهم
ومقصرين ، فخرج من المدينة المنورة يسوق البُدُن (مُعْتَمِراً)
وزائراً للبيت الحرام ومعظماً له ، لا يريد قتالاً ، كما قال :
(وما بحرب اعنى) أي : وما قصد بذلك الخروج حرباً .

استخلاف نميلة بن عبد الله الليثي
وحين خروجه صلى الله عليه وسلم استختلف على المدينة
المنورة نُمِيلَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْلَّيْثِي ، وَعَلَى الصَّلَةِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ .

استنفاره العرب للخروج معه إلى مكة :

(وَمِنْ سِوَى) بكسير السين وبضمها مضاد إلى قوله (الْمُخْلَفُونَ) وهم: جُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ ، ومن كان حَوْلَ المدينة من الأعراب ، تخلَّفُوا عن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورَغَبُوا أنفسهم عن نفسه ، وهو متعلَّقٌ بقوله: (استنفرا) أي: إِنَّهُ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استنفر من غير المخلفين جيشاً (عَرَمْرَماً) كثيراً عدده أربع عشرة مئة ، أو خمس عشرة مئة .

المخلفون

عدد أفراد الجيش

قال ابن إسحاق : (واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن عرِضوا له بحرب ، أو يصدُّوه عن البيت ، فأبْطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الْهَدْيَ ، وأحرم العُمُرة ؛ ليأمن الناسُ من حربه ، وليعلم الناس أنَّما خرج إثْرَ الْهَدْيَ (ومعظمهَ له) وخرجت معه أم سلمة من نسائه .

أَمَّا الْمُخَلَّفُونَ .. فَإِنَّهُمْ لَمَّا تَشَاقَلُوا فِي الْخُرُوجِ مَعِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. قَالُوا : أَنْذِهْنَا إِلَى قَوْمٍ قَدْ
غَرَّوْهُ فِي عُقُرِ دَارِهِ بِالْمَدِينَةِ ، وَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ ، فَنَفَّاتُهُمْ ؟
رَاعَتُهُمْ بِالشُّغْلِ بِأَهْلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ يَقُولُ
ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيبَهُمْ فِي اعْتِذَارِهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿يَقُولُونَ يَا سَيِّدَنَا مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ أَنَّهُ شَيْءًا إِنَّ
رَادِيْكُمْ صَرَّاً أَوْ رَادِيْكُمْ نَقْعَدًا بَلْ كَانَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ .

تكذيب الله المخلفين
فيما اعتذروا به

.....

خبر بسر بن سفيان الخزاعي عن قريش وصَدَّهُم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مكة :

تأهب قريش للمناجزة ولَمَّا خرج وقد أحرم بالعمرمة من ذي الحليفة - كما في الصحيح من رواية الزُّهري - سار ، حتى إذا كان بعسفان .. لقيه بُسر بن سفيان الخزاعي - وكان بعثه عيناً - فقال : يا رسول الله ؟ هذة قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العُوذُ المَطَافِيلُ^(١) قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذي طُوى ، يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم أبداً عَنْهُ ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم ، قد قدّموها إلى كُرْاعَ الْغَيْمِ^(٢) .

وقال ابن سعد : (قدّموا مئي فارس عليها خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يا وَيْحَ قَرِيشٍ ، لَقَدْ أَكَلُوكُمُ الْحَرْبُ ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَلُوكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ ؟ ! إِنَّهُمْ أَصَابُونِي .. كَانَ الَّذِي أَرَادُوكُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَظْهَرُوكُمْ اللَّهَ عَلَيْهِمْ .. دَخَلُوكُمُ الْإِسْلَامَ وَافْرَيْنَ ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يَفْعُلُوكُمْ .. قَاتَلُوكُمْ وَبِهِمْ قُوَّةٌ ، فَمَا تَظَنُّ قَرِيشٍ ؟ فَوَاللَّهِ ؛ لَا أَزَالُ أَجَاهِدُ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ، حَتَّى يَظْهُرَ اللَّهُ أَوْ تَنْفَرَ هَذِهِ السَّالِفَةُ »)^(٣) .

(١) جمع عائذ ، وهي : الناقة حديثة التناج ، والمطافيل : الأمهات التي معها أطفالها ، يريدهم خرجوا بذوات الألبان من الإبل ليتزورُوا ألبانها ، ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمداً وأصحابه في زعمهم . اهـ سهيلي

(٢) موضع بين مكة والمدينة أمام عسفان بثمانية أميال وعسفان من مكة على مرحلتين .

وهذا الذي أشار له الناظم بقوله : (وَصُدَّ عنْ أُمِّ الْقُرَى)
أي : منعه لذلك كفار قريش عن دخول مكة المشرفة .

ولما كان قوله : (وَصُدَّ . . .) إلخ يشعر بأنه عليه الصلاة
والسلام لمَّا صُدَّ رجع في الحال إلى المدينة . . . دفع هذا بقوله :
(وما أَنْشَى) أي : ما انعطف عليه الصلاة والسلام راجعاً
(بالجيش) الذي خرج معه ، بل ظلَّ سائراً ، وقال : « مَنْ
رَجُلٌ يَخْرُجُ بَنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرَ طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا ؟ » (حتى
اقْعَنْسَتْ) رجعت (عن) دخول (مكة ناقته) العَضْبَاءَ ،
ويقال لها : الْجَدْعَاءُ ، وَالْقَصْوَاءُ^(١) (إذْ حُبَسَتْ) بالبناء
للمجهول : أي : لأنَّ الله تعالى حبسها عن ذلك .

(١) من القصو وهو : قطع طرف الأذن ، ولم تكن ناقته عليه الصلاة والسلام بذلك ، وإنما هي
ألقاب على المشهور ، قال في « روض النهاة » : (وهي التي أخذها من أبي بكر رضي الله
عنه بمكة ، فهاجر عليها ، وكان أبي عن أخذها إلَّا بالشمن ، وهي إذا ذاك رباعية ، وكانت
صهباء ، قيل : إنَّها من جمال بني قشیر ، فلَمَّا دخل صلَّى الله عليه وسلم المدينة . . . أراد كل
من قبائل الأنصار النزول عليه ، ويقول : « دعوها ؛ فإنَّها مأمورة ، حتى بلغت موضع إرادته
تعالى ، فبركت قريباً من مكانها الأول ، وألقت جرانها بالأرض ، وأرزمت ، فنزل
عنها صلَّى الله عليه وسلم ، ثمَّ لم تزل عنده ، ولا يحمله حين ينزل الوحي عليه غيرها
- وربما بركت من ثقل الوحي - إلى أن قبض صلَّى الله عليه وسلم ، فامتنعت من الأكل
والشرب حزناً عليه إلى أن ماتت .

وذكر القاضي في « الشفاء » : (إنَّها كانت تكلمه ، وأنَّ العشب يأتيها يبادرها في المرعى ،
وتجتنبها الوحوش فيه ، وتناديها : إنَّك لِمُحَمَّدٍ) وأشار إلى ذلك في « قرة الأ بصار » بقوله :
ثُمَّ حَمَارٌ اسْمُه يَعْفُورُ وَالنَّاقَةُ الْقَصْوَاءُ فَقَطْ مَأْثُورٌ
وَهِيَ الَّتِي امْتَطَنَّتْ بِلَا امْتَرَاءَ نَبِيْنَا فِي الْهِجْرَةِ الْغَرَاءِ =

تجبّ الرسول صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ لقاء قريش :

سلوك طريق وعر

قال ابن إسحاق عند قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم ؟ » : (فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر : أنَّ رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، قال : فسلك بهم طريقاً وَعِرْأَ أَجَرَلَ - كثير الحجارة - بين شِعَابٍ^(١) ، فلما خرجن منه وقد شَقَّ ذلك على المسلمين ، وأفضَّوا إلى أرض سَهْلَة عند منقطع الوادي .. قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للناس : « قولوا : نستغفر الله وننوب إليه » فقالوا ذلك ، فقال : « والله ؎ إِنَّهَا لَلَّهِيَّةُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا » .)

استغفار المسلمين
وتوبتهم

قال ابن شهاب : (فأمر رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الناس فقال : « اسلكوا ذات اليمين ، بين ظهري الْحَمْضِ »

وكَانَ لَا يَحْمِلُهُ إِنْ نَزَّلَ عَلَيْهِ وَحْيٌ غَيْرُهَا وَنَقْلًا أَنَّ اسْمَهَا الْجَدِعَاءُ وَالْعَضِيَّاءُ فَقَدْ تَرَادَفَتْ لَهَا الْأَسْمَاءُ قَالَ شَارِحُهَا الشِّيْخُ أَحْمَدُ الْمَأْمُونُ الْيَعْقُوبِيُّ : (وَفِي « ذَخَارِ الْعَقْبَى » : « تَبَعَّثُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى الدَّوَابِ ، وَيَحْسِرُ صَالِحٌ عَلَى نَاقَةِ الْعَضِيَّاءِ ، وَيَحْسِرُ أَبْنَاءَ فَاطِمَةَ عَلَى نَاقَةِ الْعَضِيَّاءِ ، وَأَحْسِرُ أَنَّا عَلَى الْبَرَاقِ ، وَيَحْسِرُ بَلَالٌ عَلَى نَاقَةِ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ » أَخْرَجَهُ الْحَافَظُ السَّلْمَىُّ ، وَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ النَّاظِمِ : « فَقَطْ » لَأَنَّهُ يَوْهُمُ أَنَّ لِيْسَ لَهُ مِنَ الْإِبْلِ إِلَّا الْقَصْوَاءُ ، مَعَ أَنَّهُ ذَكَرَ بَعْدَ أَنَّ لَهُ عَشْرِينَ لَقْحَةً) اهـ

(١) قلت : لعلَّ الطَّرِيقَ الْوَعْرَ الْأَجَرَلَ الَّذِي سَلَكَهُ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ بِهِمْ ، هُوَ الطَّرِيقُ الْمَشْهُورُ بِالْغَائِرِ الَّذِي كَانَ تَسْلِكُهُ الْقَافْلَةُ بِالْزَّوَارِ عَلَى الْجَمَالِ ، وَقَدْ سَلَكْنَاهُ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى عَامَ زِيَارَتِنَا لِسَيِّدِ الْوَجُودِ فِي الْذَّهَابِ وَالْإِيَابِ سَنَةَ (١٣٢٩هـ) لَا أَحْرَمْنَا اللهَ مِنْ زِيَارَتِهِ مَرَاتٍ وَكَرَاتٍ ، أَمِينٌ .

فَاسْتَنْزَلَ النَّاسَ وَلَا مَاءَ لَهُمْ فَأَسْتَبْطُوا بِأَسْهُمْ مَا أَعْلَمُ

بفتح الحاء المهملة ، وإسكان الميم ، وبالضاد المعجمة :
اسم موضع ، في طريق تخرجه على ثنية المِرار - بكسر الميم ،
وتحفيف الراء : طريق في الجبل ، يشرف على الحديبية -
مهبط الحديبية من أسفل مكة ، قال : فسلك الجيش ذلك
الطريق : فلما رأت قريش قترة الجيش - غباره - قد خالفو عن
طريقهم .. رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك في ثنية المِرار .. بَرَكَت
نافته ، فقال الناس : خَلَّاتِ النَّاقَةِ - أي : حَرَّنَتْ وَبَرَكَتْ بلا
علة - فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا خَلَّاتِ ، وَمَا هُوَ لَهَا
بِخُلُقٍ . ولَكُنْ حَبْسَهَا حَابِسَ الْفَيْلِ عَنْ مَكَّةَ ، لَا تَدْعُونِي قَرِيشَ
الْيَوْمَ إِلَى خُطْتَةِ - خَصْلَةِ - يَسْأَلُونِي فِيهَا صَلَةُ الرَّحْمِ .. إِلَّا
أَعْطِيَتُهُمْ إِيَاهَا » .

ثَمَّ قَالَ لِلنَّاسِ : « انْزِلُوا » قَالُوا لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
مَا بِالوَادِي مَاءٌ نَّزَّلَ عَلَيْهِ ، فَأَخْرَجَ سَهْمَيْاً مِّنْ كِنَانَتِهِ - جَعْبَتِهِ الَّتِي
فِيهَا النَّبْلُ - فَأَعْطَاهُ رَجُلًا مِّنْ أَصْحَابِهِ ، فَنَزَّلَ بِهِ قَلِيبٌ مِّنْ
تَلْكَ الْقُلْبِ فَغَرَّزَهُ فِي جَوْفِهِ ، فَجَاهَشَ بِالرَّوَاءِ - فَارَ بِالرَّيْ، كَمَا
فِي رَوَايَةِ - حَتَّى ضَرَبَ النَّاسَ بَعَطْنَ - مَبْرُكُ الْإِبْلُ حَوْلَ الْمَاءِ -
وَهُذَا مَا أَشَارَ لَهُ النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ :

(فَاسْتَنْزَلَ النَّاسَ وَلَا مَاءَ لَهُمْ) أي : فَطَلَبَ مِنْ أَصْحَابِهِ
النَّزْلُ ، وَأَمْرَهُمْ بِهِ فِي مَكَانٍ ، وَالحَالُ أَنَّهُ لَا مَاءَ لَهُمْ بِغَيْرِ
الْمَاءِ الْقَلِيلِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِالثَّمَدِ الَّذِي نَزَحَوْهُ فَلِمَ يُقْبَلُوا مِنْهُ شَيْئًا

تَرَاجُعُ قَرِيشٍ خَوْفًا مِّنَ
الْمُسْلِمِينَ

خَبْرُ النَّاقَةِ وَسَبِّ
إِحْجَامِهَا

مِنْ مَعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ضَيْانِ
الْمَاءِ

ناجية بن جنديب
الأسلمي سائق بدن
رسول الله صَلَّى اللهُ
عليه وَسَلَّمَ

(ف) لذك (استنبطوا) أي : استخرجو (بالسهم) الذي انتزعه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كيانته وأعطاه لناجية بن جنديب الأسلمي ، وهو الذي سلك بهم الطريق ، وسماه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ناجية ، لما نجا من قريش ، وكان قبل يسمى ذكوان ، وهو أيضاً سائق بُدْن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ما) أي : الماء الكثير الذي (أعلَّهم) أي : سقاهم به ، والعَلَلُ : الشربة الثانية بعد الشربة الأولى ، خلاف النَّهَلِ ؛ فإنَّ الشربة الأولى .

موقف النبي صَلَّى اللهُ
عليه وَسَلَّمَ من كفار
قريش

روى الإمام البخاري في « صحيحه » من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الطويل ، يصدق كل منهما حديث صاحبه : (أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام قال - أي : لکفار قريش الذين يريدون صَدَّه عن البيت - : « لا يسألوني خُطَّة يعظمون فيها حُرُّمات الله .. إلا أعطيتهم إياها » ثم زجرها - أي : راحلته التي بركت - فوثبت ، فعدل عنهم ، حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمَّد قليل الماء^(١) يتبرَّضُه الناس تَبَرَّضًا^(٢) ، فلم يُلْبِسِه الناس حتى نزحوه ، وشُكِّي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العطش ، فانتزع سهماً من كيانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ؛ ما زال يجيش بالرِّي حتى صدروا عنه) اهـ

(١) حفرة فيها ماء قليل .

(٢) يأخذونه قليلاً قليلاً .

.....
ما في هذه القصة من الحكم والفوائد :

وفي هذه القصة معجزة ظاهرة ، وآية باهرة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في تكثير الماء .

وفيها : بركة سلاحه صلى الله عليه وسلم ، وما ينسب
إليه .

قال في « شرح المواهب » : (وجواز التشبيه^(١) من الجهة
العامة وإن اختلفت الجهة الخاصة ؛ لأنَّ أصحاب الفيل كانوا
على باطل ممحض ، وأصحاب هذه الناقة كانوا على حق
ممحض ، لكن جاء التشبيه من جهة إرادة الله منع الحرام مطلقاً ،
أمَّا من أهل الباطل .. فواضح ، وأمَّا من أهل الحق .. فللمعنى
المتقدم ، وهو أنَّ الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة
وصدَّتهم قريش .. لوقع بينهم القتال المفضي إلى سفك الدماء
ونهب الأموال ، كما لو قُدِّر دخول الفيل ، لكن سبق في علم
الله أنَّه سيدخل في الإسلام خلق منهم ، ويُستخرج من أصلابهم
ناس يُسلِّمون ويُجاهدون .

وفيها : ضربُ المثل ، واعتبار من بقي بمن مضى .

واستدلَّ بعضهم بهذه القصة لمن قال من الصوفية : علامه
الإِذن التيسير وعكسه .

قال ابن بطال وغيره : (وفيه جواز الاستثار عن طلائع

(١) أي : بقصة الفيل .

المشركين ، ومجاجاتهم بالجيش ؛ طلباً لغرتهم ، والسفر وحده للحاجة ، والتنكب عن الطريق السهل إلى الوعر للمصلحة ، والحكم على الشيء بما عُرف من عادته ، وإن جاز أن يطرأ عليه غيره ، وإذا وقع من شخص هفوة لا يُعهد منه مثلها لا يُنسب إليها ، ويرد على من نسبه إليها ، ومعدنة من نسبة إليها ممَّ لا يعرف صورة حاله ؛ لأنَّ خلاء القصوَاء لولا خارق العادة لكان ما ظنه الصحابة صحيحاً ، ولم يعاتبهم صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك لعذرهم ، والتصرف في ملك الغير بالمصلحة بغير إذنه الصريح إذا سبق عنه ما يدل على الرضا بذلك ؛ لأنَّهم زجروها بغير إذن ولم يعاتبهم) اهـ من « الفتح »



ثمَّ أراد الناظم رحمة الله تعالى أن يذكر ما جرى في هذه الغزوة من المعجزات من هذا النوع ، ومعجزاته صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزيد على رمل عالج ، فقال تغمَّده الله برحمته ، وأجزل عليه من رضوانه ومثوبته .

معجزة الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفوران الماء من بين أصابعه : (وَعَلَّهُمْ) أي : سقاهم النَّبِيَّ صلوات الله وسلامه عليه كثيراً (أَيْضًا بِهَذِهِ الْغَرْزَةِ مَا) أي : الماء الكثير الذي (كان عن صُبَابَةٍ) بضم الصاد : بقية الماء (في رَكْوَةٍ) بتثليث الراء المهملة ، وهي : إناء صغير للماء من جلد كالإبريق .

وأشار بهذا البيت إلى ما في الصحيح من حديث سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال : (عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدِيهِ رَكْوَةً يَتَوَضَّأُ مِنْهَا ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ ، وَقَالُوا لَيْسَ عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ ، فَجَعَلَ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعَيْنَيْنِ ، فَشَرَبَنَا وَتَوَضَّأْنَا ، فَقَلْتُ : كَمْ كَتَمْتَ ؟ قَالَ : لَوْ كَنَا مِئَةً أَلْفَ .. لَكَفَانَا ، كَنَا خَمْسَ عَشَرَةَ مِئَةً) .

قلت : وَهَذِهِ الْمَعْجِزَةُ كَمَا لَا يَخْفِي أَعْظَمُ مِنْ مَعْجِزَةِ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذْ نَبَغَ لِهِ الْمَاءُ مِنَ الْحَجَرِ ؛ لَأَنَّهُ مَعْتَادٌ ، قَالَ تَعَالَى : « وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَنْفَجُرُ مِنْهُ الْأَنَهَرُ » الْآيَةُ ، وَأَمَّا خَرُوجُهُ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ .. فَلَمْ يَعْهُدْ قَالَ الشاعر :

إِنْ كَانَ مُوسَى سَقَى الْأَسْبَاطَ مِنْ حَجَرٍ
فَإِنْ فِي الْكَفِّ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْحَجَرِ

مَعْجِزَةُ أُخْرَى بِتَكْثِيرِ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ :

(وَجَمِعُوا) أي : الصَّحْبُ الْكَرَامُ وَسَادَةُ الْأَنَامِ (لَهُ) أي : لِرَسُولِ الْمَلَكِ الْعَلَامِ (بَقَائِيَ الرَّازِدِ فَخُوَّلُوا) بِصِيغَةِ الْمَاضِيِّ الْمَجْهُولِ ؛ أي : أَعْطُوا (مِنْهَا) أي : مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ (سِوَى الْمَعْتَادِ) ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ قَدْ أُجْهَدْنَا وَفِي

مَقَارَنَةِ بَيْنِ مَعْجِزَةِ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الناس ظَهَرَ ، فَانْحَرَهُ لِنَأْكُلَ مِنْ لَحْوِهِ ، وَنَدَهَنَ مِنْ شَحْوِهِ ،
وَنَحْتَذِي مِنْ جَلْوَدِهِ ، فَقَالَ عُمَرٌ : لَا تَفْعِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَإِنَّ
النَّاسَ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ ظَهَرٌ أَمْثَلٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « ابْسِطُوا نِطَاعَكُمْ وَأَعْبَاءَكُمْ » فَفَعَلُوا ، ثُمَّ قَالَ : « مَنْ
كَانَ عِنْدَهُ بَقِيَّةٌ مِنْ زَادٍ أَوْ طَعَامٍ .. فَلِينِشِرْهُ » وَدَعَا لَهُمْ ، فَقَالَ :
« قَرِبُوا أَوْعِيَتُكُمْ » فَأَخْذَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : « فَهَلْ مِنْ
وَضْوَءٍ ؟ » فَجَاءَ رَجُلٌ بِإِدَاؤِهِ نَطْفَةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَأَفْرَغَهَا فِي
قَدْحٍ ، فَتَوَضَّؤُوا كَلَّهُمْ .

هَكُذا ذَكَرَ هَذِهِ الْقَصَّةِ فِي « رَوْضَ النُّهَا » وَوَقَعَ مِثْلُهَا فِي
غَزْوَةِ تَبُوكَ .

وَذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي « تَارِيْخِهِ » فِي مَوْضِعٍ تَكْثِيرُ الطَّعَامِ فِي
السَّفَرِ عَنِ الْحَافِظِ أَبِي بَكْرِ الْبَرَّارِ بِسَنَدِهِ إِلَى خُنَيْسِ الْغِفارِيِّ :
أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تِهَامَةَ ،
حَتَّى إِذَا كَانَا بِعُسْفَانِ .. جَاءَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛
جَهَدْنَا الْجُوعَ ، فَأَذَنَ لَنَا فِي الظَّهَرِ أَنْ نَأْكُلَهُ ، قَالَ : « نَعَمْ »
فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ :
يَا نَبِيَّ اللَّهِ : مَا صَنَعْتَ ؟ أَمْرَتَ النَّاسَ أَنْ يَنْحِرُوا الظَّهَرَ ، فَعَلَامُ
يَرْكِبُونَ ؟ قَالَ : « فَمَا تَرَى يَا بْنَ الْخَطَّابَ ؟ » قَالَ : أَرَى أَنَّ
تَأْمِرُهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ، فَتَجْمِعُهُ فِي ثَوْبٍ ، ثُمَّ تَدْعُو
لَهُمْ ، فَأَمْرُهُمْ ، فَجَمِعُوا فَضْلَ أَزْوَادِهِمْ فِي ثَوْبٍ ، ثُمَّ دَعَا
لَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : « ائْتُوا بِأَوْعِيَتِكُمْ » فَمَلَأُ كُلُّ إِنْسَانٍ وَعَاءَهُ ، ثُمَّ
أَذَّنَ بِالرَّحِيلِ ، فَلَمَّا جَاءَوْزَ .. مُطْرُوا ، فَنَزَلُوا مَعَهُ ،

وَكُمْ قَلِيلٌ عِيْرِ دَكْ دَكْرَا وَكُمْ قَلِيلٌ بِالْمَعِينِ قَبْرَا
وَبَأَيْعُوهُ بَيْعَةَ الْرَّضْوَانِ إِذْ قِيلَ قَدْ عَدُوا عَلَى عُشْمَانِ

وشربوا من ماء السماء ، فجاء ثلاثة نفر ، فجلس اثنان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب الآخر معرضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم عن النَّفَرِ الثلاثة ؟ أمَا واحد : فاستحق من الله ، فاستحق الله منه ، وأمَا الآخر : فأقبل تائباً ، فتاب الله عليه ، وأمَا الآخر : فأعرض ، فأعرض الله عنه » .

قلت : فالذى يظهر أنَّ المراد بهذه الغزوة هي الحديبية ؛ لأنَّها التي مُطِروا فيها ، قوله : (حتى إذا كنا بعسفان) مُشعر برجوعهم من الحديبية ، فيوافق ما ذكره صاحب « الروض » والله أعلم .

(وكم) : هي للتکثير ، فمدخولها مجرور (قليل غير ذاك) أي : كثير من الماء القليل سوى ما تقدم لك (كثراً) ببركته صلى الله عليه وسلم ، وبوضع يده الشريفة فيه (وكم قليب) وهو : البئر (بالمعين) بفتح الميم ؛ أي : بالماء الكثير الجاري ، قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ يَأْتِكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ (فُجْرًا) أي : أسيل ، حتى قال الإمام النووي : (إنَّ تکثير الماء ببركته صلى الله عليه وسلم أحاديثه بلغت مبلغ التواتر) .

بَيْعَةُ الرَّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَسَبِيلُهَا :

(وبأيعوه) أي : رسول الله صلى الله عليه وسلم (بيعة الرَّضْوَانِ) التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في قوله : ﴿لَقَدْ رَضِيَ

.....
وعد من شهد بدرأ
والحدبية بالجنة

الله عن المؤمنين إذ يأبونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثبهم فتحاً فرباً» وأعرب النبي صلى الله عليه وسلم عن فضلها بقوله : « لا يدخل النار من شهد بدرأ والحدبية » رواه مسلم عن جابر ، وقوله صلى الله عليه وسلم كما في « البخاري » عن جابر - رضي الله عنه - خطاباً لأهل بيته الرضوان : « أنتم خير أهل الأرض » .

وعند أحمد بإسناد حسن : عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : لما كان بالحدبية .. قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تقدوا ناراً بليل » فلما كان بعد ذلك .. قال : « أقدوا واصطنعوا ؛ فإنه لا يدرك قوم بعدهم صاعكم ولا مدكم » .

مباعدة سلمة بن الأكوع وسبها

وبابع سلمة بن الأكوع يومئذ ثلث مرات : في أول الناس ، وفي وسطهم ، وفي آخرهم ، وأشار الناظم إلى سبب هذه المباعدة بقوله :

(إذ قيل : قد عدوا) بفتح الدال ، من عدا عليه يعدو
معنى : تعدى وظلم (على عثمان) بن عفان رضي الله عنه لما
بعثه النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى قريش بمكة ليبلغهم
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه ما جاء إلا زائراً
للبيت معتمراً معظمًا لحرماته ، وكان عليه الصلاة والسلام قبل
ذلك أراد أن يبعث عمر إليهم ، فقال عمر : يا رسول الله ؛ إنني
أخاف قريشاً على نفسي ، وما أحد بمكة منبني عدي بن كعب
يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلوظتي عليها ،

عثمان بن عفان رضي
الله عنه رسول النبي
صلى الله عليه وسلم
إلى قريش

ولكن أدلك على رجل أعزّ بها مني ، عثمان بن عفان ، فدعاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه إليهم بتلك الرسالة ،
وخرج ، حتى إذا قارب مكة.. لقيه أبنان بن سعيد بن
العاصي بن أمية الأموي ، فحمله بين يديه وأجاره ، وهو الذي
يقول :

أقبلْ وأدْبَرْ لَا تَخْفَ أَحَدًا

بنو سعيد أعزَّ الْحَرَمِ

فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظاماء قريش ، فبلغهم
رسالته صلى الله عليه وسلم ، وقرأ عليهم كتابه صلى الله عليه
 وسلم واحداً واحداً ، فما أجابوا ، وعزموا على لا يدخلها هذا
 العام ، وقالوا لعثمان لما فرغ من تبلغ الرسالة : إن شئت أن
 تطوف بالبيت .. فطف ، فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عرض كفار قريش
على عثمان رضي الله
عنه الطواف بالبيت

واحتجست قريش عثمانَ عندها أياماً ثلاثة ، فبلغه صلى الله
عليه وسلم وال المسلمين أنَّ عثمان قتل ، فقال صلى الله عليه
 وسلم : « لا نبرح حتى نناجِزَ الْقَوْمَ » ودعا الناس إلى ال碧عه ،
 فبایعوه تحت الشجرة - التي كان عليه السلام يستظلُّ بها - على
 الموت ، وقال جابر : على أن لا يفِرُّوا^(١) ، ولم يختلف عن

(١) هو في « صحيح مسلم » وفيه أيضاً من روایة سلمة : أنَّهم بايَعوه على الموت ، قال النووي
في « شرح مسلم » : (وفي روایة مجاشع بن مسعود : ال碧عه على الهجرة ، وال碧عه على
 الإسلام) وفي حديث ابن عمر وعبادة : (بايَعناه على السمع والطاعة ، وأن لا ننزع الأمر =

.....
هذه المبايعة المباركة أحدها ممّن حضر إلّا الجَدّ بن قيس ، وكان جابر بن عبد الله يقول : « والله ؛ لِكَانَى أنظر إلّي لاصقاً بإبط ناقه قد ضبّا إلّيها - لصق بها - يستتر بها عن الناس » .

مبايعة النبي صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ لعثمان رضي الله عنه مكافأة له

قال ابن هشام : (وَحَدَّثَنِي مِنْ أَثْقَبِهِ عَمَّنْ حَدَّثَهُ بِإِسْنَادٍ لِهِ عَنْ أَبِي مُلِيْكَةَ عَنْ أَبِي عُمَرَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاعَ لِعُثْمَانَ ، فَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدِيهِ عَلَى الْأُخْرَى) قَالَ فِي « الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ » : (وَهَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي ذُكِرَهُ أَبْنَ هَشَامَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ ضَعِيفٌ ، لَكِنَّهُ ثَابِتٌ فِي « الصَّحِيحَيْنِ ») .

قلت : وهـذه المبايعة منه عليه الصـلاة والـسلام لعثمان رضي الله عنه كانت جـزاءً وفـاقـاً لـما امـتنـعـ أـنـ يـطـوفـ بـالـبـيـتـ قـبـلـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ؛ أـدـبـاً وـإـجـلـالـاً ، أـشـارـ إـلـىـ ذـلـكـ شـرـفـ الدـيـنـ أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ فـيـ « أـمـ الـقـرـىـ »⁽¹⁾ رضـيـ اللـهـ عـنـهـ بـقـولـهـ :

وابن عـفـانـ ذـيـ الـأـيـادـيـ الـتـيـ طـاـ لـ إـلـىـ الـمـصـطـفـىـ بـهـاـ إـلـسـدـاءـ

خـصالـ عـثـمـانـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـفـضـائـلـهـ

أـهـلـهـ) وـفـيـ روـاـيـةـ عـنـ عـمـرـ فـيـ «ـصـحـيـحـ مـسـلـمـ» : (ـ الـبـيـعـةـ عـلـىـ الصـبـرـ) قـالـ الـعـلـمـاءـ :ـ هـذـهـ الـرـوـاـيـةـ تـجـمـعـ الـمـعـانـيـ كـلـهـاـ ،ـ وـتـبـيـنـ مـقـصـودـ كـلـ الـرـوـاـيـاتـ ،ـ فـالـبـيـعـةـ عـلـىـ أـنـ لـاـ نـفـرـ مـعـنـاهـ :ـ الصـبـرـ حـتـىـ نـظـفـرـ بـعـدـوـنـاـ أـوـ نـقـتـلـ ،ـ وـهـوـ مـعـنـىـ الـبـيـعـةـ عـلـىـ الـمـوـتـ ؛ـ أـيـ :ـ نـصـبـرـ وـإـنـ آـلـ بـنـاـ ذـلـكـ إـلـىـ الـمـوـتـ ،ـ لـاـ أـنـ الـمـوـتـ مـقـصـودـ فـيـ نـفـسـهـ ،ـ وـكـذـاـ الـبـيـعـةـ عـلـىـ الـجـهـادـ ؛ـ أـيـ :ـ وـالـصـبـرـ فـيـهـ ،ـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ .ـ

(1) يعني البوصيري في « همزيته » المسمى بأم القرى .

وَعَةٌ رُوَا جَمَلَهُ الْتَّعَلَبَ إِذْ أَرْسَلَهُ تَحْتَ الْخُرَزَاعِيِّ الْمُغَذِّ

مال بالترك حَبَّذا الأَدْبَاء
وأَوَّلَ من بَاعَ بِيعَةَ الرَّضْوَانَ : سَنَانَ بْنَ أَبِي سِنَانِ
الْأَسْدِيِّ ، لَا أَبُو سَنَانَ بْنَ مَحْصَنَ الَّذِي هُوَ أَخُو عَكَاشَةَ بْنِ
مَحْصَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَبَا سَنَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَاتَ
فِي حَصَارِ بَنِي قَرِيظَةَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَمَا ذُكِرَ فِي « الْحَلَّيَةَ »
وَ« رَوْضَةِ النُّهَّا » .

ولمَّا سمع المشركون بهذه البيعة المباركة .. خافوا وألقى الله في قلوبهم الرُّعب ، وبعثوا عثمان وجماعة من المسلمين ، قال الشامي : (هم عشرة كانوا دخلوا مكة) .

سنان بن أبي سنان أول المباعين

بعث خراش الخزاعي إلى قريش :

(وعَقَرُوا) أي : عَقَرَ كُفَّارَ قُرْيَشَ (جمله) عليه الصلاة والسلام ، والذى تولى عقره عكرمة بن أبي جهل ، كما في

عَفْرَ كَفَارَ قَرِيشَ جَمْلَةَ
النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ

وَكَانَ مِمَّنْ بَعْثَوْهُ يَسْتَرِدُ نَبِيَّنَا مِكْرَزُ عُرْزَوَةُ الْحَرَذِ

« شرح المawahب » وقد أسلم بعد رضي الله عنه ، ونسب الناظم ذلك إليهم ؛ لرضاهم به (التعلب) أي : المسمى بذلك (إذ أرسله) أي : الجمل (تحت) خراش بن أمية (الخزاعي المُغَذِّ) باليم المضمومة والغين المعجمة المكسورة ؛ أي : المسرع في سيره إلى قريش ؛ ليعلمهم بأنه صلى الله عليه وسلم إنما قدم معتمراً ، و كانوا أرادوا قتل خراش فمنعتهم الأحابيش ، فخلوا سبيله ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بما لقى .

قال ابن إسحاق : (وحدّثني بعض أهل العلم : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير له يقال له التعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه أنه إنما جاء معتمراً ، فعقرروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتله ، فمنعته الأحابيش ، فخلوا سبيله ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

بعث قريش سفراهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم : ثمَّ أراد الناظم أن يسمى بعض السفراء الذين بعثتهم قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ليりدوه عن دخول البيت الحرام ، فقال :

(وكان ممَّنْ بَعْثَوْهُ) أي : كفار قريش (يسترد نبينا) أي :

أسماء رسول قريش

التوافق بين الروايات

يطلب ردّ نبينا عن دخول مكة ، وفاعل يسترد قوله : (مِكْرَز)
بكسر الميم ، وهو ابن حَفْص من بنى عامر بن لؤيٍ .

قال في « الإصابة » : (لم أرَ من ذكره في الصحابة إلَّا ابن حِبَّان بلفظ يقال : له صحبة) وقد تقدم في غزوة بدر .

قال ابن إسحاق : (فلَمَّا رَأَهُ - يعني مِكْرَزًا - رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقْبِلًا قال : « هَذَا رَجُلٌ غَادِرٌ » فلَمَّا انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وَكَلَّمَهُ . . قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نَحْوًا مَمَّا قَالَ لِبُدَيْلَ وَأَصْحَابِهِ ، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اهـ
وكان بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيِّ^(١) قد أتاه في رجال من خُزَاعَةَ فَكَلَّمُوهُ ، وسَأَلُوهُ مَا الَّذِي جَاءَ بِهِ ، فَأَخْبَرَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ : « أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ يَرِيدُ حَرِبًا ، وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِلْبَيْتِ وَمَعْظَمًا لِحَرْمَتِهِ » .

واعلم : أنَّ مقتضى ما في « سيرة ابن إسحاق » أنَّه بعث قريش لمِكْرَز بعد بعث بُدَيْل ، كما أَنَّهُم بعثوا بعد مِكْرَز الْحُلَيْسِ الْحَارَثِيَّ ، ثُمَّ عُرْوَةَ بْنَ مُسْعُودَ ، خَلَافًا لِمَا يُوَهِّمُهُ كلام الناظم هنا .

نعم ؛ صَحَّ : أَنَّ سُهْيَلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل انصرافِ مِكْرَزٍ منْ عَنْهُ ، وَيَجْمِعُ بَيْنَ هُذَا وَبَيْنَ مَا يَأْتِي مِنْ رواية ابن إسحاق ، بِأَنَّ مِكْرَزًا رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَأَخْبَرَهُمْ

(١) وقد أسلم يوم الفتح بمر الظهران ، وشهد حنيناً والطائف وتبوك ، وقيل : أسلم قبل الفتح .

بقوله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء مع سُهيل في الصلح هو وحُويطَب ، كما رواه الواقدي وابن عائذ ، فكأنَّ مكرزاً سبق سهيلاً في المجيء ، فكلَّم المصطفى ، فجاء سهيل .

وأَمَّا (ثُمَّ) في رواية ابن إسحاق ، في قوله : (ثُمَّ بَعْثَوْا
الْحَلِيْس ، ثُمَّ بَعْثَوْا عُرْوَة) فَإِنَّمَا هِيَ لِلتَّرْتِيبِ الدَّكْرِي ، فَلَا
تُعَارِضُ رِوَايَةَ الصَّحِيْحِ ، وَإِلَّا . فَمَا فِي الصَّحِيْحِ أَصَحُّ ، ذِكْرُ
هَذَا الْجَمْعِ الْعَلَامَةِ الرُّوْقَانِيِّ .

فقوله (عُرُوة) معطوف بحذف العاطف ، وهو ابن مسعود بن مُعَّتب الثَّقَفِيِّ^(١) (الْحَرَد) : العزيز المنيع ، وهو يوزن نَمِرَ .

(١) قال الحافظ : (هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثيف الثقفي ، عم والد المغيرة بن شعبة ، وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، أخت آمنة ، وكان أحد الأكابر من قومه ، له اليد البيضاء في تقرير الصالح ، وهو مستوفى في « البخاري » وترجمه ابن عبد البر بأنَّه شهد الحديبية ، وهو كذلك ، لكن في العرف : إذا أطلق على الصحابي أنَّه شهد غزوة كذا .. يتبارد أنَّ المراد أنَّه شهدها مسلماً ، فلا يقال : شهد معاوية بدرأً ؛ لأنَّه لو أطلق ذلك .. ظن من لا خبرة له - لكونه عرف أنَّه صحابي - أنَّه شهدتها مع المسلمين ، وعند مسلم من حديث جابر مرفوعاً : « عرض على الأنبياء .. » فذكر الحديث ، قال : « ورأيت عيسى ، فإذا أقرب من رأيت به شبيهاً عروة بن مسعود ».)

وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب وأبو الأسود عن عروة ، وكذلك ذكره ابن إسحاق ،
ويزيد بعضهم على بعضهم : (أنَّ أبا بكر لَمَّا صدر من الحج ستة تسع قدم عروة بن مسعود
الشافعي على النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وفي رواية ابن إسحاق : أنَّه اتبع أثر النبي صلَّى اللهُ
عليهِ وَسَلَّمَ لَمَّا انصرفَ من الطائف ، فأسلم ، واستأذنهُ أَنْ يرجعَ إِلَى قومِهِ ، فَقَالَ : « إِنِّي
أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوكُ » قال : لو وجدوني نائماً .. ما أَفْقَدْتُنِي ، فأذن له فرجع ، فدعاهُم إلى
الإسلام ، ونصح لهم ، فعصوه ، وأسمعواه من الأذى ، فلَمَّا كانَ مِنَ السُّحْرِ .. قَامَ عَلَى =

وَالْحَارِثِيُّ الْمُتَأَلِّهُ الَّذِي هُوَ لَهُمْ بِرَدٌ أَحْمَدٌ بَذِي

كلام الحليس بن علقة :

(و) كذا ممَّن بعثوه (الحارثي) وهو : الحليس بالتصغير - ابن علقة ، سيد الأحابيش ورأسهم ، منسوب إلى الحارث بن عبد مناة ؛ لأنَّه أحد بنيه (المتأله) أي : المعظم لأمر الله ؛ كالحجّ والعمرة ونحو ذلك مما بقي من دين سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، ووصفه أيضاً بقوله : (الذِي هُوَ) أي : الحارثي (لَهُمْ) أي : كفار قريش (بِرَدٌ) أي : بسبب ردهم (أَحْمَدٌ) صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بَذِي) بفتح الباء : خبر عن (هُوَ) أي : طويل اللسان بالكلام على قريش ؛ فإنَّه قال لهم - في كلام سيأتي - : والذي نفس الحليس بيده ؛ لَتَخَلُّنَّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمَا جَاءَ لَهُ ، أو لَأَنْفَرَنَّ بالأحابيش نَفْرَةً رَجُلٌ وَاحِدٌ .

غرفة له فأذن ، فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله ، فلما بلغ ذلك النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مثل عروة مثل صاحب ياسين ؛ دعا قومه إلى الله فقتلوه » وقيل لعروة : ما نرى في دمك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلي ، فليس في إلَّا ما في الشهداء الذين قتلوا مع النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم ، فدفنه معهم .

وروى أبو نعيم من طريق داود بن عاصم عن عروة بن مسعود ، وهو جده : (كان رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوضع عنده الماء ، فإذا بابع النساء .. يمس أيديهنَّ فيه) وهذا منقطع ، وفي الإسناد إلى داود ضعف أيضاً .

وروى ابن منده من طريق إبراهيم بن محمد بن عاصم عن أبيه ، عن حذيفة ، عن عروة بن مسعود الثقفي قال : (كان رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « لَقُنُوا موتاكم : لَا إِلَهَ إلَّا الله ؛ فَإِنَّهَا تهدم الخطايا » إسناده ضعيف أيضاً ، أورده العقيلي في ترجمة إبراهيم بن محمد بن عاصم ، ولكن لم أر فيه الثقفي .

.....
ولا بأس أن ننقل هنا لفظ ابن هشام في « تلخيصه للسيرة النبوية » لابن إسحاق ؛ إذ به يتضح تماماً كلام الناظم .

كلام بدديل بن ورقاء الخزاعي :

قال ابن هشام : (قال الزهرى في حديثه : فلما اطمأنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أتاه بدديل بن ورقاء الخزاعي في رجال من خزاعة ، فكلموه وسألوه ما الذي جاء به ، فأخبرهم : أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمه ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش ، فقالوا : يا معاشر قريش ؟ إنكم تعجلون على محمدٍ ؛ إنَّ محمدَأ لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، فاتهموهم وجبهوهم وقالوا : وإن كان جاء زائراً لا يريد قتالاً ، فواهه ، لا يدخلها علينا عنوة ، ولا تحدث بذلك عناً العرب أبداً .

قال الزهرى : وكانت خزاعة عيبة نُصح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ مسلمهَا ومشركهَا ، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة قال :

كلام مكرز بن حفص :

ثمَّ بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخفيف ، أخا بنى عامر بن لؤيٍّ ، فلما رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم

.....
مقبلاً.. قال : «هذا رجل غادر^(١)» فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلام وكلمه.. قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش ، فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عودة إلى كلام الحليس بن علقة :

سيد الأحابيش
الحليس بن علقة

ثمَّ بعثوا إليه الحليس بن علقة ، أو ابن زَيَّان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحرش بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال : «هذا من قوم يتألهون ، فابعثوا لهديَّ في وجهه حتى يراه» فلما رأى الهدى يسيل عليه من عُرضِ الوادي في قلائده ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله .. رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك ، فقالوا له : اجلس ؛ فإنَّما أنت أعرابيٌّ لا علم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أنَّ الحليس غضب عند ذلك ، وقال : يا عشر قريش ؛ والله ما على هذا حالفاكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيَّصُّ عن بيت الله من جاء معظماً له ؟! والذي نفس الحليس بيده ، لتخلُّنَ بين محمدٍ وبين ما جاء له ، أو لأنفِرَنَ بالأحابيش نَفَرَةً رجل

(١) وصفه بالغدر ؛ لما ذكره الواقدي : (أنَّه أراد أن يبيت المسلمين بالحدبية ، فخرج في خمسين رجلاً ، فأخذهم محمد بن مسلمة وهو على الحرس ، وانفلت مكرز ، فكأنَّه صلى الله عليه وسلم أشار إلى ذلك) اهـ

واحد ، قال : فقالوا لي : مَهْ ، كُفَّ عنا يا حُلَيْس حتى نأخذ
لأنفسنا ما نرضى به .

كلام عروة بن مسعود الثقفي :

قال الزُّهري في حديثه : ثُمَّ بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي فقال : يا عشر قريش ؟ إِنِّي قد رأيت ما يُلقى منكم من بعثتكموه إلى محمدَ إِذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنَّكم والد وأُنْي ولد - وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف - وقد سمعت بالذِّي نابكم ، فجمعت من أطاعني من قومي ، ثُمَّ جئتكم حتى آسيتكم بنفسي ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمُتَّهم ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثُمَّ قال : يا محمد ؟ أَجَمَعْتُ أُوشَابَ النَّاسَ ، ثُمَّ جئتَ بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ إِنَّهَا قريش قد خرجت معها العُوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عَنْوَةً أَبْدًا ، وَأَيْمَ الله ؟ لِكَأْنِي بِهُؤُلَاءِ قد انكشفوا عنك غدًا ، قال : وأبُو بكر الصديق رضي الله عنه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال : امْصَصْ بَظْرَ الْلَّاتِ ، أَنْحِنْ ننكشف عنه ؟ ! قال : من هَذَا يا محمد ؟ قال : « هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ » قال : أَمَا وَالله ؟ لَوْلَا يَدْ كَانَتْ لَكَ عَنْدِي .. لِكَافَأْتَكَ بِهَا ، وَلَكِنْ هَذِهِ بِهَا ، قال : ثُمَّ جَعَلَ يَتَنَاهُ لِحَيَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَكْلُمُه ، قال :

رد أبي بكر الصديق
رضي الله عنه كلام
عروة

المغيرة بن شعبة رضي
الله عنه في حراسة
النبي صلى الله عليه
 وسلم

والمحيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ، قال : فجعل يقع يده إذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألا تصل إليك ، قال : فيقول عروة : ويحلك ما أفظتك وما أغلاظك ! قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال هذا ابن أخيك المحيرة بن شعبة ، قال : أي غدر ، وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس ؟

قال ابن هشام : أراد عروة بقوله هذا أن المحيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً منبني مالك من ثقيف ، فتهايَ الحيَّان من ثقيف بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المحيرة ، فودي عروة المقتولين ثلث عشرة دية ، وأصلح بذلك الأمر .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : فكلَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كَلَّمَ به أصحابه ، وأخبره أنَّه لم يأت ي يريد حرباً .

عود عروة بن مسعود إلى قريش :

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وَضَوْئه ، ولا يبصق بُصاقاً إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش فقال : يا معاشر قريش ؟ إنِّي قد جئتكم بسرى

من مظاهر تفاني
الصحابية في حبه صلى
الله عليه وسلم

في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإنني والله ؛ ما رأيت ملِكًا في قوم قطٌّ مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوماً لا يُسلِّمُونه لشيء أبداً ، فروا رأيكم) .

بعث قريش سهيلًا إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصلح :

(ولم تزل بينهم) أي : كفار قريش (المراجعة) أي : مراجعة الرسل في شأن رد المسلمين عن البيت ، وصدتهم (حتى أتى) إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (سُهْيَلُهُمْ) أي : سهيل بن عمرو ، أخوبني عامر بن لؤي رسولًا من قبل قريش ، وكان من ساداتهم ، وأسلم يوم الفتح بعد ، وحسن إسلامه رضي الله عنه ، وتقدمت ترجمته في غزوة بدر (فاسترجعه) أي : فطلب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرجع عن البيت هذا العام ؛ لأنَّ قريشاً لما بعثت سهيلًا قالت له : اذهب إلى هذا الرجل فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلَّا أن يرجع عنا عامة هذا ، فوالله ؛ لا تَحَدَّثُ العرب عنا أَنَّه دخلها علينا عنوة أبداً .

قال الشهاب في « المواهب » : (قال مَعْمَر : فأخبرني أيوب عن عِكْرَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهْيَلَ . . . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَدْ سَهَّلْتُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ » وَهَذَا مِنَ الْفَأْلِ الْحَسَنِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَعْجِبُهُ) .

قال الناظم في منظومة الأنساب :

توصل سهيل إلى
الصلح مع النبي صلى
الله عليه وسلم

وكان لا يعتاف إلا أَنَّهُ
يُعجبه الفَلَل إِذَا عَنَّ لَهُ

يعني : كان صلى الله عليه وسلم لا يتغَيِّر ولا يتشاءم ، إِلَّا
أَنَّهُ يُعجبه الفَلَل الحَسْن إِذَا عُرِضَ لَهُ .

وحاصل القول هنا : أَنَّهُ لَمَّا انتهى سهيلُ إِلَى
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم .. جرَى بَيْنَهُمَا القَوْلُ ، وأَطَال سُهَيْل
الْكَلَام ، حتى أَسْفَرَ الْمَقَالَ عَنِ الْصَّلْح ، عَلَى أَنْ يَوْضِعَ الْحَرْب
بَيْنَهُمَا عَشْرَ سَنِين ، كَمَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاق ، وَهُوَ الْمُعْتَمَد ،
وَأَنْ يَؤْمِرَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا ، وَأَنْ يَرْجِعَ عَنْهُمْ عَامَّهُمْ هَذَا ، وَدَعَا
الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم عليًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَكْتُبَ كِتَابَ
الصلح .

كتاب الصلح :

فَأَمَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيَّ أَنْ يَكْتُبْ : (بِسْمِ اللَّهِ
رَحْمَنَ الرَّحِيمِ) فَقَالَ سَهِيلٌ : لَا أَعْرِفُ هَذَا ، وَلَكِنَّنِي أَكْتُبْ :
(بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ) فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : « اكْتُبْ :
بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » فَكَتَبَهَا ، ثُمَّ قَالَ : « اكْتُبْ : هَذَا مَا صَالِحْ عَلَيْهِ
مُحَمَّدُ رَسُولُ اللهِ سُهَيْلُ بْنُ عُمَرٍ » فَقَالَ سَهِيلٌ : لَوْ شِهِدْتُ
أَنَّكَ رَسُولَ اللهِ .. لَمْ أُفَاتِلْكَ ، وَلَكِنَّنِي أَكْتُبْ اسْمَكَ وَاسْمَ
أَبِيكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « اكْتُبْ : هَذَا
مَا صَالِحْ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ سَهِيلَ بْنَ

علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه كاتب
الصلح

نص المعاهدة بين
النبي صلى الله عليه وسلم
وكل قوم

.....

عمره^(١) ، اصطلحوا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكتف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأنَّ بيننا عيبة مكفوفة^(٢) ، وأنَّه لا إسلام^(٣) ولا إغلال ، وأنَّه من أحبَّ أن يدخل في عَقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحبَّ أن يدخل في عَقد قريش تدخل علينا مكة ، وأنَّه إذا كان عام قابل .. خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثة ، معك سلاح الراكب : السيف في القُرب لا تدخلها بغيرها .

(١) في رواية البخاري ومسلم من حديث البراء : فقال صلى الله عليه وسلم لعلي : « امحه » فقال : ما أنا بالذي أمحاه ، وهي لغة في امحه - بضم الحاء - قلت : وهذا أصل لمن يرى أنَّ سلوك الأدب مقدم على امثال الأمر .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : « أرني مكانها » فأرأه مكانها ، وكتب : محمد بن عبد الله ، وفي رواية البخاري في باب عمرة القضاة من حديث البراء : فلأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب - وليس يحسن أن يكتب - فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله . وإن ساد الكتابة إليه صلى الله عليه وسلم على سبيل المجاز ، أو هو السبب الامر ، وخالف الباجي في ذلك ، وردد عليه الأئمة الأعلام . انظر « عيون الأثر » في هذا المقام .

(٢) قال السهيلي : (أي : صدوراً منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة ، وضرب العيبة مثلاً ، قال صلى الله عليه وسلم : « الأنصار كرشي وعيبي » فضرب العيبة مثلاً لموضع السر وما يعتد به من ودهم) اهـ

(٣) الإسلام : السرقة والخسنة ونحوها ، وهي السلة ، قالوا في المثل : الخلة تدعوا إلى السلة . والإغلال : الخيانة ، يقال : فلان مغل بالإصبع ؛ أي : خائن اليد . اهـ « روض » .

(٤) عند ذلك بادرت خزاعة فقالت : نحن في عقد محمد وعهده ، وبادرت بنو بكر فقالت : نحن في عقد قريش وعهدهم .

حكمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِمْضَاءِ هَذِهِ الشُّرُوطِ :

هَذِهِ شُرُوطُ الصلحِ الَّذِي وَقَعَ الْاِتْفَاقُ عَلَيْهِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ذَكْرُهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «سِيرَتِهِ» وَفِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ الظَّاهِرَةِ ، وَالثَّمَرَاتِ الْبَاهِرَةِ ، الَّتِي عَادَتْ عَلَى الْمُسْلِمِيْنِ ، وَظَهَرَتْ لِلنَّبِيِّ ، وَخَفِيَتْ عَلَى غَيْرِهِ .. مَا سِيَّلَى عَلَيْكَ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى :

تَحْقِيقُ الْمَحَافَظَةِ عَلَى
الْمُسْتَضْعِفِينَ بِمَكَّةَ

مِنْهَا : حَفْظُ الْمُسْتَضْعِفِينَ فِي مَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنِ ، وَحَقْنُ دَمَائِهِمْ ، لَا خِتْلَاطُهُمْ بِالْكُفَّارِ كَمَا أَشَارَ إِلَى هَذَا النَّاظِمَ بِقَوْلِهِ :

(لَوْلَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْمُوْفَّقُ) مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ (لِلرُّشْدِ) وَالْإِقَامَةِ عَلَى طَرِيقِ الْاِسْتِقَامَةِ وَالْهُدَى (فِي آرَائِهِ) السَّدِيْدَةِ ، الَّتِي لَا يَحُومُ الْخَطَأُ حَوْلَهَا ؛ مِنْ قَبْوِلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الصلحُ مِنْ قَرِيشٍ (لَمْرَزُّقُوا) أَيْ : لَمْرَزُّقُهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، وَلَمْرَزُّقُوا مَنْ كَانَ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ الْمُحْبُوسِيْنَ بِهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوْهُمْ أَنْ تَطْعُوْهُمْ فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَيُنَخِّلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَرَزَّلُوا لَعَذَبَنَا الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَدَابًا أَلِيمًا ﴾ .

يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَّهُ لَوْلَا كَرَاهَةُ أَنْ تُهْلِكُوا أُنْاسًا مُؤْمِنِيْنَ بَيْنَ الْكَافِرِيْنَ غَيْرَ عَالَمِيْنَ بِهِمْ ، فَيُصِيبُكُمْ بِذَلِكَ مَعَرَّةً وَمَكْرُوهًا .. لَمَّا كَفَأَ أَيْدِيْكُمْ عَنْهُمْ ، لَكِنْ كَفَّهَا لِيُدْخِلَ بِذَلِكَ الْكُفَّرَ الْمُؤْدِيِّ إِلَى الْفَتْحِ بِلَا مَحْذُورٍ فِي رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ مِنْ يَشَاءُ .

إسلام كثير من كفار
قريش

ومن فوائده أيضاً : إسلام كثير من كفار قريش باختلاطهم
بالمسلمين ، ومجيئهم إلى المدينة معقل الإيمان والإسلام ،
وحسن سيرته ، وأعلام نبوته الباهرة ، إلى غير ذلك ، ممّا
جعلهم يدخلون في دين الله أفواجاً ، فصلّى الله على هؤلاء
الرسول العظيم الذي منحه ربُّ الْكَرِيمِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا جعله
ينظر إلى وجوه المصالح والحكام لأُمّته ، وجراه الله خير
ما جازى نبياً عن أُمّته .

وعلم المؤمنون بعد ذلك أن صدّهم عن البيت ورجوعهم
كان في الظاهر هضماً ، وفي الباطن عِزّاً لهم وقوة ، فأذلَّ الله
المشركين من حيث أرادوا العزة ، وفَهَرُوا من حيث أرادوا
الغلبة ، **﴿وَلَلَّهِ الْعَزَّةُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾** .

وإلى هذه الفائدة أشار الناظم رحمة الله بقوله :

(أسلم) وانقاد لأمره ودينه صلى الله عليه وسلم (بعد
عوذه) أي : بعد رجوعه^(١) من الحديبية واجتماعه

(١) فالعود : الرجوع ، ومنه : العود أَحْمَدُ ، ومنه : العود مُحَمَّدٌ ؛ أي : الابتداء بالمعروف
و والإعادة إليه أَكْسَبَ للحمد ، قاله أعرابي اسمه خراش ، خطب بنت عم له اسمها الرباب ،
فرده أبوها ، فأضرب عنها زماناً ، ثم أقبل حتى انتهى إلى حلتهم - أي : منزلهم - متغرياً
بأبيات منها :

ألا لَيْتْ شَعْرِي يَا رَبَّابَ مَتَىْ أَرَى لَنَا مِنْكَ نِجْحَانَا أَوْ شَفَاءَ فَأَشْتَفِي
فَسَمِعْتَ مَا قَالَ وَحْفَظْتَهُ ، وَبَعْثَتَ إِلَيْهِ : أَنْ قَدْ عَرَفْتَ حَاجْتَكَ ، فَاغْدَ خَاطِبَأَ ، ثُمَّ قَالَتْ
لَأُمَّهَا : هَلْ أَنْجَحَ إِلَّا مِنْ أَهْوَى ، وَأَتَحْفَ إِلَّا مِنْ أَرْضِي ؟ قَالَتْ نَعَمْ . قَالَتْ : فَأَنْكِحْنِي
خَرَاشَا ، فَقَالَتْ عَلَى قَلْهَ مَالَهُ ؟ ! قَالَتْ : إِذَا جَمَعَ الْمَالَ السَّيِّءُ الْفَعَالُ .. فَقَبِحَا لِلْمَالِ ،
فَأَصْبَحَ فَسْلَمٌ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : الْعَوْدُ أَحْمَدُ ، وَالْمَرْأَةُ تُرْشِدُ ، وَالْوَرْدُ يُحَمَّدُ . فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .

(ب) أصحابه الأبطال (العظما) بالمدينة المنورة ، وفاعل (أسلم) قوله : (أكثر ممَّن كان قبل) أي : قبل الصلح (أَسْلَمَا) بآلف الإطلاق .

وَمِمَّن أَسْلَمَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ : عُمَرُ بْنُ الْعَاصِي ،
إِسْلَامُ الْعَدْدِ مِنْ كَبَارِ
قَرِيشٍ
وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَطَلْحَةُ بْنُ
عُثْمَانَ ، وَغَيْرُهُم مِّنْ قَرِيشٍ ، وَبِهِ فُسْرٌ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَيُنَخِّلَّ
اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ .

(وَفَسَرُوا بِذَلِكَ) أي : بإسلام الكثير في الهدنة (الفتح المُبِين) المشار إليه بقوله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحَنَّا لَكَ فَتَحَّا مُبِينًا﴾ في الصحيح عن البراء بن عازب : (تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان) .

قال الشهاب القسطلاني في «المواهب» : (روى سعيد بن منصور ، بإسناد صحيح إلى الشعبي ، في قوله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحَنَّا لَكَ فَتَحَّا مُبِينًا﴾ قال : صلح الحديبية).

وَمِمَّن فُسِّرَ الْفَتْحُ هُنَا بِالْحَدِيبِيَّةِ : أَبْنُ عَبَّاسٍ ، وَأَنْسٍ ،
وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، قَالَ أَبْنُ عَبَّاسٍ وَأَنْسٍ وَالْبَرَاءُ : (الْفَتْحُ
هُنَا : فَتْحُ الْحَدِيبِيَّةِ ، وَوَقْوَعُ الصلح) .

قال الحافظ : (فَإِنَّ الْفَتْحَ فِي الْلُّغَةِ : فَتْحُ الْمُغْلَقِ ،
وَالصَّلْحُ كَانَ مُغْلَقًا حَتَّى فَتَحَهُ اللَّهُ ، وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ فَتْحِهِ :
صَدُّ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْبَيْتِ ، فَكَانَتِ الصُّورَةُ الظَّاهِرَةُ ضِيَّاً
لِلْمُسْلِمِينَ ، وَالْبَاطِنَةُ عَزًّا لَهُمْ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لِلْأَمْنِ الَّذِي وَقَعَ

الفتح في (سورة
الفتح) صلح الحديبية

التائج العظيمة لصلح
الحديبية

فيهم اختلط بعضهم بعض من غير نكير ، وأسمع المسلمين المشركين القرآن ، وناظروهم على الإسلام جهراً آمنين ، وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك إلا خفية ، فظهر من كان يخفى إسلامه ، فذلّ المشركون من حيث أرادوا العزة ، وقُهروا من حيث أرادوا الغلبة) .

وقال ابن إسحاق : (وقال الزّهري : ما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنّما كان القتال حيث التقى الناس ، فلماً كانت الهدنة ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة .. فلم يكُلّم أحد يعقل في الإسلام شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثلُ من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر) .

والدليل على قول الزّهري : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مئة في قول جابر بن عبد الله ، ثمَّ خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف .

ومن فوائد هذا الصلح : ما أشار له بقوله :

(وفيه) أي : العود من غير قتال (إبقاء) للحياة (على) المؤمنين (المستضعفين) بمكة ، قال ابن عباس رضي الله عنه : (أنا وأمّي من المستضعفين) .

(وبعثوا) أي : المسلمين (جمل) أي جهل (عَمْرُو بْنُ هِشَامَ) واسمها : العُصَيْفَيرُ ، بُرْتَهُ من فضة ، وهي بضم الباء

العصيفير جمل أبي جهل

فتح الراء المخففة : حلقة تجعل في أنف البعير ، وهذا الجمل سُلْب من أبي جهل يوم قُتل بدرٍ ، ولم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو عليه ، ويضرب في لقاحه ، إلى أن أهداه في هذا اليوم إلى البيت الحرام ؛ إغاظة لكفار قريش ، كما قال الناظم (هدياً وإنكاءً) من أنكى بمعنى : أغاظ ، ويتعلق ببعثوا قوله : (إلى البيت الحرام) وذلك أنَّهم إذا رأوه .. تذكروا سيدهم أبا جهل وقتلَه يوم بدر ، ورأوا جمل سيدهم يتصرف فيه قاتله كيف شاء .

قال ابن إسحاق : (قال عبد الله بن أبي نجيح : حدَّثَنِي مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جَمَلاً لأبي جهل ، في رأسه بُرْة من فضة ، يغطي بذلك المشركين) .

التحلل مِن إحرام العمرة :

(ونحرُوا وحلقو) أي : بعد فراغهم من الصلح وكتابة الكتاب .. أمرهم عليه الصَّلاة والسَّلام أن ينحرُوا ويحلقو .

قال في « شرح المawahب » : (ففي « البخاري » في الشروط : فلما فرغ من الكتاب .. قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « قوموا فانحرُوا ، ثمَّ احلقو رؤوسكم » فوالله ؛ ما قام رجل منهم حتى قال ذلك مرات ، فلما لم يقم أحد .. دخل على أم سَلَمة ، فذكر لها ما لَقِيَ من الناس ، وفي رواية ابن إسحاق : فقال لها : « ألا ترين إلى الناس ؟ إِنِّي أمرتهم

بالأمر فلا يفعلونه » فقالت : يا رسول الله ؛ لا تلهمهم ؛ فإنهم قد دخلهم أمر عظيم ، مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ، ورجوعهم بغير فتح) .

مشورة أم سلمة رضي الله عنها على رسول الله صلّى اللهُ علٰيهِ وسالم

وفي رواية أبي المليح : (فاشتَدَ ذلك عليه ، فدخل على أم سلمة ، فقال : « هلك المسلمون ؛ أمرتهم أن يحلقوا وينحرموا فلم يفعلوا » قال : فجلا الله عنهم يومئذ بأم سلمة رضي الله عنها ، فقالت : يا نبِيَ الله ؟ أتحب ذلك ؟ اخرج ، ثم لا تكلم منهم أحداً كلمة حتى تتحر بُدُنك ، وتدعوا حالِقَك فيحلقك ، فخرج ، فلم يكلم منهم أحداً حتى نحر بُدُنه ، ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك .. قاموا فنحرموا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً .

سبب تكرار الدعاء
لل محلقين ثم
المقصرين

قال ابن إسحاق : (بلغني أنَّ الذي حلقه يومئذٍ خِراش بن أمِيَّة بن الفضل الخزاعي) وكانت الْبُدْن سبعين ، وحلق رجال يومئذٍ ، وقصَّر آخرون ، فقال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يرحم اللهُ الْمُحَلَّقِين» قالوا : والمُقصَّرِين ، قال : «يرحم اللهُ الْمُحَلَّقِين» قالوا : والمُقصَّرِين ، قال : « والمُقصَّرِين» قالوا : لم ظهرت الترُّحُم للمُحَلَّقِين دون المُقصَّرِين ؟ قال : «لم يشُكُوا» رواه ابن إسحاق أيضاً عن ابن عباس .

الأسباب المحتملة في
عدم الاستجابة مباشرة
لما أمرهم به رسول
الله صلى الله عليه وسلم

قال : كان توقف الصحابة رضوان الله عليهم بعد الأمر ؛
لا حتمال أنه للندب ، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح ، أو
تخصيصه بالإذن لهم في دخول مكة العام لإتمام تسكحهم ،
وساغ ذلك لهم ؛ لأنَّه زمان وقوع النسخ .

ويحتمل أنَّ صورة الحال أبهتهم ، فاستغرقوا في الفكر ؛
لِمَا لحقهم من الذل عند نفوسيهم مع ظهور قوتهم ، واعتقادهم
القدرة على قضاء نسائهم بالغلبة ، أو لأنَّ الأمر المطلوب
لا يقتضي الفَّور .

ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم ، أو فهموا
أنَّه صلَّى الله عليه وسلم أمرهم بالتحلل ؛ أخذًا بالرخصة في
حقهم ، وأنَّه هو يستمر على الإحرام ؛ أخذًا بالغزيمة في حق
نفسه ، فأشارت عليه أم سَلَمة بالتحلل ؛ لينفي هذا الاحتمال ،
وعرف صوابه ففعله ، فلَمَّا رأوه .. بادروا إلى فعل ما أمرهم
به ؛ إذ لم يبق غاية يتظرونها ، ونظيره ما وقع لهم في غزوة
الفتح من أمره لهم بالفطر في رمضان فأبوا ، حتى شرب
فشربوا . اهـ

قال السهيلي : (ولم يكن المقصَّر يومئذ من أصحابه إلا
رجلين : عثمان بن عَفَّان ، وأبا قتادة الأنصاري ، كذلك جاء
في مسند حديث أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه) .

فوائد قصة التحلل من إحرام الحديبية :

قلت : وفي هذه القصة فوائد :

منها : جواز تحليل المحرم الذي هو متلبَّس بعُرُمات
الإحرام غيره بالحلق أو التقصير ؛ فإنَّ الصحابة رضي الله عنهم
كانوا مُحرَّمين بالعمرَة ، وحلَّ بعضهم بعض بذلك .

ومنها : فضل الحلق على التقصير .

ومنها : فضل المشاورة ؛ لمشاورته عليه الصلاة والسلام لأُم سلمة ، وكان عليه الصلاة والسلام كثير المشاورة ، لقوله تعالى : **﴿وَشَاعِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾** ومعلوم : أنَّ ذلك فيما لم ينزل فيه وحي ، وأنَّ المشاورة تطيب لقلوبهم .

ومنها : مشاورة المرأة الفاضلة ، وفضل أُم سلمة ، ووفور عقلها ، وأنَّها كانت رضي الله عنها سبباً في زوال غضبه - عليه الصلاة والسلام - من أصحابه الذين لم يبادروا امثثال أمره لما ذكر ، حتى قال إمام الحرمين : (لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلَّا أُم سلمة) واستدرك عليه بعضهم بنت سيدنا شُعيب عليه الصلاة والسلام في أمر موسى ؛ أي : حيث قالت : **﴿يَكَبِّتَ أَسْتَعِرْجُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مَّنْ أَسْتَعِرْجَتَ الْقَوْيُ الْأَمِينُ﴾** إلَّا أنْ يُحمل قول إمام الحرمين على هذه الأُمَّة المحمدية ، والعلم عند الله تعالى .

تبنيه :

النهي عن مشاورة النساء ، إنَّما هو في أمر الولاية خاصة ، قاله السهيلي عن أبي جعفر النحاس .

البشرة بقبول عمرة الصحابة :

ثمَّ أراد الناظم أن يذكر كرامة وقعت للصحابة تدل على قبول الله عمرتهم فقال :

(وَحَمَلَتْ شُعُورَهُمْ لِلبيت) الحرام (رِيَحُ) عاصف ؛ إشعاراً بتمام عمرتهم ويقبلها ، وجبراً لخواطرهم (قد غلت)

.....
أي : جاوزت الحدّ ، والمراد : شدة هبوبها^(١) .

عُمره صلى الله عليه وسلم :

ومن أجل هذا عُدت هذه العمرة من عُمره عليه الصّلاة
والسّلام البالغة أربعاً .

أولها : هذه .

والثانية : عمرة القضيّة في السنة التي بعدها ، وهي السنة
السّابعة ، ويقال لها أيضاً : عمرة القصاص ؛ لأنّ فيها نزلت آية
﴿الثَّنَرُ الْحَرَمُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَالْحُمُوتُ قَصَاصٌ﴾ .

والثالثة : عمرة الجعرانة عام حُنين ، منصرفة منها سنة
ثمان .

والرابعة : عمرته عليه الصّلاة والسلام التي قرّنها بحجّة
عام الوداع ، وفي الصحيح : كان صلى الله عليه وسلم يقول
في إحرامه حينئذ : « لَبَيْكَ اللَّهُمَّ حَجَّاً وَعُمْرَةً » وإلى ذلك أشار
سيدي عبد العزيز الفاسي في نظمه « قُرّة الأبصار » بقوله :

وَحَجَّ حِجَّتَيْنِ ثُمَّ الْفَرْضَا

واعتمَرَ الْأَرْبَعَ قَالُوا أَيْضًا

(١) روى ابن سعد من مرسى يعقوب الأنباري قال : (لَمَّا صَدَّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاصْحَابَهُ ، وَحَلَقُوا بِالْحَدِيبَيَّةِ ، وَنَحْرُوا .. بَعْثَ اللهِ رِيحًا عَاصِفًا احْتَمَلَتْ شَعُورُهُمْ ، فَأَلْقَتْهَا فِي الْحَرَمِ ؛ أَيْ : جِبْرًا لَهُمْ فِي صَدِّهِمْ عَنِ الْبَيْتِ) زَادُ أَبُو عَمْرٍ : (فَاسْتَبَشُرُوا بِقَبْوُلِ عَمَرَتِهِمْ) .

وَأَغْلَظُوا فِي الْصُّلْحِ حَتَّىٰ أُبَرِّمَا وَمِنْهُ رَدٌّ مَنْ أَتَاهُ مُسْلِمًا

وقال مالك : ثلاثة اعتمـر

وَحْجَ مُفْرِدًا فَحَقٌّ الْخَبْرُ

وَكُلُّهُنَّ كُنَّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ

عَلَى الَّذِي صَحَّحَهُ مَنْ عَدَهُ

• • •

شروط الصلح ظاهرها ضيم وباطنها عزٌ لل المسلمين :

ثم أراد الناظم أن يذكر بعض ما تضمنه كتاب الصلح من الشروط القاسية ، التي ظاهرها ضيم على الإسلام والمسلمين ، وباطنها العزٌ والحكمة البالغة والسداد ، علم

ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فامضاه ، فقال :

(وأَغْلَظُوا) أي : شدَّدَ كُفَّارَ قَرِيشَ (في) شَأْنَ (الْصُّلْحَ)
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ (حِينَ أُبَرِّمَا) أي : أَحْكَمَ الْصُّلْحَ ،
وَالْأَلْفَ لِإِطْلَاقِ الْقَافِيَّةِ .

(ومنه) أي : الإغلاظ (رَدٌّ مَنْ أَتَاهُ) أي : ردَّ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَأْتِي مِنْ نَاحِيَةِ قَرِيشَ (مُسْلِمًا)
إِلَى قَرِيشَ ، وَمَنْ جَاءَ قَرِيشًا مَمَّنْ تَبَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ
يَرْدُهُ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَذْكُرِ النَّاظِمُ هَذِهِ الْجَمْلَةَ ثَانِيَةً ؛ لَأَنَّهُ
لَا إِغْلَاظَ فِيهَا ؛ لَأَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَصْنَعُ شَيْئًا إِذَا
ذَاكَ بَمِنْ ارْتِدَّ عَنِ دِينِهِ ، وَرَغْبَةُ عَنِهِ إِلَى غَيْرِهِ .

فَمَنْ جَاءَنَا يَا مَرْحُبًا بِمَجِيئِهِ

وَمَنْ فَاتَنَا يَكْفِيهِ أَنَّا نَفْوُتُهُ

.....

على أنه لم يثبت فيما أعلم أن أحداً من المسلمين خرج إلى قريش مرتدًا بعد أن خالطت بشاشة إيمانه قلبه ، وأماماً من جاء مسلماً .. فهو في رحب وسعة ، وسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً ، كما يأتي قريباً .

أمر أبي جندل بن سهيل^(١) :

ففي « صحيح الإمام البخاري » : (في بينما هم كذلك - وفي رواية ابن إسحاق : فإنَّ الصحيفة لتكتب - إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُف - يمشي مشياً بطئاً - في قيوده وقد خرج من أسفل مكة ، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال أبوه سهيل : هذا يا محمدُ أول ما أقضيك عليه أن ترُدَّه إلىَّ ، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدَ » قال : فواه الله ؛ إذن لا أصلحك على شيء أبداً ، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَأَجِزْهُ لِي » قال : ما أنا بمجيز ذلك ، قال : « بلَّى ، فافعل » قال : ما أني بفاعل ، قال مِكرز : بلَّى قد أجزناه لك ، قال أبو جندل : أي مَعْشر المسلمين ؟ أُرَدُّ إلىَّ المشركين وقد جئت مُسْلِماً ؟ ! ألا ترون ما قد لقيت ؟ ! وكان قد عَدَّبَ في الله عذاباً شديداً) .

زاد ابن إسحاق : (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل ؛ اصبر واحتبِس ؛ فإنَّا لا نَغْدِر ، وإنَّ الله جاعلٌ

(١) اسم أبي جندل : العاصي بن سهيل بن عمرو .

لَكْ فَرْجًا وَمَخْرِجًا» فَوَثَبَ عُمَرُ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهِ وَيَقُولُ :
أَصْبَرْ ؟ فَإِنَّمَا هُمُ الْمُشْرِكُونَ ، وَإِنَّمَا دَمُ أَحَدِهِمْ كَدْمُ الْكَلْبِ
- وَيُيَدِّنِي مِنْهُ قَائِمُ السِيفِ - يَقُولُ عُمَرُ : رَجُوتُ أَنْ يَأْخُذَ
السِيفَ ، فَيُضَرِّبُ بِهِ أَبَاهُ ، قَالَ : فَضَّلَ الرَّجُلَ بِأَبِيهِ ، وَنَفَذَتِ
الْقَضِيَّةِ) أَهـ .

قَلْتُ : وَذَلِكَ لِمَا فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ يُسْلِمُ بَعْدَ ذَلِكَ أَبُوهُ
سُهْلَيْلَ ، وَيَحْسِنُ إِسْلَامَهُ ؛ حَتَّى يَتَبَرَّأَ الْمَقَامُ الْمُحْمَودُ يَوْمَ وَفَاتِهِ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَيَخْطُبُ فِيهِمْ بِمَكَّةَ خُطْبَةً كَخُطْبَةِ
أَبِي بَكْرٍ بِالْمَدِيْنَةِ ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

قَالَ فِي «الإِمْتَاعِ» : (عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَقَدْ
نَظَرَتِ إِلَى سَهْلِيْلَ بْنِ عَمْرَوْ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ قَائِمًا عِنْدَ النَّحْرِ
يَقْرُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ بَدْنَهُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَنْحِرُهَا بِيَدِهِ ، وَدَعَا الْحَالِقَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ ، فَأَنْظَرَ إِلَى سَهْلِيْلَ
يَلْتَقِطُ مِنْ شَعْرِهِ ، وَأَرَاهُ يَضْعِفُ عَلَى عَيْنِيهِ ، وَأَذْكَرَ إِبَاهُ أَنْ يَقْرِئَ
يَوْمَ الْحَدِيْبِيَّةَ بِأَنْ يَكْتُبَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» وَإِبَاهُ أَنْ
يَكْتُبَ أَنَّ «مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» فَحَمَدَتِ اللَّهُ الَّذِي هَدَاهُ
لِلْإِسْلَامِ) فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَبِرَكَاتِهِ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ الَّذِي هَدَانَا اللَّهُ
بِهِ ، وَأَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ الْهَلْكَةِ .

مَوْقِفُ عُمَرَ وَأَبِي بَكْرٍ مِنْ شُرُوطِ الصلَحِ :

وَلِغَلْظِ ذَلِكَ الشَّرْطِ قَامَ سَيِّدُنَا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ،
فَأَتَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : قَلْتُ : أَلْسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ

حقاً؟ قال : «بلى» قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : «بلى» زاد البخاري في (الجزية) و(التفسير) : (أليس قتلانا في الجنة ، وقتلامهم في النار؟ قال : «بلى» قلت : فلِمَ نُعطي الْدَّيْنَةَ فِي دِينِنَا إِذْنَ؟ قال : «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ ، وَهُوَ نَاصِرِي» قلت : أَوْلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطْوَفُ بِهِ؟ قال : «بلى ، أَفَأَخْبَرْتَكَ أَنَّا نَأْتَيْهِ الْعَامَ» قلت : لا ، قال : «فَإِنَّكَ آتَيْهِ ، وَمُطَوَّفٌ بِهِ» قال : فَأَتَيْتَ أَبَا بَكْرَ ، فَقَلَتْ : يَا أَبَا بَكْرَ ؟ أَلِيسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًا؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق ، وعدونا على الباطل؟ قال : بلى ، قلت : فلِمَ نُعطي الْدَّيْنَةَ فِي دِينِنَا إِذْنَ؟ قال أبو بكر : أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، لَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ ، وَهُوَ نَاصِرُهُ ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، قلت : أَوْلَيْسَ كَانَ يَحْدِثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطْوَفُ بِهِ؟ قال : بلى ، أَفَأَخْبَرْتَكَ أَنَّا نَأْتَيْهِ الْعَامَ؟ قلت : لا ، قال : فَإِنَّكَ آتَيْهِ ، وَمُطَوَّفٌ بِهِ .

قلت : وفي هذه القصة ما يدل على فضل أبي بكر ومزيد علمه ومعرفته بأحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وموافقته له في جواب عمر حرفاً بحرف ، مع أنه لم يسمع مقالته عليه الصلاة والسلام لعمر .

ولعلم عمر بمكانة أبي بكر ، وفضله العلمي ، وأنه أكمل الصحب .. لم يسأل أحداً غيره بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

مظاهر فضل أبي بكر
على بقية الصحابة
رضوان الله عليهم

.....

قال الشهاب في «المواهب» : (قال العلماء : لم يكن سؤال عمر - رضي الله عنه - وكلامه شَكّا في الدين ، حاشاه ! بل طلباً لكشف ما خفي عليه من المصلحة ، وحرصاً على إذلال الكفار وظهور الإسلام ، كما عُرف من خُلُقِه وقوته في نصر الدين وإذلال المُبْطِلِين ، وأمّا جواب أبي بكر بمثل جواب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارك علمه ، وزيادة عرفانه ورسوخه ، وزيادته في كل ذلك على غيره) .

وقال الزرقاني : (ألا ترى أنه صَرَح في الحديث : أنَّ المسلمين استنكروا الصلح المذكور ، وكانوا على رأي عمر ، فلم يوافقهم أبو بكر ، بل كان قلبه على قلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء ؟) اهـ

أمر أبي بصير الثقفي :

وممَّن خرج مسلماً من قريش في هذا العهد إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة : أبو بصير - بالتكبير - واسمه : عتبة بن أُسَيْد الثقفي ، فأرسلوا في طلبه رجلين : خُنَيْسَ بن جابر من بني عامر ، ومولى يقال له : كوثر ، فقالوا : العَهْدُ الَّذِي جَعَلَهُ لَنَا ، فَدَفَعُهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ . زاد ابن إِسْحَاقَ : (فَقَالَ : أَتَرَدْنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَقْتُلُونِي عَنْ دِينِي وَيَعْذِبُونِي ؟ ! قَالَ : « اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ فَرْجًا وَمُخْرِجًا »

زاد أبو المليح - كما في «شرح المواهب» - : (فقال له
عمر : أنت رجل وهو رجل ، ومعك السيف) اهـ

فخرجا به حتى بلغا ذا الحُلْيَفَة ، فنزلوا يأكلُون من تُمْرٍ
لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله ؟ إِنِّي لأرَى سيفَك
هذا جيداً ، فاستلَّ الآخر ، فقال : أَجَلْ والله ؟ إِنَّه لجيد ، لقد
جربت ، ثُمَّ جربت ، وفي رواية : لَأُضْرِبَنَّ به في الأوس
والخزرج يوماً إلى الليل ، فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه ،
فأمكنه منه ، فضربه أبو بصير حتى بَرَدَ ، وفَرَّ الآخر حتى أتى
المدينة ، فدخل المسجد يعدو فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
«لقد رأى هذا دُعْرا» فلما انتهى إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .. قال : قَتَلَ وَاللهِ صَاحِبُكُمْ صَاحِبِي ، وَإِنِّي لِمَقْتُولٍ ،
فجاء أبو بصير وقال : يا نبِيَ الله ؟ قد أُوفِيَ اللهِ ذِمَّتِكَ ، قد
رددتني إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللهُ مِنْهُمْ ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ» وهي رواية الصحيح ، وفي
رواية ابن إِسْحَاقَ : «مِحَشٌ حَرْبٌ^(١) لَوْ كَانَ مَعَهُ رَجَالٌ» .

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَصِيرَ حَتَّى نَزَلَ الْعِيْصَنْ ، مِنْ نَاحِيَةِ ذِي الْمَرْوَةِ
عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، بِطَرِيقِ قَرِيشٍ الَّتِي كَانُوا يَأْخُذُونَ عَلَيْهَا إِلَى
الشَّامِ ، وَبَلَغَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا احْتَبُسُوا بِمَكَّةَ قَوْلَ
رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَصِيرٍ : «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ
حَرْبٍ ، لَوْ كَانَ مَعَهُ رَجَالٌ» فَخَرَجَ إِلَى أَبِي بَصِيرٍ ، فَاجْتَمَعَ

خروج أبي بصير إلى
ساحل البحر للتضييق
على قريش

(١) موقـد حـرب ومسـعـرـها .

وَهُمْ عَلَيْهِمْ بَعْدَ رَدِّهِمْ وَبَالْ إِذْ أَخْذُوا الْطَّرْقَ عَلَى صُهْبِ السَّبَالْ

إليه منهم قريب من سبعين رجلاً ، وكانوا قد ضيقوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم ، فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

وإلى ما جرى في هذه القصة أشار الناظم بقوله :

(وَهُمْ) أي : المستضعفون من المسلمين ، وضمير الجمع يعود على (مَنْ) في قوله : « ومنه رَدٌّ من أتاه مسلماً » ؛ نظراً للمعنى . (عَلَيْهِمْ) أي : على كفار قريش ، الذين أغلوظوا في الصلح بذلك الشرط القاسي .

وقوله : (بَعْدَ رَدِّهِمْ) أي : رد المستضعفين من المدينة ، حال ؛ لأنَّ نعت لنكرة تقدم عليها وهي قوله : (وَبَالْ) الواقع خبراً للمبتدأ ؛ أي : هم وبال ، أي : سبب للوبال والشدة ، والفشل بعد ردتهم ؛ لأنَّهم قطعوا مادَّتهم وميرَتهم من طريق الشام كما قال الناظم : (إِذْ أَخْذُوا الْطَّرْقَ عَلَى صُهْبِ السَّبَالْ) هو شعر يخالط بياضه حمرة ، والسبال : طرف ما على الشارب من الشعر ، والمراد هنا الأعداء ؛ أي : أخذ المستضعفون الطريق على أعدائهم كفار مكة .

قال في « تاج العروس » للسيد مرتضى : (ومن المجاز : الأعداء صُهْبُ السَّبَالْ ، وسُودُ الأكباد وإن لم يكونوا كذلك ،

قال :

وَأَنْتَدُبُوا لِقَوْلِهِ فِي الْتَّدْبِ سَيِّدِهِمْ هَذَا مَحَشٌ حَرْبٌ

جَاؤُوا يَجْرِيُونَ الْحَدِيدَ جَرَّا

صُهْبَ السَّبَالِ يَتَغُونَ شَرَّا

وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ : أَنَّ عَدَوَتَهُمْ لَنَا كَعِدَاوَةُ الْرُّومِ ، وَالرُّومِ

صُهْبَ السَّبَالِ وَالشِّعْرِ ، وَإِلَّا .. فَهُمْ عَرَبٌ ، وَأَلْوَانُهُمْ :

الْأَدْمَةُ ، وَالسَّمْرَةُ ، وَالسَّوَادُ ، وَقَالَ ابْنُ قَيْسٍ الرُّفَيْقَاتِ :

فَظَلَالُ السُّيُوفِ شَيْئٌ رَّأْسِي

وَاعْتَنَاقِي فِي الْقَوْمِ صُهْبَ السَّبَالِ

وَيَقُولُ : أَصْلُهُ لِلرُّومِ ؛ لَأَنَّ الصَّهُوبَةَ فِيهِمْ ، وَهُمْ أَعْدَاءُ

لَنَا ، كَذَا فِي « لِسَانِ الْعَرَبِ » وَنَقْلُهُ الْجَوْهَرِيُّ عَنْ

عَبْدِ الْمُلْكِ بْنِ قَرِيبِ الْأَصْمَعِيِّ) .

(وَأَنْتَدُبُوا) أَيْ : انتدب المستضعفون من المسلمين ؟

أَيْ : أَجَابُوا وَسَارُوا (لِقَوْلِهِ) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (فِي

الْتَّدْبِ) الظَّرِيفُ النَّجِيبُ^(١) (سَيِّدِهِمْ) بِالْجَرِّ : بَدْلٌ مِنْ

النَّدْبِ ، وَالْمَرَادُ بِهِ أَبُو بَصِيرٍ ، كَمَا تَقْدِمُ (هَذَا مَحَشٌ) بِكَسْرِ

الْمَيْمَ (حَرْبٌ) أَيْ : مُوقَدُهَا ، لَوْ كَانَ مَعَهُ رَجُالٌ ، فَهُذَا الْقَوْلُ

مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أَبِي بَصِيرٍ ، هُوَ الَّذِي حَمَلُوهُمْ عَلَى

انْضِمَامِهِمْ إِلَيْهِ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، عَلَى طَرِيقِ تَجَارَتِهِمْ بِالشَّامِ ،

(١) قال في « القاموس وشرحه » : (نَدْبٌ إِلَى الْأَمْرِ كَنْصُرٌ : دُعَاءٌ وَحَثَّ ، وَالنَّدْبُ : أَنْ يَنْدَبَ قَوْمًا إِلَى حَرْبٍ أَوْ أَمْرٍ أَوْ مَعْوِنَةٍ ؛ أَيْ : يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، فَيَنْتَدِبُونَ لَهُ ؛ أَيْ : يَجْبِيُونَ وَيَسَارِعُونَ ، وَقَالَ أَيْضًا : النَّدْبُ : الرَّجُلُ الْخَفِيفُ فِي الْحَاجَةِ ، وَالسَّرِيعُ الظَّرِيفُ الْعَجِيبُ » مَادَةُ (نَدْبٌ) .

لا يظفرون بأحد من كفار قريش إلَّا قتلوه ، ولا تمر بهم عِيرٌ إلَّا اقطعنوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بالرَّحْمَمَ أن يُؤْوِيَهُمْ إِلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ ، ففعل صلى الله عليه وسلم ، وقد أشار الناظمُ إلى هُذَا بِقُولِهِ :

(واستعطفوا خيرَ الْوَرَى) صلى الله عليه وسلم ؛ أي : طلب كفار قريش منه العَطْف (بالرَّحْمَمَ في صَرْفِهِمْ إِلَيْهِ) بالمدينة المنورة (عن أَرْضِهِمْ) أي : أرض قريش التي يمرُون عليها في تجارتِهِم إلى الشام .

قال السُّهَيْلِيُّ : (أَمَّا لحوق أبي بصير بسيف البحر - بكسير السين ؛ أي : ساحله ، وتقديم تعين المكان ، وهو العِيص - ففي رواية مَعْمَر عن الرُّهْرِيِّ : أَنَّهُ كَانَ يَصْلِي بِأَصْحَابِهِ هَنَالِكَ ، حَتَّى لَحِقَ بِهِمْ أَبُو جَنْدُلَ بْنَ سَهِيلَ ، فَقَدِمُوهُ ؛ لِأَنَّهُ قَرْشِيٌّ ، فَلَمْ يَزِلْ أَصْحَابِهِ يَكْثُرُونَ حَتَّى بَلَغُوا ثَلَاثَ مِائَةً ، وَكَانَ أَبُو بصير كثِيرًا مَا يَقُولُ هَنَاكَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَكْبَرِ

مَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ فَسَوْفَ يُنْصَرِ

وفاة أبي بصير رضي الله عنه فلما جاءهم الفرج من الله تعالى ، وكلمت قريش النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أن يُؤْوِيَهُمْ إِلَيْهِ لِمَا ضَيَّقُوا عَلَيْهِمْ .. وَرَدَ كِتَابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وأَبُو بصير في الموت يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَأَعْطَيَ الْكِتَابَ ، فَجَعَلَ يَقْرُؤُهُ وَيُسَرِّ بِهِ ، حَتَّى قُبِضَ وَالْكِتَابُ عَلَى صَدْرِهِ ، فَتَبَّعَهُ عَلَيْهِ هَنَاكَ مَسْجِدٌ ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ .

.....
وممَّا قاله أبو جندل أيام وجوده مع أبي بصير بسيف

البحر :

أَبْلَغْ قَرِيشاً عَنْ أَبِي جَنْدَلِ
أَنَّا بَذِي الْمَرْوَةِ فَالسَّاحِلِ
فِي مَعْشَرِ تَخْفُقِ أَيْمَانِهِمْ
بِالْيَضِّ فِيهَا وَالْقَنَا الْذَّابِلِ
يَأْبُونَ أَنْ تَبْقَى لَهُمْ رُفَقَةٌ
مِنْ بَعْدِ إِسْلَامِهِمُ الْوَاصِلِ
أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مَخْرَجًا
وَالْحَقُّ لَا يُغَلِّبُ بِالْبَاطِلِ
فَيَسْلِمَ الْمَرْءُ بِإِسْلَامِهِ
أَوْ يُقْتَلَ الْمَرْءُ وَلَمْ يَأْتَلِ
وَبَعْدَ مَوْتِ أَبِي بَصِيرٍ قَدِمَ أَبُو جَنْدَلَ مَعَ نَاسٍ مِّنْ أَصْحَابِهِ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَجَعَ بِأَهْلِهِمْ إِلَى
أَهْلِهِمْ .

ما نُزِّلَ فِي النِّسَاءِ الْمُهَاجِرَاتِ :

يَقِي الْكَلَامُ عَلَى النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ الْمُهَاجِرَاتِ ، فَإِنْ قَلَنَا :
إِنَّهُمْ يَدْخُلُنَّ فِي هَذَا الْصَّلْحِ ؛ لِقَوْلِهِ كَمَا فِي رِوَايَةِ الْبَخَارِيِّ :
(وَلَا يَأْتِيكُمْ مِّنَ أَحَدٍ) - وَالصِّيَغَةُ تَعُمُ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ - فَتَقُولُ :
نُسْخَ ذَلِكَ فِيهِنَّ ، أَوْ خُصُّصَ ذَلِكَ الْعُمُومَ بِهِنَّ ؟ فَقَدْ صَحَّ : أَنَّهُ
جَاءَتْ نِسْوَةٌ مِّنْهُنَّ : أُمُّ كَلْثُومَ بْنَتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ مُّهَاجِرَةً ،

فدخلت على أم سلمة بالمدينة ، فأعلمتها أنها جاءت مهاجرة ، وتحوّفت أن يردها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل رسول الله على أم سلمة .. أعلمه ، فرحب بأم كلثوم وسهّل ، فجاء في طلبها أخواها : الوليد وعمارة ابنا عقبة ، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يردها للعهد ، فقالت : يا رسول الله ؟ أتردني على المشركين ؟ ويحلون مني ما حرام الله ، ويفتنوني عن ديني ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عِلْمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تُرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُنَارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُنَّ يَحْلُونَ لَهُنَّ وَمَا تُرْهِمُهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُو بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَأَلُوكُمْ مَا أَنْفَقُتُمْ وَلَا سَأَلُوكُمْ مَا ذَرْتُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حِكْمَةٌ﴾ .

فلم يردها ، وتزوجها زيد بن حaritha ، فقتل عنها ، ثم خلف عليها الزبير ، فولدت له زينب ، ثم خلف عليها عبد الرحمن بن عوف ، فولدت له : محمداً ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وحميداً ، وكلهم روى الحديث .

وفي «البخاري» : (ولا نعلم امرأة من المسلمين ارتدت إلى الكفار) .

نزول سورة الفتح :

واعلم : أن مدة إقامتهم بالحديبية بضعة عشر يوماً ، وقيل أكثر من ذلك ، ثم قفل بهم النبي صلى الله عليه وسلم يرید

المدينة ، وفي نفوس أصحابه بعضُ شيءٍ من عدم الفتح الذي كانوا لا يشكون فيه ، ولو لا إيمانهم^(١) الصحيح ، وثقتهم بهذا النبي الأمين .. لما رجعوا ، فأنزل الله تعالى (سورة الفتح) كما قال الناظم :

(سُورَةُ الْفَتْحِ) وهي : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّغَفْرَانِ اللَّهِ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرَ﴾ إلى آخرها (لدى القُفُولِ) أي : عند الرجوع إلى المدينة ، بجبل على بريد من مكة ، يقال له : ضَجْنَان^(٢) ، بوزن سكران (أنزلها الله) بتمامها (على

(١) حتى قال عمر رضي الله عنه - كما في «طبقات ابن سعد» - : (لقد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة على صلح ، وأعطاهم شيئاً ، لو أنَّ نبي الله أمر عليَّ أميراً فصنع الذي صنع النبي الله .. والله ؟ ما سمعت له ولا أطعه ، وكان الذي جعل لهم : أنَّ من لحق من الكفار المسلمين .. يردونه ، ومن لحق بالكافر .. لم يردوه) اهـ

(٢) عند هذا الجبل وادٍ كان عمر بن الخطاب يرعى فيه إبلًا لوالده ، روي عنه أنَّه قال في انصرافه من حجته التي لم يحج بعدها : (الحمد لله ، ولا إله إلا الله ، يعطي من يشاء ما يشاء ، لقد كنت بهذا الوادي - يعني ضجنان - أرعى إبلًا للخطاب ، وكان فظًا غليظًا يتعيني إذا قصرت ، وقد أصبحت وأمسيت ، وليس بيدي وبين الله أحد أخشاه) ثمَّ تمثل فقال :

يَقْسِي إِلَيْهِ وَيَفْنِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ
وَالْخَلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا
وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْهَا تَرَدَّ
مِنْ كُلِّ أُوبٍ إِلَيْهَا وَافْدَيْفَدَ
لَا بَدْ مِنْ وَرَدَهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدَا
وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَعْذِبُ الشِّعْرَ الْفَحْلَ ، وَيَسْتَشْهِدُ بِهِ ، وَقَدْ أَوْصَى بِالاعْتِدَادِ بِهِ ،
فَقَالَ : (رَوَوَا أَوْلَادُكُمُ الشِّعْرَ .. تَهْذِبُ طَبَاعَهُمْ ، وَتَرْقِيَ أَسْتَهُمْ) وَفِيهِ تَشْجِيعٌ لِلأَدْبَرِ
الْبَرِيءِ ، وَكَانَ لَهُ نَظَرٌ فِي الشِّعْرِ ، قَالَ يَوْمًا لِبَعْضِ جَلَسَائِهِ : (مَنْ أَشَعَّ النَّاسَ ؟) فَأَجَابَ =

لَا شَيْءَ مَمَّا نَرِي تَبْقَى بِشَاشَتِهِ
لَمْ تَغْنِ عَنْ هَرْمَزٍ يَوْمًا خَرَائِنَهِ
وَلَا سَلِيمَانٌ إِذْ تَجْرِي الرِّيَاحُ لَهُ
أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ لَعْزَتَهَا
حَوْضُ هَنَالِكَ مُورُودٌ بِلَا كَذْبٍ

.....
الرسول) صلى الله عليه وسلم ؛ إعلاماً بأنَّ عهـدـ الحـديـبـيةـ هوـ
الفـتحـ المـبـينـ ، وـتـسـلـيـةـ لـهـمـ ، وـتـذـكـرـاـ لـهـمـ بـنـعـمـهـ عـزـ وـجـلـ .

ولـمـ نـزـلـتـ جـمـعـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ النـاسـ ، وـقـرـأـ
عـلـيـهـمـ : «إـنـاـ فـتـحـنـاـ لـكـ فـتـحـاـ مـيـنـاـ»ـ الآـيـةـ .. فـقـالـ رـجـلـ :
يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ ؟ أـوـفـتـحـ هـوـ ؟ قـالـ : «إـيـ وـالـذـيـ نـفـسـيـ بـيـدـهـ ؛ إـنـهـ
لـفـتـحـ»ـ .

صلـحـ الحـديـبـيةـ أـعـظـمـ
الفـتـحـ

قالـ فـيـ «ـشـرـحـ المـواـهـبـ»ـ : (ـرـوـىـ مـوـسـىـ بـنـ عـقـبـةـ فـيـ
حـدـيـثـهـ عـنـ الزـهـرـيـ ، وـأـخـرـجـهـ الـبـيـهـقـيـ عـنـ عـرـوـةـ قـالـ : أـقـبـلـ
الـنـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ رـاجـعـاـ ، فـقـالـ رـجـلـ مـنـ أـصـحـابـهـ :
مـاـ هـذـاـ بـفـتـحـ ؟ لـقـدـ صـدـدـنـاـ عـنـ الـبـيـتـ ، وـصـدـدـ هـدـيـنـاـ ، وـرـدـ
رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ رـجـلـيـنـ مـنـ الـمـؤـمـنـيـنـ كـانـاـ خـرـجـاـ
إـلـيـهـ ، فـبـلـغـهـ ذـلـكـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، فـقـالـ : «ـبـئـسـ
الـكـلـامـ ! بـلـ هـوـ أـعـظـمـ الـفـتـحـ ، قـدـ رـضـيـ الـمـشـرـكـوـنـ أـنـ يـدـفـعـوـكـمـ
بـالـرـاحـ عنـ بـلـادـهـمـ ، وـيـسـأـلـوـكـمـ الـقـضـيـةـ ، وـيـرـغـبـوـ إـلـيـكـمـ فـيـ
الـأـمـانـ ، وـلـقـدـ رـأـوـاـ مـنـكـمـ مـاـ كـرـهـوـاـ ، وـأـظـهـرـكـمـ اللـهـ عـلـيـهـمـ ،
وـرـدـكـمـ سـالـمـيـنـ مـأـجـورـيـنـ ، فـهـوـ أـعـظـمـ الـفـتـحـ ، أـنـسـيـتـمـ يـوـمـ أـحـدـ
إـذـ تـصـعـدـوـنـ وـلـاـ تـلـوـونـ عـلـىـ أـحـدـ ، وـأـنـاـ أـدـعـوـكـمـ فـيـ أـخـرـاـكـمـ ؟
أـنـسـيـتـمـ يـوـمـ الـأـحـزـابـ إـذـ جـاـءـوـكـمـ مـنـ فـوـقـكـمـ وـمـنـ أـسـفـلـ مـنـكـمـ ،
وـإـذـ زـاغـتـ الـأـبـصـارـ وـبـلـغـتـ الـقـلـوـبـ الـحـنـاجـرـ ، وـتـظـنـنـوـنـ بـالـلـهـ
الـظـنـوـنـاـ ؟ـ فـقـالـ الـمـسـلـمـوـنـ : صـدـقـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ ، هـوـ أـعـظـمـ

كـلـ بـمـاـعـنـدـهـ ، فـقـالـ : (ـأـشـعـرـهـمـ مـنـ يـقـوـلـ : مـنـ وـمـنـ)ـ يـعـنـيـ زـهـيرـ بـنـ أـبـيـ سـلـمـيـ .ـ اـهـ

=

الفتوح ، والله يا نبِيَّ الله ؛ ما فكرنا فيما فكرت فيه ، ولأنَّت
أعلم بالله وبأمره منا .

قال في « الإِمْتَاع » : (فلَمَّا دَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ
الْقَضِيَّةِ ، وَحَلَقَ رَأْسَه .. قَالَ : « هُذَا الَّذِي وَعَدْتُكُمْ » فَلَمَّا كَانَ
يَوْمُ الْفَتْحِ .. أَخْذَ الْمَفْتَاحَ ، وَقَالَ « ادْعُوا إِلَيَّ عُمَرَ بْنَ
الْخَطَّابِ » فَقَالَ : « هُذَا الَّذِي قَلْتُ لَكُمْ » فَلَمَّا كَانَ فِي حِجَّةِ
الْوَدَاعِ .. وَقَفَ بِعِرْفَةَ فَقَالَ : « أَيُّ عَمَرٍ ؟ هُذَا الَّذِي قَلْتُ لَكُمْ »
قَالَ : أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ ؟ مَا كَانَ فَتْحُ الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِنْ صَلْحِ
الْحَدِيَّةِ » .

تَحْقِيقُ اللَّهِ مَا وَعَدَ بِهِ
رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

وَهُنَا اَنْتَهَىُ كَلَامُ النَّاظِمِ عَلَىِ الْحَدِيَّةِ وَعَقْدِ الْصَّلْحِ .



عُمْرَةُ الْقَضَاءِ :

وَلِنَذِيلُ كَلَامَهُ بِالْكَلَامِ عَلَىِ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ ؛ تَوْفِيَّةِ الْمَقَامِ ،
وَلَأَنَّ مِنْ جَمْلَةِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ عَقْدُ الْصَّلْحِ أَنْ يَرْجِعُوا هَذَا
الْعَامُ ، وَيَأْتُوا الْعَامَ الْقَابِلَ ، فَكَانَ لِلنَّفْسِ تَشُوُّفٌ إِلَىِ خَبْرِ الْعَامِ
الْقَابِلِ : هَلْ أَتَوْا مَكَةَ ؟ وَكَمْ كَانَتِ إِقَامَتِهِمْ بِهَا ؟ إِلَىِ غَيْرِ ذَلِكِ
مَمَّا سِيَّلَىُ عَلَيْكُمْ ، فَأَقُولُ :

فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ عَلَىِ الصَّحِّيْحِ ، فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ ،
خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْمَدِينَةِ مَحْرَمًا بِالْعُمْرَةِ ، حَسِبَمَا
وَقَعَ عَلَيْهِ الْإِتْفَاقُ بَيْنِهِ وَبَيْنِ كَفَارِ قَرِيشٍ ، وَتُسَمَّىُ هَذِهِ الْعُمْرَةُ
بِعُمْرَةِ الْقِصَاصِ ؛ لِنَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالْحُرُثُتُ قِصَاصٌ ﴾

فيها ، بل هي أولى بذلك ، كما قال السهيلي ، وبعمره
القضية ، من المقاضاة التي كان قاضاهم عليها ، على أن يرجع
عنهم عامهم هذا ، ثم يأتي في العام القابل ، ولا يدخل مكة إلا
في جلبان السلاح ، وألا يقيم أكثر من ثلاثة أيام ، لا من
القضاء مقابل الأداء ؟ لأنّها كانت عمرة صحيحة ، وعدت من
جملة عمرة صلّى الله عليه وسلم .

وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ
اللَّهُ رَسُولُهُ الرَّأْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِيَ
مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ الآية .

خليفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم على
المدينة

وخلاصة الكلام عليها أخذنا من كلام ابن إسحاق وغيره :
أنه عليه الصلاة والسلام لما رجع من خيبر إلى المدينة .. أقام
بها فيما بين الريعين وشوال يبعث سراياه ، حتى إذا كان في
ذى القعده .. خرج وخرج معه المسلمين ، ممن كان صدّ معه
في عمرته تلك ، واستعمل على المدينة عويف بن الأضبيط
الذؤلي ، وساق ستين بدنة وقلدّها ، وجعل عليها ناجية بن
جندب ، وحمل عليه الصلاة والسلام السلاح والدروع
والرماح ، وقاد مئة فرس ، وجعل عليها محمد بن مسلمة
رضي الله عنه ، وعلى السلاح بشير بن سعد ، ولم يكن قصده
عليه الصلاة والسلام أن يدخلها بالسلاح ، ولكن يكون بالقرب
إن هاجهم هيج من القوم ، وجعل السلاح في بطن ياج
بالقرب من الحرم ، وجعل عليه نحو المئتين من أصحابه .

ولمَا سمع به أهل مكة.. خرج أكابرهم عنها ، وتحدثت قريش بينها أنَّ مُحَمَّداً في عُشرة وجهد وشدة ، فلما دخل صلَّى الله عليه وسلم المسجد.. رمل واضطباط ببردائه ، وأخرج عضده اليمني ، وهذا أول رمل واضطباط في الإسلام ، ثمَّ قال : « رَحْمَ اللَّهِ أَمْرَا أَرَاهُمُ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً » ثمَّ استلم الركن ، ثمَّ أَخْذَ يُهَرِّبُولَ ، وَيُهَرِّبُولُ أَصْحَابَهُ مَعَهُ ثَلَاثَةَ أَطْوَافَ ، وَمَشَى سَائِرَهَا .

قال ابن عباس : كان الناس يظنون أنَّه ليست عليهم ، وذلك أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم إنَّما صنعها لهذا الحِيَّ من قريش ؛ لِلَّذِي بَلَغَهُمْ ، حتَّى حِجَّةَ الْوَدَاعِ فَلَزِمُوهَا ، فَمَضَتِ الشَّيْنَةُ بِهَا ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ أَنْ يَأْمُرُوهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ كَلَّهَا إِلَّا إِلْقَاءَ عَلَيْهِمْ ، وَحِينَ رَأَتْ قَرِيشَ هَذَا الْمَوْقِفَ الرَّائِعَ الرَّهِيبَ مِنَ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ وَأَصْحَابِهِ . قَالَتْ قَرِيشٌ : هُؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ الْحَمَّى قَدْ وَهَتَّهُمْ ! لَهُؤُلَاءِ أَجْلَدَ مِنْ كُلِّ ذِيْكِ ، وَكُلِّ ذِيْكِ ، إِنَّهُمْ لَيَنْفِرُونَ نَفْرَ الظَّبَىِ ؛ أَيِّ : الْغَزَالِ .

قال ابن كثير : (روى البيهقي من غير وجه عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزُّهري عن أنس قال : لمَّا دخل النبي صلَّى الله عليه وسلم مَكَّةَ في عُمْرَةِ الْقَضَاءِ .. مَشَى عبد الله بن رواحة بين يديه وهو آخذ بَغْرَزَه ، وهو يقول : خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ قد نَزَّلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ

رجز عبد الله بن رواحة
رضي الله عنه بين يدي
رسول الله صلَّى اللهُ
عليه وسلم

بأنَّ خيرَ القتلِ في سبيله
نَحْنُ قُتَنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

وفي رواية بهذا الإسناد بعينه :

خَلُوا بَنِي الْكَفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
الْيَوْمَ نَصْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرِبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ

هذا تأويل الرؤيا التي كان رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاءت مثل فلق الصبح ، وذكر أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : مَهْ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ ، بَيْنَ يَدِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِي حَرْمِ اللَّهِ تَقُولُ الشِّعْرُ ؟ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَلَّ عَنْهِ يَا عُمَرَ ؛ فَلَهُ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحَنَ النَّبِيلَ ». .

ولمَّا تَمَّتِ الْثَلَاثَةُ الْأَيَامُ الَّتِي هِيَ غَايَةُ الصلحِ . . جَاءَ حُوَيْطَبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمَعْهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرُو إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَطْلَبُانِ مِنْهُ الْخُرُوجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَقَالُوا : نَنْشَدُكَ اللَّهَ وَالْعَهْدَ إِلَّا مَا خَرَجْتَ مِنْ أَرْضِنَا ؛ فَقَدْ مَضَتِ الْثَلَاثَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَفَاءُ الْعَهْدِ بِالْعَهْدِ . .

قال في « الإماماع » : (وأمر عليه الصلاة والسلام أبا رافع

بالرحيل ، وقال : « لا يمسين بها أحد من المسلمين » وركب حتى نزل بسرف ، وخلف أبا رافع ؛ ليحمل إليه ميمونة حين يمسى ، فخرج بها مساء فبني عليه الصلاة والسلام على ميمونة بسرف ، ولم ينزل بمكة ، وإنما ضربت له قبة من آدم بالأبطح ، وكان هناك حتى سار منها ، وبعث بمئتي رجل ممَّ طافوا بالبيت إلى بطن ياجع ، فأقاموا عند السلاح حتى أتى الآخرون ، فقضوا نسائهم ، وقدم المدينة عليه الصلاة والسلام في ذي الحجة من السنة السابعة) .

بناوه صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين ميمونة

(٢٤) غزوة خيبر

(ثم) بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية . . أقام بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم ، كما قاله ابن إسحاق ، وخرج في بقية منه متوجهاً (لخيبر) ولم يبق من السنة السادسة من الهجرة إلا شهر وأيام .

وخيبر بوزن جعفر ذكر أبو عبيد البكري في « معجمه » : (أنَّها سميت باسم رجل من العمالق ، وهو خيبر بن قانية بن مهلائيل ، وهو أول من نزلها) اهـ

واستختلف على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي فيما قال ابن هشام ؛ وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ، إلى ناحية الشام ، على نحو أربعة أيام بالسَّير المعتدل من المدينة على

نميلة بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الخليفة على المدينة

الإبل ، وبالسيارة أربع ساعات ؛ لعدم تعبيد الطريق ، أمّا اليوم فقد عُبِد ، فكان المسير فيه نحو ساعة بالسيارة .

وكان الله تعالى وعده خير وهو بالحديبية ، قال ابن كثير :
قال شعبة عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، في قوله تعالى : ﴿وَأَثَبَهُمْ فَتَحَّاقِرِبَا﴾ قال : خير) .

قال ابن برهان الحلبي في « سيرته » : (واستنفر صلى الله عليه وسلم منْ حوله ممَّن شهدَ الحديبية يغزون معه ، وجاء المخلفون عنه في الحديبية ؛ ليخرجوا معه رجاء الغنية ، فقال : « لا تخرجوا معي إلَّا راغبين في الجهاد ، فأمّا الغنية .. فلا » ثمَّ أمر منادياً ينادي بذلك ، فنادى به) اهـ .
وخرجت معه أم سَلَمة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وكانت معه في الحديبية كما تقدم .

منازل الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طريقه إلى خير :

قال ابن إسحاق : (وحين خرج النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة إلى خَيْرٍ .. سلك على عَصْرٍ^(١) ، وبنى له فيها مسجداً ، ثمَّ على الصَّهْبَاء ، ثمَّ أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له : الرَّجِيع^(٢) ، فنزل بين أهل خير وبين غَطْفَانٍ ؛

(١) بكسر الصاد : جبل بين المدينة ووادي الفرع ، وعنه مسجد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . اهـ « قاموس » وشرحه « التاج » مادة (عصر) .

(٢) هو بقرب خير ، غير الرَّجِيع الذي لهذيل بناحية مكة ، حيث غدرت فيه عضل والقارة .

ليحول بينهم وبين أن يُمْدُوا أهل خير ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الخذال غطfan عن اليهود :

فبلغني : أن غطfan لما سمعوا بذلك .. جمعوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا مُنْقَلَة .. سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسناً ظنوا أنَّ القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أموالهم ، وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خير .

قال الإمام البخاري : (حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشَيرٍ بن يسَار : أنَّ سُوِيدَ بْنَ الْعَمَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ خَيْرٍ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالصَّهَبَاءِ - وَهِيَ أَدْنَى مِنْ خَيْرٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا بِالْأَزْوَادِ ، فَلَمْ يَؤْتِ إِلَّا بِالسَّوْقِ ، فَأَمَرَ بِهِ فُثْرَى ، وَأَكَلَ فَأَكَلَنَا ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، فَمَضَمْضَ ، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ) .

دُعَاءُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَيْرٍ :

قال ابن إسحاق : (وَحَدَّثَنِي مِنْ لَا أَتَهْمُهُ ، عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه مُعْتَبَ بن عمرو : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خير . قال لأصحابه وأنا فيهم : « قفو » ثُمَّ قال : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَا ، وَرَبَّ الْأَرْضَينَ وَمَا أَقْلَلْنَا ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينَ وَمَا أَضْلَلْنَا ، وَرَبَّ

تأهُبْ غطfan لمعاونة
يهود خير

نَزُولَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّهَبَاءِ

الرياح وما أذرین ؟ فإننا نسألک خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها ، أقدموا باسم الله » قال : وكان يقولها عليه الصلاة والسلام لکل قرية دخلها) .

وقال الإمام البخاري : (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ حُمَيْدِ الطَّوَيْلِ ، عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى خَيْرَ لِيَلَّا ، وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بَلِيلًا .. لَمْ يُغْرِبْهُمْ حَتَّى يَصْبُحُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ .. خَرَجَتِ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ .. قَالُوا : مُحَمَّدٌ وَاللَّهُ ، مُحَمَّدٌ وَالخَمِيسُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَرَبَتِ خَيْرٌ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ .. فَسَاءَ صَبَاحُ الْمَنْذَرِينَ ») .

إعطاء الرأي لعلي بن أبي طالب :

الراية العقاب (ورَشَحَ) أي : قَدَّمَ (النَّبِيُّ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَخْذِ الراية لفتح خير (حَيْدَرَة) يعني : علَيَّاً حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يُعْطِيَنَّ الرَّاِيَةَ رَجُلًا يُجْهَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » (وبالعقاب) بضم العين ؛ أي : بالراية المسمّاة بالعقاب ، قال الشهاب في « المواهب » : (وهي رأيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهي سوداء من بُرُد لعائشة رضي الله عنها) (قد حبى) قد خصَّ و منح .

وأشار الناظم إلى ما رواه البخاري عن سلمة قال : (كَانَ

علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد تختلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خير ، وكان رمداً ، فقال : أنا أختلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ! فلحق به ، فلما بتنا الليلة التي فتحت خير في صبيحتها .. قال : « لا أعطي الرأبة غداً - أو ليأخذن الرأبة غداً - رجل يحبه الله ورسوله يفتح له » وفي رواية ابن إسحاق : « ليس بفرار » وفي حديث بريدة : « لا يرجع حتى يفتح الله له » فلما أصبح الناس .. غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلهم يرجو أن يعطاه ، فقال : « أين علي بن أبي طالب ? » فقالوا : يا رسول الله ؟ هو يشتكي عينيه ، قال : « فأرسلوا إليه » فأتى به ، فبصق صلى الله عليه وسلم في عينيه ، ودعا له ، فبرا حتى كأن لم يكن به وجع) .

روى البخاري أيضاً عن سهل بن سعد رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خير : « لا أعطي هذه الرأبة غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله » قال سهل : فبات الناس يذوكون - أي : يخوضون - ليلتهم أيهم يعطاه .

فلما أصبح الناس .. غدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، كلهم يرجو أن يعطاه ، فقال : « أين علي بن أبي طالب ? » فقالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال : « فأرسلوا إليه » فأتى به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ، ودعا له ، فبرا حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الرأبة ، فقال علي : يا رسول الله ؟ أفالهم حتى يكونوا مثلنا ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : « انْفَذْ عَلَى رِسْلِكَ - بِكَسْرِ الرَّاءِ ؛
أَيْ : عَلَى هِيَنْتِكَ - حَتَّى تَنْزَلْ بِسَاحِتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى
الْإِسْلَامِ ، وَأَخْبَرُهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ ،
فَوَاللَّهِ ؛ لَانْ يَهْدِي اللَّهُ بَكَ رَجُلًا وَاحِدًا . خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ
حُمْرُ النَّعْمَ » (١) .

وَزَادَ مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ » مِنْ حَدِيثِ إِيَّاسَ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ
أَبِيهِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعَ : (وَخَرَجَ مِرْحَبٌ فَقَالَ :

قَدْ عَلِمْتَ خَيْرًا أَنِّي مِرْحَبٌ

شَاكِيَ السَّلَاحَ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ
إِذَا الْحَرُوبُ أَقْبَلْتُ تَلَهَّبٌ

فَقَالَ عَلَيُّ :

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمَّيْ حَيْدَرَةَ
كَلِيلُ غَابَاتِ كَرِيْهِ الْمَنْظَرَةَ
أُوفِيْهُمْ بِالصَّاعِ كِيلَ السَّنَدَرَةَ

قَالَ : فَضَرَبَ رَأْسَ مِرْحَبٍ فَقُتِلَ ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى

(١) فِيهِ : أَنَّ تَأْلِيفَ الْكَافِرِ حَتَّى يَسْلِمَ أَوْلَى مِنَ الْمَبَادِرَةِ إِلَى قُتْلِهِ ، فَيَنْبَغِي سُلُوكُ الْطَّرَقِ الْحَكِيمَةِ
إِلَى الْهَدَايَا الْمَنْشُودَةِ ، وَهَذِهِ الْخَلَةُ مِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْحَنِيفِ ، رَزَقَنَا اللَّهُ التَّمْسِكَ بِأَهْدَابِهِ
وَأَدَابِهِ ، أَمِينٌ .

كَمَا أَنَّ الْوَصِيَّةَ الْحَقَّةَ لَجَدِيرَةِ أَنْ تَقْطَعَ أَلْسِنَةَ الْأَفَاكِينَ الزَّاعِمِينَ أَنَّ الْإِسْلَامَ إِنَّمَا قَامَ عَلَى
السِّيفِ وَالْقُوَّةِ ، وَلَمْ يَنْتَشِرْ بِالسَّلَامِ وَالرَّحْمَةِ ، ﴿ كَبَرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا
كَذَّابًا ﴾ .

وَفَازَ بِالْفَتْحِ وَكَانَ تَرَسًا بِبَابِ حِصْنٍ لَا يُزَاحُ إِذْ رَسَأَ

يديه) كما قال الناظم : (وفاز بالفتح) وظفر بالنصر .

تَرْسٌ عَلَيٌّ بِبَابِ الْحَصْنِ :

(وكان) عليّ رضي الله عنه (تَرَسًا بِبَابِ حِصْنٍ) هو القَمُوص - بفتح القاف ، وضم الميم - أي : اتخذ باب الحصن تُرسًا وواقية من العدو ، وعند القتال (لَا يُزَاحُ) أي : لَا يُنْهَى ، ولا يُدْهَب به (إذ رَسَأَ) وثبت في الأرض ؛ لعظم الباب .

ويشير الناظم بهذا إلى ما رواه ابن إسحاق : (حدثني عبد الله بن حسن ، عن بعض أهله ، عن أبي رافع قال : خرجنا مع عليّ حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم برأيته ، فلما دنا من الحصن .. خرج إليه أهله ، فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود ، فطرح ترسه من يده ، فتناول عليّ باباً كان عند الحصن ، فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنا في نفر سبعة معي ، أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فلم نقلبه) اهـ

قال الشهاب في « المواهب » : (وفي رواية البيهقي : أنَّ علياً لَمَّا انتهى إلى الحصن .. اجتذب أحد أبوابه ، فألقاه بالأرض ، فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلاً ، فكان جهُدُهم أن أعادوا الباب مكانه) اهـ

قلت : والأحاديث في هذا الباب وإن كانت ضعيفة - كما

نقله الشهاب عن شيخه السخاوي - إلَّا أنَّهَا تُقبل في باب المناقب والفضائل ، كما هو معلوم ومقرر في محله .

وفي هذه القصة لطيفة ، وهي : أَنَّ من طلب شيئاً أو تعرض لطلبه .. يُحْرَمُه غالباً ، وأَنَّ من لم يطلب شيئاً ولم يتعرض لطلبه .. ربما وصل إليه .

والدُّهْرُ يَعْطِي الْفَتَى مَا لَيْسَ يَطْلَبُهُ

يَوْمًا وَيَمْنَعُهُ مِنْ حَيْثُ يُطْعِمُهُ

.....

فائدتان

الراية واللواء

الأُولى : قال الحافظ في « الفتح » : (صرَحَ جماعة من اللغويين بترادف الراية واللواء ، وهو العَلَمُ الذي يحمل في الحرب) لكن روى أَحْمَدُ وَالْتَّرْمِذِيُّ عن أَبِي عَبَّاسٍ ، وَالْطَّبَرَانِيُّ عن بُرِيْدَةَ ، وَابْنِ عَدَيِّ عن أَبِي هَرِيْرَةَ ، قَالُوا : (كَانَتْ رَايَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُودَاءً ، وَلَوَاؤُهُ أَبْيَضُ . زَادَ أَبُو هَرِيْرَةَ مَكْتُوبٌ فِيهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي التَّغَيِّيرِ ، وَبِهِ جَزَمَ أَبْنُ الْعَرَبِيِّ فَقَالَ : (الْلَوَاءُ خَلَفُ الرَايَةِ ، فَاللَّوَاءُ : مَا يُعَقَّدُ فِي طَرْفِ الرَّمْحِ وَيُلْوَى عَلَيْهِ ، وَالرَايَةُ : مَا يُعَقَّدُ فِيهِ وَيُتَرَكُ حَتَّى تَصْفَعَهُ الرِّيَاحُ ، فَلَعْلَّ التَّفْرِقَةَ بَيْنَهُمَا عَرْفَيْهَا ، وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبْنُ إِسْحَاقَ - وَكَذَا أَبُو الْأَسْوَدَ - عَرْوَةَ : أَنَّ أَوَّلَ مَا وَجَدَتِ الرَايَاتِ يَوْمَ خَيْرِ الْعَالَمِ ، وَكَانُوا لَا يَعْرِفُونَ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَّا الْأُولَى) .

.....
وفي المصباح : (لواء الجيش : عَلَمَه ، وهو دون
الراية) .

حصون خير :

الثانية : الحصون التي فتحها الله لرسوله بخبير هي :
حصن ناعم : وهو أول حصونهم فتحاً ، كما قاله ابن
إسحاق .

والقَمَوص : بفتح القاف وضم الميم ، هو الذي فتح
عليّ .

قال في شرح المواهب : (وهو أعظم حصون الكتبية)
وفيه سُيَّتْ صفة رضي الله عنها ، وكانت تحت كنانة بن
الرَّبِيع بن أبي الْحُقَيْق .

وحصن الصعب بن معاذ : قال ابن إسحاق : (حدَثَنِي
عبد الله بن أبي بكر : أَنَّه حدَثَه بعض أَسْلَمَ : أَنَّ بَنِي سَهْمَ مِنْ
أَسْلَمَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ لَقَدْ جَهَدْنَا ، وَمَا بَأْيَدِينَا مِنْ شَيْءٍ ، فَلَمْ يَجِدُوا
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً يَعْطِيهِمْ إِيَاهُ ، فَقَالَ :
« اللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ حَالَهُمْ ، وَأَنَّ لِيَسْتَ بِهِمْ قُوَّةً ، وَأَنَّ
لَيْسَ بِيَدِي شَيْءٌ أَعْطِيهِمْ إِيَاهُ ، فَافْتَحْ عَلَيْهِمْ أَعْظَمَ حَصُونَهُمْ
عَنْهُمْ غَنَاءً ، وَأَكْثُرْهَا طَعَاماً وَوَدَكَّاً » فَغَدَا النَّاسُ ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ عَلَيْهِمْ حُصْنَ الصَّعْبِ بْنَ مَعَاذَ ، وَمَا بَخِيرَ حُصْنَ كَانَ
أَكْثَرَ طَعَاماً وَوَدَكَّاً مِنْهُ) اهـ

وَحْصَنْ قَلْعَةِ الرَّبِّيرِ : الَّذِي صَارَ فِي سَهْمِهِ بَعْدَ .

قَالَ فِي « شَرْحِ الْمَوَاهِبِ » : (وَكَانَ اسْمُهُ حَصْنٌ قُلْلَةٌ ؛
لِكَوْنِهِ كَانَ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ) .

وَحْصَنْ الْوَطِيعِ : بِالْتَّكِبِيرِ ، سُمِيَّ بِالْوَطِيعِ بْنَ مَازْنَ :
رَجُلٌ مِنْ ثَمُودَ ، نَقْلَهُ فِي « شَرْحِ الْمَوَاهِبِ » عَنِ الْبَكْرِيِّ .

وَالسَّلَالِمُ : بِضمِّ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِيهِ
وَالَّذِي قَبْلَهُ : (وَكَانَا آخَرُ حَصْنَوْنَ أَهْلَ خَيْرٍ افْتَاحَاهُ) .

وَاعْلَمُ : أَنَّ الْوَطِيعَ وَالسَّلَالِمَ مِنْ حَصْنَوْنَ خَيْرٍ ، اخْتَصَّ
بِهِمَا مِنْ بَقِيَّ مِنْ أَهْلِ خَيْرٍ ، حَتَّىٰ صَالَحُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَنْ يُقْرَأُهُمْ لِعِمَارَةِ الْأَرْضِ ، وَلَهُمْ نَصْفُ
مَا تَشْمَرُ ، وَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَقْرَكُمْ
مَا شَئْنَا » ثُمَّ أَجْلَاهُمْ عُمُرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

فَائِدَةٌ :

أَمْنَا صَفْيَةَ الْمَذْكُورَةِ أَلْتَ زَوْجًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَمَّا قِيلَ : إِنَّ امْرَأَةَ مِنَ الْيَهُودِ جَاءَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : يَا مُحَمَّدَ ؛ إِنَّ صَفْيَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ ؛ فَإِنَّهَا
سَيِّدَنَا ، وَبَنْتَ سَيِّدَنَا ، فَاشْتَرَاهَا ، قِيلَ : بَسْبُعَةَ أَرْؤُسٍ ،
فَكَانَتْ تَقُولُ : مَا رَأَيْتَ أَحَدًا قَطُّ أَحْسَنَ حَلْقًا مِنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَقَدْ رَأَيْتَهُ رَكْبَ بَيِّنَ مِنْ خَيْرِ عَلَى
نَاقَتِهِ لَيْلًا فَجَعَلَتْ أَنْعَسَ ، فَيُضَرِّبُ رَأْسِيَّ مُؤْخَرَةَ الرَّجُلِ فَيَمْسِنِي
بِيَدِهِ ، وَيَقُولُ : « يَا هُذِهِ ؛ مَهَلًا يَا بَنْتَ حَبِيِّ » حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ

الصهباء.. قال : «أَمَا إِنِّي أَعْتَذُرُ إِلَيْكَ يَا صَفِيَّةَ مَمَّا صَنَعْتَ بِقَوْمِكَ ؛ إِنَّهُمْ قَالُوا لِي كَذَّا» .

قتل قاتل محمود بن مسلمة الأنباري :

(وَغَلَّ) عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، بِمَعْنَى : أَوْتَقَ (قَاتِلَ) مُحَمَّدَ ، بِاللَّقَاءِ رَحِيّْ مِنْ حَصْنِ نَاعِمَ (سَلِيلَ) أَيْ : ابْنُ (مَسْلَمَةَ) بْنُ خَالِدٍ بْنُ عَدَيْ ، وَدَفَعَهُ لِأَخِيهِ ، كَمَا قَالَ (لِصِنْوِهِ) أَيْ : شَقِيقُ مُحَمَّدٍ ، وَأَبْدَلَ مِنْ (صَنْوِهِ) قَوْلَهُ : (مُحَمَّدَ) فَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ : (وَأَسْلَمَهُ) بِصِيغَةِ الْمَاضِيِّ الْمَعْلُومِ ، بِمَعْنَى : أَعْطَاهُ لِشَقِيقِهِ مُحَمَّدَ .

قال في «العيون» بسنده إلى ابن عمر : (جاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّ الْيَهُودَ قَتَلُوا أَخِيَّ ، فَقَالَ : «لَا دُفْعَنَّ الرَّاِيَةَ إِلَى رَجُلٍ يَحْبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَحْبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَيَفْتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ، فَيُمْكِنُهُ اللَّهُ مِنْ قَاتِلِ أَخِيَّكَ » فَبَعْثَ إِلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَعَقَدَ لَهُ الْلَوَاءَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنِّي أَرَمَدْ كَمَا تَرَى ، قَالَ : وَكَانَ يَوْمَئِذٍ أَرَمَدْ ، فَتَفَلَّ^(١) فِي عَيْنِيهِ ، قَالَ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَمَا رَمَدْتَ بَعْدَ يَوْمَئِذٍ !

(١) أشار إلى التفلفل صاحب «الهمزة» وأجاد بقوله :

وَعَلَيَّ لِمَا تَفَلَّتْ بَعْنِي فَغَدَا نَاظِرًا بَعْنِي عَقَابَ
وَكَلَّتْهَا مَعًا رَمَادَ وَالْعَقَابُ الْأَوَّلُ اسْمُ طَائِرٍ .

قال العوّام - يعني ابن حُوشب أحد رواة الحديث - :

فَحَدَّثَنِي جَبَلَةُ بْنُ سُحَيْمٍ - أَوْ حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ - عَنْ أَبْنَ عُمَرَ ، قَالَ فَمَضِيَ بِذَلِكَ الْوَجْهِ ، فَمَا تَنَامَ أَخْرَنَا حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى أُولَيَاءِ اللَّهِ ، فَأَخْذَ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَاتِلُ الْأَنْصَارِيَّ ، فَدَفَعَهُ إِلَى أَخِيهِ ، فَقَتَلَهُ الرَّجُلُ الْأَنْصَارِيُّ ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ .

مقتل مرحب اليهودي :

(وَغَالَ) أي : قتل علي بن أبي طالب (مرحبا) بوزن منبر كما ضبطه شارح «القاموس» وهو بطل يهود خيير ، وكان قد خرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفرة يمانى ، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه ، كما قال الناظم : (وَقَدَ) بتشدد الدال ؛ أي : وكان قد قطع مرحب (حجرًا من يابس الصخر) أي : من الصخر اليابس والحجر الصلب (به) أي : بذلك الحجر ، وهو متعلق بقوله : (تمغفرا) بالف الأطلاق أي : تغفر به ؛ أي : جعله مغفراً - بكسر الميم - : وهو ما يجعله المتسلح تحت قلنسوته^(١) .

تبنيه :

إنما أعددت الضمير في (غال) إلى (علي) ؛ لأنَّه ظاهر النظم ، وهو الموافق لما في « صحيح مسلم » من رواية

(١) وأشار لذلك بعضهم وأجاد بقوله :

فقلت من وجدي به مرحاً قدَّا فَوَادِي فِي الْهَوَى قَدَّةً
وَشَادَنْ أَبْصَرْتَهُ مَقْبَلًا

وَعَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعَ أَسْتَشَدَهُ خَيْرُ الْوَرَى وَقَالَ إِذْ أَنْشَدَهُ

إِيَّاسُ بْنُ سَلْمَةَ عَنْ أَبِيهِ وَفِيهِ : (أَنَّ عَلَيْهِ ضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبَ فَقُتِلَ ، فَكَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدِيهِ) وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا لِمَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، مِنْ أَنَّ قَاتِلَ مَرْحَبَ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمَةَ ، وَرَوَاهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنِ الزُّهْرَى وَالْوَاقِدِيِّ ، عَنْ جَابِرٍ .

وَقَيْلٌ : إِنَّ الَّذِي قَتَلَهُ عَلَيْهِ ، هُوَ الْحَارِثُ أَخُو مَرْحَبَ ، فَاشْتَبَهَ عَلَى بَعْضِ الرِّوَاةِ ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ . . فَلِأَمْرِ ظَاهِرٍ ، إِلَّا . . فَمَا فِي « الصَّحِيفَةِ » مُقْدَمٌ عَلَى مَا سَوَاهُ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّامِيُّ : (مَا فِي « مُسْلِمٍ » مُقْدَمٌ عَلَيْهِ مِنْ وَجْهِيْنَ : أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ أَصْحَحُ إِسْنَادًا ، الثَّانِي : أَنَّ جَابِرًا لَمْ يَشْهُدْ خَيْرًا ، كَمَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَالْوَاقِدِيَّ وَغَيْرِهِمَا ، وَقَدْ شَهَدَهَا سَلْمَةُ ، وَبُرَيْدَةُ ، وَأَبُو رَافِعٍ ، فَهُمْ أَعْلَمُ مَمَّنْ لَمْ يَشْهُدُهَا) اهـ

فَائِدَةٌ :

قَالَ ابْنُ هَشَامَ : (كَانَ شَعَارُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ خَيْرٍ : يَا مُنْصُورٌ ؟ أَمِتُ أَمِتُ) .

شَعَارُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ
خَيْرٍ

استنشاد الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامِرَ بْنَ الْأَكْوَعَ :
(وَ) لَمَّا خَرَجَ (عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعَ) وَهُوَ عَمُ سَلْمَةَ بْنَ عُمَرَ بْنَ الْأَكْوَعَ عَلَى الصَّحِيفَةِ إِلَى خَيْرٍ مَعَ الْبَيِّنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (اسْتَشَدَهُ) أَيْ : طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَنْشِدَهُ (خَيْرُ الْوَرَى) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ حَدَّاءً ، وَالْإِبْلُ تَسْتَحِثُ بِالْحَدَّاءِ ، وَقَالَ : « انْزِلْ فَحَدَّثْنَا مِنْ هُنَّاتِكَ » بِضمِّ الْهَاءِ ، وَفِيهِ

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَيْنَا
هَلَكَ مِنْ رُجُوعٍ سَيِّفِهِ إِلَيْهِ وَإِذْ تَرَحَّمَ لِلإِنْشَادِ عَلَيْهِ

رواية : « من هُنْيَاهاتك » وفي لفظ : « من هُنْيَاتك » بقلب الهاء
الثانية ياء ؛ أي : من أرجيزك وأشعارك (وقال) عامر ممثلاً
(إذ أنشده) :

الحمداء الذي أنشده
عامر بن الأكوع رضي
الله عنه

(والله^(١) لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا
وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَيْنَا)

وبعده كما في « العيون » :

إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا
وَإِنْ أَرَادُوا فَتَنَّنَا أَبَيْنَا
فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَنَا

دعا الرسول صلى الله
عليه وسلم لعامر بن
الأكوع

فقال صلى الله عليه وسلم : « يرحمك الله » وفي رواية :
« غَفَرَ لَكَ رَبِّكَ » وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم
لإنسان يخصه في مثل هذا الموطن إلا استشهد ، ولذا قال عمر
رضي الله عنه كما في الصحيح : (وَجَبَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، لَوْ
أَمْتَعْتَنَا بِهِ) .

استشهاد عامر بن الأكوع :

وقد أشار الناظم إلى هذا بقوله :

(وَإِذْ تَرَحَّمَ) عليه بقوله ذلك (للإنشاد) لذلك الرجز ،

(١) في « صحيح مسلم » بلفظ : « اللَّهُمَّ » قال الإمام التوسي : (كذا الرواية ، قالوا :
وصوابه : لاهم ، أو تاله ، أو والله ، كما في الحديث الآخر : « فوالله لولا الله ») اهـ

وَأَسْتَشْعِرَ الْفَارُوقُ أَنْ يُسْتَشْهِدَا وَأَخْبَرَ الْهَادِي بِهِ بَادِبَدَا

فقوله : (عليه) ، متعلق بـ (ترجم) (هَلَك) أي : مات ، نظيره قوله تعالى : « وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ إِلَيْنَا فَمَا رَأَيْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ يَهُدِّي حَقًّا إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ » الآية من (سورة غافر) (من رجوع سيفه) أي : عامر (إليه) وهو يقاتل ، فأصحاب ركبته .

(واستشعر) أي : فَطَنَ سيدنا عمر (الفاروق) بين الحق والباطل ، والإيمان والكفر ، من قوله صلى الله عليه وسلم ذلك (أنْ يُسْتَشْهِدَا) بالبناء للمفعول ؛ أي : في هذه الغزوة (وأخبر) بالبناء للمفعول (الهدادي) صلى الله عليه وسلم (به) أي : بموت عامر برجوع سيفه عليه (باد) بالتنوين (بَدَا) بصيغة الماضي ، بمعنى : أول كل شيء ، وهذه الكلمة فيها لغات كثيرة ، وذكرها في « القاموس » في مادة (بدأ) وضبطها السيد الزبيدي في « شرحه » ضبطاً يُرجع إليه ؛ فإنَّ النسخ من « القاموس » في هذا الموضع في اختلاف شديد ، ومصادمة بعضها مع بعض ، فليكن الناظر على حذر منها .

قال الإمام البخاري في « الصحيح » من حديث طويل ، من رواية يزيد بن أبي عبيد مولى سلمة ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع وفيه : (فلما تصفَّ القوم .. كان سيف عامر قصيراً ، فتناول به ساق يهودي ليضربه ، فرجع ذبابُ سيفه - أي : طرفه الأعلى - فأصحاب عين ركبة عامر فمات منه ، قال : فلما قفلوا - أي : رجعوا من خير - قال سلمة : رأني

تبنيه لغوي

سبب قتل عامر بن الأكوع

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيدي ، فلما رأني
رسول الله صلى الله عليه وسلم شاحباً - أي : متغير اللون -
قال : « مالك ؟ » قلت له : فداك أبي وأمي ، زعموا أنَّ عامراً
حطط عمله ، قال النَّبِي صلى الله عليه وسلم : « كذب من
قاله ، وإنَّ له لأجرين - وجمع بين إصبعيه - إنَّ لجاهدَ
مجاهد ، قلَّ عربي مَشَّى بها مثله ») اهـ ، والضمير في قوله
« بها » للأرض أو المدينة ، أو الحرب ، أو الخصلة .

وقال ابن إسحاق : (حدَّثني محمد بن إبراهيم التَّيْمِي ،
عن أبي الهيثم بن نصر الأسلمي ، أنَّ أباه حدَّثه : أنَّه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مسيرة إلى خير
لعامر بن الأكوع ، وهو عم سَلَمة بن عمرو بن الأكوع ، وكان
اسم الأكوع سناناً : « انزل يا ابن الأكوع ، فخذ لنا من هَنَاتِك »
قال : فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم :
والله لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدِينَا

إلى آخر الأبيات ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يَرْحَمُك
الله » فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يا رسول الله ، لو
أَمْتَعْتَنا به ، فقتل يوم خير شهيداً ، وكان قتله فيما بلغني : أنَّ
سيفه رجع عليه وهو يقاتل فَكَلَمَه - أي : جرمه - كُلُّمَا
شديداً ، فمات منه ، فكان المسلمون قد شُكِّوا فيه ، وقالوا :
إنَّما قتله سلاحة ، حتى سأله ابن أخيه سلمة بن عمرو بن
الأكوع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول

وَقُتِلَتْ تِسْعَونَ مِنْ يَهُودًا وَأَسْتُشْهِدَتْ (يَهِ) وَلَا مَرِيدًا

الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّه لشهيد »
وصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ . قال في « روضة
الْهَاهَةَ » : (لأنَّه تَأَخَّرَ مَوْتَهُ عَنِ الْمَعْرِكَةِ) .

عدد قتلى اليهود في خيبر (تسعون) بفوقية قبل السين
(من يَهُودًا) لعنة الله تعالى ، وزاد في « العيون » كابن سعد
عليها ثلاثة فقال في « الطبقات » : (قُتِلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَتِسْعَونَ
رَجُلًا مِنْ يَهُودٍ : الْحَارِثُ أَبُو زَيْنَبٍ ، وَمِرْحَبٌ ، وَأَسْيَرٌ ،
وَيَاسِرٌ ، وَعَامِرٌ ، وَكَنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحُقْيَقِ ، وَأَخْوَهُ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا
هُؤُلَاءِ وَسَمِّيَنَاهُمْ لِشَرْفِهِمْ ؛ أَيٌّ : فِي قَوْمِهِمْ) .

شهداء الصحابة خمسة عشر في خيبر :

(وَأَسْتُشْهِدَتْ) مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(يَهِ) أَيٌّ : خَمْسَةُ عَشَرَ (وَلَا مَزِيدًا) عَلَيْهَا .

قال ابن سعد في « الطبقات » : (وَاسْتَشَهَدَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْرٍ : رَبِيعَةُ بْنُ أَكْثَمٍ ، وَثَقَفُ بْنُ
عُمَرُ بْنُ سُمَيْطٍ ، وَرَفَاعَةُ بْنُ مَسْرُوحٍ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْهُبَيْبِ
- حَلِيفُ لَبْنَيْ أَسْدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّى - وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ ،
وَأَبُو ضِيَاحٍ بْنِ ثَابَتٍ بْنِ النَّعْمَانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ
حَاطِبٍ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، وَعُرْوَةُ بْنُ مُرْعَةَ بْنُ سُرَاقَةَ ، وَأَوْسُ بْنُ
الْقَائِدِ ، وَأَنْيَقُ بْنُ حَبِيبٍ ، وَمُسْعُودُ بْنُ سَعْدِ بْنِ قَيْسٍ ،
وَبَشَرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنُ مَعْرُورٍ - مَاتَ مِنْ الشَّاةِ الْمَسْمُوَّةِ -
وَفُضَيْلُ بْنُ النَّعْمَانَ ، وَعَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعَ - أَصَابَ نَفْسَهُ ، فُدُنِّفَ

هو ومحمد بن مسلمة في غار واحد بالرجيع بخبير -
و عمارة بن عقبة بن عباد بن ملئيل ، ويسار العبد الأسود ،
ورجل من أشجع ، فجميعهم خمسة عشر رجلاً .

قلت : بالعد يظهر أنهم يزيدون على ذلك ، والعلم عند
الله تعالى .

استشهاد يسار الراعي :

قصة إسلام يسار
الراعي رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : (وكان من حديث الأسود الراعي ^(١))
فيما بلغني عنه : أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
محاصر لبعض حصون خبير ، ومعه غنم له ، كان فيها أجيراً
لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله ؛ اعرض على الإسلام ،
فعرضه عليه ، فأسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يحقر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام ويعرضه عليه ، فلما
أسلم . قال : يا رسول الله ؛ إنني كنت أجيراً لصاحب هذه
الغنم ، وهي أمانة عندي ، فكيف أصنع بها ؟ قال : « اضرب
في وجوهها ، فإنها سترجع إلى ربها » أو كما قال ، فقام
الأسود ، فأخذ حفنة من الحصى ، فرمى بها في وجوهها
وقال : ارجعني إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك أبداً ،

(١) هو الذي سماه ابن سعد بيسار العبد الأسود ، وقد سماه أبو نعيم كذلك يساراً ، وسماه غيره
أسلم . قال الحافظ في « الإصابة » : (قال الرشاطي في « الأنساب » : أسلم الحشبي
أسلم يوم خير ، وقاتل فقتل وما صلى صلاة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ معه
الآن زوجتيه من العور العين ») اهـ

فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها ، حتى دخلت الحِصن على ربيها ، ثمَّ تقدم إلى ذلك الحِصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلَّى الله صلاة قَطَّ ، فأتَى به رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، فوُضِع خلفه ، وسُجِّي بشَملة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ، ثمَّ أعرض عنَّه ، فقالوا : يا رسول الله ؛ لِمَ أعرضت عنَّه ؟ قال : « إِنَّ مَعَهُ الآن زوجتي من الْحُورِ الْعَيْنِ ، تَنْفَضُّانِ التَّرَابُّ عَنْ وَجْهِهِ » وَقَوْلَانِ : تَرَبَّ اللهُ وَجْهُهُ مِنْ تَرَبَّكَ ، وَقُتِلَ مِنْ قُتْلَكَ » .

(٢٥) غزوة وادي القرى

ثمَّ ذَيَّلَ النَّاظِمُ غَزْوَةَ خَيْرِ الْوَرَى بِالْكَلَامِ عَلَى وَادِي الْقُرَى - بِضمِّ الْقَافِ - وَفَتَحَ الرَّاءَ مَقْصُورًا - إِذَا هِيَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ - فَقَالَ :

موقعها

(وَمَرَّ) رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْرِ سَبْعِ فِي جَمَادِيِّ الْآخِرَةِ (رَاجِعًا إِلَى وَادِي الْقُرَى) وَهُوَ اسْمُ لِقَرِيَّةٍ مِنْ قُرَى الْيَهُودِ ، بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَخَيْرِ ، وَهِيَ الآن مِنْ أَعْمَالِ الْمَدِينَةِ ، وَتَسْمَى بِالْعُلَى ، فَدَعَا أَهْلَهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَامْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ ، وَقَاتَلُوا ، فَفَتَحَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا ، وَغَنَمَهُهُ أَمْوَالُ أَهْلَهَا ، وَأَصَابَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ أَثَاثًا

اسمها حديثا

فتح الرسول صلَّى اللهُ
عليهِ وَسَلَّمَ لِهَا

وَأَهْلَكُوا غُلَامَهُ ذَا الشَّمْلَهُ أَغْلَهَا فَهِيَ عَلَيْهِ شُعْلَهُ

وممّا ، فَحَمَسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، ترك الأرض والنخل في أيدي يهود ، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خير كما قال الناظم :

(فَشَاطَرْتُ) أي : قاسمت بالنصف (يهوده) أي : الوادي (خِيرَ الْوَرَى) صلى الله عليه وسلم ، قال الحافظ : (وَاسْتَعْمَلَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ بْنَ الْعَاصِي عَلَى وَادِي الْقَرَى ، وَقُبِضَ وَهُوَ عَلَيْهَا) .

خبر مدعم غلام (أهلكوا) أي : اليهود في هذه القضية بوادي القرى (غلامه) أي : عبده المسمى : مِدْعَمًا - بكسر الميم وسكون الدال وفتح المهملتين - بسهم غَرْبٍ أصابه (ذا) أي : صاحب (الشَّمْلَهُ) بفتح الشين ، هي كسراء يشتمل به (أَغْلَهَا) أي : أصحابها من الغنائم ، ولم تصبها المقاسِم (فـ) لذلك (هي عليه شُعْلَهُ) من نار ، والشعلة : ما تشتعل فيه النار من حطب ونحوه .

قال في «العيون» بسنده إلى أبي هريرة : (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خير ، فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً إلّا الثياب والممتع والأموال ، قال : فوجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو وادي القرى ، وقد أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عبد أسود^(١) يقال له : مِدْعَم ، يَحُطُّ رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءه سهم عاشر فقتله ،

(١) أهداه له رفاعة بن يزيد أحد بنى الضبيب ، كما في «مسلم» والضبيب بالتصغير .

قال الناس : هنيئاً له الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَلَّا وَالذِّي نفْسِي بِيْدِهِ ؛ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخْذَهَا يَوْمَ خَيْرِ الْعَنَائِمِ لَمْ تَصْبِهِ الْمَقَاسِمُ .. لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا » فَلَمَّا سَمِعُوا بِذَلِكِ .. جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَّاكٍ أَوْ شِرَاكِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « شِرَّاكٌ مِنْ نَارٍ » أَوْ « شِرَاكًا مِنْ نَارٍ » .

قال في « الإِمْتَاعِ » : (فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى وَادِي الْقَرَى .. اسْتَقْبَلَهُ الْيَهُودُ بِالرَّمِيِّ ، فَقُتِلَ مِدْعُومٌ بِسَبْهِمْ ، فَعَبَّأَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَصْحَابَهُ ، وَصَفَّهُمْ لِلْقَتَالِ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبْوَا ، وَبَرَزُوا فَقُتِلُوا مِنْهُمْ أَحَدُ عَشَرَ رَجُلًا ، وَبَاتُ عَلَيْهِمْ ، وَغَدَأُ لَقْتَالَهُمْ ، فَأَعْطَوُا بِأَيْدِيهِمْ ، فَأَخْذَهَا عَنْهُ ، وَغَنَمَ مَا فِيهَا ، فَقُسِّمَهُ وَعَامِلَ يَهُودَ عَلَى النَّخْلِ ، وَانْصَرَفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ وَادِي الْقَرَى وَقَدْ أَقَامَ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ يَرِيدُ الْمَدِينَةَ ، فَلَمَّا قَرَبَ مِنْهَا .. نَزَلَ وَعَرَّسَ ، فَنَامَ وَمَنْ مَعَهُ عَنْ صَلَاةِ الصَّبَرِ حَتَّى طَلَعَ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّى بِهِمْ ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ : « كَانَتْ أَنفُسَنَا بِيْدِ اللَّهِ ، فَلَوْ شَاءَ .. قَبَضَهَا ، فَلَمَّا رَدَهَا إِلَيْنَا .. صَلَّيْنَا » .

وَلَمَّا نَظَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى أَحُدٍ قَالَ : « هَذَا جَبَلٌ يَحْبَبُنَا وَنَحْبَهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي حَرَمْتُ مَا بَيْنَ لَابْتِي الْمَدِينَةِ » وَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةُ .. اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ ، وَلَهُ دَرْجَتَانِ وَالْمَسْتَرَاحَ ، وَخَطَبَ عَلَيْهِ ، فَحَرَّ الجَذْعُ الَّذِي كَانَ يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ إِذَا خَطَبَ) اهـ

٢٦) غزوة مؤتة

مؤتة : بالهمزة والميم المضمومة ، قال السهيلي في موقعها «الروض الأنف» : (وهي مهمنة الروا ، وهي قرية من أرض البلقاء من الشام ، وأمّا المؤتة بلا همز .. فضرب من الجنون ، وفي الحديث : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ : «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» ؛ مِنْ هَمْزَةَ ، وَنَفْخَةَ ، وَنَفْثَةَ) وَفَسَّرَهُ رَاوِيُّ الْحَدِيثِ فَقَالَ : نَفْثَةُ الشِّعْرِ ، وَنَفْخَةُ الْكَبِيرِ ، وَهَمْزَةُ الْمُؤْتَةِ) اهـ

وعدّها من الغزوات مع عدم حضوره صلٰى الله عليه وسلم فيها ؛ تبعاً لابن سيد الناس اليعمري في «العيون» ولمن قبله . قال ابن إسحاق في «سيرته» : (ذكر غزوة مؤتة من أرض الشام) وترجم الإمام البخاري في «جامعه الصحيح» بقوله : (غزوة مؤتة) وإلـا .. فـهي من جملة السـرايا .

وكانت في جمادى الأولى سنة ثمان من مهاجر رسول الله صلٰى الله عليه وسلم ، على ما ذكره ابن إسحاق ، قال الحافظ : (وأهل المغازي لا يختلفون في ذلك ، إلـا ما ذكر خليفة في «تاریخه» : أـنـها كانت سنة سـبع ، وـوـقـعـ فـي «جـامـعـ التـرمـذـيـ» : أـنـها كانت قبل عـمـرـةـ القـضـاءـ ، قال البرـهـانـ : وـهـوـ غـلـطـ بلاـ شـكـ) .

(ثم إلى) قتال (الروم) جـيلـ قـيـصـرـ ، وـهـمـ بـنـوـ رـوـمـ بـنـ

عص بن سيدنا إسحاق ، ويقال لهم : بنو الأصفر بن روم ؛
أو لأنَّ جيلاً آخر غلبهم ، فوطئ نسائهم فجئن بأولاد صفر ،
قاله في « روض النهاة » (النبي) صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(استنفرا) أي : طلب جيشاً أن ينفِر (بِمُؤْتَهِ) بالتنوين لضرورة
الشعر ، قال في « الأساس » كما نقله عنه في « شرح
القاموس » : (استنفر الإمام الرعية : كَلَفُهُمْ أَنْ يَنْفِرُوا خَفَافًا
وَثَقَالًا) (جيشاً) عدده ثلاثة آلاف ، والكافر مئتا ألف .

عدد جيش المسلمين
والكافر

سبب هذه الغزوة :

وسبب هذا الاستنفار : ما ذكره الحافظ اليعمرى في
« العيون » وجزم به : (أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثَ
الحارثَ بنَ عُمَيرَ الأَزْدِيَّ - أَحَدَ بَنِي لَهْبٍ - بِكِتَابٍ إِلَى الشَّامِ ،
إِلَى مَلِكِ الرُّومِ ، وَقِيلَ : إِلَى مَلِكِ بُصْرَىٰ ، فَعَرَضَ لَهُ
شُرَحْبِيلَ بنَ عَمْرُو الغَسَانِيَّ ، فَأَوْتَهُ رِبَاطًا ، ثُمَّ قُدِّمَ فَضَرِبَ
عَنْقَهِ صَبَرًا ، وَلَمْ يُقْتَلْ لِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُ
غَيْرِهِ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكُ عَلَيْهِ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ عَنْهُ فَبَعَثَ هَذَا
الجيش) .

مقتل الحارث بن
عمير الأزدي رسول
رسول الله صلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وأَمْرَ عَلَيْهِ وَاحِدًا ، ثُمَّ وَاحِدًا ، مِنْ ثَلَاثَةَ عَلَى التَّرْتِيبِ ،
كَمَا قَالَ : (عَلَيْهِ أَمْرًا زَيْدَ بْنَ حَارَثَةَ ، ثُمَّ جَعْفَرًا) إِنْ أُصِيبَ
زَيْدَ (فَابْنَ رَوَاحَةٍ) عَبْدَ اللهِ ، إِنْ أُصِيبَ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ،
وَمِنْ هَنَا سُمِّيَ هَذَا الْجَيْشُ بِجَيْشِ الْأَمْرَاءِ .

جيش الأمراء

روى أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيَّ - وَصَحَّحَهُ أَبْنُ حَبَّانَ - مِنْ حَدِيثِ

أبي قتادة : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش
الأمراء : و قال : «عليكم زيد بن حارثة ، فإن أصيّب زيد ..

فجعفر ... » الحديث ، وفيه : فوثب جعفر وقال : بأبي أنت
وأمي يا رسول الله ، ما كنت أرهب أن تستعمل عليّ زيداً ،
قال : «امض ؛ فإنك لا تدرى أى ذلك خير » .

قال الشهاب في «المواهب» : (وعقد لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لواءً أبيض ، ودفعه إلى زيد ، وأوصاهم
أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير ، وهو مؤتة ، وأن يدعوا من
هناك إلى الإسلام ، فإن أجابوا ، وإلا .. استعينوا عليهم بالله
وقاتلواهم) .

توديع النبي صلى الله عليه وسلم للجيش

قال الزرقاني : (فاسرع الناس بالخروج ، وعسکروا
بالجُرف ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُشَيْعاً لهم
حتى بلغ ثنية الوداع ، فوقف وودعهم) .

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم للجيش :

روى الواقدي عن زيد بن أرقم رفعه ، قال : «أوصيكم بتقوى
الله ، وبمن معكم من المسلمين خيراً ، اغزوا باسم الله في سبيل
الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغدوا ولا تغلو ، ولا تقتلوا
وليداً ، ولا امرأة ، ولا كبيراً فانياً ، ولا منعزل بصومعة ،
ولا تقربوا نخلاً ، ولا تقطعوا شجراً ، ولا تهدموا بناً»^(١) .

(١) فيه من الفوائد التي تجلّى بها مدنية الإسلام بأجلّ مظاهرها : وصية الإمام أمراء الجيش
بتقوى الله تعالى . والرفق بأتبعهم ، وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم ، وما يجب
عليهم ، وما يحل وما يحرم ، وتحريم الغدر ، وتحريم الغلو ، وتحريم قتل الصبيان إذا =

بكاء عبد الله بن رواحة خوفاً من النار :

وذكر ابن إسحاق من مُرَسَّل عُرُوْة : أَنَّه لَمَّا حَضَرَ حَرَوْجَهُمْ . وَدَعَ النَّاسُ أُمَّرَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا وُدِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ مَعَ مَن وُدِعَ مِن أُمَّرَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . بَكَى ، فَقَالُوا : مَا يَبْكِيكَ يَا بْنَ رَوَاحَةَ ؟ فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا بِي حُبُّ الدُّنْيَا ، وَلَا صَبَابَةَ بِكُمْ ، وَلَكُنِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ ﴿وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَأَرِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّمًا مَقْضِيًّا﴾^(١) فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لَيْ بِالصَّدَرِ بَعْدَ الْوُرُودِ .

قيل : إنَّ عبدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ : إِنْ كَانَ زَوْجِي . . فَهِيَ طَالِقٌ ، وَإِنْ كَانَ عَبْدِي . . فَهُوَ حَرْ لَوْجَهِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ مَالِي . . فَهُوَ صَدَقَةُ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَخْذَ سَلَاحَهُ وَسَارَ ،

إِقْدَامَ عبدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لم يقاتلوا ، وهذا كله مجمع عليه كما حكاه الإمام النووي في « شرحه » على « صحيح مسلم » .

(١) تكلم العلماء على هذه الآية ، وذكروا فيها أقوالاً ذكرها العلامة أبو القاسم السهيلي في « الروض » فقال : (منها : أَنَّ الخطاب متوجه إلى الكفار على الخصوص ، واحتاج قاتلوا هذه المقالة بقراءة ابن عباس : ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَأَرِدُهَا﴾) وقالت طائفة : الورود هنا : الإشراف عليها ومعاييرتها ، وحكوا عن العرب : ورددت الماء فلم أشرب ، وقالت طائفة : هو المرور على الصراط ؛ لأنَّه على متن جهنم - أعادنا الله منها والمسلمين - وقالت طائفة : هو أن يأخذ العبد بحظ منها ، وقد يكون ذلك في الدنيا بالحُمَى ؛ فإنَّه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « الحُمَى كَيْرٌ مِنْ جَهَنَّمْ ، وَهُوَ حَظٌ كُلُّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ ») اهـ

.....
وقال لهم المسلمين : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، ورددكم
إلينا صالحين غائبين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لكتنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً
وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ^(١) تَقْذِفُ الزَّبَدَ

أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِرَةً
بِحَرْبَةٍ تَنْفُذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبَدَ
حَتَّىٰ يُقَالَ إِذَا مَرُوا عَلَىٰ جَدِّي
أَرْشَدَةً اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَ

قال ابن إسحاق : (ثمَّ إِنَّ الْقَوْمَ تَهَبُّوَا لِلْخُرُوجِ ، فَأَتَى
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَدَّهُ) .

ثُمَّ قَالَ فِيمَا ذَكَرَهُ أَبْنَ هَشَامَ :
أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرِمُ نَوَافِلَهُ
وَالْوُجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزَرَى بِهِ الْقَدَرُ
فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا أَتَاكَ مِنْ حَسَنٍ
فِي الْمُرْسَلِينَ ، وَنَصَرَأً كَالَّذِي نُصِرُوا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيهِ الْخَيْرَ نَافِلَةً
فِرَاسَةً خَالَفْتُ فِيهِ الْخَيْرَ نَظَرُوا

(١) ذات فرغ - بفتح الفاء ، وسكون الراء المهملة ، وبعدها غين معجمة - أي : واسعة تسيل
دمها . اهـ

تشجيع ابن رواحة الجيش على لقاء هرقل :

ثمَّ مضوا حتَّى نزلوا مَعَانَ^(١) من أرض الشام ، فبلغ الناسَ
أنَّ هرقلَ قد نزل مَآبَ - بفتح الهمزة ومدها ، آخره موحَّدة - من
أرض الْبَلْقاء في مائة ألف من الروم ، وانضمَّ إليهم من لُحْم ،
وْجُذَام ، والقين ، وبهراء ، وبَلَّي مائة ألف .

نَزُولُ الْجَيْشِ بِمَعَانَ

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ .. أَقَامُوا عَلَى مَعَانَ لِيَلْتَيْنَ
يَفْكِرُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقَالُوا : نَكْتُبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَخْبِرُهُ بِعَدْدِ عَدُوِّنَا ؛ فَإِمَّا أَنْ يُمْدَدَنَا بِالرِّجَالِ ،
وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ ، فَنَمْضِيَ لَهُ ، فَشَجَعَ النَّاسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ
رَوَاحَةَ وَقَالَ : يَا قَوْمَ ؛ وَاللَّهِ إِنَّ الَّتِي تَكَرَّهُونَ لِلَّتِي خَرَجْتُمْ لَهَا
تَطْلُبُونَ : الشَّهَادَةَ ، وَمَا نَقَاتِلُ النَّاسَ بَعْدَ ، وَلَا قُوَّةَ ،
وَلَا كُثْرَةَ ، وَلَا نَقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ ،
فَانْطَلِقُوا ، فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ : إِمَّا ظَهُورٌ ، وَإِمَّا
شَهَادَةٌ ، فَقَالَ النَّاسُ : قَدْ وَاللَّهِ صَدَقَ ابْنُ رَوَاحَةَ ، فَمَضَى
النَّاسُ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِتَخْوِيمِ الْبَلْقاءِ .. لَقِيَهُمْ جَمْعُ هِرَقْلَ مِنِ
الرُّومِ وَالْعَرَبِ ، بِقَرْيَةٍ مِنْ قَرَى الْبَلْقاءِ يُقَالُ لَهَا : الْمَسَارِفِ ،
ثُمَّ دَنَا الْعُدُوُّ ، وَانْحَازَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مُؤْتَةٍ ، فَالْتَّقَى النَّاسُ
عِنْدَهَا ، فَتَعَبَّى لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَتِهِمْ قُطْبَةَ بْنِ
قَاتَادَةَ الْعُدْرِيِّ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِمْ عَبَايَةَ بْنِ مَالِكَ الْأَنْصَارِيِّ .

تَشَوُّرُ الْمُسْلِمِينَ فِي
الْكِتَابَةِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَاقِعِ عَدْدِ
جَيْشِ الرُّومِ

(١) بفتح الميم ، وذكره البكري بضم الميم وقال : (هو اسم جبل) اهـ

استشهاد زيد وعمر وابن رواحة :

عمر جعفر رضي الله عنه فرسه لـَمَا أَلْحَمَهُ
عمر التقي الفريقيان ، فقاتل زيد بن حارثة برأية رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى شاطأ في رماح القوم ، وُقُتِلَ طعنة
بالرماح ، ثمَّ أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه القتال ..
نزل عن فرسٍ له شَقْرَاءَ عَقَرَهَا^(١) ، فقاتل حتى قُتل ، فكان
عمر أولَ رجلٍ من المسلمين عَقَرَ في الإسلام ، فقاتل حتى
قتل وهو يقول :

الآيات التي أنسدتها
عمر رضي الله عنه
عندما أحسَّ دنوَ أجله

يَا حَبَّـا الْجَنَّـةَ وَاقْتَرَـبُـهَا
طَـيِّـةً وَبــارـدـا شــرـابـهـا
وَالرــوـمـُ رــوـمـُ قــدـ دــنـا عــذـابـهـا
كــافـرـةـ بــعــيـدـةـ أــنـسـابـهـا
عــلــيـيـ إــذـ لــاقــيـهـا ضــرـابـهـا

قال ابن هشام : (وحدَثني من أثق به من أهل العلم : أنَّ
عمر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمنيه .. فقطعت ، فأخذه
بশماله .. فقطعت ، فاحتضنه بعُضُديه حتى قتل رضي الله عنه

(١) أي : ضرب قوائمه بالسيف .

قال السهيلي : (ولم يعب ذلك عليه أحد ، فدلَّ على جواز ذلك إذا خيف أن يأخذها
العدو ، فيقاتل عليها المسلمين ، فلم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم وقتلها
عبثاً ، غير أنَّ أباً داوداً لما خرج هذا الحديث .. قال : ليس هذا بالقوي ، وقد جاء فيه نهي
كثير عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . اهـ فكأنَّه يريد أنَّ الحديث ليس ب صحيح ،
لكنه حسن كما جزم به الحافظ ، وتبعه الشهاب القسطلاني ، ونقله عن الحافظ العلامة
الزرقاني) اهـ

وهو ابن ثلث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين^(١) في الجنة يطير بهما حيث شاء ، ويقال : إنَّ رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربةً فقطعه بنصفين . فلما قتل جعفر .. أخذ اللواء عبدُ الله بن رواحة ، وتقى به وهو على فرسه ، فجعل يستنزل فسسه ، ويتردد بعض التردد ، ثمَّ قال :

قُسْمَتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزَلَنَّهُ

لِتَنْزِلَنَّ أَوْ لِتُكْرَهَنَّ

الأبيات التي أنسدتها
عبد الله بن رواحة رضي
الله عنه قبل استشهاده

(١) وممَّا ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين : أنَّهُما ليسا كما يسبق إلى الوهم كجناحي طائر وريشه ؛ لأنَّ الصورة الأدَمِيَّة أشرف الصور وأكملها ، فالمراد بالجناحين : صفة ملكيَّة ، وقوفة روحانية ، أعطيها جعفر ، وقد عَبَرَ القرآن عن العضد بالجناح توسيعاً في قوله تعالى لموسى : «وَاصْبِرْ مِمَّ يَدْكُ إِنَّ جَنَاحَكَ» وقال العلماء في أجنحة الملائكة : إنَّها صفات ملكيَّة ، لا تفهم إلَّا بالمعاينة ؛ فقد ثبت أنَّ لجبريل ست مئة جناح ، ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلاً عن أكثر من ذلك ، وإذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها .. فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها . انتهى ما قاله السهيلي في «روضه» ملخصاً ، ولم يسلمه الحافظ في الفتح ؛ فإنه قال : (ما جزم به في مقام المنع ، والذي حكاه عن العلماء ليس صريحاً في الدلالة على مدعاه ، ولا مانع من الحمل على الظاهر والحقيقة ، إلَّا من جهة ما ذكره من قياس الغائب على الشاهد ، وهو ضعيف ؛ لعدم الجامع ، وما استدلَّ به من كون الصورة البشرية أشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره ؛ لأنَّ الصورة باقية كما هي ، وإعطاء الجناحين له إكراماً ، وقد روى البيهقي في «الدلائل النبوية» من مرسل عاصم بن عمرو بن قنادة : أنَّ جناحي جعفر من ياقوت ، فهو صريح في ثبوتهما له حقيقة ، وأنَّه ليس من أجنحة الطير التي هي من ريش ، وجاء في جناحي جبريل أنَّهما من لؤلؤ ، أخرجه ابن منده في ترجمة ورقة) من كتاب «المعرفة» له .

وقد نقل هذا في «شرح المواهب» للعلامة الزرقاني، ثم قال عن بعض العلماء: (إنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ لَا يَلِيقُ مَثَلَهُ بِالإِمَامِ السَّهِيلِيِّ، بَلْ هُوَ أَشَبُهُ بِكَلَامِ الْفَلَاسِفَةِ وَالْحَشُوْيَّةِ، وَلَا يَنْكُرُ الْحَقِيقَةَ إِلَّا مَنْ يَنْكُرُ وَجُودَ الْمَلَائِكَةِ؛ وَقَدْ قَالَ تَعْالَى: «أَوْلَى الْجِنَّةَ مَنْ قَاتَلَ ثُلَّتَ وَرِبِّمَ») اهـ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّةَ
 مَا لِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ
 قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّةَ
 هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةُ فِي شَنَّةَ
 وَقَالَ أَيْضًا :
 يَا نَفْسُ إِنْ لَمْ تُقْتَلِي تَمُوتِي
 هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيَتِ
 وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيَتِ
 إِنْ تَفْعِلِي فَعَلَهُمَا هُدِيَتِ

يريد بـ (فعلهما) : فعل زيد و جعفر ، فلما نزل .. أتاه
 ابن عمه بعرق من لحم ، فقال : شدّ بهذا صلبك ؛ فإنك قد
 لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ، ثم انتهس منه
 نهسة ، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس ، فقال : وأنت في
 الدنيا ؟ ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه ، فتقى فقاتل حتى
 قتل .

تأمر خالد بن الوليد :
 ثمّ أخذ الراية ثابت بن أقْرُم أخوبني العجلان فقال :
 يا معاشر المسلمين ؛ اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا :
 أنت ، قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن

الوليد ، فلماً أخذ الرأي .. دافع القوم وخشواه ^(١) حتى انصرف الناس .

وروى الطبراني من حديث أبي اليسير الأنصاري ، كما نقله عنه في «الفتح» قال : أنا دفعت الرأي إلى ثابت بن أفترم لما أُصيب عبد الله بن رواحة ، فدفعها إلى خالد بن الوليد ، وقال : أنت أعلم بالقتال مني .

وقول الناظم : (ولأيَا أثبرا) أي : مشى عبد الله بن رواحة بعد لأي - بفتح اللام وسكون الهمزة - أي : بطء ، وذلك أنه رضي الله عنه تلکأ في المسير ، وبكى ، ثم قال : والله ؟ ما بي حب الدنيا . . . إلى آخر ما تقدم .

ويحتمل أن يكون المعنى : أنَّ الجيش المذكور انبرى ، وسار في هذه الغزوة بعد جهد ومشقة ؛ لقلة المسلمين ، وكثرة الكافرين ، وبعد السفر والشقة وإن كانت العاقبة للمسلمين .

واللأي : كالسعدي ، قال زهير بن أبي سلمى :

وقفتُ بها مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً

فَلَأِيَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

(١) ذكر السهيلي في «الروض» عند ذكر ابن إسحاق مخاشأة خالد بن الوليد بالناس يوم مؤتة : أنَّ المخاشأة المحاجزة ، وهي مفاعة من الخشية ؛ لأنَّه خشي على المسلمين لقلة عددهم ، ومن رواه (حاشى) بالحاء المهملة . فهو من الحشى ، وهي : الناحية ، وعن ابن قتيبة في «المعارف» : (أنَّه سئل عن قولهم : حاشى بهم . . . فقال : معناه انحاز بهم) اهـ

إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بما وقع قبل وصول الخبر :

وَكُشِّفَتْ الْأَرْضُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَظَرَ إِلَى مَعْتَرِكِ الْقَوْمِ عَيْانًا ، كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ :

(وَرُفِعَتْ لِلْهَاشِمِيِّ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْمَعْرَكَةُ) بِفَتْحِ الرَّأْءِ وَتِضَمْ ؛ أَيْ : مَوْضِعُ قَتَالِ الْقَوْمِ (فَعَائِنَ الَّذِي أَتَوْا) مِنْ نَزَالِ الْأَمْرَاءِ الْثَّلَاثَةِ ، وَكِيفَ اسْتَشَهَدُوا ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مَمَّا سَبَقَ لَكُمْ ، وَأَخْبَرُهُمْ بِأَصْحَابِ الْمَدِينَةِ قَبْلَ وَصُولِ الْخَبْرِ بِأَيَّامِ وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ رَوَى لِي الْأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَعْتَرِكَ الْقَوْمِ » .

وَقَوْلُهُ : (وَأَدْرَكَهُ) أَيْ : تَحْقِيقُهُ ، أَتَى بِهِ بَعْدَ قَوْلِهِ : (وَعَائِنَ) زِيَادَةً فِي الْفَائِدَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَرَى شَيْئًا ، وَيَعْاينُهُ ، وَلَمْ يَتَحْقِيقُهُ ، فَكَانَ هَذَا أَقْرَبُ إِلَى التَّأْسِيسِ مِنْهُ إِلَى التَّأْكِيدِ ، خَلَافًا لِمَا ذُكِرَ فِي « رَوْضَ النُّهَا » مِنْ أَنَّهُ لِمَحْضِ التَّأْكِيدِ ؛ إِذَا تَأْسِيسُهُ هُوَ الْأَلْقِيَّ أَنْ يَحْمِلَ الْكَلَامَ عَلَيْهِ مَمَّا أَمْكِنَ ، وَيُسَاعِدُ هَذَا الْحَمْلُ مَا عَلَّلَ هُوَ بِهِ مَمَّا ذُكِرَتْهُ هُنَا .

قَدْوُمُ يَعْلَى بْنِ أُمِّيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيُعْلَمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَبْرِ أَهْلِ مَوْتَتِهِ مَوْتَةً مُؤْتَةً

قَالَ الشَّهَابُ فِي « الْمَوَاهِبِ » : (وَذُكِرَ مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ فِي « الْمَغَازِيِّ » : أَنَّ يَعْلَى بْنَ أُمِّيَّةَ قَدِيمٌ بِخَبْرِ أَهْلِ مَوْتَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ شَيْئَتْ .. فَأَخْبُرْنِي ، وَإِنَّ شَيْئَتْ .. أَخْبُرْتَكَ » قَالَ : أَخْبُرْنِي ، فَأَخْبَرَهُمْ بِخَبْرِهِمْ ، فَقَالَ : وَالَّذِي بَعْثَكَ بِالْحَقِّ ؟ مَا تَرَكْتَ مِنْ حَدِيثِهِمْ حَرْفًا لَمْ تَذَكِّرْهُ) وَتَمَامُهُ كَمَا عَنْدَ الزَّرْقَانِيِّ : (وَإِنَّ أَمْرَهُمْ لَكَمَا ذَكَرْتَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ لِي الْأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَعْتَرِكَهُمْ ») .

وروى الإمام البخاري في « جامعه » عن أنس رضي الله عنه : (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعِيَ زِيَادًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيهِمْ خَبْرَهُمْ ، فَقَالَ : « أَخْذُ الرَّاِيَةَ زِيَادًا فَأُصْبِيبُ ، ثُمَّ أَخْذُهَا جَعْفَرًا فَأُصْبِيبُ ، ثُمَّ أَخْذُهَا ابْنَ رَوَاحَةَ فَأُصْبِيبُ - وَعِينَاهَا تَدْرِفَانِ - حَتَّى أَخْذَ الرَّاِيَةَ سَيْفَ مَنْ سَيْفَ اللَّهِ ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » وَفِي رِوَايَةَ : « ثُمَّ أَخْذَ الْلَّوَاءَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدَ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَمْرَاءِ ، وَهُوَ أَمِيرُ نَفْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ إِنَّ سَيْفَ مَنْ سَيْفَ اللَّهِ فَأَنْتَ تَنْصُرُهُ » فَمَنْ يَوْمَئِذٍ سَمِّيَ سَيْفَ اللَّهِ .

انتصار جيش المسلمين :

وَفِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُذَا : دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَهْلَ مَؤْتَةِ رَجَعُوا مُنْصُورِينَ ، قَالَ الشَّهَابُ عَنِ الْحَاكِمَ : (قَاتَلُهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ مَقْتُلَةً عَظِيمَةً ، وَأَصَابَهُمْ غَنِيمَةً ؛ أَيْ : فَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ) .

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَمَّا قَالَ فِي « الْمَوَاهِبِ » : (إِنَّهُ قُتِلَ مِنْ قُتْلِ مَنْ مُسْلِمٌ) أَيْ : وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ . . قَالَ الزَّرْقَانِيُّ : (وَفِي هُذَا عِنْدَهُمْ مِنَ اللَّهِ بِالإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَمِنْهُمْ إِعْزَازٌ وَنَصْرٌ لَهُمْ ؛ إِذَا جَاءَهُمْ عِدَّتُهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، يَلْقَى أَكْثَرَهُمْ مِنْ مَئِيَّةِ الْأَلْفِ ، فَلَا يُقْتَلُ مِنْهُمْ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ ، مَعَ أَنَّهُمْ اُقْتَلُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ) .

وَلَمَّا دَنَا الْجَيْشُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلًا . . لَقِيَهُمُ الصَّبَيْانُ

عَدُودُ الشَّهَادَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

قَدُومُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ

يشتدون ، ورسوله الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، وأعطوني ابن جعفر ، فأتي بعد الله ، فحمله بين يديه ، وجعل الناس يحثون التراب على الجيش ، ويقولون : يا فُرّار ، فررت في سبيل الله ؟ ! فيقول رسول الله : « ليسوا بالفُرّار ، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالى » .

التعريف بالأمراء الثلاثة :

وحيث حدا بنا المقام إلى هؤلاء الأمراء الثلاثة . . فلا بأس أن نُلِمَ بشيء من التعريف بهم ؛ تيمّناً بذكر أباهم وإن كانوا في غُنية عن التعريف ؛ لشرفهم العظيم بالاتساب الحقيقى إلى الجناب النبوى ، رضوان الله تعالى عليهم ، لكنّا في شديد الحاجة إلى معرفة حياتهم في ذلك العصر النبوى ؛ لنقتفي آثارهم ، ونتيّمّن بما تأثّر بهم ، وننظر التواхи بأريج شذائهم ، فأقول ، وبهم على العدا أصول :

زيد بن حارثة :

أمّا سيدنا زيد : فهو ابن حارثة بن شراحيل - بفتح الشين - ابن كعب الكلبى نسباً ، القرشى بالولاء ، حبّ رسول الله ، وأبو حبه ، وأمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طيء ، يقال : إنّها زارت قومها وزيد معها ، فأغارت خيل لبني القين بن جسرٍ في الجاهلية على أبيات بني معن ، فاحتملوا زيداً وهو غلام يَفْعَةً ، فأتوا به في سوق عكاظ ، فعرضوه

للبيع ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بأربع مئة درهم ،
وهو ابن ثمان سنين ، كما قاله في « تهذيب الأسماء » فلما
تروّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وَهَبَتْ لَهُ ، وَكَانَ أَبُوهُ
حَارِثَةَ حِينَ فَقَدَهُ قَالَ :

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَدْرِ مَا فَعَلْ
أَحَيٌ فَيُرْجَى أَمْ أَتَى دُونَهُ الْأَجَلُ

فقد حارثة لابنه زيد
وإنشاده فيه

من أبيات استوفاها الحافظ ابن عبد البر في « الإستيعاب »
ثُمَّ إِنَّهُ حَجَّ نَاسٌ مِنْ كَلْبٍ ، فَرَأُوا زِيدًا ، فَعَرَفُوهُمْ وَعَرَفُوهُ ،
فَقَالُوا : أَبْلَغُوا أَهْلِي هَذِهِ الْأَبِيَّاتِ :

أَحِنُّ إِلَى قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ نَائِيَا
فَإِنِّي قَعِيدُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ

جواب زيد على أبيه
شاعراً

فَكُفُّوا مِنَ الْوَجْدِ الَّذِي قَدْ شَجَّاكُمْ
وَلَا تُعْمِلُوا فِي الْأَرْضِ نَصَّ الْأَبَاعِرِ
فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ أُشْرَةٍ
كِرَامٌ مَعَدٌ ، كَابِرًا ، بَعْدَ كَابِرٍ

فَانْتَلَقُوا فَأَعْلَمُوا أَبَاهُ ، وَوَصَفُوا لَهُ مَوْضِعَهُ ، فَخَرَجَ حَارِثَةُ
وَكَعْبُ أَخْرُوهُ بِفَدَائِهِ ، فَقَدِمَا مَكَةَ ، فَسَأَلَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَيْلَ : هُوَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَدَخَلَا عَلَيْهِ ، فَقَالَا :
يَا ابْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، يَا ابْنَ سِيدِ قَوْمِهِ ؛ أَنْتَ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ ؟
تُفْكُونُ الْعَانِيَ ، وَتَطْعَمُونَ الْأَسِيرَ ، جَئْنَاكَ فِي وَلْدَنَا عَبْدِكَ ،
فَامْنَنْتُمْ عَلَيْنَا ، وَأَحْسَنْتُمْ فِي فَدَائِهِ ، قَالَ : « وَمَا ذَاكَ ؟ » قَالُوا :

قدوم حارثة إلى مكة
وطلبها عودة ابنه زيد
إليه من النبي صلى الله عليه وسلم

.....
 تخير زيد بين العودة
 لأبيه أو البقاء لدى
 النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وسلم

إثمار زيد البقاء لدى
 النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وسلم على أبيه

تبني رسول الله صلى
 اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد بن
 حارثة

تزوجه زينب بنت
 جحش

زيد بن حارثة ، فقال : « أَوَّلَ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ ادْعُوهُ فَخَيْرُوهُ ، إِنَّ
 اخْتَارَكُمْ .. فَهُوَ لَكُمْ بِغَيْرِ فَدَاءٍ ، وَإِنْ اخْتَارَنِي .. فَوَاللَّهِ ؟ مَا أَنَا
 بِالَّذِي أَخْتَارَ عَلَى مَنِ اخْتَارَنِي فَدَاءً » قَالُوا : زَدْتُنَا عَلَى
 النَّصْفِ ، فَدُعَاهُ ، فَقَالَ : « هَلْ تَعْرِفُ هُؤُلَاءِ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ،
 هَذَا أَبِي ، وَهَذَا عَمِي ، قَالَ : « فَأَنَا مَنْ قَدْ رَأَيْتَ صَحْبِتِي
 لَكَ ، فَاخْتَرْنِي أَوْ اخْتَرْهُمَا » قَالَ زَيْدٌ : مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارَ
 عَلَيْكَ أَحَدًا ، أَنْتَ مِنِي بِمَكَانِ الْأَبِ وَالْعَمِ ، فَقَالَا : وَيُحَكِّ !
 أَخْتَارَ الْعَبُودِيَّةَ عَلَى الْحُرْبَةِ ، وَعَلَى أَبِيكَ وَعَمِكَ وَأَهْلِ
 بَيْتِكَ ؟ ! قَالَ : نَعَمْ ؛ إِنِّي قَدْ رَأَيْتَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا مَا أَنَا
 بِالَّذِي أَخْتَارَ عَلَيْهِ أَحَدًا ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ذَلِكَ .. أَخْرَجَهُ إِلَى الْحِجْرَةِ فَقَالَ : « اشْهُدُوا أَنَّ زَيْدًا
 أَبْنِي ، يَرْثُنِي وَأَرْثُهُ » فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهُ وَعَمِهِ .. طَابَتْ
 أَنْفُسَهُمَا وَانْصَرَفَا ، فَدُعِيَ زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَتَّى جَاءَ اللَّهُ
 بِالْإِسْلَامِ وَأَنْزَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ﴾ الْآيَةُ .

وَلَمَّا تَبَّأَهُ .. زَوْجُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبُ بْنَتْ
 جَحْشَ ، بَنْتَ عُمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أُمِّيَّمَةَ بَنْتَ
 عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : مَا كَنَا نَدْعُو
 زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدَ حَتَّى نَزَّلَتْ ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ﴾
 أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ .

قال الحافظ في « الإصابة » : (ويقال : إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّاهُ زَيْدًا ؛ لِمُحَبَّةِ قَرِيشٍ فِي هَذَا الْاسْمِ ، وَهُوَ اسْمٌ
 قُصَيْيٌ) .

تحقيق الشارح اسم
زيد بن حارثة رضي
الله عنه

قلت : وقد تقدم في شعر أبيه ما يدل على أنه يسمى زيداً
من قبل ، فلعل المراد - إن ثبت ما ذكر - أنه عليه الصلاة
والسلام أثبت هذا الاسم وقرره ولم يغيره ، كما كان يغير بعض
أسماء من أسلم ، والله أعلم .

ثم قال في « الإصابة » : (قال عبد الرزاق عن معمر ، عن
الرُّهْرَيْ قال : ما نعلم أنَّ أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة) .

قلت : وقال غيره : أول من أسلم علي بن أبي طالب ، أو
خديجة بنت خويلد ، أو أبو بكر الصديق ، أو بلال ، وقد أشار
إلى هذا الاختلاف والجمع بين الأقوال بما يصير به الخلاف
لفظياً . الحافظ السيوطي في « نظم الدرر » بقوله :

واختلفوا أَوْلَهُم إِسْلَامًا
وَقَدْ رَأَوا جَمِيعَهُمْ اِنْتِظَامًا
أَوْلُ مِنْ أَسْلَمَ فِي الرِّجَالِ
صِدِّيقُهُمْ وَزِيدُ فِي الْمَوَالِي
وَفِي النِّسَاءِ خَدِيجَةُ ، وَذِي الصَّغْرِ
عَلَيُّ ، وَالرَّقِ بَلَالُ اسْتَقَرَ

مناقب زيد :

ومن المناقب التي حفظت لزيد : أنه ذكر في القرآن باسمه
العلم ، وليس ذلك لغيره ، وما قيل : إنَّ السِّجْلَ في قوله
تعالى : « كَطَّى السِّجْلَ لِلْكَعْتَبِ » هو اسم كاتب .. فضعيف
أو غلط كما قاله النووي في « التهذيب » .

الخلاف في أول
الناس إسلاماً

الجمع بين الأقوال
المختلفة

ذكره في القرآن باسمه
العلم

قال في «روض النهاة» عن السهيلي : (ولمَّا نزلت الآية - يعني قوله تعالى : ﴿أَدْعُوكُمْ لِأَبَابِهِمْ﴾ فامتثلها زيد ، وقال : أنا ابن حارثة . جبر الله وحشته ، وشرفه بأن سماه باسمه في القرآن ، فقال تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرَ﴾ حتى صار وحياً يتلى في المحاريب ، فنوه به غاية التنويه ، فكان في هذا تأنيس له ، وعوض من أبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم له ، ألا ترى قول أبي بن كعب حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ سُورَةً كَذَا» يعني (سورة لم يكن) فبكى أبي ، قال : وذكرت هنالك ؟ ! وكان بكاؤه من الفرح حين أخبر أنَّ الله تعالى ذكره ، فكيف بمن صار اسمه قرآنًا يتلى مخلداً لا يبيد ؟ يتلوه أهل الدنيا إذا قرؤوا القرآن ، وأهل الجنة كذلك في الجنان ، ثم زاده في الآية غاية الإحسان إذ قال : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعني : بالإيمان ، فدلَّ على أنه عند الله من أهل الجنان ، وهذه فضيلة أخرى ، هي غاية منتهى أمنية الإنسان) .

قال في «الإصابة» : (شهد زيد بن حارثة بدرًا وما بعدها .

وعن البراء بن عازب أنَّ زيداً قال : يا رسول الله ؛ آخيت رضي الله عنهما بيني وبين حمزة ، أخرجه أبو يعلى .

وعن محمد بن أُسامة بن زيد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة : «يا زيد ؛ أنت مولاي ،

ومني ، وإليَّ ، وأحب الناس إلىَّ » أخرجه ابن سعد بإسناد حسن .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَإِيمَانُ اللَّهِ ؛ إِنْ كَانَ لِخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ - يَعْنِي زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ - وَإِنْ كَانَ لَمَنْ أَحَبَ النَّاسَ إِلَيَّ » أخرجه البخاري .

وعن ابن عمر أيضاً : افترض عمر لأسامة أكثر مما فرض لي ، فسألته ، فقال : إِنَّهُ كَانَ أَحَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ ، وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ أَحَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبِيكَ . قال الحافظ : صحيح) .

قلت : وهـذا من سيدنا عمر تواضع وإظهار لفضيلة أسامة وأبيه ، والمؤمن يهضم نفسه .

وذكر الحافظ ابن عبد البر في « الإستيعاب في أسماء الأصحاب » بسنده إلى الليث بن سعد قال : (بلغني أنَّ زيد بن حارثة أكترى من رجل بغلًا من الطائف ، واشترط عليه المُكْرِي أن يُنزله حيث شاء ، قال : فمال به إلى خربة ، فقال له : انزل ، فنزل ، فإذا في الخربة قتلى كثيرون ، قال : فلما أراد أن يقتله .. قال له : دعني أُصْلِي ركعتين ، قال : صلٌّ ؛ فقد صلَّى قبلك هؤلاء ، فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً ، قال : فلما صلَّيت .. أتاني ليقتلني ، قال فقلت : يا أرحم الراحمين ؛ قال : فسمع صوتاً : لا تقتله ، فهاب ذلك ، فخرج يطلب صاحبه فلم يجد شيئاً ، فرجع إلىَّ ، فناديت يا أرحم الراحمين

درجة محبته لدى النبي
صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.....

- فعل ذلك ثلاثةً - فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربة حديد ، في رأسها شعلة من نار ، فطعنه بها ، فأنفذها من ظهره ، فوقع ميتاً . ثم قال لي : لمَّا دعوت المرة الأولى : يا أرحم الرَّاحمِينَ .. كنت في السماء السابعة ، فلمَّا دعوت المرة الثانية : يا أرحم الرَّاحمِينَ .. كنت في سماء الدنيا ، فلمَّا دعوت في المرة الثالثة .. أتيتك) اهـ

وأشار الناظم في « عمود النسب » إلى هذه القصة بقوله :

والحب زيد اكترى من رجل
مطيةً ونزل بمنزل
ليس به غير عظام قتلا
رجالها الرجل ذا وحملها
عليه فاستغاث زيد بالرحيم

وعنه فرج بإهلاك الرجيم

أربعة توالدوا صحابة
وذكر الحافظ السيوطي وغيره : أنه لا يعرف أربعة توالدوا
صحابة لسوى أبي قحافة ، وزيد بن حارثة ، وأشار له في
نظم الدرر » بقوله :

وأربعٌ توالدوا صَحَابَةٌ

حارثةُ الْمَوْلَى أَبُو قُحَافَةَ

فإنَّه ولد لأسامة بن زيد ولد اسمه محمد ، على عهد
النبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وحارثة تقدم أنه شاهد
النبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأبو قحافة والد سيدنا أبي بكر

أبو قحافة والد سيدنا
أبي بكر رضي الله
عنهم

صحابي ، وأسماء بنت أبي بكر صحابية ، وولدها عبد الله بن الزبير أيضاً صحابي جليل ، مَصَرَّ دم النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حِجَامَتَه .

يعقوب بن محمد بن
أسامة

قال في « روض النهاة » : (ولد لأسامة بن زيد محمد بن أسامة على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعثر يوماً فدمي وجهه ، فمَصَرَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دمه ، ودخل يعقوب بن محمد بن أسامة المسجد يوماً يجر ثيابه ، وعبد الله بن عمر جالس في المسجد ، فغضب وقال : من هذا ؟ فقيل : يعقوب بن محمد بن أسامة ، فطأطأ رأسه ، ونقر بين يديه الأرض ، ثم قال : لو رأه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. لأَحَبَّه)

ذكر الإمام التوسي في « التهذيب » : (أَنَّهُ رُوِيَ لِزِيدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَانِ) .

وبمناسبة ذكر سيدنا زيد ، لا بأس بإتمام مواليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ تتميماً للفائدة :

مواليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فأقول بالعاطف على زيد : وابنه أسامة ، وثوبان بن بُجُدد بضم الموحدة والدال ، وإسكان الجيم ، بضم أبي زكريا التوسي في « تهذيبه » وأنسَة بفتح الهمزة والنون ، وفُضالة اليماني ، وشُقران ، بضم الشين ، ورباح بالموحدة ، ويسار الراعي ، وولود ، وطهمان ، ومأبُور القبطي الذي أهداه

المقوس ، وعُيْد أبو صفيه ، ووَاقِد ، وأبو عُيْد ،
وأبو وَاقِد ، ورافع ، وهشام ، وحُنَين ، وأحمر ويكتى
أبا عسيب - وسَلِيم ويكتى بأبي كبْشة شهد بدرًا ، وكرْكَر بكسر
الكافين ، وقيل : بفتحهما ، كان على ثَقَلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وزيد بن بولا ، وأسْلَمَ - ويكتى أبا رافع - وسفينة ،
وأنجاشة ، ومذْعُم بكسر الميم ، وإسْكَان الدال ، وفتح العين
المهملتين ، وأبو أمَامَة ، وأبو هند ، وأبو ضَمْرَة ، فجملتهم
تسعة وعشرون ، أشار لهم العلَّامَةُ الشِّيخُ عبد العزيز الفاسي في
منظومته « قرة الأَبْصَار » بقوله :

بِيَانِ مَا لَهُ مِنَ الْمَوَالِيِّ
وَالْخَدَمِ الْأَحْرَارِ بِاحْتِفالِ
زِيدُّ ، أُسَامَةُ ، ابْنَهُ ثَوْبَانِ
أَنَسُّ ، فُضَالَةُ ، شُقْرَانُ
ثَمَّ رَبَّاحُ ، وَيَسَارُ ، وَارْدُ
طَهْمَانُ ، مَأْبُورُ ، عُيْدُ ، وَاقِدُ
وَأَبْوَاهَمَا ، وَرَافِعُ ، هَشَامُ
حُنَينُ ، أَحْمَرُ ، سَلِيمُ ذُو اهْتِمَامٍ
كِرْ كِرَةُ التُّوْبِيُّ ، زِيدُّ ، أَسْلَمُ
سَفِينَةُ ، أَنْجَشَةُ ، مِذْعَمُ
أَبُو أمَامَة ، أَبُو هَنْد ، أَبُو
ضَمْرَة ، وَالْإِمَامُ حِينَ تَحْسَبُ

جعفر بن أبي طالب :

أمّا سيدنا جعفر : فهو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو عبد الله ، وابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وشقيق عليّ ، أَسَنُّ منه بعشر سنين ، وعَقِيل أَسَنُ من جعفر بعشر سنين ، وطالب أَسَنُ من عَقِيل بعشر سنين .

فاطمة بنت أسد رضي الله عنها وأسلمت ، وهاجرت إلى المدينة ، وتُوفّيت بها ، وصلّى عليها رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ونزل في قبرها ، وكان يكرّمها ، وفاطمة هذه إحدى الفوّاطم التي قال صلّى الله عليه وسلم لعليّ في ثوب حرير : « قَسَّمَه بَيْنَ الْفَوَاطِمِ الْثَلَاثَ » والثانية : فاطمة بنته صلّى الله عليه وسلم ، والثالثة : فاطمة بنت حمزة .

ولفاطمة بنت أسد بنتان ؛ أم هانئ ، وجمانة .

وجعفر : أحد السابقين الأوّلين إلى الإسلام ، ثبت فيما رواه الشیخان : أنه صلّى الله عليه وسلم قال له : « أشبهت خلقي وخليقي » .

وهو أحد الخمسة المشبهين للنبي صلّى الله عليه وسلم ، المجموعين في قول بعضهم :

بخمسةٍ شبّه المختار من مضرٍ
يا حُسْنَ ما خَوَّلُوا مِنْ شبّهِ الحَسَنِ !

الخمسة المشبهين للنبي
صلّى الله عليه وسلم

بِعَجَفِرِ وَابْنِ عَمِّ الْمُصْطَفَى قُشْ

وَسَائِبٍ وَأَبْيَ سَفِيَانَ وَالْحَسَنِ

(أبو المساكين) كنية
جعفر بن أبي طالب

آخِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنُ صَاحِبِ التَّرْجِمَةِ
وَمُعاذُ بْنُ جَبَلٍ ، كَمَا ذُكِرَهُ الْحَافِظُ فِي «الإِصَابَةِ» وَكَانَ يُكَنِّيهُ
أَبَا الْمَسَاكِينِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُنَّ ، وَيَجْلِسُ إِلَيْهِمْ ،
وَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ فِي لِينِ جَانِبِهِ وَمُكَارِمِهِ يُفِيضُهَا عَلَيْهِمْ ، فَفِي
الصَّحِيفَةِ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ : (كَانَ جَعْفَرُ خَيْرَ النَّاسِ لِلْمَسَاكِينِ) .

وَقَالَ فِي «الإِصَابَةِ» : (قَالَ خَالِدُ الْحَذَّاءِ عَنْ عَكْرَمَةَ :
سَمِعْتُ أَبَا هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : مَا احْتَذَى التَّعَالَى ،
وَلَا رَكَبَ الْمَطَيَا ، وَلَا وَطَى التَّرَابَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. أَفْضَلُ مَنْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَوَاهُ التَّرْمِذِيُّ
وَالنَّسَائِيُّ ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيفَةٌ .

وَرَوَى الْبَغْوَى مِنْ طَرِيقِ الْمَقْبِرِيِّ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ جَعْفَرُ يُحِبُّ الْمَسَاكِينَ ، وَيَجْلِسُ إِلَيْهِمْ ،
وَيَخْدُمُهُمْ وَيَخْدُمُونَهُ ، وَيَحْدُثُهُمْ وَيَحْدُثُونَهُ ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَنِّيهِ أَبَا الْمَسَاكِينِ) .

أَوْلَى مُولُودٍ فِي الْإِسْلَامِ
بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ ، وَأَسْلَمَ النَّجَاشِيَّ وَمَنْ تَبَعَهُ عَلَى يَدِيهِ ،
وَأَقَامَ عَنْهُ وَمَعْهُ زَوْجَتِهِ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ ، فَوُلِدَتْ لَهُ هَنَاءُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ أَوَّلُ مُولُودٍ وَلَدٍ فِي الْإِسْلَامِ بِأَرْضِ
الْحَبْشَةِ .

قَدْوَمَ جَعْفَرٍ مِنْ الْحَبْشَةِ
وَإِسْهَامُ الرَّسُولِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ثُمَّ قَدْمَ مِنْ الْحَبْشَةِ هُوَ وَمَنْ صَحَبَهُ مِنَ الْمَهَاجِرِينَ ، وَمَنْ

دخل في الإسلام هناك ، وجاووا في سفينتين في البحر ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، فأثنهم لهم منها ، ولم يُسْهِمْ لمن لم يحضرها غيرَ أهل السفينتين ، ثم سكن المدينة إلى أن خرج إلى مُؤْتَه .

وفي « صحيح البخاري » عن أبي هريرة رضي الله عنه : (كان خير الناس للمساكين جعفر رضي الله عنه ، كان يقلب بنا فيطعمُنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليُخرج إلينا العُكَةَ التي ليس فيها شيء ؛ ليُشْقَّها فنلعق ما فيها) .

وعنه أيضاً : قال صلى الله عليه وسلم : « رأيت جعفرأ بطير في الجنة مع الملائكة » رواه الترمذى .

وله من الأولاد من زوجه أسماء بالحبشة : عبد الله ،
أولاده
وعُون ، ومحمد .

قال الإمام النووي : (والعقب لعبد الله دون أخويه ، ويوم ولد له عبد الله .. ولد فيه للنجاشي ولد ، فسأل جعفرأ : ماذا سميتك ابنك يا جعفر ؟ لنسمي به ابننا ، فسمَّاه عبد الله ، وأرضعته أسماء بلين ابنها عبد الله ، فكانا يتواصلان لتلك الأُخْوَةَ ، وكان قد أسلمَ النجاشي على يد جعفر) .

ولمَّا قدم جعفر على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يوم فتح خير .. قال عليه الصَّلاةُ والسَّلَامُ : « لا أدرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَشَدُ فرحاً : بِقَدْوِمِ جعفر ، أَمْ بِفَتْحِ خير ؟ » .
وُوْجِدَ يَوْمَ اسْتُشْهَدَ بِجَسْدِهِ تِسْعَونَ جَرَاحَةً .

إسلام النجاشي على
يد جعفر رضي الله عنه

مناسباتان سُرَّ بهما
النَّبِيِّ صلى الله عليه
 وسلم في آن واحد

تمثّل الشهداء الثلاثة
لرسول الله صلّى الله
عليه وسلام بعد
الموت

ويروي سعيد بن المسيّب مرفوعاً إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « مثّل لي جعفر ، وزيد ، وعبد الله في خيمة من دُرّ فوق أسرّة ، فرأيت زيداً وعبد الله ، وفي أعناقهما حدود ، ورأيت جعفراً مستقيماً ، فقيل لي : إنّهما حين غشياهما الموت .. أعرضنا بوجوههما ، ومضى جعفر فلم يعرض » وأمر صلّى الله عليه وسلم أن يُصْنَع لأهل جعفر طعام ؛ فإنّهم سُغِّلُوا بأمر صاحبهم .

قال السّهيلي : (وهذا أصل في طعام التّعزّية) .

البدع الضّارة
والعادات الاجتماعية
السيئة في بيت الوفاة

قلت : يعني : يصنعه الناس لأهل الميت في غير كُلْفة ولا مُباهة ، إنّما يحتسبون بذلك الأجر من الله ؛ فإنّه قد نزل بأهل الميت ما قد شغّلهم ، أمّا فتح دار الميت بعمل الطعام ، والدعوة للطعام .. فإنّها بدعة سيئة جداً ، سادت في كثير ، حتى ظنّ أنّها من السنن الشرعية ، أو الواجبات الدينية ، وحتى ترى بعض الفقراء الذين يصابون بفقيدهم ، ولا يستطيعون أن يقوموا بهذا العمل يبّعون شيئاً من مخلفات الميت ، وقد يوافق أنّ الميت ترك أطفالاً قصراً ، بل كثيراً ما يستدینون المال الذي له بال ، وينفقونه في الطعام للزائرين والزائرات في ذلك اليوم ، وقد روى ابن ماجه والإمام أحمد بإسناد حسن عن جرير بن عبد الله البَجَلِي قال : (كنا نعد ذلك - أي : تهيئة أهل الميت الطعام - من النياحة) اهـ

وقد نهى صلّى الله عليه وسلم عن النياحة ، فينبغي أن يفهم

الناس هذا الأمر ، وهذه البدعة حتى يقتلعوها من جذورها ؟
فإنَّه لا أضر على الناس من أمثال هذه العادات السيئة ، نسأل الله
تعالى أن يهدينا جميعاً إلى اتباع سيدنا محمدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ في أقواله الرشيدة ، وأفعاله السديدة .

هذا : والطعام الذي صنع لآل جعفر ذلك اليوم هو - كما
رُوي عن ابنه عبد الله بن جعفر - شعير طحنته سَلْمٌ - مولا
للنبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثمَّ آدمَتْه بزيت ، وجعلت عليه فُلْفُلًا ، فأكلوا منه ،
قال عبد الله : وحبسي النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته مع
أخويَّ ثلاثة أيام » .

ولسيدنا عليٌّ رضي الله عنه مفتخرًا - وما أجره بذلك - :
محمدُ النَّبِيُّ أخِي وصَهْرِي
وحمزةُ سَيِّد الشُّهَدَاء عَمِّي
وجعفرُ الذي يُضْحِي ويُمْسِي

وبيت محمد سَكِنِي وعِرْسِي
مُنْوِطاً لحمها بدَمِي وَلَحْمِي
وسبطاً أَحْمِدِ ولدَيَّ منها
فأَيْكُمْ لَهُ فَخْرٌ كَفْخِري
سَبَقْتُكُمْ إِلَى الإِسْلَام طُرَا

صغيراً ما بلغتُ أوان حُلمي
ولسيدنا جعفر يوم توفي ثلاَث وثلاثون ، أو إحدى
وأربعون سنة .

فخر عليٌّ كرم الله
 وجهه بقربته النبيَّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عُمُرُ جعفر رضي الله
عنه يوم وفاته

.....
عبد الله بن رواحة :

وأماماً سيدنا عبد الله بن رواحة : فهو أبو محمد الأنصاري
الحارثي شهد العقبة ، وكان ليتعدد نقيب بنى الحارث من
الخزرج ، فهو أحد النقباء الثاني عشر ، المجموعين في قول
الناظم في « عمود النسب » :

وَهُمْ مِنَ الْأَوْسِ أَسِيدُ فَاعِلَمَةٍ

رَفَاعَةُ وَسَعْدُ بْنُ خَيْثَةَ

وَتَسْعُ خَرْزَاجٌ بْنُو بُدُورٍ

زَرَارَةُ رَوَاحَةُ مَعْرُورٌ

وَابْنُ عُبَادَةِ وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعَ

وَرَافِعُ بْنُ مَالِكِ الشَّهْمِ الرَّفِيعِ

عَبْدُ الْإِلَهِ نَجْلُ عَمْرُو بْنِ حَرَامَ

وَمَنْذُرُ وَنَجْلُ صَامِتُ الْهُمَامَ

شَهَدَ بَدْرَاً وَالْمَشَاهِدَ كُلُّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الْفَتْحَ ؛ فَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ تَوَفَّى قَبْلَهُ .

وَهُوَ خَالُ النَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ؛ لَأَنَّ أُمَّ النَّعْمَانَ عَمْرَةَ بَنْتَ رَوَاحَةَ .

وَكَانَ أَحَدُ شُعَرَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الَّذِينَ يَنافِحُونَ عَنْهُ وَعَنِ الْإِسْلَامِ مَجْمُوعِينَ فِي قَوْلِ الْحَافِظِ السِّيَوَاطِيِّ :

وَشُعَرَاءُ الْمَصْطَفَى ذُؤُو الشَّانِ

ابْنُ رَوَاحَةِ وَكَعْبٌ حَسَانٌ

شُعَرَاءُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وهم متفاوتون : كان حسان رضي الله عنه يطعن في أنساب المشركين ، وكان كعب بن مالك يذكّرهم بوقع السيف ، وعبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة ما لا ينفع ، فكان شعر صاحب الترجمة يومئذ أهون على كفار قريش ، وكان قول كعب وحسان أشدّ القول عليهم ، فلما أسلموا وفهوا .. كان أشد القول عليهم وأنكاه فيهم قول ابن رواحة .

قال الزبير بن العوام رضي الله عنه : ما رأيت أحداً أجرأ ولا أسرع شرعاً من ابن رواحة .

وعن أبي الدرداء قال : أعود بالله أن يأتي يوم لا ذكر فيه عبد الله بن رواحة كان إذا لقيني .. يقول : يا عويمرا ؛ اجلس فلنؤمن ساعة ، فنجلس فنذكر الله ما شاء الله ، ثم يقول : يا عويمرا هذا الإيمان . اهـ

وهو الذي شجّع المسلمين في مؤنة على لقاء الكفار ، بل شجع نفسه كما سبق .

وفي «الصحيحين» عن أبي الدرداء قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في حرّ شديد ، حتى إنّ أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم إلّا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الله بن رواحة .

قال ابن سعد : (كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي جاء بشارة وقعة بدر إلى المدينة) .

قال الحافظ : (وفي فوائد أبي طاهر الذهلي ، من طريق ابن أبي ذئب عن سهل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « رَحْمَ اللَّهِ أَبْنَ رَوَاحَةٍ ؛ إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تَتَبَاهَى بِهَا الْمَلَائِكَةُ ») اهـ وكان إذا لقي أحداً . قال له : اجلس بنا نؤمن من ساعة .

وأخرج البيهقي بسنده صحيح : كان النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَطِّبُ ، فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ : « اجْلِسُوا » فَجَلَسُوا مَكَانَهُ خَارِجًا مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا فَرَغَ . . . قال له : « زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا عَلَى طَوَاعِيْنَ اللَّهِ ، وَطَوَاعِيْنَ رَسُولِهِ » وكفى بهذه منقبة لابن رواحة ، مما يدل في وضوح على خضوعه لأوامره وإشاراته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ابتعاء مرضاته ، فهو لمن سواه القدوة والغاية المثلية .

زوجة عبد الله بن رواحة تحكي فضائله رضي الله عنها

قال الحافظ : (وفي « الزهد » لابن المبارك بسنده صحيح عن عبد الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى ، قال : تزوج رجل امرأة عبد الله بن رواحة ، فسألها عن صنيعه ، فقالت : كان إذا أراد أن يخرج من بيته . . . صَلَّى ركعتين ، وإذا دخل بيته . . . صَلَّى ركعتين ، لا يدع ذلك ، وكان عبد الله أول خارج إلى الغزو ، وأخر قافل) .

نعي عبد الله بن رواحة نفسه

وقال ابن إسحاق : (حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، قال : كان زيد بن أرقم يتيمًا في حجر عبد الله بن رواحة ، فخرج معه إلى سرية مؤتة ، فسمعه في الليل يقول :

إِذَا أَدْنَيْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي
 مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْجِسَاءِ
 فَشَانِكِ فَانِعِمِي وَخَلَاكِ ذَمٌْ
 وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
 وَجَاءَ الْمُؤْمِنُونَ وَخَلَفُونِي

بِأَرْضِ الشَّامِ مَشْهُودَ الشَّوَاءِ

فِي بَكَى زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ ، فَخَفَقَهُ^(١) بِالدُّرَّةِ ، فَقَالَ : مَا عَلَيْكَ
 يَا لُكَعَ أَنْ يَرْزُقَنِي اللَّهُ الشَّهَادَةَ ، وَتَرْجَعَ بَيْنَ شُعْبَتِي الرَّحْلِ)
 فَذَكَرَ الْقَصَّةَ فِي صَفَةِ قَتْلِهِ فِي غَزْوَةِ مَؤْتَةٍ . . . بَعْدَ أَنْ قُتِلَ
 جَعْفَرٌ ، وَقَبْلَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ .

وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : (أَنْبَانَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، أَنْبَانَا حَمَادُ عَنْ
 هَشَامَ ، عَنْ أَبِيهِ : لَمَا نَزَلَتْ 《 وَأَشْعَرَهُ يَتَبَعَّهُمُ الْفَاقُونُ 》 قَالَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي مِنْهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : 《 إِلَّا
 أَلِّيَّنَ مَاءَمُنَا وَعَيْلُوا الصَّلِحَاتِ 》 الْآيَةُ) .

وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : (حَدَّثَنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى ، حَدَّثَنَا
 عُمَرُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ عَنْ مُدْرِكِ بْنِ عَمَارَةَ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 رَوَاحَةَ : مَرَرْتُ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ جَالِسٌ ، وَعِنْهُ أَنَّاسٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي نَاحِيَةِ مِنْهُ ، فَلَمَّا
 رَأَوْنِي . . . قَالُوا : يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ ! فَجَئْتُ ، فَقَالَ :

بَكَاءُ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ

اسْتِشْنَاءُ الشَّعْرَاءِ
 الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْغَاوِينَ

(١) من باب : نصر وضرب ، والخفق : هو الضرب بالدراة - بكسر الدال المشددة - كما يؤخذ
 من « القاموس » (مادة درر) .

.....
سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة عن كيفية قوله الشعر؟ قلت: أنظر في ذلك، ثم أقول، قال: «فعليك بالمشركين» ولم أكن هيئات شيئاً، فنظرت، ثم أنسدته:

إني تفرست فيك الخير أعرفه

والله يعلم أن ما خانني البصر

أنت النبي ومن يحرم شفاعة

يوم الحساب لقد أزري به القدر

فثبت الله ما أتاك من حسن

تشييت موسى ونصرًا كالذي نصروا

قال: فأقبل بوجهه مبتسمًا، وقال: « وإياك فثبتك الله »

قال هشام بن عروة: فثبته الله عز وجل أحسن الثبات، فقتل شهيداً، وفتحت له الجنة فدخلها.

قال المرزباني في « معجم الشعراء »: (كان عظيم القدر في الجاهلية والإسلام ، وكان ينافض قيس بن الخطيم في حروبهم ، ومن أحسن ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم قوله :

لو لم تكن فيه آيات مبينة

كانت بديهته تُبيِّن بالخبر

وقصته مع زوجته حين وقع على أمته مشهورة ، وذلك أنه مشى ليلة إلى أمة له فنالها ، وفَطَّنت له امرأته فلامته ، فجحدها - وكانت قد رأت جماعه لها - فقالت له : إن كنت صادقاً .

دعا الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة

مكانه في الجاهلية والإسلام

قصته مع زوجته رضي الله عنها

فأقرأ القرآن ؛ فالجُنْبُ لا يقرأ القرآن ، فقال :
شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ حَقٌّ
وَفَوْقُ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ
مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُسَوِّمِينَ
فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : صَدَقَ اللَّهُ ، وَكَذَبَتْ عَيْنِي ، وَكَانَتْ
لَا تَحْفَظُ الْقُرْآنَ وَلَا تَقْرُؤُهُ .

قال الحافظ ابن عبد البر في « الإستيعاب » : (ورويناها من وجوه صحاح)

وذكر أصل هذه القصة أيضاً الإمام أبو زكريا التَّوَوِيَّ في «شرح المهدب» احتجاجاً على حرمة القراءة على الجنب، على ضعف في إسنادها وانقطاع .

وذكرها خاتمة المحققين بمصر القاهرة : العلامة الأمير ،
وزاد في آخرها : (فأتى ابن رواحة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فحدّثه ، فضحك ولم یعيره ، وقال : أخرج ذلك ابن
عساكر عن عبد العزيز بن أخي الماجشون بлагаً عن ابن
رواحة .

قال : وأخرج أيضاً عن عكرمة مولى ابن عباس : أنَّ عبد الله بن رواحة كان مضطجعاً إلى جنب امرأته ، فخرج إلى

الحجرة ، فواعق جارية له ، فاستيقظت المرأة ولم ترَه ، فخرجت فإذا هو على بطن العجارية ، فرجعت فأخذت الشَّفْرَة ، و جاءت ، فقال : مَهِيم ؟ مَهِيم ، فقالت مهيم ؟ أَمَا إِنِّي لَو وَجَدْتُكَ حَيْثُ كُنْتَ.. لَوْجَأْتَكَ بِهَا ، قَالَ : وَأَيْنَ كُنْتَ ؟ قَالَتْ : عَلَى بَطْنِ الْجَارِيَةِ ، قَالَ : مَا كُنْتَ ، قَالَتْ : بَلِّي ، قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَقْرَأَ أَحَدُنَا الْقُرْآنَ وَهُوَ جَنْبٌ ، قَالَتْ أَقْرَأْهُ ، قَالَ :

أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ
كَمَا لَاحَ مَشْهُورٌ مِنَ الصَّبَحِ سَاطِعٌ

أَتَى بِالْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقَلُوبُنَا
بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعٌ
بَيْتُ يَحَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ

إِذَا اسْتَقْلَلَتْ بِالْكَافِرِينَ الْمُضَاجِعُ

فَقَالَتْ : أَمَا إِذْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ.. إِنَّ أَتْهُمْ ظَنِّي وَأَصْدِقُكَ ، قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ : فَغَدَوْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتَهُ ، فَضَحَّكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، حَتَّى رَدَّ يَدَهُ عَلَى فِيهِ ، وَقَالَ : « إِنَّ خَيَارَكُمْ خَيْرَكُمْ لِنِسَائِهِ ، لَقَدْ وَجَدْتُهَا ذَاتَ فَقِيهٍ فِي الدِّينِ » .

وَهُذَا الْحَدِيثُ مَشْهُورٌ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ ، وَقَوْلُهُ : (مَهِيم) كَلْمَةُ اسْتِفْهَامٍ ؛ أَيْ : مَا حَالُكَ وَشَأْنُكَ ؟ أَوْ مَا وَرَاءُكَ ؟ أَوْ أَحَدَثَ لَكَ شَيْءٌ ؟

اعتراض على فقه
القصة

فإن قلت : كيف يصح لابن رواحة أن يقرأ الأبيات جواباً
لقول امرأته : إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن ؟ وكيف يقره
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ؟

قلت : أجاب العلامة الأمير في رسالة له صغيرة الحجم ،
جمة العلم ، جعلها ردأ على من يقول بکفر اللاحق في القرآن :
بأنَّ ابن رواحة رضي الله عنه لم يقل : هذا قرآن ، وإنَّما عدل
إلى شيء آخر غير ما أمرت به زوجته ، وليس امتنال أمرها
واجبًا عليه ، ولا توهُّمها هي في نفسها أنَّ هذا قرآن بملحق به
إثماً ، وقد جاء في بعض روایات هذا الحديث أنَّه صلى الله
عليه وسلم قال : « هذا لعمري من معاريض الكلام » يعني
- والله أعلم - : أنَّه مال إلى عُرض وجانب آخر ، غير ما يريد
المخاطب ، والله أعلم بحقيقة الحال .

قال سيدُنا حسان - رضي الله عنه - يبكي جعفرًا وصاحبيه :
تَأَوَّنَتِي لِيلٌ يَشْرِبَ أَعْسَرُ
وَهُمْ إِذَا مَا نَوَمُ النَّاسُ مُسْهِرُ
لِذَكْرِي حَبِيبٍ هَيَّجَتْ ثَمَّ عَبْرَةَ
سَفُوحًا وَأَسْبَابُ الْبَكَاءِ التَّذَكُّرُ
بِلَاءُ وَفُقدَانُ الْحَبِيبِ بِلَيَّةُ
وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبَتَّلِي ثَمَّ يَصْبِرُ
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا
شَعُوبَ وَقَدْ خُلِّفُتْ فِيمَنْ يُؤَخِّرُ

رثاء حسان لجعفر
وصحابيه رضي الله
عنهم جميعاً

فلا يُعِدَنَ اللَّهُ قَتَلَنِي تَابَعُوا
بِمُؤْتَهُ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحِينَ جَعْفُ
وَزِيدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَابُوا
جَمِيعاً وَأَسْبَابُ الْمِنَّةِ تُحْطِرُ
غَدَّاً غَدَّاً بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُوْدُهُمْ
إِلَى الْمَوْتِ مِيمُونُ التَّقِيَّةِ أَزْهَرُ
أَغْرَى كَلُونِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
أَبَيَ إِذَا سِيمَ الظُّلَامَةَ مِجْسَرُ
فَطَاعَنَ حَتَّى مَاتَ غَيْرَ مُؤَسِّدٍ
بِمَعْتَرِكِ فِيَهِ الْقَنَا يَتَكَسَّرُ
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشَهِدِينَ ثَوَابُهُ
جِنَانٌ وَمُلْتَفُ الْحَدَائِقُ أَخْضَرُ
وَكَنَا نَرِي فِي جَعْفَرِ مِنْ مُحَمَّدٍ
وَفَاءَ وَأَمْرَا حَازِمَا حِينَ يَأْمُرُ
فَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ فِي آلِ هَاشِمٍ
دِعَائِمُ عَزٌّ لَا تُرَامُ وَمَفْخَرٌ
هُمْ جَبْلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ
رِضَامٌ إِلَى طَوِيدِ يَرْوُقُ وَيَقْهَرُ
بِهِمْ تُكَشَّفُ الْأَلَوَاءُ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ
عَمَاسٌ إِذَا مَا ضَاقَ بِالْقَوْمِ مَصْدَرٌ
هُمْ أُولَيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ
عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابُ الْمَطَهَّرُ

بَهَالِيلٌ مِنْهُمْ جَعْفُرٌ وَابْنُ أَمَّهٖ
عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ
وَحَمْزَةُ وَالْعَبَاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ
عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حِيثُ يُعْصَرُ
قَلْتَ : وَمَنَاقِبُ هُؤُلَاءِ الْأَمْرَاءِ الْأَفَذَادُ - رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -
مَشْهُورَةٌ ، وَهِيَ فَوْقُ مَا ذَكَرْنَا .

وَلَنَخْتَمُ الْكَلَامَ عَلَى تَرْجِمَتِهِمْ بِحَدِيثٍ فِيهِ فَضْلَيْلَةٌ عَظِيمَةٌ
لَهُمْ ، ذَكْرُهُ الْحَافِظُ عَمَادُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ كَثِيرٍ عَنِ الْإِمَامِ
الْحَافِظِ أَبِي زُرْعَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الرَّازِيِّ نَضْرَ اللَّهِ
وَجْهَهُ ، فِي كِتَابِهِ « دَلَائِلُ النَّبُوَةِ » وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلٌ .

قَالَ : (حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحِ الدَّمْشِقِيِّ ، حَدَّثَنَا
الْوَلِيدُ ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ .

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّمْشِقِيُّ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ
وَعُمَرُو ، - يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْوَاحِدِ - قَالَا : حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ ،
سَمِعْتُ سَلِيمَ بْنَ عَامِرَ الْخَبَائِرِيَّ يَقُولُ : أَخْبَرْنِي أَبُو أُمَامَةَ
الْبَاهَلِيَّ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « بَيْنَا
أَنَا نَائِمٌ ، إِذْ أَتَانِي رَجْلٌ ، فَأَخْذَهُ بِضَبْعِيِّي ، فَأَتَيَا بِي جَبَلًا
وَعَرْأًا ، فَقَالَا : اصْعِدْ ، فَقَلْتَ : لَا أُطِيقُهُ ، فَقَالَا : إِنَّا سَنْسَهِلُهُ
لَكَ ، قَالَ : فَصَعِدْتُ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ . . إِذَا أَتَّا
بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ ، فَقَلْتَ : مَا هُؤُلَاءِ الْأَصْوَاتُ ? فَقَالَا : عُوَاءُ
أَهْلِ النَّارِ .

.....
ثمَ انطلقا بي ، فإذا بقوم مُعلَّقين بعرقيبهم مشقة ، تسيل
أشداقهم دمًا ، فقلت : ما هؤلاء ؟ فقالا : هؤلاء الذين
يُفطِرون قبل تَحْلَة صومهم . فقال : خابت اليهود والنصارى ،
قال سَلِيم : سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمْ من
رأيه ؟ !

ثمَ انطلقا بي ، فإذا قوم أَشَدُّ شيء انتفاخاً ، وأَنْتَنْ شيء
ريحاً ، كأنَّ ريحهم المراحيض ، قلت : مَنْ هؤلاء ؟ قالا :
هؤلاء قتلى الْكُفَّار ، ثمَ انطلقا بي فإذا بقوم أَشَدُّ انتفاخاً وأَنْتَنْ
شيء رি�حاً ، كأنَّ ريحهم المراحيض ، قلت : مَنْ هؤلاء ؟
قالا : هؤلاء الزَّانون والزَّواني .

ثمَ انطلقا بي فإذا بنساء يَنْهَشْنَ ثُدِيَهُنَّ الحيات ، قلت :
ما بال هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء اللاتي يَمْنَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ
الْبَانَهُنَّ^(١) .

ثم انطلقا بي ، فإذا بغلمان يلعبون بين بحرين ، قلت :
من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء ذراريُّ المؤمنين ، ثم أشرفوا بي
شَرَفًا ، فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم ، قلت : من
هؤلاء ؟ قالا : هذا جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ،
وعبد الله بن رواحة ، ثم أشرفوا بي شَرَفًا آخر ، فإذا أنا بنفر

(١) فليعتبر نساء هذا العصر الاتي يَمْنَعْنَ أَطْفَالَهُنَّ أَبَانَ ثُدِيَهُنَّ ، ويُعْدَنُ إلى القوارير المصطنعة لذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
اللَّهُمَّ ؎ اهْدِ عِبَادَكَ لِلْخَيْر .

ثلاثة ، فقلت : من هؤلاء ؟ قالا : هذا إبراهيم ، وموسى ،
وعيسى عليهم السلام ، وهم ينتظرونك » .

(٢٧) غزوة الفتح الأعظم

فتح الفتوح

فتتح مكة زادها الله شرفاً ، وأهلها إناقةً وكرماً
وتسمى فتح الفتوح ؛ لأنَّ العرب كانت تنتظر بإسلامها
إسلام قريش ، وتقول : هم أهل الحَرَم ، وقد أجارهم الله من
 أصحاب الفيل ، فإنْ غلِبُوا .. فلا طاقة لأحد بِمُحَمَّد ، فلما
فتح الله مكة .. دخلوا في دين الله أَفْواجاً ، بعد أن كانوا
يدخلون فيه فُرادي ، ولم يقم بعده للشرك قائمة .

ولذلك قال العلَّامة ابن القِيم في « زاد المَعَاد في هَدْيِ خَيرِ
الْعِبَاد » : (إنَّ الفتح الأعظم ، الذي أَعَزَّ اللَّهَ بِهِ دِينَهُ وَرَسُولَهُ
وَجَنَدَهُ وَحْرَمَهُ الْأَمِينَ ، وَاسْتَقْذَ بِهِ بَلْدَهُ وَبَيْتَهُ ، الَّذِي جَعَلَهُ
هَدِيًّا لِلْعَالَمِينَ ، مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَهُوَ الْفَتْحُ
الَّذِي اسْتَبَشَرَ بِهِ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ ، وَضَرَبَتْ أَطْنَابُ عِزَّهُ عَلَى مَنَاكِبِ
الْجُوَزَاءِ ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجًا ، وَأَشْرَقَ بِهِ وَجْهُ
الْأَرْضِ ضِيَاءً وَابْتِهاجًا) اهـ

وصف ابن القِيم
رحمه الله لهذه الغزوة

تارِيخ هذه الغزوَة وسُبُّبِها :

وكان تارِيخ هذه الغزوَة في السنة الثَّامنة من الهجرة ، في
شهر رمضان .

وسببها : ما ذكره ابن إسحاق وغيره من أرباب السير ، من نقض قريش للعهد الذي وقع بالحديبية .

وخلاصة ذلك : أنه كان بينبني بكر - وقد دخلت في عقد قريش - وبين خزاعة - وقد دخلت في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم - عداوة وحروب في الجاهلية ، فلما ظهر الإسلام .. تشاغلوا عن ذلك حتى كانت هدنة الحديبية ، فخرج نوافل بن معاوية الديلي ، منبني بكر فيبني الدليل ، حتى بيت خزاعة - أي : جاءهم ليلاً على ماء لهم ، يقال له : الوتير ، بناحية عرنة - فأصاب منهم رجلاً ، ولما علمت بهم خزاعة .. اقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم ، ولم يتركوا القتال ، وأمدّت قريشبني بكر بالسلاح ، وقاتل بعض من قريش معهم ليلاً في خفية .

قدوم عمرو بن سالم الخزاعي على الرسول صلى الله عليه وسلم :

ولما انتهى القتال خرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة .. فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي أصابهم ، ويستصرونه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا نُصِرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْكُمْ بِمَا أَنْصُرْتُ بِهِ نَفْسِي » وإلى هذا وأشار الناظم بقوله :

(ثُمَّ إِلَى الْفَتْحِ) لِأُمِّ الْقُرَى عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ (الْخُزَاعِيِّ ذَمَرْ) بوزن نصر ؛ أي : حض وحث (عشرة آلاف) من المسلمين (فَعَزَّ) أي : غالب الخزاعي (وانتصر)

وَهُوَ الَّذِي تَهَلَّلَتْ لِنَصْرِهِ سَحَابَةُ وَمَنْ بَلِيقٌ شِعْرِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي نَاسِدُ مُحَمَّدًا حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتَلَدَا

فَإِنَّهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَابَهُ بِقَوْلِهِ : « نُصْرَتْ يَا عُمَرُ وَبْنَ سَالِمٍ » .

وَخَرَجَ بِذَلِكَ الْعَدْدِ لِقَتَالِ قَرِيشٍ لِمَا عَلِمَ أَنَّهُمْ نَقْضُوا الْعَهْدِ
الَّذِي كَانُوا أَبْرِمُوا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ بِقَتَالِ حُلَافَائِهِ خُزَاعَةَ ، وَتَقْدِيمَ أَنَّ
خُزَاعَةَ كَانَتْ عَيْنَةً نُصْحَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ (وَهُوَ أَيُّ : الْخَرَاعِيُّ (الَّذِي تَهَلَّلَتْ) :
تَلَالَاتٍ (لِنَصْرِهِ سَحَابَةُ) وَهِيَ : قَطْعَةً مِنَ الْغَيْمِ ، وَقَالَ عِنْدَ
ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ
لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بْنِي كَعْبٍ » يَعْنِي خُزَاعَةَ ، وَقَالَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لِعُمَرَ وَبْنَ سَالِمٍ وَأَصْحَابِهِ : « ارْجِعُوهُمْ وَتَفَرَّقُوهُمْ فِي
الْأَوْدِيَّةِ » فَرَجَعُوا وَتَفَرَّقُوا ؛ فَذَهَبَتْ فَرَقَةٌ إِلَى السَّاحِلِ ، وَفَرَقَةٌ
لَزِمَتِ الْطَّرِيقَ ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِخْفَاءً أَمْرَ مُجِيئِهِمْ .

(وَمَنْ بَلِيقٌ شِعْرِهِ) أَيُّ : وَمَنْ شَعَرَ الْخُزَاعِيَّ الْبَلِيقَ الَّذِي
يَذَكُرُ فِيهِ الْحِلْفُ الْقَدِيمُ ، وَنَقْضُ بْنِي بَكْرٍ لِلْعَهْدِ ، وَتَعْدِيْهِمْ
عَلَيْهِمْ ، وَحَثَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى قَتَالِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ . . قَوْلُهُ وَقَدْ
دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَا رَبَّ
إِنِّي نَاسِدُ) طَالِبُ (مُحَمَّدًا) صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (حِلْفَ أَبِينَا
وَأَبِيهِ) يَرِيدُ عَبْدَ الْمَطْلَبِ (الْأَتَلَدَا) أَيُّ : الْحِلْفُ الْقَدِيمُ الَّذِي
بَيَّنَا .

خزاعة حلفاء
عبد المطلب بن هاشم
في العاھلية

وذلك : أن خزاعة كانت حلفاء عبد المطلب بن هاشم ، ناصروه على عمه نوفل بن عبد مناف ؛ فإن المطلب لما مات .. وثبت نوفل على أفنية كانت لعبد المطلب ، واغتصبه إياها ، فاستنهض لردها همم قومه ، واستدرّ عطفهم ، فلم ينهض معه أحد منهم ، وأبوا أن يدخلوا بين عبد المطلب وبين عمه نوفل ، فكتب إلى أخواه بنى التجار ، فجاء منهم سبعون راكباً ، فقالوا ل نوفل : ورب البنية ؟ لتردّن على ابن أختنا ما أخذت ، وإلا .. ملأنا منك السيف ، فرده ، ثم حالف خزاعة بعد أن حالف نوفلبني أخيه عبد شمس ، وكان صلى الله عليه وسلم يعلم بهذا الحلف ؛ فإنهم وقفوا على كتاب عبد المطلب ، وهو مذكور بنصه في « السيرة الحلبية » للعلامة ابن برهان الحلبي ، ولأجل ذلك ذكره الخزاعي بقوله : (حلف أبينا وأبيه الأئدا) وهذا البيت ضمنه الناظم من أبيات للخزاعي ، وهي :

قد كُتُمْ وُلْدًا وَكَنَّا وَالدًا^(١)

ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا^(٢)

(١) ولدًا الأول يضبط بضم الواو في الولد ، وفتح الواو بعدها ألف في قوله : (وَكَنَّا وَالدًا) قال السهيلي : (يريد أنبني عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية) والولد بمعنى الولد .

(٢) قوله : (ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا) هو من السلم ؛ لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أن قوله : (ركعاً وسجداً) يدل على أنه كان فيهم من صلى الله ، فقتل . من « الروضة » . وأراد بقوله : (ولم ننزع يداً) أي : لم نخرج بدأ عن طاعتك ، ولم ينتقض ما بيننا من الحلف .

.....
فَانْصُرْ هُدَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَيْدًا^(١)

وَادِعْ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدًا

فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَ

أَبِيضَ مِثْلَ السَّيْفِ يَسْمُو صُعْدًا

إِنْ سِيمَ^(٢) خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدًا

فِي فَيْلَقَ^(٣) كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبَدًا

إِنْ قُرِيشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدًا

وَنَقْضُوا مِيَثَاقَكَ الْمُؤَكَّدًا

وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاء^(٤) رَصَدًا

وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدًا^(٥)

وَهُمْ أَذْلُّ وَأَقْلُلُ عَدَدًا

هُمْ بَيْئُونَا بِالْوَتِيرِ هَجَدًا

وَقَتْلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدًا

(١) وفي رواية : (نصراً أعتدا) بضم الهمزة ، وسكون المهملة ، وكسر الفوقيه ؛ أي : أحضر ، وهو من الشيء العتيد ، وهو المهيأ الحاضر ، وضبط بهمز الوصل مع فتح الفوقيه ؛ أي : نصراً تاماً متعدياً إلينا .

(٢) أي : إنْ قصِدَ بِذَلِّ لَهُ أَوْ لَأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ عَهْدِهِ . . تَرَبَّدَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ ؛ لَأَنَّهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرْضِي الْفَضِيمَ وَالنَّقْصَ . اهـ

(٣) الفيلق بتقديم اليماء على اللام كالجحفل : الجيش العظيم ، وجمعه فيالق .

(٤) بفتح الكاف والمد : اسم لأعلى مكة بالحجون .

(٥) قال العلامة الأشخر في « شرح البهجة » : (أشار بقوله : « لست أدعُو » أي : أعبد أحداً . . إلى قول نوافل بن معاوية الديلي حيث قال له بنو بكر : يا نوافل ؛ إنَّا دخلنا الحرم ؛ أي : وقتلنا خزاعة فيه ، إلهك إلهك ؛ أي : خف منه ، فقال : إنَّه لا إله له اليوم ، أصيّبوا آثاركم فيه) ذكره البغوي .

وقوله : (هَجَدًا) جمع هاجد ، بمعنى نائم . اهـ



إعلام الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالمسير إلى مكة المكرمة

(لِدَعْوَةِ) أي : لأجل دعاء (النبي) صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : « اللَّهُمَّ ؎ خُذِ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قَرِيشٍ ؎ حَتَّى نَبَعِثَهَا فِي بِلَادِهَا » وفي رواية : « خُذْ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، فَلَا يَرَوْنَا إِلَّا بَغْتَةً ، وَلَا يَسْمَعُونَ بَنَا إِلَّا فَجَأَةً » (أَخْرَى الْخَبَرِ) بالبناء للمفعول : أي : أَخْرَى اللَّهُ تَعَالَى خبر خروجه صلى الله عليه وسلم (عَنْ) أهل (مكة) وهذا يقتضي أنَّه صدر منه صلى الله عليه وسلم الخبر بقصد الغزو ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْخَبَرَ لَمْ يَصُلْ إِلَى الْعُدُوِّ ، ولذا قال الناظم :

(فِلَمْ يُوَرِّ) من التَّوْرِيَةِ : إِذَا أَظْهَرَ شَيْئاً وَأَرَادَ غَيْرَهُ ، بل لَمَّا أَعْلَمَ أَصْحَابَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى مَكَّةَ .. أَمْرُهُمْ بِالتَّجْهِيزِ وَالْجِدِّ فِي الْأَمْرِ ، وَكَانَ مِنْ هَدِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَزْوَةِ : أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً .. وَرَرَى فِيهِ ، إِلَّا هَذِهِ وَتَبَوَّكَ ؛ لِحَكْمَةِ عِلْمِهِ صلى الله عليه وسلم ، وَسَاسِ النَّاسِ بِهَا ، فَكَانَ الْقُدُّوْسُ الْحَسَنَةُ ، وَالْمِثْلُ الْأَعْلَى لِمَنْ بَعْدِهِ (بِلْ جَهَرْ) صلى الله عليه وسلم بذلك أَمْرُ أَهْلِهِ أَنْ يَجْهَزُوهُ ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرَ عَلَى ابْنَتِهِ وَهِيَ تُغَرِّبُ حِنْطَةً ، وَتَصْنَعُ فِي جَهَازِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : أَيْ بُنْيَةً ؎ أَمْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِتَجْهِيزِهِ ؎ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَتَجْهَزَ ، قَالَ : فَأَيْنَ تَرِيْنِهِ يَرِيدُ ؎ قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي ؎ أَيْ : أَنَّهَا لَا تَعْلَمُ وَجْهَهُ قَصْدَهُ لِلْغَزْوِ ، وَهَذَا كَانَ فِي أَوْلَ الْأَمْرِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْلَمَ النَّاسِ ، وَأَعْلَنَ بِالْوِجْهِ الَّذِي يَرِيدُهُ ، وَهُوَ قَرِيشٌ بِمَكَّةَ .

تحقّق النبِيُّ صَلَّى اللهُ
عليهِ وَسَلَّمَ من الواقعه
بيْنَ بَنِي بَكْرٍ وَبَيْنَ
خُزَاعَةَ

رساله النبِيُّ صَلَّى اللهُ
عليهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَرِيشٍ
وَتَخَيِّرَهَا بَيْنَ خِصَالَ
ثَلَاثَ

بعث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَمْرَهُ إِلَى قَرِيشٍ إِعْذَارًا لَهَا :

ولَمَّا قَدِمَ رَكْبُ خُزَاعَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخْبَرُوهُ خَبْرَهُمْ . . قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ تُهْمَتُكُمْ وَظِنْتُكُمْ ؟ » قَالُوا : بَنِي بَكْرٍ ، قَالَ : « أَكْلُهُمْ ؟ » قَالُوا : لَا ، وَلَكُنْ بَنِي نُفَاثَةَ ، وَرَأْسُهُمْ نُوفَلٌ ، قَالَ : « هَذَا بَطْنُ بَنِي بَكْرٍ - يَعْنِي بَنِي نُفَاثَةَ - وَأَنَا بَاعْثُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَسَأْلُهُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، وَمُخْيِّرُهُمْ فِي خِصَالِ ثَلَاثَ » فَبَعْثَ إِلَيْهِمْ ضَمْرَهُ ، يُخْيِرُهُمْ بَيْنَ أَنْ يَدْوَأُوكْلُ خُزَاعَةَ ، أَوْ يَبْرُؤُوا مِنْ حَلْفِ بَنِي نُفَاثَةَ ، أَوْ يَنْبَذُ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءِ ، فَأَتَاهُمْ ضَمْرَهُ فَأَخْبَرُهُمْ ، فَقَالَ قُرْطَةُ بْنُ عُمَرَ : لَا نَدِيْ ، وَلَا نَبِرَّ ، لَكُنَّا نَبْذُ إِلَيْهِ عَلَى سَوَاءِ ، فَرَجَعَ بِذَلِكَ ، فَنَدِمَتْ قَرِيشٌ عَلَى مَا رَدُّوا ، وَبَعْثَتْ أَبَا سَفِيَّانَ .

قلتْ : رُوِيَ هَذَا ابْنَ عَائِدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، وَنَقْلُهُ فِي « شَرْحِ
الْمَوَاهِبِ » وَقَدْ اسْتَحْسَنَتْ ذِكْرُ هَذَا الْخَبْرِ هُنَّا ، عَقْبَ قَدْوَمِ وَفَدِ
خُزَاعَةَ ؛ لَبِيَانٍ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ لَمْ يَفَاجَئْ قَرِيشًا عَلَى
غَرَةٍ حَتَّى تَبَثَّ فِي الْأَمْرِ ، وَسَأَلَ الرَّكْبَ عَمَّنْ كَانُوا يَتَهَمِّونَ ،
وَلَمَّا عُلِمَ مِنْ خَبْرِ الْوَفَدِ أَنَّ تَهْمِتَهُمْ كَانَتْ عَلَى بَنِي نُفَاثَةَ . . قَالَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « هَذَا بَطْنُ بَنِي بَكْرٍ » يَرِيدُ - وَاللَّهُ
أَعْلَمُ - أَنَّ مِمْكَنَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الشَّرِذَمَةُ ، أَوْ هَذَا الْبَطْنُ مِنْ
بَنِي بَكْرٍ ، عَصَتْ عَلَى عَصَبَتِهَا الْكَبِيرَةِ وَشَدَّتْ عَنْهَا ، وَأَنَّ
قَرِيشًا بِمَكَّةَ لَمْ تَدْخُلْ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، وَلَمْ تَرْضَ بِهِ ، فَهِيَ عَلَى

سَبَبِ اسْتِحْسَانِ
الشَّارِحِ ذِكْرُ مَا سَبَقَ
عَقْبَ قَدْوَمِ وَفَدِ
خُزَاعَةِ الْمَدِيْنَةِ

العهد مقيمة ، فلذلك بعث عليه الصلاة والسلام ضمْرة إلى قريش يسألهم عن هذا الأمر ؟ لزيادة الموقف وضوحاً ، ولما لم يبقَ مجال للشك في أنَّ القوم قد قاموا بما يوجب نقض العهد الذي أُبرم أمس .. خيَّرهم بين أمور ثلاثة ، فكان عليه الصلاة والسلام قد أذر وأعذر ، وقام بالعهد المبرَّم .

بعث قريش أبا سفيان إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

ولمَّا رَأَتْ قريش ضَمْرةً لِذَلِكَ : على أن لا يدوا ، ولا يرءوا ، ولكنهم يَبْذُون على سواء .. ندمت على ذلك ، فبعثت أبا سفيانَ إلى المدينة يسألَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجدد العهد ويزيد في المُدَّة ، فلم يَرُدْ عليه شيئاً ، ورجع لمكة ، ولم يأت بنجح ، كما قال الناظم :

عودة أبي سفيان إلى
مكة بدون نتيجة

(وَخَابَ) أبو سفيان (صَحْرٌ) بن حَرْبٍ ولم يظفر بمطلوبه ، وكان هو سيد قريش ، والمقدَّم فيها بعد أبي جهل (إذْ أَتَىٰ) وقَدِيم على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة (يَرْأَبُ) أي : يصلاح (ما) أي : الأمر الذي (أَثَاهُ) يقال : رَأَبُ الثَّانِي : أصلح الفساد ، وَأَثَانِي في القوم : أي : جرح فيهم ، وَأَثَانِي الشيء أي : أفسده (غَدْرٌ) بفتح الغين المعجمة ؛ أي : ترك وفاء (قومه) قريش بإعانتهم بني بكر على خزاعة حلفاء المسلمين ، ودخول بعض من قريش في ميدان القتال خُفْيَة لِيَلَّا ، وظهور ذلك ظهور نار القرى .

خبر أبي سفيان مع
ابنته أم المؤمنين أم
حبيبة

ولمَّا دخلَ على ابنته أم المؤمنين أم حَبِيبَةَ رضيَ اللهُ عنَّها
ذهبَ لِيجلسَ على فراشهُ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَطَوَّتْهُ عَنْهُ ،
فَقَالَ : مَا أَدْرِي : أَرْغَبْتَ بِي عَنْ هَذَا الْفَرَاشِ ، أَمْ رَغَبْتَ بِهِ
عَنِّي ؟ قَالَ : بَلْ هُوَ فَرَاشُ رَسُولِ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجِسٌ ، وَلَمْ أُحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى
فِرَاشِهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : وَاللهِ ؛ لَقَدْ أَصَابَكَ يَا بَنِيَّةَ
بَعْدِي شَرّ ، فَقَالَتْ : بَلْ هَدَانِي اللهُ لِلإِسْلَامِ ، فَأَنْتَ يَا أَبِيَّ سَيِّدِ
قُرَيْشٍ وَكَبِيرِهَا ، كَيْفَ يَسْقُطُ عَنْكَ الدُخُولُ فِي الإِسْلَامِ ، وَأَنْتَ
تَعْبُدُ حَجْرًا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصِرُ ؟ فَقَامَ مِنْ عَنْهَا ، فَأَتَى
رَسُولَ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَكَلَمَهُ أَنْ يَجْدَدَ
الْعَهْدِ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ ، فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ شَيْئًا .

قَالَ فِي « شَرْحِ الْمَوَاهِبِ » : (وَعِنْدَ الْوَاقِدِيِّ) : فَقَالَ :
يَا مُحَمَّدَ ؛ إِنِّي كُنْتُ غَايَةً فِي صَلَحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَأَجَدَدَ الْعَهْدَ ،
وَزَدَنَا فِي الْمَدَّةِ ، فَقَالَ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَلَذِكْ
جَئْتَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ : « هَلْ كَانَ مِنْ حَدَثٍ ؟ » فَقَالَ :
مَعَاذَ اللهِ ! نَحْنُ عَلَى عَهْدِنَا وَصَلَحْنَا ، لَا نَغْيِرُ وَلَا نَبْدِلُ ،
فَقَالَ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ » فَأَعْدَادَ
أَبُو سَفِيَّانَ الْقَوْلَ ، فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ شَيْئًا ، فَذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرَ ،
فَكَلَمَهُ أَنْ يَكْلِمَ رَسُولَ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا أَنَا
بِفَاعِلٍ ، فَأَتَى عُمَرَ ، فَقَالَ : أَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ ؟ وَاللهُ ؛ لَوْلَمْ أَجِدْ
إِلَّا الدَّرَّ لِجَاهِدِكُمْ بِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَعَنْدَهُ فَاطِمَةَ ،
وَحَسَنُ غَلامٌ يَدْبَّ بَيْنَ يَدِيهَا ، فَقَالَ : يَا عَلِيَّ ؛ إِنَّكَ أَمَسَّ الْقَوْمَ

حَدِيثُ أَبِي سَفِيَّانَ إِلَى
رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اسْتِشْفَاعُ أَبِي سَفِيَّانَ
بِأَبِي بَكْرِ وَعُمَرِ رَضِيَ
اللهُ عَنْهُمَا

اسْتِشْفَاعُ أَبِي سَفِيَّانَ
بِعَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ رَضِيَ
اللهُ عَنْهُمَا

بي رحاماً ، وإنّي جئت في حاجة ، فلا أرجع كما جئت خائباً ،
 فاشفع لي ، فقال علي : ويَحْك يا أبا سفيان ! والله ؟ لقد عزم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه
 فيه ، فالتفت إلى فاطمة ، فقال : يا بنت محمد ؟ هل لك أن
 تأمرني بنّيك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر
 الدهر ؟ قالت : والله ؛ ما بلغ بُنْيَيْ أن يجير بين الناس ،
 وما كان يجير أحدٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثمَّ
 قال لعليّ : يا أبا حسن ؛ إنّي أرى الأمور وقد اشتَدَّتْ علىَيْ
 فانصحي ، قال : والله ؛ ما أعلم شيئاً يغنى عنك ، ولكنك
 سيدُّ بني كنانة ، فقم فأجرِّ بين الناس ، ثمَّ الحق بارضك ،
 قال : أَوَّرَى ذلك مغنىًّا عنِّي شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنه ،
 ولكن لا أجد لك غير ذلك ، فقام أبو سفيان في المسجد
 فقال : أيُّها الناس ؟ قد أجرت بين الناس ، ولا والله ما أظن أن
 يُخْفِرني أحد ، ثمَّ ركب بعيره وانطلق ولم يأت بظفر ، كما
 قال : (فانفصما^(١)) أي : انقطع وانكسر أبو سفيان .

ما كان من هند لزوجها أبي سفيان :

استبطاء قريش قدوة
 أبي سفيان واتهامه
 بدخول الإسلام
 ولما قدم مكة لذلك ، وقد طالت غيابته حتى رمته قريش
 بأشد التهمة ، وقالوا : صباً واتبع محمداً سرّاً.. دخل على
 امرأته هند بنت عتبة ليلاً فقالت له : لقد غبت حتى اتهماك
 قومك ، فإن كنت مع طول الإقامة جئتهم بُنْجح.. فأنت

(١) الألف للإطلاق .

موقف الزهراء فاطمة
 رضي الله عنها

استصالح أبي سفيان
 علي بن أبي طالب
 فيما أهمه

الرجل ، ثم جلس منها مجلس الرجل من امرأته فقالت :
ما صنعت ؟ فأخبرها الخبر ، وقال : لم أجد إلَّا ما قال لي
عليَّ ، فضربت برجلها في صدره ، وقالت : قُبِّحت من رسول
قوم ! فما جئت بخير .

قال في « شرح المواهب » : (فلما أصبح .. حلق رأسه
عند إساف ونائلة ، وذبح لهما ، ومسح بالدم رؤوسهما ،
وقال : لا أفارق عبادتكم حتى أموت ؛ إبراء لقريش مما
اتهموه به ، فقالوا له : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من
محمد ، أو زيادة في مدة ما نأمن به أن يغزونا ؟ فقال : والله ؟
لقد أبى عليَّ ، ثم جئت أبا بكر ، فلم أجده فيه خيراً ، ثم جئت
ابن الخطَّاب فوجده أدنى العدو ، - وفي لفظ : أعدى العدو -
وكَلَّمت عليه أصحابه ، فما قدرت على شيء منهم إلَّا أنَّهم
يرمونني بكلمة واحدة ، وما رأيت قوماً يوماً أطوع لملك عليهم
منهم له ، إلَّا أنَّ علياً لَمَّا صافت بي الأمور .. قال : أنت سيد
بني كنانة ، فأجر بين الناس ، فناديت بالجوار ، قالوا : هل
أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : رضيت بغير رضا ،
وجئتني بما لا يعني عناً ولا عنك شيئاً ، ولعمر الله ؛ ما جوارك
بجائز ، وإنَّ إخفارك عليهم لهين ، والله ؛ إن زاد عليَّ على أن
تلعب بك تلعبة ، فقال : والله ؛ ما وجدت غير ذلك ،
وتركتهم فيما بينهم يتشاورون) .

كتاب حاطب بن أبي بلتعة لقريش :

ولمَّا أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى

إشهار أبي سفيان
التزامه بعبادة الأصنام

مناقشة قريش لأبي
سفيان فيما بلغه من
رحلته

مكة . . كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً أعطاه امرأة ، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً ، كما أشار له الناظم بقوله :

(وَحَاطِبٌ)^(١) بِالْتَّنْوِينِ لِضَرُورَةِ النَّظَمِ (إِيْنُ) عُمَرُ وَبْنُ عُمَيْرُ الْلَّخْمِيِّ (أَبِي بَلْتَعَةَ) بِمُوَحَّدَةِ مَفْتُوحَةٍ ، وَلَامُ سَاكِنَةٍ ، فَفُوقِيَّةٍ ، فَعِينُ مَهْمَلَةِ مَفْتُوحَتَيْنِ (أَرْسَلَ إِذْ رُحْوَفُهُ) أَيِّ :

(١) يكفي بأبي محمد ، أو بأبي عبد الله ، قال النووي : (قيل : كان لعبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد ، فكتابه ، فأدّى كتابته ، شهد بدرأ ، والحدبية ، وشهد الله له بالإيمان في القرآن ، وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوفاص صاحب الإسكندرية سنة ست من الهجرة ، فقال له المقوفاص : أخبرني عن صاحبك ، أليس هو نبياً ؟ قال : بلى ، قال : فما له لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلدته ؟ قال له حاطب : فعيسى ابن مريم رسول الله حين أراد قومه صلبه لم يدع عليهم حتى رفعه الله ! قال له : أحسنت ، أنت حكيم ، جئت من عند حكيم ، وبعث معه هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها مارية أم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وسirين أم عبد الرحمن بن حسان ، وأخرى أعطاها لأبي جهم بن حذيفة ، وأرسل مع حاطب من يوصله مأمونه .

روى مسلم في « صحيحه » : أَنَّ عَبْدَأَ لِحَاطِبَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو حَاطِبَأَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ لِي دَخْلَنَ حَاطِبَأَ النَّارَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَذَبْتَ ، لَا يَدْخُلُهَا : فَإِنَّهُ شَهَدَ بَدْرَأً » وَكَانَ حَاطِبَ حَسَنُ الْجَسْمِ ، خَفِيفُ الْلَّحْيَةِ ، ذَكْرُهُ أَبْنُ سَعْدٍ ، تَوْفَى سَنَةَ ثَلَاثَيْنَ بِالْمَدِينَةِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعُمُرُهُ خَمْسُ وَسَوْنُونَ سَنَةً . اهـ

إِلَى قُرَيْشٍ رُّقْعَةً مَعَ مَرَّةٍ فَأَوْدَعَتْهَا قَرْنَهَا تِلْكَ الْمَرَّةَ
فَأَخْبِرَ الْهَادِي بِهَا فَأَرْسَلَ مَنْ جَاءَهُ كُرْهَا بِهَا وَأَمْثَلَهَا

جيشه صلى الله عليه وسلم (سرعت) ببناء التأنيث المكسورة للروي، قوله : (إلى) كبار (قريش) وهم : سهيل ، وصفوان ، وعكرمة ، وقد أسلموا بعد ، رضي الله عنهم ، وهو يتعلق بـ (أرسل) أي : أرسل حاطب إلى قريش بمكة إذ ذاك (رُقْعَةً) بالضم ، واحدة الرقاع : التي تكتب (مع) بفتح الميم والعين في مع (مرّة) بتثليث الميم وفتح الراء المخففة : لغة في امرأة ، استأجرها بدينار أو عشرة دنانير ، واسمها سارة بنت صيفي بن أبي صيفي بن هاشم ، كانت مُغَنِيَّةً أهل مكة ، جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أَجْئَتِ مَهَاجِرَةً؟ » قالت : لا ، قال : « فَمَا جَئْتَ لِهِ؟ » قالت : أَنْتُمُ الْأَهْلُ وَلَا مُوَاسِيَ ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا كَانَ فِي غِنَائِكَ مَا يُغْنِيُكَ؟ » قالت : إِنَّ قَرِيشًا مِنْذُ قُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ بِدِرْ تَرَكُوا الْغِنَاءَ ، فَأَعْطَاهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة وثياباً ، ولمَّا ناولها حاطب الرقعة . . قال لها : أَخْفِيَهَا مَا اسْتَطَعْتَ ، وَلَا تَمْرِيَ عَلَى الطَّرِيقِ ؛ فَإِنْ عَلِيَّهُ حِرْسًا ، فَأَخْذِنَ الرُّقْعَةَ (فَأَوْدَعَتْهَا قَرْنَهَا) بفتح القاف وسكون الراء : ذَوَابَتْهَا (تلك المرة) .

وأطّلع الله على ذلك نبيه عليه الصّلاة والسلام ، وجاءه الخبر من السماء ، كما قال الناظم : (فَأَخْبِرَ الْهَادِي بِهَا) أي : بالمرأة وخبرها لما جاء الوحي

استجبار حاطب امرأة
لإرسال الخطاب إلى
قريش

إطلاع الله جل وعلا نبيه
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
على كتاب حاطب
رضي الله عنه

بذلك (فَأَزَّسَلَ) بـألف الإطلاق ، كالألف في قوله بعد : (وامتلا) ، (مَنْ جاءَهُ كُرْهًا) أي : من المرأة ، ويتعلق قوله : (جاءَهُ) قوله : (بها) والذى جاءَهُ بها على ، والزَّبِير ، والمقداد ، كما أخرجـه الشـيخـان من طـرـيق عـبـيدـالـلهـبـنـأـبـيـرـافـعـ ، عـنـعـلـيـ رـضـيـالـلهـعـنـهـ قـالـ : بـعـثـنـي رـسـوـلـالـلهـصـلـىـالـلهـعـلـيـهـوـسـلـمـأـنـ ، وـالـزـبـيرـ ، وـالـمـقـدـادـ ، فـقـالـ : « اـنـطـلـقـوـاـ حـتـىـ تـأـتـوـاـ رـوـضـةـ خـاخـ(١)ـ عـلـىـ بـرـيدـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ ؛ فـإـنـ بـهـاـ ظـعـيـنـةـ(٢)ـ مـعـهـاـ كـتـابـ ، فـخـذـوـهـ مـنـهـاـ » (وامتلا) أمرـهـ صـلـىـالـلهـعـلـيـهـوـسـلـمـ .

مضـمـونـ خـطـابـ
حـاطـبـ بـنـ أـبـيـ بـلـعـةـ
لـفـرـيـشـ

الـأـسـابـبـ الـتـيـ دـفـتـ
حـاطـبـاـ لـمـكـاتـبـ قـرـيـشـ

قالـ عـلـيـ(٣)ـ فـيـ تـمـامـ الـحـدـيـثـ الـمـذـكـورـ : فـذـهـبـنـاـ تـعـادـىـ بـنـاـ خـيـلـنـاـ ، حـتـىـ أـتـيـنـاـ رـوـضـةـ ، فـإـذـاـ نـحـنـ بـالـطـعـيـنـةـ ، فـقـلـنـاـ : أـخـرـجـيـ الـكـتـابـ ، فـقـالـتـ : مـاـ مـعـيـ مـنـ كـتـابـ ، قـلـنـاـ : لـتـخـرـجـنـ الـكـتـابـ أـوـ لـنـلـقـيـنـ الـثـيـابـ ، فـأـخـرـجـتـهـ مـنـ عـقـاصـهـ(٤)ـ ، فـأـتـيـنـاـ بـهـ رـسـوـلـالـلهـصـلـىـالـلهـعـلـيـهـوـسـلـمـ ، فـإـذـاـ فـيـهـ : مـنـ حـاطـبـ بـنـ أـبـيـ بـلـعـةـ إـلـىـ أـنـاسـ مـنـ الـمـشـرـكـينـ بـمـكـةـ ، يـخـبـرـهـمـ بـعـضـ أـمـرـ رـسـوـلـالـلهـصـلـىـالـلهـعـلـيـهـوـسـلـمـ ، فـقـالـ النـبـيـصـلـىـالـلهـعـلـيـهـوـسـلـمـ : « مـاـ هـذـاـ يـاـ حـاطـبـ ؟ـ »ـ قـالـ : لـاـ تـعـجلـ عـلـيـ يـاـ رـسـوـلـالـلهـ : إـنـيـ كـنـتـ اـمـرـأـ مـلـصـقـاـ فـيـ قـرـيـشـ ، وـلـمـ أـكـنـ مـنـ

(١) بـخـائـنـ مـعـجمـتـيـنـ ، عـلـىـ الصـوـابـ الـذـيـ ذـكـرـهـ النـوـويـ عـنـ كـافـةـ الـعـلـمـاءـ .

(٢) بـفـتـحـ الـظـاءـ الـمـعـجمـةـ ، وـكـسـرـ الـعـيـنـ الـمـهـمـلـةـ ، هـيـ : الـمـرـأـةـ فـيـ الـهـوـدـجـ .

(٣) الـشـعـرـ الـمـضـفـورـ ، أـوـ الـخـيـطـ الـذـيـ تـعـصـعـصـ بـهـ أـطـرـافـ الـذـوـائـبـ .

أَنفُسِهَا ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٍ يَحْمُونَ بِهَا
أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ ، فَأَحَبَبْتَ إِذَا فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النِّسْبَةِ
فِيهِمْ ، أَنْ أَصْطَنِعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي ، وَمَا فَعَلْتُ
ذَلِكَ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنِ دِينِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ » فَقَالَ عُمَرُ : دَعْنِي ^(١)
يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَا ضُرِبَ عَنِّي هَذَا الْمَنَافِقُ ، فَقَالَ : « إِنَّهُ شَهَدَ
بِدَارًا ، وَمَا يُدْرِيكُ لَعَلَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ
فَقَالَ : أَعْمَلُوا مَا شَتَّمْتُ ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ! ! »

قَالَ عُمَرُ - يَعْنِي ابْنَ دِينَارَ - أَحَدُ رُوَاةِ الْحَدِيثِ - :
وَنَزَّلَتْ فِيهِ **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْهَاذُوا عَدُوّكُمْ وَعَدُوّكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ تُقْرِنُ
إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا
بِإِيمَانِهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلٍ وَأَبْيَغْتُمْ مَرْضَانِي شَرُونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمُتُمْ وَمَنْ يَقْعُلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّيِّلُ﴾ .**

قَالَ السُّهِيْلِيُّ فِي « الرُّوْضَ » : (زَادُ الْبَخَارِيِّ فِي بَعْضِ
رَوَايَاتِ الْحَدِيثِ فَقَالَ : « فَاغْرُرْ رُوْقَتْ عَيْنَا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

الآيةُ الَّتِي نَزَّلَتْ فِي
حَادِثِ حَاطِبِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ

(١) إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ عُمَرُ ، مَعَ تَصْدِيقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاطِبِ فِيمَا اعْتَذَرَ بِهِ ، لَمَّا كَانَ عِنْدَهُ
مِنَ الْقُوَّةِ فِي الدِّينِ ، وَالْبَغْضِ لِمَنْ يُنْسَبُ لِنَفَاقِ ، وَظَنَّ أَنَّ مِنَ الْخَالِفِ أَوْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتِحْقَاقُ الْقَتْلِ ، لِكُنْهِ لَمْ يَجْزُمْ بِذَلِكَ ، فَلَذِلِكَ اسْتَأْذَنَ فِي قَتْلِهِ ، وَأَطْلَقَ
عَلَيْهِ اسْمَ مَنَافِقٍ ؛ لِكُونِهِ أَبْطَنَ خَلَافَ مَا أَظْهَرَ ، وَلَمْ يَرُدْ عُمَرَ أَنَّهُ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ ، وَأَبْطَنَ
الْكُفَّارَ . وَعَذْرُ حَاطِبٍ : هُوَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ خَوْفِهِ عَلَى أَهْلِهِ بِمَكَّةَ ، بَأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ مَتَّأْوِلًا أَنَّ
لَا ضَرُرَ فِيهِ . اهـ مِنْ « الْفَتْحَ » بِزِيَادَةِ تَوْضِيْحٍ .

وقال : الله ورسوله أعلم » يعني : حين سمعه يقول في أهل بدر ما قال .

وفي « مسند الحارث » : أَنَّ حاطبًا قال : يا رسول الله ؟
كُنْتُ عَرِيرًا فِي قُرِيشٍ ، وَكَانَتْ أُمِّي بَيْنَ ظَهَارِنَاهُمْ ، فَأَرْدَتْ أَنْ
يَحْفَظُونِي فِيهَا ، أَوْ نَحْوُ هَذَا . ثُمَّ فَسَرَّ الْعَزِيزُ ، وَقَالَ : هُوَ
الْغَرِيبُ .

وقد قيل : كان في الكتاب الذي كتبه حاطب : أَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْكُمْ بِجِيشِ الْكَلَلِيْلِ ، يَسِيرُ
كَالسَّلِيلِ ، وَأَقْسَمُ بِاللَّهِ ؛ لَوْ سَارَ إِلَيْكُمْ وَحْدَهُ .. لَنْصُرَهُ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ ؟ فَإِنَّهُ مُنْجِزٌ لَهُ مَا وَعَدَهُ .

وفي « تفسير ابن سَلَامَ » : أَنَّهُ كَانَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ
حاطب : أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا قَدْ نَفَرَ : إِمَّا إِلَيْكُمْ ، وَإِمَّا إِلَى
غَيْرِكُمْ ، فَعَلَيْكُمُ الْحَدَرَ) .

فائدة :

ذكر في « روض النَّهَا » : (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا
أَرْسَلَ الْقَوْمَ إِلَى الْمَرْأَةِ .. زَوَّدَهُمْ مَاءً ، فَلَمَّا حَلَوْا السَّقَاءَ
لِيَشْرِبُوا .. وَجَدُوهُ لِبَنًا أَطَيْبًا مَا يَكُونُ ، وَوَجَدُوا عَلَى فِيمَا
السَّقَاءَ زُبْدًا أَطَيْبًا مَا يَكُونُ) .

وقال في « قُرْةُ الْأَبْصَارِ » في ضمن ذكر معجزاته صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْتَهَا ذَكْرُهَا :

والماءَ قد زودتَ قوماً رُفْداً

فعادَ أَيْضًا لِبَنًا وَزُبْدا

ولكنه لم يعينِ القومَ .

قصة عبد الله بن أبي أمية وإعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عنه :

ثمَ أراد الناظم أن يذكر بعض من خرج من مكة ، ووافي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق متوجهاً إلى مكة ، فأعرض عليه الصلاة والسلام عنه في أول الأمر ؛ تأدبياً له ، فقال :

(ولِلَّهِبِيِّ عَرَضَ) أي : ظهر له بين الشقيا والغرج ،

عبد الله بن أبي أمية القرشي المخزومي^(١) (ابن عمته) صلى الله عليه وسلم ، عاتكة بنت عبد المطلب .

توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة

(١) هو صهر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخو أم سلمة لأبيها ؛ لأنَّها بنت أبي أمية ، والدتها عاتكة بنت جندل الطعان ، وكان لأمية بن المغيرة زوجتان ، كل منها تسمى عاتكة ، شهد الفتح وحنيناً ، واستشهد بالطائف ، واسم أبي أمية : حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي ، المخزومي ، ويقال له : زاد الراكب ؛ لأنَّه إذا سافر معه أحد .. كان زاده عليه ، وكان عبد الله هذا وأبو سفيان بن الحارث شديدي الأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الدعوة بمكة ، وبعد الهجرة ، ولكن احضتهما السعادة ، جعلنا الله ممَّن سبقت له العناية ، وكتب لها السعادة :

حذيفة بن المغيرة زاد الركب

ربَّ شخص تقوده الأقدار للمعالي وما لذاك اختيار غافلاً والسعادة احضته وهو منها مستوحش نفار قال ابن عبد البر : (إنَّ رمي يوم الطائف بسهم فقتله ، ومات يومئذ) .

قصة أبي سفيان بن الحارث وإعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عنه :

أبو سفيان بن الحارث
ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم

(و) عَرَضَ أَيْضًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو سُفِيَّانَ بْنَ
الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ^(١) (نَجْلٌ) أَيْ : ابْنُ (عَمِّهِ)

إسلام أبي سفيان بن
الحارث أخي النبي
صلى الله عليه وسلم
من الرضاع

(١) اسمه كنيته ، أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع ،
أرضعتهما حليمة السعدية وتقدم أنَّ أبا سفيان هذا كان من الذين
يشبهون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوم إسلامه أدخل على
الرسول الأعظم الفرح الكبير ، حتى شهد له بالجنة ، وكان يقول :
«أرجو أن يكون خلفاً من حمزة» شهد من المشاهد حينها ، وله فيها
الذكر الحسن ؛ فقد ثبت فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبلى
بلاء حسناً ، أخرج مسلم من طريق كثير بن العباس بن عبد المطلب
عن ابنه قصة حنين قال : (فطفرق النبي صلى الله عليه وسلم يركض
بغلته نحو الكفار ، وأنا آخذ بلجامها أكفها ، وأبو سفيان بن الحارث
آخذ برకابه ، فقال : «يا عباس ؛ ناد أصحاب الشجرة») اهـ

ويقال : إنَّه لم يرفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
إجلالاً له ، وحياءً منه ، وكان شاعراً مطبوعاً حلواً الشعر ، أشد في
إسلامه واعتذاره :

لعمرك إني يوم أحمل راية
لغلب خيل اللات خيل محمد
فهذا أواني حين أهدي فأهلني
هداني هاد غير نفسي ودلني
أصد وأنأى جاهداً عن محمد
وأدعى وإن لم أنتسب من محمد
ذكر ابن إسحاق : أنَّ أبا سفيان بكى النبي صلى الله عليه وسلم
ورثاه بقوله :

أرق فبات ليلي لا يزول
وليل أخي المصيبة فيه طول
أصيب المسلمين به قليل
فأسعدني البكاء وذاك ممَّا

وَعَنْهُمَا أَغْرَضَ جَرَّاً مَأْثَمَةً فَأَسْتَشْفَعَا لَهُ بِأَمْ سَلَمَةً

الحارث ، أخي عبد الله ، والد النبي صلى الله عليه وسلم (عزيز) بالجر صفة للعم (فِئِيهِ) أي : طائفته قريش ، ويجمع على : فِئُون ، كما في «المختار» .

ولما عرضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يريдан الإسلام .. أعرض عنهما ؛ لأنهما كانا من أكبر القائمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشد الناس أذى له .

شفاعة أم سلمة فيهما :

وإلى هذا يشير بقوله : (وعنهما أعرض) وصدّ ؛ لأنهما (جَرَّا) على أنفسهما (مَأْثَمَةً) أي : إثماً بذلك الأذى والهجو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والهاء للسكت ؛ إذ وبال ذلك راجع إليهما ، (فاستشفعا) أي : طلبا الشفاعة (له)

روى الحاكم عن عروة مرفوعاً : « أبو سفيان بن الحارث . سيد فتيان أهل الجنة ، قال : أي : عروة » حلقة الحلاق بمنى ، وفي رأسه ثولول فقطعه ، فمات ، قال فيرون أنه مات شهيداً .

وعن عمر بن شبة في « أخبار المدينة » عن عبد العزيز بن عمران قال : (بلغني أنَّ عقبيل بن أبي طالب رأى أبو سفيان يجول بين المقابر ، فقال : يا بن عمي ؟ مالي أراك هنا ؟ قال : أطلب موضع قبرى ، فأدخله داره وأمره بأن يحضر في قاعها قبراً ، ففعل ، فقعد عليه أبو سفيان ساعة ثمَّ انصرف ، فلم يلبث إلَّا يومين حتى مات ، فدفن فيه ، يقال : إنَّ مات ستة خمس عشرة ، فصلَّى عليه عمر) اهـ من « الإصابة » .

وذكر التوسي في « شرح مسلم » أنه قال عند موته : لا تبكوا عليَّ ؛ فإني لم أشطف - أي : أتلطخ - بخطيئة مذ أسلمت . اهـ

وفاته

أي : عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ليقبلهما (أم سلمة) أم المؤمنين رضي الله عنها ، فكلمته أم سلمة ، فقالت : يا رسول الله ؛ ابن عمك ، وابن عمتك وصهريك ، قال : « لا حاجة لي بهما ؛ أمّا ابن عمّي .. فهذا عرضي ، وأمّا ابن عمّي وصهري .. فهو الذي قال لي بمكة ما قال » يعني قوله : والله ؛ لا آمنتُ بكَ حتى تَشَدُّدَ سُلْمَةً إلى السماء ، فتُعرُجُ فيه وأنا أنظر ، ثمَّ تأتي بصَكَ وأربعة من الملائكة ، يشهدون أنَّ الله أرسلَكَ ، فقالت له أم سلمة : لا يكن ابن حكمة أم سلمة رضي الله عنها عمك وابن عمتك أشقي الناس بك .

وقال عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه لأبي سفيان فيما حكاه أبو عمر : (أئْت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف : ﴿قَالُوا تَالَّهُ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَيْسَنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ فَإِنَّه لَا يرضي أَن يكون أحد أحسن منه قوله ، ففعل ذلك أبو سفيان ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ﴿لَا تَرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرَحَمُ الرَّحْمَنِينَ﴾ .

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة بجيشه :

هذا : ولما رجع أبو سفيان إلى مكة ولم ينل مطلوبه ، وقبل عليه الصلاة والسلام عذر حاطب في كتابه لأهل مكة .. خرج قاصداً مكة لعشر ماضين من رمضان بعد العصر سنة ثمان ، وهو صائم والناس معه صيام ، ولما بلغ الكَدِيدَ - ماء

تاریخ خروجه صلى الله عليه وسلم إلى مكة

بين قُدِيد وعُسْفَان - أَفْطَر ؛ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُهْمَ كُلُثُومَ بْنَ الْحُصَيْنِ بْنَ عَتَبَةَ الْغِفارِيِّ ، عَلَى الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ أَبْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ .

كُلُثُومُ بْنُ الْحُصَيْنِ
الْمُسْتَخْلَفُ عَلَى
الْمَدِينَةِ

وَأَشَارَ النَّاظِمُ إِلَى مَسِيرِهِ إِلَى مَكَةَ تَقْدِيمِهِ جَنُودَ اللَّهِ وَعُسْكَرِ
الْإِسْلَامِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِقَوْلِهِ :

(وَأَقْبَلَتْ جُنُودُ) جَمْعُ جَنْدٍ ، هُوَ : الْعُسْكَرُ وَالْأَعْوَانُ
(صَفْوَة) مِثْلُ الْأُولَى ، كَكُلَّ مَا كَانَ عَلَى هَذَا الْوَزْنِ وَأَوْيَ
اللَّامِ .

وَالْمَرَادُ بِصَفْوَةِ (الْأُمَمِ) : رَسُولُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ صَلَى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَفَهُ بِالصَّفْوَةِ وَلَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ الْمُشَهُورَةِ ؛
لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اصْطَفَى الْعَرَبَ مِنَ النَّاسِ ، وَاصْطَفَى قَرِيشًا مِنَ
الْعَرَبِ ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشَمَ مِنْ قَرِيشٍ ، وَاصْطَفَى رَسُولُ اللَّهِ
صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي هَاشَمَ ، فَمَنْ ثَمَّ كَانَ الصَّفْوَةَ ،
وَالصَّفْوَةُ : خَلَاصَةُ الشَّيْءِ ، فَهُوَ خَلَاصَةُ الْشَّرْفِ ، بَلْ
وَالْكَمَالَاتِ كُلُّهَا (أَمَامَهُ) صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ فِي «الإِيمَاعِ» : (وَكَانَ الْمَهَاجِرُونَ سَبْعَ مِائَةً ،
وَمَعَهُمْ ثَلَاثَ مِائَةَ فَرْسٍ ، وَكَانَ الْأَنْصَارُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَمَعَهُمْ
خَمْسَ مِائَةَ فَرْسٍ ، وَمِزِينَةُ الْأَلْفَيْنِ ، وَمَعَهَا مِائَةَ فَرْسٍ ، وَمِائَةَ درَعٍ ،
وَأَسْلَمَ أَرْبِعَ مِائَةً ، وَمَعَهَا ثَلَاثُونَ فَرْسًا ، وَجَهِينَةُ ثَمَانِ مِائَةٍ ،
وَمَعَهَا خَمْسُونَ فَرْسًا ، وَبَنْوَ كَعْبَ بْنَ عُمَرَ وَخَمْسَ مِائَةً ، وَخَرَجَ
يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِعَشْرِ خَلْوَنَ مِنْ رَمَضَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ) اهـ

عَدُدُ الْمُسْلِمِينَ

وأخذوا في السير (حتى انتهوا إلى الحرام) أي : مكة شرفها الله تعالى ؛ لأنَّه صلَّى الله عليه وسلم حَرَّمَها بقوله : « مكة حرام ، لا تحل لأحد قبلي ، ولا تحل لأحد بعدي ، وإنَّما أُحلَّتْ لي ساعة من نهار » .

(وضربت له هناك) أي : بالحجُّون من أرض الحرم بمكة (قبة) يستظل^(١) بها (أرضي بها الله ، وأرضي حزبه) جنده أو قومه الذين هم على رأيه ، أو طائفته .

قال في « روض النهاة » : (وكل ذلك محتمل هنا ؛ إذ يصح أن يكون أراد قريشاً ؛ لأنَّه صلَّى الله عليه وسلم أرضاهم ذلك اليوم بأفعاله الكريمة وأقواله الحميدة . كقوله : « اليوم يوم المرحمة » وقوله : « ما ترونني فاعلاً بكم ؟ » قالوا : خيراً ؛ أخ كريم ، وابن أخ كريم ، فقال : « اذهبوا ، فأنتم الطُّلَقَاء » ولأنَّه صلَّى الله عليه وسلم لم يُسْبِّ أحداً ، ولم يغم ناطقاً ولا صامتاً وهو فيما هو فيه من المقدرة ، وجهد أصحابه في المعيشة ، وقد ردَّ المفتاح على أهله قَبْلُ من بني عبد الدار .

ويصح أن يكون المراد بالحزب الأنصار ، وهم قومه الذين

(١) لأنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام دخل مكة على الصحيح من أعلاها ، ودخل خالد من أسفلها كما سيأتي ، قال في « شرح المواهب » : (ولم يزل بالحجُّون ، لم يدخل بيته ، وكان يأتي المسجد لكل صلاة من الحجُّون ، وكان أبو رافع ضرب له به قبة من أدم ، ومعه أم سلمة وميمونة) .

فَاحْتَرِمُ الْحَرَمَ إِذْ هُوَ الْحَرَمُ مُحَرَّمٌ مُؤْمَنٌ هَجَمْ

على رأيه ، وأرضاهم أيضاً ذلك اليوم بقوله صلى الله عليه وسلم : « المَحْيَا مَحْيَاكُمْ ، وَالْمَمَاتِ مَمَاتُكُمْ » وأن يكون المراد به المهاجرين والأنصار ؛ لأنَّهم جنده .

وأرضى المهاجرين أيضاً بعفوه عن قريش ، وقد شفع عثمان ، وعبد الرَّحْمَن بن عوف منهم ، هذا كله على أنَّ الضمير في (حزبه) يعود على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، ويتحمل عوده على لفظ الجلالة قال تعالى : « إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلَبُونَ » وقد ظهر لقريش اليوم استمرار الغلب عليهم منذ يوم بدر ، فأذعنوا وأسلموا .

(فاحترم الحرام) أي : مكة ، فلم يسفك بها دماً (إذ هو) أي : مكة ، وذكر الضمير ؛ مراعاة للخبر الذي هو (الحرام) وقوله : (مُحَرَّمٌ) خبر بعد خبر ، كقوله : (مُؤْمَنٌ مِّنْ هَجَمْ) ^(١) وأغار عليه .

والآيات في القرآن على تأمينه كثيرة ، قال تعالى : « وَقَالُوا إِنَّنَا نَتَّبِعُ الْهُدَىٰ مَعَكُمْ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً ءَامِنًا يَجْعَلُ إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ». .

وقال تعالى : « فَلَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَّأَمْنَهُمْ مِّنْ حَوْفٍ ۝ ». .

(١) هجم من باب دخل ، يقال : هجم على الشیخ : دخل بغير إذن . اهـ

.....

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام في اليوم الثاني من يوم الفتح ،
بعد أن حمد الله تعالى ، وأثنى عليه بما هو أهله : « أَتَيْهَا
النَّاس ؟ إِنَّ اللَّهَ حَرَمَ مَكَةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهُنَّ
حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا يَحْلُّ لَامِرَئٍ يَؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بَهَا دَمًا ، أَوْ يَعْصُدَ بَهَا شَجَرَةً ، فَإِنَّ أَحَدًا
تَرْخَصُ فِيهَا لِقَاتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. فَقُولُوا
لَهُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ ، وَلَمْ يَأْذِنْ لَكُمْ ، وَإِنَّمَا أُحَلِّتَ لِي
سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَقَدْ عَادَتْ حِرْمَتَهَا إِلَيَّ كَحِرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ ،
فَلِيَلْعُمَ الشَّاهِدُ الْغَائِبُ » .

تاریخ انصاب الحرم :

أول من نصب انصاب
الحرم

قال العلَّامة أبو الوليد محمَّد بن عبد الله الأزرقِيّ ، بسنده
إلى ابن عباس رضي الله عنه : (أول من نَصَبَ انصابَ الحرم
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يَرِيهِ ذَلِكَ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا كَانَ
يَوْمُ فَتْحِ مَكَةَ .. بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمِيمَ بْنَ
أَسْدَ الْخَزَاعِيِّ ، فَجَدَدَ مَا رَأَى مِنْهَا) .

وَذَكَرَ أَيْضًا أبو الوليد بالسند إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَةَ : (أَنَّ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَصَبَ انصابَ الحرم ، يَرِيهِ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، ثُمَّ لَمْ تُحْرَكْ حَتَّى كَانَ قَصْبَيْ فَجَدَدَهَا ، ثُمَّ لَمْ تُحْرَكْ
حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَعَثَ عَامَ الْفَتْحِ
تَمِيمَ بْنَ أَسْدَ الْخَزَاعِيِّ فَجَدَدَهَا ، ثُمَّ لَمْ تُحْرَكْ حَتَّى كَانَ عُمَرَ بْنَ
الْخَطَّابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَبَعَثَ أَرْبَعَةَ مِنْ قَرِيشٍ ، كَانُوا يَتَبَدَّلُونَ

وَحِينَ حَلَّ بِإِزَاءِ الْحَرَمِ أَمْرَأَنْ يُوقَدَ كُلُّ مُسْلِمٍ
نَارًا فَأَبْصَرَ أَبُو سُفْيَانًا وَكَانَ يَرْتَقِبُهُ الْنَّيْرَانًا

في بواديها ، فجَدُّدوا أنصاب الحرم ، منهم مَخْرِمة بن نوفل ،
وأبو هود سعيد بن يربوع المخزومي ، وحويطب بن
عبد العزّى ، وأزهر بن عبد عوف الزهري) .

إِرْهَاب قُرِيشٍ بِإِيْقَادِ عَشْرَةِ أَلْفِ نَارٍ :

ثُمَّ أَرَادَ النَّاظِمُ أَنْ يُذَكِّرَ مَا أَمْرَهُمْ بِهِ النَّبِيُّ الْأَعْظَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَمَا قَارَبَ مَكَّةَ ؛ مَمَّا جَعَلَ قُرِيشًا فِي رُعبٍ مِّنْهُمْ ،
فَقَالَ : (وَحِينَ حَلَّ) وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(بِإِزَاءِ) أَيِّ : بِمُقَابِلِ (الْحَرَمِ) بِمَوْضِعٍ يُسَمَّى مَرَّ الظَّهْرَانِ :
وَادِي فَاطِمَةَ وَبَعْدَهُ
عَنْ مَكَّةِ الْمَكْرُومَةِ
بَفْتَحِ الْمَيْمِ ، وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ ، هُوَ الْمَعْرُوفُ الْيَوْمَ بِوَادِي فَاطِمَةَ
مَسِيرَةَ لَيْلَةٍ مِّنْ مَكَّةَ عَلَى الْجَمَالِ ، وَسَاعَةً بِالسِّيَارَةِ (أَمْرَأَنْ يُوقَدَ كُلُّ
يُوقَدَ كُلُّ مُسْلِمٍ نَارًا) لِتَرَاهَا قُرِيشٌ ، فَتَرَعَّبَ مِنْ كَثْرَتِهَا ،
فَأَوْقَدُوا عَشْرَةَ أَلْفِ نَارٍ (فَأَبْصَرَ أَبُو سُفْيَانًا) بِالْأَلْفِ الْزَّائِدَةِ
لِإِطْلَاقِ الْقَافِيَّةِ قَوْلَهُ : (وَكَانَ يَرْتَقِبُهُ) أَيِّ : النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَيِّ : يَخَافُ أَنْ يَخْرُجَ فِي أَصْحَابِهِ لِقَتَالِهِ ، جَمْلَةٌ
مَعْتَرَضَةٌ بَيْنَ أَبْصَرٍ ، وَمَفْعُولَهُ الَّذِي هُوَ (النَّيْرَانُ) أَيِّ : فَأَبْصَرَ
أَبُو سُفْيَانَ هَذِهِ النَّيْرَانَ الْكَثِيرَةَ حَتَّى قَالَ : مَا هَذِهِ النَّيْرَانُ ؟
لِكَانَهَا نَيْرَانٌ عَرَفَةَ ، وَكَانَتْ قَدْ جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِإِيْقَادِ النَّيْرَانِ
الْكَثِيرَةِ لَيْلَةَ عَرَفَةَ .

فرع أبي سفيان من جيش المسلمين :

وقد كان أبو سفيان يرتفع النبي صلى الله عليه وسلم أن يغزوه مع قومه (فارتع) أي : أصاب أبو سفيان الروع والخوف .

قال الشهاب : (ولم يبلغ قريشاً مسيره ، وهم مغتمون خائفون من غزوته ، فبعثوا أبو سفيان ، فقالوا : إن لقيت محمداً.. فخذلنا منه أماناً ، فخرج أبو سفيان ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء - وقد أسلموا كلهم رضي الله عنهم - حتى أتوا مَرَّ الظهران ، فلما رأوا العسكر .. أفزعهم) .

قصة إسلام أبي سفيان وما كان من العباس معه :

وفي « صحيح الإمام البخاري » : فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان : ما هذه النيران ؟ والله لكانها نيران عرفة ، فقال له بديل : نيرانبني عمرو (أي : خزاعة) فقال أبو سفيان : بنو عمرو أقل من ذلك ، فرأهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركوهم ، فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم أبو سفيان ؟ أي : انقاد إذ ذاك ، وخضع لرسول الله عليه الصلاة والسلام (فانسل) بتشديد اللام ؛ أي : فخرج (إذن) أي : حين رأى تلك النيران ، وذلك الجيش العرمي العباس (عَمَ الْبَيِّ) عليه ، فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذته الرقة والشفقة لأهل مكة ، حتى جاء الأرراك لعله يجد بعض الخطابة ، أو ذا الحاجة ، يخبر أهل مكة بمكان رغبة العباس رضي الله عنه في خروج أهل مكة لطلب الأمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم

مقابلة العباس لأبي
سفيان وحديثه معه

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل
أن يدخلها عنْوة ، قال العباس : فوالله ؛ إِنِّي لأسير عليها إذ
سمعت كلام أبي سفيان وبُديل بن ورقاء وهما يتراجعان ،
وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قُطُّ ولا عسِكراً ،
قال : يقول بُديل : هذه والله خُزاعة حَمَشْتَهَا الْحَرْب ، فيقول
أبو سفيان : خُزاعة أَذْلَ وَأَقْلَ منْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانَهَا
وَعَسِكْرَهَا ، قال : فعْرَفْتَ صَوْتَهُ ، فَقَالَتْ : أَبَا حَنْظَلَةَ ؟ فَعْرَفَ
صَوْتَهُ ، فَقَالَ : أَبُو الْفَضْلِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : مَالِكَ فِدَاكَ
أَبِي وَأُمِّي ، قَالَ : قَلْتَ : وَاللَّهِ : هَذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ ، قَدْ جَاءَكُمْ بِمَا لَا قَبْلَ لَكُمْ بِهِ ، فَقَالَ :
وَاصْبَاحَ قَرِيشَ وَاللَّهِ ! قَالَ : فَمَا الْحِيلَةُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؟ قَالَ :
قَلْتَ : وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفَرْتَ بِكَ .. لَيُضْرِبَنَّ عَنْكَ ، فَارْكَبْ فِي عَجْزِ
هَذِهِ الْبَغْلَةِ ، حَتَّى آتَيْتَ بِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَأَسْتَأْمِنَهُ لَكَ ، فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ ، وَهَذَا هُوَ الْمَشَارِ
إِلَيْهِ بِقَوْلِ النَّاظِمِ :

(فالْتَقِيَا) أَيْ : العَبَّاسُ وَأَبُو سَفِيَانَ (فَجَا) بِالْقُصْرِ : لِغَةُ
فِي (جَاءَ) بِالْمَدِ ؛ أَيْ : فَجَاءَ العَبَّاسُ (بِهِ) أَيْ : بِأَبِي سَفِيَانَ
وَقَدْ أَرْدَفَهُ عَلَى عَجْزِ الدَّابَّةِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(عَنْ كَتَبَ) بِفَتْحِ الْكَافِ وَالْمُثَلَّثَةِ ؛ أَيْ : عَنْ قَرْبِ ، وَكَانَ
كُلَّمَا مَرَّ بِهِ العَبَّاسُ عَلَى نَارِ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ .. قَالُوا : مَنْ
هَذَا ؟ وَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَبَّاسَ
عَلَيْهَا قَالُوا : عَمْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ .

إِرْدَافُ العَبَّاسِ لِأَبِي
سَفِيَانَ عَلَى بَغْلَتِهِ

قال العباس : حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ومقاله لدى رؤية أبي سفيان منْ هذا ؟ وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة ..

قال : أبو سفيان عدو الله ؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عَهْد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورَكَضَتُ البَغْلَة ، فَسُقْتُ ، فاقتصرت عن البَغْلَة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ؟ هذا أبو سفيان ، فدعني فلأضرب عنقه ، قال : قلت : يا رسول الله ؟ إِنِّي قد أَجَرْتُه ، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت برأسه ، قلت : والله ، لا يناديه الليلة رجل دوني ، فلما أكثر عمر في شأنه .. قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله ؟ لو كان من رجالبني عدي بن كعب ..

ما قلت مثل هذا ، قال : مهلاً يا عباس ، فوالله ؟ لِإِسْلَامُك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إِلَّا أَنِّي قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت .. فأتنى به » فذهب به ، فلما أصبح .. غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال : « ويَحْكَ يا أبا سُفْيَان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إِلَهَ إِلَّا الله ؟ » قال : بأبي أنت وأمّي ، ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك ! لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد ، قال :



اشتداد الحوار بين
عمر والعباس رضي
الله عنهما في شأن أبي

سفيان

الحديث الذي دار بين
النبي صلى الله عليه
وسلم وبين أبي سفيان

« ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله ؟ »
 قال : بأبي أنت وأمّي ، ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك !
 أمّا والله هذه ؛ فإنّ في النفس حتى الآن منها شيئاً ، فقال له العباس : ويحك أسلِم ، واسْهَدْ أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله قبل أن تُضرِّب عنقك ، قال : فشهادَةَ الحقّ ، فأسلم .

قال العباس : قلت يا رسول الله ؛ إنّ أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً^(١) ، قال : « نعم ، مَنْ دخل دار أبي سفيان .. فهو آمن ، ومن أغلق بابه عليه .. فهو آمن ، ومن دخل المسجد .. فهو آمن » .

ثُمَّ أمرَ العَبَاسَ أَن يَحْبَسْ أَبَا سَفِيَانَ بِمَضِيقِ الْجَبَلِ ، عَنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ ؛ حَتَّى تَمَرْ بِه جَنُودُ اللهِ فِي رَاهِا ، فَفَعَلَ ، فَمَرَّتِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَاهِاتِه ، كُلَّمَا مَرَّتِ قَبْيلَةً .. قَالَ : يَا عَبَاسُ مَنْ هَذِه ؟ فَأَقُولُ : سُلَيْمَ ، قَالَ : مَا لِي وَلِسُلَيْمَ ، ثُمَّ تَمَرَ بِه الْقَبْيلَةُ فَيَقُولُ : يَا عَبَاسُ ؟ مَنْ هُؤُلَاءِ ؟ فَأَقُولُ مُزَيْنَةً ، فَيَقُولُ : مَا لِي وَلِمُزَيْنَةِ ، حَتَّى نَفَدَتِ الْقَبَائِلُ ، مَا تَمَرَ بِه قَبْيلَةً .. إِلَّا سَأَلَنِي عَنْهَا ، فَإِذَا أَخْبَرْتَه بِهِمْ .. قَالَ : مَا لِي وَلِبَنِي فَلَانَ ، حَتَّى مَرَّ بِه رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَيْبِيَتِه الْخَضْرَاءِ فِيهَا الْمَهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقَ مِنَ الْحَدِيدِ ،

(١) قصد العباس بذلك ثبيت إسلام أبي سفيان ؛ لئلا يدخل عليه شيطان ، بأنه كان متبعاً فأصبح تابعاً ، ليس له من الأمر شيء ، ولذا قال العباس : إنه رجل يحب الفخر . اهـ

وإنما قيل لها : الخضراء لكترة الحديد وظهوره فيها ، قال : سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة !

وفي « صحيح البخاري » : أنَّ كتيبة الأنصار جاءت مع سعد بن عبادة ومعه الرأبة ، قال : ولم يُر مثلها ، ثم جاءت كتيبة هي أقل الكتائب^(١) - أي : عدداً - وأكثرها إجلالاً ، فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ورأية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير ، فقال أبو سفيان : والله يا أبا الفضل ؟ لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً ، قال : قلت : يا أبا سفيان ، إنَّها النبوة ، قال : فنعم إذن ، قال : تحذير أبي سفيان قريشاً من جيش المسلمين

قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معاشر قريش ؟ هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان .. فهو آمن ، فقامت إليه زوجة هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحميت^(٢) الدَّسِمَ الْأَحْمَسَ ، قبح من طليعة قوم ! قال : ويلكم ! لا تغرنكم هذه من أنفسكم ؛ فإنَّه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان .. فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ،

(١) قال الحافظ اليعمري في « العيون » : (كذا وقع عند جميع الرواة - يعني بلفظ « أقل » - ورواه الحميدي في « كتابه » : « هي أهل الكتاب » وهو الأظهر) .

(٢) الحميت : الزق ، أو وعاء السمن ، والأحسن الذي لا خير فيه عنده . اهـ من « روض النهاة » .

وَمَا تغْنِي عَنَا دَارِكَ؟ قَالَ : وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ .. فَهُوَ آمِنٌ ،
وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ .. فَهُوَ آمِنٌ ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى
الْمَسْجِدِ .

وذكر الطبرى : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَهَ حَكِيمَ بْنَ حِزَامَ مَعَ أَبِي سَفِيَّانَ بَعْدِ إِسْلَامِهِمَا إِلَى مَكَّةَ ، وَقَالَ : مَنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيمٍ .. فَهُوَ آمِنٌ ، وَهِيَ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفِيَّانَ .. فَهُوَ آمِنٌ ، وَهِيَ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَكَانَ هَذَا أَمَانًا مِنْهُ لِكُلِّ مَنْ لَمْ يَقْاتِلْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ .

قال ابن إسحاق : (فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي طَوْبَى . . وَقَفَ عَلَى رَاحْلَتِهِ مُعْتَجِرًا بِشَقَّةِ بَرْدِ حِبْرَةِ حَمْرَاءِ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِيُضِعَ رَأْسَهُ تَوَاضِعًا لِلَّهِ حِينَ رَأَى مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفُتْحِ ، حَتَّى إِنَّ عَشْنَوْنَهُ لِيَكَادُ يَمْسُّ وَاسْطَةَ الرَّحْلِ) اهـ والعشرون : للحجۃ .

وقال في «روض النّهَاة» : (إِنَّ أَبَا سَفِيَّانَ قَالَ لِمَنْ احْتَمَلَهُ الْعَبَاسَ إِلَى قَبْتِهِ ، فَأَصْبَحَ عَنْهُ ، رَأَى النَّاسُ قَدْ ثَارُوا إِلَى ظَهُورِهِمْ^(١) .. فَقَالَ أَبُو سَفِيَّانَ : يَا أَبَا الْفَضْلِ ! مَا لِلنَّاسِ ؟ أُمِرُّوا فِي بَشِّيَّءٍ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكُنْهُمْ قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ ، فَأَمْرَهُمُ الْعَبَاسُ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ انطَّلَقَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلِمَّا دَخَلَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فِي الصَّلَاةِ وَكَبَرَ ،

تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما من الله عليه من الفتح

(١) أي : إلى دوابهم ؛ لأنّها كالظهر لهم . اهـ

فَكَبَّرَ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِ ، وَرَكِعَ فَرَكِعوا ، وَرَفِعَ فَرْفَعُوا .. قَالَ أَبُو سَفِيَانٍ : مَا رَأَيْتَ كَالِيلَوْمَ طَاعَةً قَوْمًا ، جَمَعَهُمْ مِنْ هَهْنَا وَهُنَّا ، وَلَا فَارِسٌ وَلَا رُومٌ ذَوَاتُ الْقَرْوَنَ بِأَطْوَعِهِمْ لَهُ !

تَدْخُلُ عَمَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْحَدِيثِ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَبِي سَفِيَانَ

وَلَمَّا عَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ .. قَالَ : كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْعَزْيِ ؟ فَسَمِعَهُ عَمْرٌ مِنْ وَرَاءِ الْقَبْةِ ، فَقَالَ لَهُ : تَخْرُجُ عَلَيْهَا ! فَقَالَ أَبُو سَفِيَانٍ : وَيَحْكُمُ يَا عَمِّر ! إِنَّكَ رَجُلٌ فَاحِشٌ ، دَعْنِي وَابْنِ عَمِّي فَإِيَاهُ أَكْلَمْ .

إِسْلَامُ هَنْدَ زَوْجِ أَبِي سَفِيَانَ

وَلَمَّا قَالَتْ هَنْدُ الْمَقَالَةَ السَّابِقَةَ ، وَقَدْ أَخْذَ الْإِسْلَامَ مِنْ قَلْبِهِ كُلَّ مَا خَذَ .. قَالَ لَهَا : وَاللَّهِ ؛ لَتُسْلِمِنَ أَوْ لَأُضْرِبَنَ عَنْقَكَ ، فَأَسْلَمَتْ قَبْلَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا ، وَبِإِيمَانِهِ ، وَأَقْرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نِكَاحِهِمَا) .

اسْتَعْدَادُ حِمَاسَ بْنَ قَيْسٍ لِقتَالِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ انْهَرَّا مِهِ :

(وَزَعَمْ) حِمَاسُ (بْنُ قَيْسٍ) بْنُ خَالِدٍ ، بِكَسْرِ أَوْلَهُ ، وَتَخْفِيفِ ثَانِيَهُ ، وَآخِرِهِ مَهْمَلَةً ، عَلَى مَا ضَبَطَهُ الْحَافِظُ فِي « الْإِصَابَةِ » وَذِكْرُهُ فِي الْقَسْمِ الْأَوَّلِ مِنْ حِرْفِ الْحَاءِ وَقَالَ : (إِنَّهُ أَلْأَصْحَ مِنْ تَسْمِيَةِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ لِهِ خَنَاسُ بْنُ قَيْسٍ) .

الْزَعْمُ يَطْلُقُ عَلَى مَعَانِي

وَالْزَعْمُ يَطْلُقُ عَلَى الْقَوْلِ الْحَقِّ ، وَمِنْهُ حَدِيثٌ : « زَعْمُ جَبَرِيلَ » وَعَلَى الْقَوْلِ الْكَذْبِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « زَعْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ يُبَعَّثُونَ » وَيَطْلُقُ أَيْضًا عَلَى الْقَوْلِ الْغَيْرِ الْمَوْثُوقُ بِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

إِنْ يَغْلِبُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عِلْمٌ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ

بَنْتُ قِيسَاءَ وَلِمْ أَبْلُهُ

كما زَعَمُوا خِيرَ أَهْلِ الْيَمَنِ

وحديث الترمذى : «بئس مطية الكذب زعموا» فجعله ابن عطية من الثاني ، قاله الأبيّ فى «شرحه على مسلم» ولعلَّ الثاني ، أو الثالث هو المراد هنا ؛ أي : كذب فى (أن سيخفدا) أي : يُخدم (رجالهم) أي : رجال المسلمين (خُلَّتُه) بضم الخاء ؛ أي : زوجته ، أي يأسرهم ؛ فيكونوا خَوَلًاً وخدماً لزوجته ، ولم تُسَمَّ ؛ وذلك أنه كان يشحذ سلاحه ويصلحه قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له امرأته : لماذا تُعدَّ سلاحك ؟ فيقول : لمحمد وأصحابه ، فتقول : لا أرى محمداً وأصحابه يقوم لهم شيء ، فيقول : أرجو أن أخدمك منهم .

(وأنشدا) عند ذلك : (إن يَغْلِبُوا) بالبناء للفاعل ؛ أي : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (الْيَوْمَ فَمَا لَيْ) أي : فليس لي (عِلْمٌ) ولا سبب ؛ لأنَّ (هَذَا سَلَاحٌ كَامِلٌ وَاللَّهُ) بفتح الهمزة ، وبعدها لام مشددة : جمع أَلَّ بالفتح أيضاً ، بمعنى : السلاح العريض ، يقول في زعمه : إِنَّه لَم يَكُنْ هُنَاكَ سبب لغْلَبِهِمْ لَنَا ؛ فَإِنَّ لَدِينَا مِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ مَا يَكْفِيْنَا مِنْ أَدَاءِ الْقَاتِلَ ، وَمَا دَرِيَ أَنَّ اللَّهَ نَاصِرُ نَبِيِّهِ وَالْمُسْلِمِينَ لَا مَحَالَةَ ، مِهْمَا كَانَ الْعَدُوُّ ، وَمِهْمَا كَانَتِ الْمَعَدَّاتِ الْحَرَبِيَّةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكُمْ بِنَصْرٍ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَتَنْصُرُنَّ اللَّهُ مَنْ نَصَرَهُ ﴾ .

وَشَهِدَ الْمَأْزَقَ فِيهِ حُطِّمَا
رَمْزُ (يَبِ) مِنْ قَوْمِهِ فَانْهَزَمَا
فَأَسْتَفْهَمَتْهُ أَيْنَ مَا كُتُّتَ تَقُولُ
وَجَاءَ فَاسْتَغْلَقَ بَابَهُ الْبَتُولُ

ثمَ شهدَ الْخِنْدِمَةَ معَ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ ، وَعَكْرَمَةَ بْنَ
أَبِي جَهْلٍ ، وَسَهْلَةَ بْنَ عُمَرَ ، فَلَمَّا لَقِيَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ
أَصْحَابِ الْخَالِدِ . . نَاوَشُوهُمْ شَيْئاً مِنَ الْقَتَالِ ، فُقْتَلَ كُرْزُ بْنُ جَابِرَ
الْفَهْرِيَ ، وَحُبَيْشُ بْنُ الْخَالِدِ الْخَزَاعِيَ - وَكَانَا فِي خَيْلِ الْخَالِدِ فَشَدَا
عَنْهُ وَسَلَكَا طَرِيقاً غَيْرَ طَرِيقِهِ فَقُتِلَا - وَأُصْبِيَ مِنَ الْمُشَرِّكِينَ نَحْوَ
الثَّنِيِّ عَشَرَ ، ثُمَّ انْهَزَمُوا ، فَخَرَجَ حَمَاسٌ مِنْهُمْ حَتَّى دَخَلَ
بَيْتَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِأُمَّرَاتِهِ : أَغْلَقِي عَلَيَّ بَابِي ، قَالَتْ : فَأَيْنَ مَا كُنْتَ
تَقُولُ ؟ فَأَنْشَدَ الْأَبْيَاتِ ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ بِقَوْلِهِ :

(وَشَهِدَ حِمَاسُ (الْمَأْزَقَ) بُوزَنِ مَجْلِسٍ ، أَصْلُهُ :
الْمُضِيقَ ، وَاسْتَعَارَهُ النَّاظِمُ لِمَوْضِعِ الْقَتَالِ ، قَالَ فِي
الصَّاحِحِ : (الْمَأْزَقُ : الْمُضِيقُ ، وَمِنْهُ سُمِيَّ مَوْضِعُ
الْحَرْبِ مَأْزَقاً^(١) (فِيهِ) أَيْ : فِي مَوْضِعِ الْقَتَالِ (حُطِّمَا)
بِالْبَيْنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ؛ أَيْ : كَسْرُ (رَمْزٌ «يَبِ») أَيْ : إِنَّا عَشَرَ
(مِنْ قَوْمِهِ) الْمُشَرِّكِينَ ، يَرْمِزُ إِلَيْهِمْ ، وَيُشَارُ بِالْيَاءِ وَالْبَاءِ مِنْ
حُرُوفِ الْجُمَلِ (فَانْهَزَمَا) بِأَلْفِ الْإِطْلَاقِ مَعَ قَوْمِهِ .

(وَجَاءَ) ابْنُ قَيْسٍ مُبَادِرًا مِنْ سَاحَةِ الْقَتَالِ إِلَى دَارِهِ
(فَاسْتَغْلَقَ) أَيْ : طَلَبَ أَنْ تُغْلِقَ عَلَيْهِ (بَابُهُ) بِالْتَّصْبِ ،
مَعْمُولُ لِاِسْتَغْلَقَ (الْبَتُولُ) أَيْ : زَوْجُهُ الْبَتُولُ ، وَهُوَ وَصْفٌ

(١) مَادَةُ أَزْقٍ .

فَقَالَ وَالْفَرَزَعُ زَعْفَرَ دَمَهُ : إِنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الْخِنْدِمَةِ
إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَةُ وَاسْتَقْبَلْتُنَا بِالسَّيْوِفِ الْمُسْلِمَةِ

مدح ، قال في « روض النهاة » : (ولعل هذه المرة أسلمت ؛
لو صُفِه إِيَاهَا بِهِ) .

(فاستفهمته أين ما كنت تقول) من وعدك أنك تهزم
جماعة محمد ، وتجعل لي منهم خدماً وحولاً .

(فقال) في جواب ذلك (والفرزع) أي : والحال أنَّ
الخوف (زعفر دمه) أي : جعله كلون الزعفران ، وإنَّما يعتري
الإِنْسَانَ ذلك من أجل شدة الذعر والخوف ، والجملة معتبرة
بين القول ومقوله الذي هو : (إنَّكِ) مخاطبًا لامرأته ، وهو
بكسر الهمزة (لو شَهِدْتِ يَوْمَ الْخِنْدِمَةِ) اسم جبل بمكة ، وقع
عنه القتال مع خالد بن الوليد (إذ فَرَّ صَفْوَانُ) نجل أمينة (وفَرَّ
عِكْرِمَةُ) بن أبي جهل ، ومكانهما في الشجاعة والبسالة بالمقام
المعروف ، وقد أسلما بعد رضي الله عنهم ، وبعد البيت :

وأبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُؤْتَمَةِ

(واسْتَقْبَلْتُنَا بِالسَّيْوِفِ الْمُسْلِمَةِ)

يَقْطَعُنَ كُلُّ سَاعِدٍ وَجْمُجَمَةُ

ضَرِبَاً فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةُ
لَهُمْ نَهَيْتُ خَلْفَنَا وَهَمَمَةُ

لَمْ تَنْطِقِي بِاللُّومِ أَدَنَى كَلْمَةً

وأبُو يَزِيدٍ : هو سهيل بن عمرو ، وتقديم أنه أسلم
رضي الله عنه ، والمؤتمة : المرأة ذات أيتام ، والمسلمة :

ال المسلمين ، والغمغمة : الأصوات التي لا تفهم من اختلاطها ، والنهيت مكبراً : صوت الصدر ، والهمهة : الكلام الخفي .

١٢٩ - ١٣٠

ثمَ أراد الناظم أن يذكر بعض مظاهر شفقة النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم ، بقبول من استجار به في ذلك اليوم مع القدرة عليه ، وعظيم ما صدر منه من جنائية فقال :

(وَفَازَ مِنْ لَأْذٍ) أي : لجأ (به ، واسترحمه) أي : طلب رحمته وعطفه (يَوْمَئِذٍ) أي : يوم الفتح لمكة (إذ هو) أي : ذلك اليوم (يوم المرحمة) ^(١) لقريش ، أعزَّها الله فيه .

واعلم : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان قد عهد إلى أمرائه حين أمرهم بدخول مكة ، أن لا يقاتلوا إلَّا من قاتلوا إلَّا نفراً سَمَّاهم ؛ فإنَّهُمْ يُقتلون ولو وجدوا تحت أستار

(١) هذا اليوم سَمَّاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنَّ الكتائب لَمَّا كانت تمر يوم الفتح بِأبي سفيان . . فأقبلت كتيبة لم ير مثلها ، فقال : من هذه ؟ قال العباس : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة بيده الراية ، فقال سعد لأبي سفيان : اليوم يوم الملحمة - أي : يوم الحرب ، أو يوم القتال - اليوم تستحل الحرمَة ، اليوم أذْلَّ الله قريشاً ، فقال أبو سفيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت بقتل قومك ؟ قال : « لا » فذكر له قول سعد ، فقال : « يا أبا سفيان ؛ اليوم يوم المرحمة ، اليوم يعز فيه الله تعالى قريشاً » وأرسل إلى سعد ، فأخذ الراية من يده ، فدفعها إلى ابنه قيس ، ورأى صلى الله عليه وسلم أنَّ اللواء لم يخرج عنه ؛ إذ صار لابنه .

الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرخ ، لكن لما لاذ بحضوره الرسول ، بشفاعة أخيه عثمان من الرضاعة.. فاز بالرضا والقبول .

* * *

قصة ابن أبي سرخ رضي الله عنه :

وإليها يشير الناظم بقوله : (كابن أبي سرخ) بفتح السين وسكون الراء ، وبالحاء المهملات ، وهو عبد الله بن سعد القرشي العامري ؛ فإنه كان ممن أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح ؛ لأنَّه كان أسلم بمكة ، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بها ، ثمَّ ارتد ولحق بالكافر .

قال في « شرح المواهب » : (روى أبو داود والحاكم عن ابن عباس قال : كان عبد الله بن سعد يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأزلَّه الشيطان ، فلحق بالكافر ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله ، فاستجار بعثمان ، فأجاره ، وأخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله تعالى : « وَمَنْ قَاتَلَ سَائِنِلٌ مِّثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ » أَنَّهَا أُنْزَلتَ فِيهِ ، كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم في ملي عليه « عزيز حكيم » فيكتب « غفور رحيم » ثمَّ يقرأ عليه ، فيقول هو : نعم ، سواء ، فرجع عن الإسلام ، ولحق بقريش .

وروى الحاكم عن سعد بن أبي وقاص : أَنَّه اخْتَبَأَ عند عثمان ، فجاء به حتى أوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم

اختباؤه عند عثمان
رضي الله عنه

وهو بيايع الناس ، فقال : يا رسول الله ؟ بيايع عبد الله ، بيايعه
بعد ثلث ، ثم أقبل على أصحابه فقال : « أما كان فيكم رجل
رشيد يقوم إلى هذا حين كففت يدي عن مبايعته فيقتله ؟ » فقال
رجل : هلاً أومأت إلي ؟ فقال : « إنَّ النَّبِيَّ لَا ينبعي أَنْ تكون
له خائنة الأَعْيُنِ ») اهـ

إسلامه رضي الله عنه ثم أدركته العناية الأزلية ، وأنته السعادة الأبدية ، فأسلم وحسن إسلامه ، وعرف فضله وجهاده في سبيل الله تعالى ، وكان وزيراً لسيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عثمان بن عفان ، كما يشير الناظم بقوله : (وزير) أي : مُعين (الخلفاء) الراشدين ؛ فإنه ولأه سيدنا عمر ، وكان على ميمنة عمرو بن العاصي حين افتتح مصر ، ثم ولأه عثمان ، وافتتح إفريقيا عام سبع وعشرين .

اعتزاله الفتنة قال في «شرح المواهب» : (وكان من أعظم الفتوح ،
بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار ، واعتزل الفتنة حتى توفي
سنة سبع وخمسين ؛ أي : بعسقلان) .

وروى البغوي بإسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب ،
قال : (لَمَّا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ . . قَالَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ : اللَّهُمَّ
اجْعِلْ أَخْرَى عَمَلِي الصُّبْحَ ، فَتَوَضَّأْ ، ثُمَّ صَلَّى ، فَسَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ ،
ثُمَّ ذَهَبَ يَسْلِمُ عَنْ يَسَارِهِ ، فَقَبَضَ اللَّهُ رُوحَهُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) .

قال السهيلي في «الروض» : وهو القائل في حصار عثمان رضي الله عنه :

وَهَلَكَتْ لِنَخْسِهِ وَالْقَتِ ذَبَطْنَهَا وَالْبَرْحَ مِنْهُ لَاقَتِ

أَرَى الْأَمْرُ لَا يَزِدُّ إِلَّا تَفَاقَمَ

وَأَنْصَارُنَا بِالْمَكَتِينَ قَلِيلٌ

وَأَسْلَمَنَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالْهَدَى

إِلَى أَهْلِ مَصْرِ ، وَالذِّلِيلُ ذَلِيلٌ

قصة هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَمِنْ أَهْدَرْ دَمِهِ ، ثُمَّ لَأْذَ بِالنَّبِيِّ الْمُعَظَّمِ وَفَازَ : هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنُ الْمَطَّلِبِ بْنُ أَسْدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِّى بْنِ قُصَيِّ الْقُرْشِىَّ الْأَسْدِيِّ ، وَهُوَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ : (وَنَاخِسٌ) بِالْجَرْ ، عَطْفٌ عَلَى (ابْنِ أَبِي سَرْحٍ) أَيْ : طَاعُنَ (الْبَكْرُ) بِفَتْحِ الْبَاءِ : هُوَ الْفَتِيَّ مِنَ الْإِبْلِ أَيْ : طَاعُنَ الْجَمَلِ (بِبَنْتِ الْمُصْطَفَى) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ زَيْنَبٌ ؟ فَإِنَّهُ عَرَضَ لَهَا حِينَ هَاجَرَتْ ، وَرَدَهَا زَوْجَهَا أَبُو الْعَاصِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَ إِلَيْهِ ، فَنَخَسَ بِهَا الْجَمَلُ حَتَّى سَقَطَتْ عَلَى صَخْرَةِ ، وَسَقَطَتْ جَنِينُهَا ، وَأَهْرَاقَتِ الدَّمَاءِ ، وَلَمْ تَزُلْ مَرِيْضَةً حَتَّى مَاتَتْ سَنَةً ثَمَانِيَّةً ، كَمَا قَالَ :

(وَهَلَكَتْ لِنَخْسِهِ وَالْقَتِ) بِكَسْرِ تاءِ التَّأَنِيْثِ ؛ لِلرَّوِيِّ (ذَا بَطْنَهَا) أَيْ : جَنِينُهَا (وَالْبَرْحَ مِنْهُ) بِالنَّصْبِ مُعْمَلٌ بِقَوْلِهِ : (لَاقَتِ) أَيْ : وَلَاقَتْ زَيْنَبُ مِنْ هَبَّارٍ وَأَفْعَالِهِ الْقَبِيْحَ الْبَرَحَ وَالشَّدَّةَ ، وَالشَّرِّ مَمَّا لَا يُلِيقُ بِشَرْفِهَا ؛ فَلَذَا أَهْدَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ دَمَهَ ، وَأَمْرَ بِقَتْلِهِ ، بَعْدَ أَنْ أَمْرَ بِحَرْقِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَتْلِهِ فَقَطَّ ، لَكِنْ تَدَارِكَتْهُ الْعِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ ، فَأَسْلَمَ وَحَسْنَ إِسْلَامَهُ ، وَفِي هَذَا يَقُولُ النَّاظِمُ :

إِذَا وَهَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِسْقَاطُ زَيْنَبِ بِنْتِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَانَهَا

إِسْلَامُ هَبَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ

بِحَرْقِهِ أَمْرَرْتُمْ رَجَعاً لِقْتَلِهِ وَالْتَّارَ عَنْهُ دَفَعَا
وَبَعْدَ مَا أَشْفَى عَلَى الْإِحْرَاقِ تَدَارَكَتْهُ رَحْمَةُ الْخَلَاقِ

(بِحَرْقِهِ) يتعلّق بقوله : (أَمْرٌ) أي : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرق هَبَّار ، فقال : « إن وجدتم هَبَّاراً . . فأحرقوه بالنار » ثم قال : « اقتلوه ؛ فإنَّه لا يعذَّب بالنار إلَّا ربُّ النار » .

(ثُمَّ رَجَعاً) بآلف الإطلاق ، والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم (لقتله) أي : عن قتل هَبَّار ؛ أي رجع عن حرقه إلى قتله - ولو عبر بعن . . لكان أولى (والنَّارَ) بالنصب معمول لـ (دفع) (عنه) يتعلّق بقوله : (دَفَعَا) أي : دفع عنه التعذيب لما ذُكِرَ .

(وَبَعْدَ مَا) هي مصدرية داخلة على الفعل الذي هو : (أَشْفَى) أي : أشرف (عَلَى الْإِحْرَاقِ تَدَارَكَتْهُ) أي : هَبَّاراً (رَحْمَةُ الْخَلَاقِ) فَحَبَّبَ إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ ، فأسلم بعد الفتح ، وحسن إسلامه ، وصاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

دخول هَبَّار على النبي صلى الله عليه وسلم راشهاره الإسلام وقال في « شرح المawahب » : (أخرج الواقدي عن جبير بن مطعم قال : كنت جالساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرِفَهُ من الجِعْرَانَةِ ، فطلع هَبَّار ، فقالوا : يا رسول الله ؛ هَبَّار بن الأسود ، قال : « قد رأيته » فأراد رجل القيام إليه ، فأشار إليه : أن اجلس ، فوقف هَبَّار ، فقال : السلام عليك يا نبي الله ، أشهد أن لا إله إلَّا الله ، وأشهد أنَّ محمَّداً رسول الله ، وقد هَرَبَتْ منك في البلاد ، وأردت

اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْأَعْاجِمِ ، ثُمَّ ذَكَرَتْ عَائِدَتَكَ وَصَلَّتَكَ وَصَفَحَكَ عَمَّنْ
جَهَلَ عَلَيْكَ ، وَكَنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَ شِرْكٍ ، فَهَدَانَا اللَّهُ بِكَ
وَأَنْقَذَنَا مِنَ الْهَلْكَةِ ، فَاصْفَحْ عَنْ جَهْلِيِّ ، وَعَمَّا كَانَ يَبْلُغُكَ
عَنِي ؛ فَإِنِّي مُقِرٌّ بِسُوءِ فَعْلِيِّ ، مُعْتَرِفٌ بِذَنْبِي فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ ، وَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ حِيثُ هَذَا
إِلَى الإِسْلَامِ ، وَإِلَى إِسْلَامِ يَجْبُثُ مَا قَبْلَهُ » .

طُلْبَةُ الصَّفَحِ

اعْتِرَافُ بِذَنْبِهِ

(ف) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ (حَقْنَ) أَيْ : مَنْعُ (اللَّهُ تَعَالَى)
رَسُولِهِ (بِالْإِسْلَامِ دَمَهُ) أَنْ يُسْفِكَ (سُبْحَانَهُ تَبَرَّهُ اللَّهُ عَنْ كُلِّ
مَا لَا يَلِيقُ بِهِ (مِنْ رَاحِمَهُ مَا أَرَحَمَهُ) !

قَلْتَ : وَيُشَيرُ بِهَذَا إِلَى الْحَدِيثِ الصَّحِيفِ ، الَّذِي رَوَاهُ
الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمُ فِي « صَحِيفِهِمَا » وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ ، بِسَنَدِهِ إِلَى
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ سَبِّيُّ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِّيِّ تَبْتَغِي ، إِذْ وَجَدْتُ صَبِيًّا فِي
السَّبِّيِّ فَأَخْذَتْهُ فَأَلْصَقْتَهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحةً وَلَدَهَا فِي
النَّارِ؟ » قَلْنَا : لَا وَاللَّهُ ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرُحَهُ ،
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ
بُولَدَهَا » .

رَحْمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ

بِعِبَادِهِ

وَرَوَى مُسْلِمٌ بِسَنَدِهِ إِلَى سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلْقِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلَ رَحْمَةِ ، كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ

والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة ، فبها تعطف الوالدة على ولدها ، والوحش والطير بعضها على بعض ، فإذا كان يوم القيمة .. أكملها بهذه الرحمة » .

نَسَأَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَشْمَلَنَا بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ - إِنَّا فَقِرَاءٌ - مَنَّا وَفَضْلًا ، إِنَّ اللَّهَ رَحْمَةٌ ، وَأَحْقَ النَّاسَ بِالرَّحْمَةِ الْمُسْعَفَاءِ .

وَفِي الْبَابِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٍ تَدْلِي عَلَى سُعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِذَا كَانَتْ رَحْمَةٌ وَاحِدَةٌ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْمُبَيْنَةِ عَلَى الْأَكْدَارِ ، الَّتِي مِنْهَا إِلْسَامُ وَالْقُرْآنُ وَالصَّلَاةُ وَالرَّحْمَةُ فِي قَلْبِهِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مَمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ . . فَكِيفَ الظُّنُنُ بِمَئَةِ رَحْمَةٍ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَهِيَ دَارُ الْقَرْرَارِ وَدَارُ الْجَزَاءِ؟

شَفَقَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَحْمَتُهُ بِأَنْتَهَا (أَحْنَىٰ) مِنَ الْحَنْنَىٰ ؛ أَيْ : أَعْطَفَ (وَأَرَأَفُ) مِنَ الرَّأْفَةِ ، وَهِيَ أَشَدُ الرَّحْمَةِ ، فَعَطَفَهَا مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِ ؛ أَيْ : أَكْثَرُ رَحْمَةٍ (مِنَ الْأُمَّ) الْمُشْفَقَةُ (بَنًا وَهَكَذَا) أَيْ : مُثِلُ هَذَا (رَسُولِهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كَانَ لَنَا) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عِنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلنَّاسِ﴾ .

وَمِنْ طَالِعِ أَحْوَالِهِ وَسِيرِهِ وَمُعَامِلَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ وَالْوَافِدِينَ إِلَيْهِ مِنْ جَهَلَةِ الْأَعْرَابِ وَالْبَوَادِي يَقْضِي الْعَجَبُ مِنْ شَفَقَةِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَرَأْفَتِهِ ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّا خَيْرَ الْجَزَاءِ ، وَفَرَحَنَا بِهِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ وَيَوْمِ الْجَزَاءِ بِمَنْهُ وَكَرْمِهِ ، آمِينَ .

مُثُلٌ من رأفة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْسَنَ مَعْالِمَتَهُ :

فَمِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ السَّيِّرِ : أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ
يَطْلُبُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ ، ثُمَّ قَالَ :
« أَحْسَنْتِ إِلَيْكَ ؟ » قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : لَا ، وَلَا أَجْمَلْتَ ، فَغَضِبَ
الْمُسْلِمُونَ ، وَقَامُوا إِلَيْهِ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ : أَنْ كُفُّوا ، ثُمَّ قَامَ ،
وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ شَيْئًا وَزَادَهُ شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ :
« أَحْسَنْتِ إِلَيْكَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، فَجَزَّاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعِشْرِينَ
خَيْرًا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّكَ قَلْتَ مَا قَلْتَ وَفِي
أَنْفُسِ أَصْحَابِيِّ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ ؛ فَإِنَّ أَحْبَبْتَ .. فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
مَا قَلْتَ بَيْنَ يَدِيِّ ؛ حَتَّى يَذْهَبَ مَا فِي صِدْرِهِمْ عَلَيْكَ » قَالَ :
نَعَمْ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدْ أَوِ الْعَشِيِّ .. جَاءَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « إِنَّ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ قَالَ مَا قَالَ فَزْدَنَاهُ ، فَزَعَمَ أَنَّهُ
رَضِيَ ، أَكَذَّلَكَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، فَجَزَّاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعِشْرِينَ
خَيْرًا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلِي وَمِثْلُ هَذَا ، مُثَلَّ
رَجُلٍ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ عَلَيْهِ فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ ، فَلَمْ يَزِدُوهَا إِلَّا
نُفُورًا ، فَنَادَاهُمْ صَاحِبُهَا : خَلُوْا بَيْنِي وَبَيْنِ نَاقَتِي ؛ فَإِنِّي أَرْفَقَ
بَهَا مِنْكُمْ . وَأَعْلَمُ ، فَتَوَجَّهَ لَهَا بَيْنَ يَدِيهَا ، فَأَخْذَذَ لَهَا مِنْ قِمَامِ
الْأَرْضِ ، فَرَدَّهَا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَنَاخَتْ ، وَشَدَّ عَلَيْهَا رِحْلَهَا
وَاسْتَوَى عَلَيْهَا ، وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حِيثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ
فَقُتِلُتُمُوهُ .. دَخَلَ النَّارَ » .

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضُ بْنُ مُوسَى الْيَحْصُبِيِّ : (وَمِنْ شَفَقَتِهِ
عَلَى أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَخْفِيفُهُ وَتَسْهِيلُهُ عَلَيْهِمْ ،

وكراهته أشياء ؛ مخافة أن تفرض عليهم ؛ كقوله عليه الصلاة والسلام : « لولا أن أشُقَّ على أُمّتي .. لأمرتهم بالسُّواك مع كل وضوء » وخبر صلاة الليل ، ونهيهم عن الوصال ، وكراهة دخول الكعبة ؛ لثَلَّا يُعْنِتُ أُمّته ، وأنَّه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته) .

ومن شفنته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أن دعا ربه وعاذه ، فقال : « أَيْمًا رجل سَبَبَتْهُ أَوْ لَعْنَتْهُ .. فاجعل ذلك له زكاة ، ورحمة ، وصلاة ، وظهوراً ، وقربة تُقرَّبُهُ بها إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

ولمَّا كَذَبَهُ قَوْمُهُ .. أَنَاهُ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ أَمَرَ مَلَكَ الْجَبَالِ ؛ لِتَأْمُرَ بِمَا شَاءَتْ فِيهِمْ ، فَنَادَاهُ مَلَكُ الْجَبَالِ ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : مُرْنِي بِمَا شَاءَتْ ؛ إِن شَاءَتْ أَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَيْنِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » .

وإِن شَاءَتْ الْمَزِيدُ .. ، فَعَلَيْكَ بِ« الشَّفَاءِ » لِلْقَاضِي عِيَاضِ و« الْمَوَاهِبِ » و« شَرْحَهَا » وغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الدَّوَاوِينِ الَّتِي تَبْحَثُ عَنْ أَحْوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَحْمَتِهِ لِأُمّتِهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا ذُكْرَ إِنَّمَا هُوَ قُلْلٌ مِّنْ كُثْرٍ ، وَغَيْضٌ مِّنْ فَيْضٍ . نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يعَمَّنَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَقَتِهِ ، آمِينَ .

يُدْخِلُنَا الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ شَرَدَ
عَنْهُ وَعَنْ تَوْحِيدِهِ أَبَى وَصَدَ
يَقْرُبُ بِالْذِرَاعِ أَوْ بِالْبَاعِ
لِلْمُدَنِّي بِشِبْرٍ أَوْ ذِرَاعِ
وَمَنْ أَتَى يَمْشِي أَتَاهُ هَرْوَلَةُ
فَضَاعَفَ الْأَجْرُ لَهُ وَأَجْرَلَهُ

جزاء المطيعين لله الجنة :

(يدخلنا) الله تبارك وتعالى عشر الموحدين (الجنة)
بفضلة المحسن (إلا من شرد) أي : فر ونفر (عنه وعن
توحيده) يتعلق بقوله : (أبى) أي : امتنع عن توحيده
(وصد) أي : أعرض .

ثم ذكر الناظم من تنزلات مولانا عز وجل لعباده
المؤمنين ، ما يحثّهم على المبادرة لطاعاته ، والمسارعة إلى
مرضاته ، فقال :

قرب العبد من ربه وقرب الرب من عبده :

(يقرب بالذراع) لمن تقرب إليه شبراً (أو بالباع) لمن
تقرب إليه ذراعاً ، والباع : قدر مدد اليدين ، ولذا قال :
(للمدّني) بضم الميم وتشديد الدال المفتوحة اسم فاعل ،
ما خوذه من : ادّنى مشدد الدال ، قال السيد محمد مرتضى في
« تاج العروس » : (وادّنى ادّناء : افتعل ، من الدنّ) ؛ أي :
قرب) (بشبر أو ذراع) وفيه لف ونشر مرتب .

(ومن أتى يمشي) من المقربين إليه (أتاه هرولة) بفتح
الهاء : ما بين العَدُو والمشي ، ولفظ الحديث بسند مسلم إلى
أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« قال الله عزّ وجلّ : إذا تقرب عبدي مني شبراً .. تقربت منه ذراعاً ، وإذا تقرب مني ذراعاً .. تقربت منه باعاً - أو بوعاً - وإذا أتاني يمشي .. أتيته هرولة » ذكره في موضوع (من أحب لقاء الله .. أحب الله لقاءه) .

الإيمان بأحاديث
الصفات كما وردت

وذكر في (كتاب الذكر والدعاء) بسنده إلى أبي هريرة ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عزّ وجل : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه .. ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ .. ذكرته في ملأ هم خيرٌ منهم ، وإن تقرّب مني شبراً .. تقربت منه ذراعاً ، وإن تقرّب مني ذراعاً .. تقربت منه باعاً ، وإن أتاني يمشي .. أتيه هرولة » وهذا الحديث كسابقه من أحاديث الصفات ، يجب الإيمان به ، ويصرف عن إرادة ظاهره ؛ لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

قال الإمام أبو زكريا النووي في «شرح مسلم» :
ومعناه : من تقرب إلى بطاعتي .. تقربت إليه بالرحمة ،
وال توفيق ، والإعانة ، وإن زاد .. زدت ، فإن أتاني يمشي
وأسرع في طاعتي .. أتيه هرولة ؛ أي : صببت عليه الرحمة ،
وسبقته بها ، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى
المقصود ، والمراد : أن جزاءه يكون تضعييفه له على حسب
تقربه) ولذا قال الناظم : (فضاعف الأجر له وأجزله) أي :
أكثره .

ثمَّ بَيْنَ أَنَّ الْمُضَاعِفَةَ تَكُونُ عَلَى حِسْبِ حَالِ الْعَامِلِينَ ،
وَحُسْنِ نِيَّاتِهِمْ وَإِحْلَالِهِمْ بِقَوْلِهِ :

(يُضَاعِفُ الْأَجْرَ لِسَبْعِ مِئَةٍ فَقَوْقُ) بِالْبَنَاءِ عَلَى الْفَضْلِ :

أَيْ : فَقَوْقُ السَّبْعِ مِئَةٍ ضَعْفُ (يُؤْجِرُ) الْعَامِلِ (بِحُسْنِ النِّيَّةِ)
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : «مَثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثْلِ
حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سَبْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمُ ». .

وَعَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْ
رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيَّئَاتِ » ثُمَّ بَيْنَ
ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : «فَمَنْ هُمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلُهَا.. كَتَبَهَا اللَّهُ عَنْهُ
حَسَنَةٌ كَامِلَةٌ ، وَإِنْ هُمَّ بِهَا فَعَمَلُهَا.. كَتَبَهَا اللَّهُ عَنْهُ عَشْرَ
حَسَنَاتٍ ، إِلَى سَبْعِ مِئَةٍ ضَعْفٍ ، إِلَى أَصْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هُمَّ
بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلُهَا.. كَتَبَهَا اللَّهُ عَنْهُ حَسَنَةٌ كَامِلَةٌ ، وَإِنْ هُمَّ بِهَا
فَعَمَلُهَا.. كَتَبَهَا اللَّهُ عَنْهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي
«صَحِحِيهِمَا » .

وَهَذَا الْحَدِيثُ عَظِيمٌ شَرِيفٌ ، بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِمَقْدَارِ تَفْضُلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ ، قَالَ الْإِمَامُ
أَبُو زَكْرِيَا النَّوْوَيِّ : (فَانْظُرْ يَا أَخِي - وَفَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُ - إِلَى
عَظِيمِ لَطْفِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَأْمُلْ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ ، وَقَوْلَهُ : «عَنْهُ»
إِشَارَةٌ إِلَى الْاعْتِنَاءِ بِهَا ، وَقَوْلَهُ : «كَامِلَةٌ» لِلتَّأكِيدِ وَشَدَّةِ
الْاعْتِنَاءِ بِهَا ، وَقَالَ فِي السَّيَّئَةِ الَّتِي هُمَّ بِهَا ثُمَّ تَرَكُوهَا : «كَتَبَهَا اللَّهُ

مِنْ لُطْفِهِ أَنَّ صَحَافَتِ الْذَّنُوبِ
وَهِيَ عَظِيمَةُ تُرَوْعُ الْقُلُوبَ
لَا تَزِنُ التَّهْلِيلَ فِي بِطَاقَةِ
كَائِنَهَا الظُّفُرُ فِي الدُّقَاقَةِ

عنه حسنة كاملة » فأكَّدَها بِكاملة ، وإن عملها . . كتبها سيئة واحدة ، فأكَّدَ تقليلها بـ « واحدة » ولم يُؤكِّدَها بـ « كاملة » فلَلَّهِ الحمد والمنَّة ، سبحانه لَا نحصي ثناءً عليه ، وبِاللهِ التوفيق) .

حديث البطاقة :

(من لطفه) أي : رُفقَ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ وَبِرَّهِ بِهِمْ (أَنَّ صَحَافَتِ الْذَّنُوبِ وَهِيَ عَظِيمَةُ تُرَوْعُ) بضم المثناة وتشديد الواو المكسورة ؛ أي : تخوف (القلوب) وتفرُّعها لِعَظَمَهَا ، وكل ذنب إذا قُوبل بِجَلَالِ اللَّهِ وعَظَمَتْهُ . . فهو عظيم ، وهذه الجملة معتبرة ، وقعت بين اسم إن وخبرها الذي هو : (لا تزن التهليل) أي : الكلمة « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » الثابتة (في بطاقة) بكسر الباء ؛ أي : رقعة صغيرة ، قال في « النهاية » : (سميت بذلك ؛ لأنَّها تشد بطاقة في الثوب) فتكون الباء حينئذ زائدة (كائِنَهَا) أي : البطاقة (الظفر) بالضم ، وبضمَّتين ، والكسر شاذ ، يكون للإِنْسَانِ وغيره ، قاله أبو البقاء في « كلياته » وذكر الناظم وجه الشبه بين البطاقة والظفر بقوله : (في الدقاقة) بضم الدال ؛ أي : الدقة .

ويشير بهذا إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاصي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِّنْ أُمَّتِي عَلَى

رؤوس الخلائق يوم القيمة ، فينشر عليه تسعه وتسعين سجلاً ، كل سجل مدّ البصر ، يقول : أتتكم من هذا شيئاً؟ أظلمتكم كتبتي الحافظون؟ قال : لا يا رب ، قال : أفلک عذر؟ قال : فبھت الرجل ، فيقول : لا يا رب ، فيقول : بل إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسْنَةً وَاحِدَةً ، لَا ظُلْمٌ عَلَيْكَ يَوْمَ فَتَرْجُجٍ لَهُ بَطَاقَةٌ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ ، فيقول : أَحْضِرُوهُ ، فيقول : يَا رَبِّ ؛ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السُّجَلَاتِ؟ فيقول : إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ ، قال : فَتَرْوِضُ السُّجَلَاتِ فِي كِفَّةٍ ، وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ ، قال : فَطَاشَتِ السُّجَلَاتِ ، وَثَقَلَتِ الْبَطَاقَةُ ، قال : وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ مَعَ اسْمِ اللَّهِ » رواه الترمذى وابن ماجة من حديث الليث بن سعد ، وقال الترمذى : حسن .

السُّجَلَاتُ : جَمْعُ سُجْلٍ ، وَهُوَ الصُّكُوكُ وَالْكِتَابُ ، وَطَاشَ مِنَ الطَّيْشِ ، وَهُوَ الْخَفَّةُ ؛ أَيْ : خَفَّتِ السُّجَلَاتُ .

* * *

وبعدما فرغ الناظم من هذه الأبيات الاستطرادية ؛ لمناسبة تذارك الله تعالى هبارة بالعنابة ، وبسط يد رسوله صلى الله عليه وسلم بالعفو.. أراد أن يذكر ما ناله هبار من سوء المعاملة بالمدينة ؛ لما فعله مع البَضْعَة الطاهرة الزَّكِيَّة ، وكيف ردَّهم رسول الله ونبي الرحمة صلى الله عليه وسلم عنه رأفةً به فقال :

بِسَبَّهِ مَنْ سَبَّهُ آتَسَهُ نَبِيَّاً أَنْ عَيَّرُوهُ نَخْسَهُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَحْلَمَهُ عَنْ سَيِّئِهِ الْحُوْبِ وَمَا أَكْرَمَهُ

عطف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَبَارَ بْنَ الْأَسْوَدِ :

(بسّه) أي : هبار ، وهو مضاد إلى فاعله ، ومتصلق بقوله (آنسه) يعني : آنسه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإِذن في أن يسب هبار (من سبّه) وعَيْرَه بِنَخْس جمل السيدة زينب ونحو ذلك ، قالوا : وكان هبار سباباً في الجاهلية (آنسه) وهو ضد أوحشه ؛ أي : أدخل عليه الأنس بذلك ، (نبينا) بـ (أن عَيَّرُوهُ) عابوه بذلك (نَخْسَهُ) أي : طعنه الجمل بزینب رضي الله عنها .

والحاصل : أنَّه لِمَا أَسْلَمَ هَبَارَ ، وَأَمْنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. قَدِمَ الْمَدِينَةُ ، فَجَعَلُوا يَسْبُونُهُ ؛ لِنَخْسَهِ بِزَيْنَبِ بَنْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَشَكِّى ذَلِكَ لِحُضْرَةِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : « سُبْ مَنْ سَبَّكَ ، فَكَفُّوا عَنِهِ » قَالَ فِي « شَرْحِ الْمَوَاهِبِ » : (رَوَاهُ ابْنُ شَاهِينَ مِنْ مَرْسَلِ الزَّهْرَىِ) .

(صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَحْلَمَهُ) أي : أكثر حلمه ، وصفحه (عَنْ سَيِّئِ الْحُوْبِ) أي : الإِثْمُ الصَّادِرُ قَدِيمًا مِنْ هَبَارَ ، وَمِنْ غَيْرِهِ (وَمَا أَكْرَمَهُ) فقد عفا وصفح عن أعدائه مع المقدرة منه في حال السلم وال الحرب ، بما لم يُعْرَفْ مِنْ غَيْرِهِ ، كما يُعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ دَرْسِ أَحْوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَحَسِبُكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ فِي عَشْرَةِ
 آلَافِ مِنْ أَصْحَابِهِ الصَّنَادِيدِ الْأَسْوَدِ ، وَقَدْ خَضَعَتْ تِلْكُ الرِّقَابُ
 الَّتِي كَانَتْ تَؤْذِيهِ وَتَحَارِبُهُ ، وَنَكَسَتْ مِنْ رُؤُوسِهَا : « مَاذَا تَرَوْنَ
 أَنِّي فَاعِلُ بِكُمْ ؟ » قَالُوا : أَخْ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخْ كَرِيمٌ ، قَالَ :
 « اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الظَّلَقَاءِ » إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَمَّا تَجَدَّهُ فِي هَذِهِ
 الْوَرَقَاتِ ، وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَسْفَارِ وَالْمَجَلَّدَاتِ .

رَضْيَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَبِي سُفِيَّانَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ
 وَإِكْرَامِهِ إِيَّاهُ :

(وَكَأَبِي سُفِيَّانَ) صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ
 سَابِقًا : (كَابِنُ أَبِي سَرْحٍ) أَيْ : وَفَازَ مِنْ لَجَأَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَابِنُ أَبِي سَرْحٍ ، وَكَأَبِي سُفِيَّانَ ؛ فَإِنَّهُ مَمَّنْ
 لَادَ بِهِ مَعَ الْعَبَاسِ عَمِّهِ ، وَفَازَ بِالْإِسْلَامِ ، وَكَانَ تَوْلِي بَعْدَ بَدْرٍ
 رِيَاسَةَ قَرِيشٍ وَحَرْبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمَّا أَسْلَمَ . . .
 كَانَ يَمَارِحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُ : تَرْكَتْكُ وَتَرْكَتْكُ
 الْعَرَبَ وَلَمْ تَنْتَطِحْ فِيَّ عَزَّزَانَ ، فَجَعَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَضْحَكُ وَيَقُولُ : « أَنْتَ تَقُولُ هَذَا يَا أَبَا حَنْظَلَةَ » .

وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ مِنَ
 الْمَسْجِدِ عَلَى أَبِي سُفِيَّانَ ، فَلَمَّا رَأَهُ . . . قَالَ فِي نَفْسِهِ : لَيْتَ
 شَعْرِيَ بِمَ غَلَبْنِي ؟ فَضَرَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ كَتْفَيْهِ
 فَقَالَ : بِاللَّهِ غَلَبْتَكَ يَا أَبَا حَنْظَلَةَ ، فَقَالَ أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ . . .
 وَفَقَيْتُ عَيْنَاهُ : الْأُولَى يَوْمُ الطَّافَّ ، وَالثَّانِيَةُ يَوْمُ الْيَرْمُوكَ ،
 تَحْتَ لَوَاءِ ابْنِهِ يَزِيدٍ .

مَمَّا زَحَّ أَبِي سُفِيَّانَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِنَبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مِنْ مَعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وعن سعيد بن المسيب قال : خفت الأصوات يوم اليرموك إلَّا صوتاً ينادي : يا نصر الله اقترب ، فنظرت ، فإذا صوت أبي سفيان تحت لواء ابنه يزيد .

وتوفي في خلافة عثمان ، وتوفيت هند زوجه في خلافة أبي بكر ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وتقديم الكلام على كثير من حياة أبي سفيان وقصة إسلامه .

عطف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عبد الله بن أبي أمية وأبي سفيان بن الحارث وأهل مكة :

(و) ك (ابن عمته) وهو عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، أمها عاتكة بنت عبد المطلب عممة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، (وك) أبي سفيان (ابن عمها) الحارث بن عبد المطلب ؛ فإنَّهُمَا ممَّنْ لاذ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ففازا بالقبول ، وسبق الكلام عليهما آنفاً .

(و) ك (أهل بَعْتَه) بفتح الباء وتشديد الكاف ، من أسماء مكة ؛ لأنَّها تَبَّكَ ؛ أي : تدق أعناق الجبابرة ؛ فإنَّهُم فازوا به لما لجأوا إليه ، وقال لهم : « يا معاشر قريش ؛ ماذا ترون أَيْ فاعل بكم ؟ » قالوا : خيراً ؛ أخ كريم ، وابن أخ كريم ، وقد قَدَرْتُ ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فإنَّي أقول كما قال أخي يوسف : لا تشرب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الرَّاحمِين ، اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وَأَخْتَلُفُوا فِيهَا فَقِيلَ أَمْنَتْ وَالْحَقُّ عَنْوَةً وَكَرْهًا أَخْذَتْ

هل فتح مكة كان عنوة أو صلحاً؟

ثمَ شرع يذكر الخلاف بين العلماء في مكة ، هل كان فتحها عنوة أو صلحاً؟ فقال :

(واختلفوا فيها) أي : في مكة (فقيل : أمنت) بالبناء للمجهول ؛ أي : فتحت أمناً على أهلها وصلحاً ، وإليه ذهب الإمام الشافعي ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفِيَّانَ .. فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ .. فَهُوَ آمِنٌ » حيثُ أُضِيفَتُ الدُورُ إِلَى أَهْلِهَا ، وَلَاَنَّهَا لَمْ تَقْسُمْ ، وَلَاَنَّ الْغَانِمِينَ لَمْ يَمْلِكُوا دُورَهَا ، وَإِلَّا .. لِجَازِ إِخْرَاجِ أَهْلِ الدُورِ مِنْهَا ، وَيَنْبَغِي عَلَى هَذَا القَوْلِ : أَنَّ لِأَهْلِهَا بَيعَ دُورِهِمْ ، وَإِكْرَائِهَا (والحق عنوة) أي : فتحت بالاستعانت بالسلاح (وَكَرْهًا أَخْذَتْ) بالكره من قريش بالخيل والركاب ، وإنما كان هذا هو الحق .. لَأَنَّ قَوْلَ الْجَمَهُورِ ، وَلَقْوَةِ الدَلِيلِ .

مذهب الشافعي في
فتح مكة

قال في « الموهاب » و « شرحها » : (وَحَجَّتْهُمْ مَا وَقَعَ التَصْرِيْحُ بِهِ فِي الْأَحَادِيْثِ الصَّحِيْحَةِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْقَتَالِ ، وَوَقَوْعَهُ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَتَصْرِيْحُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَنَّهَا أَحْلَّتْ لَهُ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ، وَنَهَيَهُ عَنِ التَّأْسِيِّ بِهِ فِي ذَلِكِ ؛ لَأَنَّهَا مِنْ خَصَائِصِهِ ، فَهَذِهِ أَرْبَعُ حُجُجٍ قَوِيَّةٌ ، كُلُّ مِنْهَا بِاَنْفُرَادِهِ كَافٍ فِي الْحُجَّيْةِ) اهـ

وعلى هذا القول : لا يجوز لأهل مكة بيع دورهم وكرأوها ، بل هي مُناخ لمن سبق ، كما روی ذلك عن أمنا

مذهب الجمهور

ما ينبع على قول
الجمهور

عائشة رضي الله عنها ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر بتنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاج ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بمكة أن ينهى أهلها عن كراء دورها إذا جاء الحاج ؛ فإن ذلك لا يحل لهم ، وقال الإمام مالك رحمة الله : إن كان الناس ليضربون فساطيطهم بدور مكة ، لا ينهىهم أحد .

أصل الخلاف بين
الشافعي والجمهور

قال السُّهيلي بعد هذا : (وهذا كله متنزع من أصلين :
أحدهما : قوله تبارك وتعالى : ﴿وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ الَّذِي
جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَنْكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ قال ابن عمر وابن عباس : الحرم كله مسجد .

والأصل الثاني : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَهَا
عَنْوَةٌ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَنْ عَلَى أَهْلِهَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَلَا يُقَاسُ
عَلَيْهَا غَيْرُهَا مِنَ الْبَلَادِ ، كَمَا ظَرَّ بَعْضُ الْفَقَهَاءِ ؛ فَإِنَّهَا مِنْ مُخَالَفَةِ
لِغَيْرِهَا مِنْ وَجْهَيْنِ :

أحدهما : ما خصَّ اللَّهُ بِهِ نَبِيًّا ؛ فَإِنَّهُ قَالَ : ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ
وَالرَّسُولِ﴾ .

اختصاص مكة ببعض
الأحكام عن سائر
البلاد

والثاني : ما خصَّ اللَّهُ بِهِ مَكَةَ ؛ فَإِنَّهَا جَاءَ : « لَا تَحْلِ
غَنَائِمَهَا ، وَلَا تُلْقِطْ لُقْطَهَا ، وَهِيَ حَرَمُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْنُهُ »
فَكَيْفَ تَكُونُ أَرْضُهَا خَرَاجٌ ؟ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ افْتَحَ بَلَدًا أَنْ
يَسْلُكَ بَهِ سَبِيلَ مَكَةَ ، فَأَرْضُهَا إِذْنُ وَدُورِهَا لِأَهْلِهَا ، وَلَكِنْ
أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّوْسِعَةَ عَلَى الْحَجِّ إِذَا قَدِمُوهَا ،

.....
ولا يأخذوا منهم كراء في مساكنها ، فهذا حكمها ، فلا عليك
بعد هذا ؛ فتحت عنوة أو صلحاً ، وإن كانت ظواهر الأحاديث
أنَّها فتحت عنوة) اهـ

مناظرة الإمام الشافعي مع ابن راهويه في مكة :

ويحسن هنا أن نذكر مناظرة الإمام الشافعي مع ابن راهويه
في هذا الموضوع ، وقد ذكرها الإمام النووي في « مجموعه »
في (كتاب البيوع) مع مذاهب العلماء في ذلك ، وذكر حُجَّج
كل فريق ؛ قال :

(روى الإمام البهقي بإسناده عن إبراهيم بن محمد الكوفي)
قال : رأيت الشافعي بمكة يفتني الناس ، ورأيت إسحاق بن
راهويه وأحمد بن حنبل حاضرين فقال أَحَمَدْ لِإِسْحَاقْ : تَعَالَى
حَتَّى أُرِيكَ رَجُلًا لَمْ تَرْعِنَاكَ مُثْلَهُ ، فَقَالَ إِسْحَاقْ : لَمْ تَرْعِنَايَ
مُثْلَهُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، فَجَاءَ بِهِ فَوْقَهُ عَلَى الشَّافِعِيِّ . . . فَذَكَرَ
الْقَصَّةَ إِلَى أَنْ قَالَ : ثُمَّ تَقْدِمْ إِسْحَاقَ إِلَى مَجْلِسِ الشَّافِعِيِّ ،
فَسَأَلَهُ عَنْ كَرَاءِ بَيْوَتِ مَكَّةَ ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : هُوَ عِنْدَنَا جَائزٌ ،
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَهَلْ تَرَكْ لَنَا عَقِيلَ مِنْ
دَارٍ ? » فَقَالَ إِسْحَاقْ : حَدَّثَنَا يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ عَنْ هَشَامَ ، عَنْ
الْحَسْنِ : أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى ذَلِكَ ، وَعَطَاءَ وَطَاؤُوسَ لَمْ يَكُونَا
يَرِيَانَ ذَلِكَ ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ لِبَعْضِ مَنْ عَرَفَهُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ :
هَذَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوِيَّ الْحَنْظُلِيُّ الْخَرَاسَانِيُّ ، فَقَالَ لَهُ
الشَّافِعِيُّ : أَنْتَ الَّذِي يَزْعُمُ أَهْلَ خَرَاسَانَ أَنَّكَ فَقِيهُهُمْ ؟ قَالَ

سؤال إسحاق للإمام
الشافعي عن كراء
بيوت مكة المكرمة

إسحاق : هكذا يزعمون ، قال الشافعي : ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك ، فكنت آمر بفرك أذنيه ، أنا أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت تقول : قال طاووس والحسن وعطاء ، وهؤلاء لا يرون ذلك ، وهل لأحد مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة . . . وذكر كلاماً طويلاً .

ثم قال الإمام الشافعي : قال الله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ﴾ أقتنيب الديار إلى مالكين أو غير مالكين ؟ فقال إسحاق : إلى مالكين ، قال الشافعي : قول الله أصدق الأقوال ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل دار أبي سفيان . . فهو آمن » وقد اشتري عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار الحجامين . . . وذكر الإمام الشافعي له جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له إسحاق : ﴿سَوَاءَ الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ قال الشافعي : قال الله تعالى : ﴿وَالسَّجِدُ الْحَرَامُ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ والمراد المسجد خاصة ، وهو الذي حول الكعبة ، ولو كان كما يزعم . . لكن لا يجوز لأحد أن ينشد في دور مكة وفجاجها ضالة ، ولا ينحر فيها البدن ، ولا يلقي فيها الأرواح ، ولكن هذا في المسجد خاصة ، فسكت إسحاق ولم يتكلم ، فسكت عنه الشافعي) اهـ

إخبار الله رسوله صلى الله عليه وسلم بما قاله الأنصار بعد الفتح : (وأخبر النبي) صلى الله عليه وسلم ، وهو مفعول مقدم

لـ (أَخْبَرَ) عَلَى فَاعِلِهِ الَّذِي هُوَ (بَارِئٌ) أَيْ : خَالِقُ (النَّسْمَ) وَالْبَارِئُ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْبَالِغَةُ مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا ، مِنْ أَحْصَاهَا . . دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَالنَّسْمَ ، بِتَشْدِيدِ التَّوْنَ الْمُفْتَوِحَةَ ، جَمْعُ نَسْمَةٍ : الْإِنْسَانُ .

وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ بَيْنَمَا تَحْدَثُ الْأَنْصَارُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ فِي شَأْنٍ سَكَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَلْدَةِ الَّتِي فَتَحَهَا الْيَوْمُ ، وَقَوْمَهُ الَّذِينَ تَرَبَّى بَيْنَهُمْ ، وَنَشَأَ فِيهِمْ ، إِذْ جَاءَهُ الْوَحْيُ بِمَا تَحْدَثُوا بِهِ ، وَالْمُخْبَرُ بِهِ هُوَ (بِقَوْلِهِمْ) فَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ : (أَخْبَرَ) وَالضَّمِيرُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ عَائِدٌ لِلْأَنْصَارِ الْمُعْلَمَيْنِ مِنْ الْمَقَامِ (يَسْكُنُ بَعْدَهَا) أَيْ : بَعْدَ هَذِهِ الْغَزْوَةِ (الْحَرَمُ) أَيْ : مَكَّةً ؛ لَأَنَّهَا مَسْقَطُ رَأْسِهِ .

(وَ) أَخْبَرَهُ بَارِئُ النَّسْمَ أَيْضًا (بِالَّذِي) أَيْ : بِالْقَوْلِ الَّذِي (قَالَوْهُ) أَيْ : الْأَنْصَارُ ؛ ضَنَّا بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِذْ لَمْ يَرْهُقُهُ) أَيْ : لَمْ يَدْخُلِ الْإِرْهَاقَ وَالْكَلْفَةَ عَلَى قَوْمِهِ ، وَمَقْولُ قَوْلِهِمْ : (تَدَارِكَتْهُ) أَيْ : الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ (رَحْمَةً) فِي عَشِيرَتِهِ ، وَرَغْبَةً فِي قَرِيَتِهِ (فَأَشْفَقَاهُ) عَلَيْهِمْ ، وَأَطْلَقَهُمْ مِنَ الْأَسْرِ ، وَقَالَ لَهُمْ : « أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفَ : لَا تُشَرِّبُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الظَّلَّاءِ » .

وَهَذَا مَأْخُوذٌ مَمَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ . . أَتَى

الصفا ، فعلا منه حتى يرى البيت ، فرفع يديه ، وجعل يحمد الله ويدركه ، ويدعو بما شاء الله أن يدعو ، والأنصار تحته ، فقال بعضهم لبعض : أمّا الرجل .. فأدركته رغبة في قريته ، ورأفة بعشيرته ، قال أبو هريرة : وجاء الوحي ، وكان إذا جاء الوحي .. لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إليه ، فلما قضى الوحي .. قال : « يا عشر الأنصار » قالوا : ليك يا رسول الله ، قال : « قلتم : أمّا الرجل فأدركته رغبة في قريته ، ورأفة بعشيرته ؟ » قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله ، قال : « فما اسمي إذا ؟ كلاً ، إنّي عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، المحيا محياكم ، والممات مماتكم » فأقبلوا إليه ي يكون ، يقولون : والله يا رسول الله ، ما قلنا الذي قلنا إلاً ^(١) الضّن بالله ورسوله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « فإنّ الله ورسوله يعذر انكم ويصدقانكم » .

إخبار الله رسوله صلى الله عليه وسلم بما تحدثت به قريش عند أذان بلال :

(و) أخبر باريء النسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
(ب) الكلام (الذي قالوه) أي : قريش (في) سيدنا بلال بن

(١) قوله : (إلاً الضّن) بكسر الضاد المعجمة ، وشد النون ؛ أي : البخل والشح به أن يشركتنا فيه أحد غيرنا ، قال في « شرح المواهب » لمّا نقل هذا الضبط عن الشامي : (ولعله الرواية ، وإنّا .. ففتحها لغة أيضاً ، وكان ذلك وقع لطائفتين ، فبادر بإخبار إحداهما لجزها ، وتلطف في سؤال الأخرى لكونها لم تجزم ، بل قالت : أترى .. إلخ ، و « يعذر انكم » بكسر الذال المعجمة : يقللان عنكم) اهـ

رباح^(١) (المؤذن) بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على

(١) واسم أمّه حمامة ، مولاة لبني جمع ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عبداً لأمية بن خلف ، فأسلم مع أبي بكر ، وزيد بن حارثة ، وعلي ، والسيدة خديجة .

وأشار الحافظ السيوطي إلى الخلاف في أول من أسلم منهم مع الجمع بين الأقوال بقوله :

واختلفوا أَوْلَهُمْ إِسْلَامًا وقد رأوا جمعهم انتظاماً
أَوْلَ من أَسْلَمَ فِي الرِّجَالِ صديقهم وزيد في الموالى
وَفِي النِّسَاءِ خَدِيجَةُ وَذِي الصَّغْرِ علي ، والرق بلال اشتهر
وَكَانَ أُمِيَّةً لِعْنَهُ اللَّهُ يَعْذِّبُ بِلَالًا ، حتى كان يضجعه في الرمضان ببطحاء
مَكَّةَ ، وَيَطْرُحُ عَلَيْهِ الْحَجَّارَةَ ، وَيَقُولُ لَهُ : لَا تَرَاكَ كَذَلِكَ ، أَوْ تَكْفُرُ
بِمُحَمَّدٍ إِلَيْهِ ، وَبِلَالٍ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ ، وَقَدْ نَهَى وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلَ عَنْ
تَعْذِيْبِهِ ، وَلَمَّا رَأَى أَبْوَ بَكْرَ ذَلِكَ عَظَمَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ ، فَكَلَمَ أُمِيَّةَ أَنْ يَعْطِيْهِ
نَسْطَاسًا عَبْدًا لِأَبْيَ بَكْرٍ كَثِيرَ الْخَرَاجِ ، إِلَّا أَنَّهُ مُتَمَرِّدٌ إِذَا ذَاكَ وَيَأْخُذُ بَدْلَهُ
بِلَالًا ، فَفَعَلَ ، فَأَعْتَقَ أَبْوَ بَكْرَ بِلَالًا لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى ، لَا لِنَعْمَةِ عَنْهُ
تَجْزِي ، إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّ الْأَعْلَى ، قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
أَبْوَ بَكْرَ سَيِّدُنَا أَعْتَقَ سَيِّدُنَا .

قال بعضهم :

أَبْوَ بَكْرَ حَبَّاهُ اللَّهُ مَالًا فَمَذْدُعِي أَجَابَ نَعَمْ بِلَا : لَا
فَكِمْ وَاسِي النَّبِيِّ بِكُلِّ خَيْرٍ وَأَعْتَقَ مِنْ ذَخَائِرِهِ بِلَالًا
فَلَوْ أَنَّ الْبَحْرَ يَعْغَضُهُ اعْتِقَادًا لِمَا أَبْقَى إِلَيْهِ بِهِ بِلَالًا
وَكَانَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرَهُ أَنَّ نَسْطَاسًا أَسْرَ يَوْمَ بَدْرٍ ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ أَحَدٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَنَّ بِلَالًا قُتِلَ أُمِيَّةً هَذَا الَّذِي كَانَ يَعْذِبُهُ ، وَوَلَدُهُ عَلَيَا ،
وَلَذَا هَنَّأَهُ أَبْوَ بَكْرٍ بِقَوْلِهِ :

هَنِئَا زَادَكَ الرَّحْمَنُ فَخْرًا لَقَدْ أَدْرَكَتْ ثَأْرَكَ يَا بَلَالَ
وَكَانَ يَؤْذِنُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَضْرًا وَسَفْرًا ، وَهُوَ أَوْلُ مَنْ
أَذْنَ فِي إِسْلَامٍ ، وَاسْتَمَرَ حَتَّى تَوَفَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ

سِيرَةُ بَلَالِ بْنِ رَبَاحٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

.....

ظهر الكعبة للظهر ؛ ليغيط المشركين ، وقريش فوق رؤوس الجبال ، وقد فرَّ جماعة من وجوههم وتغيبوا ، وأبو سفيان ، وعتاب بن أَسِيد - بفتح الهمزة - وأخوه خالد ، والحارث بن هشام جلوس ببناء الكعبة ، وقد أسلموا بعد رضي الله عنهم ، فقال عتاب وحالد : لقد أكرم الله أَسِيداً أن لا يسمع هذا فيغطيه ، وقال الحارث : أما والله ؛ لو أعلم أَنَّه محق.. لأتبعته ، إن يكن الله يكره هذا.. فسيغیره ، وقال أبو سفيان :

الله عنه

ذهب إلى الشام مجاهداً ، قال النووي في « التهذيب » : (فأقام بها إلى أن توفي ، وقيل : أذن لأبي بكر مرة ، وأذن لعمر مرة ، حين قدم عمر الشام ، فلم ير باك أكثر من ذلك اليوم ، وأذن في قدمه قدمها إلى المدينة لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طلب ذلك الصحابة ، فأذن ولم يتم الأذان) .

ثبت في « الصحيحين » : أَنَّه صلى الله عليه وسلم قال : « أخبرني بأرجى عمل عملته في الإسلام ؛ فإنّي سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة ؟ » قال : ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أنتهز طهوراً في ساعة ليل أو نهار.. إلَّا صلّيت بذلك الطهور ما كتب أن أصلّي ، ولمسلم بلفظ : « حشف نعليك » .

وفي « الترمذى » : « يا بلال ؛ بم سبقتني إلى الجنة ؟ ما دخلت الجنة قط.. إلَّا سمعت خشختك أمامي ! ... إلخ .

قال في « عمود النسب » :

مَمَّنْ عَلَيْهِ مَمَّنْ بِالشَّرَاءِ
بِلَالُ السَّابِقُ جِيلُ الْجَبَشَةِ
أَذْنَ لِلَّبَّ يَ وَالْعَتَيْقَ
فَذَكَرَ النَّبِيَّ فَانْهَلَتْ لَهُ
وَمَنَاقِبَ كَثِيرَةٍ ، وَفَضَائِلَ شَهِيرَةٍ ، تَوْفَى عَلَى الصَّحِيفَ بِالشَّامِ سَنَةِ عَشَرِينَ ، وَلَمَّا حَضَرَهُ
الْمَوْتُ.. جَعَلَ أَهْلَهُ يَكْوُنُ وَيَقُولُونَ : وَاكْرِبَاهُ ، فَيَقُولُ بِلَالٌ : وَاطْرَبَاهُ ، غَدَّاً لَقِيَ الْأَحَبَّةِ
مُحَمَّدًا وَحَزِيبَهُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَقَانَا بَهُ وَأَحْبَابَنَا ، بِمِنَّهُ وَكَرْمَهُ ، آمِينٌ .

.....
لا أقول شيئاً ، لو تكلمت .. لأنك أخبرت عني هذه الحصى ،
وقال بعض بنى سعيد بن العاصي : لقد أكرم الله سعيداً أن قبضه
الله قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة ، وقال الحكم بن
أبي العاصي : هذا والله هو الحَدَثُ العظيم ، أن يصبح
عبد بنى جمع على بنية بنى طلحة .

هذا الذي قالوه في شأن سيدنا بلال ، وهو ما أراده
الناظم ، ورواه أبو يعلى عن ابن عباس ، والبيهقي عن ابن
إسحاق ، وعروة وابن أبي شيبة عن أبي سلمة ، كما في « شرح
المواهب » وبعده : (فأتى جبريل فأخبره صلى الله عليه وسلم
خبرهم ، فخرج عليهم ، وقال : « قد علمت الذي قلت »
وأخبرهم ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ،
وما أطَلَعَ على هذا أحدٌ كان معنا فنقول أخبرك) .

إِخْبَارُ اللَّهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَهُ فَضَالَّةُ بْنُ عُمَيْرٍ :
(و) أَخْبَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا (بِالَّذِي) هُمْ
(بِهِ) فَضَالَّةٌ (بِفَتْحِ الْفَاءِ) ، ابْنُ عُمَيْرٍ بْنُ الْمَلُوْحِ الْلَّيْشِيُّ ، فَقَوْلُهُ :
(بِهِ) يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ : (عَنِي) كَرْضِيٌّ ، وَيَصْحُّ بِنَاؤِهِ
لِلْمَجْهُولِ ، وَالَّذِي قَصَدَهُ فَضَالَّةٌ هُوَ قَتْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَطْوِفُ بِالْبَيْتِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ .. قَالَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفَضَالَةٌ ؟ » قَالَ : نَعَمْ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « مَاذَا كُنْتَ تَحْدَثُ بِهِ نَفْسَكَ ؟ » قَالَ :
لَا شَيْءٌ ، كُنْتَ أَذْكُرُ اللَّهَ ، فَضَحَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

.....
وسلم ، ثمَّ قال : « استغفِرِ اللَّهُ » ثُمَّ وضع يده المباركة الميمونة على صدره ، فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ؟ ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق اللَّهُ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ ، قال فضالة : فرجعت إلى أهلي ، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت : هلَّمَّ إِلَى الْحَدِيثِ ، فقلت : لا ، وابعث فضالة يقول :

قالت هلَّمَّ إِلَى الْحَدِيثِ فقلت لا
يَأْبَى عَلَيَّ اللَّهُ وَالإِسْلَامُ
لَوْ مَا رأَيْتَ مُحَمَّداً وَقَبِيلَه
بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكَسَّرُ الْأَصْنَامُ
لَرَأَيْتِ دِينَ اللَّهِ أَضْحَى بَيْنَ
الشَّرْكِ يَغْشِي وَجْهَهُ الْإِظْلَامِ

تحطيم الأصنام حول الكعبة :

ويشير⁽¹⁾ بقوله : (يوم تكسر الأصنام) إلى أَنَّهُ عليه الصَّلاة والسَّلام لِمَا وصل إلى الْبَيْتِ الْحَرَامِ .. وجد حوله ثلات مئة وستين صنماً ، ملزقة بالرصاص والنحاس ، فكان كُلُّما مُرَّ بصنم .. أشار إليه بقضيبه وهو يقول : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَطْلُ إِنَّ الْبَطْلَ كَانَ رَهْوَقًا » فيقع الصنم مكسراً لوجهه ..

قال الشهاب في « الموهاب » : (وفي تفسير العلامة أبي

(1) أي : فضالة .

عبد الله بن محمد النقيب المقدسي : إنَّ الله تعالى لَمَّا أَعْلَمَ
رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ قَدْ أَنْجَزَ لَهُ وَعْدَهُ بِالنَّصْرِ عَلَى
أَعْدَائِهِ ، وَفَتَحَهُ مَكَّةَ ، وَإِعْلَاءَ كَلْمَةِ دِينِهِ ، أَمْرَهُ إِذَا دَخَلَ
مَكَّةَ .. أَنْ يَقُولَ : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾
فَصَارَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْعُنُ الْأَصْنَامَ الَّتِي حَوْلَ الْكَعْبَةِ
بِمِحْجَنِهِ⁽¹⁾ وَيَقُولُ : « جَاءَ الْحَقُّ ، وَزَهَقَ الْبَاطِلُ » فَيَخْرُجُ
سَاقِطًا ، مَعَ أَنَّهَا كُلُّهَا كَانَتْ مَشْتَبَةً بِالْحَدِيدِ وَالرَّصَاصِ ، وَكَانَتْ
ثَلَاثَ مِئَةً وَسَتِينَ صَنْمًا ، بَعْدَ أَيَّامِ السَّنَةِ .

خلود سدنة الكعبة فيبني طلحة :

(وَأَخَذَ) النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةِ
- عَلَى الْأَصْحَاحِ - يَوْمَ الْفَتْحِ (الْمِفْتَاحِ) لِلْكَعْبَةِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ
مَحْفُوظًا ، وَقَدْ أَبْتَأَتْ أَنْ تَسْلِمَ إِيَّاهُ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : وَاللهِ
لَنْ تَعْطِينِيَّ ، أَوْ لَيَخْرُجَّ هَذَا السِّيفُ مِنْ صَلَبِيِّ ، فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ ،
فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ
الْبَابَ ، (ثُمَّ رَدَهُ) أَيْ : رَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِفْتَاحَ
إِلَى عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةِ ، وَقَالَ : « خَذُوهَا - أَيْ : سَدَانَةَ الْكَعْبَةِ -
خَالِدَةَ تَالَّدَةَ ، لَا يَنْزَعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ » .

وَلَمَّا خَرَجَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبَيْتِ .. سَأَلَهُ الْعَبَّاسُ

(1) المَحْجَنُ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَسَكُونِ الْمَهْمَلَةِ وَفَتْحِ الْجَيْمِ : عَصَمْ حَمْنَيَّ الرَّأْسِ .

أن يعطيه المفتاح ، ويجمع له بين السقاية^(١) والسدانة فأبى ، وإليه أشار بقوله : (عن رُعْمَ) بالراء مثلثة ؛ أي : عن كره (قومه) وهم : العباس ، وعلي ، وبنو هاشم (الذين) كانوا (عنه) صلى الله عليه وسلم لمَّا فتح البيت وخرج منه .

قال في «عيون الأثر» : (روينا عن سعيد بن المسيب : أنَّ العباس تطاول يومئذٍ لأخذ المفتاح ، في رجال من بنى هاشم ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان) .

الحديث الذي جرى بين النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعثمان بن طلحة قبل إسلامه على باب الكعبة

وقال الشهاب في «المواهب» : (عن ابن سعد في «طبقاته» عن عثمان بن طلحة ، قال : كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس ، فأقبل النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس ، فأغلقت له ونلت منه ، فحَلَمَ عَنِي ، ثُمَّ قال : «يا عثمان ؛ لعَلَّكَ سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت» فقلت : لقد هلكت قريش يومئذٍ وذلت ، قال : «بل عَمِرتَ وعَزَّتْ يومئذٍ» ودخل الكعبة ، فوَقَعَتْ كلامته مني موقعاً ظننت أنَّ الأمر سيصير إلى ما قال .

قال : فلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ .. قال : «يا عثمان ؛ اثنتي بالمفتاح» فأتيته به ، فأخذه مني ثُمَّ دفعه إلىي ، وقال :

(١) السقاية : هي أحواض من جلد ، يوضع فيها الماء العذب لسقاية الحاج ، وربما يطرح فيها التمر والزبيب ، فعل ذلك عبد المطلب لما حفر زمم ، وقام بها بعده العباس . والسدانة بفتح السين المشددة : هي خدمة البيت الحرام . اهـ

« خذوها خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلَّا ظالم ، يا عثمان :
 إِنَّ اللَّهَ اسْتَأْمِنْكُمْ عَلَى بَيْتِهِ ، فَكُلُّو مَمَّا يَصِلُ إِلَيْكُمْ مِّنْ هَذَا الْبَيْتِ
 بِالْمَعْرُوفِ »^(١) قال : فلَمَّا وَلَيْتَ .. نَادَانِي ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ
 فَقَالَ : « أَلَمْ يَكُنِ الَّذِي قَلْتُ لَكَ ؟ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي بِمَكَةَ
 قَبْلِ الْهِجْرَةِ : « لَعَلَّكَ سَتَرِي هَذَا الْمَفْتَاحُ يَوْمًا بِيَدِي ، أَصْعَهُ
 حِيثُ شَئْتَ » قَلْتُ : بَلِي ، أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ـ .

وَمِنْ شِعْرِ حَسَانَ بْنِ ثَابَتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَهْجُو الْمُشْرِكِينَ ،
 وَيَمْدُحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَصْحَابَ الْكَرَامَ ،
 وَيَذَكُرُهُمْ بِفَتْحِ مَكَةَ ، قَوْلَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 عَفَتْ ذَاتُ الْأَصْبَاعِ فَالْجِوَاءُ

قصيدة حسان يهجو
 المشركين ويمدح النبي
 صلى الله عليه وسلم
 والأصحاب رضوان الله
 عليهم

إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلَاءُ
 دِيَارٌ مِّنْ بَنِي الْحَسْنَاسِ قَفْرٌ
 تُعْفِيْهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ

(١) هذا إنْ صَحَّ .. احْتَمِلْ مَعْنَاهُ : مَا يَأْخُذُونَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ عَلَى خَدْمَتِهِ
 وَالْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِ ، وَلَا يَحْلُّ لَهُمْ إِلَّا قَدْرُ مَا يَسْتَحْقُونَهُ ، وَمَا يَقْصِدُونَ بِهِ
 مِنَ الْبَرِّ وَالصَّلَةِ عَلَى وَجْهِ التَّبَرِرِ .. فَلَهُمْ أَخْذُهُ ، وَذَلِكَ أَكْلٌ بِالْمَعْرُوفِ ،
 فَلَا يَذْهَبُ إِلَى الْوَهْمِ جَوَازُ أَخْذِ الْأَجْرَةِ عَلَى دُخُولِ الْكَعْبَةِ ؛ فَإِنَّهُ لَا خَلَافَ
 فِي تَحْرِيمِهِ ، كَمَا حَكَاهُ فِي « شِرْحِ الْمَوَاهِبِ » عَنْ الْمُحَبِّ الطَّبَرِيِّ ،
 وَأَفْرَهَ ، وَقَالَ : إِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَشْنَعِ الْبَدْعِ .

حُكْمُ أَخْذِ الْأَجْرَةِ عَلَى
 دُخُولِ الْكَعْبَةِ

قَالَ الشَّمْسُ الْحَطَابُ الْمَالِكِيُّ : وَالْمُحَرَّمُ إِنَّمَا هُوَ نَزْعُ الْمَفْتَاحِ مِنْهُمْ ،
 لَا مَنْعِمُهُمْ مِنْ اِنْتِهَاكِ حَرْمَةِ الْبَيْتِ وَمَا فِيهِ قَلَّةُ أَدْبٍ ، فَهَذَا وَاجِبٌ لَا خَلَافٌ
 فِيهِ ، لَا كَمَا يَعْتَقِدُ الْجَهْلَةُ أَنَّ لَا وَلَايَةَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ فِي
 الْبَيْتِ مَا شَأْوُا ، فَهَذَا لَا يَقُولُهُ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ .

.....
 وكانت لا يزال بها أنيسٌ
 خلال مروجها نعمٌ وشاءٌ
 فَدَعْ هَذَا ، وَلَكُنْ مِنْ لَطِيفِ
 يُؤْرَقْنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
 لِشَعْنَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَّمِّثَهُ
 فَلِيَسْ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءٌ
 كَأَنَّ سَبَيْتَهُ مِنْ يَيْتَ رَاسِ
 يَكُونُ مِرَاجِهَا عَسْلٌ وَمَاءُ
 عَلَى أَنِيَابِهَا أَوْ طَعْمٌ غَضْ
 مِنْ التَّفَاحِ هَصَرَهُ الْجِنَاءُ
 إِذَا مَا الأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا
 فَهُنَّ لَطِيبُ الرَّاحِ الْفِدَاءُ
 نُوَلِّهَا الْمَلَامَةُ إِنَّ الْمَنَا
 إِذَا مَا كَانَ مَغْثُّ أَوْ لِحَاءُ
 وَنَشَرِبُهَا فَشَرُكُنَا مَلُوكًا
 وَأَسْدًا مَا يُنَهِّنَا الْلَّقَاءُ
 عَدِمْنَا خِيلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
 تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ
 يُبَارِيَنَ الْأَعِنَّةَ مُضِعَّدَاتٍ
 عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ
 تَظَلُّ جِادُنَا مُتَمَطَّرَاتٍ
 تُلَطَّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ

فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا
وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِلَّا فَاصْبَرُوا لِجِلَادِ يَوْمٍ
يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجَبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا
وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا
يَقُولُ الْحَقُّ إِنَّ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهَدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدَّقُوهُ
فَقُلْتُمْ لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَرْتُ جُنْدًا
هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضُهَا الْلَّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَنْ مَعَنِّا
سِبَابٌ ، أَوْ قِتَالٌ ، أَوْ هِجَاءٌ
فَنُحْكِمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانا
وَنَضَرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ
أَلَا أَبْلُغُ أَبَا سَفِيَّانَ عَنِّي
مَغْلَلَةً فَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ
بَأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكْتُكَ عَبْدًا
وَعَبْدُ الدَّارِ سَادُهَا الْإِمَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجْبَتُ عَنْهُ
وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ
 فَشُرُّكُمَا لِخِيرِكُمَا الْفِدَاءُ
 هَجُوتَ مَبَارِكًا بِرَّا حَنِيفًا
 أَمِينَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ
 فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ
 وَيَمْدَحُهُ وَيُنْصُرُهُ سَوَاءُ
 فَإِنَّ أَبِي وَوَالَّدَهُ وَعِرْضِي
 لِعَرْضِي مُحَمَّدٌ مِنْكُمْ وَقَاءُ
 فَإِمَّا تَقْفَنَّ بْنَوْ لُؤَيٍّ
 جَذِيمَةَ إِنَّ قَتْلَهُمْ شِفَاءُ
 أُولَئِكَ مَعْشَرُ نَصْرُوا عَلَيْنَا
 فِي أَظْفَارِنَا مِنْهُمْ دِمَاءُ
 قَالَ بَعْضُ مَنْ عَلَّقَ عَلَى هَذِهِ الْقُصْيَدَةِ ، عَنْ مَصْبَعِ
 الزُّبَيْرِيِّ : كَانَ حَسَانٌ قَدْ أَبْتَدَأَ هَذِهِ الْقُصْيَدَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، ثُمَّ
 أَكْمَلَهَا فِي الْإِسْلَامِ مِنْ عِنْدِ قَوْلِهِ : (عَدَمَنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ
 تَرُوْهَا) .

قَلْتُ : وَيُؤَيِّدُهُ مَا جَاءَ أَنَّهُ مَرَّ بِفَتِيَّةٍ يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ فِي
 الْإِسْلَامِ فَنَهَا مِنْهُمْ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ ؟ لَقَدْ أَرْدَنَا تَرْكَهَا ، فَيَزِينُهَا لَنَا
 قَوْلُكَ : (وَنَشَرِبُهَا فَتَرْكَنَا مَلُوكًا) فَقَالَ : وَاللَّهِ ؟ لَقَدْ قَلْتُهَا فِي
 الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَا شَرِبْتُ مِنْذَ أَسْلَمْتُ .

(٢٨) غزوة حنين

في شوال سنة ثمان

حنين : واد قرب ذي المجاز ، وهو سوق كان للعرب على فرسخ من عرفة^(١) ، سميت الغزوة به .

ويقال لها : غزوة أو طاس ، سميت بالموضع الذي كانت فيه الموقعة ، ويقال لها أيضاً : غزوة هوازن ، بفتح الهاء وكسر الزاي : قبيلة كبيرة من العرب ، فيها عدة بطون ، ينسبون إلى هوازن بن منصور بن عكرمة ، سميت بذلك ؛ لأنَّهم الذين أتوا لقتاله صلى الله عليه وسلم .

أسماء أخرى لهذه الغزوة

سبب هذه الغزوة :

قال الشهاب في «المواهب» : (وبسبها : أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها ، وأسلم عامة أهلها . . . مشت أشراف هوازن وثقيف بعضهم إلى بعض ، وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين ، وكان رئيسهم مالك بن عوف بن سعد النصري ، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة سنة ثمان ، يوم السبت ، لست

(١) قال الواقدي : ذو المجاز خلف عرفة ، ومجنة بمر الظهران ، وعكااظ بين نخلة والطائف ، وهو أعظم هذه الأسواق ، يقيمون بها شوالاً ، ثمَّ ينتقلون إلى سوق مجنة عشرين يوماً من ذي القعدة ، ثمَّ ينتقلون إلى سوق ذي المجاز أيام الحج . اهـ ملخصاً من «معجم ياقوت» .

ثُمَّ إِلَى وَادِي حُنَيْنٍ أَنْحَدَرْ
عَنْ مَكَّةَ مِنَ الْأَلْوَفِ أَثْنَا عَشَرَ
فَوَجَدُوا هَوَازِنًا تَأْهَبُوا
بِكُلِّ مَخْرِمٍ لَهُمْ وَأَبْوَا

خلون من شوال ، في اثنى عشر ألفاً من المسلمين ، وأشار الناظم إلى هذا بقوله :

عتاب بن أَسِيد أَمِير مَكَّةَ (ثُمَّ) بعد أن فرغ من مكة وفتحها ، وأخرج الأصنام منها ، وطَهَرَ ساحتها . انحدر عن مكة (إِلَى وَادِي حُنَيْنٍ) بالتصغير (انحدر) أي : هبط (عن مكة) بالتنوين للضرورة ، واستعمل عليها عتاب بن أَسِيد بالتكبير أميراً ، وكان معه (من الْأَلْوَفِ أَثْنَا عَشَرَ) : عشرة آلاف من أهل المدينة ، منهم من الأنصار أربعة آلاف ، ومن جهينة ألف ، ومن مزينة ألف ، ومن أسلم ألف ، ومن غفار ألف ، ومن أشجع ألف ، ومن المهاجرين وغيرهم ألف ، وألفان ممَّن أسلم من أهل مكة (فَوَجَدُوا هَوَازِنًا) وعددهم يربو على عشرين ألفاً (تَأْهَبُوا) أي : استعدوا (بِكُلِّ مَخْرِمٍ) يتعلق بقوله : (أَلْبَا) آخر البيت ، وهو بفتح الميم ، وبعدها خاء معجمة ساكنة وراء مكسورة ؛ أي : طريق (لَهُمْ) قال في «اللسان» : (مخارم الطرق) : جمع مخْرِمٍ - بكسر الراء - وهو الطريق في الجبل أو الرمل .

مالك بن عوف قائد جيش هوازن (أَلْبَا) بفتح الهمزة وشد اللام المفتوحة ؛ أي : جمعوا وهَيَّوْا لقتال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكُلِّ مَا لَدِيهِمْ من قوة وعتاد ، ورئيسهم مالك بن عوف النصري ، وهو الذي جمعهم للقتال ، وعمره ثلاثون سنة ، وقد أسلم بعد ، وحسن إسلامه رضي الله عنه ، وضمَّ إلى الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم .



معارضة دريد بن الصمة لمالك بن عوف النصري :

فلما نزل بأوطاس.. اجتمع إليه الناس ، وفيهم دريد بن الصمة شيخ كبير مجرّب ، زاد عمره على المئة ، وعمي بصره ، فلما نزل.. قال : بأي واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نَعَمْ مجال الخيل ، لا حَزْنٌ^(١) ضَرِسْ ، ولا سَهْل دَهْسٌ ، مَا لِي أَسْمَعْ رُغَاءَ الْبَعِيرِ ، وَنَهَاقَ الْحَمِيرِ ، وَبَكَاءَ الصَّغِيرِ ، وَيُعَارِ الشَّاءِ ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ، ونساءهم ، وأبناءهم ، قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ، ودُعِيَ له فقال : يا مالك ؛ إِنَّكَ قد أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمَكَ ، وَإِنَّ هَذَا يَوْمَ كَائِنَ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَيَّامِ ، مَا لِي أَسْمَعْ رُغَاءَ الْبَعِيرِ ، وَنَهَاقَ الْحَمِيرِ ، وَبَكَاءَ الصَّغِيرِ ، وَيُعَارِ الشَّاءِ ؟ قال : سقطت مع الناس أموالهم ، وأبناءهم ، ونساءهم ، قال : ولم ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وما له ؛ ليقاتل عنهم ، قال : فانقضَّ به دريد^(٢) ، ثمَّ قال : راعي ضَأْنَ وَاللَّهُ ، مَا لَهُ وَلِلْحَرْبِ ، وَصَفَّقَ بِإِحْدَى يَدِيهِ عَلَى الْأُخْرَى تَعْجِبًا ، وقال : هل يَرِدُ الْمَنْهَزِمَ شَيْءًا ؟ إِنَّهَا إِنْ كَانَ لَكَ .. لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسِيفِهِ وَرِمْحِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ .. فُضِّحْتَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ .

(١) الحزن : ما غلظ من الأرض ، والضرس : ما صلب من الأرض ، والسهل : ضد الحزن ، والدهس : اللين كثير التراب .

(٢) يريه أَنَّ نَقْرَ بِلْسَانِهِ فِي فِيهِ ، كَمَا يَزْجُرُ الشَّاةُ أَوَ الْحَمَارَ .

ثمَّ قال : ما فعلت كعب وكلب ؟ قال : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحَدُّ والجَدُّ^(١) ، ولو كان يوم علاء ورفعة .. لم تغب عنه كعب ولا كلاب ، ولو ددتكم أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدتها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذانك الجَدُّان من عامر لا ينفعان ولا يضران ، يا مالك ؛ إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم ، وعليها قومهم ، ثمَّ القَصْبَاء^(٢) على متون الخيل ، فإن كانت لك .. لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك .. ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال : لا والله ؛ لا أفعل ذلك ؛ إنك قد كبرت وكبر عقلك ، والله ؛ لطينعني يا معاشر هوازن ، أو لأنكَنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ، وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأي ، قالوا : أطعناك ، فقال دريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ولم يفتني :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ
أَخْبُثْ فِيهَا وَأَضَعْ
أَقُودْ وَطْفَاءِ الرَّزَّامْ
كَانَهَا شَاهَ صَدَعْ

(١) الحد والجد : الأول بفتح الحاء المهملة ، والثاني بالمعجمة المكسورة : ضد الهزل ، وبفتحهما : الحظ .

(٢) جمع صابئ ، يزيد : جماعة المسلمين ؛ لأنهم صبوا عن دينهم الجاهلي إلى الإسلام .

ثُمَّ قَالَ مَالِكُ لِلنَّاسِ : إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ .. فَاْكِسِرُوهُمْ جُفُونَ
سِيَوْفَكُمْ ، ثُمَّ شَدُّوهُمْ شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ .

الملائكة وعيون مالك بن عوف :

ثُمَّ إِنَّ مَالِكَ بْنَ عَوْفٍ بَعَثَ عَيْوَنَةً مِنْ رَجُالِهِ ، فَأَتَاهُ وَقَدْ
تَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُمْ رُعْبًا وَخُوفًا ، فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ، مَا شَأْنَكُمْ ؟
فَقَالُوا : رَأَيْنَا رِجَالًا يَبْيَضُّ عَلَى خَيْلٍ بُلْقَ ، فَوَاللَّهِ ؛ مَا تَمَاسَكْنَا
أَنْ أَصَابَنَا مَا تَرَى ، فَوَاللَّهِ ؛ مَا نَقَاتَلَ أَهْلَ الْأَرْضِ ، إِنْ نَقَاتَلَ
إِلَّا أَهْلَ السَّمَاءِ ، وَإِنْ أَطْعَنَا .. رَجَعَتْ بِقَوْمِكَ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ إِنْ
رَأَوْا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْنَا .. أَصَابَهُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَنَا ، فَقَالَ : أَفَ
لَكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ أَجَبُنَ أَهْلَ الْعَسْكَرِ ، فَحُبِسُوهُمْ عَنْهُ خَوْفًا أَنْ
يُشَيِّعَ ذَلِكُ الرُّعْبُ فِي الْعَسْكَرِ ، وَقَالَ : دُلُونِي عَلَى رَجُلٍ
شَجَاعٍ ، فَأَجْمَعُو لَهُ عَلَى رَجُلٍ ، فَخَرَجَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ قَدْ أَصَابَهُ
كَنْهُو مَا أَصَابَ مِنْ قَبْلِهِ ، قَالَ : مَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتَ رِجَالًا
يَبْيَضُّ عَلَى خَيْلٍ بُلْقَ مَا يَطْاقُ النَّظَرُ إِلَيْهِمْ ، فَوَاللَّهِ ؛ مَا تَمَاسَكْتَ
أَنْ أَصَابَنِي مَا تَرَى ، فَلَمْ يَرِدْ ذَلِكَ مَالِكًا عَنْ وَجْهِهِ .

وصف جواسيس
مالك لما رأوه

تَعْرِفُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَارَ الْقَوْمِ :

وَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي حَدْرَدَ
الْأَسْلَمِيَّ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَدْخُلَ مَعَهُمْ ، وَيَقِيمَ حَتَّى يَعْلَمَ خَبَرَهُمْ
وَيَأْتِيهِ بِهِ ، فَانْطَلَقَ فَدَخَلَ عَسْكَرَهُمْ ، فَطَافَ بِهِمْ وَجَاءَ
بِخَبَرِهِمْ ، وَمَمَّا سَمِعَهُ مِنْ مَالِكَ أَنَّهُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّ مُحَمَّدًا
لَمْ يَقَاتِلْ قَوْمًا قَطْ قَبْلَ هَذِهِ الْمَرَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَلْقَى قَوْمًا أَغْمَارًا

تحسُّن عَدَدَةَ بْنَ أَبِي
حَدْرَدَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَارُ الْعَدُوِّ

لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ ، فَيُظْهِرُ عَلَيْهِمْ ، إِذَا كَانَ السَّاحِرُ ..
فَصَفُوا مَوَاصِيكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ مِنْ وَرَائِكُمْ ، ثُمَّ صَفُوا ، ثُمَّ
تَكُونُ الْحَمْلَةُ مِنْكُمْ ، وَاسْكَرُوا جُفُونَ سِيُوفِكُمْ ، فَتَلَقُونَهُ
بِعَشْرِينَ أَلْفَ سِيفٍ مَكْسُورَةً الْجَفُونَ ، وَاحْمَلُوا حَمْلَةَ رَجُلٍ
وَاحِدٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْغَلْبَةَ لِمَنْ حَمَلَ أَوْلَأً .

فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرُ ، فَقَالَ لِعُمَرَ : « أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ ؟ » فَقَالَ :
كَذَبٌ ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَدْرَدَ : لَئِنْ كَذَّبْتَنِي يَا عُمَرَ ، فَرَبِّمَا كَذَبْتَ
بِالْحَقِّ .. فَقَدْ كَذَبْتَ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، فَقَالَ عُمَرَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ ابْنُ أَبِي حَدْرَدَ ؟
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَدْ كُنْتَ ضَالًاً فَهَدَاكَ اللَّهُ يَا عُمَرَ » .

استعارة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدْرَعًا وَسَلَاحًا مِنْ
صَفْوَانَ بْنَ أُمِيَّةَ :

وَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْرَ إِلَى
هَوَازِنَ .. ذُكِرَ لَهُ أَنَّهُ عِنْدَ صَفْوَانَ بْنَ أُمِيَّةَ أَدْرَعًا وَسَلَاحًا ،
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا أُمِيَّةَ ؛ أَعْرَنَا
سَلَاحَكَ نَلَقُ فِيهِ عَدُونَا » فَقَالَ صَفْوَانَ : أَغْصَبًا يَا مُحَمَّدَ ؟
فَقَالَ : « بَلْ عَارِيَةً مُضْمِنَةً حَتَّى نَرْدَهَا إِلَيْكَ » قَالَ : لَيْسَ بِهَذَا
بِأَسْ ، فَأَعْطَى لَهُ مِئَةً دَرْعًا بِمَا فِيهَا مِنَ السَّلَاحِ ، فَسَأَلَهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْفِيهِمْ حَمْلَهَا ، فَحَمَلُوهَا إِلَى أَوْطَاسٍ .

وَبَيْنَمَا الْجَيْشُ إِلَيْهِمْ يَنْحَدِرُ بَغْلَسٌ شَدُّوا إِلَيْهِ وَهُوَ غَرِّ

ثمَ سارَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَكِبَ بَعْلَتَهُ دُلْدُلَ ، وَلَبِسَ دَرَعَيْنَ وَالْمَغْفِرَ وَالْبَيْضَةَ^(١) ، وَاسْتَقْبَلَ الصَّفَوْفَ ، فَطَافَ عَلَيْهِمْ يَنْحَدِرُونَ مِنَ الْوَادِيِّ ، فَحَضَّهُمْ عَلَى الْقَتَالِ ، وَبِشَّرَهُمْ بِالْفَتْحِ إِنْ صَدَقُوا وَصَبَرُوا ، وَقَدْمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي بَنِي سُلَيْمٍ وَأَهْلِ مَكَّةَ ، وَجَعَلَ مَيْمَنَةَ وَمَيْسِرَةَ ، وَقَلْبَانِ كَانَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ .

تَوْجِهُ النَّبِيِّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَاحَةِ الْمَعرِكَةِ

(وَبَيْنَمَا الْجَيْشُ) أَيْ : جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ (إِلَيْهِمْ) أَيْ : إِلَى هَوَازِنَ (يَنْحَدِرُ) أَيْ : يَهْبِطُ مِنْ وَادٍ مِنَ الْأَوْدِيَةِ (بَغْلَسٌ) بِفَتْحِ الْمَعْجَمَةِ وَاللَّامِ مَفْتُوحَةٌ ؛ أَيْ : فِي وَقْتِ الْغَلَسِ ، وَهُوَ ظَلْمَةً آخِرِ اللَّيلِ (شَدُّوا) أَيْ : حَمَلُتْ هَوَازِنَ (إِلَيْهِ) أَيْ : إِلَى جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ ، حَمْلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ (وَهُوَ) أَيْ : وَالْحَالُ أَنَّ جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ (غَرِّ) بِكَسْرِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةَ ؛ أَيْ : غَافِلٌ .

التحامُ الْقَتَالِ وَثَبَاتُ الرَّسُولِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ :

وَحَاصِلُ الْمَعْنَى : مَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ بِسْتَدِهِ إِلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِيَ حَنِينَ .. انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تَهَامَةَ أَجْوَفَ ذِي خَطْوَطٍ ، لَهُ مَضَايِقٌ وَشَعُوبٌ ، وَإِنَّمَا نَتْحَدِرُ فِيهِ انْحَدَارًا ، قَالَ : وَكَانَ فِي عَمَيْةٍ

(١) الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ لَا يَنْافِي التَّوْكِلَ ، فَسِيدُ الْمُتَوَكِّلِينَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَدْرَعَ بِدَرَعَيْنِ ، وَلَبِسَ الْمَغْفِرَ وَالْبَيْضَةَ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ .. كَانَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَدْ لَبِسَ الْمَغْفِرَ ، وَفِي أُحُدٍ لَبِسَ الْأَلْمَةَ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَخُذُّوا حَذْرَكُمْ » وَقَالَ تَعَالَى : « وَأَعْذُّوْهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ قَنْ قُوَّةً وَمِنْ رِبَاطِ الْأَعْيُلِ » .

الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي ، فكمروا لنا في شعابه وأحناهه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ؛ ما راعنا ونحن منحطون إلّا الكتاب قد شدّوا علينا شدّة رجل واحد ، وانشرم الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد ، وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثمَّ قال : « أيُّها الناس ؛ هلمُوا إلَيَّ ، أنا محمد بن عبد الله » قال : « فلأيِّ شيء حملت الإبل بعضها على بعض » فانطلق الناس ، إلَّا أنَّه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، وفيمن ثبت معه من المهاجرين : أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته : علي ، والعباس ، وأبو سفيان بن الحارث ، وابنه جعفر ، والفضل بن عباس ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن أمِّيْن ، قتل يومئذ .

واعلم : أنَّ هذا يبيّن سبب انكشاف المسلمين ، وأنَّ انكشافهم كان بمجرد التلاقي ، وهو ما وقع عند ابن سعد ، وهو مخالف لما رواه البخاري من حديث البراء ، وهو : (أنَّ هوازن كانوا رُمَّة ، ولمَّا حمل المسلمون عليهم .. كشفوهم ، فأكْبُوا على المغانم ، فاستقبلوهم بالسهام) وهذا صريح في أنَّهم لم يفروا بمجرد التلاقي ، بل قاتلوا المشركين حتى كشفوهم ، واشتغلوا بالغنيمة ، قال في « شرح المواهب » إثر هذا : (وذكر الحافظ السبّيْن ، ولم يجمع بينهما) .

فَاسْتَنْفَرُوا بِهِمْ لِذَلِكَ الرِّكَابْ
وَأَدْبَرْتُ تَخْدِي بِهِمْ غُلْبُ الْرِّقَابْ
وَاسْتَنْزَلُوا وَأَدْرَعُوا وَهِيَ تَمُرْ
مَرَّ جَهَامٍ بِالْبَهَالِلِ نُفُرْ

قلت : وسكت عنه الزرقاني ، وسكته يدل على أنه لم يظهر له وجه الجمع ، وقد نصوا على أنه عند عدم إمكان الجمع يُصار إلى الترجيح ، ومعلوم أنَّ ما في الصحيح مقدم على ما في غيره ، والله أعلم .

ترجيح الشارح بين الروايات المتعارضة

ثمَّ فَرَعَ الناظم على ما تضمَّنه هذا البيت ، فقال :

(فاستنفروا) أي : هوازن ؛ أي : فعلوا ما أوجب النفور للإبل (بهم) أي : بال المسلمين (لذلك) أي : لأجل شدهم عليهم والمسلمون غافلون ، ومفعول (استنفروا) قوله : (الركاب) أي : فعلوا بال المسلمين ما أوجب نفور الإبل بهم (وأدبرت) غُلْبُ الرقاب (تخدِي) أي : تسرع (بهم) أي : بال المسلمين وهم عليها (غُلْب) بضم الغين المعجمة ، وسكون اللام ، وإضافته إلى (الرقب) أي : الإبل الغلاظ ، وهو فاعل تنازع فيه (أدبر) و(تخدِي) .

(واستنزلوا) أي : وطلب المسلمين النزال ، أي : دعوا نزال نزال (وادرعوا) أي : لبسوا دروعهم ، وأخذوا أسلحتهم ، وأصله : اتدرعوا (وهي) أي : غلب الرقاب (تمر) أي : حال كونها تسير (مر) أي : سيرًا كسير (جهاز) بفتح الجيم ؛ أي : السحاب الذي أهربت ما ذرها (بالبهالل) جمع بُهلول ؛ أي : بالسادة الكرام ، وقوله : (نُفُر) بضم

النون والفاء ، خبر قوله : (وهي) أي : فعلوا ما ذكر وهي باقية على نفورها ، كما علم من التقرير .

رجوع المسلمين إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد التفرق ثم انتصارهم :

(فاقْتَحَمُوا)^(١) أي : رمي المسلمين بأنفسهم (عنها) أي : عن الإبل لما أبصروا رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام (وأبوا) أي : رجعوا (للَّهِيْ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومعه الذين ثبتو (وَرَحْزَحُوا) أي : دفعوا (عنه) أي : عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (زُحْوَفَ) جمع زحف ؛ أي : جيش (العرب) أي : هوازن .

ويشير الناظم إلى ما رواه ابن إسحاق قال : (حدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عن كثير بن العباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : إِنِّي لَمَعْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْذَ بِحِكْمَةٍ^(٢) بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ ، قَدْ شَجَرْتَهَا بِهَا ، قَالَ : وَكُنْتَ امْرَأً جَسِيمًا شَدِيدَ الصَّوْتِ ، قَالَ : وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) قال في «الصحاح» : (قحم في الأمر قحوماً : رمي بنفسه فيه من غير روية) . (مادة قحم) .

(٢) حكمة : بفتحات ، قال في «الصحاح» : حكمة اللجام : ما أحاط بالحنك ، تقول منه : حكمت الدابة حكماً ، وأحكمتها أيضاً ، وكانت العرب تتخذها من القد والأبق ؛ لأنَّ قصدهم الشجاعة لا الزينة ، وقال زهير :

القائدُ الْخَيْلَ مِنْ كُوبَا دَوَابِرَهَا
قد أحكمت حكمات القد والأبق
والقد بالكسر : سيرْفُدَ من جلد غير مدبوغ .
والأبق بالتحريك : القنب .

وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : « أين أئتها الناس ؟ » فلم أر الناس يلتوون على شيء ، فقال : « يا عباس ؛ اصرخ : يا معاشر الأنصار ، يا أصحاب السمرة » قال : فأجابوا لبيك ، لبيك ، قال : فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ، ويقتحم عن بعيره ويخلّي سبيله ، فيؤم الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مئة .. ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا .

وكانت الدعوة أول ما كانت : يا للأنصار ، ثم حَلَّتْ أخيراً : يا للخرج ، وكانوا صُبُراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه ، فنظر إلى مجتَلَّدَ القوم وهم يجتلدون فقال : « الآن حمي الوطيس »^(١) اهـ

(١) أي : اشتد الحرب ، وهذا من الأمثال التي قالها صلى الله عليه وسلم ولم يسبق إليها .

أمثال النبي صلى الله عليه وسلم التي لم يُسبق إليها

قال الحافظ مغلطاي : (وأمثاله صلى الله عليه وسلم التي لم يسبق إليها كثيرة ، كقوله عليه السلام : « حمي الوطيس » ، و « لا ينفع فيها عزان » و « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » ، و « كل الصيد في جوف الفرا » و « الحرب خدعة » و « لا تجني على المرء إلَّا يده » و « الشديد من غالب نفسه » و « ليس الخبر كالمعاينة » و « المجالس بالأمانة » و « اليد العليا خير من اليد السفلية » و « البلاء موكل بالمنطق » و « الناس كأسنان المشط » و « ترك الشر صدقة » و « أي داء أدواء من البخل » و « الأعمال بالنيات » ، و « الحباء خير كله » و « اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع » و « سيد القوم خادمهم » و « فضل العلم خير من فضل العبادة » و « الخيل =

وَمَا زَالَ الْقَوْمُ يَجْتَلِدُونَ حَتَّىٰ أَسْفَرَتِ الْهَزِيمَةَ عَلَىٰ
هَوَازِنَ ، وَرَجَعَتِ رَاجِعَةُ النَّاسِ حَتَّىٰ وَجَدُوا الْأَسْارَى مَكْبُولِينَ
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قصة أم سليم بنت ملحان :

قال ابن إسحاق : (وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّفَتَ فَرَأَىٰ أُمَّ سَلَيمَ بَنْتَ
مَلْحَانَ ، وَكَانَتْ مَعَ زَوْجِهِ أَبِي طَلْحَةَ ، وَهِيَ حَازِمَةٌ وَسَطْهَا
بَرْدٌ لَهَا ، وَإِنَّهَا لَحَامِلٌ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، وَمَعَهَا جَمْلٌ
أَبِي طَلْحَةَ وَقَدْ خَشِيتَ أَنْ يَعْزِزَهَا الْجَمْلُ^(١) ، فَأَدَنَتْ رَأْسَهُ
مِنْهَا ، فَأَدْخَلَتْ يَدَهَا فِي خِزَامَتِهِ^(٢) مَعَ الْخِطَامِ ، فَقَالَ لَهَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُمَّ سَلَيمٌ » قَالَتْ : نَعَمْ ،
بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُقْتَلَ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْهَا مُونَ عَنْكَ
كَمَا تُقْتَلُ الَّذِينَ يَقْاتِلُونَكَ ؛ فَإِنَّهُمْ لِذَلِكَ أَهْلٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوَيْكَفِي اللَّهُ يَا أُمَّ سَلَيمٍ ؟ » قَالَ :
وَمَعَهَا خِنْجَرٌ ، فَقَالَ لَهَا أَبُو طَلْحَةَ : مَا هَذَا الْخِنْجَرُ مَعَكَ

فِي نِوَاصِيهَا الْخَيْرُ » وَ« عَدَةُ الْمُؤْمِنِ دِينٌ » وَفِي رَوَايَةٍ : « كَأَخْذَ بِالْيَدِ » وَ« أَعْجَلَ الْأَشْيَاءَ
عَقْوَبَةَ الْبَغْيِ » وَ« إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لِحَكْمَةٍ » وَ« الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ نِعْمَتَانٌ » وَ« نِيَةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ
عَمَلِهِ » وَ« مِنْ غَشْنَا . فَلِيُسْ مَنَا » وَ« الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمِنٌ » وَ« التَّدْمُ تُوبَةً » وَ« حِبْكَ الشَّيْءِ
يَعْمَيْ وَيَصْمِ » وَ« الدَّالُ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلُهُ » إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَمَّا يَطْوِلُ ذَكْرُهُ ، وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ
كَلْمَهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

(١) أَيْ : يَغْلِبُهَا .

(٢) الْخِزَامَةُ : حَلْقَةُ مِنْ شَعْرٍ تَجْعَلُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ .

يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا مني أحد من المشركين .. بعْجُتهُ به ، قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميصاء) .

مدد الملائكة للMuslimين :

ثم أشار الناظم إلى نصر الله رسوله والمؤمنين في هذا اليوم ، بإرسال جند الملائكة ، وبما أظهره على يد حضرة الرسول من المعجزة الكبيرة ، فقال :

(فأرسل الله) مددًا : الملائكة الكرام (جنود الفرج) سموا بذلك ؛ لأنَّهم السبب في كشف ما نزل بالمؤمنين من الهزيمة أول الأمر .

قال ابن إسحاق : (وحدَثني أبي إسحاقُ بن يسار عن جبير بن مطعم ، قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البِجَاد الأسود ، أقبل من السماء حتى سقط بيتنا وبين القوم ، فنظرت فإذا نمل أسود مبorth قد ملأ الوادي ، لم أشك أنَّها الملائكة ، ثمَّ لم يكن إلَّا هزيمة القوم) .

قال الإمام السهيلي : (وقول جبير : لقد رأيت مثل البِجَاد ، يعني : الكسae من النمل مبorthاً ، يعني : رأه ينزل من السماء ، قال : لم أشك أنَّها الملائكة .

وقد قدم ابن إسحاق قول الآخر : رأيت رجالاً بيضاً على خيل بلق ، وكانت الملائكة ، فأراهم الله لذلك الهوازني على

صور الخيل والرجال ترهيباً للعدو ، وأراهم جبirs على صورة النمل المبثوث إشعاراً بكثرة عددها ؛ إذ النمل لا يستطيع عددها ، مع أنَّ النمل يضرب بها المثل في القوة فيقال : أقوى من النملة ؛ لأنَّها تحمل ما هو أكبر من جرمها بأضعاف ، وقد قال رجل لبعض الملوك : جعل الله قوتك قوة النملة ، فأنكر عليه ، فقال : ليس في الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلَّا النملة ، وهذا المثل ذكره الأصبهاني في كتاب «الأمثال» مقرروناً بهذا الخبر ، وقد أهلك بالنمل أُمّة من الأمم وهم جُرْهم .

قال في «المواتب» عن الدمياطي في «سيرته» : (إنَّ سيماء الملائكة يوم حنين عمامهم حمر ، أرخوها بين أكتافهم .

رمي الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجوه المشركين بالحصباء :

(وبقضة الترب) بضم القاف ، على أنَّ المراد ما حوطه الكف من الحصباء ، وعلى أنَّ المراد المصدر بفتح القاف (قضت) وحكمت (بالفلج) بفتح الفاء واللام ؛ أي : بالظفر والنصر للمؤمنين ، وبالهزيمة للمشركين ، وذلك لأنَّه لما نظر إلى القوم وهو يجتلدون وقال : «الآن حمي الوطيس» ، وزاد في رواية : «أنا النَّبِيُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب» .. أخذ حصبات من الأرض وكان على بغلته البيضاء ، فرمى بها أوجه الكفار ، ثم قال : «انهزموا وربَّكم محمد» قال العباس فما زلت أرى حدهم كليلاً ، وأمرهم مدبراً .

قال في «شرح المواهب» : (روى أبو القاسم البغوي والبيهقي وغيرهما عن شيبة قال صلى الله عليه وسلم : «يا عباس ؛ ناولني من الحصباء» ، فأقعد الله البغة ، فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الأرض ، فتناول من البطحاء ، فحثا به في وجوههم ، وقال : «شاهدت الوجوه ، حم لا ينصرون» .

وفي رواية لمسلم : (ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل به وجوههم فقال : «شاهدت الوجوه» فما خلق الله منهم إنساناً .. إلّا ملأت عينه تراباً تلك القبضة ، فولوا منهزمين) .

وروى البخاري في «التاريخ» والبيهقي عن عمرو بن سفيان قال : (قبض صلى الله عليه وسلم يوم حنين قبضة من الحصى ، فرمى بها وجوهنا ، فما خيل إلينا إلّا أنّ كل حجر وشجر وفارس يطلبنا) .

معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم :

قلت : وفي هذا من المعجزات وجوه :

منها : تسخير البغة له صلى الله عليه وسلم ، ووقفها تحت إرادته ، حتى إذا قصد الأرض ليأخذ منها الحصيات .. انخفضت له ، وفي ضمن هذا ما هو معلوم من كمال شجاعته عليه الصلاة والسلام ؛ إذ البغة ليست من مركوب الحرب ، ولا تصلح للكر والفر .

تسخير البغة لرسول
الله صلى الله عليه
وسلم

نداوٰه بمسمع من
عدوٰه

ومنها : نداوٰه بمسمع من عدوٰه بقوله : « أَنَا النَّبِيُّ
لَا كَذَبٌ . . . » إِنَّمَا أَدَارَ رَحْمَةَ الْحَرْبِ عَلَيْهِ
وَمِنْ أَجْلِهِ ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ عِنْهُمْ بِالْقِتَالِ ، ثُمَّ هُوَ يُرِيهِمْ مَكَانَهُ
وَلَا يَبَالِي ؛ اعْتِمَادًا عَلَى مَوْلَاهُ الَّذِي عَوَدَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِ فِي
غَيْرِ مَوْضِعٍ .

أَثْرُ الْحَصَبَاءِ فِي
صَفَوْفِ الْمُشْرِكِينَ

ومنها : ذَلِكَ الْأَثْرُ الْكَبِيرُ الَّذِي فَعَلَهُ الْحَصَبَاءُ لِمَا انتَشَرَتْ
فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ عَلَى قَلْتَهُ الْحَصَبَاءِ .

ومنها : إِخْبَارُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهَزِيمَةِ الْقَوْمِ ، وَقَدْ
وَقَعَتْ . وَأَشَارَ الْعَارِفُ^(١) إِلَى مَا فَعَلَتْ تَلْكَ الْحَصَبَيَاتُ بِقَوْلِهِ :

رَمَى بِالْحَصَبَى فَأَقْصَدَ جَيْشًا
مَا الْحَصَبَى عَنْهُ وَمَا إِلَقاءُ

قال في « الإِمْتَاعِ » : (وَكَانَ الرُّعْبُ الَّذِي قَذَفَ اللَّهُ فِي
قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ كَوْقَعَ الْحَصَبَاءُ فِي الطَّسْتِ لِهِ طَنِينٌ ،
فَيَجِدُونَ فِي أَجْوَافِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَلَمَّا رَمَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ الْكَفَ من الْحَصَبَى . . . لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ إِلَّا وَهُوَ يَشْكُوُ الْقَذَى فِي عَيْنِيهِ ، وَيَجِدُونَ فِي
صَدُورِهِمْ خَفْقَانًا كَوْقَعَ الْحَصَبَاءُ فِي الطَّسْتِ مَا يَهْدِأُ ذَلِكَ ،
وَرَأَوْا رِجَالًا بَيْضًا عَلَى خَيْلٍ بَلْقَ عَلَيْهِمْ عَمَائِمَ حَمْرَ قَدْ أَرْخَوْهَا
بَيْنَ أَكْنَافِهِمْ ، وَهُمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَتَائِبٍ كَتَائِبٍ ، فَمَا
كَانُوا يَسْتَطِعُونَ أَنْ يَتَمَلَّوْهُمْ مِنَ الرُّعْبِ) .

(١) يَعْنِي الْبَوْصِيرِيَّ رَحْمَهُ اللَّهُ .

حديث أبي قادة
الأنصاري عمّا جرى
له في المعركة

حكم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنّ من قتل قتيلاً فله سلبه :

وفي هذا اليوم قال صلى الله عليه وسلم : « من قتل قتيلاً له عليه بينة .. فله سلبه » فعن ابن إسحاق قال : (حديثي عيد الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن أبي قتادة الأننصاري ، قال : وحديني من لا أنهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بني غفار أبي محمد ، عن أبي قتادة قالا : قال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان : مسلماً ومشركاً ، قال : وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم ، قال : فأتيته فضربت يده فقطعها ، واعتنقني بيده الأخرى ، فوالله ؟ ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم - ويروى : ريح الموت - وكاد يقتلني ، فلولا أنّ الدم نزفه .. لقتلني ، فسقط فضربيه فقتله ، وأجهضني عن القتال ، ومرّ به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل قتيلاً .. فله سلبه » قلت : يا رسول الله ؟ والله لقد قتلت قتيلاً ذا سلب ، فأجهضني عنه القتال ، فما أدرني من استله ، فقال رجل من أهل مكة : صدق يا رسول الله ، سلب ذلك القتيل عندي ، فأرضه عني من سلبه ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : لا والله لا يرضيه منه ، تعمد إلىأسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلبه ؟ ! اردد عليه سلب قتيله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق ، اردد عليه سلبه » فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبنته ، فاشترت بثمنه مخرفاً ، فإنه

حكم الصديق رضي
الله عنه دفع سلب
المقتول لقاتله

لأول مال اعتقدته) اهـ ، أـيـ : جعلـته عـقدـة ، وـفـي الصـحـيـحـ :
(فـكـانـ أـوـلـ مـالـ تـأـثـلـتـهـ فـيـ الإـسـلـامـ) .

هزيمة المشركين :

قال في « روض النهاة » : (ولـمـاـ انـهـزـمـ هـواـزـنـ ..
استـحـرـ القـتـلـ منـ ثـقـيفـ فـيـ بـنـيـ مـالـكـ قـتـلـ مـنـهـمـ سـبـعـونـ رـجـلـ ،
وـاسـتـمـرـ أـيـضـاـ فـيـ بـنـيـ نـصـرـ بـنـ مـعـاوـيـةـ ، ثـمـ فـيـ بـنـيـ رـبـابـ قـبـيلـةـ
مـالـكـ بـنـ عـوـفـ ، فـذـكـرـ ذـلـكـ لـلـنـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ،
فـقـالـ : « اللـهـمـ اجـبـرـ مـصـيـبـتـهـمـ » وـلـعـلـ ذـلـكـ بـعـدـ أـنـ أـسـلـمـواـ ؛
لـأـنـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـاـ يـدـعـوـ لـلـمـشـرـكـيـنـ ، بـلـ يـدـعـوـ
عـلـيـهـمـ .

المحادثة بين دريد بن
الصمة وقاتلـهـ من
الأنصار

وقـتـلـ درـيـدـ بـنـ الصـمـةـ كـافـرـاـ ، وـيـرـوـىـ : أـنـ الـذـيـ قـتـلـهـ مـنـ
الـأـنـصـارـ ، وـأـنـهـ قـالـ : ضـرـبـتـهـ بـسـيفـ فـلـمـ يـغـنـ شـيـئـاـ ، فـنـاـولـنـيـ
سـيفـهـ ، فـقـالـ : اضـرـبـنـيـ بـهـذـاـ ، وـارـفـعـ عـنـ الـعـظـامـ ، وـاحـفـظـ
الـدـمـاغـ ؛ فـلـأـنـيـ كـنـتـ كـذـلـكـ أـضـرـبـ الرـجـالـ ، قـالـ : وـرـأـيـتـ بـيـنـ
رـجـلـيـهـ كـرـكـبةـ الـبـعـيرـ مـنـ طـوـلـ رـكـوبـ الـخـيلـ ، وـأـنـ الـذـيـ قـتـلـهـ
رـبـيـعـةـ بـنـ رـفـعـ الـسـلـمـيـ ، وـأـنـ درـيـدـاـ قـالـ لـهـ لـمـاـ عـلـمـهـ الضـرـبـ :
وـإـذـاـ أـتـيـتـ أـمـكـ .. فـقـلـ لـهـ : أـنـاـ قـتـلـتـ درـيـدـ بـنـ الصـمـةـ ، فـرـبـتـ
يـوـمـ وـالـلـهـ مـنـعـتـ فـيـهـ نـسـاءـكـ ، فـلـمـاـ رـجـعـ رـبـيـعـةـ إـلـىـ أـمـهـ
وـأـخـبـرـهـاـ .. قـالـتـ : لـقـدـ أـعـتـقـ أـمـهـاتـ لـكـ ثـلـاثـاـ ، وـقـيـلـ : إـنـ
الـذـيـ قـتـلـهـ الزـبـيرـ بـنـ الـعـوـامـ .

وَثَبَّتْ مَعَ الْتَّبَّيِّ طَائِفَةٌ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَمِنْ أَلْفَهُ
حَيْدَرَةُ وَالْعُمَرَانِ وَأَبُو
سُفِيَّانَ جَعْفَرُ أَبْنُهُ الْمُتَخَبُ
وَأَعْمَلُهُ أَسَامَةُ الْأَكْيَاسُ
وَأَعْمَلُهُ رَبِيعَةُ الْعَبَّاسُ

ذكر بعض من ثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم هوازن :

ثم أراد الناظم أن يذكر من وقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم هوازن فقال : (وثبت مع النبي) صلى الله عليه وسلم في يوم هوازن (طائفة) ، في الأصل القطعة من الشيء ، قال في الصحاح عن ابن عباس رضي الله عنهمما في قوله تعالى : ﴿ وَلَيَشَهَدَ عَذَابَمَا طَلَّقَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الطائفة : الواحد بما فوقه . والمراد هنا جماعة (من أهل بيته) الكرام ، قال في « روض النهاة » : (وعنهم هنا : بني عبد المطلب وموالיהם) (وممن ألفه) بكسر اللام من مهاجري قريش ، ثم أخذ في تعينهم ، لا على سبيل اللف والنشر المرتب فقال :

(حيدرة) وهو : لقب سيدنا علي رضي الله عنه كما تقدم (وال عمران) : أبو بكر و عمر رضي الله عنهمما ، (وأبو سفيان) بن الحارث ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقدم الكلام عليه وترجم آنفًا ، و (جعفر ابنه) أي ابن أبي سفيان بن الحارث (المختب) المختار ، صفة مدح .

(وعمه) أي : عم جعفر بن أبي سفيان ، وهو (ربعة) بن الحارث ، أخو أبي سفيان المذكور ، و (العباس) بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ،

علي بن أبي طالب
والعمران وأبو سفيان
بن الحارث من ثبت

وهو الذي نادى بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان
عالي الصوت : (يا معاشر الأنصار ، يا معاشر أصحاب
السّمرة) كما تقدم .

البهاء والسعاء والفقه
في دار العباس

(وفضله) أي : فضل بن العباس ، أضيف إليه ؛ لأنَّه أكبر
أولاده ، وبه كان العباس يكتنِ ، وهو من أبهى قريش ، ومن ثمَّ
قيل : من أراد البهاء والسعاء والفقه .. فليأت دار العباس ،
فالبهاء للفضل ، والسعاء لعيid الله ، والفقه لعبد الله .

أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، الْحَبْ بْنُ الْحَبْ (الْأَكِيَّاسُ) جَمْعُ
كَيْسٍ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ الْمُكْسُورَةِ ، صَفَةٌ مَدْحُ لِأُولَئِكَ السَّادَةِ ،
بِمَعْنَى الظَّرْفَاءِ الْعَقْلَاءِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ثَبَّتُوا ، فَكَانَ ثَبَّاتُهُمْ
وَثَبُوتُهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَظَهِّرًا مِنْ مَظَاهِرِ
كِيَاسِتِهِمْ .

أَيْمَنُ أَبْنُ أُمَّهِ) أي : ابن أُمِّ أُسَامَةَ ؛ لِأَنَّ أَيْمَنَ بْنَ عَبِيدِ
أُسَامَةَ ، أَمْهُمَا بِرَحْمَةِ الْجَبَشِيَّةِ مَوْلَاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،
وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ كَمَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، يَعْنِي : بَعْدَ أَنْ ثَبَّتَ .

قَصَّةُ شَيْبَةِ بْنِ عُثْمَانَ الْعَبْدَرِيِّ وَإِسْلَامِهِ بَعْدَ قَصْدِهِ الْغَدَرِ
بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(و) مَمَّنْ ثَبَّتَ : (الْعَبْدَرِيُّ)^(١) الْمَنْسُوبُ إِلَى بَنِي
عَبْدِ الدَّارِ وَاسْمُهُ (شَيْبَةُ) بْنُ عُثْمَانَ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ بْنِ

(١) هَذَا يُسَمَّى عِنْدَهُمْ بِالنِّحْتِ كَالْعَبْشَمِيِّ لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، وَعَقْسَيِّ لِعَبْدِ قَيْسٍ وَغَيْرِ ذَلِكِ .

عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ؛ فإنَّه (رام) أي : طلب وقصد ، و(بابه : قال) (غدر) هو ترك الوفاء ؛ أي : أن يغدر بالنبي (خير مصر) صلى الله عليه وسلم .

(فصده) أي : منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم (عمما) أي : عن الغدر الذي (نوى) أي : قصده بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والفتوك به ، حين خرج إلى هوازن ، حتى يكون بزعمه قد أخذ بثار قريش جميعها ، فأعلم الله النبي صلى الله عليه وسلم بذلك (فضربه نبينا) أي : وضع يده الميمونة ، ومسحها على شيبة (في صدره) أي : صدر شيبة (فجذبه) أي : جذب شيبة إليه ، وأعاذه بالله من الشيطان ، فما هي إلَّا لحظة وقد هدى الله شيبة إلى الإسلام بتلك اليد المباركة ، حتى كان في صفوف الثابتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحمون الإسلام .

قال شيبة محدثاً عن إسلامه : (ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الصلالات ، قال : لمَّا كان يوم الفتح .. دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة قلت : أسيير مع قريش إلى هوازن بحُنُّين ، فعسى إن اختلطوا أن أُصيِّب من محمد غرَّة ، فأثار منه ، فأكون أنا الذي قمت بثار قريش كلها ، وأقول لم يبق من العرب والعجم أحد إلَّا أتَّبع محمدًا .. ما اتَّبعته أبداً ، و كنت مُرْصَداً لما خرجت له ، لا يزداد الأمر في نفسي إلَّا قوة .

مسح النبي صلى الله عليه وسلم على صدر شيبة

حديث شيبة رضي الله عنه عن إسلامه

عزمه على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم

نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً
ودعاؤه له

فلما احتللت الناس .. اقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، وأصلحت السيف فدنوت أريد منه ما أريد ، ورفعت سيفي حتى كدت أُسُورُه ، فرفع لي شواط من النار كالبرق يكاد يمسعني ، فوضعت يدي على بصرى خوفاً عليه ، والتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديني : « يا شيب ؛ ادْنُ مني » فدنوت منه ، فمسح صدري ، ثم قال : « اللَّهُمَّ ؛ أعذه من الشيطان » قال : فواهه ؛ لهو كان ساعتئذ أحب إلى من سمعي ، ومن بصرى ونفسى ، وأذهب الله ما كان بي .

صموده دفاعاً عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم

ثم قال : « يا شيب ؛ ادْنُ مني فقاتل » فتقدمت أمامه أضرب بسيفي ، والله أعلم أني أحب أن أقيه بنفسي كل شيء ، ولو لقيت أبي تلك الساعة حياً .. لأوقعت به السيف ، فجعلت ألزمه فيما لزمه حتى تراجع المسلمين ، فكروا كرهاً رجل واحد ، وقربت بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستوى عليها فخرج في إثراهم ، حتى تفرقوا في كل وجه ، ورجع إلى معسكره ، فدخل خباءه ، فدخلت عليه ، ما دخل عليه غيري ؛ حباً لرؤيه وجهه ، وسروراً به ، فقال : « يا شيب ؛ الذي أراد الله بك خيراً مما أردت بنفسك » ثم حدثني بكل ما أضمرته في نفسي مما لم أكن أذكره لأحد قط ، فقلت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، ثم قلت : استغفر لي ، قال : « غفر الله لك » ودفع إليه وإلى ابن عمه عثمان مفاتيح الكعبة وقال : « خذوها خالدة تالدة إلى يوم القيمة ، لا يتزعها منكم إلَّا ظالم » .

كشف النبي صلى الله
عليه وسلم ما أضمره
شيء لاغتياله

دفع النبي صلى الله
عليه وسلم مفاتيح
الкуبة لشيء

واعلم : أنَّ هذه الأبيات الخمسة هي المثبتة في نسختي التي قرأتها وصحتها على شيخي ، المرحوم الشيخ محمد بن عبد الله زيدان ، وعليها شرحت ، وفي نسخة الشيخ حمَّاد الذي شرح عليها مخالفة في اللفظ ، أمَّا المآل .. فواحد ، غير أنَّ في النسخة الأولى زيادة في سبب إسلام شيبة لم تكن في النسخة الثانية ، كما هو ظاهر ، ولفظ النسخة الثانية :

وَثَبَّتْ مَعَ النَّبِيِّ طَافِهْ

مَنْ أَهْلَ بَيْتِهِ وَمَمْنُ أَلْفَهِ

عُمَرَ ذِي الْخِلَالِ شَيْبَةُ ، أَبِي

سَفِيَّانَ وَابْنِهِ وَعَمِّهِ الْأَبِي

حَيْدَرَةُ أُسَامَةُ أَيْمَنُهُ

ثُمَّ أَبُو الْفَضْلِ وَفَضْلُ وَابْنُهُ

وقوله : (عمر) وما بعده بالجر بدل من المجرور في

قوله : (من أهل بيته وممن ألفه) وقوله : (وعلمه) أي : عم

جعفر بن أبي سفيان ، وهو ربيعة بن الحارث أخو

أبي سفيان بن الحارث ، و(الأبي) معناه : الممتنع من

الضيم .

القول في فرار من فَرَّ من الصحابة في هذه الغزوة :

واعلم : أنَّ فرار الباقي من الصحابة في هذه الغزوة ليس فيه عار ؛ لأنَّه إنَّما كان في بادئ الأمر ولم يستمر ، أو لأنَّه كان صورياً ؛ فإنه فرار عن عود .

قال الطبرى - كما في «المواهب» - : (الانهزام المنهى عنه ، ما وقع على غير نية العود ، وأمّا الاستطراد للكرّة.. فهو كالمحيز إلى فئة) .

وقال ابن سيد الناس في «العيون» : (فرارهم قد أعقبه رجوعهم إليه بسرعة ، وقاتلهم معه حتى كان الفتح ، ففي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذَا عَجَّبْتُمْ كَثُرْتُمْ فَمَّا تَغْنَى عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحْبَتْ ثُمَّ وَيَسْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سِكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الظَّالِمِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكُفَّارِ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ كما قال الله تعالى فيمن تولى يوم أُحد : ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ وإن اختلف الحال في الوعترين) .

وفي «الروض» للسّهيلي : (لم يجمع العلماء على أنه من الكبائر إلا في يوم بدر ، وهو ظاهر قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُولِّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ الآية ، ثم أنزل التخفيف في الفارين يوم أُحد ، وهو قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾) .

وفي «تفسير ابن سلام» : (كان الفرار يوم بدر من الكبائر ، وكذا يكون في ملحمة الروم الكبرى ، وعند الدجال) .

والحاصل : أنَّ هذه المعركة أسفرت عن نصر كبير لل المسلمين ، وفتح مبين ، فقد رجع الجيش بعد التفرق إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم بطلب العدو ، فانتهى بعضهم إلى الطائف ، كمالك بن عوف في جماعة من أشراف قومه .

قال في « شرح المواهب » : (إنَّهُ لَمَّا انْهَمُوا . . . وَقَفَ مَالِكُ عَلَى ثَنِيَّةٍ فِي شَبَانَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : قَفُوا حَتَّى يَمْضِي ضَعْفَاؤُكُمْ ، وَيَتَنَاهُ أَخْرَكُمْ ، فَبَصَرُّهُمُ الزُّبُرُ ، فَحَمِلُّهُمْ حَتَّى أَهْبَطُهُمْ مِنَ الثَّنِيَّةِ ، وَهَرَبَ مَالِكٌ إِلَى الطَّائِفِ ، وَيَقُولُ : تَحْصُنُ فِي قَصْرٍ بَلِيلٍ عَلَى أَمِيالٍ مِنَ الطَّائِفِ ، فَغَزَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ كَمَا يَأْتِي ، وَهَدَمَ الْقَصْرِ) .

قال في « المواهب » : (وَاسْتَشَهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةً ، وَمِنْهُمْ أَيْمَنٌ ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ قَتِيلًاً) اهـ

الغنائم والسببي :

ونال المسلمين من الغنائم الشيء الكثير ، فمن الإبل أربعة وعشرون ألفاً ، ومن الغنم أكثر من أربعين ألفاً ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، وسبوا نسائهم وأبنائهم ، وأمر عليه الصلاة والسلام بجمع ذلك في الجعرانة إلى أن يرجعوا من الطائف .

قال في « الإِمْتَاعِ » : (وَانْتَهَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى الْجِعْرَانَةِ لِيَلَةَ الْخَمِيسِ ، لِخَمْسٍ خَلُونَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَالسَّبْيِ وَالْغَنَائِمِ بِهَا مَحْبُوْسَةٌ) وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ :

إبطال محاولة مالك
ابن عوف التجميع
لقومه لإعادة الكرة
على المسلمين

عدد شهداء المسلمين
وقتلى المشركين

جمع الغنائم بالجعرانة

وصوله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة

(وقف) أي : حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم (النبي) الذي سباه من هوازن ، وكانوا ستة آلاف آدمي ، سوى الغنم ، والنعم ، والأموال ، فلم يقسمه ، وإطلاق النبي على الجميع على التغليب .

قال ابن التمساني : (ولا يكون النبي إلا في النساء) نقله عن الخفاجي في « شرح الشفاء » وأمر بالجمع أن يجمع بالجعرانة (إلى أن رجعا) بألف الإطلاق للقاافية (من طائف) أي : من غزوة الطائف ، وإنما فعل ذلك (لعل) أي : رجاء (أن يسترجعها) بالبناء للمجهول ؛ أي : يسترجع النبي أهله ، فيرده لهم ، ولكنه عليه الصلاة والسلام لما ترجى ذلك ، وانتظر أهل النبي بضعة عشر يوماً . لم يفعلوا حتى قسمه في مستحقيه ، ووقيع المقاديم مواقعها .

قدوم وفد هوازن على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورده النبي إليهم :

وبعد ذلك قدم وفد هوازن ، وهم أربعة عشر رجلاً مسلمين ، ورأسمهم زهير بن صرد الخشمي ، وأبو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فقالوا : يا رسول الله ؟ إننا أهل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك .

وقال زهير : يا رسول الله ؟ إنما في الحظائر عماتك وحالاتك ، وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ؛ أي : لأنّ مرضعته صلى الله عليه وسلم حليمة كانت من هوازن ، وقال له

أيضاً : ولو مَلَحْنَا - أي : أرضعنا - للحارث بن أبي شِمْرٍ
- أي : ملك الشام - أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ، ثمَّ
نزل منا بمثل ما نزلت به .. رجونا عطفه وعائدهه علينا ، وأنت
خير المكافلين ، وأنشده أبياتاً يستعطفه صلى الله عليه وسلم
بها ، وهي :

أُمِنْنَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ فِي كَرْمِ
فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ
أُمِنْنَ عَلَى بِيضَّةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرُ
مَمْزَقَ شَمَلَهَا فِي دَهْرِهَا غَيْرُ
يَا خَيْرَ طِفْلٍ وَمَوْلُودٍ وَمَنْتَخَبٍ
فِي الْعَالَمَيْنِ إِذَا مَا حَصَّلَ الْبَشَرُ
إِنْ لَمْ تَدَارِكُهُمْ نَعْمَاءُ تَنْشِرُهَا
يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حَلْمًا حِينْ تُخْبِرُ
أُمِنْنَ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا
إِذْ فُوكَ تَمْلَؤُهُ مِنْ مَخْضُبِهَا الدَّرُرُ
إِذْ كُنْتَ طِفْلًا صَغِيرًا كُنْتَ تَرْضَعُهَا
وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ
لَا تَجْعَلْنَا كَمْنَ شَالْتُ نَعَامَتُهُ

وَاسْتَبْقِ مِنَا فَإِنَّا مَعْشَرَ زُهْرٍ
يَا خَيْرَ مَنْ مَرِحْتُ كُمْتُ الْجِيَادِ بِهِ
عِنْدِ الْهِيَاجِ إِذَا مَا اسْتُوْقِدَ الشَّرَرُ

استعطاف وفد هوازن
للنبي صلى الله عليه
 وسلم شرعاً

إِنَّا لِنَشْكُرُ آلَاءَ وَإِنْ كُفِرْتُ
 وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مُذَخَّرٌ
 إِنَّا نُؤْمِلُ عَفْوًا مِنْكَ تَلْبِسُهُ
 هَذِي الْبَرِيَّةُ إِذْ تَعْفُو وَتَنْتَصِرُ
 فَاعْفُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا أَنْتَ رَاهِبٌ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهَدَى لَكَ الظَّفَرُ
 فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ أَصْدِقُهُ ،
 أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاءُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أُمُّوَالِكُمْ ؟ » فَقَالُوا : مَا كَنَا
 نَعْدِلُ بِالْأَحْسَابِ شَيْئًا ، ارْدَدَ عَلَيْنَا نِسَاءُنَا وَأَبْنَاءُنَا ؛ فَهُمْ أَحَبُّ
 إِلَيْنَا ، وَلَا نَتَكَلَّمُ فِي شَأْنٍ وَلَا بَعْيَرٍ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : « إِذَا أَنَا صَلَّيْتُ الظَّهَرَ بِالنَّاسِ .. فَقَوْمٌ فَقَوْلُوا : إِنَّا
 نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ،
 وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَبْنَائِنَا
 وَنِسَائِنَا » .

رَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ السَّيِّدِ لَهْوَازِنَ
 فَلَمَّا صَلَّى الظَّهَرَ .. قَامُوا فَتَكَلَّمُوا بِمَا أَمْرَوْا بِهِ ،
 فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ أَنْتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ :
 « أَمَّا بَعْدُ : إِنَّ إِخْوَانَكُمْ هُؤُلَاءِ جَاؤُوا تَائِبِينَ ، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنْ
 أُرْدِ إِلَيْهِمْ سَبِّيْهِمْ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَطْبِيبَ بِذَلِكِ .. فَلَيَفْعُلَ ، وَمَنْ
 أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حُظُّهِ حَتَّى نُعْطِيهِ إِيَاهُ مِنْ أَوْلَ مَا يَفْيِئُ
 اللَّهُ عَلَيْنَا .. فَلَيَفْعُلَ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي
 عَبْدَ الْمَطَّلِبِ .. فَهُوَ لَكُمْ » فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ
 السَّيِّدِ

رضوان الله تعالى عليهم : ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الأقرع بن حابس : أمّا أنا وبنو تميم .. فلا ، وقال عيينة بن حصن : أمّا أنا وبنو فزاره .. فلا ، وقال العباس بن مرداس : أمّا أنا وبنو سليم .. فلا ، فقالت بنو سليم : بلّي ، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال العباس بن مرداس : وهَنْتَمُونِي - أي : أضعفتموني حيث جعلتموني منفراً - ثمَّ ردَّ جميع السبي لأهله ، إلَّا عجوزاً صارت إلى عيينة بن حصن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً ، إنِّي لأحسب أنَّ لها في الحي نسباً ، وعسى أن يعظم فِداؤها ، ثمَّ ردها بعد ذلك بعشر من الإبل ، أخذ ذلك من ولدها بعد أن ساومه فيها مئة من الإبل ، وقال له ولدها : والله ؟ ما ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فوهها ببارد ، ولا صاحبها بواجد - أي : بحزين لفراقها - ولا درها بناكد - أي : ليس لبنيها بغزير - فقال عيينة : خذها ، لا بارك الله لك فيها .

قال ابن برهان في «الحلبية» : (وذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم على من أبى أن يرد من السبي شيئاً أن يُنْجِس ؛ فلَمَّا ولدتها دفع له فيها مئة من الإبل فأبى ، ثمَّ غاب عنه ، ثمَّ مرَّ عليه معرضأً عنه ، فقال : خذها بالمئة ، فقال : لا أدفع إلَّا خمسين ، فأبى ، فغاب عنه ، ثمَّ مرَّ عليه معرضأً عنه ، فقال : خُذْها بخمسين ، فقال : لا أدفع إلَّا خمسة وعشرين ، فأبى ، فغاب عنه ، ثمَّ مرَّ عليه معرضأً عنه فقال :

تمسك بعض القبائل
بحقها في السبي
منعاً لعيبة في
العجوز التي كانت من
نصيبه

خذها بالخمسة والعشرين ، فقال : لا أخذها إلّا عشرة - وفي رواية : إلّا بستة - ولمّا أخذها ولدها.. قال لعبيبة : إنّ رسول الله ﷺ كسى السبي قُبطية قُبطية ، فقال : لا والله ؛ ما ذاك لها عندي ، فما فارقها حتى أخذ لها ثوباً منه ، والقبطية : بضم القاف ثوب أبيض من ثياب مصر) .

قصة الشيماء بنت الحارث :

إكرام الرسول صلى الله عليه وسلم أخته من الرضاع وتخبرها

وقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم الشيماء بنت الحارث السعدية أخته من الرضاع ، وذكرت له أنها أخته من الرضاع ، بعلامة كان عليه الصلاة والسلام يعرفها ، وهي عضة عضها في ظهرها وهي متوركته ، فبسط لها رداءه ، وأجلسها عليه ، وخيّرها بين أن تكون عنده محبة مكرمة ، وبين أن ترجع إلى قومها ممتعة ، قالت : بل تمعني وتردني إلى قومي ، ففعل .

قال في « العيون » : (فزعمت بنو سعد : أنَّه أعطاها غلاماً له اسمه مكحول ، وجارية ، فزوجت إحداهما الآخر ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية ، أسلمت وأسلم أبوها الحارث رضي الله عنهم) .

وإلى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن ، وما لقيت أخته من الرضاع من الكرامة ، والبر بها حسبما يليق بخلقه الشريف ، أشار العارف⁽¹⁾ رضي الله عنه بقوله :

(1) يعني البوصيري رحمه الله .

أَعْطَى عَطَايَا شَهَدَتْ بِالْكَرَمِ يَوْمَئِذٍ لَهُ وَلَمْ تُجْمِحْ

مَنْ فَضْلًا عَلَى هَوَازِنَ إِذْ كَانَ
نَّ لَهُ قَبْلَ ذَاكَ فِيهِمْ رِبَاءُ
وَأَتَى السَّبَبُ فِيهِ أُخْتُ رَضَاعَ
وَضَعَ الْكُفُرُ قَدْرَهَا وَالسَّبَبُ
فَجَاهَا بِرَاً تَوَهَّمَتِ النَّاسُ
سُبْهَ أَنَّمَا السَّبَبُ هِدَاءُ
بَسْطُ الْمُصْطَفَى لَهَا مِنْ رَدَاءٍ
أَيُّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَاكَ الرَّدَاءُ
فَغَدَتْ فِيهِ ، وَهِيَ سِيدُ النَّسَاءِ
سُوَّةِ وَالسِّيَادَاتِ فِيهِ إِمَاءُ

سخاوه صلى الله عليه وسلم في عطایا :

ثُمَّ أَشَارَ النَّاظِمُ إِلَى مَظَاهِرٍ آخَرَ مِنْ مَظَاهِرِ جُودِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ؛ بِقِسْمِ الْأَمْوَالِ الْعَظِيمَةِ ، وَإِعْطَاءِ
الْمُؤْلَفَةِ قُلُوبَهُمْ أَوْلَ النَّاسِ ؛ لِيَرْسَخَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ فَقَالَ :
(أَعْطَى عَطَايَا) جَسَاماً (شَهَدَتْ بِالْكَرَمِ يَوْمَئِذٍ) أَيْ : يَوْمَ
حَنِينَ (لَهُ) أَيْ : لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ
بِقُولِهِ : (شَهَدَتْ) وَالْمَرَادُ بِالْكَرَمِ هُنَا : النَّبُوَّةُ ؛ فَإِنَّهُ لِمَا أَعْطَى
صَفْوَانَ مَا أَعْطَى .. قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؛ فَإِنَّهُ لَا تَطْبِقُ بِهِذَا إِلَّا
نَفْسُ نَبِيٍّ (وَلَمْ تُجْمِحْ) مَعْطُوفٌ عَلَى قُولِهِ : (شَهَدَتْ)
مَا يَحْوِذُ مِنَ التَّجْمِجمِ ، وَهُوَ أَنْ لَا يَظْهُرَ الْمُتَكَلِّمُ كَلَامَهُ ؛ أَيْ :
شَهَدَتْ بِالْكَرَمِ تَلْكَ الْعَطَايَا شَهَادَةً فَصِيحَةً وَلَمْ تَكْتُمْهَا .

عطاوه السخي صلى
الله عليه وسلم لأبي
سفيان وأبنائه رضوان
الله عليهم

أسماء من أحرزل لهم
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالعطاء

قال الحافظ ابن سيد الناس في « العيون » : (فأعطي
أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ، ومئة من الإبل ، قال : أبني
يزيد ؟ قال : أعطوه أربعين أوقية ، ومئة من الإبل ، قال :
ابني معاوية ؟ قال : أعطوه أربعين أوقية ، ومئة من الإبل ، قال
أبو سفيان - كما في « الإمتاع » - : إنك لكريم ، فداك أبي
وأمي ، والله ؟ لقد حاربتك .. فنعم المحارب كنت ، ثم
سالمتك .. فنعم المسامِل أنت ، جراك الله خيرا - وأعطي
حكيم بن حزام مئة من الإبل ، ثم سأله مئة أخرى فأعطاه .

وأعطي النَّضر بن الحارث بن كلدة مئة من الإبل ، وأعطي
أُسَيدَ بن جارية الثقفي مئة من الإبل ، وأعطي العلاء بن جارية
الثقفي خمسين بعيرا ، وأعطي مخرمة بن نوفل خمسين بعيرا .

وأعطي الحارث بن هشام مئة من الإبل ، وأعطي سعيد بن
يربوع خمسين من الإبل ، وأعطي صفوان بن أمية مئة من
الإبل ، وأعطي قيس بن عدي مئة من الإبل . وأعطي عثمان بن
وَهَبَ خمسين من الإبل .

وأعطي سهيل بن عمرو مئة من الإبل ، وأعطي
حويطب بن عبد العزى مئة من الإبل ، وأعطي هشام بن عمرو
العامري خمسين من الإبل ، وأعطي الأقرع بن حابس التميمي
مئة من الإبل ، وأعطي عيينة بن حصن مئة من الإبل ، وأعطي
مالك بن عوف مئة من الإبل .

وَكَيْفَ لَا وَمُسْتَمْدُ سَيِّدِهِ مِنْ سَيِّدِ رَبِّ ذِي عِنَادِيَةِ بِهِ

وأعطى العباس بن مردارس أربعين من الإبل ، فقال في ذلك شرعاً ، فأعطاه مئة من الإبل ، ويقال : خمسين .

وأعطى ذلك كله من الخمس ، وهو أثبت الأقاويل عندنا ، ثمَّ أمر زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم ، ثمَّ فضها على الناس ، فكانت سُهْمَانُهُمْ لكل رجل أربعاً من الإبل أو أربعين شاة ، فإن كان فارساً . أخذ اثنين عشرة من الإبل ، أو عشرين ومئة شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس واحد . لم يسهم له .

عطایاہ صلی اللہُ علیہ
وسلّم من الخمس
الخاص به

(وكيف لا) يعطي هذا العطاء الجم وأشباهه (ومستمد) أي : والحال أنَّ مأخذ (سيبه) بفتح الأول ؛ أي : عطائه (من سبب) أي : من عطاء (رب ذي عنابة به) صلی اللہ علیہ وسلم ! وإنْ فلا غرابة في ذلك ؛ فقد أعطاه الله الدنيا والآخرة ، وهو يعطي ما شاء لمن شاء ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيْكَ رَبُّكَ فَتَرَضَّنَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَعَمَرْكَ إِنَّهُمْ لَفِي سُكُونٍ يَعْمَهُونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنَّ عنابة الله تعالى بسيدنا ونبينا صلی اللہ علیہ وسلم فوق عناته بغيره من الأنبياء والمرسلين ؛ فإنه تعالى لم يقل مثل ذلك لغيره من النبئين .

أقول : ولو لم يكن من كرمه وجوده عليه ألف صلاة ، وألف سلام إلَّا وقوفه في ذلك اليوم العظيم ، الذي يكون كل واحد مهتماً فيه بنفسه ، والأنبياء تقول : نفسي نفسي ، وهو

مظاهر كرم رسول الله
صلی اللہُ علیہ وسلم

عليه الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ : « أَمْتَيْ أَمْتَيْ » حَتَّى يَخْرُجَ ساجِدًا لِللهِ تَعَالَى ، وَيَلْهُمْهُ اللَّهُ مَا يَلْهُمْ مِنَ الشَّنَاءِ الْحَسَنِ ، فَيَقَالُ لَهُ : ارْفِعْ رَأْسَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاسْفُعْ تُشْفَعَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَشْفَعُ لِلْأُمَّةِ ، لَا بَلْ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِإِرْاحَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْهَائِلِ الْعَظِيمِ .. لَكْفَى .

وَفِي بَعْضِ نَسْخِ « الشَّفَاءِ » : (قَدْ قَالَ أَبُو عَلِيِ الدَّفَاقَ ، مِنْ شِيُوخِ الْمَتَصُوفَةِ الْمَشَاهِيرِ وَعُلَمَائِهِمُ النَّحَارِيرِ ، وَتَكَلَّمُ فِي الْفَتْوَةِ ، وَهِيَ غَايَةُ الْكَرَمِ وَالْإِيَّارِ ، عَلَى رَأْيِهِمْ وَاصْطِلَاحِهِمْ فِي أَلْفَاظِهِمْ : إِنَّ هَذَا الْخَلْقَ لَا يَكُونُ بِكُمَالِهِ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنْ كُلُّ أَحَدٍ فِي الْقِيَامَةِ يَقُولُ : نَفْسِي نَفْسِي ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « أَمْتَيْ أَمْتَيْ » فَلَوْلَمْ يَكُنْ مِنْ كَرْمَهِ إِلَّا هَذَا .. لَكْفَى ، وَكَفَى) .

وَأَظُنَّ أَنَّهُ لَا يَنْازِعُ فِي هَذَا أَحَدٌ ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِمَنْهُ وَكَرْمِهِ وَجُودِهِ ، وَبِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ يَجْعَلَنَا وَوَالَّدِينَا وَمَشَائِخَنَا وَأَحْبَابَنَا مَمَّنْ كَتَبَتْ لَهُ الْعِنَاءُ وَالسَّعَادَةُ ، وَأَنْ يَدْخُلَنَا فِي شَفَاعَتِهِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَمِينٌ .

قَالَ الشَّيْخُ حَمَادُ فِي « رَوْضَ النُّهَاةِ » : (أَنْشَدَ النَّاظِمُ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ : « وَكَيْفَ لَا وَمُسْتَمْدِ سَيِّبِهِ » الْبَيْتُ ، الْفَقِيْهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُخْتَارِ بْنِ الْفَغَّ مُوسَى ، فَقَالَ : أَنَا ضَامِنُ لَكَ الْجَنَّةَ بِهَذَا الْبَيْتِ وَلَوْلَمْ يَكُنْ لَكَ غَيْرُهُ مِنْ عَمَلٍ ، ثُمَّ أَوْصَانِي

اعطى عطايا أخجلت دلخ الديم
إذ ملأت رحب الفضا من النعم
زهاء الْفَيْ نَاقَةٌ مِنْهَا وَمَا
مَلَأَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ غَنَمَّا
لِرَجُلٍ وَبَلْهَ مَا لِحَلَّةٍ
مِنْهَا وَمِنْ رَقِيقِهِ وَوَرِيقَهُ

رحمه الله تعالى إن أنا مث.. فاكتبه في رقعة وادفنه معى ،
ولم أحضر مصييتنا به) اهـ

عطاؤه صلى الله عليه وسلم للمؤلفة قلوبهم :

ولمَّا كَانَ الْمَقَامُ مَقَامُ إِطْنَابٍ .. أَخْذَ النَّاظِمَ فِي تَفْصِيلٍ
بَعْضَ مَا أَجْمَلَهُ ، فَقَالَ :

(أعطى عطايا أخجلت) وأدهشت لعظمها (دلخ) بضم
فسكون ، جمع دلوح ، قال في « الصحاح » : (وسحابة
دلوح : كثيرة الماء ، وسحائب دلح مثل قدوم وقدم) وهي
 مضافة إلى قوله : (الْدِيْم) بكسر الدال وفتح المثناة التحتية ؛
أي : السحاب الغزيرة بالماء جمع ديمة ؛ فإنَّ تلك العطايا
لعظمها وسماحة نفس معطيها ، أوجبت محبته عليه الصلاة
والسلام ، والدخول في حظيرة الإسلام ، فأي مناسبة في جوده
المدرار وجود الديم الغزار (إذ ملأت) عطاياه (رحب الفضا)
بالقصر للضرورة ، وهو ما اتسع من الأرض ، وهو من إضافة
الصفة للموصوف ؛ أي : ملأت الفضاء الربح (من النعم)
الإبل والبقر والغنم .

(زهاء) بضم الزياء ؛ أي : مقدار (الْفَيْ نَاقَةٌ مِنْهَا)
أي : من النعم أعطاها للمؤلفة قلوبهم كما تقدم ، (وما)
أي : وزهاء الذي (مَلَأَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ غَنَمَّا لِرَجُلٍ) هو صفوان بن

عطاؤه صفوان بن أمية
رضي الله عنه

أمّيَّة ؛ فإنَّه أَعْطَاه ذَلِك ، وَأَعْطَاه مِئَة نَاقَة ، وَكَانَ هَرْبَ يَوْمَ الفَتْح ، وَأَمَّنَه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعْثَ إِلَيْهِ مَعَ وَهْبَ بْنِ عَمِيرٍ بِرَدَائِه - أَوْ بِرَدَه - أَمَانًا لَه ، فَانْصَرَفَ صَفَوَانَ مَعَ وَهْبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى وَقَفَ ، وَنَادَاهُ فِي جَمَاعَةِ النَّاسِ : يَا مُحَمَّدَ ؛ إِنَّ هَذَا وَهْبَ يَزْعُمُ أَنَّكَ أَمْتَنِي عَلَى أَنْ أَسِيرَ شَهْرِيْن ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « انْزِلْ أَبَا وَهْبٍ » فَقَالَ : لَا ، حَتَّى تَبَيَّنَ لِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « انْزِلْ ، فَلَكَ مَسِيرَةُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ » وَلَمَّا أَعْطَاهُ مَا أَعْطَاهُ وَأَكْثَرَ . قَالَ : أَشْهُدُ بِاللَّهِ ؛ مَا طَابَتْ بِهَذَا إِلَّا نَفْسُ نَبِيِّ ، فَكَانَ سَبَبُ إِسْلَامِهِ .

ما سُئلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي « صَحِيفَةِ أَنْسٍ » عَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ ، وَلَقَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنِمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا قَوْمَ أَسْلَمُوا ؛ فَإِنَّ مُحَمَّداً يَعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَسْلِمُ مَا يَرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا ، فَمَا يَلْبِثُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا .

(وَبِلْهُ) بفتح الباء ، اسم فعل أمر بمعنى : دَعْ (ما) أي : الَّذِي أَعْطَاهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ (لِحَلْقَهُ) بكسر الحاء وفتح اللام : جَمِيع حَلْقَةٍ ؛ أي : لِقَوْمِهِ وَجَمَاعَتِهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمَطَّلِبِ (مِنْهَا) أي : مِنْ الْغَنَمِ (وَمِنْ رَقِيقِهِ وَوَرِقِهِ) أي : فَضْتِهِ .

والحاصل : أنَّ حديث جوده متواتر ، وخبر كرمه مستفيض مشهور ، وعن البحر حَدَّثَ ولا حرج .

عطاؤه صلى الله عليه وسلم لعمه العباس :

(منها) أي : من العطایا التي أطعها لجماعته من بني هاشم (أفاد) أعطى وأکسب (العم) وهو العباس رضي الله عنه (ما) أي : الشيء الكثير من المال الكثير الذي (ناء به) أي : ثقل بالعباس أن يحمله على عظيم قوته ، قال في « المختار » : (ناء بالحمل : نهض به مثقلًا ، وناء به الحمل : أثقله)

وطلب العباس من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعينه على حمله فلم يفعل (فهال) أي : صب (منه) أي : من المال في الأرض (عمه عن ثوبه) لايستطيع حمله ؛ إذ لم يجد بُدًّا من ذلك .

وهذا الذي ذكره الناظم هنا فيه نظر ؛ فإنَّ المشهور : أنَّ هذه القضية كانت بالمدينة ، حين ورد مال البحرين على النبي صلى الله عليه وسلم من عامله بها ، وهو العلاء بن الحضرمي ، وكان أكثر مال أتى فشر في المسجد ، فأتاهم العباس رضي الله عنه فقال : أعطني ؛ فإنِّي فاديت نفسي وعقيلاً ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « خذ » فحثا في ثوبه ، ثمَّ ذهب ليقله - أي : ليحمله - فلم يستطع ، فقال : مر من يرفعه عليَّ ، فقال : « لا » فقال : ارفعه أنت عليَّ ، فقال : « لا »

استدراك على الناظم

وَوَكَلَ الْأَنْصَارَ خَيْرَ الْعَالَمِينَ
فَوَجَدُوا عَلَيْهِ أَنْ مَنَعَهُمْ
وَقَالَ قَوْلًا كَالْفَرِيدِ الْمُونِقِ
لِدِينِهِمْ إِذَ الْأَلْفَ الْمُؤْلِفِينَ
فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ مَنْ جَمَعَهُمْ
عَنْ نَظِيمِهِ ضَعُفَ سِلْكُ مَنْطِقِي

فتشر منه ، ثمَّ ذهب يقله فلم يقدر ، فقال له كالأول ، فنشر منه ، ثمَّ احتمله على كاهله وانطلق ، فأتبعه صلى الله عليه وسلم بصره تعجباً منه ! ولم يقم عليه الصَّلاة والسَّلام حتى فرقه ، فلم يبق منه درهم .

موقف الأنصار ورضاهم بما فعل الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بعد خطبته فيهم :

(وَوَكَلَ) بصيغة الماضي المعلوم ؛ أي : سلم (الأنصار
خَيْرَ الْعَالَمِينَ) صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لِدِينِهِمْ) أي : لقوته
ولرسوخه في قلوبهم (إِذَ الْأَلْفَ الْمُؤْلِفِينَ) من قريش وقبائل
العرب بالعطايا ، ولم يعط الأنصار شيئاً .

(فَوَجَدُوا عَلَيْهِ لَـ (أَنْ مَنَعَهُمْ) من ذلك ، وقالوا : يغفر
الله لرسوله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يعطي قريشاً ويتركنا ، وسيوفنا
تقطر من دمائهم ؟ ! فحدث رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن
مقالتهم (فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ مَنْ جَمَعَهُمْ) وهو سعد بن عُبَادَةَ .

فأناهم رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فحمد الله ، وأثنى
عليه بما هو أهل (وقال قَوْلًا) في نفاسته (كالفريد) هو الدر
إذا نظم وفصل بغيره (المونق) الحسن المعجب (عن نظمه)
في هذه الأرجوزة ، وهو متعلق بقوله : (ضَعُفَ سِلْكُ) بكسر
أوله ، في الأصل : الخيط يجعل فيه اللؤلؤ ، وهو مضاد إلى

قوله : (منطقي) وفيه استعارة حيث جعل لمنطقه سلكاً يدخل فيه ما ينظمه من مسائل الفن ، التي هي كالددر .

وأشار بهذا إلى ما ذكره ابن إسحاق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : (لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء .. وَجَدَ هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة ، حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، فدخل عليه سعد بن عبد الله فقال : يا رسول الله ؟ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنفُسِهِمْ ؟ لَمَّا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عَظِيمًا فِي قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء ، قال : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْد ؟ » قال : يا رسول الله ؛ مَا أَنَا إِلَّا مِنْ قَوْمِي ، قال : « فَاجْمِعْ لِي قَوْمِكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ » قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة .

قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا .. أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « يَا مَعْشِرَ الْأَنْصَارِ ؛ مَا قَالَتْ بِلْغَتِنِي عَنْكُمْ ، وَجِدَّهُ وَجَدُّهُمْ هَا عَلَيْ فِي أَنفُسِكُمْ ؟ أَلَمْ آتَكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ ؟ وَعَالَةٌ

فأغناكم الله ؟ وأعداء فأَلَّفَ الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل ، ثم قال : « ألا تجبيوني يا معاشر الأنصار ؟ » قالوا : بماذا نجيك يا رسول الله ؟ الله ولرسوله المتن والفضل ، قال صلى الله عليه وسلم : « أمّا والله ؟ لو شئتم .. لقلتم ولصدقتم : أتيتنا .. - كذا وكذا - أوجدتم يا معاشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعة من الدنيا ، تألفت بها قوماً ليسلُّمُوا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يا معاشر الأنصار أن يذهب الناس بالشأة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده ؛ لو لا الهجرة .. لكنت امراً من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعباً ، وسلكت الأنصار شِعباً .. لسلكت شِعب الأنصار ، اللَّهُمَّ ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار » قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاظهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا .

وفي الصحيح : (أَنَّهُمْ لَمَّا سُئُلُوا : « مَا حَدِيثُ بَلْغَنِي عَنْكُمْ ؟ » قَالَ فَقِهَاءُ الْأَنْصَارَ : أَمَّا رُؤْسَاُنَا .. فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئاً ، وأَمَّا نَاسٌ مِّنَا حَدِيثَ أَسْنَانِهِم .. فَقَالُوا : يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْطِي قَرِيشاً .. إِلَخْ ، وَلَذِكْرُ قَالَ الْحَافِظُ فِي فَوَائِدِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ، بَيْنَ هَذَا الْأَبْرَاجُ الْمُرْحِيمُ وَأَبْنَائِهِ الْبَرَّةِ : مِنْهَا : حَسْنُ أَدْبَرِ الْأَنْصَارِ فِي تَرْكِهِمُ الْمَمَارَةِ ، وَالْمَبَالَغَةِ فِي الْحَيَاءِ ، وَبِيَانِ أَنَّ الَّذِي نَقْلَ عَنْهُمْ إِنَّمَا كَانَ عَنْ شَبَانَهُمْ ، لَا عَنْ شَيْوَخَهُمْ وَكَهْوَلَهُمْ .

.....
وفيه : مناقب عظيمة لهم ؛ لما اشتمل عليه من ثناء
الرسول البالغ عليهم ، وأنَّ الكبير ينبه الصغير على ما يغفل
عنه ، ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق .

وفيه : المعايبة ، واستعطاف المعايب ، وإعتابه عن
عتبه .

وفي الصحيح زيادة : (أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام قال لهم
في خاتمة كلامه معهم : « ستجدون بعدي أثرة شديدة ،
فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله صلَّى الله عليه وسلم ؛ فإنِّي
على الحوض ») اهـ ففيه علَّم من أعلام النبوة ؛ إذ كان ما قال
عليه الصَّلاة والسَّلام .

وقد صحَّ عن جبير بن مُطْعِم رضي الله عنه قال : (بينما
أسير مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ومعه الناس مَقْفَلَةً من
حنين .. عَلِقَت الأعراب برسول الله صلَّى الله عليه وسلم
يُسألونه ، حتى اضطروا إلى سُمُّرة ، فعلقت رداءه - أو كلمة
تشبهها - قال : فوقف رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فقال :
« أعطوني ردائِي ، فلو كان لي عدد هذه العِضَاه نعماً .. لقسمته
بینکم ، ثمَّ لا تجدوني بخِيالاً ، ولا كذوباً ، ولا جباناً ») انظر
« صحيح البخاري » .

بعث أبي عامر الأشعري إلى أوطاس :
ولمَّا دارت الهزيمة على هوازن ، وفرغ عليه الصَّلاة
والسَّلام من حنين .. بعث في طلب الفارين من هوازن إلى

وَأَدْرَكَ الْفَلَّ بِأَوْطَاسَ السَّرِّي
عَمُّ أَبِي مُوسَى الشُّجَاعُ الْأَشْعَرِي
وَفَرَّ عَاشِرٌ لَدَى الْمُبَارَزَةِ
وَغَالَ تَسْعَ إِخْوَةِ مُبَارَزَةِ

مبارزة أبي عامر
 واستشهاده

أو طاس^(١) أبو عامر الأشعري ، وانتهى إليهم فإذا هم مجتمعون ، فقتل منهم أبو عامر تسع إخوة مبارزة وهرب العاشر ، ورمي أبو عامر بسهم قتل ، فأخذ الراية أبو موسى ، فقاتلهم حتى فتح الله عليه ، وهزمهم الله ، وإلى هذه الإشارة يقول الناظم رحمة الله تعالى :

(وأدرك الفلّ) بفتح الفاء ؛ أي : الجماعة المنهزمين ؛
أي : بعضهم ، قال في « القاموس » و « شرحه » : (قوم فلّ) منهزمون ، يستوي فيه الواحد والجمع) (بأوطاس) يتعلّق بأدرك (السري) : الشريف ، وهو فاعل أدرك (عم أبي موسى) على الأشهر الذي قاله في « الفتح » واسمها : عبيد بن سليم بتصغيرهما ، ويكتنّ بأبي عامر (الشجاع الأشعري) صفتان للعم ، وذلك لأنّهم لما انهزموا أتوا الطائف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجّه بعضهم نحو نخلة . . . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عامر في آثار من توجّه قبل أوطاس ، وناوشوه القتال .

(غال) أي : قتل (تسع إخوة) حال كون القتال

(١) ذكر ابن إسحاق : (أنَّ هوازن لما انهزموا . . . سارت طائفة منهم إلى الطائف ، وطائفة إلى نخلة ، وطائفة إلى أوطاس ، فارسل النبي صلى الله عليه وسلم عسيراً مقدمهم أبو عامر الأشعري إلى من مضى إلى أوطاس ، - كما يدل عليه الحديث الصحيح في « البخاري » - ثمَّ توجّه هو وعساكره إلى الطائف) اهـ فوادي أوطاس ، غير وادي حنين .

وَإِذْ تَوَى دَوَّخَهُمْ حَفِيدُهُ وَجَاءَ بِالْفَلَّ وَهُمْ عَبِيدُهُ

(مبارزة) واحداً بعد واحد (وفر عاشر لدى) أي : عند المبارزة .

(وإذ توى) مات أبو عامر ، قيل : رُمي بسهم فقتل ، قال ابن سعد : قتل أبو عامر تسعه مبارزة ، ثمَّ بُرِز العاشر معلماً بعمامة صفراء ، فضرب أبي عامر فقتله (دَوَّخَهُمْ) أذلهم (حفيده) ابن أخيه ، وهو أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه (وجاء بالفلَّ) أي : المهزومين (وَهُمْ) أي : الفلَّ (عَبِيدُهُ) .

دعاة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي عامر :

قال في «المواهب» : (لَمَّا قُتِلَ أَبُو عَامِرٍ .. خَلَفَهُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَقُتِلَ قاتِلُ أَبِي عَامِرٍ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ ؎ اغْفِرْ لِأَبِي عَامِرٍ ، وَاجْعَلْهُ مِنْ أَعْلَى أَمَّتِي فِي الْجَنَّةِ») .

وفي «البخاري» : (قال - يعني أبا عامر لأبي موسى لِمَّا رُمي بسهم - : يا بن أخي ؎ أقرئ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السلام ، وَقُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي ، ثُمَّ مات ، فَرَجَعَتْ ، فَدَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ وَهُوَ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ ، قَدْ أَثْرَ رِمَالَ السَّرِيرِ فِي ظَهَرِهِ وَجْنَبِهِ ، فَأَخْبَرَتْهُ بِخَبْرِنَا وَخَبْرِ أَبِي عَامِرٍ ، وَأَنَّهُ قَالَ : قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدِيهِ ، وَقَالَ : «اللَّهُمَّ ؎ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عَامِرٍ» وَرَأَيْتَ بِيَاضِ إِبْطِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : «اللَّهُمَّ ؎ اجْعَلْهُ يَوْمَ

أبو موسى الأشعري
رضي الله عنه خلف أبي
عامر

دعاة الرسول صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبِيدِ أَبِي
عامر

القيامة في الجنة فوق كثير من خلقك من الناس » فقلت : ولني
فاستغفر ، قال : « اللَّهُمَّ ؛ اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ،
وأدخله يوم القيمة مدخلاً كريماً »

قال أبو بردة - يعني ابن أبي موسى راوي الحديث - :
إحداهما - أي الدعوتين - لأبي عامر ، والأخرى
لأبي موسى^١) اهـ

والمرمل - براء مهملة ، ثم ميم مقلة - أي : معمول
بالرمال ، وهي حبال الحصر التي تضفر بها الأسرة .

ويستفاد من هذا الحديث : استحباب الطهارة لإرادة
الدعا ، ورفع اليدين في الدعاء . اهـ

* * *

(٢٩) غزوة الطائف

التعريف بالطائف
الطائف : هي بلد كبير على ثلاثة مراحل بسير الإبل من
مكة ، وعلى خمس ساعات بسير السيارات الحديثة ، على
طريق وعر غير معبد ، واليوم مُهَدَّد الطريق إليه من عرفة إلى جبل
الكر الذي حطم لتعبيد الطريق إلى جبل الهدى ، ومنه التزول
إلى وادي محرم ، ولو تمَّ هذا العمل^(١) .. تكون المسافة إلى
المسافة من مكة إلى
الطائف قديماً وحديثاً
الطايف نحو ساعة أو أقل .

(١) قد تمَّ العمل بطريق الهدى منذ عام (١٣٨٥هـ) تقريرياً ، وقطع المسافة في نحو الساعة
بالسير المعتدل بالسيارة الصغيرة .

وهي مدينة بناحية المشرق ، طيبة الهواء ، كثيرة الفواكه ، ترتفع عن سطح البحر بمقدار ألف قدم ، قيل : سميت بالطائف ؛ لأنّها كانت بالشام ، فنقلها الله إلى الحجاز بدعوة إبراهيم عليه وعلى نبّينا الصّلاة والسلام ، أو لأنّ رجلاً من الصّدِّيق أصاب دمًا بحضوره ، ففرّ إلى وج^(١) ، وحالف مسعود بن معتّب ، وكان له مال عظيم ؛ فقال : هل لكم أنّ أبني لكم طوفاً عليّكم يكون لكم رداءً من العرب ؟ فقالوا : نعم ، فبناه ، وهو الحائط المطيف به ، أو لأنّ طاف على الماء في الطوفان ، أو لأنّ جبريل طاف بها على البيت ، ذكر هذه الأقوال صاحب « القاموس » .

وقال السهيلي : (ذكر بعض المفسّرين وجهاً آخر في تسميتها بالطائف ، فقال في الجنة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في « سورة ن » حيث يقول : ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَافِّيْفٌ مِنْ زَيْكَ وَهُنَّ تَأَيْمُونَ﴾ قال : كان الطائف جبريل عليه السلام ، اقتلعها من موضعها ، فأصبحت كالصّرِّيم ، وهو الليل ، أصبح موضعها كذلك ، ثمَّ سار بها إلى مكة ، فطاف بها حول البيت ، ثمَّ أنزلها حيث الطائف اليوم ، فسميت باسم الطائف الذي طاف عليها وطاف بها ، وكانت تلك الجنة بصوران على فراسخ من صناع ، ومن ثمَّ كان الماء والشجر بالطائف دون ما حولها من الأرضين ، وكانت قصة أصحاب الجنة بعد عيسى ابن مريم

(١) بفتح الواو وتشديد الجيم : اسم لموقع بالطائف ، وقيل : اسم للوادي كله .

صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم بيسير ، ذكر هذا الخبر النقاش
وغيره) اهـ

قلت : فهذه وجوه خمسة في التسمية ، ولم أر من اعتمد
موقع الشارح من
وجوه التسمية
واحداً منها ورداً الآخر ، أو اعتمد غيرها .

تحصن ثقيف بحصنهم في الطائف :

وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثمان ، على ما قاله
تاریخ الغزوة
جمهور أهل المغازي .

واعلم : أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من حنين منصوراً
مظفراً ، وبعث بعئاته إلى وادي الجعرانة كما تقدم .. توجه
لثقيف كما قال الناظم :

(فِلِثَقِيفٍ) أي : بعد حنين أقبل عليه الصلاة والسلام
لثقيف ، فالجار وال مجرور يتعلق بـ (أقبل) قوله : (وهي)
أي : ثقيف متحصنة (في حصن بطائف) جملة معتبرة بين
قوله فلثقيف قوله : (أقبل من) وادي (حنين) .

قال في « العيون » عن ابن سعد : (قالوا : خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين يريد الطائف ، وقد
خالد بن الوليد على مقدمته ، وقد كانت ثقيف رمّوا حصنهم ،
وأغلقوه عليهم ، وتهيّأوا للقتال ، وسار رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فنزل قريباً من حصن الطائف - قال الزرقاني :
حصن الطائف
ولا مثل له في حصون العرب - وعسّكر هناك ، فرمّوا

فَسَأَلُوهُ الْكَفَّ عَنْ قَطْعِ الْكَرَمِ بِاللَّهِ وَالرَّحْمَنِ فَأَرْتَادُوا الْكَرَمَ

ال المسلمين بالليل رميًّا شديداً كأنَّه رُجُل جراد^(١) ، حتى أُصيب
ناس من المسلمين بجراحة ، وقتل منهم اثنا عشر رجلاً ،
فارتفع رسول الله صلَّى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد
الطائف اليوم^(٢) ، وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب ،
حضر ثقيف فضرب لهما قبتين ، وكان يصلِّي بين القبتين حصار الطائف
كله ، فحاصرهم ثمانية عشر يوماً ، وأمر بقطع أعنابهم
ونخلهم ، فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً - أي : سريعاً - ثمَّ
سألهما أن يدعها الله وللرحم ، فقالوا : لم تقطع أموالنا ؟ إما أن
تأخذها إن ظهرت علينا ، وإما أن تدعها الله وللرحم ، فقال
عليه الصَّلاة والسَّلام : « إني أدعها الله وللرحم »^(٣) ، وإليه
الإشارة بقوله :

(فَسَأَلُوهُ الْكَفَّ) أي : المنع (عن قطع الكرم) أي :
العنف ، والراء في الأصل ساكنة ، وحركت بالفتح للضرورة
(بِاللَّهِ وَالرَّحْمَنِ) يتعلق بـ (سَأَلُوهُ)

(١) بكسر الراء وسكون الجيم ، يعني : أنَّ السهام لكثرتها صارت كجماعة الجراد
المتششر .

(٢) قال في « شرح المواهب » : (وهو الذي بناء عمرو بن أمية بن وهب مسجداً لما
أسلمت ثقيف ، وكان فيه سارية فيما يزعمون لا تطلع عليها الشمس يوماً من الدهر إلا
سمع لها نقيض - أي : صوت - أكثر من عشر مرات ، وكانوا يرون أنَّ ذلك نبيح) اهـ

(٣) لأنَّ أمَّه عليه الصَّلاة والسَّلام آمنة ، أمَّها برة بنت عبد العزَّى بن قصي ، وأمَّ برة هذه
أمَّ حبيب بنت أسعد ، وأمَّها برة بنت عوف ، وأمَّها قلابة بنت الحارث ، وأمَّ قلابة هند
بنت يربوع من ثقيف ، كما قاله ابن قتيبة .

(فارتادوا) أي : فطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم (الكرم) الذي هو ضد اللؤم ، يقال : ارتاد الكلأ : طلبه ، فلا إيطاء .

اعتراض على تسمية العنب كرماً والجواب عليه

فإن قيل : قد سمي الناظم العنب كرماً ، وقد نهى عنه في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تسموا العنب الكرم » أخرجه الشیخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ؟

قلت : النهي محمول على التنزيه ، وعلة النهي : كونه يتخذ منه الخمر ، ولأنَّ فيها تقريراً لما كانوا يتوهمنه من تكريم شاربها .

(فهابه) أي : هاب الله تعالى لما سأله به ، وقال : « أدعها الله وللرحم » وكفَ عَزَّ وجلَّ .

ضرب المسلمين حصونهم بالمنجنيق :

(والمنجنيق) بفتح الميم وتكسر : آلة ترمي بها الحجارة - قال في شرح المواهب : (مؤنث عند الأكثر ، ويدرك ، معرب ، والميم أصلية عند سيبويه والنون زائدة ، ولذا سقطت في الجمع ، قال كراع : كل كلمة فيها جيم وقاف أو جيم وكاف مثل كيلجة . . فهي أعممية ، ذكره في « الروض ») اهـ وهو بالنصب على حذف الخافض ؛ أي : وبالمنجنيق (ضربا) عليه الصلاة والسلام ثقيفاً ، وهو أول منجنيق رمي به في الإسلام ، وكان قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من

أول منجنيق رمي به في الإسلام

.....
سرية ذي الكفين^(١) ، فرمتهم ثقيف بالنبيل ، فقتل من المسلمين
اثنا عشر رجلاً .

إباء الرسول صلى الله عليه وسلم الدعاء على ثقيف :

(و) لمَا أحرقتهم نبال ثقيف (سئل) أي : سأله الصحابة
أنبيئ صلى الله عليه وسلم (الدعا عليهم) فقالوا :
يا رسول الله ؛ ادع على ثقيف ، (فأبى) عليه الصلاة
والسلام ؛ لعظيم حلمه ، وكريم أخلاقه ، ولنظره السامي أن
يخرج الله من أصلابهم من يؤمنون بالله عزّ وجلّ ، ورجاء أن
يهديهم الله للدخول في حظيرة الإسلام ، ومن ثمّ لمّا سئل
ذلك .. أبى ، وقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم ؛ اهد
ثقيفاً ، وائت بهم مسلمين » .

ومن ألقى نظرة إلى سوء ما عاملت به ثقيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وأنهم آذوه أشد الأذى يوم أتاهم للدعوة
إلى دين الله ، وإلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام في شأنهم في
هذا اليوم يرى سموّ أخلاقه ، وكرم نفسه الشريفة ؛ فقد قالت
عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ؛ هل مرّ عليك يوم كان
أشد عليك من يوم أُحد ؟ فقال : « ما لقيت من قومك ، وكان
أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ؛ إذ عرضت نفسي على ابن
عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجني إلى ما أردت ، فانطلقت

سمو أخلاق النبي
صلى الله عليه وسلم

أشد ما مرّ على النبي
صلى الله عليه وسلم
من الأحداث

(١) ثنية كف ، وهو صنم من خشب كان لعمرو بن حمزة .

وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الشعالب ،
فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أطلّتني ، فنظرت ، فإذا فيها
جبريل ، فناداني فقال : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ،
وَمَا رَدَوْا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ مَلِكَ الْجَبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شَاءَتْ
فِيهِمْ ، فَنَادَانِي مَلِكُ الْجَبَالِ ، فَسَلَمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ :
يَا مُحَمَّدُ ؛ ذَلِكَ لَكَ إِنْ شَاءَتْ أَنْ أَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ ..

دعاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَقْيِيفِ
رَغْمِ إِيَّاهُمْ

فَعَلَتْ ، - فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَلْ أَرْجُو أَنْ يَخْرُجَ اللَّهُ
مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً »

وَقَدْ حَقَّ اللَّهُ مَا رَجَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
هَدَايَةِ ثَقِيفٍ ، وَقَدْوَمٍ وَفَدِهِمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مُسْلِمِينَ طَائِعِينَ .

وَهَذَا الْحَدِيثُ مُوَافِقُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « فِيمَا رَحْمَمْتُ مِنَ اللَّهِ لِنَتَّ
لَهُمْ » وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » وَإِلَى
هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ سِيدِي عَبْدِ الْعَزِيزِ الْفَاسِيِّ فِي « قَرَأَةِ الْأَبْصَارِ »
وَأَجَادَ بِقَوْلِهِ :

وَكَانَ قَادِرًاً عَلَى التَّدْمِيرِ
لَوْ شَاءَ لَكِنْ جَادَ بِالتَّأْخِيرِ
حَتَّى هَدَى اللَّهُ بِهِ مِنْ شَاءَ
مِنْهُمْ وَمِنْ أَصْلَابِهِمْ أَبْنَاءَ
ثُمَّ أَعْزَّ دِينَهُ وَنَصْرَهُ
وَأَيَّدَ الْحَقَّ بِهِ وَأَظْهَرَهُ

ولم يؤذن له عليه الصَّلاةُ والسَّلَامُ في فتح الطائف ذلك العام .

(ونوفل) هو ابن معاوية الْدُّوَلِيُّ ، وُعْدَ من المؤلَّفة قلوبهم (استشاره) رسول الله صلى الله عليه وسلم (في أمره) أي : الطائف : أيرجع عن أهله أم لا ؟ (فقال) يا رسول الله ، صلى الله عليك وسلم (هم كثُلُبُ فِي جُحْرَهُ) بتقديم العجم على الحاء ؟ أي : ثَقَبَهُ ، إِنْ أَقْمَتْ عَلَيْهِ .. أَخْذَتْهُ ، إِنْ تَرَكْتَهُ .. لم يضرك .

مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية في فتح الطائف في العام نفسه

تحرير الرسول صلى الله عليه وسلم من خرج إليه مسلماً من عبيدهم :

ثمَّ أمر عليه الصَّلاةُ والسَّلَامُ منادياً ينادي : « أَيَّمَا عَبْدُ خَرَجَ إِلَيْنَا .. فَهُوَ حَرٌّ » فخرج منهم بضعة عشر عبداً نزلوا ببَكَرَةَ ، منهم نفيع بن الحارث المكْنَى بـأبِي بَكَرَةَ ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّ رجلٍ منهم إلى رجلٍ من المسلمين يمونه ويحمله ، وأمرهم أن يقرؤُوهُم القرآن ، ويعلّمُوهُم السنن ، فشقَّ ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ، ثمَّ لَمَّا أسلمت ثقيف .. كلَّم أشرافهم فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوهم إلى الرق ، فقال : « أُولَئِكَ عَتَقَاءُ اللهِ » .

ولَمَّا قَدِمَ وَفَدُهُمْ ، وَأَسْلَمُوا .. وَلَى عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِي ، وَلَهُ الْمَقَامُ الْمُحَمَّدُ يَوْمَ قَبْضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّهُ قَامَ خَطِيباً وَقَالَ : (يَا مُعْشَرَ ثَقِيفٍ ؛ لَا تَكُونُوا آخِرَ الْعَرَبِ إِسْلَاماً ، وَأَوَّلَهُمْ ارْتِدَاداً) فَلَمْ يَرْتَدْ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

الموقف المحمود
لعثمان بن العاص رضي الله عنه

.....

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالرحيل إذ لم يؤذن له في الفتح
هذا العام :

وأمر عليه الصلاة والسلام عمر بن الخطاب ، فأذن في الناس بالرحيل ، فضج الناس من ذلك ، فقالوا : نرحل ولم يفتح علينا الطائف ؟ ! فقال عليه الصلاة والسلام : « فاغدوا على القتال » فغدوا ، فأصاب المسلمين جراحات ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إنما قاتلوا إن شاء الله تعالى » فسرروا بذلك وأذعنوا ، وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك .

قال النووي : (قصد النبي صلى الله عليه وسلم الشفقة عليهم ، والرفق بهم ، وبالرحيل عن الطائف ؛ لصعوبة أمره ، وشدة الكفار الذين هم فيه ، وتقويتهم بحصتهم ، مع أنه صلى الله عليه وسلم علم أو رجا أنه سيفتحه بعد هذا بلا مشقة ، فلما حرص الصحابة على المقام والجهاد .. أقام ، وجد في القتال ، فلما أصابتهم الجراح .. رجع إلى ما كان قصده أولاً من الرفق بهم ، ففرحوا بذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة ، ووافقو على الرحيل ، فضحك صلى الله عليه وسلم تعجبًا من تغير رأيهم ، ولم يرداوا أن يرتحلوا .. قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « قولوا : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » فلما ارتحلوا .. قال : « قولوا : آئيون ، تائيون ، عابدون ، لربنا حامدون » .

عمره الرسول صلّى اللهُ علّيهِ وسلّمَ من الجعرانة :

وهنا انتهى الكلام على غزوة الطائف ، وبعدها رجع عليه الصّلاة والسلام إلى الجعرانة ؛ لقسم الأموال والسبايا .

قال في « الإِمْتَاع » : (وأقام عليه الصّلاة والسلام بالجعرانة ثلاثة عشرة ليلة ، وخرج ليلة الأربعاء لشتي عشرة بقيت من ذي القعدة ، وأحرم - أي : بالعمرة - ولمّا كملها .. عاد إلى الجعرانة من ليلته ، فكان كياث بها ، ثمّ خرج يوم الخميس على سرف إلى مَرِّ الظهران ، واستعمل على مكة عتاب ابن أَسِيد ، وقال له : « أتدرى على من استعملتك ؟ » قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « استعملتك على أهل الله » ثمّ وصل إلى المدينة المنورة مظفراً منصوراً يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة من السنة الثامنة ، والمدينة في تلهف وتشوق ، واستطلاع لأنواره المحمدية ، عليه أفضل الصّلاة وأذكى التحية) .

وفي السنة التاسعة خرج لغزو الروم بتبوك .

(٣٠) غزوة تبوك

تبوك : بفتح الفوقة ، وضم الباء الموحدة ، اسم لا ينصرف ؛ للعلمية والتأنيث المعنوي : لموضع بينه وبين المدينة المنورة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة على الإبل

موقعها

المثقلة ، وبالسيارة نحو أربع أيام ؛ لأنَّ الطريق غير معبد اليوم ، وتسمى غزوة العسرة ، وقد عبد بعد ذلك ، فللَّه الحمد والمنَّة ، فالمسافة إنَّما هي ساعات قلائل .

وكانت يوم الخميس في غرة رجب سنة تسع من الهجرة ،
تاريخها قال في «المواهب» : (بلا خلاف ، وهي آخر
معازيه صلَّى الله عليه وسلم ، غزاها في حرٌّ شديد ، وجذب
كثير ؛ لذلك لم يورَّ عنها كعادته في سائر الغزوات ، قال
كعب بن مالك ، كما في الصحيح : لم يكن صلَّى الله عليه
وسلم يريد غزوة إلَّا ورَّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ؛
غزاها في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، وغزا عدواً كثيراً ،
فجلَّ لل المسلمين أمرهم ؛ ليتأهَّبوا أُهبة غزوتهم ، فأخبرهم
بوجهه الذي يريده) .

ولذلك يشير الناظم ميناً وجهته عليه الصَّلاة والسَّلام التي
صرَّح بها لل المسلمين ، مستنفراً ثلاثين ألفاً من الأصحاب الكرام
فقال :

(ثُمَّ) بعد فراغه عليه الصَّلاة والسَّلام من الطائف بنحو
ستة أشهر (لروم) أي : لقتال بعض من الروم كائنين (بتبوك)
لأنَّهم لم يكونوا كلهم بها ؛ لذلك لم يقل للروم ، ويتعلق
الجار بقوله : (استنفرا) أي : طلب رسول الله صلَّى الله عليه
وسلم أن ينفر للروم هذا العدد المشار إليه بقوله : (لام أَلْوَف)
أي : ثلاثين ألفاً ممَّن أسلم من العرب والمهاجرين والأنصار ،

وَمَعَهُمْ لِحَرْبِهِ أَلْبَلَهُمْ غَسَانُ لَخْمٌ وَجُذَامُ عَامِلَهُ

والخيل عشرة آلاف فرس ، قال في « شرح المواهب » :
(وهذا أقل ما قيل في الجيش)

(عام عسر) أي : شدة وضيق (اعترى) أي : طرأ على المسلمين في الماء ، وفي الظهر ، وفي النفق ، وحين طابت الشمار ، والمسلمون يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ؛ فلذلك سميت : (غزوة العُسْرَة) .

سبب هذه الغزوة :

وسببها - كما قاله ابن سعد في « طبقاته » : (أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام ، وأنَّ هرقل قد رزق أصحابه لسنة ، وأجلب معهم لخم ، وجذام ، وعاملة ، وغسان ، وغيرهم من متّصرة العرب ، وقدّموا مقدّماتهم إلى البلقاء ، فتدب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الخروج ، وأعلمهم بالمكان الذي يقصده ؛ ليتأهّبوا له) .

وأشار الناظم إلى من انضمَّ من القبائل هناك إلى صفوف الروم بقوله :

(ومعهم) أي : ومع الروم (لحربيه) صلى الله عليه وسلم (ألب) بفتح الهمزة وتشديد اللام المفتوحة ؛ أي : جمع (له) أي : لحربيه وقتاله ، فهو بدل من قوله : (لحربيه) (غسان) بفتح العين المعجمة ، وتشديد السين ، و (لخم) يسكون الخاء المعجمة (وجذام) و (عاملة) والأربعة قبائل من ولد سباً بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

حثّ الرسول صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ الأغنياء على الإنفاق في سبيل الله :

(و) لَمَّا جَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرِهِ ،
وَالسِّيرِ إِلَى تَبُوكَ ، وَأَمْرَ النَّاسَ بِالْجَهَازِ (حَضَرَ) أَيْ : حَثَّ
أَصْحَابَهُ (الْأَغْنِيَا عَلَى) النَّفَقَةِ ، وَ(الْحُمْلَانِ) بِضمِ الْحَاءِ
وَسَكُونِ الْمَيْمِ ؛ أَيْ : عَلَى حَمْلَانِ الْفَقَرَاءِ ، بِأَنْ يَعْطُوهُمُ الشَّيْءَ
الَّذِي يَرْكِبُونَ عَلَيْهِ ، وَيَحْمِلُوهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَجَابُوا .

قال في «شرح المawahب» عن الواقدي : (وجاؤوا
بصدقات كثيرة ، فكان أول من جاء أبو بكر رضي الله عنه بماله
كله ، أربعة آلاف درهم ، فقال صلّى الله عليه وسلّم : « هل
أبقيت لأهلك شيئاً؟ » قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، وجاء
عمر بنصف ماله ، فسأله : « هل أبقيت لهم شيئاً؟ » قال :
نعم ، نصف مالي ، وحمل العباس ، وطلحة ، وسعد بن
عبدة ، وجاء عبد الرحمن بن عوف بمئتي أوقية إليه صلّى الله
عليه وسلّم ، وتصدق عاصم بن عدي بسبعين وسقاً من
تمر) اهـ

تجهيز عثمان ثلث الجيش :

(و) مع ذلك (نكصوا) وتأخروا (دون مدى) أَيْ : غَايَةَ
سِيِّدِنَا (عُثْمَانَ) بِالْكَسْرِ لِلضَّرُورَةِ ؛ فَإِنَّهُ جَهَزَ ثَلَاثَ الْجَيْشِ ،
حَتَّىٰ كَانَ يُقَالُ : مَا بَقِيَتْ لَهُمْ حَاجَةٌ ، حَتَّىٰ كَفَاهُمْ

شنق^(١) أُسقيتهم .

قال ابن إسحاق : (أَنْفَقَ عُثْمَانَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ نَفْقَةً عَظِيمَةً لَمْ يَنْفَقْ أَحَدٌ مِثْلُهَا) .

قال ابن هشام : (حَدَّثَنِي مِنْ أَثْقَبِهِ : أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ أَنْفَقَ فِي جَيْشِ الْعَسْرَةِ فِي غُرْوَةِ تِبُوكَ أَلْفَ دِينَارٍ^(٢) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ ارْضُ عَنْ عُثْمَانَ فَإِنَّمَا عَنْهُ رَاضِيٌّ ») أَهـ

وروى عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان بن عفان رضي الله عنه بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرا ، فنشرها في حجره صلى الله عليه وسلم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول : « ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم » قالها مراراً . رواه الترمذى .

قال سيدى أبو عبد الله محمد بن سعيد في « أم القرى » :
وابن عفان ذي الأيدي التي طا
ل إلى المصطفى بها الإسداء
حفر البئر جهز الجيش أهدى الـ
هدى لما أَنْ صدَهُ الأَعْدَاء

(١) شنق القرية يشنقها شنقاً : إذا وَكَاهَا ثَمَّ رَبَطَ طَرْفَ كَاهَتِهَا بِيَدِيهَا . أَهـ « قَامُوسٌ »

(٢) أي : غير الإبل والزاد وما يتعلّق بذلك ، فقد تصدق بمثني بغير بأقتابها وأحلاسها ومثني أُوقية .

عَلَى بَعِيرٍ عَشَرَةً تَعْتَقِبُ وَعَزَّ مَطْعَمٌ وَعَزَّ مَشْرَبٌ
يَقْتَسِمُ الْنَّقْرُ تَمْرَةً وَمِنْ فَرْثٍ الْأَبَاعِرِ شَرَابٌ قَدْ يَعْنِيْنْ

عُسْرَةُ الْمُجَاهِدِينَ :

(على بعير) واحد يتعلّق بقوله : (تعقب) أي (عشرة) من الرجال (تعقب) على بعير ؛ أي : يركب واحد ساعة ، وينزل فيركب الآخر ، وهو يشمل الجمل والناقة ، كالإنسان للرجل والمرأة (عز) أي : قل (مطعّم ، وعز مشرب) وكان زادهم التمر والشعير .

(يقتسم النفر) بفتح النون المسددة والفاء : الرجال من الثلاثة إلى العشرة (تمرة) واحدة (ومن فرث) بوزن فلس ، مضاف إلى (الأباعر) وهو في الأصل السرجين في الكرش ، والمراد ما في الكرش من الماء (شراب قد يعن) لهم ؛ أي : يعرض ، ومن هنا سميت بغزوة العُسْرَة .

وَحَثَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ الْمِيَاسِيرَ عَلَى إِعْانَةِ الْمَعَاصِيرِ ، ويشير بهذا إلى ما رواه الحاكم في « مستدركه » بسند صحيح على شرط الشيخين : (أَنَّ ابْنَ عَبَّاسَ قَالَ لِعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ : حَدَّثَنَا عَنْ شَأْنَ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ، قَالَ عُمَرُ : خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قِيَظِ شَدِيدٍ ، فَنَزَلْنَا مِنْزَلًا أَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ ، حَتَّى ظَنَّنَا رَقَابَنَا سَتَنْقَطَعُ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحِرُ بِعِيرِهِ فَيُعَصِّرُ فَرَثَهُ فَيُشَرِّبُهُ ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبْدِهِ ، قَالَ أَبُو بَكْرَ الصَّدِيقِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَوَدَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا ، فَادْعُ اللَّهَ ،

قال : « أتحب ذلك ؟ » قال : نعم ، فرفع يديه ، فلم يرجعهما حتى خالت السماء فأظللت ، ثم سكبت فملؤوا ما معهم ، ثم ذهبتا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكرية) اهـ

وهذا من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم في استجابة الدعاء ، وفيه منقبة ظاهرة لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه ؛ حيث وأشار على النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، واستشاره صلى الله عليه وسلم .

قال في « شرح بهجة المحاير » عن البغوي : (كان زادهم التمر المسوس ^(١) ، والشعير المتغير ، وكان النفر منهم يخرجون ما معهم إلا التمرات بينهم ، فإذا بلغ الجوع أحدهم .. أخذ التمرة فلأكلها حتى يجد طعمها ، ثم يعطيها صاحبه فيمْصُها فيشرب عليها جرعة ماء كذلك ، حتى تأتي على آخرهم ، فلا يبقى من التمرة إلا النواة) .

مقدار ما بلغ بال المسلمين من الشدة

البكاؤون للتخلُّف عن الجهاد :

ثم إن رجالاً من خيار المسلمين لما سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنفر المسلمين للغزو .. جاؤوا يستحملون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلهم ذو حاجة ، ولا يحب التخلُّف عن مشهد خرج له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لا أجد

(١) أي : الذي أصابه السوس ؛ لأنَّه من التمر الذي كاد أن يمر عليه الحول ، أمَّا الجديد .. فإنَّ الشمار على رؤوس النخل الزهو والرطب ولِمَّا يك تمر بعد .

ما أحملكم عليه » فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع ؛ حزناً لأنّا
يجدوا ما ينفقون ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله :

أسماء الصحابة الذين
لم تكن لهم قدرة على
الخروج لنقص المؤونة

(وقد) عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى
تبوك (الباكون) لعدم قدرتهم على الخروج ، ولم يجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم عليه ، وهم :
سالم بن عمير ، وعلبة بن زيد ، وعبد الرحمن بن كعب
الأوسي المازني ، والعرباض بن سارية السلمي ، وهرمي بن
عبد الله الواقفي ، وعمرو بن عنة الأنباري ، وعبد الله بن
معقل المزني ، وعبد الله بن عمرو المزني ، وعمرو بن
الحمام بن الجموح ، أخو عمير المستشهد بيدر من
بني سلمة ، ومعقل بن يسار المزني ، وخرمي بن مازن ،
والنعمان بن مقرن ، وسويد بن مقرن ، ومعقل بن مقرن ،
وعقيل بن مقرن ، وستان بن مقرن ، وعبد الرحمن بن مقرن ،
وعبد الله بن مقرن^(١) .

(١) هؤلاء السبعة بنو مقرن ممن هاجر إلى المدينة وصاحب ،
وأمّهم الأمراء ، وفتحوا الفتوحات ، ولا نعرف سبعة إخوة
هاجروا إلى المدينة غيرهم .

بيوت الإيمان وبيوت
النفاق
قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن للنفاق بيوتاً ، وللإيمان
بيوتاً ، وإن بيتهن بنو مقرن من بيوت الإيمان .
ونظم بعضهم هؤلاء السبعة بقوله :

قد فاز بالهجرة للمدينة
الإخوة السبعة من مزينه
عقيل معقل سنان وسويد
نعميم والفارس نعمان الشهيد
بنو مقرن الكرام إليهم
سابعهم عبد الإله وهموا

الآية الكريمة تصف
صدق حالهم

وهم الّذين قال الله تعالى فيهم : « وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا
أَنْوَكَ لِتَحِلَّهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدُ مَا أَحْمَلْتُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ
تَفَيْضُ مِنَ الْدَّمَعَ حَرَّنَا أَلَا يَحِدُّوْمَا يُنْفِقُونَ » ومن هنا سموا
بالباكين والبكّائين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم مرجعه من
تبوك : « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سَرْتُمْ مَسِيرًا ، وَلَا قَطَعْتُمْ
وَادِيًّا .. إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ » قالوا : يا رسول الله ؛ وَهُمْ
بِالْمَدِينَةِ ؟ قال : « نَعَمْ ، حَبْسُهُمُ الْعَذْرَ » .

ذكر في « الإِمْتَاعِ » : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ تَبُوكَ فِي رَمَضَانَ .. قَالَ :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا رَزَقَنَا فِي سَفَرِنَا هَذَا مِنْ أَجْرٍ وَحِسْبَةٍ ،
وَمَنْ بَعْدَنَا شُرَكَاؤُنَا فِيهِ » فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :
أَصَابَكُمُ الْعُسْرُ وَالشَّدَّةُ فِي السَّفَرِ ، وَمَنْ بَعْدَكُمْ شُرَكَاؤُكُمْ
فِيهِ ؟ ! فَقَالَ : « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لِأَقْوَامًا مَا سَرْنَا .. »
الْحَدِيثُ ، ثُمَّ قَالَ : « أَوَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : « وَمَا
كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً » فَنَحْنُ غَرَّاثُهُمْ ، وَهُمْ
قَعْدَتُنَا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَدَعَاؤُهُمْ أَنْفَذُ فِي عَدُونَا مِنْ
سَلَاحِنَا » وَفِي قَوْلِ عَائِشَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا دُعَابَةٌ وَإِدْلَالٌ وَاضْحَى
يَدُلُّ عَلَى ذَكَائِهَا وَفَطَنَتْهَا) .

موقف المعدّرين والمنافقين :

(و) قَدِ (المَعْدُّرُونَ) بِشَدِ الْذَّالِ الْمَكْسُورَةِ ، جَمْع
مَعْدَرٌ : مَنْ عَذَرَ فِي الْأَمْرِ ، إِذَا قَصَرَ فِيهِ مُوْهَمًا أَنَّ لَهُ عَذْرًا
وَلَا عَذْرٌ لَهُ .

الأيات في وصف المتخلفين بغير عذر

وهم كما قال ابن سعد : (اثنان وثمانون رجلاً، استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في التخلف عن الغزو، وتعللوا بالجهد وكثرة العيال، فأذن لهم في التخلف، ولكن لم يقبل عذرهم لکذبهم، وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ ثم نزل فيهم : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَبْتُمُ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِلَيْهِمْ رِجْسٌ وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمَ حَرَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

وقد آخرون من المنافقين بغير عذر ؛ جراءة على الله
ورسوله ، وقد عناهم الله تعالى بقوله : ﴿ وَقَدْ أَنْذَبَ اللَّهُ كَذَّابُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ سِيِّئِ الْأَيْمَنَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

قال العلّامة الشهيلي : (وأهل التفسير يقولون : إنَّ آخر « براءة » نزل قبل أولها ، وإنَّ أول ما نزل منها : ﴿أَنْفِرُوا حَفَّافًا وَثَقَالًا﴾) .

(وعسکرت) أي : اجتمعـت المنافقـون ، (فربـت) بـتشـديد الـباء ؛ أي : أقـامت (الـمنافقـون) مع رـئـيـسـهـم عبدـالـلهـ بنـأـبـيـ وـحـلـفـائـهـ منـيـهـودـ عـلـىـ ثـنـيـةـ الـوـدـاعـ ، وـكـانـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ ضـرـبـ عـسـكـرـهـ أـيـضـاـ عـلـىـ ثـنـيـةـ الـوـدـاعـ .

قال ابن إسحاق : (وضرب عبد الله بن أبي معه على حدٍ عسکره أسلف منه نحو ذياب^(١) ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل

(١) جبل بالمدينة أمام باب الشامي .

استخلاف علي رضي
الله عنه على المدينة

العسكرين - أي عدداً - فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .
تخلَّفَ عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلَّفَ من المنافقين) .

قال ابن هشام : (واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة وعلى عياله علي بن أبي طالب) كما في «الصحيحين» ورجحه جهابذة الحفاظ ، ومنهم ابن عبد البر ، وناهيك به كما سيأتي .

فتحصل : أنَّ الذين قعدوا عن الخروج للغزو ما بين مؤمن رسخ الإيمان في قراره قلبه ، باك لعدم الحملان ، ومنافق متثاقل ملتمس للأعذار ، ومنافق لم يأت أصلاً وكذب الله ورسوله ، ومنافق أظهر الخروج ثمَّ نكس على عقبيه ، فدخل المدينة ، وهناك فريق ثالث من المسلمين ليس إيمانهم بأقل من الرعيل الأول ، ولكن أبطأت بهم النية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخلَّفوا عنه ولا شكَّ ولا نفاق لديهم ، وهم كعب بن مالك ، ومرارة بن الرَّبَيع ، وهلال بن أمِيَّة .

تصنيف الذين قعدوا
عن الخروج للغزو

الثلاثة المؤمنون المتخلفون :

وإليهم الإشارة بقول الناظم : (وقعد الثلاثة الذين تاب عليهم ربنا) توبة (يقيناً) نزل بها الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى عطفاً على قوله : «لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الَّتِي» الآية : «وَعَلَى الْأَلْلَاثَةِ الَّذِينَ حَلَّفُوا» أي : عن التوبة ، لا عن الغزو ؛ لما سيأتي ، وهم :

(كعب بن مالك) الأنصاري السَّلْمِي (مرارة) بن (الرَّبِيع) بضم الميم بعدها راء مخففة ، الأنصاري العَمْرِي ، بسكون الميم نسبة إلى بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وسبب تخلفه : أَنَّهُ كَانَ لَهُ حَائِطٌ زَاهِيٌّ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : قَدْ غَزَوْتُ قَبْلَهَا ، فَلَوْ أَقْمَتْ عَامِي هَذَا ، فَلَمَّا تَذَكَّرَ ذَنْبِهِ .. قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ تَصَدَّقْتَ بِهِ فِي سَبِيلِكَ (وابن أُمَيَّة) وَهُوَ (هِلَالُ الرَّفِيع) الْدَرْجَةُ ، وَكُلُّهُمْ كَذَلِكُّ ، وَهِلَالٌ يَنْسَبُ إِلَيْهِ بَنِي وَاقِفٍ ، فَهُوَ وَاقِفٌ ، وَقَدْ جَمَعُهُمْ مَعَ آبَائِهِمُ الْقَائِلِ :

أَسْمَا الَّذِينَ خَلَفُوا عَنِ الرَّسُولِ
فِي (مَكَّةَ) نَظَمَهَا بَعْضُ الْفَحْوَلِ

مَرَارَةُ ، كَعْبُ ، هِلَالُ ، وَاسْمَا
آبَائِهِمْ فِي (عَكَةَ) خَذَ بِالْقَبْوِلِ
قَالَ فِي «شَرْحِ الْمَوَاهِبِ» : (ذَكْرُ فِي مَرْسُلِ الْحَسْنِ) : أَنَّ
سَبْبَ تَخْلُفِهِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ أَهْلٌ تَفَرَّقُوا ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا ، فَقَالَ : لَوْ
أَقْمَتْ هَذَا الْعَامَ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا تَذَكَّرَ .. قَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ عَلَيَّ
أَلَّا أَرْجِعَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ) .

وَحْدِيْثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ
بِالْحَدِيثِ الْمُؤْلَفِ عَنْ تَخْلُفِهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ تَخْلُفِهِ
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ
تَبُوْكِ
حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ
بِالْحَدِيثِ الْمُؤْلَفِ عَنْ تَخْلُفِهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ تَخْلُفِهِ
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ
تَبُوْكِ

كعب من بنيه حين عمي ، قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلَّف عن قصة تبوك قال كعب : لم أتخلَّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلَّا في غزوة تبوك ، غير أَيّي كنت تخلَّفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحداً تخلَّف عنها ، إِنَّمَا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ي يريد غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحب أَنَّ لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أَذْكُر في الناس منها .

كان من خبri : أَنِّي لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسر حين تخلَّفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحتان قط ، حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ي يريد غزوة إلَّا ورَّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، ومقارزاً^(١) ، وعدواً كثيراً ، فجلَّ^(٢) لل المسلمين أمرهم ؛ ليتأهّبوا أَهْبَة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلَّا ظنَّ أَنَّه سيخفي أمره ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله عزَّ وجلَّ .

تصريح رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بوجهته

(١) بفتح الميم ؛ أي : فلة لا ماء فيها .

(٢) فجلٍ - بتشديد اللام وتحقيقها - أي : أوضح وكشف لهم الأمر .

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الشمار والظلال ، وتجهزَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وال المسلمين معه ، فطفقت أغدو لكي تجهزَّ معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادي بي حتى اشتَدَّ بالناس الجدّ ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وال المسلمين معه ، ولم أقض من جهازي شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ثمَّ أتحقق ، فغدوت بعد أن فصلوا لتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثمَّ غدوت ، ثمَّ رجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهمت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت ، فلم يقدَّر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم .. أحزنني أني لا أرى إلَّا رجلاً مغموماً عليه النفاق ، أو رجلاً ممَّن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : « ما فعل كعب؟ » فقال رجل من بني سلمة ، وهو عبد الله بن أنيس السَّلْمِي : يا رسول الله ؟ حبسه بُرْدَاه ونظره في عَطْفِيه ، فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ؟ ما علمنا عليه إلَّا خيراً ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجه قافلاً .. حضرني همي ، فطفقت أتذكرة الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سخطه غداً ؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ،

أصناف المختلفين عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم

سؤال النبي صلى الله
عليه وسلم عن كعب
ابن مالك

حَيْزَة كعب بن مالك
رضي الله عنه في تبرير
تخلقه

عدد المتخلفين عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم

فلما قيل : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظْلَلَ قَادِمًا . .
زَاحَ عَنِي الْبَاطِلُ ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبْدًا بِشَيْءٍ فِيهِ
كَذْبٌ ، فَأَجْمَعْتُ صَدْقَهُ ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَادِمًا ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنَ السَّفَرِ . . بَدَا بِالْمَسْجِدِ ، فَيَرْكِعُ
فِيهِ رُكُعَتِينِ ، ثُمَّ جُلِسَ لِلنَّاسِ : فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ . . جَاءَهُ
الْمُخْلِفُونَ ، فَطَفَقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ -
وَيَحْلِفُونَ لَهُ ، وَكَانُوا بَضْعَةِ وَثَمَانِينِ رَجُلًا ، فَقَبْلِ مِنْهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ ، وَبَايِعُهُمْ ، وَاسْتَغْفِرُ
لَهُمْ ، وَوَكِيلُ سَرَايِرِهِمْ إِلَى اللَّهِ ، فَجَئَهُ ، فَلَمَّا سَلَّمَتْ عَلَيْهِ . .
تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمَغْضَبِ ، ثُمَّ قَالَ : « تَعَالَ » فَجَئَتْ أَمْشِي حَتَّى
جَلَسْتُ بَيْنَ يَدِيهِ ، فَقَالَ لِي : « مَا خَلْفُكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعَتْ
ظَهْرَكَ ؟ » فَقُلْتُ : بَلِي ، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عَنْدَ غَيْرِكَ مِنْ
أَهْلِ الدِّينِ . . لَرَأَيْتُ أَنْ سَأُخْرُجَ مِنْ سُخْطَتِهِ بِعَذْرٍ ، وَلَقَدْ أُعْطِيَتِ
جَدَلًا ، وَلَكِنِي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لِئَنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذْبِ
تَرْضِيَّ بِهِ عَنِي . . لِيَوْشَكِنَّ اللَّهُ أَنْ يَسْخُطَكَ عَلَيَّ ، وَلِئَنْ حَدَّثْتُكَ
حَدِيثَ صَدْقَ تَجَدَّدِ عَلَيَّ فِيهِ . . إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ ، لَا وَاللَّهِ
مَا كَانَ لِي مِنْ عَذْرٍ ، وَاللَّهُ مَا كَنْتُ قَطْ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ
تَخَلَّفَتْ عَنِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَّا
هَذَا . . فَقَدْ صَدَقَ ، فَقَمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ » فَقَمْتُ .

وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَأَتَبَعُونِي ، فَقَالُوا لِي : وَاللَّهِ ؟
مَا عَلِمْنَاكَ كَنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا ، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَلَا تَكُونَ
اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا اعْتَذَرْتَ

كَعْبَ بْنَ مَالِكَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ وَحْدَهُ
الصَّادِقُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَتَابُ رِجَالٍ مِنْ بَنِي
سَلِمَةَ لِكَعْبَ عَلَى
مَوْقِفِهِ الْمُرْبِيِّ

.....

المتختلفون ؟ فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، فوالله ما زالوا يؤنونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ، رجالان قالا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : من هما ؟ قالوا : مُراة بن الرَّبِيع العمري ، وهلال بن أمية الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرأا ، فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكر وهمالي .

وصف حال الصحابة الثلاثة رضوان الله عليهم الذين نهى المسلمين عن كلامهم

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتبنا الناس ، وتغيروا لنا ، حتى تنكرت في نفسي الأرض ، فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأمّا صاحباني .. فاستكانا وقعدا في بيتهما يبكيان ، وأمّا أنا .. فكنت أشبّ القوم وأجلدهم ، وكنت أخرج فأشهد الصّلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ، ولا يكلّمني أحد ، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصّلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي .. أقبل إلى ، وإذا التفت نحوه .. أعرض عنني .

محاولات كعب رضي الله عنه أن يجد الفتاة من التي صلى الله عليه وسلم

حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس .. مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي ، وأحب الناس إلى - فسلّمت عليه ، فوالله ؟ ما ردّ عليّ السلام ، فقلت : يا أبي قتادة ، أُشدُّك بالله : هل تعلماني أحب الله ورسوله ؟

فُسْكَتْ ، فَعُدْتْ لَهُ فَنْشَدْتَهُ فُسْكَتْ ، فَعُدْتْ لَهُ فَنْشَدْتَهُ ،
فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَعْلَمُ ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَتَوَلَّتْ حَتَّى
تَسْوَرَتِ الْجَدَارَ ، قَالَ : فَبِينَمَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطَّ
مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ ، مَمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبْيَعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ :
مِنْ يَدِنِي عَلَى كَعْبَ بْنِ مَالِكٍ ، فَطَفِقَ النَّاسُ يَشِيرُونَ لَهُ ، حَتَّى
إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلَكِ غَسَانٍ ، فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ :
فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارٌ هُوَانٌ
وَلَا مَضِيَّةً ، فَالْحَقُّ بِنَا نَوَاسِكَ .

مَعَانَةً كَعْبَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ مِنْ مَقَاطِعَةِ الصَّحَابَةِ

عَرَضَ مِنْ مَلَكِ غَسَانٍ
لِكَعْبَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ الْلَّجَوْءَ إِلَيْهِ

فَقَلَتْ : لَمَّا قَرَأْتُهَا : وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ ، فَتَيَمِّمَتْ بِهَا
الْتَّنَوُّرُ ، فَسَجَرَتْهُ بِهَا ، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ
الْخَمْسِينِ . . إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي
فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ
أَمْرَاتِكَ ، فَقَلَتْ : أَطْلَقْهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ اعْتَزِلْهَا
وَلَا تَقْرَبْهَا ، وَأَرْسَلَ إِلَيَّ صَاحِبَيِّ مِثْلِ ذَلِكَ . فَقَلَتْ لِأَمْرَاتِيِّ :
الْحَقِيقَى بِأَهْلِكَ ، فَكَوْنِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ،
قَالَ كَعْبٌ : فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ هَلَالُ بْنُ أُمِّيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ إِنَّ هَلَالَ بْنَ أُمِّيَّةَ شِيخٌ
ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ ، فَهَلْ تَكْرِهُ أَنْ أَخْدُمَهُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ
لَا يَقْرِبُكَ ، قَالَتْ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حِرْكَةٌ إِلَى شَيْءٍ ، وَاللَّهُ مَا زَالَ
يَبْكِي مِنْذَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا ، فَقَالَ لِي بَعْضُ
أَهْلِي : لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرِاتِكَ
كَمَا أَذْنَ لِأَمْرَأَةِ هَلَالِ بْنِ أُمِّيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ ، فَقَلَتْ : وَاللَّهِ ؟

حَرَقَ كَعْبَ بْنِ مَالِكٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطَابَ
مَلَكِ غَسَانٍ

أَمْرُ الَّذِينَ خَلَفُوا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ اعْتَزَالَ
زَوْجَانِهِمْ

اسْتَذَانَ امْرَأَةَ هَلَالَ بْنِ
أُمِّيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي
خَدْمَتِهِ

إحجام كعب رضي الله عنه عن استئذانه في خدمة زوجه له رضي الله عنهم

ذروة الضيق الذي أُصيب به الثلاثة رضوان الله عليهم

النداء المبشر بالفرج

انطلاق كعب رضي الله عنه سريعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يدراني ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو استأذنته فيها وأنا رجل شاب ؟

فلبّثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ، فلماً صلّيت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة ، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله ، قد ضاقت عليّ نفسي ، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت .. سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلْع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ؟ أبشر ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرج ، وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبته علينا ، حين صلّى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبِي مبشرون ، وركض إلى رجل فرساً ، وسعى ساع من أسلم ، فأوفى على ذروة الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس .

فلماً جاءني الذي سمعت صوته يبشرني .. نزعت له ثوبِي فكسوته إياهما ببشراء ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتئونني بالتوبة ، يقولون : لِتَهْنِك توبَة الله عليك ، قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عُبيد الله يُهَرُّول حتى صافحني وهنَّاني ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلاحة .

تهئته النبئي صلى الله
عليه وسلم كعباً رضي
الله عنه بقبول توبته

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرُّ وجهه من السرور : « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال « لا ، بل من عند الله » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ . . استئنار وجهه كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه . . قلت : يا رسول الله : إنّ من توبتي أن أخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك . . فهو خير لك ، قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخبير ، فقلت : يا رسول الله ؛ إنّ الله إنّما نجاني بالصدق ، وإنّ من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت ، فوالله ؛ ما أعلم أحدًا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . أحسن مما أبلغني ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا كذبًا ، وإنّ لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت ، وأنزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الْأَنْبَيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ » إلى قوله : « وَكُنُوْمَ الصَّدِيقِينَ » فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام . . أعظم في نفسي من صدقتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين

مظاهر سرور النبي
صلى الله عليه وسلم

الآيات التي نزلت في
توبه الصحابة الثلاثة
رضوان الله عليهم
نتائج الصدق في
تجربة كعب بن مالك
رضي الله عنه

كذبوا ، فإنَّ الله تعالى قال للذين كذبوا حين أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرِّ ما قال لأَحَدٍ ، فقال تبارك وتعالى : «سَيَحْلِمُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَلْبَتُمْ» إلى قوله : «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» قال كعب : وكنا تختلفنا أَيُّهَا الْثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ ، فَبِأَيْمَانِهِمْ ، وَاسْتَغْفَرُ لَهُمْ ، وَأَرْجَأُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ فِيهِ ، فِي ذَلِكَ قَالَ اللهُ : «وَعَلَى الْفَانِيَةِ الَّذِينَ حَلَفُوا» وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مَمَّا خَلَفُنَا عَنِ الْغَرْبَوْ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهِ إِيَّانَا ، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ) .

السبب في اشتداد غضب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المخالفين برغم أنَّ الجهاد فرض كفایة قال العلَّامة أبو القاسم السهيلي في «الروض» : (وإنَّما اشتَدَّ غضبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ ، وَنَزَلَ فِيهِمْ مِنَ الْوَعِيدِ مَا نَزَلَ ، حَتَّى تَابَ اللهُ عَلَى الْفَانِيَةِ مِنْهُمْ ، وَإِنْ كَانَ الْجَهَادُ مِنْ فَرْوَضِ الْكَفَايَةِ لَا مِنْ فَرْوَضِ الْأَعْيَانِ .. لِكُونِهِ^(١) فِي حَقِّ الْأَنْصَارِ خَاصَّةً كَانَ فَرْضُ عَيْنٍ ، وَعَلَيْهِ بَايِعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَلَا تَرَاهُمْ يَقُولُونَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّداً
عَلَى الْجَهَادِ مَا بَقَيْنَا أَبْدَا

وَمَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ إِنَّمَا تَخَلَّفَ ؛ لَا تَهُمْ خَرْجُوا لِأَخْذِ عِيرٍ ، وَلَمْ يَظْنُوا أَنْ سَيَكُونُ قَتَالٌ ، فَكَذَلِكَ كَانَ تَخَلُّفُهُمْ

(١) في الأصل و«الروض» : (لكنه) ، ولعل الصواب ما أثبتت .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزارة كبيرة ؛ لأنَّه كالنَّكث لبيعتهم ، كذلك قال ابن بطال رحمه الله في هذه المسألة ، ولا أعرف لها وجهاً غير الذي قال) .

وذكر الحافظ وجهاً غير هذا في تغليظ الأمر على هؤلاء ، وهو أنَّهم تركوا الواجب بلا عذر ؛ لأنَّ الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم التفير ، ولحق اللوم بكل فرد فرد [أن لو تخلف] ، ونقله في « شرح المواهب » عنه ، قائلاً : فهذا وجه ثان غير الذي ذُكر ؛ أي : عن ابن بطال .

قلت : ولما كان هؤلاء شاركوا المنافقين في صورة التخلف عن الغزو بلا عذر وهم برأء من النفاق .. كانت توبتهم على الحال الذي ذكر في الحديث ؛ ليميز الله الخبيث من الطيِّب ، ويظهر قوَّة إيمان هؤلاء الأصحاب السادة الغرَّ الميمانيين ، رضي الله عنهم أجمعين ، وجمعنا بهم في مستقر رحمته ودار كرامته بمنه وفضله ، آمين .

السبب في اختلاف
التعامل للمنافقين عنه
مع المتخلفين

قصة إبطاء أبي خيثمة وأبي ذر في الخروج :

وأشار الناظم إلى إبطاء أبي خيثمة وأبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم في المسير ، ولحوقهما له بعد فقال :

(وأبوا خيثمة) بالتنوين للضرورة (وذر) قد أبطأ عن المسير ، ولكنهما (قد لحقا) بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك :

.....

أمّا أبو خيّمة - واسمه سعد من بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج - : فذكر خبره ابن إسحاق ، وهو : (أَنَّهُ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامًا إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍ ، فَوُجِدَ امْرَأَتِينَ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ فِي حَائِطِهِ ، قَدْ رَشَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُمَا عَرِيشَهَا ، وَبِرَدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءُ ، وَهِيَاتٌ لَهُ فِيهِ طَعَامًا ، فَلَمَّا دَخَلَ .. قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ ، فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتِيهِ وَمَا صَنَعْتَا لَهُ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْصَّحَّ وَالرِّيحِ وَالْحَرِّ ، وَأَبُو خيّمة فِي ظَلِّ بَارِدٍ ، وَطَعَامٌ مَهْيَأٌ ، وَامْرَأَةٌ حَسَنَاءٌ فِي مَالِهِ مَقِيمٌ ؟ مَا هَذَا بِالنَّصْفِ ! ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ ؛ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةً مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحُقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهِيَّا لِي زَادًا ، فَفَعَلْتَا ، ثُمَّ قَدَّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ ، وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ أَبَا خيّمة عَمِيرَ بْنَ وَهْبِ الْجَمْعِيِّ فِي الطَّرِيقِ يَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَرَافَقَا ، حَتَّى إِذَا دَنَوا مِنْ تَبُوكَ .. قَالَ أَبُو خيّمة لِعَمِيرَ بْنَ وَهْبٍ : إِنَّ لِي ذَنْبًا فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَخْلُفَ عَنِي حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَفَعَلَ ، حَتَّى إِذَا دَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبُوكَ .. قَالَ النَّاسُ : هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ مُقْبِلٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَنْ أَبَا خيّمة^(١) فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) لفظه لفظ الأمر ، و معناه الدعاء كما تقول : أسلم سلمك الله . اهـ من « الروض »

هو والله أبو خيثمة ، فلما أتاه .. أقبل فسلم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : أولى لك يا أبا خيثمة ، ثم أخبر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ،
 ودعا له بخير) .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة في ذلك شعراً :
 ولما رأيت الناس في الدين نافقوا
أتيت التي كانت أفعَّ وأكرّ ما
وبأيُّت باليمني يدي لِمُحَمَّد
فلم أكتسب إثماً ولم أغشَ مَحْرِماً
تركُتْ خصيَّاً في العريشِ وصِرْمَةً
صفايا كِرَاماً بُسْرُها قد تَحَمَّما
وكنْتُ إِذَا شَكَّ المُنَافِقُ أَسْمَحْتُ

إِلَى الدِّينِ نَفْسِي شَطَرَهُ حَيْثُ يَمَّا

وأَمَّا أبو ذرٌ - واسمه جنْدِبُ بْنُ جنَادَةَ عَلَى مَا صَحَّحَه
السَّهِيْلِيُّ - فسبَّ بِإِبْطَائِهِ أَنَّ بَعِيرَهُ كَانَ أَعْجَفَ فَقَالَ : أَعْلَفَهُ
أَيَّامًاً ، ثُمَّ أَلْحَقَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ ، فَعَلَفَهُ أَيَّامًاً ، ثُمَّ خَرَجَ
فِلَمْ يَرَ بِهِ حَرْكَةً ، فَحَمَلَ مَتَاعَهُ عَلَى ظَهَرِهِ وَسَارَ ، وَبَيْنَمَا يَمْشِي
أَبُو ذرٍ .. إِذْ نَظَرَ نَاظِرٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ
هَذَا الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحْدَهُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « كُنْ أَبَا ذرٍ » فَلَمَّا تَأْمَلَهُ الْقَوْمُ .. قَالُوا :

أبو خيثمة رضي الله عنه
يذكر سبب إبطائه شعراً

سبب إبطاء أبي ذر
جنْدِبُ رضي الله عنه

قدْوَمَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمَا قَالَ بِحَقِّهِ

يارسول الله ، هو والله أبو ذرّ ، فقال : « رحم الله أبا ذرّ ،
يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » .

تبنيه :

قال في « شرح المواهب » : (هكذا الرواية عن ابن مسعود ، عند ابن إسحاق وأتباعه ، فما يقع في نسخ « يعيش » بدل « يبعث » تحرير من النسخ) .

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره خبره ، قال : « لقد غفر الله لك يا أبا ذرّ بكل خطوة ذنبًا إلى أن لقيتني » ووضع مداععه عن ظهره ، ثم استسقى ، فأتي بإبناه من معجزات ماء فشربها .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبا ذرّ . . . » إلخ : معجزة إثر معجزة ؛ فقد وقع ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وذلك لأنّ أبا ذرّ أشار له الخليفة الثالث سيدنا عثمان رضي الله عنه : لأنّ لو اعتزلت الناس^(١) ؛ لأنّه كان يريد أن

(١) هذا هو الصحيح ، وسواء مما ينسبة بعضهم إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه من أنه نفى أبا ذرّ ونحو ذلك من الكلمات التي لا تليق بالأدب .. فليس لها نصيب من الصحة ، ولا مصدر موثوق به لدى الأئمة .

قال الإمام أبو بكر بن العربي في « العواصم والقواسم » : (معنى قول عثمان لأبي ذرّ : « لو اعتزلت . . . » : أنك على منذهب لا يصلح لمحالطة الناس ؛ فإن للخلط شروطًا ، وللعزلة مثلها ، ومن كان على طريقة أبي ذرّ .. فحاله يقتضي إما أن ينفرد بنفسه ، أو يخالط ، ويسلم لكل أحد ما له ، مما ليس بحرام في الشريعة ، فخرج إلى الربذة زاهدًا =

خروج أبي ذر رضي
الله عنه إلى الربذة
وفاته بها

يحملُّهم ما لا يستطيع حمله عموم الناس ، فخرج إلى الربذة ،
ولم يكن معه إلَّا أمرأته وغلامه ، فأوصاهم إذا هُو مات : أن
غسّلاني وكفّناني ، ثمَّ ضعاني على قارعة الطريق ، فأوَّل ركب
يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذرٌ صاحب رسول الله صلَّى الله عليه
وسلم ، فأعْيُنُنا على دفنه ، فلَمَّا مات .. فعلاً ذلك به .

وأقبل ابن مسعود في رهط من أهل العراق عُماراً ، فلم
يَرْعِهِم إلَّا والجنازة على ظهر الطريق ، قد كادت الإبل تطُّها ،
وقام إليهم الغلام ، فقال : هذا أبو ذرٌ صاحب رسول الله
صلَّى الله عليه وسلم ، فأعْيُنُنا على دفنه ، فاستهلَّ عبد الله بن
مسعود يبكي ويقول : صدق رسول الله صلَّى الله عليه وسلم :
« تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتبعث وحدك » ثمَّ نَزَلَ هو
وأصحابه فدفنوه ، ثمَّ حدَّثَمُوا ابن مسعود بالحديث .

توفي [أبو ذر] سنة (٣٢) على ما قاله ابن إسحاق .

مرور الرسول صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بديار ثمود ونَهْيَه عن شرب
مائتها :

ولمَّا جاء رسول الله صلَّى الله عليه وسلم في مسيره إلى
تبوك ديار ثمود .. نَزَلَ بها ، وقال : « لا تشربوا من مائتها
شيئاً ، ولا يخُرُّجَنَّ أحدٌ منكم الليلة إلَّا ومعه صاحب له ،
فعُلِّ الناس إلَّا رجلٌ من بني ساعدة ، خرج أحدُهم

خبر الصحابيين اللذين
خرجوا منفردين
وما أصابهم

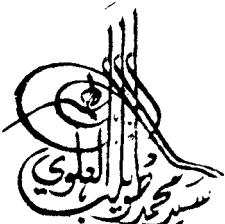
= فاضلاً ، وترك حلقه فضلاً ، وكل على خير وبركة وفضل ، وحال أبي ذر أَفْضَل ، ولا تُمْكِن
لجميع الخلق ، فلو كانوا عليها .. لهلكوا ، فسبحان مرتب المنازل !) اهـ

ل حاجته ، والآخر في طلب بعيره ، فصرع الأول ، واحتملت الريح الثاني ، فطرحته بجبلٍ طيئٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبر بذلك : « ألم أنهكم ؟ » ودعا للذى صر عشفي ، وأهدت طيئ الآخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله :

(وجاء) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل (أرض الحجر) بكسر الحاء وسكون الجيم ، وهي منازل ثمود قوم سيدنا صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

(فذبَّ) بالذال المعجمة - أي : دفع - ومنع الأصحاب (عن) شرب (مياهه) فقال : « لا تشربوا من مائتها شيئاً » لثلا يورتهم شربه قسوة في قلوبهم ، أو ضرراً في أج丹هم ، قال القسطلاني في « شرح البخاري » : (زاد ابن إسحاق : « ولا تتوضؤوا منه للصلوة ، وما كان من عجین عجتموه . فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ») .

نهى الرسول أصحابه عن الانفراد في السير بأرض ثمود ، (وأمر) عليه الصلاة والسلام (أن لا يمر أحد) من الأصحاب (كما يرى) وحده ، بل إن أراد . . فمع صاحب له ، قال في « شرح المواهب » : (لحكمة علمها صلى الله عليه وسلم ، لعلها أنَّ الجن لا تقدم على اثنين وقد روى الإمام مالك في « الموطأ » مرفوعاً : « إنَّ الشيطان يهُم بالواحد » قال الباقي : يحتمل أن يريد أنَّه يهُم باغتياله والسلط عليه ، وأنَّه يهُم بغيه ، وصرفه عن الحق ، وإغرائه بالباطل) اهـ



وأخرج أصحاب السنن بإسناد حسن - وصححه ابن خزيمة
والحاكم - مرفوعاً : « الراكب شيطان ، والراكبان شيطانان ،
والثلاثة ركب » .

قصة الرجلين اللذين خالفا النهي :

(ف) فعل الناس ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكل إذعان وامتثال ، غير باغثين عن حكمة ذلك ، وإن كانت
أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله كلها عن أسرار وحكم ،
و(عَقَّه) هو ضد بره ؛ أي : خالفه (المخنوق) أي :
المصروع (فوق) أي : على (مَذْهَبِهِ) بفتح الميم والهاء ،
وهو الموضع الذي يتغوط فيه ، وقد شفاه الله تعالى ببركة دعاء
الرسول صلى الله عليه وسلم ، فذهب عنه الصُّرُعُ (و) عقه
(مَنْ) أي : الرجل الذي (وفود طيئ) لما وفدوا على
النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة (أتته به) أي : بالرجل
الذي خرج في طلب بعيده ، فطرحته الريح بجلي طيئ .

قال الحلبي في « إنسان العيون » : (لَمَّا ارتحل عليه
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى تِبُوك .. لَا زَالَ سَائِرًا حَتَّى نَزَلَ عَلَى الْبَئْرِ
الَّتِي كَانَتْ تَشْرُبُ مِنْهَا النَّاقَةُ ، وَأَخْبَرَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهَا تَهْبَطُ عَلَيْهِمْ الْلَّيْلَةِ رِيحًا شَدِيدَةً ؛ أَيْ : وَقَالَ : « مَنْ كَانَ لَهُ
بَعِيرٌ .. فَلِيُشُدَّ عِقَالَهُ » وَنَهَى النَّاسَ فِي تِلْكَ الْلَّيْلَةِ عَنْ أَنْ
يَخْرُجَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَحْدَهُ ، فَخَرَجَ شَخْصٌ وَحْدَهُ لِحَاجَتِهِ
فَخُنِقَ ، وَخَرَجَ آخَرُ وَحْدَهُ فِي طَلْبِ بَعِيرٍ لَهُ ، فَاحْتَمَلَهُ الْرِّيحُ ،

وصول رسول الله صلى
الله عليه وسلم البئر التي
كانت تشرب منها ناقة
صالح عليه الصلاة
والسلام

حتى ألقته بجلي طيئ ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم إلاً و معه صاحبه » ثم دعا للذى خُنق فشفي ، وأماماً الذى ألقته الريح بجلي طيئ فأرسلته طيئ له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة .

تَبَيَّهَانَ

الأول : علم من التقرير أنه صلى الله عليه وسلم نزل ديار ثمود ، وعليه ترجم الإمام البخاري في « جامعه » فقال : (نزول النبي صلى الله عليه وسلم الحجر) وأخرج في أحاديث الأنبياء حديث ابن عمر : (أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا نزل الحجر في غزوة تبوك .. أمرهم ألاً يشربوا من بئرها ، ولا يستقوا منها . . .) الحديث .

وأخرج الشیخان عن ابن عمر : (أنَّ الناس نزلوا معه صلى الله عليه وسلم أرض ثمود الحجر ، فاستقوا من بئرها . . .) الحديث .

قلت : فهذا تصريح من ابن عمر بالتزول ، ولذلك حملت كلام الناظم عليه ، وأماماً ما رواه البخاري عقب الترجمة عن ابن عمر : (لَمَّا مَرَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجْرِ .. قَالَ : لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ؛ أَن يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ ، إِلَّا أَن تَكُونُوا بَاكِينَ » ثمَّ قَنَعَ رَأْسَهُ ، وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى جَاءَوْزَ الْوَادِي) .. فليس فيه التصريح بعدم التزول فيه ،

فَلَيُحْمَلَ المَرْوَرُ عَلَى كُونِهِ بَعْدَ النَّزْوَلِ ، وَقُولُهُ ذَلِكَ لَهُمْ .

الثَّانِي : مَا ذَكَرَهُ النَّاظِمُ مِنْ حَدِيثِ الرَّجُلَيْنِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِالْحِجْرِ هُوَ مَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ ، وَهُوَ لَا يَنْافِي حَدِيثَ أَبِي حُمَيْدٍ فِي « الصَّحِيفَتَيْنِ » : (انْطَلَقْنَا حَتَّى قَدَمْنَا تَبَوْكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَتَهْبِطُ عَلَيْكُمُ الْلَّيْلَةَ رِيحًا شَدِيدَةً ، فَلَا يَقُولُ أَحَدٌ مِنْكُمْ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعْرَةٌ فَلَيُشَدَّ عَقَالَهُ » فَهَبَّتِ الرِّيحُ شَدِيدَةً ، فَقَامَ رَجُلٌ ، فَحَمَلَتِهِ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلٍ طَيْئٍ) لَأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّهُمَا قَصْتَانٌ : إِحْدَاهُمَا بِالْحِجْرِ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا الْيَعْمَرِيُّ تَبَعًا لَابْنِ إِسْحَاقَ ، وَالثَّانِيَةُ بِتَبَوْكَ ، وَهِيَ الَّتِي فِي « الصَّحِيفَتَيْنِ » .

وَيَؤَيِّدُ التَّعْدُدُ أَنَّ فِي الْأُولَى رَجُلَيْنِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ رَجُلًا ، وَتَحْتَمِلُ الْإِتْهَادَ ، وَأَنَّ قَصَّةَ الَّذِي خَرَجَ لِحَاجَتِهِ كَانَتْ بِالْحِجْرِ ، وَالَّذِي أَلْقَتَهُ الرِّيحُ كَانَتْ بِتَبَوْكَ ، فَجَمِعَ بَيْنَهُمَا فِي الذِّكْرِ فِي مَرْسَلِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقْيِقَةِ الْحَالِ .

آيَةٌ وَقَعَتْ بِالْحِجْرِ اسْتِجَابَةً لِدُعَاءِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثُمَّ أَشَارَ النَّاظِمُ إِلَى آيَةٍ وَقَعَتْ وَهُمْ فِي الْحِجْرِ أَحْوَجُ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهَا ، ازْدَادَ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا إِلَى إِيمَانِهِمْ ، وَزَادَ بِهَا الْمُنَافِقُونَ نَفَاقًا فَقَالَ :

(فَ) بَيْنَمَا الْقَوْمُ بِالْحِجْرِ إِذَا (أَصْبَحَ النَّاسُ وَ) الْحَالُ أَنَّهُ (لَا مَاءَ لَهُمْ) ، فَشَكَّوْا حَالَهُمْ تَلْكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

.....
وسلم ، فدعا (فأرسل الله) بفضله (سحابة) غزيرة بالماء (تؤم) أي : تقصدهم ، حتى شربوا وحملوا ما أرادوا .

قال ابن إسحاق مفرعاً على مرورهم بالحِجْر : (فلما أصبح الناس ولا ماء معهم .. شكوا ذلك له صلى الله عليه وسلم ، فدعا ، فأرسل الله سحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، وحملوا حاجتهم من الماء) .

وقال أيضاً : حَدَّثَنِي عَاصِمٌ بْنُ عُمَرَ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ لَبِيدٍ ، عَنْ رَجُلٍ مِّنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ قَالَ : (كَانَ رَجُلًا مَعْرُوفًا نَفَاقَهُ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِيثِمًا سَارَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحِجْرِ مَا كَانَ ، وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَ اللَّهُ السَّحَابَةَ ، فَأَمْطَرَتْ حَتَّى ارْتَوَى النَّاسُ .. أَقْبَلَنَا عَلَيْهِ نَقْوُلُ : وَيَحْكُ ! هَلْ بَعْدَ هَذَا شَيْءٌ ؟ قَالَ : سَحَابَةً مَارَةً) اهـ

وقال في « شرح المواهب » : (روى الإمام أحمد ، وابنا خزيمة وحِبَّان ، والحاكم ، عن عمر قال : خرجنا إلى تبوك في يوم قِيظٍ شديد ، فنزلنا منزلًا ، وأصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أنَّ رقبنا ستقطع ، حتى إنَّ كَانَ الرَّجُلُ لِيذَهَبَ يلتَمِسُ الرَّجُلَ ، فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يَظْنَ أَنَّ رَقْبَتِهِ ستقطع ، حتى إنَّ كَانَ الرَّجُلُ لِيَنْحَرِ بَعِيرَهُ ، فَيَعْصِرُ فَرَثَهُ ، فَيُشَرِّبُهُ ، وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عُودَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا ، قَالَ : « أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، فَرَفَعَ يَدِيهِ نَحْوَ السَّمَاءِ ، فَلَمْ يَرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ

فأظللت ، ثم سكبت ، فملؤوا ما معهم ، ثم ذهنا ننظر فلم
نجدها جاوزت العسكرية .

قال العبد الضعيف : فهذا يؤيد ظاهر النظم ، لأنَّ هذه الآية
كانت بالحجر ، وأتَّا ما رواه ابن أبي حاتم . عن أبي حربة
قال : (نزلت هذه الآية في غزوة تبوك ، ونزلوا الحجر ،
فأمرهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَحْمِلُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئاً ، ثُمَّ
أَرْتَهُمْ وَنَزَلَ مِنْزِلَآآخِرَ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءً ، فَشَكَوُا إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ دَعَا ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ سَحَابَةً
فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى اسْتَقَوْا مِنْهَا ، فَقَالَ أَنْصَارِي لَآخِرَ مِنْ قَوْمِهِ
يُتَّهَمُ بِالنَّفَاقِ : وَيَحْكُ ! قَدْ تَرَى مَا دَعَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَتَّى أَمْطَرَ اللَّهُ عَلَيْنَا السَّمَاءَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا مَطَرْنَا بَنَوَهُ كَذَا وَكَذَا ؛
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى 《 وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ 》 .. فِيمَكَنُ
الجَمْعُ بِأَنْ قَوْلَ النَّاظِمِ : (فَأَصْبَحَ النَّاسُ) أَيْ : بَعْدَ أَنْ سَارُوا
وَنَزَلُوا مِنْزِلَآآخِرَ بَعْدَ الْحِجْرِ ، وَكَذَا قَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقِ يُحْمَلُ عَلَيْهِ ،
وَأَنَّهُ لَمَّا طَلَبَ مِنْهُ أَبُو بَكْرَ الدُّعَاءِ .. صَلَّى ثُمَّ مَدَ يَدِيهِ وَدَعَا ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

هذا وقد ورد من الأحاديث والأخبار الثابتة في استسقاء
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ لَأُمَّتِهِ ، وَمَسَارِعَتِهِ تَعَالَى لَهُ فِي
اسْتِجَابَةِ مَا طَلَبَ لَمَّا دَهْمَتْهُمُ الْخَطُوبُ وَالنَّوَابُ ، وَنَزَلَ بِهِمْ
مَا لَا يَطِيقُونَ مِنَ الْفَزَعِ وَالشَّكُورِ الشَّيْءِ الْكَثِيرِ ، فَمِنْ ذَلِكَ
مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « دَلَائِلُ النَّبُوَةِ » عَنْ أَنْسِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :

استسقاء رسول الله
صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
رَبِّ لَأُمَّتِهِ

يا رسول الله ؛ أتيناك وما لنا بغير يئط ، ولا صبي يغط ، ثم
أنشد :

أتيناك والعذراء يدمي لبانها
وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الفتى استكانة
من الجوع ضعفاً ما يمر ولا يحلى
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا
سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا
وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه فقال :
« اللَّهُمَّ ؛ اسقنا غيثاً مغيناً ، مريعاً ، غدقاً ، طبقاً ، نافعاً ، غير
ضار ، عاجلاً غير راث ، تملأ به الضرع ، وتنبت به الزرع ،
وتتحيي به الأرض بعد موتها » قال : فما ردَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يديه حتى ألقى السماء بأرواقها ، وجاء الناس
يضجون : الغرق الغرق ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« حوالينا ولا علينا » فانجذب السحاب عن المدينة ، وضحك
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه ، ثمَّ قال : (« اللَّهُ
دَرَ أَبِي طَالِبٍ ، لَوْ كَانَ حَيًّا .. لَقَرَّتْ عَيْنَاهُ ، مَنْ يَنْشِدْنَا
قَوْلَهُ ؟ ») فقال علي رضي الله عنه : كأنك تريد قوله :
وأبيض يستنقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامي عصمة للأرامل

يطوف به الهاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفوائل
قال عليه الصَّلاة والسَّلام : «أجل» .

استخلاف علي على المدينة :
واعلم : أَنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام استخلف علي بن
أبي طالب على المدينة وعلى أهله ، فكان كمن حضرها ؛
فلذلك ضرب له النبي صلى الله عليه وسلم بسهم ، وأعطى
جبريل سهمه له ، وإلى هذا يشير الناظم بقوله :

(على تَخْلُفِ بِطِينَةِ عَلِيٍّ) على الناس وعلى عياله ، كما
رجحه الزرقاني في « شرح المawahب » ونقل ذلك عن الحافظ
العرائي ، وقال : رواه عبد الرزاق في « مصنفه » بسنده صحيح
عن سعد بن أبي وقاص : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَمَّا خَرَجَ إِلَى تَبُوكٍ . . . اسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَلَى بْنِ
أَبِي طَالِبٍ) .

وروى الحاكم في « الإكيليل » من مرسلي عطاء أنه قال :
« يا علي ؟ اخلفني في أهلي ، واضرب ، وخذ ، وعظ » ثم
دعا نساءه فقال : « اسمعن لعلي وأطعن » .

وأخرج ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص قال :
(خلف صلى الله عليه وسلم علياً على أهله ، وأمره بالإقامة
فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلَّا استثقالاً

له ، وتخفّقا منه ، فأخذ على سلاحه ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال : يا نبئ الله ؛ زعم المنافقون أنك إنما خلقتني ؛ لأنك استثقلتني وتخفّت مني ، فقال : « كذبوا ، ولكن خلقتك لما تركت ورائي ، فارجع في أهلي وأهلك ، أفلًا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلّا أنه لا نبئ بعدي » فرجع إلى المدينة ، ومضى صلى الله عليه وسلم على سفره .

وفي « الصحيحين » من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : (أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك ، واستخلف علياً فقال : أتخلّفني في الصبيان والنساء ؟ قال : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلّا أنه لا نبئ بعدي ») قال في « شرح المawahب » : (زاد أحمد : فقال علي : رضيت ثم رضيت ثم رضيت) فقوله : (استخلف علياً) ظاهر في أنه على المدينة ، وتأييد هذا الظاهر بورود هذه اللفظة في نفس حديث سعد في « مصنف عبد الرزاق » والروايات يفسّر بعضها بعضاً ، لا سيما والمخرج متّحد ، ومن ثم جزم الحافظ العراقي بعزو لهما استخلافه على المدينة ، ورجحه الحافظ ابن عبد البر ، وتبعه الحافظ ابن دحية ، وقطع به القسّطلاني في « شرح البخاري » لأنّ ما في أرفع الصحيح لا معدل عنه .

وقول الناظم : (على تخلف) يتعلّق بقوله : (خصّ) مبنياً للمفعول ؛ أي : خصه النبي صلى الله عليه وسلم على

تخلفه ، دون غيره ممَّن تخلف (بـسـهـمـيـن بـسـهـمـهـ الـعـلـيـ) لأنَّه تخلف بأمره صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ .

تخصيص النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ رضي الله عنه بـسـهـمـيـن

(وسهم جبريل) عليه السلام (وكان) جبريل (حضرًا) غزوة تبوك (وبذله) بالرفع على أنَّه مبتدأ ، قوله : (به البَيِّنِ) بالنَّصْبِ مفعول لـ (أمر) مقدم عليه ؛ أي : إعطاء السهم ؛ أي : سهم جبريل (أمر) جبريل البَيِّنِ به لعليَّ ، فحاز على رضي الله عنه السهمين : سهم على تخلفه وقيامه عنه بالمدينة على من بقي - رضي الله تعالى عنه - وسهم من جبريل .

وَظَهَرَ بِهَذَا أَنَّ الْأَجْرَ عَلَى قَدْرِ الْإِتَّبَاعِ وَامْتِنَالِ - الْأَمْرِ ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْعَالَّمَةُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ زَرْوَقُ فِي « قَوَاعِدِهِ » فَقَالَ : (الْأَجْرُ عَلَى قَدْرِ الْإِتَّبَاعِ ، لَا عَلَى قَدْرِ الْمَشْكَةِ ؛ لِفَضْلِ الْإِيمَانِ ، وَالْمَعْرِفَةِ وَالذِّكْرِ وَالْتَّلَوَّةِ ، عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهَا بِكَثِيرٍ مِّنَ الْحُرْكَاتِ الْجَسْمَانِيَّةِ) .

الْأَجْرُ عَلَى قَدْرِ الْإِتَّبَاعِ

قلت : وهذا يدل على أنَّه حصل من المسلمين قتال مع الكفار ، حتى غنموهם وقسمت السهام ، وهو مناف لما سَيَّأْتِي ، فترَّقَ .

جهالة الشيعة وافتراضهم :

تبنيه :

لا دلالة للشيعة في التمسك بذلك الخبر ، على أنَّ علي بن

أبي طالب أحق بالخلافة من غيره من الصحابة ؛ لأنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام بينَ وجه الاتصال بينه وبين عليٍّ في قوله : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » بقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « إِلَّا أَنَّه لَا نَبِي بَعْدِي » أي : فالاتصال من ناحية الخلافة ، لا من ناحية النَّبِيَّة .

موقف أهل السنة والجماعة نقول : إنَّ هذه الخلافة خاصة في حياته عليه الصَّلاة والسَّلام ، كما يُستفاد من هذا الحديث ؛ فإنَّ هارون المشبَّه به ، إنَّما كان خليفة في حياة موسى ، ويزيد هذا تأييداً : أنَّ هارون المشبَّه به توفي « قبل موسى عليه الصَّلاة والسَّلام ، قيل : بأربعين سنة ، كما حكاه في « شرح المواهب » عن المصنف ، أو بستة كما هو أحد قولي البيضاوي .

حقيقة مذهب الشيعة

وليعلم : أنَّ مذهب الشيعة مبني على أوهام وعقائد لا تتفق مع العقائد السليمة الصحيحة ، شأن كل بدعي ، وأنشد بعض الشيعة بما يدل على خبث بواطنهم في الصحابة الكرام المعدلين من قبل الحق تعالى قبل بروزهم إلى عالم الوجود - وحقَّ لهم ذلك ، فإنَّ الوجود لم يشاهد مثلهم في جماعات الكمالات والخير ، حتى قال بعضهم : لو لم يكن لهذا النَّبِيَّ الكريم من الآيات على صدقه إِلَّا أصحابه . لكتفى ، رضي الله عنهم ، وجمعنا بهم في دار كرامته ومستقر رحمته آمين - فقال :

وَقَالَ إِذْ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ مُجْرِمُهُمْ مَا قَالَ فَأَبْتَهَهُ

حقيقة الخلاف في
حب الصحابة بين
الشيعة وأهل السنة
والجماعة

نحن أئس قد غدا شأننا

حبَّ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

يلومنا الجاهل في حبه

فلعنة الله على الكاذبِ

وَكَشَفَ عَنْ ذَلِكَ بَعْضَ (١) أَهْلِ السَّنَّةِ ، وَرَدَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ :

مَا عَيْبُكُمْ هَذَا وَلَكُنْهُ

بغضُّ الَّذِي لُقِّبَ بِالصَّاحِبِ

وَقَوْلُكُمْ فِيهِ وَفِي بَنِهِ

فلعنة الله على الكاذبِ

مقالة المنافق زيد بن اللصيت :

(و) لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحِجْرَةِ ،
فَكَانَ بَعْضُ الطَّرِيقِ (قَالَ إِذْ أَضَلَّ) فَقَدْ (رَاحِلَتِهِ) وَهِيَ
الْقَصْوَاءُ ، كَمَا قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ ، وَهُوَ بِالنَّصْبِ مُفْعُولٌ (أَضَلَّ) ،
وَفَاعِلٌ (قَالَ) قَوْلُهُ : (مُجْرِمُهُمْ) أَيْ : مُجْرِمُ الْمُجَتَمِعِينَ أَوْ
الْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ زَيْدُ بْنُ اللَّصِيتِ - مُصْغِرًا - كَمَا فِي
«الإِصَابَةِ» وَكَانَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَيَقُولُ : ابْنُ لَصِيبَ بَالْبَاءِ ،
كَمَا قَالَ ابْنُ هَشَامَ (مَا) أَيْ : الْقَوْلُ الشَّنِيعُ الَّذِي (قَالَ)
وَهُوَ : أَلِيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدًا أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَيَخْبُرُكُمْ عَنْ خَبْرِ السَّمَاءِ

ضياع القصواء ناقة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحديث
زيد بن اللصيت

(١) نسب البيتين في الجواب العلامة ابن العماد في «الشذرات» للملولى أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادى المولود سنة (٨٩٨) والمتوفى سنة (٩٨٢) بالقسطنطينية بجوار أبي أىوب الأنبارى رضى الله عنه .

وهو لا يدرى أين ناقته (فابتھة) رسول الله ؛ أي : أوقعه في الحيرة ، لا يدرى معها ماذا يجىء ؛ فإنه عليه الصلاة والسلام قال : «إنَّ رجلاً يقول كذا وكذا - وذكر مقالته - وإنَّ الله لا أعلم إلَّا ما علَّمَني الله ، وقد دلَّني الله عليها ، وهي في الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبسها شجرة بزمامها ، فانطلقو حتى تأتوني بها » فانطلقو فجاؤوا بها .

إِخْبَارُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَوْقِعِ نَافِقَتِهِ الْفَصُوَاءِ وَمَا هِيَ عَلَيْهِ

وذكر ابن إسحاق ذلك بتوضيح فقال : (وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه يقال له : عمارة بن حزم عَقَبَيْ ، بدريي ، وكان في رحله زيد بن اللصيَّت المناقِف ، فرجع إلى رحله فقال : والله ؟ لعجب من شيء حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفًا عن مقالة قائل ، أخبره الله عنه بكل ذاك وكذا ، للذِّي قال زيد بن اللصيَّت ! فقال رجل ممَّن كان في رحل عمارة - ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم - : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي ، فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه ، ويقول : إلَيْيَ عباد الله ؛ إن في رحلتي لداهيَّة وما أشعر ، اخرج أي عدو الله من رحلي ، فلا تصحبني ، قال ابن إسحاق : فزع عم بعض الناس أنَّ زيدًا تاب بعد ذلك ، وقال بعض الناس : لم يزل متَّهِمًا بشر حتى هلك) اهـ .

وذكره الحافظ في «الإصابة» في القسم الأول ، وحكى
الاختلاف في توبته ، والله أعلم .

قلت : تضمنَت هذه القضية آيتين من آيات النبوة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

الأولى : إخباره عليه الصلاة والسلام عن مقالة ذلك
المنافق قبل أن تصل إليه .

الثانية : إخباره عليه الصلاة والسلام بأنَّها في المكان
الفلاني معرفاً لهم أنَّ شجرة حبستها بزمامها ، كأنَّه عليه الصلاة
والسلام يشاهد ذلك ، فيخبر عنه رأيَ عين ، وقد وجدوها كما
أخبر ، ولا غرابة في ذلك ، فكم له من آيات تلو آيات لا يأتي
على عدَّها الحصر !

وفيها من الفوائد : وقوفه عليه الصلاة والسلام أمام من
أرسله وقوف الخاضع المستمطر لمزيد العلم بقوله عليه الصلاة
والسلام : « وإنِّي والله لا أعلم إلَّا ما علَّمَنِي رَبِّي » أي : وقد
علمه ربه تبارك وتعالى ، وهو الذي أَدَّبه وَخَلَقَه بقوله تعالى :
﴿ وَقُلْ رَبِّ رِزْقِنِي عِلْمًا ﴾ .

وفيها : زيادة ترقيه صلى الله عليه وسلم في المعارف
والعلوم ؛ فإنَّه تعالى يُفْيِضُ عليه كل وقت ما لا يعلمه إلَّا هو
﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ
وَكَانَ فَصْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ ﴿ وَلَلآخرةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى
وَلَسَوْفَ يُعَطِّيلُكَ رَبُّكَ فَتَرَضَّنِي ﴾ .

وفيها : قيام أصحابه بما عرف من صدقهم له ، ونصحهم
إياه ، يعرف ذلك من إخراج عمارة زيداً من رحله لِمَا علم

الفوائد الجمة من
تعامل الرسول صلى
الله عليه وسلم مع
الحديث الذي جرى
على لسان زيد بن
اللصيت

وَنَزَّلْتُ يَوْمَئِذٍ فِي مَخْشَنِ وَصَحْبِهِ ﴿كُنَّا نَخْوْضُ﴾ فَأَعْتَنِ

نفاقة ؛ فإنَّ (من صافى عدوك فقد عاداك) :

إذا صافى صديقك من تعادي

فقد عاداك وانقطع الكلام

يعني بالصديق : الذي صداقته مموَّهَة في الظاهر كصداقة المنافقين : أمَّا من صداقته حقيقة قد نزلت في الأحساء ، ورسبت في الأعمق ، وظهرت آثارها على اللسان .. فمحال أن يصدر منه شيء من ذلك .

وفيها من الفوائد : ترقُّي الصحابة رضي الله عنهم كل يوم في الإيمان والعلوم والمعارف ، بما يشاهدونه من نبيَّ الرحمة ، وسيد الرسل صلَّى الله عليه وسلم .

قصة وديعة بن ثابت ومخشن بن حمير :

(ونزلت يومئِذٍ) أي : يوم تبوك والنبيَّ صلَّى الله عليه وسلم منطلق إليها (في مخشن) ، بفتح الميم وسكون الخاء بعدها شين معجمة ، وهو ابن حُمَيْرٍ مصغراً بالتشقيل من أشجع (وصحبه) من المنافقين منهم وُديعة بن ثابت (﴿كُنَّا نَخْوْضُ﴾) الآية وهي قوله تعالى إخباراً عنهم لما سئلوا عن قولهم الباطل والكذب : ﴿ وَلَيْسَ أَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ إِنَّمَا كُنَّا نَخْوْضُ وَنَأْعَثُ قُلْ أَبِلَّهُ وَأَيْنَهُ وَرَسُولُهُ كُنُّتُمْ تَسْتَهِنُونَ لَا تَعْنِدُوا فَقَدْ كَفَرُتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ تَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ .

تبسيط المنافقين عن
مواجهة الروم

قال ابن إسحاق : (وقد كان رهط من المنافقين - منهم
وديعة بن ثابت أخوبني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من
أشجع حليف لبني سَلَمَةَ ، يقال له : مخشن بن حمير - يشيرون
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك ،
فقال بعضهم لبعض : أتحسرون على الأنصار كقتال العرب
بعضهم بعضاً ؟ والله ؟ لكانكم غداً مُقرئين في الجبال ؟
إرجافاً وترهيباً للمؤمنين ، فقال مخشن بن حمير : والله ؟
لوددت أنني أُفاصي على أن يضرب كل منا مئة جلدة ، وإنما
ننفلت أن ينزل علينا قرآن لمقاتلكم هذه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لعمار بن
ياسر : « أدرك القوم ؛ فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عمما قالوا ،
فإن أنكروا .. فقل : بلـى ، قلتم كذا وكذا » فانطلق إليهم
عمار ، فقال ذلك لهم ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ورسول الله واقف على
ناقهـه ، فجعل يقول وهو آخذ بحـقبـها : يا رسول الله ؛ إنـما كـنـا
نخوض ونلـعـبـ ، فأـنـزلـ الله عـزـ وـجـلـ : ﴿ وَلـئـنـ سـأـلـهـمـ
لـيـقـوـلـ ﴿ إـنـمـاـ كـنـاـ نـخـوـضـ وـنـلـعـبـ ﴾ ﴿ وـقـالـ مـخـشـنـ بـنـ حـمـيرـ :
يا رسول الله ؛ قـعـدـ بيـ اسـمـيـ وـاسـمـ أـبـيـ .

وكان الذي عُفي عنه في هذه الآية : مخشن بن حمير ،
فتسـمـيـ عبدـ الرـحـمـنـ ، وـسـأـلـ اللهـ تـعـالـيـ أـنـ يـقـتـلـهـ شـهـيـداـ لـاـ يـعـلـمـ
بـمـكـانـهـ ، فـقـتـلـ يـوـمـ الـيـمـامـةـ ، فـلـمـ يـوـجـدـ لـهـ أـثـرـ) اـهـ

.....
تفسير ما ورد في
ال الحديث

وقوله صلى الله عليه وسلم لعمار : « أدرك القوم ؛ فإنَّهم قد احترقوا » أي : هلكوا بتلك المقالة ؛ شفقة منه عليهم ، وقول مخشن : (قعد بي ...) إلخ ، قال ذلك لمَّا تاب ، وقال كما رواه ابن جرير الطبرى في « تفسيره » : (اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْمَعْ آيَةً أَنَا أَعْنَى بِهَا ، تَقْسِعُّ مِنْهَا الْجَلُودُ ، وَتَجِلُّ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، اللَّهُمَّ ؛ فَاجْعُلْ وَفَاتِي قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ ، لَا يَقُولُ أَحَدٌ : أَنَا غَسَلْتُ ، أَنَا كَفَنْتُ ، قَالَ : فَأُصِيبُ يَوْمَ الْيَمَامَةَ ، فَمَا أَحَدٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وُجِدَ ، غَيْرَهُ) .

اطلاق الطائفة على
الواحد

حكم الاستهزاء بالدين

قلت : ويستفاد من الآية : إطلاق الطائفة على الواحد ، كما يشير إليه كلام ابن إسحاق السابق ، وذكر الطبرى ذلك في « تفسيره » كما أنه يؤخذ من الآية : أنَّ الاستهزاء بالدين كيف كان .. كفر بالله ؛ لأنَّ المعول عليه في الإيمان تعظيم أوامر الله عزَّ وجلَّ وشرائعه ، ولا ينفع بعد ذلك القول بأنَّ هذا وقع خوضاً في الحديث ولعباً ؛ فإنَّه عين كلام المنافقين .

ما كان بعد الوصول إلى تبوك :

وكان على الناظم أن يذكر ماذا كان لما وصلوا إلى تبوك .

وحاصل ما ذكره أرباب السير : أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام لمَّا وصل إلى تبوك .. أتاه يُحَنَّة ، بضم التحية وفتح المهملة وتشديد النون ، ابن رؤبة ، بضم الراء ، صاحب أيلة ، وأهل جَرْبَى ، بجيم مفتوحة وألف مقصورة ، وأذْرَخ ، بهمزة مفتوحة وراء مضمومة ، فصالحهم على الجزية ، وكتب ليحنة :

عهد الأمان من النبي
صلى الله عليه وسلم
ليحنة بن رؤبة صاحب
أية

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : هَذِهِ أَمْنَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدَ النَّبِيِّ
رَسُولَ اللَّهِ لِيَحْنَةَ بْنَ رَوْبَةَ وَأَهْلَ أَيْلَةَ : سَفَنَهُمْ ، وَسَيَارَتَهُمْ فِي
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ؛ لَهُمْ ذَمَّةُ اللَّهِ ، وَذَمَّةُ مُحَمَّدَ النَّبِيِّ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ
مِّنْ أَهْلِ الشَّامِ وَالْيَمَنِ ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ
حَدِثًا . . فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَا لَهُ دُونَ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخْذَهُ مِنْ
النَّاسِ ، وَإِنَّهُ لَا يَحْلِّ أَنْ يَمْنَعُوا مَاءً يَرْدُونَهُ ، وَلَا طَرِيقًا
يَرْدُونَهُ ، مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرًا» .

وَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِتَبَوُّكٍ بَضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ ، أَوْ
عَشْرِينَ لَيْلَةً ، وَقَدْ اسْتَشَارَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَصْحَابَهُ فِي مَجَاوِزَتِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ وَحْيٌ ، فَقَالَ عُمَرُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ لِلرُّومِ جَمْعًا كَثِيرًا ، وَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ مِّنْ أَهْلِ
الإِسْلَامِ ، وَقَدْ أَفْزَعُهُمْ دُنُوُّكَ ، فَلَوْ رَجَعْنَا هَذِهِ السَّنَةَ ، حَتَّى
نَرَى أَوْ يَحْدُثَ اللَّهُ أَمْرًا . اهـ

قال في «الحلبية» : (وهذا صريح في أنَّ تبُوكَ لم يقع
فيها مقاتلة ، ولا حصل فيها غنيمة ، خلافاً للزمخري) .

ثُمَّ أَخْذَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَمَّا كَانَ بِعِصْمَ الطَّرِيقِ . .
مَاتَ الصَّاحِبُ الْجَلِيلُ الشَّهِيرُ بِذِي الْبَجَادِينَ الْمَزْنِيُّ لَيْلًا ، قَالَ
ابْنُ مُسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي حَفْرَتِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : «أَدْنِيَا إِلَيَّ أَخَاكُمَا»
فَدَلَّيَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا هَيَّأَهُ لِشَقِّهِ قَالَ : «اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي قَدْ أَمْسَيْتُ
رَاضِيًّا عَنْهُ ، فَارْضُ عَنِّي» قَالَ ابْنُ مُسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَئِذٍ :
يَا لِيَتِنِي كُنْتُ صَاحِبَ الْحَفْرَةِ .

مَدَةُ إِقَامَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَبَوُّكٍ

وفاة ذي الْبَجَادِينَ
الْمَزْنِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

رضي الله عنه وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عودة النبي صلى الله عليه وسلم وجيشه إلى المدينة

وكان قدومه عليه الصلاة والسلام المدينة قافلاً في شهر رمضان ، وبدأ بالمسجد ، فصلّى فيه ركعتين ، كما هي عادته الشريفة ، وستّه الحسنة المنية (فاعتن) أي : لتكن لك عناء بهذه المنظومة المشتملة على مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي تقوى إيمانك أيتها المؤمن ، وتزيدك في محبة الرسول الأعظم ، وتوصلك إلى القرب من جنابه الشريف وحضرته القدسية ، رزقنا الله تعالى وأحبابنا ذلك ، وسلك بنا أحسن المسالك .

٦٣٦

خاتمة

سؤال الله حسن الختام

في خلاصة للكشف عن بعض ما وقع من عام ولادته صلى الله عليه وسلم من الحوادث إلى عام وفاته صلى الله عليه وسلم

طلعت شمس الهدایة على العالم ، وشعَّ شعاعها ، بل أشرق على الكون نورها ، بولادة سيد الوجود ، الذي هدى الله به من أتَّبع رضوانه سبل السلام ، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور ، وذلك عام الفيل ، في فجر يوم الإثنين من شهر ربيع الأول ، لسبعين خلون منه ، في ب طاح مكة المشرفة يُشَعِّب بنى هاشم ، مسروراً ، مختوناً ، نظيفاً ، رافعاً رأسه الشريف إلى السماء ، شاخصاً بصره إليها ، وفي ذلك الرفع إلى كل سُؤدد إيماء ، وقد تلقَّته قابلته الشفَّاء أم عبد الرَّحْمَن بن عوف ، وشفتنا بقولها الشفَّاء ، عليه ألف صلاة وألف سلام .

وفي السنة الرابعة من مولده صلى الله عليه وسلم : شُقَّ صدره الشريف ، عند ظهره حليمة السَّعديَّة رضي الله عنها .

وفيها : ولد أبو بكر الصَّدِيق رضي الله عنه .

وفي السنة السادسة : ماتت أمَّه آمنة بنت وهب ، ودفنت بالأبواء ، وتوفي أبوه عبد الله وهو حَمْل بالمدينة المنوَّرة ، ونشأ عليه الصَّلاة والسلام يتيمًا على أحسن الأخلاق وأكملها ، ولعلَّ السر في ذلك أن تظهر عنابة الله به ، ولثلاً يكون عليه حق

تارِيخ ولادة رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قابله رسول الله صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

شق صدره صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وفاة أمَّه آمنة ونشأتها
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَفِيهَا : وَلَدُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ : اسْتَقَلَّ بِكَفَالَتِهِ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ سَيِّدُ قُرَيْشٍ .

وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ : كَانَتْ وَفَاتَةُ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ .

وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ : سَافَرَ بِهِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ إِلَى بُصْرَى - بِضْمِ الْبَاءِ - مِنْ أَرْضِ الشَّامِ .

وَفِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ : كَانَتْ حَرْبُ الْفِجَارِ الْأُولَى ، بِكَسْرِ الْفَاءِ .

وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشَرَةِ : شُقَّ صُدْرُهُ الشَّرِيفُ لِلْمَرْأَةِ الْثَّانِيَةِ .

وَفِي الثَّانِيَةِ عَشَرَةِ : كَانَتْ حَرْبُ الْفِجَارِ الثَّانِيَةِ ، وَسَافَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ إِلَى بُصْرَى عِنْدَ الْأَكْثَرِ .

وَفِي الثَّالِثَةِ عَشَرَةِ : وُلِّدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَفِي الرَّابِعَةِ عَشَرَةِ : كَانَتْ حَرْبُ الْفِجَارِ الثَّالِثَةِ .

وَفِي السَّابِعَةِ عَشَرَةِ : كَانَ سَفَرُ عَمِّهِ : الرَّبِّيرِ وَالْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِلْيَمَنِ لِلْتَّجَارَةِ ، وَصَحْبُهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعَشَرِينَ : سَافَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ مَيْسِرَةَ غَلَامَ أَمْنَى خَدِيجَةَ بَنْتَ خَوَيْلَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ،

وتزوج صلى الله عليه وسلم بخديجة بنت خويلد حين خطبته
لنفسها ، لمَا آنست نجابتها وأمانته ورجحان عقله .

وفي سنة ثلاثين : ولد علي بن أبي طالب في الكعبة ،
رضي الله عنه .

وفي سنة أربع وثلاثين : ولد معاوية بن أبي سفيان ،
ومعاذ بن جبل ، رضي الله عنهم .

وفي سنة خمس وثلاثين : هدمت قريش الكعبة وبنتها ،
وحكموه صلى الله عليه وسلم فيمن يضع الحجر الأسود
محله ، فحكم فيهم بالرضا والعدل .

تحكيم قريش رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
وضع الحجر الأسود

وفي سنة سبع وثلاثين : كانت الإرهاصات ، وهي مقدمة
النبوة ، فكان يرى الضوء والنور ، ويسمع الأصوات ، وكانت
تظله الغمامه من الشمس ، ونبيه عمره أربعون سنة ، بنزول :
﴿أَقْرَأَنَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْأَنْشَاءَ مِنْ عَلَقٍ أَقْرَأَنَا بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنْ عَلَمَ الْأَنْشَاءَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ .

إرهاصات النبوة

نبوته صلى الله عليه
 وسلم

وفي السنة الثالثة من النبوة : توفي ورقة بن نوفل .

وفي السنة الرابعة من النبوة : كان إظهار الدعوة إلى الله
تعالى بعد أن كانت سرّاً .

وفي السنة الخامسة من النبوة : ولدت عائشة رضي الله
عنها ، وكانت الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة .

وفيها : ماتت سُميَّةٌ أُمُّ عَمَّارٍ بنِ يَاسِرَ ، رضي الله عنهم ،
وهي أول شهيدة في الإسلام .

وفي السادسة من النبوة : أسلم حمزة بن عبد المطلب ،
ثمَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنهم بثلاثة أيام بعده .

الهجرة إلى الحبشة

وأول شهيدة في
الإسلام

وفي السنة السابعة : تقاسمت قريش على معاداةبني هاشم وبني المطلب ، ومقاطعتهم في خيْف بنى كنانة بالمحضب ، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها بجوف الكعبة ولم يحصلوا على طائل ؟ حيث نقضت بعده .

وفي التاسعة من النبوة : كان انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم ، وهي معجزة سماوية ، لم تكن لغيره من إخوانه المرسلين .

عام الحزن وفي السنة العاشرة : مات أبو طالب وخدیجة رضي الله عنها ، وكان صلى الله عليه وسلم يسمى هذا العام عام الحزن لذلك .

وفيها : تزوج صلى الله عليه وسلم سُودة بنت زمعة رضي الله عنها ، ودخل عليها بمكة ، وعقد على عائشة رضي الله عنها ، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها إلا في المدينة .

وفي السنة الحادية عشرة من النبوة : كان ابتداء إسلام الأنصار رضي الله عنهم .

وفي السنة الثانية عشرة من النبوة : كان الإسراء والمعراج ، وفرض الصلوات الخمس ، وبيعة العقبة الأولى .

وفي السنة الثالثة عشرة من النبوة : العقبة الثانية .

وفي السنة الرابعة عشرة من النبوة ، وهي السنة الأولى من الهجرة : هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، وفي صحبته أبو بكر الصديق ، وكان الدليل عبد الله بن أرقم .

وفيها : بناء مسجد قباء ، وبناء المسجد الأنور
ومساكنه صلى الله عليه وسلم ، والمؤاخاة بين المهاجرين
والأنصار ، واستخدام أم أنس ولدتها عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعمره عشر سنين .

وفيها : جعلت صلاة الحضر أربع ركعات ، وكانت
ركعتين ، بعد مقدمه المدينة بشهر .

وفيها : صلى الجمعة ببني سالم في طريقه من قباء إلى
المدينة ، وهي أول جمعة جمعت ، وأول خطبة خطبها في
الإسلام .

أول جمعة في الإسلام

وفيها : بدأ الأذان .

وفيها : أسلم عبد الله بن سلام .

وفيها : مات النقيبان : أسعد بن زرار ، والبراء بن
معرور^(١) .

وفيها : بعث حمزة رضي الله عنه في ثلاثة من المهاجرين
يعترضون غير قريش ، وبعث ابن عمه عبيدة بن الحارث
رضي الله عنه على مئتين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري ،
وهو أول بعث في الإسلام .

وفي السنة الثانية من الهجرة : حولت القبلة إلى البيت
الحرام ، وذلك في النصف من شعبان .

تحويل القبلة إلى البيت

الحرام

وفيها فرض صوم رمضان .

(١) ودفنا بالبقيع وهما من الأنصار ، أمّا أول من دفن به من المهاجرين : فهو عثمان بن
مطعون ، فتبّه .

وفيها : فرض زكاة الفطر ، و Zakat al-mal ، و مشروعية العيد .

وفي سابع عشر يوم الجمعة من رمضان : كانت غزوة بدر الكبرى .

وفيها : تزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه بفاطمة رضي الله عنها ، وسنها خمس عشرة سنة ، وغزوة بواط والعشيرة ، وسرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى بطن نخلة ، وغزوة قرقنة الْكُدْر ، وسرية سالم بن عمير رضي الله عنه ، وغزوةبني قينقاع ، وغزوة السوق .

أول من مات من المهاجرين بالمدينة ودفن بالقيع وفيها : موت عثمان بن مظعون رضي الله عنه ، وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة المنورة ، وكان ذلك بعد رجوعه من بدر ، وهو أول من دفن بيقع الغرقد ، وقبله النبّي صلى الله عليه وسلم وهو ميت بين عينيه ، وعیناه تذرفان ، ودفن إلى جنبه ولده إبراهيم ، وقال : « الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون » .

وفيها : وفاة رقية بنته عليه الصّلاة والسلام ورضي الله عنها .

وفي شوال منها : دخل النبّي صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها .

أوائل المولودين للمهاجرين والأنصار وفيها : ولد عبد الله بن الزبير ، والنعمان بن بشير رضي الله عنهم ؛ الأول : أول مولود للمهاجرين ، والثاني : أول مولود للأنصار .

وفي السنة الثالثة من الهجرة : ولد الحسن بن علي رضي الله عنهم .

وفي رمضان منها : دخل النبي صلى الله عليه وسلم بحصة ، ودخل بزینب بنت خزیمة العامریة الملقبة بأم المساکین ، وعاشت عنده ثلاثة أشهر ثم توفیت .

وفيها : تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفيها : تحريم الخمر .

وفي شوال منها : غزوة أحد .

وفيها : استشهد سیدنا حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، ورضیع النبي صلى الله عليه وسلم هو وأبو سلمة بن عبد الأسد ، من ثوبیة مولاة أبي لهب ، وغزوة حمراء الأسد .
وفي ذی القعده منها : بدر الصغرى .

وفي السنة الرابعة من الهجرة : بعث بئر معونة ، وقصة الرجیع .

وفي ربيع الأول منها : غزوة بنی النضیر ، نزلوا صلحاً ، وارتحلوا إلى خییر ، ووفاة زینب بنت خزیمة ، وولادة الحسین بن علی رضی الله عنهم .

وفيها في شوال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة ، هند بنت أبي أمیة رضی الله عنها .

وفي السنة الخامسة من الهجرة : غزوة دومة الجندي ، وغزوة ذات الرقاع على قول ، وغزوة الخندق والأحزاب على الصحيح ، ثم غزوة بنی قریظة .

أول وافد مسلم إلى
المدينة المنورة

وفيها : توفي سيد الأوس سعد بن معاذ رضي الله عنه ،
واهتَّ لموته عرش الرَّحْمَن ، ووفد بلال بن الحارث المزني
فكان أول وافد مسلم إلى المدينة المنورة .

وفيها : غزوة المريسيع والمصطلق ، وقصة الإفك ،
ونزول القرآن ببراءة عائشة رضي الله عنها ، ونزول آية التيم ،
وتزويجه بزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث ، ونزول آية
الحجاب ، وفك سلمان من الرق رضي الله عنه .

وفي السنة السادسة من الهجرة : غزوة الحديبية ، وبيعة
الرضوان ، وغزوةبني لحيان ، وغزوة الغابة ، وسرية
عكاشة ، ومحمد بن مسلمة ، وبعث أبي عبيدة ، وسرية
زيد بن حارثة إلىبني سليم ، وسريته إلى العِصْ ، وإلى وادي
القرى ، وسرية عبد الرَّحْمَن بن عوف إلى دومة الجندي ،
وسرية علي إلىبني سعد بن بكر ، وابن عتيك إلى ابن
أبي رافع ، وسرية عمرو بن أمية الضميري وسلمة بن أسلم
لقتال أبي سفيان بمكة .

وفيها : قحط الناس ، فاستسقى لهم الله رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فسقوا في رمضان .

وفيها : فرض الحج على الصحيح ، كما ذكره السيد
السمهودي في « وفاء الوفاء ». فرض شعيرة الحج

وفي السنة السابعة : غزوة خيبر . وفيها : تزوج صلى الله
عليه وسلم صفية ، وميمونة ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان
رضي الله عنها .

استشهاد الأمراء
الثلاثة

وفيها : قدم مهاجرة الحشة رضي الله عنهم .
وفيها : أسلم أبو هريرة رضي الله عنه .
وفيها : عمرة القضاء .
وفيها : غزوة وادي القرى .
وفيها : اتَّخذ المنبر ، وخطب عليه الصَّلاة والسَّلام .

وفي السنة الثَّامنة من الهجرة : في أَوَّلها إسلام عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم ، وغزوة مؤتة ، وبها استشهد الأمراء الثلاثة : زيد بن حارثة ، الذي نَوَّه القرآن بذكره وقدره ، وجعله النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وابنه أُسَامَة كُفُّاً لِلقرشيات الهاشميَّات ، ثالثهم : جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه الملقب بالطيار ، ثالثهم : عبد الله بن رَوَاحَة الْخَزْرَجِيُّ أحد النقباء ليلة العقبة رضي الله عنهم .

وفي رمضان منها : فتح مكة المشرفة ، وغزوة حنين ، ثمَّ حصار الطائف .

وفيها : حجَّ عَتَابَ بْنَ أَسِيدَ بَالنَّاسِ .

وفيها : غزوة ذات السلاسل .

وفيها : ولد إبراهيم بن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفيها : توفيت ابنته زينب ، وهي أكبر أولاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفيها : إسلام العباس بن عبد المطلب ، وأبي سفيان بن الحارث ، وعبد الله بن أمية المخزومي ، وإسلام أبي قحافة والد الصديق الأكبر ، رضي الله عنهم .

ولادة إبراهيم ابن
رسول الله صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وفي السنة التاسعة من الهجرة : غزوة تبوك ، وحجّأ
أبو بكر بالناس .

وفيها : مات النجاشي بالحبشة في رجب منها ، وتوفيت
أم كلثوم بنته عليه الصّلاة والسّلام .

وفيها : مات رئيس المنافقين عبد الله بن أبيّ .

وفيها : قتل عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه ، قتله
قومه أن دعاهم إلى الإسلام ، وكان معدوداً من دهّة العرب .

وفيها : توفي سهيل بن بيضاء الفهريّ وصلّى عليه
رسول الله صلّى الله عليه وسلم في المدينة .

وفيها : قتل ملك الفرس ، وولوا بُورَان ، وقال فيهم
النبيّ صلّى الله عليه وسلم : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم
امرأة » .

وفيها : قدوم الوفود على النبيّ صلّى الله عليه وسلم ،
عام الوفود
وسمى لذلك : عام الوفود .

وفي السنة العاشرة من الهجرة : حجة الوداع ، ولم
يحجّ صلّى الله عليه وسلم بعد الهجرة سواها .

وفيها : توفي إبراهيم ابنه عليه الصّلاة والسّلام من مارية
القبطية عن سنة ونصف .

وفيها : قدوم عدي بن حاتم رضي الله عنه ، وبعث
علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه إلى اليمن ، وإسلام سيد
بني بجيلة جرير بن عبد الله البَجَلِيّ ، وبعثه إلى تخرّب ذي
الخَلَّصَة ، وبعثه أيضاً إلى ذي الْكُلَّاع .

وفيها : بعث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى أهل نجران .

وفيها : ظهور الأسود العَنْسي المدّعى النبّوَة ، وكان بين ظهوره وقتله نحو من أربعة أشهر كما ذكره ابن العماد في « شذراته » .

وفي السنة الحادية عشرة : قدوم وفد النَّخْعَ ، وسرية
أُسَامَةَ بْنَ زَيْدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى أَبْنَائِي ، وقصة الأسود
العنسي ، ومسيلمة الكذاب ، وسَجَاح ، وما وقع في ابتداء
مرضه صلى الله عليه وسلم ،

وفيها : موته ، وغسله ، وتكفينه والصلوة عليه ، ودفنه في بيت عائشة رضي الله عنها .

قال العلّامة جمال الدين الأشخر في «بهجته» : (قال الإمام السهيلي : وكان موته صلى الله عليه وسلم خطباً كالحاء ، ورزاً لأهل الإسلام فادحأ ، كادت تنهد له الجبال ، وترجف الأرض ، وتكشف النيران ؛ لانقطاع خبر السماء ، وقد ما لا عوض منه ، مع ما آذن به موته من إقبال الفتنة السّحوم ، والحوادث الدّهم ، والكرب المدلهمة ، والهزاهز المعضلة ، فلو لا ما أنزل الله تعالى من السكينة على المؤمنين ، وأسرج في قلوبهم نور اليقين ، وشرح له صدورهم في فهم كتابه المبين .. لانقصمت الظهور ، وضاقت عن الكرب الصدور ، ولعاقهم الجزع عن تدبير الأمور ؛ فقد كان الشيطان أطلع إليهم رأسه ، ومدّ إلى إغواهم مطامعه ، فأوقد نار الشنان ، ونصب راية الخلاف ، ولكن أبي الله تعالى إلا أن يتم نوره ، ويعلى

الخطب العظيم الذي أصاب المسلمين

لولا أبو بكر رضي الله
عنه لهلكت الأمة

كلمته ، وينجز موعوده ، فأطأفا نار الردة ، وحسم مادة
الخلاف والفتنة على يد أبي بكر ؛ ولذلك قال أبو هريرة : لولا
أبو بكر .. لهلكت أمّة محمد عليه السّلام بعد نبيها .

وقالت عائشة : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل
بأبي بكر ما لون زل بالجبال لها ضها : ارتدت العرب . واشرأبَ
النفاق .

أبو ذؤيب الهدلي
رضي الله عنه وحاله
عند سماعه موت
النبي صلى الله عليه
وسلم

روي عن ابن أبي ذؤيب الهدلي [عن أبيه أبي ذؤيب
الشاعر] قال : (بلغنا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ، فاستشعرت حزناً ، وبيت بأطول ليلة ، لا ينجذب
ديجورها ، ولا يطلع نورها ، فظلت أقاسي طولها ، حتى إذا
كان قرب السحر .. أغفت ، فهتف بي هاتف ، وهو يقول :

خطب أجل آنٍ بالإسلام
بين التخيل ومعقد الأطام

قبض النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ فعيوننا

تذري الدموع عليه بالتسجام

وذكر خبراً طويلاً قال فيه : وقدمت المدينة ولها ضريح
بالبكاء كضريح الحجيج إذا أهلوا بالإحرام ، فقلت لهم : مَهْ ؟
قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتت
المسجد ، فوجده خالياً ، فأتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فوجدت بابه مُرْتَجاً - أي : مغلقاً - وقيل : هو مسجى
قد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سقيفة
بني ساعدة ، فجئت إلى السقيفة ، ثمَّ قال : فتكلمت الأنصار
فأطالوا الخطاب ، وأكثروا الصواب ، وتكلَّم أبو بكر ، فلله

وصف أبي ذؤيب
المدينة بعد ما حَلَّ بها
الحدث العظيم

وصف المقالات التي
دارت في سقيفة بنى
سعادة

دره ، لا يطيل الكلام ، ويعلم موقع فصل الخطاب ، والله ؟
لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع .. إلأً انقاد له ومال إليه ، ثم
تكلم عمر بعده دون كلامه ، ومدّ يده ، فباعه وبايعوه . ورجع
أبو بكر ، ورجعت معه ، قال أبو ذؤيب : فشهدت الصّلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنه) .

قال العلّامة العماد إسماعيل بن كثير رحمه الله تعالى :
(والذي نصّ عليه غير واحد من الأئمّة سلفاً وخلفاً أنه
توفي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين قبل أن يتتصف النهار ،
وُدُفِنَ يوم الثلاثاء قبل وقت الصّحي) .

تحديد وقت وفاة
النبي صلى الله عليه
 وسلم ، ويوم دفنه

ونقله عنه العلّامة الحلبي في « سيرته » ثمّ قال :
(والصحيح : أنَّه صلى الله عليه وسلم مكث بقية يوم الإثنين ،
وليلة الثلاثاء ، ويوم الثلاثاء ، وبعض ليلة الأربعاء ، والسبب
في تأخيره : اشتغالهم ببيعة أبي بكر رضي الله عنه حتى تمت .
وُدُفِنَ عليه الصّلاة والسلام في بيت عائشة رضي الله عنها ،
وقام الإجماع على أنَّ هذا الموضع الذي ضمَّ أعضاءه
الشريفة صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض حتى الكعبة
المشرفة ، بل أفضل بقاع السماء حتى العرش .

وعن أنس رضي الله عنه : ما نفضينا أيدينا من دفن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكروا قلوبنا .

وقال غيره : وأظلمت الدنيا حتى لم ينظر بعضاً إلى
بعض ، وكان أحدهما يبسط يده فلا يراها ، قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « أنا فرط لأمّتي ، لن يصابوا بمثلي » .

شعور الصحابة
وإحساساتهم بعد دفن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم

وفي « مسلم » مرفوعاً إليه صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ
سَبَّحَنَهُ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ بَأْمَةً خَيْرًا . . قَبْضَ نَبِيِّهَا قَبْلَهَا ، فَجَعَلَهُ
فَرْطًا وَسَلْفًا بَيْنَ يَدِيهَا ») اهـ

فيما له من خطب جل عن الخطوب ، ومصاب عام دمع
العيون ؛ كيف يصوب طارق هجوم الليل ، وحدث هـ
كل القول والحيل ؟ أنسد بعضهم :

أَلَا يَا ضَرِيحاً ضَمَّ نَفْسًا زَكِيَّةً

عَلَيْكَ سَلَامَ اللَّهِ فِي الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ

عَلَيْكَ سَلَامَ اللَّهِ مَا هَبَتِ الصَّبَا

وَمَا نَاحَ قَمْرِيٌّ عَلَى الْبَانِ وَالرَّنْدِ

وَمَا سَجَعَتْ وَرْقًا ، وَغَنَّتْ حَمَامَةً

وَمَا اشْتَاقَ ذُو وَجْدٍ إِلَى سَاكِنِي نَجْدٍ

وَمَا لَيْ سَوَى حَبِّيَ لَكُمْ أَلَّا أَحْمِدُ

أَمْرَغَ فِي شَوْقٍ عَلَى بَابِكُمْ خَدِّيَ

اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا ، وَنَبِيِّنَا ،

وَشَفِعِنَا ، وَقَرَّةِ عَيْنِنَا أَبِي الْقَاسِمِ ، وَأَبِي الْبَتْوَلِ مُحَمَّدَ بْنِ

عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذَرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى

سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمَيْنِ ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ

مَجِيدٌ ، وَعَلَيْنَا مَعْهُمْ .

* * *

هذا وقد وقف بي جواد مداد الطروس عن الجري في ميدان
شرح هذه المنظومة البدعة في بابها ، راجياً من الله تعالى أن
يتقبل مني كل ما كتبته من هذا الشرح والتعليق ، كما تقبل

أصله ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ووسيلة للقرب
لسيدهنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أحظمى به يوم النعيم
المقيم ، وأن يرزقني كمال متابعته ، والتحلي بالعمل
بشرعه ، وأن ينفع بهذا الشرح المؤمنين ، ويحفز بي وبهم إلى
التخلق بأخلاقه العظيمة ، ويختتم لي ولوالدي ، ولمنقرأ هذا
الشرح ، أو كتبه ، أو سعى في شيء منه ، ولجميع الأحباب ،
بخاتمة السعادة التي ختم بها لأوليائه ، ويصلح لنا الذرية ، وأن
يجمعنا في أعلى الجنان من غير سابقة عذاب ، آمين آمين يا الله
يا حليم ، يا علیم ، يا علي ، يا عظيم ، يا كريم ، يا معطي
السائلين ، ومجيز الوافدين .

وكان الفراغ من هذا الشرح - الذي هو القسم الثاني ،
جعله الله سبباً لغفران الزلات والصفح - ليلة الأحد الموافق
٢٥ من شهر رجب المحرم سنة ستين بعد الثلاث مئة والألف ،
من هجرة من له كمال العز والشرف ، صلى الله عليه وسلم ،
وكرم وشرف .

* * *

وانتهيت بحمد الله وعونه من كتابة العناوين الجانبية ،
ودراسة كتاب «إنارة الدجى في مغازي خير الورى» صلى الله
عليه وسلم من تأليف شيخي الشيخ حسن بن محمد المشاط
بكوالالمبور ، ماليزيا مساء الجمعة ٥ جمادى الأولى سنة
(١٤١٣) الموافق ٣٠ أكتوبر سنة (١٩٩٢) فلله الحمد والمنة
وصلى الله على خير الوجود سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله

وصحبه ، وجزءاً الله شارح المنظومة شيعي الشیعی حسن سنت
خير الجزاء ، وتم تصحیحه من قبل الأخوین الدكتور السيد
قاسم بن محمد الأهدل ، والدكتور صبغة الله غلام نبی
قطب الدين تلمیذی فضیلۃ الشیخ حسن محمد المشاط رحمة
الله فجزاهم الله خير الجزاء .

عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان

مُحتَوى الِكتَاب

الصفحة

العنوان

القسم الأول

٩	ترجمة الشارح
١٤	الدراسة
١٤	شرح المنظومة
١٥	مصادر الشرح
١٦	صلة الشارح رحمة الله بمنظومة المغازي وتحقيقه نصوصها
١٨	منهج الشارح رحمة الله تعالى
٢٠	منهج الشارح في التعبير عن رأيه
٢٠	خصائص الشرح

القسم الثاني : الكتاب

٣٧	تعريف بصاحب النظم
٣٧	ترجمة الناظم
٣٧	نظم عمود النسب
٣٨	تاريخ وفاة الناظم
٣٩	تصدير
٤٠	أهمية علم المغازي
٤٠	مصادر الشرح
٤٢	المقدمة الأولى في مشروعية الجهاد

٤٢	تدرج مشروعية الجهاد
٤٢	بداية مشروعية الجهاد
٤٣	فرض القتال لمن بدأهم به
٤٣	فرض قتال المشركين كافة
٤٣	أقسام الكفار وتحديد علاقاتهم بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الهجرة
٤٤	تعامله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الطوائف المختلفة
٤٥	أقسام أهل العهد
٤٧	المقدمة الثانية في المغازي وفضل علمها وتعلمها
٤٧	المراد من المغازي
٤٧	الآثار في فضل فن المغازي
٤٨	أهمية تعلم فن المغازي للأجيال المسلمة
٤٩	المقدمة الثالثة في أشهر من ألف في المغازي
٤٩	المؤلفون الأوائل في علم المغازي
٥٤	منهج أهل السير في الأخذ بالأخبار
٥٧	منظومة المغازي
٨٤	الإجماع على أنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير الخلق على الإطلاق
٨٤	تحرير مقالة المعتزلة في أفضليته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المطلقة
٨٤	عموم أدلة رسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن والسنة
٨٥	الصلاوة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي أداء لبعض ما يجب له في عنان الأُمّة
٨٦	آل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
٨٦	تعريف الصحابي

تعريف التابعي	٨٦
أهمية العلم وأفضليته	٨٨
تعريف الرجز وزونه	٩٠
ترجمة ابن سيد الناس اليعمري	٩١
من مصطلحات الناظم ذكر الضمير استغناءً عن الاسم الشريف للنبي صلى الله عليه وسلم	٩٣
الأقوال في تعريف الإخلاص	٩٥

(١) غزوة ودان

عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم	٩٦
الغزوات الكبار	٩٦
موقع الغزوة	٩٧
حاصل غزوة ودان ، تاریخها ، حامل لوائها	٩٧
مصطلح أهل السیر فيما يسمونه غزوة ، وسرية ، وبعثا	٩٨

(٢) غزوة بواط

موقع الغزوة	٩٨
عدد أفرادها	٩٨
تاریخها	٩٨
حاصل لوائها	٩٨

(٣) غزوة العشيرة

موقع الغزوة	١٠٠
تاریخها	١٠١

101	حامل لوائها
101	عدد أفرادها
101	الجمع بين الأقوال المختلفة في أول غزوة غزاها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(٤) غزوة بدر الأولى

102	حاصل غزوة بدر الأولى
102	تاریخها ..
102	حامل لوائها

(٥) غزوة بدر الكبرى

103	بدر : بئر سميت باسم رجل من غفار
103	تاریخها ..
104	سبب خروج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الغزوة
104	عدد أفرادها ..
104	حامل لوائها ..
104	قلة الظهر والسلاح عند المسلمين
104	تعاقب كل ثلاثة من الصحابة على بعير ..
105	زميلا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعاقب
106	أول خروج الأنصار مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
106	رد صغار الصحابة عن الخروج للغزو
106	استشهاد عمير بن أبي وقاص ..
106	دعاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبركة لأهل المدينة
106	عدد السيوف لدى الصحابة الكرام ..
107	عدد الخيول ..

استشارة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير وحرب التفير ١٠٩	العنوان
موقف الأنصار من خلال استجابة سعد بن معاذ رضي الله عنه لنداء النبي صلى الله عليه وسلم ١٠٩	العنوان
موقف المقداد بن عمرو واستجابته لنداء النبي صلى الله عليه وسلم ١١٠	العنوان
استدراك على الناظم ١١٢	العنوان
تحذير عمر بن الخطاب من قوة قريش ١١٢	العنوان
تعرف الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر أخبار قريش ١١٣	العنوان
قصة سقاة قريش ١١٤	العنوان
تقدير عدد كفار قريش ومن خرج من أشرافهم ١١٥	العنوان
أمن أبي سفيان على العير ونجاتها ١١٥	العنوان
سبب أمن أبي سفيان ١١٥	العنوان
تتبع أبي سفيان أخبار المسلمين والتعرف على تحركهم ١١٦	العنوان
انحراف العير إلى الساحل ١١٦	العنوان
رجوع الأحسن بنبي زهرة ١١٦	العنوان
إصرار أبي جهل على عدم رجوع قريش ١١٧	العنوان
نزول المطر يوم بدر نعمة على المسلمين ونقطة على المشركين ١١٨	العنوان
المشورة في منزل الحرب ١١٩	العنوان
مقال عتبة ، وحكيم ، وابن وهب لقريش في الرجوع عن القتال ١٢١	العنوان
بعث قريش عمير بن وهب الجمحي متৎسساً أخبار المسلمين ١٢٢	العنوان
مفاوضات زعماء قريش على التراجع عن القتال ١٢٣	العنوان
إصرار أبي جهل على الحرب ١٢٣	العنوان
محاولة حكيم بن حزام أبا جهل في الرجوع عن القتال ١٢٤	العنوان
استنشاد أبي جهل ابن الحضرمي بالمطالبة بالثار من المسلمين ١٢٥	العنوان

١٢٥	مقتل الأسود بن عبد الأسد
١٢٦	ابتداء الحرب بالمبرزة
١٢٧	استشهاد عبيدة بن الحارث
١٢٨	عبيدة بن الحارث
١٢٩	الأخوان الحصين والطفيلي ابنا الحارث
١٣٠	قصة سواد بن غزية مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
١٣٠	قصة تقبيل سواد بن غزية بطن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
١٣١	عریش النبی صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
١٣١	توجه النبی صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متضرعاً إلى الله عَزَّ وَجَلَّ
١٣٢	الإمداد بالملائكة في بدر
١٣٣	دعاؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه
١٣٣	استفتاح أبي جهل
١٣٤	آثار حفنة التراب التي رماها النبی صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجه كفار قريش
١٣٥	قتال الملائكة لمساعدة المسلمين
١٣٥	الخلاف في قتال الملائكة
١٣٦	سماع الطبل في بدر
١٣٦	تحقيق العلامة بن مززوق لسماعه
١٣٧	تحقيق المؤرخ الخميس حسين بن محمد
١٣٨	الخلاف في نزول جبريل بعد الرسول عليهما السلام
١٣٨	التحقيق في نزول جبريل بعد وفاة النبی صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
١٣٩	قصة الرجلين اللذين شاهدا جبريل عليه السلام
١٤٠	سعد بن معاذ وحراسته الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العريش
١٤١	رأي سعد بن معاذ وعمر في الأساري

١٤٢	استشارة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابِهِ فِي أَسْرِ بَدْرٍ
١٤٢	مُوافِقَاتٌ عُمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
١٤٣	الاستشارة فِي أَسْرِ بَدْرٍ
١٤٤	النَّهَيُّ عَنْ قَتْلِ بَنِي هَاشِمٍ وَأَبْنَى الْبَخْتَرِيِّ
١٤٦	قَتْلُ الْمَجْدُرِ بْنِ ذِيَادٍ لِأَبْنَى الْبَخْتَرِيِّ
١٤٨	مَقَالَةُ أَبِي حَذِيفَةَ وَتَكْفِيرُهَا بِالْشَّهَادَةِ
١٤٩	اسْتَشْهَادُ أَبِي حَذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَوْلَاهُ سَالِمٌ يَوْمَ الْيَمَامَةِ
١٤٩	تَمْنِي أَبِي حَذِيفَةَ مَوْتُ أَبِيهِ عَلَى الْإِسْلَامِ
١٥٠	مَقْتَلُ أَبِي جَهَلٍ
١٥١	إِصَابَةُ مَعَاذَ بْنِ عَمْرُو الْجَمْوُحِ فِي عَانِقِهِ
١٥١	مِنْ مَعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
١٥٢	الْتَوْفِيقُ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ
١٥٣	تَسْمِيَةُ أَبِي جَهَلٍ فَرَعُوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ
١٥٥	طَرْحُ قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْقَلْبِ وَنَدَاؤُهُمْ
١٥٦	الْاِخْتِلَافُ فِي إِحْيَاءِ قَتْلِ بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَمَاعِهِمْ تَوْبِيْخُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
١٥٧	مُوقَفُ أَهْلِ السَّنَةِ مِنْ خَبْرِ إِحْيَاءِ قَتْلِ مُشْرِكِيِّ أَهْلِ بَدْرٍ
١٥٨	إِخْبَارُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَصَارِعِ الْمُشْرِكِينَ بِأَسْمَائِهِمْ قَبْلَ الْقَتْالِ
١٥٩	اسْتَخْلَاصُ الْعَظَةِ مِنْ إِخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَصَارِعِ كَفَارِ قُرَيْشٍ قَبْلَ الْمَعرَكَةِ
١٥٩	نَصْرُ اللهِ الْمَوْعُودُ لِلْمُؤْمِنِينَ
١٦٠	الْمَغْفِرَةُ لِأَهْلِ بَدْرٍ
١٦١	الْمَعْنَى الَّذِي يَنْبُغِي أَنْ يَحْمَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْمَغْفِرَةِ لِأَهْلِ بَدْرٍ

الحث على سؤال المسلم ربه الفردوس الأعلى ١٦٣	العنوان
يوم بدر أذل الله فيه الشرك ، وأعزَّ الإسلام ١٦٣	الصفحة
الثمانية المتخلقون عن شهود بدر لعذر ١٦٤	
طلحة بن عبيد الله ١٦٥	
سعید بن زید بن عمرو بن نفیل ١٦٥	
أسباب التخلف ١٦٦	
ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه وسبب تخلفه ١٦٧	
توفيق بين الروايتين في سبب تخلفه ١٦٨	
الحارث بن الصمة رضي الله عنه ١٦٨	
خوات بن جبیر رضي الله عنه صاحب ذات النھین في الجاهلية ١٦٨	
عاصم بن عدی العجلانی ١٦٩	
تحقيق سبب تخلفه عن غزوة بدر ١٦٩	
أبو لبابة بشیر بن عبد المنذر ١٧٠	
الحارث بن حاطب ١٧١	
قباء وحراء ١٧١	
خصائص قباء ١٧١	
من لم يذكرهم الناظم من تخلف عن بدر وكان له سھمها وأجرها ١٧٢	
بعض الأسرى من قريش ١٧٢	
أسر أبي عزیز بن عمیر ١٧٢	
صعب بن عمیر رضي الله عنه ١٧٢	
وصية رسول الله صلی الله علیه وسلم بِإکرام الأسرى ١٧٤	
إکرام الأنصار أبا عزیز بن عمیر ١٧٤	
صاحب لواء المشرکین بدر ١٧٤	

أسر أبي العاصي بن الربيع ، ثم فكه	١٧٥
استجارته بزينب بنت الرسول صلّى اللهُ علٰيهِ وسَلَّمَ وإجارتها له	١٧٨
حال أبي العاص مع زينب قبل إسلامه	١٨٠
التبنيه على الدس على القرطبي في « تفسيره » فيما يخص أبا العاصي وزوجه زينب رضي الله عنهما	١٨١
السبب في عدم التفريق بين زينب وأبي العاص قبل إسلامه	١٨١
أمانة أبي العاصي ، وشرفه ، وإسلامه	١٨٢
أداء أبي العاص الأموال لأهلهما من قريش	١٨٢
السبب في إعلان إسلامه بمكة دون المدينة	١٨٢
رد زوجه زينب إليه	١٨٣
نسبة أبي العاص رضي الله عنه إلى أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .. .	١٨٤
ثناء الرسول صلّى اللهُ علٰيهِ وسَلَّمَ على أبي العاص	١٨٥
فداء أسرى بدر	١٨٥
خيار النبي صلّى اللهُ علٰيهِ وسَلَّمَ للصحابة بين قتل الأسرى أو قبول الفداء ..	١٨٥
عدد الأسرى والهالكين من قريش	١٨٧
من مشاهير أسرى قريش	١٨٧
عمرو بن أبي سفيان	١٨٧
العباس بن عبد المطلب	١٨٩
هلاك أبي لهب بالعدسة	١٩٠
وصف المغيرة ما لاقاه من كفار قريش في ساحة القتال	١٩١
هلاك أبي لهب والكيفية التي دفن بها	١٩٢
وفاة العباس رضي الله عنه	١٩٢
عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث	١٩٢

نوفل بن الحارث بن عبد المطلب	١٩٣
ذكر جدة	١٩٤
وفاة نوفل بن الحارث	١٩٤
خالد بن هشام المخزومي ، وسهيل بن عمرو العامري	١٩٤
سهيل بن عمرو خطيب قريش	١٩٤
مكرز العامري ومقامه من فداء سهيل	١٩٦
تحقيق الشارح إسلام مكرز العامري	١٩٦
عبد الله بن أبي بن خلف ، وأبو وداعمة السهمي	١٩٧
الحارث أول الأسرى فداء	١٩٧
خالد بن الأعلم الخزاعي	١٩٨
مشاهير من القتلى من مشركي قريش	١٩٨
حنظلة بن أبي سفيان	١٩٨
منبه بن الحجاج	١٩٨
نبيه بن الحجاج	١٩٩
حارث بن منبه	١٩٩
المستضعفون بمكة في زعمهم الكاذب	١٩٩
العاشي بن منبه بن الحجاج	١٩٩
مقتل علي بن أمية ، وأمية بن خلف	٢٠٠
علي بن أمية	٢٠٠
حديث عبد الرحمن بن عوف عن علاقته بأمية بن خلف	٢٠٠
مصرع أمية بن خلف وابنه	٢٠١
مقتل الحارث بن زمعة	٢٠٢
الأسود بن المطلب	٢٠٢

٢٠٣	هلاك زمعة بن الأسود
٢٠٣	نواح الأسود بن المطلب على بنية
٢٠٣	نياحة قريش على قتلها
٢٠٤	إسلام عمير بن وهب
٢٠٤	الجعل الذي خصه صفوان بن أمية لقتل النبي صلى الله عليه وسلم
٢٠٥	كشف النبي صلى الله عليه وسلم الأمر الذي قدم من أجله عمير إلى المدينة ..
٢٠٥	ابنا الفاكهي
٢٠٥	حكم الذين ادعوا أنهم مستضعفون وقتلوا بدر
٢٠٦	المستضعفون بمكة حقاً رضي الله عنهم
٢٠٧	وصف الوليد ، وسلمة ، عياش
٢٠٧	دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بنجاتهم من الكفار
٢٠٨	سلمة بن هشام رضي الله عنه
٢٠٨	عياش بن أبي ربيعة
٢٠٩	تحقيق الشارح أنَّ سلمة ليس أخاً شقيقاً لأبي جهل
٢٠٩	شهداء بدر من المهاجرين والأنصار
٢٠٩	عيدة بن الحارث بن المطلب
٢١٠	عمير بن أبي وقاص
٢١٠	عاقل بن عبد ياليل الليثي
٢١٠	ذو الشماليين عمير بن عبد عمرو
٢١١	مهجع مولى عمر بن الخطاب أول قتيل من المسلمين
٢١١	صفوان بن بيضاء
٢١١	مبشر بن عبد المنذر
٢١٢	يزيد بن الحارث

عوف وأخوه معوذ ابنا رفاعة ٢١٢
حارثة بن سراقة ٢١٣
رافع بن المعلى ٢١٤
عمير بن الحمام ٢١٤
التبشير بنصر الله للمؤمنين وهزيمة المشركين ٢١٦
دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة متصرفاً مظفراً ٢١٦
وفاء عمير بن عدي الأنصاري بنذرته في قتل عصماء بنت مروان ٢١٦
ثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمير لانتصاره لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ٢١٧

(٦) غزوة بنى سليم

تاریخها ٢١٨
عدد المسلمين ٢١٨
حامل اللواء ٢١٨

(٧) غزوة بنی قينقاع

تاریخها ٢١٨
سبب هذه الغزوة ٢١٩
براءة عبادة بن الصامت من حلف بنی قينقاع ٢٢٠
تحذير النبي صلی الله عليه وسلم اليهود من نقمة الله عز وجل ٢٢٠
حامل اللواء والمستخلف على المدينة المنورة ٢٢١
إصرار اليهود على الكفر ، وعداؤه المسلمين ٢٢٢
بيان المقصود من الحديث الشريف : « لو آمن لي عشرة من اليهود » ٢٢٢
المشهورون بالرئاسة من اليهود في عهد النبي صلی الله عليه وسلم ٢٢٢

٢٢٣	فساد طبيعة اليهود ، وإفسادهم ، ووعيد الله لهم
٢٢٣	اليأس من إيمان اليهود ، وبيان خصائصهم الدينية
٢٢٤	الآيات من سورة الإسراء تتحدث عن اليهود
٢٢٤	تفسير ابن كثير للآيات في سورة الإسراء عن بنى إسرائيل من اليهود
٢٢٦	بني قينقاع أول من غدر من اليهود
٢٢٧	إلحاد رئيس المنافقين في إطلاق بنى قينقاع
٢٢٨	إجلاء يهود بنى قينقاع إلى أذرعات
٢٢٨	سبب تسمية المدينة المنورة (طيبة)
٢٢٨	المدينة المنورة تنفي الخبر
٢٢٩	ذكر طيبة في التوراة
٢٣٠	إسلام عبد الله بن سلام
٢٣٠	المسائل الثلاث التي دلت عبد الله بن سلام على صدق النبي ﷺ
٢٣١	إعلان عبد الله بن سلام إسلامه في مواجهة اليهود
٢٣٢	مرويات عبد الله بن سلام عن رسول الله ﷺ
٢٣٢	شهادة رسول الله ﷺ لعبد الله بن سلام بالجنة
٢٣٢	وفاته رضي الله عنه

(٨) غزوة السويف

٢٣٢	تاريحها
٢٣٢	عدد المسلمين
٢٣٢	خليفة النبي ﷺ على المدينة
٢٣٣	سببها
٢٣٣	نذر أبي سفيان أن يغزو النبي ﷺ
٢٣٣	اجتماع أبي سفيان بزعماء اليهود للتآمر على المسلمين

٢٣٥	أول عيد صحي فيه النبي صلى الله عليه وسلم
(٩) غزوة ذي قرقرة	
٢٣٥	تاریخها
٢٣٥	معنی (قرقرة الكدر)
٢٣٦	ال الخليفة على المدينة ..
٢٣٦	حامل اللواء ..
٢٣٦	تبیعه لأخبار العدو ..
٢٣٦	الغناائم التي ظفر بها المسلمون ..
(١٠) غزوة ذي أمر وغطفان	
٢٣٨	موقعها
٢٣٨	تاریخها
٢٣٨	سبب هذه الغزوة ..
٢٣٩	ال الخليفة على المدينة المنورة ..
٢٣٩	إسلام جبار وتعليمه شرائع الإسلام ..
٢٣٩	إسلام دعثور بن الحارث ..
٢٣٩	تامر بنی شعلة على اغتيال رسول الله صلی الله عليه وسلم ..
٢٤٠	مواجهة دعثور رسول الله صلی الله عليه وسلم مشهراً سيفه ..
٢٤٠	استسلام دعثور وإعلانه الإسلام ..
٢٤٠	دعثور رضي الله عنه يحكى لقومه ما شهده لدى عزمه وتمكنه من رسول الله صلی الله عليه وسلم ..
٢٤٠	الخلاف في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَّا تَمَنُوا أَذْكُرُوا نَعْمَلَ اللَّهَ عَلَيْكُمْ ﴾ ..
٢٤١	عوده النبي صلی الله عليه وسلم إلى المدينة ..

(١١) غزوة بحران

موقعها	٢٤١
تاريχها	٢٤١
الخليفة رسول الله صلّى اللهُ علیهِ وسَلَّمَ على المدينة	٢٤١
عوده رسول الله صلّى اللهُ علیهِ وسَلَّمَ إلى المدينة المنورة	٢٤٢

(١٢) غزوة أُحد

خصائص جبل أُحد	٢٤٢
تاريχها	٢٤٣
سبب هذه الغزوة	٢٤٣
إعداد قريش للحرب	٢٤٤
إبلاغ العباس رضي الله عنه النبّي صلّى اللهُ علیهِ وسَلَّمَ عزم قريش لقتاله	٢٤٤
العدد والكراع في الجيشين	٢٤٥
أم الأوس (قيلة)	٢٤٦
رؤيا رسول الله صلّى اللهُ علیهِ وسَلَّمَ وتأویلها	٢٤٦
رؤيا النبّي صلّى اللهُ علیهِ وسَلَّمَ حق	٢٤٦
تعبير رؤياه صلّى اللهُ علیهِ وسَلَّمَ	٢٤٧
استشارة الرسول صلّى اللهُ علیهِ وسَلَّمَ أصحابه في الخروج أو البقاء بالمدينة ..	٢٤٨
عزم الرسول صلّى اللهُ علیهِ وسَلَّمَ على القتال	٢٤٩
اجتهاد الشارح رحمة الله تعالى في تعليل عدول النبّي صلّى اللهُ علیهِ وسَلَّمَ عن رأيه إلى رأي الآخرين	٢٥٠
خروجه صلّى اللهُ علیهِ وسَلَّمَ للقتال	٢٥١
عدد المقاتلة	٢٥١
خليفته صلّى اللهُ علیهِ وسَلَّمَ على المدينة	٢٥١

٢٥١	لا تستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك
٢٥٢	انخزال المنافقين
٢٥٢	زجر عبد الله بن عمرو بن حرام ابن أبي ابن سلول وجماعته في شد أذر المسلمين
٢٥٣	تفاؤله صلى الله عليه وسلم
٢٥٦	ما كان من المنافق مربع بن قيطي حين سلك النبي صلى الله عليه وسلم حائطه
٢٥٧	إجازته صلى الله عليه وسلم أبناء خمس عشرة ورده من دونهم
٢٥٧	الصغار الذين ردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٥٨	مصارعة سمرة ورافعاً رضي الله عنهما
٢٥٨	إعطاء الرسول صلى الله عليه وسلم السيف لأبي دجابة
٢٥٩	تكبر أبي دجابة رضي الله عنه احتقاراً للعدو
٢٥٩	الزبير بن العوام يعرب عن مشاعره تجاه أخذ أبي دجابة للسيف
٢٦٠	أبو دجابة رضي الله عنه يتغنى بالشعر في ساحة القتال
٢٦٠	وصف الزبير قتال أبي دجابة للمشركين يوم أحد
٢٦٠	أول من أشَّبَ الحرب
٢٦١	استئصال أهل اللواء من المشركين
٢٦١	تحريض أبي سفيان قريشاً على الحرب
٢٦٢	تحريض هند والنسوة قريشاً على الحرب
٢٦٢	هند تستحث قريشاً على القتال شعراً
٢٦٢	حملة لواء قريش الهاكين
٢٦٤	اشتغال الرماة بالغنائم عن الحرب
٢٦٥	حملة خالد على من بقي من الرماة
٢٦٦	شُؤم مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم
٢٦٦	شعار المسلمين

إعلان موت الرسول صلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ كذباً	٢٦٧
موقف المسلمين بعد الإعلان الكاذب	٢٦٧
مقالة معتب بن قشير	٢٦٧
استشهاد سيدنا حمزة	٢٦٨
رواية وحشى رضي الله عنه قتله لسيد الشهداء	٢٦٨
استنكار فعلة أبي سفيان بحمزة بعد استشهاده	٢٧١
مقتل قzman العبسى منافقاً كما أخبر الرسول صلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بذلك	٢٧١
استشهاد أصيير بنى عبد الأشهل	٢٧٢
ثبات رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ والثابتون معه	٢٧٣
أبو دجابة سماك بن خرشة رضي الله عنه	٢٧٤
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه	٢٧٤
طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه	٢٧٥
شلل يد طلحة رضي الله عنه	٢٧٥
شعر أبي بكر رضي الله عنه في طلحة	٢٧٦
طلحة الخير رضي الله عنه	٢٧٦
ثبات العمرىن وعلى رضي الله عنهم	٢٧٧
سبب نزول قوله تعالى : «لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ» الآية	٢٧٧
نسيبة أم عمارة بنت كعب رضي الله عنهم	٢٧٧
ثناء رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ على نسيبة رضي الله عنها	٢٧٩
الجروح التي أصابتها رضي الله عنها	٢٧٩
ما لقيه رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يوم أحد	٢٧٩
وقوع النبي صلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ في حفرة حفرها أبو عامر	٢٧٩
كسر رباعية النبي صلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ	٢٨٠

شئم الآباء على الأبناء	٢٨٠
دعاة النبي صلى الله عليه وسلم على ابن قمئة	٢٨١
عبد الله بن شهاب الزهري	٢٨١
وصف جيشه الشريف صلى الله عليه وسلم	٢٨٢
أبو عبيدة رضي الله عنه ينزع بفيه الحلقتين من جرح النبي صلى الله عليه وسلم	٢٨٣
كسر ثنيته	٢٨٣
الصحابة الذين أحسنوا القتال	٢٨٥
مقدار محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم	٢٨٥
استشهاد عمرو بن الجموح وابنه	٢٨٦
هند بنت عمرو بن حرام تحمل الشهداء إلى المدينة	٢٨٦
هند رضي الله عنها تخبر عائشة رضي الله عنها أئمـة المعركة	٢٨٦
«إن منكم يا عـشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره»	٢٨٧
كمال إيمـان الصحابة رضوان الله عليهم	٢٨٧
الواجب في حب الصحابة رضوان الله عليهم	٢٨٧
نـصح وـتـوجـيه	٢٨٨
باء قـادة ، والـمعـجزـة في حـادـثـة عـيـنه	٢٨٨
أول من بشـرـ المسلمين بـحـيـاته صلى الله عليه وسلم	٢٩٠
كعب بن مالـك رـضـيـ اللهـ عـنـهـ أـولـ مـنـ عـرـفـ بـحـيـاتـهـ رسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ	٢٩٠
شـعـراءـ رسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ المـشـهـورـونـ	٢٩١
عـودـةـ الصـحـابـةـ لـلـرـسـولـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ	٢٩١
نهـوضـ رسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـمـعـاـونـةـ طـلـحـةـ بـنـ عـيـدـ اللهـ وـدـعـاؤـهـ لـهـ ..	٢٩٢
صلـةـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـأـصـحـابـهـ قـعـودـاـ	٢٩٣
تمـثـيلـ هـنـدـ بـنـ عـتـبةـ بـالـشـهـداءـ	٢٩٤

٢٩٥	نشيد هند فرحاً بقتل سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه وانتقام قريش لقتلى بدر ..
٢٩٥	أول من ولدت هند من الرجال ..
٢٩٦	هند بنت أثاثة تجib هنداً زوج أبي سفيان على شماتتها بما حصل للمسلمين ..
٢٩٧	استشهاد عبد الله بن جحش كما سأله ربه ..
٢٩٧	أول أمير في الإسلام عبد الله بن جحش رضي الله عنه ..
	الدعاة الذي دعا به كل من سعد ابن أبي وقاص وعبد الله بن جحش رضي الله عنهم
٢٩٨	قبيل المعركة ..
٢٩٩	طلب الموت المنهي عنه ..
٢٩٩	قاتل عبد الله بن جحش ..
٢٩٩	دفنه مع خاله سيد الشهداء رضي الله عنهم ..
٢٩٩	أبو رهم كلثوم بن الحصين وما أصابه ..
٣٠٠	استشهاد حسيل بن حابر اليماني ..
٣٠٠	أي الفتنة أشد ؟ ..
٣٠١	استشهاد ثابت بن وقش ، وأخيه رفاعة ، وابنيه الأصيর ، وسلمة ..
٣٠١	عزم حسيل وثابت بن وقش رضي الله عنهم على مشاركة المسلمين قتالهم ..
٣٠١	أول من سمي المصحف مصحفاً ..
٣٠٣	استشهاد سعد بن الربيع ..
٣٠٣	سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمما فعل الله لسعد بن الربيع رضي الله عنه ..
٣٠٣	إجابة سعد بن الربيع رضي الله عنه في اللحظات الأخيرة ..
٣٠٤	دفن سعد وابن عمه خارجة رضي الله عنهم في قبر واحد ..
٣٠٤	استشهاد مخيريق من بني النضير ..
٣٠٤	مخيريق الخبر ..
٣٠٤	مخيريق يطالب قومه اليهود بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ..

هبة أمواه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٠٤ ٣٠٤
أول الأوقاف في الإسلام ٣٠٥ ٣٠٥
استشهاد مصعب بن عمير وشamas المخزومي ٣٠٥ ٣٠٥
شamas المخزومي رضي الله عنه ٣٠٥ ٣٠٥
ما وجدت لشamas شبهاً إلّا الجنة ٣٠٥ ٣٠٥
دفنه مع الشهداء بأُحد ٣٠٥ ٣٠٥
عدد الشهداء من المهاجرين والأنصار ٣٠٦ ٣٠٦
حمزة سيد الشهداء ٣٠٦ ٣٠٦
استشهاد حنظلة غسيل الملائكة ٣٠٧ ٣٠٧
رؤيا جميلة زوج حنظلة رضي الله عنهم ٣٠٧ ٣٠٧
قاتل حنظلة الغسيل ٣٠٨ ٣٠٨
استشهاد عمرو بن الجموح ٣٠٨ ٣٠٨
إصرار عمرو بن الجموح على الخروج للقتال ٣٠٩ ٣٠٩
رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن الجموح في الجنة ٣٠٩ ٣٠٩
عمرو بن الجموح رضي الله عنه سيد قومه ٣١٠ ٣١٠
سؤال عمر بن الخطاب عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوعده ٣١١ ٣١١
تعرف مقصد جيش المشركين ٣١٢ ٣١٢
مقتل أبي بن خلف لعنه الله ٣١٣ ٣١٣
استشهاد مصعب بن عمير رضي الله عنه ٣١٤ ٣١٤
بحث أبي بن خلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتله ٣١٤ ٣١٤
مصرع أبي بن خلف على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣١٤ ٣١٤
أبو جهل يتاجع ناراً في قبره ٣١٥ ٣١٥
حديث اعتبار وموعظة ٣١٦ ٣١٦

٣١٧	العبرة فيما أصاب المسلمين بأحد
٣١٧	شُؤم المخالفة وسوءها
٣١٧	الحكمة في نصر المسلمين مرة ، وهزيمتهم أخرى
٣١٧	تأخر النصر يستوجب مراجعة المسلمين نفوسهم
٣١٧	ابتلاء المسلمين رفع لدرجاتهم
٣١٧	الشهادة أعلى المراتب
٣١٨	إيجاد الله عزّ وجل الأسباب لهلاك الكافرين

(١٣) غزوة حمراء الأسد

٣١٨	موقعها
٣١٨	سبب هذه الغزوة
٣١٨	تاريχها
٣١٩	خروج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبه آثار المعركة
٣١٩	عدد الذين خرجوا معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
٣٢٠	السامح لجابر بن عبد الله بالخروج
٣٢٠	بدء المسير إلى المعركة
٣٢٠	نداء بلال رضي الله عنه بالخروج للعدو
٣٢٠	تلبية الصحابة رضوان الله عليهم نداء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برغم ما بهم
٣٢٠	من إصابات معركة أُحد
٣٢١	دعاة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإخباره عَمَّا تكون عليه حالهم مستقبلاً
٣٢١	مدة الإقامة بحمراء الأسد
٣٢١	استخلاف ابن أم مكتوم رضي الله عنه على المدينة
٣٢١	تخيّل عبد الخزاعي قريشاً عن الرجوع للحرب

خزاعة موضع سر النبي صلى الله عليه وسلم وأمانته	٣٢١
أبو سفيان بن حرب بالروحاء يعزم الرجوع لمحاربة المسلمين	٣٢٢
معبد يثبط كفار قريش ويثنى عزهم عن قتال المسلمين	٣٢٢
رسالة شفهية من أبي سفيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم	٣٢٣
مقتل معاوية بن المغيرة بن العاص لتجسسه لقريش	٣٢٤
حاصل قصة معاوية بن المغيرة بن العاص	٣٢٤
إعطاؤه الأمان ثلاثة أيام	٣٢٥
تجسسه وإهار دمه	٣٢٥
مقتل أبي عزة الجمحي الهجاء للرسول صلى الله عليه وسلم	٣٢٥
أسره بدر واستعطافه رسول الله صلى الله عليه وسلم في إرساله	٣٢٦
نقضه للعهد وخروجه مع المشركين	٣٢٦
استعطافه ثانية بعد القبض عليه	٣٢٦
المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين	٣٢٧
أول رأس حمل في الإسلام على رمح	٣٢٧

(١٤) غزوة بنى النضير

تاريختها	٣٢٨
غزوات النبي صلى الله عليه وسلم لليهود أربع	٣٢٨
سبب هذه الغزوة	٣٢٨
مؤامرة اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم	٣٢٩
نصح سلام بن مشكم لليهود بالرجوع عن مؤامرتهم	٣٣٠
إعلام النبي صلى الله عليه وسلم بمؤامرتهم عليه	٣٣٠
استبطاؤه صلى الله عليه وسلم	٣٣٠

٣٣٠	ندم اليهود على مؤامرتهم
٣٣١	استخلاف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم على الصلاة
٣٣١	محاصرة النبي صلى الله عليه وسلم لليهود
٣٣١	نزول تحريم الخمر تحريماً باتاً وسورة الحشر
٣٣٢	أول آية نزلت في شأن الخمر
٣٣٢	تحريم الخمر تحريماً باتاً إلى يوم القيمة
٣٣٢	سبب نزول سورة الحشر
٣٣٣	قتل كعب بن الأشرف
٣٣٣	إخراج بني النضير من ديارهم
٣٣٣	حث عبد الله بن أبي اليهود بعدم الخروج
٣٣٣	خروج الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال اليهود
٣٣٤	حامل الرأية
٣٣٤	موقف النبي صلى الله عليه وسلم من يهود بني النضير بعد شد الحصار عليهم .
٣٣٤	تولى محمد بن مسلمة رضي الله عنه إخراج اليهود
٣٣٤	فيهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد خصّ به المهاجرين برضا الأنصار .
٣٣٤	تعريف الفيء
٣٣٥	تعريف الغنيمة
٣٣٥	سبب إيشار النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين بالفيء
٣٣٦	دعاة النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار
٣٣٦	دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الأنصار لعرض موقفه من تقسيم الفيء ..
٣٣٧	موقف الأنصار النبيل
٣٣٧	فضل الأنصار بإيشارتهم المهاجرين على أنفسهم
٣٣٨	أول من سن التنازل عن الزوجات للمهاجرين سعد بن الربيع

مؤاخاة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين عبد الرَّحْمَنِ بن عوف و سعد بن الربيع ..	٣٣٨
الإشادة ب موقف الأنصار من المهاجرين رضي الله عنهم ..	٣٣٩

(١٥) غزوة ذات الرقاع

استدراك الشارح ..	٣٤٠
سبب التسمية ..	٣٤٠
الاختلاف في وقت وقوع هذه الغزوة ..	٣٤١
الأسماء الثلاثة لهذه الغزوة ..	٣٤٢
خليفة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة ..	٣٤٢
مدة غياب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المدينة ..	٣٤٣
غورث وما هم به من قتل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..	٣٤٣
آراء علماء السيرة في تعدد القصة ..	٣٤٤
من صفات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السامية الرفيعة ..	٣٤٥
قصة جابر وحمله مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..	٣٤٥
من لطيف العلم في حديث جابر ..	٣٤٨
تشاكل الفعل مع الخبر ..	٣٤٨

(١٦) غزوة بدر الأخيرة

تاریخها ..	٣٤٩
خليفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة المنورة ..	٣٤٩
نکوص أبي سفيان ..	٣٤٩
جيش السوق ..	٣٥٠
وفاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوعده ..	٣٥٠
المسلمون ونعميم بن مسعود ..	٣٥٠

(١٧) غزوة دومة الجندي

٣٥١	موقعها
٣٥٢	تاريخها
٣٥٢	سبب هذه الغزوة ..
٣٥٣	عودة رسول الله صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة المنورة ..

(١٨) غزوة الخندق

٣٥٤	تسميتها ..
٣٥٤	تاريخها ..
٣٥٤	سببها ..
٣٥٥	تحريض اليهود لقريش ، وغطfan على حرب الرسول صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..
٣٥٥	مسائلة قريش لليهود وتزوير هؤلاء للحقيقة ..
٣٥٥	دعوة اليهود غطfan لحرب النبي صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..
٣٥٦	خروج الأحزاب من المشركين للحرب ..
٣٥٦	جيوش الكفار من كل قبيل ..
٣٥٦	عدد جيش الكفار ..
٣٥٧	حفر الخندق ..
٣٥٧	استدراك الشارح ..
٣٥٨	ارتجاز المسلمين في حفر الخندق ..
٣٥٨	تسمية الرسول صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعيلًا عمرًا ..
٣٥٨	معجزات باهرة وأعلام للنبوة ظاهرة ..
٣٥٨	من معجزاته صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تكثير التمر ..
٣٥٩	تكثير الطعام ..

دعاة جابر رضي الله عنه رسول الله صلّى اللهُ علٰيهِ وسَلَّمَ ونفراً من أصحابه للطعام	٣٥٩
دعاة رسول الله صلّى اللهُ علٰيهِ وسَلَّمَ أهل الخندق جميعاً لحضور مأدبة جابر	
رضي الله عنه	٣٥٩
إخباره صلّى اللهُ علٰيهِ وسَلَّمَ عن فتوح المدن والأقصى	٣٦٠
الكدية التي عادت كثيراً	٣٦٢
اجتماع الجيшиن حول الخندق	٣٦٢
حاملاً لواء المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم	٣٦٣
نقض كعب عهده للرسول صلّى اللهُ علٰيهِ وسَلَّمَ	٣٦٣
حاصل ما سبق	
حُبي بن أخطب يقنع كعباً بنقض العهد	٣٦٤
كعب ينقض عهده	٣٦٤
تحريّي الرسول صلّى اللهُ علٰيهِ وسَلَّمَ عن نقض كعب للعهد	٣٦٥
رسل النبي صلّى اللهُ علٰيهِ وسَلَّمَ للوقوف على حقيقة بني قريظة	٣٦٦
غدر بني قريظة ونقضهم للعهد	٣٦٦
سابقة عضل في نقض العهد	٣٦٦
استبشار النبي صلّى اللهُ علٰيهِ وسَلَّمَ بما أخبره رسّله	٣٦٧
شدة خوف المسلمين ، وظهور نفاق المنافقين	٣٦٧
توفيق الشارح بين الروايات المتعددة	٣٦٧
إرسال ريح النصر ، والملائكة للمؤمنين	٣٦٨
الصبا والدبور وأثارهما على نتائج المعركة	٣٦٩
مشروع الصلح بين المسلمين وغطفان ، وعدم تمامه	٣٦٩
استشارة النبي صلّى اللهُ علٰيهِ وسَلَّمَ السعدين في ما ساومه عليه غطفان	٣٧٠
اقتحام بعض المشركين الخندق	٣٧١

٣٧١	فلتة معتب بن قشير
٣٧٣	مقتل نوبل المخزومي حين اقتحم الخندق
٣٧٤	مقتل عمرو بن عبد ود بسيف علي
٣٧٥	تقلد علي بن أبي طالب سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاؤه له
٣٧٥	عمرو يتحدى المسلمين
٣٧٦	منازله علي رضي الله عنه عمرو بن عبد ود
٣٧٦	شعار المسلمين يوم الخندق ، ويومبني قريظة
٣٧٧	تذليل نعيم بن مسعود للأحزاب عن المسلمين
٣٧٧	نعيم بن مسعود رضي الله عنه والإشاعات بين صفوف الكفار
٣٧٨	إيقاع نعيم رضي الله عنه بين قريش وبين حلفائهم اليهود
٣٧٨	عكرمة رسول قريش وغطفان إلىبني قريظة
٣٧٨	جواببني قريظة لقريش
٣٧٩	دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب
٣٧٩	استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم
٣٧٩	بعث حذيفة لاستكشاف أمر المشركين
٣٨٠	بعث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لمعرفة ما فعل الأحزاب
٣٨١	نداء أبي سفيان بالرحيل وانهزام المشركين
٣٨٢	تبشير حذيفة بانهزام المشركين
٣٨٣	انصراف النبي صلى الله عليه وسلم
٣٨٣	تأخير الصلاة عن وقتها يوم الخندق
٣٨٤	الصلوات التي تأخر أداؤها
٣٨٤	الترجح بين الروايات المتعددة
٣٨٥	حكم تأخير الصلاة عن وقتها أثناء الحرب في العصر الحاضر

٣٨٥	عدد شهداء المسلمين في هذه الغزوة
٣٨٥	عدد من هلك من المشركين
٣٨٥	من هديه صلى الله عليه وسلم إذا رجع من غزوة أو غيرها

(١٩) غزوة بنى قريظة

٣٨٦	مساكن بنى قريظة
٣٨٦	أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل بقتال بنى قريظة
٣٨٧	سيره صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة
٣٨٩	أمره صلى الله عليه وسلم صحابته بالصلاحة في بنى قريظة
٣٨٩	اجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم في فهم أمره صلى الله عليه وسلم
٣٨٩	المستفاد فقهاً من تباين اجتهاد الصحابة لأمره صلى الله عليه وسلم
٣٩٠	تخير كعب بن أسد لقومه بين خلال ثلاث ورفضهم لها
٣٩٠	حصار المسلمين لبني قريظة
٣٩٠	الخلة الأولى
٣٩١	الخلة الثانية
٣٩١	الخلة الثالثة
٣٩٣	رعب اليهود بعد رفضهم للخلال الثلاث
٣٩٣	طلبهم أبا لبابة وقصته معهم ، وتوبيته رضي الله عنه
٣٩٣	استشارة اليهود أبا لبابة رضي الله عنه
٣٩٥	تحقيق اختلاف الرواية
٣٩٥	الآية التي نزلت في توبه أبي لبابة
٣٩٦	نزول الوحي بتوبه أبي لبابة ، وبشارة أم سلمة له رضي الله عنهم
٣٩٦	مناقشة دلالة الآية على توبه أبي لبابة

العنوان

الصفحة

المعنى المستفادة من قصة أبي لبابة رضي الله عنه ٣٩٧	العنوان ٣٩٧
تحكيم سعد بن معاذ في قريطة ٣٩٧	اختيار سعد بن معاذ رضي الله عنه حكماً ٣٩٨
موقف سعد بن معاذ الحازم من بنى قريطة ٣٩٩	أمره صلى الله عليه وسلم بالقيام لسعد بن معاذ ٣٩٩
سبب تسمية بنى نزار ٤٠١	مقتل بنى قريطة وحيي بن أخطب ٤٠٢
عدد من قتل من بنى قريطة ٤٠٢	حديث صفية رضي الله عنها عن حب أبيها لها وإضماره عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ٤٠٣
هيئة حبي بن أخطب وهو مقود إلى القتل ٤٠٣	حديث عائشة رضي الله عنها عن اليهودية عندها ٤٠٣
مقتل الزبير بن باطيا القرطي ٤٠٤	موافقة النبي صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس على حقن دم الزبير وأهله وولده وماله ٤٠٥
سؤال الزبير بن باطيا عن مصير زعماء بنى قريطة ٤٠٥	رفض الزبير البقاء حياً بعد زعماء بنى قريطة ، وقتلها بسيف شفيعه ٤٠٦
استشهاد سعد واهتزاز عرش الرَّحْمَن لموته ٤٠٦	شهود الملائكة تشيع سعد بن معاذ رضي الله عنه إلى مقره الأخير ٤٠٧
خصائص سعد بن معاذ كما يتحدث هو عنها رضي الله عنه ٤٠٧	قبر سعد بن معاذ رضي الله عنه يفوح مسكاً ٤٠٨
ضمة القبر بالنسبة للمؤمن والكافر ٤٠٨	من الفوائد المستنبطة من قصة بنى قريطة وخبر سيدنا سعد رضي الله عنه ٤٠٩

(٢٠) غزوة بنى لحيان

٤٠٩	تاريխها
٤١٠	هذا الشام : موقعه ، ووصفه حاضراً
٤١٠	سبب هذه الغزوة
٤١٠	غزوة الرجيع
٤١١	بعث الرجيع
٤١٢	امتناع عاصم رضي الله عنه عن التزول على عهد كافر
٤١٢	غدر بنى لحيان بمن أعطوههم الأمان
٤١٢	استشهاد خبيب بن عدي
٤١٤	بعث النبّي صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري عيناً على قريش
٤١٤	وصف خبيب بن عدي بعد أربعين يوماً من قتله
٤١٥	استشهاد زيد بن الدثنة
٤١٥	أحكام وعبر في قصة بعث الرجيع
٤١٦	تورية النبّي صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى الشام
٤١٦	موقع غران ..
٤١٧	عدة بعث الرجيع
٤١٧	التفريق بين الروايتين ..
٤١٨	فتک عضل والقارة بالبعث
٤١٨	توفيق بين الروايات ..
٤١٨	بعث بئر معونة
٤١٩	موقع بئر معونة
٤١٩	جوار أبي براء للبعث ، ونقض ابن أخيه له ..

٤١٩	عدد أفراد بعث بئر معونة
٤٢٠	قتل عامر بن الطفيلي رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٢٠	استشهاد البعث
٤٢٠	خفر عامر بن الطفيلي عهد عمه أبي براء
٤٢٠	الغدر بأفراد البعث وقتلهم عدا كعب بن زيد رضي الله عنه
٤٢٠	حزن الرسول صلى الله عليه وسلم على الشهداء ، ودعاؤه على القتله
٤٢١	دفين الملائكة
٤٢١	مهمة البعض
٤٢٢	الفرق بين البعث والسرية
٤٢٢	تعريف البعث
٤٢٢	تعريف السرية
٤٢٢	تعريف الغزوة
٤٢٣	تعريف السرية

(٢١) غزوة الغابة

(غزوة ذي قرد)

٤٢٣	موقعها
٤٢٣	تاريخها
٤٢٤	سبب هذه الغزوة
٤٢٤	عدد أفراد الغزوة
٤٢٤	بسالة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه في استنقاذ اللقاح
٤٢٦	ملاحقة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه غطfan وفزانة
٤٢٧	إعطاء سلمة رضي الله عنه سهرين

٤٢٧	أمر عبيدة بن حصن
٤٢٨	تعارض الروايات في عدد اللقاح الناجية
٤٢٩	فوائد هذه القصة
٤٢٩	قصة امرأة أبي ذر ونذرها
٤٣٠	استدراك الشارح
٤٣١	حكم النذر ، والطلاق ، والعتاق ، والنكاح فيما لا يملك
٤٣١	ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على أبي قتادة
٤٣١	قتله لرئيس المشركين
٤٣٢	ما صنعته عكاشة بن ممحصن
٤٣٢	إصرار سلمة رضي الله عنه على ملاحقة الفارين وسماحة النبي صلى الله عليه وسلم بكفه عنهم
٤٣٢	من معجزاته صلى الله عليه وسلم
٤٣٣	معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم
٤٣٣	شراء طلحة الفياض للبئر ، وتصدقه بها
٤٣٣	سبب تسمية النبي صلى الله عليه وسلم له بالفياض
٤٣٤	الطلحات الخمسة الأجواد
٤٣٤	طلحة الجود
٤٣٤	طلحة بن عمر بن معمر
٤٣٥	طلحة الخير ، وطلحة الندى
٤٣٥	طلحة بن الحسين
٤٣٦	طلحة بن عبد الله بن عوف
٤٣٦	طلحة الدراديم
٤٣٦	طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن

العنوان	الصفحة
ماثر طلحة الخزاعي	٤٣٧
طلحة بن عبد الله الخزاعي طلحة الطلحات	٤٣٧
قصة العرنين وسرية سعيد بن زيد إلهم سنة ست	٤٤٠
تاریخها	٤٤٠
التعريف بعرينة	٤٤١
مرض الاستسقاء	٤٤١
قتل يسار رضي الله عنه راعي الللاح	٤٤٢
عدد أفراد السرية	٤٤٢
قائد السرية كرز بن جابر رضي الله عنه	٤٤٢
الاقتاصص من العرنين	٤٤٢
فوائد هذه القصة وأحكامها	٤٤٥
طهارة بول ما يؤكل لحمه	٤٤٥
استدلال من لا يرى إباحة أبوالإبل	٤٤٥
اعتماد القيافة من أدلة ثبوت النسب	٤٤٦
(٢٢) غزوة المريسيع	
(غزوة بنى المصطلق)	
موقعها	٤٤٦
تاريخ هذه الغزوة	٤٤٧
سبب هذه الغزوة	٤٤٨
انتصار الرسول صلّى اللهُ علّيهِ وسَلّمَ وهزيمة العدو	٤٤٨
استخلاف زيد بن حارثة على المدينة المنورة	٤٤٨
حامل الراية	٤٤٩
شعار المسلمين	٤٤٩

بركتها على قومها ٤٥١	بركتها على قومها ٤٥١
وفاة أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها ٤٥٢	وفاة أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها ٤٥٢
إسلام الحارث وبني المصطلق ٤٥٣	إسلام الحارث وبني المصطلق ٤٥٣
سبب إسلام الحارث بن ضرار ٤٥٣	سبب إسلام الحارث بن ضرار ٤٥٣
قصة الوليد بن عقبة ونزول الآية فيها ٤٥٣	قصة الوليد بن عقبة ونزول الآية فيها ٤٥٣
قدوم وفد بني المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٥٥	قدوم وفد بني المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٥٥
موت رفاعة بن زيد كهف المنافقين ٤٥٦	موت رفاعة بن زيد كهف المنافقين ٤٥٦
استدراك الشارح ٤٥٦	استدراك الشارح ٤٥٦
معظم المنافقين كان من الشيوخ ٤٥٦	معظم المنافقين كان من الشيوخ ٤٥٦
نماذج رفيعة من شباب الصحابة رضي الله عنهم ٤٥٧	نماذج رفيعة من شباب الصحابة رضي الله عنهم ٤٥٧
زيد بن أرقم ٤٥٧	زيد بن أرقم ٤٥٧
قابلية الشباب للخير ٤٥٨	قابلية الشباب للخير ٤٥٨
نرة جاهلية لجهة جاه الغفاري ، وسان الجهني ٤٥٨	نرة جاهلية لجهة جاه الغفاري ، وسان الجهني ٤٥٨
الحكم الشرعي فيمن دعا بدعوى الجاهلية في الإسلام ٤٦٠	الحكم الشرعي فيمن دعا بدعوى الجاهلية في الإسلام ٤٦٠
قول منكر لرأس المنافقين ، وما نزل فيه من القرآن ٤٦٠	قول منكر لرأس المنافقين ، وما نزل فيه من القرآن ٤٦٠
إعلام زيد بن أرقم الرسول صلى الله عليه وسلم بمقال رأس المنافقين ٤٦١	إعلام زيد بن أرقم الرسول صلى الله عليه وسلم بمقال رأس المنافقين ٤٦١
حلف رأس المنافقين بالله كذباً ٤٦١	حلف رأس المنافقين بالله كذباً ٤٦١
تصديق القرآن زيد بن أرقم ٤٦٣	تصديق القرآن زيد بن أرقم ٤٦٣
أول مشاهد زيد بن أرقم رضي الله عنه ووفاته ٤٦٤	أول مشاهد زيد بن أرقم رضي الله عنه ووفاته ٤٦٤
طلب عبد الله ابن رئيس المنافقين تولّي قتل أبيه بنفسه ٤٦٤	طلب عبد الله ابن رئيس المنافقين تولّي قتل أبيه بنفسه ٤٦٤
من أمارات النبوة وعلاماتها ٤٦٥	من أمارات النبوة وعلاماتها ٤٦٥
عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول ٤٦٦	عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول ٤٦٦
مدلولات موقف عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول رضي الله عنه من أبيه رئيس المنافقين ٤٦٦	مدلولات موقف عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول رضي الله عنه من أبيه رئيس المنافقين ٤٦٦

الحديث الإلوك وبرئه الله للسيدة عائشة الصديقة ٤٦٧	العنوان
الآيات الكريمات في براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٤٧٤	الصفحة
عظم فوائد هذا الحديث ٤٧٦	
دعاء الفرج ٤٧٧	
براءة أربعة بأربعة ٤٧٧	
مناظرة مسلم نصرانياً ٤٧٨	
مفاحن عائشة وفضائلها ٤٧٨	
نزول آية التيم ٤٨٠	
الأحكام التي شرعت في هذه الغزوة ٤٨٠	
النهي عن العزل عن النساء ٤٨١	
حكم التسبب لإسقاط النطفة ٤٨٢	

(٢٣) غزوة الحديبية

موقع الحديبية ٤٨٢	العنوان
تاريخها ٤٨٢	الصفحة
سبب الخروج للحديبية ٤٨٣	
استخلاف نميلة بن عبد الله الليثي ٤٨٣	
استفاره العرب للخروج معه إلى مكة ٤٨٤	
المخلفون ٤٨٤	
عدد أفراد الجيش ٤٨٤	
تكذيب الله المخلفين فيما اعتذروا به ٤٨٤	
خبر بسر بن سفيان الخزاعي عن قريش وصدتهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن مكة ٤٨٥	

تأهب قريش للمناجزة ٤٨٥	العنوان
تجنب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقاء قريش ٤٨٧	الصفحة
سلوك طريق وعر ٤٨٧	
استغفار المسلمين وتوبتهم ٤٨٧	
تراجع قريش خوفاً من المسلمين ٤٨٨	
خبر الناقة وسبب إحجامها ٤٨٨	
من معجزاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيضان الماء ٤٨٨	
ناجية بن جنديب الأسلمي سائق بدن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٤٨٩	
موقف النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كفار قريش ٤٨٩	
ما في هذه القصة من الحكم والفوائد ٤٩٠	
معجزة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفوران الماء من بين أصابعه ٤٩١	
مقارنة بين معجزة نبي الله موسى عليه الصَّلاة والسَّلَام ونبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٤٩٢	
معجزة أخرى بتكثير الطعام القليل ٤٩٢	
بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وسببها ٤٩٤	
وعد من شهد بدرأ الحديبية بالجنة ٤٩٥	
مباعدة سلمة بن الأكوع وسببها ٤٩٥	
عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قريش ٤٩٦	
عرض كفار قريش على عثمان رضي الله عنه الطواف بالبيت ٤٩٦	
مباعدة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعثمان رضي الله عنه مكافأة له ٤٩٧	
خصال عثمان رضي الله عنه وفضائله ٤٩٧	
سنان بن أبي سنان أول المباعين ٤٩٨	
بعث خراش الخزاعي إلى قريش ٤٩٨	

عفر كفار قريش جمل النبي عليه الصلاة والسلام	٤٩٨
خراش بن أمية الخزاعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش ..	٤٩٩
بعث قريش سفراهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم	٤٩٩
أسماء رسل قريش	٥٠٠
ال توفيق بين الروايات	٥٠٠
كلام الحليس بن علقمة	٥٠٢
كلام بديل بن ورقاء الخزاعي	٥٠٣
كلام مكرز بن حفص	٥٠٣
عودة إلى كلام الحليس بن علقمة	٥٠٤
سيد الأحابيش الحليس بن علقمة	٥٠٤
كلام عروة بن مسعود الثقفي	٥٠٥
رد أبي بكر الصديق رضي الله عنه كلام عروة	٥٠٥
المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في حراسة النبي صلى الله عليه وسلم	٥٠٦
عود عروة بن مسعود إلى قريش	٥٠٦
من مظاهر تفاني الصحابة في حبه صلى الله عليه وسلم	٥٠٦
بعث قريش سهيلًا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم للصلح	٥٠٧
تفاول النبي صلى الله عليه وسلم بسهيل رسول قريش	٥٠٧
توصيل سهيل إلى الصلح مع النبي صلى الله عليه وسلم	٥٠٨
كتاب الصلح	٥٠٨
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كاتب الصلح	٥٠٨
نص المعايدة بين النبي صلى الله عليه وسلم وكفار قريش	٥٠٨
حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في إمضاء هذه الشروط	٥١٠
تحقيق المحافظة على المستضعفين بمكة	٥١٠

511	إسلام كثير من كفار قريش
512	إسلام العدد من كبار قريش
512	الفتح في (سورة الفتح) : صلح الحديبية
512	النتائج العظيمة لصلح الحديبية
513	العصيفير جمل أبي جهل
514	التحلل من إحرام العمرة
515	مشورة أم سلمة رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
515	سبب تكرار الدعاء للمحلقين ثم المقصرين
515	الأسباب المحتملة في عدم الاستجابة مباشرة لما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم
516	فوائد قصة التحلل من إحرام الحديبية
517	مشاورة النساء
517	البشارية بقبول عمرة الصحابة
518	عمره صلى الله عليه وسلم
519	شروط الصلح ظاهرها ضيم ، وباطنها عز للمسلمين
520	أمر أبي جندل بن سهيل
521	موقف عمر وأبي بكر من شروط الصلح
522	مظاهر فضل أبي بكر على بقية الصحابة رضوان الله عليهم
523	أمر أبي بصير الثقفي
524	خروج أبي بصير إلى ساحل البحر للتضييق على قريش
525	تضييق قريش للنبي صلى الله عليه وسلم لإنقاذها من أبي بصير وأصحابه
527	لحوق أبي جندل بن سهيل بأبي بصير
527	وفاة أبي بصير رضي الله عنه

ما نزل في النساء المهاجرات	٥٢٨
نزول سورة الفتح	٥٢٩
مدة إقامة المسلمين بالحدبية	٥٢٩
صلح الحديبية أعظم الفتح	٥٣١
تحقيق الله ما وعد به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٥٣٢
عمرة القضاء	٥٣٢
خليفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ	٥٣٣
أول رمل واضطباب في الإسلام	٥٣٤
رجز عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٥٣٤
تأويل رؤيا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي رأها	٥٣٥
وفاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقريش بالعهد	٥٣٥
بنياؤه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مِيمُونَةَ	٥٣٦

(٢٤) غزوة خير

نميلة بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الخليفة على المدينة	٥٣٦
وعد الله لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخير	٥٣٧
استنفاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حوله	٥٣٧
منازل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طريقه إلى خير	٥٣٧
نزوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوادي الرجيع	٥٣٧
انخذال غطfan عن اليهود	٥٣٨
تأهب غطfan لمعاونة يهود خير	٥٣٨
نزول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصهباء	٥٣٨
دعا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خير	٥٣٨

٥٣٩	إعطاء الرأية لعلي بن أبي طالب
٥٣٩	الرأية العقاب
٥٤٠	من معجزاته صلى الله عليه وسلم
٥٤٢	ترس على بباب الحصن
٥٤٣	فائدتان
٥٤٣	الرأية واللواء
٥٤٤	حصون خير
٥٤٦	قتل قاتل محمود بن مسلمة الأنباري
٥٤٧	مقتل مرحب اليهودي
٥٤٧	تعارض الروايات وتقديم ما في الصحيح
٥٤٨	شعار المسلمين يوم خير
٥٤٨	استشهاد الرسول صلى الله عليه وسلم عامر بن الأكوع
٥٤٩	الحداء الذي أنسده عامر بن الأكوع رضي الله عنه
٥٤٩	دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لعامر بن الأكوع
٥٤٩	استشهاد عامر بن الأكوع
٥٥٠	تنبيه لغوي
٥٥٠	سبب قتل عامر بن الأكوع
٥٥٢	عدد قتلى اليهود في خير
٥٥٢	شهداء الصحابة خمسة عشر في خير
٥٥٣	استشهاد يسار الراعي
٥٥٣	قصة إسلام يسار الراعي رضي الله عنه
(٢٥) غزوة وادي القرى	
٥٥٤	موقعها

٥٥٤	اسمها حديثاً
٥٥٤	فتح الرسول صلى الله عليه وسلم لها ، والغنائم التي حصلها منها
٥٥٥	خبر مدعم غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥٥٦	مبادرة اليهود بقتال المسلمين

(٢٦) غزو مؤتة

٥٥٧	موقعها
٥٥٧	تاريخها
٥٥٧	نسب الروم
٥٥٨	عدد جيش المسلمين والكافار
٥٥٨	سبب هذه الغزوة
٥٥٨	مقتل الحارث بن عمير الأزدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥٥٨	جيش النساء
٥٥٩	أمراء الجيش
٥٥٩	توديع النبي صلى الله عليه وسلم للجيش
٥٥٩	وصية الرسول صلى الله عليه وسلم للجيش
٥٦٠	بكاء عبد الله بن رواحة خوفاً من النار
٥٦٠	إقدام عبد الله بن رواحة رضي الله عنه
٥٦٢	تشجيع ابن رواحة الجيش على لقاء هرقل
٥٦٢	نزول الجيش بمعان
٥٦٢	عدد جيش الروم
٥٦٢	تشاور المسلمين في الكتابة للنبي صلى الله عليه وسلم بواقع عدد جيش الروم
٥٦٣	استشهاد زيد ، وجعفر ، وابن رواحة

عقر جعفر رضي الله عنه فرسه لما ألحمه القتال	٥٦٣
الأبيات التي أنسدتها جعفر رضي الله عنه عندما أحسنَ دنوَ أجله	٥٦٣
الأبيات التي أنسدتها عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قبل استشهاده	٥٦٤
تأمر خالد بن الوليد	٥٦٥
إخبار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه بما وقع قبل وصول الخبر	٥٦٧
قدوم يعلى بن أمية رضي الله عنه ليعلم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخبر أهل مؤة	٥٦٧
انتصار جيش المسلمين	٥٦٨
عدد الشهداء من المسلمين	٥٦٨
قدوم جيش المسلمين إلى المدينة	٥٦٨
التعريف بالأمراء الثلاثة	٥٦٩
زيد بن حارثة	٥٦٩
بيع الطفل زيد بن حارثة في سوق عكاظ وشراء حكيم بن حزام له	٥٦٩
فقد حارثة لابنه زيد وإن شاده فيه	٥٧٠
جواب زيد على أبيه شعراً	٥٧٠
قدوم حارثة إلى مكة وطلبها عودة ابنه زيد إليه من النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . .	٥٧٠
تخير زيد بين العودة لأبيه ، أو البقاء لدى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٥٧١
إيشار زيد البقاء لدى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبيه	٥٧١
تبني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد بن حارثة	٥٧١
تزوجه زينب بنت جحش	٥٧١
تحقيق الشارح اسم زيد بن حارثة رضي الله عنه	٥٧٢
الخلاف في أول الناس إسلاماً	٥٧٢
الجمع بين الأقوال المختلفة	٥٧٢

572	مناقب زيد
572	ذكره في القرآن باسمه العلم
573	مؤاخاته مع حمزة رضي الله عنهم
574	درجة محبته لدى النبي صلى الله عليه وسلم
575	أربعة توالدوا صحبة
575	أبو قحافة والد سيدنا أبي بكر رضي الله عنهم
576	يعقوب بن محمد بن أسامه
576	مواليه صلى الله عليه وسلم
578	جعفر بن أبي طالب
578	فاطمة بنت أسد رضي الله عنها
578	الفواطم الثلاث
578	الخمسة المشبهين للنبي صلى الله عليه وسلم
579	(أبو المساكين) كنية جعفر بن أبي طالب
579	أول مولود في الإسلام بأرض الحبشة
579	قدوم جعفر من الحبشة وإسهام الرسول صلى الله عليه وسلم
580	أولاده
580	إسلام النجاشي على يد جعفر رضي الله عنه
580	مناسبتان سرّ بهما النبي صلى الله عليه وسلم في آنٍ واحد
581	تمثيل الشهداء الثلاثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الموت
581	البدع الضارة والعادات الاجتماعية السيئة في بيت الوفاة
582	فخر علي كرّم الله وجهه بقرباته النبي صلى الله عليه وسلم
582	عمر جعفر رضي الله عنه يوم وفاته
582	عبد الله بن رواحة

583	النقباء العشرة
583	حضوره المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
583	شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم
585	زوجة عبد الله بن رواحة تحكي فضائله رضي الله عنهم
585	نعي عبد الله بن رواحة نفسه
586	بكاء زيد بن أرقم
586	استثناء الشعراء المؤمنين من الغاوين
587	سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة عن كيفية قوله الشعر
587	دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة
587	مكاناته في الجاهلية والإسلام
587	قصته مع زوجته رضي الله عنهم
590	اعتراض على فقه القصة
590	جواب الاعتراض
590	رثاء حسان لجعفر وصاحبيه رضي الله عنهم جميعاً

٢٧) غزوة الفتح الأعظم

«فتح مكة زادها الله شرفاً ، وأهلها إنافة وكرماً»

594	فتح الفتوح
594	وصف ابن القيم رحمة الله لهذه الغزوة
594	تاريخ هذه الغزوة وسببها
595	قدوم عمرو بن سالم الخزاعي على الرسول صلى الله عليه وسلم
597	خزاعة حلفاء عبد المطلب بن هاشم في الجاهلية
599	إعلام الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالمسير إلى مكة المكرمة

600	بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ضمرة إلى قريش إعذاراً لها
600	تحقق النبي صلى الله عليه وسلم من الواقعه بينبني بكر وبين خزاعة
600	رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى قريش وتخثيرها بين خصال ثلاث
600	سبب استحسان الشارح ذكر ما سبق عقب قدوم وفد خزاعة المدينة
601	بعث قريش أبا سفيان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
601	ندم قريش على عدم قبولهم عرض النبي صلى الله عليه وسلم
601	عودة أبي سفيان إلى مكة بدون نتيجة
602	خبر أبي سفيان مع ابنته أم المؤمنين أم حبيبة
602	حديث أبي سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
602	استشفاف أبي سفيان بأبي بكر وعمر رضي الله عنهم
602	استشفاف أبي سفيان بعلي وأهل بيته رضي الله عنهم
603	موقف الزهراء فاطمة رضي الله عنها
603	استنصالح أبي سفيان علي بن أبي طالب فيما أهمه
603	ما كان من هند لزوجها أبي سفيان
603	استبطاء قريش قدوم أبي سفيان واتهامه بدخول الإسلام
604	إشهار أبي سفيان التزامه بعبادة الأصنام
604	مناقشة قريش لأبي سفيان فيما بلغه من رحلته
604	كتاب حاطب بن أبي بلترة لقريش
605	حديث حاطب رضي الله عنه مع المقوقس
606	استئجار حاطب امرأة لإرسال الخطاب إلى قريش
606	إطلاع الله جل جلاله وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم على كتاب حاطب رضي الله عنه
607	مضمون خطاب حاطب بن أبي بلترة لقريش
607	الأسباب التي دفعت حاطباً لمكابحة قريش

الآية التي نزلت في حادث حاطب رضي الله عنه	٦٠٨
نص خطاب حاطب لكتار قريش	٦٠٩
من معجزاته صلى الله عليه وسلم لما أرسل القوم إلى حاملة خطاب حاطب ..	٦٠٩
قصة عبد الله بن أبي أمية وإعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عنه ..	٦١٠
توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة ..	٦١٠
خذيفة بن المغيرة زاد الركب ..	٦١٠
قصة أبي سفيان بن الحارث وإعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عنه ..	٦١١
أبو سفيان بن الحارث ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ..	٦١١
إسلام أبي سفيان بن الحارث أخي النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع ..	٦١١
رثاؤه للنبي صلى الله عليه وسلم ..	٦١١
شفاعة أم سلمة فيهما ..	٦١٢
وفاته ..	٦١٢
حكمة أم سلمة رضي الله عنها ..	٦١٣
خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة بجيشه ..	٦١٣
تاريخ خروجه صلى الله عليه وسلم إلى مكة ..	٦١٣
كلثوم بن الحصين المستخلف على المدينة ..	٦١٤
عدد المسلمين ..	٦١٤
تاريخ أنصاب الحرم ..	٦١٧
أول من نصب أنصاب الحرم ..	٦١٧
إرهاب قريش بإيقاد عشرة آلاف نار ..	٦١٨
وادي فاطمة وبعده عن مكة المكرمة ..	٦١٨
فرع أبي سفيان من جيش المسلمين ..	٦١٩
خروج أبي سفيان وعدد من وجهاء قريش لطلب الأمان من النبي صلى الله عليه وسلم ..	٦١٩

قصة إسلام أبي سفيان وما كان من العباس معه	٦١٩
اقتياد أبي سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم	٦١٩
رغبة العباس رضي الله عنه في خروج أهل مكة لطلب الأمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم	٦١٩
مقابلة العباس لأبي سفيان وحديثه معه	٦٢٠
إرداد العباس لأبي سفيان على بغلته	٦٢٠
مرور العباس بنار عمر بن الخطاب ومقالته لدى رؤية أبي سفيان	٦٢١
اشتداد الحوار بين عمر والعباس رضي الله عنهمما في شأن أبي سفيان	٦٢١
الحاديـث الـذـي دـار بـيـن النـبـيـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـبـيـن أـبـيـ سـفـيـانـ	٦٢١
حـجـزـ أـبـيـ سـفـيـانـ لـيـرـيـ جـيـشـ الـمـسـلـمـيـنـ فـرـقـةـ فـرـقـةـ	٦٢٢
تحـذـيرـ أـبـيـ سـفـيـانـ قـرـيـشاـ مـنـ جـيـشـ الـمـسـلـمـيـنـ	٦٢٣
تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما منَّ الله عليه من الفتح	٦٢٤
تدخل عمر رضي الله عنه في الحديث بين النبيـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـبـيـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ	٦٢٥
إسلام هند زوج أبي سفيان	٦٢٥
استعداد حماس بن قيس لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم انهزامه	٦٢٥
(الزعـمـ) يـطـلـقـ عـلـىـ معـانـ	٦٢٥
اختفاء حماس في منزله	٦٢٧
مظاهر شفقة النبيـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ	٦٢٩
أمر النبيـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـمـرـاءـ الـجـيـشـ أـنـ لـاـ يـقـاتـلـوـ إـلـاـ مـنـ قـاتـلـهـمـ	٦٢٩
قصة ابن أبي سرح رضي الله عنه	٦٣٠
اختباـؤـهـ عـنـدـ عـثـمـانـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ	٦٣٠
إسلامهـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ	٦٣١

الوظائف التي تولأها في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهم	٦٣١
اعتزاله الفتنة	٦٣١
وفاته رضي الله عنه	٦٣١
قصة هبار بن الأسود رضي الله عنه	٦٣٢
إيذاؤه زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم	٦٣٢
إسقاط زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاتها	٦٣٢
إسلام هبار رضي الله عنه	٦٣٢
دخول هبار على النبي صلى الله عليه وسلم وإشهاره الإسلام	٦٣٣
طلبه الصفح	٦٣٤
اعترافه بذنبه	٦٣٤
رحمة الله سبحانه بعباده	٦٣٤
شفقة الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته بأمته	٦٣٥
مثل من رأفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحسن معاملته	٦٣٦
جزاء المطيعين لله الجنة	٦٣٨
قرب العبد من ربه وقرب الرب من عبده	٦٣٨
الإيمان بأحاديث الصفات كما وردت	٦٣٩
حديث البطاقة	٦٤١
عطف الرسول صلى الله عليه وسلم على هبار بن الأسود	٦٤٣
تعيير هبار لإيذائه زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم	٦٤٣
رضاء الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي سفيان بعد إسلامه ، وإكرامه إياه	٦٤٤
مزاحمة أبي سفيان رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم	٦٤٤
من معجزاته صلى الله عليه وسلم	٦٤٤
يا نصر الله اقرب	٦٤٥

عطف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمِيَّةَ وَأَبِي سَفِيَّانَ	645
ابن الحارث وأهل مكة	645
هل فتح مكة كان عنوة أو صلحاً؟	646
مذهب الشافعي في فتح مكة	646
مذهب الجمهور	646
ما يبني على قول الجمهور	646
أصل الخلاف بين الشافعي والجمهور	647
اختصاص مكة ببعض الأحكام عن سائر البلاد	647
مناظرة الإمام الشافعي مع ابن راهويه في مكة	648
سؤال إسحاق للإمام الشافعي عن كراء بيوت مكة المكرمة	648
إخبار الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَهُ الْأَنْصَارُ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ	649
إخبار الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا تَحَدَّثَ بِهِ قَرِيشٌ عَنْ أَذَانِ بَلَالِ	650
سيرة بلال بن رياح رضي الله عنه	652
ما قاله القرشيون في شأن سيدنا بلال رضي الله عنه	653
إخبار الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَهُ فَضَالَّةُ بْنُ عَمِيرٍ	654
تحطيم الأصنام حول الكعبة	655
خلود سدنة الكعبة في بني طلحة	656
الحاديـث الـذـي جـرـى بـيـنـ النـبـيـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـعـثـمـانـ بـنـ طـلـحةـ قـبـلـ إـسـلـامـهـ	657
عـلـى بـابـ الـكـعـبـةـ	657
قصيدة حسان يهجو المشركين ويمدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ	658
رـضـوـانـ اللـهـ عـلـيـهـمـ	658
حـكـمـ أـخـذـ الـأـجـرـةـ عـلـى دـخـولـ الـكـعـبـةـ	658

(٢٨) غزوة حنين

في شوال سنة ثمان

موقع حنين	٦٦٢
أسماء أخرى لهذه الغزوة	٦٦٢
سبب هذه الغزوة	٦٦٢
عتاب بن أَسِيد أمير مكة ..	٦٦٣
عدد جيش المسلمين ..	٦٦٣
عدد جيش هوازن ..	٦٦٣
مالك بن عوف قائد جيش هوازن ..	٦٦٣
معارضة دريد بن الصّمة لمالك بن عوف النصري ..	٦٦٤
الملائكة وعيون مالك بن عوف ..	٦٦٦
وصف جواسيس مالك لما رأوه ..	٦٦٦
تعرف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَارَ الْقَوْمِ ..	٦٦٦
تحسّن عبد الله بن أبي حدرد الإسلامي رضي الله عنه أخبار العدو ..	٦٦٦
استعارة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدْرَعًا وَسَلَاحًا مِنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ ..	٦٦٧
توجه النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَاحَةِ الْمَعرَكَةِ ..	٦٦٧
التحام القتال وثبات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ ..	٦٦٨
ترجيح الشارح بين الروايات المتعارضة ..	٦٧٠
رجوع المسلمين إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ التَّفْرِقِ ثُمَّ انتصارِهِ ..	٦٧١
نداء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جموع المسلمين واستجابتهم له ..	٦٧٢
أمثال النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي لَمْ يَسْبُقْ إِلَيْهَا ..	٦٧٢
قصة أم سليم بنت ملحان ..	٦٧٣
مدد الملائكة للMuslimين ..	٦٧٤

رمي الرسول صلى الله عليه وسلم وجوه المشركين بالحصباء	٦٧٥
معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم	٦٧٦
تسخير البغلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم	٦٧٦
نداوٰه بمسمع من عدوه	٦٧٧
أثر الحصباء في صفوف المشركين	٦٧٧
حكم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن من قتل قتيلاً فله سلبه	٦٧٨
حديث أبي قتادة الأنصاري عمّا جرى له في المعركة	٦٧٨
حكم الصديق رضي الله عنه دفع سلب المقتول لقاتلته	٦٧٨
هزيمة المشركين	٦٧٩
المحادثة بين دريد بن الصمة وقاتلته من الأنصار	٦٧٩
ذكر بعض من ثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم هوازن	٦٨٠
علي بن أبي طالب وال عمران وأبو سفيان بن الحارث	٦٨٠
البهاء والسعاء والفقه في دار العباس	٦٨١
أُسامة بن زيد ممن ثبت	٦٨١
أيمان بن عبيد ممن ثبت	٦٨١
قصة شيبة بن عثمان العبدري ، وإسلامه بعد قصده الغدر بالرسول صلى الله عليه وسلم	٦٨١
مسح النبي صلى الله عليه وسلم على صدر شيبة	٦٨٢
حديث شيبة رضي الله عنه عن إسلامه	٦٨٢
عزمه على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم	٦٨٢
نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبة ودعاؤه له	٦٨٣
صموده دفاعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم	٦٨٣
كشف النبي صلى الله عليه وسلم ما أضمره شيبة لاغتياله	٦٨٣

دفع النبيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفاتيح الكعبة لشيبة ٦٨٣	القول في فرار من فر من الصحابة في هذه الغزوة ٦٨٤
النصر الكبير للمسلمين ٦٨٥	إبطال محاولة مالك بن عوف التجميُّع لقومه لإعادة الكراة على المسلمين ٦٨٦
عدد شهداء المسلمين وقتى المشركين ٦٨٦	الغنائم والسيبي ٦٨٦
جمع الغنائم بالجعرانة ٦٨٦	وصوله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الجعرانة ٦٨٦
توقع النبيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُعاد السيبي إلى أهله ٦٨٧	قدوم وفد هوازن على الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورده السيبي إليهم ٦٨٧
استعطاف وفد هوازن للنبيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعراً ٦٨٨	رد النبيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السيبي لهوازن ٦٨٩
تنازل المهاجرين والأنصار عمّا لهم من السيبي ٦٨٩	تمسّك بعض القبائل بحقها في السيبي ٦٩٠
مفاوضة عيينة في العجوز التي كانت من نصيبيه ٦٩٠	قصة الشيماء بنت الحارث ٦٩١
إكرام الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخته وتخيرها ٦٩١	سخاوه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عطاياه ٦٩٢
عطاؤه السخي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي سفيان وأبنائه رضوان اللهُ عَلَيْهِم ٦٩٣	أسماء من أجزل لهم رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعطاء ٦٩٣
عطاياه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخمس الخاص به ٦٩٤	مظاهر كرم رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٦٩٤
عطاؤه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمؤلَّفة قلوبهم ٦٩٦	

696	عطاؤه صفوان بن أمية رضي الله عنه
697	إسلام صفوان بن أمية رضي الله عنه
697	ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه
698	عطاؤه صلى الله عليه وسلم لعمه العباس
698	استدراك على الناظم
699	موقف الأنصار ورضاهم بما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد خطبته فيهم
702	بعث أبي عامر الأشعري إلى أوطاس
703	مبارزة أبي عامر واستشهاده
704	دعاة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي عامر
704	أبو موسى الأشعري رضي الله عنه خلف أبي عامر
704	دعاة الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد أبي عامر
705	ما يستفاد من الحديث

(٢٩) غزوة الطائف

705	التعريف بالطائف
705	المسافة من مكة إلى الطائف قديماً وحديثاً
707	موقف الشارح من وجوه التسمية
707	تحصن ثيف بحصنهم في الطائف
707	تاریخ الغزوة
707	حصن الطائف
708	حصار ثيف
709	اعتراض على تسمية العنبر كرماً والجواب عليه
709	ضرب المسلمين حصونهم بالمنجنيق

أول منجنيق رمي به في الإسلام	٧٠٩
إباء الرسول صلى الله عليه وسلم الدعاء على ثقيف	٧١٠
سمو أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم	٧١٠
أشد ما مرّ على النبي صلى الله عليه وسلم من الأحداث ..	٧١٠
دعاة النبي صلى الله عليه وسلم لتحقيف رغم إيدائهم ..	٧١١
مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم نوافل بن معاوية في فتح الطائف في نفس العام ..	٧١٢
تحرير الرسول صلى الله عليه وسلم من خرج إليه مسلماً من عبيدهم ..	٧١٢
الموقف المحمود لعثمان بن العاص رضي الله عنه ..	٧١٢
أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالرحيل إذ لم يؤذن له في الفتح هذا العام ..	٧١٣
مظاهر رفق النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه ..	٧١٣
عمرة الرسول صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ..	٧١٤
عتاب بن أسيد أمير مكة ..	٧١٤
أهل مكة أهل الله عزّ وجلّ ..	٧١٤

(٣٠) غزوة تبوك

موقعها	٧١٤
تاریخها	٧١٥
سبب هذه الغزوة ..	٧١٦
حث الرسول صلى الله عليه وسلم الأغنياء على الإنفاق في سبيل الله ..	٧١٧
تجهيز عثمان ثلث الجيش ..	٧١٧
عُسرة المجاهدين ..	٧١٩
حث النبي صلى الله عليه وسلم الميسير على إعانة المعاسير ..	٧١٩
دعاة النبي صلى الله عليه وسلم أن يُغاث المسلمون ..	٧٢٠

٧٢٠	مقدار ما بلغ بالمسلمين من الشدة
٧٢٠	البكاؤون للتخلُّف عن الجهاد
٧٢١	أسماء الصحابة الذين لم تكن لهم قدرة على الخروج لنقص المؤونة
٧٢١	بيوت الإيمان وبيوت النفاق
٧٢٢	آلية الكريمة تصف صدق حالهم
٧٢٢	موقف المعدرين والمنافقين
٧٢٣	الآيات في وصف المتخلفين بغير عذر
٧٢٤	استخلاف علي رضي الله عنه على المدينة
٧٢٤	تصنيف الذين قعدوا عن الخروج للغزو
٧٢٤	الثلاثة المؤمنون المتخلفون
٧٢٥	حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عن تخلُّفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
٧٢٦	تصريح رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهته
٧٢٧	أصناف المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٢٧	سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن كعب بن مالك
٧٢٧	حيرة كعب بن مالك رضي الله عنه في تبرير تخلُّفه
٧٢٨	عدد المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٢٨	كعب بن مالك رضي الله عنه وحديثه الصادق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٢٨	عتاب رجالٍ منبني سلمة لشعب على موقفه الصريح
٧٢٩	وصف حال الصحابة الثلاثة رضوان الله عليهم الذين نهى المسلمين عن كلامهم
٧٢٩	محاولات كعب رضي الله عنه أن يجد التفاتة من النبي صلى الله عليه وسلم ..
٧٣٠	معاناة كعب رضي الله عنه من مقاطعة الصحابة
٧٣٠	عرض من ملك غسان لشعب بن مالك رضي الله عنه اللجوء إليه

حرق كعب بن مالك رضي الله عنه خطاب ملك غسان 730
أمر الذين خلفوا رضي الله عنهم اعتزال زوجاتهم 730
استئذان امرأة هلال بن أمية رضي الله عنهمما في خدمته 730
إحجام كعب رضي الله عنه عن استئذانه في خدمة زوجه له رضي الله عنهمما 731
ذروة الضيق الذي أُصيب به الثلاثة رضوان الله عليهم 731
النداء المبشر بالفرج 731
انطلاق كعب رضي الله عنه سريعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 731
تهنئة النبي صلى الله عليه وسلم كعباً رضي الله عنه بقبول توبته 732
مظاهر سرور النبي صلى الله عليه وسلم 732
الآيات التي نزلت في توبية الصحابة الثلاثة رضوان الله عليهم 732
نتائج الصدق في تجربة كعب بن مالك رضي الله عنه 732
السبب في اشتداد غضب النبي صلى الله عليه وسلم على المخالفين برغم أنَّ الجهاد فرض كفایة 733
السبب في اختلاف التعامل للمنافقين عنه مع المخالفين 734
قصة إبطاء أبي خيثمة وأبي ذر في الخروج 734
توافق أبي خيثمة مع عمير بن وهب رضي الله عنهمما في الطريق إلى تبوك 735
قدوم أبي خيثمة وسلمته على رسول الله صلى الله عليه وسلم 735
أبو خيثمة رضي الله عنه يذكر سبب إبطائه شعراً 736
سبب إبطاء أبي ذر جندي رضي الله عنه 736
قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قاله بحقه 736
ما تضمنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه من معجزات 737
خروج أبي ذر رضي الله عنه إلى الربذة ووفاته بها 738
مرور الرسول صلى الله عليه وسلم بديار ثمود ونفيه عن شرب مائتها 738

٧٣٨	خبر الصحابيين اللذين خرجا منفردين وما أصابهما
٧٣٩	الحكمة في نهيه صلى الله عليه وسلم عن انفراد الصحابة في الخروج في ديار ثمود ..
٧٤٠	قصة الرجلين اللذين خالفا النهي
٧٤٠	وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم البئر التي كانت تشرب منها ناقة صالح عليه الصلاة والسلام

تنبيهان

٧٤١	توفيق الشارح رحمه الله بين بعض الروايات
٧٤٢	آية وقعت بالحجر استجابة لدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم
٧٤٤	استسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه لأمته
٧٤٥	استسقاء النبي صلى الله عليه وسلم واستجابة المولى عز وجل لدعائه
٧٤٥	ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب وما قاله فيه
٧٤٦	استخلاف علي على المدينة
٧٤٨	تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه بسهمين
٧٤٨	الأجر على قدر الاتباع
٧٤٨	جهالة الشيعة وافتراضهم
٧٤٩	موقف أهل السنة والجماعة من استخلاف النبي صلى الله عليه وسلم علياً كرم الله وجهه
٧٤٩	حقيقة مذهب الشيعة
٧٥٠	حقيقة الخلاف في حب الصحابة بين الشيعة وأهل السنة والجماعة
٧٥٠	مقالة المنافق زيد بن اللصيت
٧٥٠	ضياع القصواء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث زيد بن اللصيت ..
٧٥١	إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن موقع ناقته القصواء وما هي عليه

المعجزات النبوية في قصة زيد بن اللصيت ٧٥٢	الصفحة
الفوائد الجمة من تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الحديث الذي جرى على لسان زيد بن اللصيت ٧٥٢	العنوان
قصة وديعة بن ثابت ومخشن بن حمير ٧٥٣	الصفحة
تشييط المنافقين للMuslimين عن مواجهة الروم ٧٥٤	العنوان
تفسير ما ورد في الحديث ٧٥٥	الصفحة
إطلاق الطائفة على الواحد ٧٥٥	العنوان
حكم الاستهزاء بالدين ٧٥٥	الصفحة
ما كان بعد الوصول إلى تبوك ٧٥٥	العنوان
عهد الأمان من النبي صلى الله عليه وسلم ليحنة بن رؤبة صاحب أيلة ٧٥٦	الصفحة
مدة إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بتبوك ٧٥٦	العنوان
وفاة ذي البجادين المزنبي رضي الله عنه ٧٥٦	الصفحة
عودة النبي صلى الله عليه وسلم وجيشه إلى المدينة ٧٥٧	العنوان

خاتمة

نسال الله حسن الختام

في خلاصة للكشف عن بعض ما وقع من عام ولادته صلى الله عليه وسلم من الحوادث
إلى عام وفاته صلى الله عليه وسلم

تاريخ ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧٥٨	العنوان
قابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧٥٨	الصفحة
شق صدره صلى الله عليه وسلم ٧٥٨	العنوان
وفاة أمّة آمنة ، ونشأتها صلى الله عليه وسلم ٧٥٨	الصفحة
تحكيم قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم في وضع الحجر الأسود ٧٦٠	العنوان

إرهاصات النبوة	760
نبوته صلى الله عليه وسلم	760
الهجرة إلى الحبشة وأول شهيدة في الإسلام	760
خبر الصحيفة التي كتبت فيها مقاطعةبني هاشم وبني المطلب	761
عام الحزن	761
السنة الأولى من الهجرة وجملة أحداثها	761
أول جمعة في الإسلام	762
تحويلي القبلة إلى البيت الحرام	762
أول من مات من المهاجرين بالمدينة ودفن بالبقيع	763
أوائل المولودين للمهاجرين والأنصار	763
أول وافد مسلم إلى المدينة المنورة	765
فرض شعيرة الحج	765
استشهاد الأربعاء الثلاثة	766
ولادة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم	766
عام الوفود	767
الخطب العظيم الذي أصاب المسلمين	768
لولا أبو بكر رضي الله عنه لهلكت الأمة	769
أبو ذؤيب الهذلي رضي الله عنه وحاله عند سماعه موت النبي صلى الله عليه وسلم	769
وصف أبي ذؤيب المدينة بعد ما حلّ بها الحدث العظيم	769
وصف المقالات التي دارت في سقيفةبني ساعدة	769
تحديد وقت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويوم دفنه	770
شعور الصحابة وإحساساتهم بعد دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم	770
محتوى الكتاب	775